صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

١٩٥

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

(تمت)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

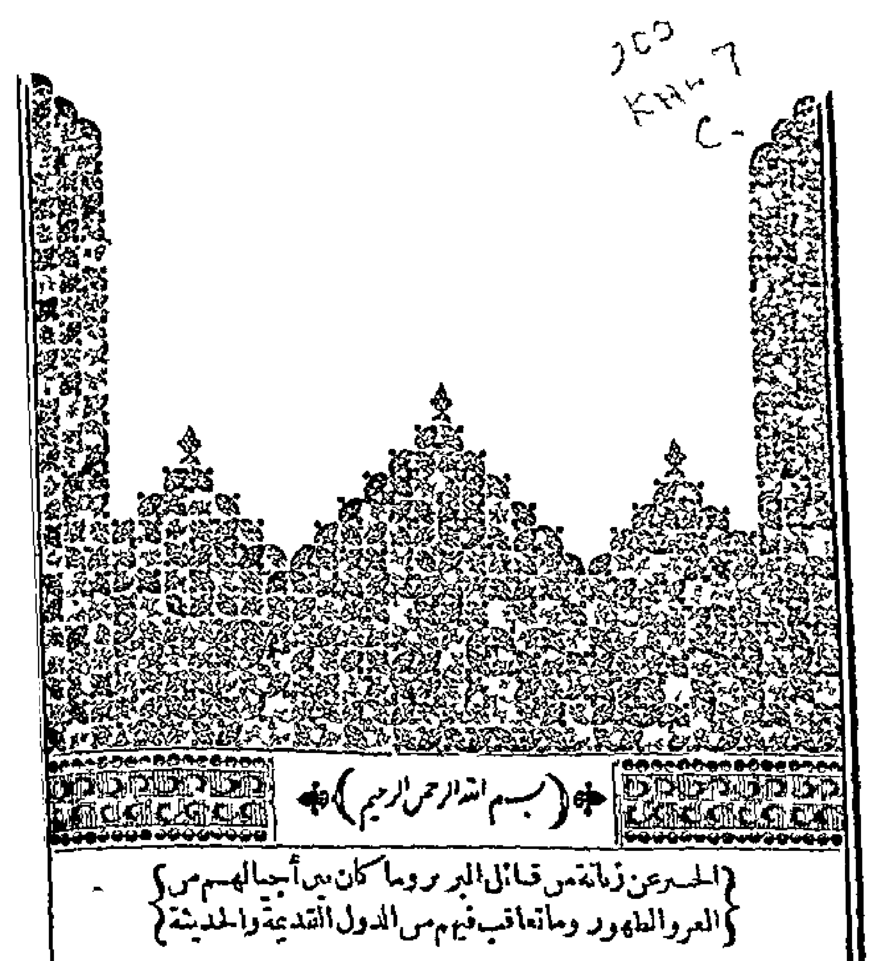
صحيفة

(تمت)

الجزء السابع

من كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر

وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن ابن خلدون المغربي



(بسم الله الرحمن الرحيم)

{الخبر عن زناتة من قبائل البربر وما كان بين أجيالهم من العز والظهور وما تعاقب فيهم من الدول القديمة والحديثة}

هذا الجيل فى المغرب جيل قديم العهد معروف العين والاثر وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب فى سكنى الخيام واتخاذ الابل وركوب الخيل والتغلب فى الارض وايلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والاباية عن الانقياد للنصفة وشعارهم بين البربر اللغة التى يتراطنون بها وهى مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر ومواطنهم فى سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الاقصى حتى ان عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم كما نذكره ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحى افريقية وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد واذعنوا لحكمهم والاكثر منهم بالمغرب الاوسط حتى انه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة ومنهم بالمغرب الاقصى أمم أخرى وهم لهذا العهد أهل دول وملك بالمغربين وكانت لهم فيه دول أخرى فى القديم ولم يزل الملك يتداول فى شعوبهم حسبما نذكره بعد لكل شعب منهم ان شاء الله تعالى

(الخبر

(الخبر عن نسبة زناتة وذكر الخلاف الواقع فيه وتعديد شعوبهم)

اما نسبهم بين البربر فلا خلاف بين نسابتهم أنهم من ولد شانا واليه نسبهم وأما شانا فقال أبو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة قال بعضهم هو جانا بن يحيى بن صولات بن ورماك بن ضرى بن رحيك بن مادغيس بن بربر وقال أيضا في كتاب الجمهرة ذكر لي يوسف الوراق عن أيوب بن أبي يزيد يعني حين وفد على قرطبة عن أبيه الثائر بافريقية أيام الناصر قال هو جانا بن يحيى بن صولات بن ورساك بن ضرى بن مقبو بن قروال بن يملا بن مادغيس بن رحيك بن همرحق بن كراد بن مازيغ بن هراك بن برا بن بربر بن كنعان بن حام هذا ماذكره ابن حزم ويظهر منه ان مادغيس ليس نسبة الى البربر وقد قدمنا ما في ذلك من الخلاف وهو أصح ما ينقل في هذا لان ابن حزم موثوق ولا يعدل به غيره (ونقل) عن ابن أبي زيد وهو كبير زناتة ويكون البربر على هذا من نسل برنس فقط والبتر الذين هم بنو مادغيس الابتر ليسوا من البربر ومنهم زناتة وغيرهم كما قدمنا لكنهم اخوة البربر لرجوعهم كلهم الى كنعان بن حام كما يظهر من هذا النسب (ونقل) عن أبي محمد بن قتيبة في نسب زناتة هؤلاء انهم من ولد جالوت في رواية ان زناتة هو جانا ابن يحيى بن ضريس بن جالوت وجالوت هو ونور بن جربيل بن جديلان بن جالد بن ديلان بن حصى بن باد بن رحيك بن مادغيس الابتر بن قيس بن عيلان (وفي) رواية أخرى عنه ان جالوت بن جالود بن بردنال بن قحطان ابن فارس وفارس مشهور (وفي) رواية أخرى عنه انه بن هربال بن بالود بن دبال بن برنس بن سفك وسفك أبو البربر كلهم ونسابة الجيل نفسه من زناتة يزعمون انهم من حمير ثم من التبابعة منهم وبعضهم يقول انهم من العمالقة ويزعمون ان جالوت جدهم من العمالقة والحق فيهم ماذكره أبو محمد ابن حزم أولا وما بعد ذلك فليس شئ منه بصحيح فأما الرواية الاولى عن أبي محمد بن قتيبة فمختلطة وفيها أنساب متداخلة وأما نسب مادغيس الى قيس عيلان فقد تقدم في أول كتاب البربر عند ذكر أنسابهم وان أبناء قيس معروفون عند النسابة وأما نسب جالوت الى قيس فأمر بعيد عن القياس ويشهد لذلك ان معد بن عدنان الخامس من آباء قيس انما كان معاصر البختنصر كما ذكرناه أول الكتاب وانه لما سلط على العرب أوحى الله الى ارمياء نبي بني اسرائيل أن يخلص معدا ويسير به الى أرضه وبختنصر كان بعد داود وبنائه هزا أربعمائة وخمسين من السنين فانه خرب بيت المقدس بعد بناء داود وسليمان له بمثل هذه المدة فمعد متأخر عن داود بمثلها سواء فقيس الخامس من أبنائه متأخر عن داود بأكثر من ذلك فجالوت على ماذكر انه من أبناء قيس متأخر عن داود بأضعاف ذلك الزمن وكيف يكون ذلك مع ان داود هو الذي قتل جالوت بنص القرآن

(وأمّا) ادخاله جالوت فى نسب البربر وانه من ولد مادغيس أو سفك فخطأ وكذلك من نسبه من العمالقة والحق ان جالوت من بنى فلسطين بن كسلوحيم بن مصرايم بن حام أحد شعوب حام بن نوح وهم اخوة القبط والبربر والحبشة والنوبة كما ذكرناه فى نسب أبناء حام وكان بين بنى فلسطين هؤلاء وبين بنى اسرائيل حروب كثيرة وكان بالشام كثير من البربر اخوانهم ومن سائر أولاد كنعان يضاهونهم فيها ودثرت أمة فلسطين وكنعان وشعوبهما لهذا العهد ولم يبق الا البربر واختص اسم فلسطين بالوطن الذى كان لهم فاعتقد سامع اسم البربر مع ذكر جالوت انه منهم وليس كذلك (وأمّا) ما رأى نسابة زناتة انهم من حمير فقد أنكره الحافظان أبو عمر بن عبد البر وأبو محمد بن حزم وقالا ما كان لحمير طريق الى بلاد البربر الا فى أكاذيب مؤرخى اليمن وانما يحمل نسابة زناتة على الانتساب فى حمير الترفع عن النسب البربرى لما يرونهم فى هذا العهد خولا وعبيدا للجباية وعوامل الخراج وهذا وهم فقد كان فى شعوب البربر من هم مكافئون لزناتة فى العصبية أو أشد منهم مثل هوارة ومكناسة وكان فيهم من غلب العرب على ملكهم مثل كتامة وصنهاجة ومن تلقف الملك من يد صنهاجة مثل المصامدة مدة كل هؤلاء كانوا أشد قوة وأكثر جمعا من زناتة فلما نفيت أجيالهم أصبحوا مغلبين فنالهم بشر المغرم وصار اسم البربر مختصا لهذا العهد بأهل المغرم فأنف زناتة منه فرارا من الهضيمة وأعجبوا بالدخول فى النسب العربى لصراحته وما فيه من المزية بتعدد الانبياء ولاسيما نسب مضر وأنهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم بن نوح بن شيث بن آدم لخمسة من الانبياء ليس للبربر اذا انتسبوا الى حام مثلها مع خروجهم عن نسب ابراهيم الذى هو الاب الثالث للخليقة اذ الاكثر من اجيال العالم لهذا العهد من نسله ولم يخرج عنه لهذا العهد الا الاقل مع ما فى العربية أيضا من عز التوحش والسلامة من مذمومات الخلق بانفرادهم فى البيداء فأعجب زناتة نسبهم وزينه لهم نسابتهم والحق بمعزل عنه وكونهم من البربر بعموم النسب لا ينافى شعارهم من الغلب والعز فقد كان الكثير من شعوب البربر مثل ذلك وأعظم منه وأيضا فقد تميزت الخليقة وتباينوا بغير واحد من الاوصاف والكل بنو آدم ونوح من بعده وكذلك تميزت العرب وتباينت شعوبها والكل لسام ولاسمعيل بعده (وأمّا) تعدد الانبياء فى النسب فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولا يضرك الاشتراك مع الجيل فى النسب العام اذا وقعت المباينة لهم فى الاحوال التى ترفعهم مع ان المذلة للبربر انما هى حادثة بالقلة ودثور اجيالهم بالملك الذى حصل لهم ونفقوا فى سبله وترفه كما تقدم لك فى الكتاب الاول من تأليفنا والا فقد كان لهم من الكثرة والعز والملك والدولة ما هو معروف (وأمّا) ان جيل

زناتة من العمالقة الذين كانوا بالشام فقول مرجوح وبعيد من الصواب لان
العمالقة الذين كانوا بالشام صنفان عمالقة من ولد عيصو بن اسحق ولم تكن لهم كثرة
ولا ملك ولا نقل ان أحدا منهم انتقل الى المغرب بل كانوا لقلتهم ودثور اجيالهم أخفى
من الخفاء والعمالقة الاخرى كانوا من أهل الملك والدولة بالشام قبل بنى اسرائيل
وكانت أريحاء دار ملكهم وغلب عليهم بنو اسرائيل وابتزوهم ملكهم بالشام والحجاز
وأصبحوا احصائد سيوفهم فكيف يكون هذا الجيل من أولئك العمالقة الذين دثرت
اجيالهم وهذا لو نقل لوقع به الاستراية فكيف وهو لم ينقل هذا بعيد فى العادة والله
أعلم بخلقه (وأمّا) شعوب زناتة وبطونهم فكثير ولنذكر المشاهير منها (فنقول) اتفق
نساب زناتة على ان بطونهم كلها ترجع الى ثلاثة من ولد جانا وهم ورسيك وفرنى
والديرت هكذا فى كتب انساب زناتة (وذكر) أبو محمد بن حزم فى كتاب الجمهرة له من
ولد ورسيك عند نسابتهم مسارت ورغاى وواشروجن ومن واشروجن واريعن بن
واشروجن وقال أبو محمد بن حزم فى ولد ورسيك انهم مسارت وناجرت وواسين (وأما)
فرنى بن جانا فمن ولده عند نسابة زناتة يزمرتن ومرنجيصة ووركلة وغمالة وسبرترة
ولم يذكر أبو محمد بن حزم سبرتره وذكر الاربعة الباقية (وأمّا) الديرت بن جانا فمن
ولده عند نسابة زناتة جدا و بن الديرت ولم يذكره ابن حزم وانما قال عند ذكر الديرت
ومن شعوبه بنو ورسيك بن الديرت وهم بطنان دمر بن ورسيك قال ودمر لقب واسمه
العانا قال فمن ولد زاكيا بنو مغراو وبنو يفرن وبنو واسين قال وأمهم واسين مملوكة
لام مغراو وهم ثلاثتهم بنو يصلتن بن مسرا بن زاكيا و يزيد نسابة زناتة فى هؤلاء
يرنيان بن يصلتن أخا المغراو ويفرن وواسين ولم يذكره ابن حزم قال ومن ولد دمر
بنو ورتيد بن وانتن بن واردين بن دمر وذكر لبنى دمر أفخاذا سبعة وهم عرازول
ولفورة وزناتين وهؤلاء الثلاثة مختصون بنسب دمر و برزال ويصدر بن وصغان
ويطوفت هكذا ذكر أبو محمد بن حزم وزعم انه من املاء أبى بكر بن يكنى البرزالى
الاباضى وقال فيه كان ناسكا عالما بانسابهم وذكر أن بنى واسين وبنى برزال كانوا
أباضية وأن بنى يفرن ومغراوة كانوا سنية وعند نسابة البربر مثل سابق بن سليمان
المطماطى وهانئ بن يصدور الكومى وكهلان بن أبى لوا وهو مسطر فى كتبهم ان بنى
ورسيك بن الديرت بن جانا ثلاثة بطون وهم بنو زاكيا وبنو دمر وآنشة بنو آنش وكلهم
بنو واردين بن ورسيك فمن زاكيا واردين أربعة بطون مغراوة وبنو يفرن وبنو يرنيان
وبنو واسين كلهم بنو اسلتن بن مسرا بن زاكيا بن آنش بن واردين ومن دمر
واردين ثلاثة بطون بنو تغورت وبنو عزرول وبنو ورتاتين كلهم بنو وتيد بن دمر هذا

قوله و
الخ بها
من هذ
الا...
بربر
ضب...
النطق
فى ا...
يتعلق
مهم
حسر

الذى ذكره نسابة البربر وهو خلاف ماذكره ابن حزم ويذكر نسابة زناتة آخرين من
شعوبهم ولا ينسبونهم مثل يحفش وهم أهل جبل قازاز قريب مكناسة وسجاسن
وربعان وتحليلة وتيسات وواغمرت ويفراتن ووجديجن وبنو يلومو وبنو ومانو وبنو
توجين على أن بنى توجين ينتسبون فى بنى واسين نسبا ظاهرا صحيحا بلا شك على مايذكر
فى أخبارهم وبعضهم يقول فى وجديجن وواغمرت بنو ورتنيص انهم من البرانس
من بطون البربر على ماقدمناه وذكر ابن عبد الحكم فى كتابه فتح مصر خالد بن حميد
الزناتى وقال نسبه من شورة احدى بطون زناتة ولم نره لغيره هذا ملخص الكلام فى
شعوب زناتة وانسابهم عالا يوجد فى كتاب والله الهادى الى مسالك التحقيق لارب غيره

برزال
يصدرين
وصغمان
يطوفت
واسين
جراو
واريغن بن واشروجن
ناجرت
واسين
مسارت

(فصل في تسمية زناتة ومبنى هذه الكلمة)

(اعلم) ان كثيرا من الناس يبحثون عن مبنى هذه الكلمة واشتقاقها على ماليس معروفا للعرب ولا لاهل الجيل أنفسهم فيقال هو اسم وضعته العرب على هذا الجيل ويقال بل الجيل وضعوه لانفسهم أو اصطلحوا عليه ويقال هو زانا بن جانا فيزيدون في النسب شيأ لم تذكره النسابة وقد يقال انه مشتق ولا يعلم في لسان العرب أصل مستعمل من الاسماء يشتمل على حروفه المادية وربما يحاول بعض الجهلة اشتقاقه من لفظ الزنا ويعضده بحكاية خسيسة يدفعها الحق وهذه الاقوال كلها ذهاب الى أن العرب وضعت لكل شئ اسما وأن استعمالها انما هو لاوضاعها التي من لغتها ارتجالا واشتقاقا وهذا انما هو في الاكثر والا فالعرب قد استعملت كثيرا من غير لغتها في مسماه اما لكونه علما فلا يغير مثل ابراهيم ويوسف واسحق من اللغة العبرانية واما استعانة وتخفيفا لتداوله بين الالسنة كاللجام والديباج والزنجبيل والنيروز والياسمين والآجر فتصير باستعمال العرب كأنها من أوضاعهم ويسمونها المعربة وقد يغيرونها بعض التغيير في الحركات أو في الحروف وهو سائغ لهم لانه بمنزلة وضع جديد وقد يكون الحرف من الكلمة ليس من حروف لغتهم فيبدلونه بما يقرب منه في المخرج فان مخارج الحروف كثيرة منضبطة وانما نطقت العرب منها بالثمانية والعشرين حروف أبجد وبين كل مخرجين منها حروف أكثر من واحد فمنها مانطقت به الامم ومنها مالم ينطق به ومنها مانطق به بعض العرب كما هو مذكور في كتب أهل اللسان واذا تقرر ذلك فاعلم ان أصل هذه اللفظة التي هي زناتة من صيغة جانا التي هي اسم ابي الجيل كله وهو جانا بن يحيى المذكور في نسبهم وهم اذا أرادوا الجنس في التعميم الحقوا بالاسم المفرد تاء فقالوا جانات واذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن ونطقهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب بل ينطقون بها بين الجيم والشين وأميل الى السين ويقرب للسمع منها بعض الصغير فأبدلوها زايا محضة لاتصال مخرج الزاى بالسين فصارت زانات لفظا مفردا دالا على الجنس ثم الحقوا به هاء النسبة وحذفوا الالف التي بعد الزاى تخفيفا لكثرة دورانه على الالسنة والله أعلم

(فصل في أولية هذا الجيل وطبقاته)

أما أولية هذا الجيل بافريقية والمغرب فهي مساوية لاولية البربر منذ أحقاب متطاولة لايعلم مبدأها الا الله تعالى ولهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل مغراوة وبني يفرن وجراوة وبني يرسان ووجديجن وغمرة وبني واسين وتحصر وورتنيد وبني زنداك وغيرهم وفي كل واحد من هذه الشعوب بطون متعددة وكانت مواطن هذا الجيل من لدن جهات

طرابلس الى جبل أوراس والزاب الى قبلة تلمسان ثم الى وادى ملوية وكانت الكثرة والرياسة فيهم قبل الاسلام لجراوة ثم لمغراوة وبنى يفرن (ولما) ملك الافرنجة بلاد البربر فى ضواحيهم صاروا يؤدون لهم طاعة معروفة وخراجا معروفا مؤقتا ويعسكرون معهم فى حروبهم ويمتنعون عليهم فيما سوى ذلك حتى جاء الله بالاسلام وزحف المسلمون الى افريقية وملك الافرنجة بها يومئذ جرجير فظاهره زناتة والبربر على شأنه مع المسلمين وانفضوا جميعا وقتل جرجير وأصبحت أموالهم مغانم ونساؤهم سبايا وافتتحت سبيطلة ثم عاود المسلمون غزو افريقية وافتتحوا جلولاء وغيرها من الامصار ورجع الافرنجة الذين كانوا ملكوهم على أعقابهم الى مواطنهم وراء البحر وظن البربر بأنفسهم مقاومة العرب فاجتمعوا وتمسكوا بحصون الجبال واجتمعت زناتة الى الكاهنة وقومها جراوة بجبل أوراس حسبما نذكره فأثخن العرب فيهم واتبعوهم فى الضواحى والجبال والقفار حتى دخلوا فى دين الاسلام طوعا وكرها وانقادوا الى ايالة مصر وتولوا من أمرهم ما كان الافرنجة يتولونه حتى اذا انحلت بالمغرب عرى الملك العربى وأخرجهم من افريقية البربر من كتامة وغيرهم قدح هذا الجيل الزناتى زناد الملك فأورى لهم وتداول فيهم الملك جيلا بعد جيل فى طبقتين حسبما نقصه عليك ان شاء الله تعالى

(الخبر عن الكاهنة وقومها جراوة من زناتة وشأنهم مع المسلمين عند الفتح)

كانت هذه الامة من البربر بافريقية والمغرب فى قوة وكثرة وعديد وجموع وكانوا يعطون الافرنجة بامصارهم طاعة معروفة وملك الضواحى كان لهم وعليهم مظاهرة الافرنجة مهما احتاجوا اليهم ولما أظل المسلمون فى عساكرهم على افريقية للفتح ظاهروا جرجير فى زحفه اليهم حتى قتله المسلمون وانفضت جموعهم وافترقت رياستهم ولم يكن بعدها بافريقية موضع للقاء المسلمين بجمعهم لما كانت غزواتهم لكل أمة من البربر فى ناحيتها وموطنها مع من تحيز اليهم من قبل الافرنجة (ولما) اشتغل المسلمون فى حرب على ومعاوية اغفلوا أمر افريقية ثم ولاها معاوية بعد عام الجماعة عقبة بن نافع الفهرى فأثخن فى المغرب فى ولايته الثانية وبلغ الى السوس وقتل بالزاب فى مرجعه واجتمعت البربر على كسيلة كبير اوربة وزحف اليه بعد ذلك زهير بن قيس البلوى أيام عبد الملك بن مروان فهزمه وملك القيروان وأخرج المسلمين من افريقية (وبعث) عبد الملك حسان بن النعمان فى عساكر المسلمين فهزموا البربر وقتلوا كسيلة واسترجعوا القيروان وقرطاجنة وافريقية والافرنجة والروم الى صقلية والاندلس وافترقت رياسة البربر فى شعوبهم وكانت زناتة أعظم قبائل البربر وأكثرها جموعا

وبطوناو كان موطن جراوة منهم بجبل أوراس وهم ولد كراو بن الديرت بن جانا وكانت رياستهم للكاهنة دهيا بنت   بن نيعان بن بارو بن مصكسرى بن أفرد بن وصيلا بن جراو وكان لها بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها فاستبدت عليهم وعلى قومهم بهم وبما كان لها من الكهانة والمعرفة بغيب أحوالهم وعواقب أمورهم فانتهت اليها رياستهم قال هانى بن بكور الضريسى ملكت عليهم خمسا وثلاثين سنة وعاشت مائة وسبعا وعشرين سنة وكان قتل عقبة بن نافع في البسيط قبلة جبل أوراس باغرائها برابرة   عليه وكان المسلمون يعرفون ذلك منها فلما انقضى جميع البربر وقتل كسيلة رجعوا الى هذه الكاهنة بمعتصمها من جبل أوراس وقد ضوى اليها بنو يفرن ومن كان بافريقية من قبائل زناتة وسائر البتر فلقيتهم بالبسيط أمام جبلها وانهزم المسلمون واتبعت آثارهم في جموعها حتى أخرجتهم من افريقية وانتهى حسان الى برقة فأقام بها حتى جاءه المدد من عبد الملك فزحف اليهم سنة أربع وسبعين وفض جموعهم وأوقع بهم وقتل الكاهنة واقتحم جبل أوراس عنوة واستلحم فيه زهاء مائة ألف وكان للكاهنة ابنان قد لحقا بحسان وحسن اسلامهما واستقامت طاعتهما وعقد لهما على قومهما جراوة ومن انضوى اليهم بجبل أوراس ثم افترق فلهم من بعد ذلك وانقرض أمرهم وافترق جراوة أوزاعا بين قبائل البربر وكان منهم قوم بسواحل مليلة وكان لهم آثار بين جيرانهم هنالك واليهم نزع بن أبي العيس لما غلبه موسى بن أبي العافية على سلطانه بتلمسان أول المائة الرابعة حسبما نذكره فنزل عليهم وبنى القلعة بينهم الى ان خربت من بعد ذلك والفل منهم بذلك الوطن الى الآن لهذا العهد مندرجون في بطونه ومن اليهم من قبائل غمارة والله وارث الارض ومن عليها

(الخبر عن مبتدا دول زناتة في الاسلام ومصير الملك اليهم بالمغرب وافريقية)

لما فرغ شأن الردة من افريقية والمغرب وأذعن البربر لحكم الاسلام وملكت العرب واستقل بالخلافة ورياسة العرب بنو أمية اقتعدوا كرسى الملك بدمشق واستولوا على سائر الامم والاقطار وأثخنوا في القاصية من لدن الهند والصين في المشرق وفرغانة في الشمال والحبشة في الجنوب والبربر في المغرب وبلاد الجلالقة والافرنجة في الاندلس وضرب الاسلام بجرانه وألقت دولة العرب بكلكلها على الامم ثم جدع بنو أمية أنوف بني هاشم مقاسميهم في نسب عبد مناف والمدعين استحقاق الامر بالوصية وتكرر خروجهم عليهم فأثخنوا فيهم بالقتل والاسر حتى توغرت الصدور واستحكمت الاوتار وتعددت فرق الشيعة باختلافهم في مساق الخلافة من على الى من بعده من بنى

هاشم فقوم ساقوها الى آل العباس وقوم الى آل الحسن وآخرون الى آل الحسين فدعت شيعة آل العباس بخراسان وقام بها اليمنية فكانت الدولة العظيمة الحائزة للخلافة ونزلوا بغداد واستباحوا الامويين قتلا وسبيا وخلص من جاليتهم الى الاندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام فجدد بها دعوة الامويين واقتطع ما وراء البحر عن ملك الهاشميين فلم تخفق لهم به راية (ثم نفس) آل أبي طالب على آل العباس ما أكرمهم الله به من الخلافة والملك فخرج المهدى محمد بن عبد الله المدعو بالنفس الزكية في بني أبي طالب على أبي جعفر المنصور وكان من أمرهم ما هو مذكور واستلحمتهم جيوش بني العباس في وقائع عديدة وفر ادريس بن عبد الله أخو المهدى من بعض وقائعهم الى المغرب الاقصى فأجاره البرابرة من أوربة ومغيلة وقاموا بدعوته ودعوة بنيه من بعده ونالوا به الملك وغلبوا على المغرب الاقصى والاوسط وبثوا دعوة ادريس وبنيه من أهله بعده في أهله من زناتة مثل بني يفرن ومغراوة وقطعوه من ممالك بني العباس واستمرت دولتهم الى حين انقراضها على يد العبيديين ولم يزل الطالبيون أثناء ذلك بالمشرق ينزعون الى الخلافة ويبثون دعاتهم بالقاصية الى ان دعا أبو عبد الله المحتسب بافريقية الى المهدى ولد اسمعيل الامام بن جعفر الصادق فقام برابرة كتامة ومن اليهم من صنهاجة وملكوا افريقية من يد الاغالبة ورجع العرب الى مركز ملكهم بالمشرق ولم يبق لهم في نواحي المغرب دولة ووضع العرب ما كان على كاهلهم من أمر المغرب ووطأة مضر بعد أن رسخت الملة فيهم وخالطت بشاشة الايمان قلوبهم واستيقنوا بوعد الصادق أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده فلم تنسلخ الملة بانسلاخ الدولة ولا تقوضت مباني الدين بتقويض معالم الملك وعدا من الله لن يخلفه في تمام أمره واظهار دينه على الدين كله فتناغى حينئذ البربر في طلب الملك والقيام بدعوة الاعياص من بني عبد مناف يسدون منها حسدا في ارتقائه الى ان ظفروا من ذلك بحظ مثل كتامة بافريقية ومكناسة بالمغرب ونافسهم في ذلك زناتة وكانوا من أكثرهم جمعا وأشدهم قوة فشمروا له حتى ضربوا معهم بسهم فكان لبني يفرن بالمغرب وافريقية على يد صاحب الحمار ثم على يد يعلى بن محمد وبنيه ملك ضخم ثم كان لمغراوة على يد بني خزر دولة أخرى تنازعوها مع بني يفرن وصنهاجة ثم انقرضت تلك الاجيال وتجرد الملك بالمغرب بعدهم في جيل آخر منهم فكان لبني مرين بالمغرب الاقصى ملك ولبني عبد الواد بالمغرب الاوسط ملك آخر تناهمهم فيه بنو توجين والقل من مغراوة حسبما نذكره ونستوفي شرحه وجلب أيامهم وبطونهم على الطريقة التي سلكناها في أخبار البربر والله المعين سبحانه لا رب سواه ولا معبود الا اياه

الطبقة الاولى من زناتة ونبدأ منها بالخبر عن بنى يفرن وأنسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول بافريقية والمغرب

وبنو يفرن هؤلاء من شعوب زناتة وأوسع بطونهم وهم عند نسابة زناتة بنو يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا واخوته مغراوة وبنو يرنيان وبنو واسين والكل بنو يصلتين ويفرن فى لغة البربر هو القار وبعض نسابتهم يقولون انّ يفرن هو ابن ورتنيذ بن جانا واخوته مغراوة وغمرت ووجديجن وبعضهم يقول يفرن بن مرة بن ورسيك بن جانا وبعضهم يقول هو ابن جانا لصلبه والصحيح مانقلناه عن أبي محمد بن حزم (وأمّا) شعوبهم فكثير ومن أشهرهم بنو واركوا ومرنجيصة وكان بنو يفرن هؤلاء لعهد الفتح أكبر قبائل زناتة وأشدها شوكة وكان منهم بافريقية وجبل أوراس والمغرب الاوسط بطون وشعوب فلما كان الفتح غشى افريقية ومن بها من البربر جنود الله المسلمون من العرب فتطامنوا لبأسهم حتى ضرب الدين بجرانه وحسن اسلامهم ولما فشا دين الخارجية فى العرب وغلبهم الخلفاء بالمشرق واستلحموهم نزعوا الى القاصية وصاروا يبثون بها دينهم فى البربر فتلقفه رؤساؤهم على اختلاف مذاهبه باختلاف رؤس الخارجية فى أحكامهم من أباضية وصفرية وغيرهما كما ذكرناه فى بابه ففشا فى البربر وضرب فيه يفرن هؤلاء بسهم وانتحلوه وقاتلوا عليه وكان أوّل من جمع لذلك منهم أبو قرة من أهل المغرب الاوسط ثم من بعده أبو يزيد صاحب الحمار وقومه بنو واركوا ومرنجيصة ثم كان لهم بالمغرب الاقصى من بعد الانسلاخ من الخارجية دولتان على يد يعلى بن محمد صالح وبنيه حسبما نذكر ذلك مفسرا ان شاء الله تعالى

مرنجيصة بن يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا
واركوا
مغراو
يفرن
مغراو
يفرن
اجديجن بن ورتنيص

(الخبر عن أبي قرة وما كان لقومه من الملك بتلمسان ومبدا ذلك ومصائره)

كان من بني يفرن بالمغرب الاوسط بطون كثيرة بنواحي تلمسان الى جبل بني راشد المعروف بهم لهذا العهد وهم الذين اختطوا تلمسان كما نذكره في أخبارها وكان رئيسهم لعهد انتقال الخلافة من بني أمية الى بني العباس أبو قرة ولا نعرف من نسبه أكثر من أنه منهم ولما انتقض البرابرة بالمغرب الاقصى وقام ميسرة وقومه بدعوة الخارجية وقتله البرابرة قدموا على انفسهم مكانه خالد بن حميد من زناتة فكان من حروبه مع كلثوم بن عياض وقتله اياه ماهو معروف ورأس على زناتة من بعده أبو قرة هذا ولما استأنلت دولة بني أمية كثرت الخارجية في البربر وملك ورفجومة القيروان وهوارة وزناتة طرابلس ومكناسة سجلماسة وابن رستم تاهرت وقدم ابن الاشعث افريقية من قبل أبي جعفر المنصور وخافه البربر فحسم العلل وسكن الحروب ثم انتقض بنو يفرن بنواحي تلمسان ودعوا الى الخارجية وبايعوا أباقرة كبيرهم بالخلافة سنة ثمان وأربعين ومائة سرح اليهم ابن الاشعث الاغلب بن سوادة التميمي فانتهى الى الزاب وفر أبو قرة الى المغرب الاقصى ثم راجع موطنه بعد رجوع الاغلب (ولما انتقض) البرابرة على عمر بن حفص بن أبي صفرة الملقب هزارمرد عام خمسين ومائة وحاصروه بطبنة كان فيمن حاصره أبو قرة اليفرني في أربعين ألفا صفرية من قومه وغيرهم حتى اشتد عليه الحصار وداخل أباقرة في الافراج عنه على يد ابنه على أن يعطيه أربعين ألفا ولابنه أربعة آلاف فارتحل بقومه وانفض البرابرة عن طبنة ثم حاصروه بعد ذلك بالقيروان واجتمعوا عليه وأبو قرة معهم بثلثمائة وخمسين ألفا الخيالة منها خمسة وثمانون ألفا وهلك عمر بن حفص في ذلك الحصار وقدم يزيد بن حاتم واليا على افريقية ففض جموعهم وفرق كلمتهم ولحق أبو قرة وبنو يفرن أصحابه بمواطنهم من تلمسان بعد أن قتل صاحبه أبو حاتم الكندي رأس الخوارج واستلحم بني يفرن وتوغل يزيد بن حاتم في المغرب ونواحيه وأثخن في أهله الى ان استكانوا واستقاموا ولم يكن لبني يفرن من بعدها انتقاض حتى كان شأن أبي يزيد بافريقية في بني واركوا ومرنجيصة منهم حسبما نذكره ان شاء الله تعالى الكريم وبعض المؤرخين ينسب اباقرة هذا الى مغيلة ولم أظفر بصحيح في ذلك والطرائق متساوية في الجانبين فان نواحي تلمسان وان كانت موطنا لبني يفرن فهي أيضا موطن لمغيلة والقبيلتان متجاورتان لكن بنو يفرن كانوا أشد قوة وأكثر جمعا ومغيلة أيضا كانوا أشهر بالخارجية من بني يفرن لانهم كانوا صفرية وكثير من الناس يقولون ان بني يفرن كانوا على مذهب أهل السنة كما ذكره ابن حزم وغيره والله أعلم

الخبر عن أبي يزيد الخارجي صاحب الحمار من بني يفرن ومبدأ أمره مع الشيعة ومصائره

هذا الرجل من بني واركوا اخوة مرنجيصة وكلهم من بطون بني يفرن وكنيته أبو يزيد واسمه مخلد بن كيداد لا يعلم من نسبه فيهم غير هذا وقال أبو محمد بن حزم ذكر لي أبو يوسف الوراق عن أيوب بن أبي يزيد ان اسمه مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن ورغت بن حونفر بن سميران بن يفرن بن جانا وهو زناتة قال وقد أخبرني بعض البربر بأسماء زائدة بين يفرن وجانا اه كلام ابن حزم ونسبه بن الرقيق أيضا في بني واسين بن ورسيك بن جانا وقد تقدم نسبهم أول الفصل وكان كيداد أبوه يختلف الى بلاد السودان في التجارة فولد له أبو يزيد بكركوا من بلادهم وأمه أم ولد اسمها سبيكة ورجع به الى قيطون زناتة ببلاد قصطيلة ونزل توزر فتردد بينها وبين تقيوس وتعلم القرآن وتأدب وخالط النكارية فمال الى مذاهبهم وأخذها عنهم ورأس فيها ورحل الى مشيختهم بتهرت وأخذ عن أبي عبيدة منهم أيام اعتقال عبيد الله المهدي بسجلماسة ومات أبوه كيداد وتركه على حال من الخصاصة والفقر فكان أهل القيطون يصلونه بفضل أموالهم وكان يعلم صبيانهم القرآن ومذاهب النكارية واشتهر عنه تكفير اهل الملة وسب علي فخاف وانتقل الى تقيوس وكان يختلف بينها وبين توزر وأخذ نفسه بالتغيير على الولاة ونمى عنه اعتقاد الخروج عن السلطان فنذر الولاة بقصطيلة دمه فخرج الى الحج سنة عشر وثلثمائة وأرهقه الطلب فرجع من نواحي طرابلس الى تقيوس ولما هلك عبد الله أوغر القائم الى أهل قصطيلة في القبض عليه فلحق بالمشرق وقضى الغرض وانصرف الى موطنه ودخل توزر سنة خمس وعشرين مستترا وسعى به ابن فرقان عند والي البلد فتقبض عليه واعتقله وأقبل سرعان زناتة الى البلد ومعهم أبو عمار الاعمى رأس النكارية واسمه عبد الحميد وكان ممن أخذ عنه أبو يزيد فتعرضوا للوالي في اطلاقه فتعلل عليهم بطلبه في الخراج فاجتمعوا الى فضل ويزيد ابني أبي يزيد وعمدوا الى السجن فقتلوا الحرس وأخرجوه فلحق ببلد بني واركلا وأقام بها سنة يختلف الى جبل أوراس والى بني برزال في مواطنهم بالجبال قبلة المسيلة والى بني زنداك من مغراوة الى أن أجابوه فوصل الى أوراس ومعه أبو عمار الاعمى في اثني عشر من الراحلة ونزلوا على النكارية بالنوالات واجتمع اليه القرابة وسائر الخوارج وأخذ له البيعة عليهم أبو عمار صاحبه على قتال الشيعة وعلى استباحة الغنائم والسبي وعلى أنهم ان ظفروا بالمهدية والقيروان صار الامر شورى وذلك سنة احدى وثلاثين وترصد واغيبة

صاحب باغية فى بعض وجوهه فنفر بوا على بسيطها واستباح بعض القصور بها سنة ثنتين وثلاثين وعاث بتلك أيدى البربر فى الفتنة ثم زحف بهم الى باغية واستولت عليه وعلى أصحابه الهزيمة فلحقوا بالجبل وزحف اليهم صاحب باغية فانهزم ورجع الى بلده فحاصره أبو يزيد وأوعز أبو القاسم القائم الى كتامة فى امداد كانون صاحب باغية فتلاحقت به العساكر فبيتهم أبو يزيد وأصحابه ففلوهم وامتنعت عليه باغية وكاتب أبو يزيد البربر الذين حول قسطيلة من بنى واسين وغيرهم فحاصروا توزر سنة ثلاث وثلاثين ورحل الى تبسة فدخلها صلحا ثم الى مجانة كذلك ثم الى مرماجنة كذلك وأهدوا له حمارا أشهب فلزم ركوبه حتى اشتهر به وبلغ خبره عساكر كتامة بالاربس فانفضوا وملك الاربس وقتل امام الصلاة بها وبعث عسكرا الى تبسة فملكوها وقتلوا عاملها وبلغ الخبر القائم وهو بالمهدية فهاله وسرح العساكر لضبط المدن والثغور وسرح مولاه بشرى الصقلى الى باجة وعقد لميسور على الجيوش فعسكر بناحية المهدية وسرح خليل بن اسحق الى القيروان فعسكر بها وزحف أبو يزيد الى بشرى بباجة واشتدت الحرب بينهم وركب أبو يزيد حماره وأمسك عصاه فاستمالت النكارية وخالفوا البشرى الى معسكره فانهزم الى تونس واقتحم أبو يزيد باجة واستباحها ودخل بشرى الى تونس وارتدت البرابر من كل ناحية فأسلم تونس ولحق بسوسة واستأمن أهل تونس الى أبى يزيد فأمنهم وولى عليهم وانتهى الى وادى مجردة فعسكر بها ووافته الحشود هنالك ورعب الناس منه فاجفلوا الى القيروان وكثرت الاراجيف وسرب أبو يزيد جيوشه فى نواحى افريقية فشنوا الغارات وأكثروا السبى والقتل والاسر ثم زحف الى رقادة فانفض كتامة الذين كانوا بها ولحقوا بالمهدية ونزل أبو يزيد رقادة فى مائة ألف ثم زحف الى القيروان فانحصر بها خليل بن اسحق ثم أخذه بعد مراوضة فى الصلح وهم بقتله وأشار عليه أبو عمار باستبقائه فلم يطعه وقتله ودخلوا القيروان فاستباحوها ولقيه مشيخة الفقهاء فأمنهم بعد التقريع والعتب وعلى أن يقتلوا أولياء الشيعة وبعث رسله فى وفد من أهل القيروان الى الناصر الاموى صاحب قرطبة ملتزما الطاعته والقيام لدعوته وطالبا المدد فرجعوا اليه بالقبول والوعد ولم يزل يرددذلك سائر أيام الفتنة حتى أوفدابنه أيوب فى آخرها سنة خمس وثلاثين فكان له اتصال بالناصر سائر أيامه وزحف ميسور من المهدية بالعساكر ونزعنه بنو كملان من هوارة ولحقوا بأبى يزيد وحرضوه على لقاء ميسور فزحف اليه واستوى اللقاء واستمات أبو يزيد والنكارية فانهزم ميسور وقتله أبو كملان وبعث برأسه الى القيروان ثم الى المغرب واستبيح معسكره وسرح أبو يزيد

عساكره الى مدينة فاقتحموها عنوة وأكثروا من القتل والمثلة وعظم القتل بضواحي افريقية وخلت القرى والمنازل ومن أفلته السيف أهلكه الجوع واستخف أبو يزيد بالناس بعد قتل ميسور فلبس الحرير وركب الفاره ونكر عليه أصحابه ذلك وكاتبه به رؤساؤهم من البلاد والقائم خلال ذلك بالمهدية يخندق على نفسه ويستنفر كتامة وصنهاجة للحصار معه وزحف أبو يزيد حتى نزل المهدية وناوش عساكرها الحرب فلم يزل الظهور عليهم وملك زويلة ولما وقف بالمصلى قال القائم لاصحابه من ههنا يرجع واتصل حصاره للمهدية واجتمع اليه البربر من قابس وطرابلس ونفوسة وزحف اليهم ثلاث مرات فانهزم في الثالثة ولم يقلع وكذلك في الرابعة واشتد الحصار على المهدية ونزل الجوع بهم واجتمعت كتامة بقسنطينة وعسكروا بها للامداد القائم فسرح اليهم أبو يزيد يكموس المزاتي ورفجومة فانفض معسكر كتامة من قسنطينة ويئس القائم من مددهم وتفرقت عساكر أبي يزيد في الغارات والنهب فخف المعسكر ولم يبق به الا هوارة وورأس بني كملان وكثرت مراسلات القائم للبربر واستراب بهم أبو يزيد وهرب بعضهم الى المهدية ورحل آخرون الى مواطنهم فأشار عليه أصحابه بالافراج عن المهدية فأسلموا معسكرهم ولحقوا بالقيروان سنة أربع وثلاثين ودبر أهل القيروان في القبض عليه فلم يتهيأ لهم وعذله أبو عمار نعما أتاه من الاستكثار من الدنيا فتاب وأقلع وعاود لبس الصوف والتقشف وشاع خبر اجفاله عن المهدية فقتل النكارية في كل بلد وبعث عساكره فعاثوا في النواحي وأوقعوا بأهل الامصار وخربوا كثيرا منها وبعث ابنه أيوب الى باجة فعسكر بها ينتظر وصول المدد من البربر وسائر النواحي فلم يفجأه الا وصول علي بن حمدون الاندلسي صاحب المسيلة في حشد كتامة وزواوة وقد مر بقسنطينة والاربس وسقنبارية واستصحب منها العساكر فبيته أيوب وانفض معسكره وتردى به فرسه في بعض الاوعار فهلك ثم زحف أيوب في عسكره الى تونس وقائدها حسن بن علي من دعاة الشيعة فانهزم ثم أتيحت له الكرة ولحق حسن بن علي ببلد كتامة فعسكر بهم على قسنطينة وسرح أبو يزيد جموع البربر لحربه ثم اجتمعت لابي يزيد حشود البربر من كل ناحية وثابت اليه قوته وارتحل الى سوسة فحاصرها ونصب عليها المجانيق وهلك القائم سنة أربع وثلاثين في شوال وصارت الخلافة لابنه اسمعيل المنصور فبعث بالمدد الى سوسة بعد أن اعتزم على الخروج اليها بنفسه فمنعه أصحابه ووصل المدد الى سوسة فقاتلوا أبا يزيد فانهزم ولحق بالقيروان فامتنعت عليه فاستخلص صاحبه أبا عمار من أيديهم وارتحل عنهم وخرج المنصور من المهدية الى سوسة ثم الى القيروان فملكها وعفا

عن أهلها وأثنهم وأحسن فى مخلف أبى يزيد وعياله ووافى المدد الى أبى يزيد ثالثة فاعتزم على صاحب القيروان وزحف الى عسكر المنصور بساحتها فبيتهم واشتد الحرب واستمات الاولياء وافترقوا آخر نهارهم وعاودوا الزحف مرات ووصل المدد الى المنصور من الجهات حتى اذا كان منتصف المحرم كان الفتح وانهزم أبو يزيد وعظم القتل فى البربر ورحل المنصور فى اتباعه عن ثم تبسة حتى انتهى الى باغاية ووافاه بها كتاب محمد بن خزر بالطاعة والولاية والاستعداد للمظاهرة فكتب اليه بترصد أبى يزيد والقبض عليه ووعده فى ذلك بعشرين حملا من المال ثم رحل الى طبنة ووافاه بها جعفر بن على عامل المسيلة بالهدايا والاموال وبلغه أن أبا يزيد نزل بسكرة وانه كاتب محمد بن خزر يسأله النصرة فلم يجد عنده ما يرضيه فارتحل المنصور الى بسكرة فتلقاه اهلها وفر أبو يزيد الى بنى برزال بجبل سالات ثم الى جبل كتامة وهو جبل عياض لهذا العهد وارتحل المنصور فى أثره الى ومرة ويبته أبو يزيد هنالك فانهزم ولم يظفر وانحاز الى جبل سالات ثم لحق بالرمال ورجع عنه بنو كملان وأمنهم المنصور على يد محمد بن خزر وسار المنصور فى التبعية حتى نزل بجبل سالات وارتحل وراءه الى الرمال ثم رجع ودخل بلاد صنهاجة وبلغه رجوع أبى يزيد الى جبل كتامة فرجع اليه ونزل عليه المنصور فى كتامة وعجيسة وزواوة وحشد بنى زنداك ومزاتة ومكناسة ومكلاتة وتقدم المنصور اليه فقاتلوا أبا يزيد وجموع النكارية فهزموهم واعتصموا بجبل كتامة ورحل المنصور الى المسيلة وانحصر أبو يزيد فى قلعة الجبل وعسكر المنصور ازاءها واشتد الحصار وزحف اليها مرات ثم اقتحموا عليهم فاعتصم أبو يزيد بقصر فى ذروة القلعة فأحيط به واقتحم وقتل أبو عمار الاعمى ويكموس المزاتى ونجا أبو يزيد مثخنا بالجراحة محمولا بين ثلاثة من أصحابه فسقط فى مهواة من الاوعار فوهن وسيق من الغداة الى المنصور فأمر بمداواته ثم أحضره ووبخه وأقام الحجة عليه وتجافى عن دمه وبعثه الى المهدية وفرض له بها الجراية بجزاه خيرا وحمل فى القفص فمات من جراحته سنة خمس وثلاثين وأمر به فسلخ وحشى جلده بالتبن وطيف به فى القيروان وهرب الفل من أصحابه الى ابنه فضل وكان مع معبد بن خزر فأغاروا على ساقة المنصور وكر اليهم زيرى بن مناد أمير صنهاجة فأوقع بهم ولم يزل المنصور فى اتباعه الى أن نزل المسيلة وانقطع أثر معبد ووافاه بمعسكره هنالك انتقاض حميد بن يصل عامل تيهرت من أوليائهم وانه ركب البحر من تنس الى العدوة فارتحل الى تيهرت وولى عليها وعلى تنس ثم قصد لواتة فهربوا الى الرمال ورجع الى افريقية سنة خمس وثلاثين ثم بلغه ان فضل بن أبى يزيد أغار على جهات قسطيلية فرحل من سنته فى طلبه وانتهى الى قفصة

ثم ارتحل الى من أعمال الزاب وفتح حصن ماداس مما يليه وهرب فضل فى الرمال فأعجزه ورجع الى القيروان سنة ست وثلاثين ومضى فضل الى جبل أوراس ثم سار منه الى باغاية فحصرها وغدر به ماطيط بن يعلى من أصحابه وجاء برأسه الى المنصور وانقرض أمر أبى يزيد وبنيه وافترقت جموعهم واغتال عبد الله بن بكار من رؤساء مغراوة بعد ذلك أيوب بن أبى يزيد وجاء برأسه الى المنصور متقربا اليه وتتبع المنصور قبائل بنى يفرن بعدها الى أن انقطع أثر الدعوة والبقاء لله تعالى وحده

الخبر عن الدولة الاولى لبنى يفرن بالمغرب الاوسط والاقصى ومبادى أمورهم ومصايرها

كان لبنى يفرن من زناتة بطون كثيرة وكانوا متفرقين بالمواطن فكان منهم بافريقية بنو واركو ومرنجيصة وغيرهم كما قدمناه وكان منهم بنواحى تلمسان ما بينها وبين تاهرت أمم كثير عددهم وهم الذين اختطوا مدينة تلمسان كما نذكره بعد ومنهم أبو قرة المتزى بتلك الناحية لاول الدولة العباسية وهو الذى حاصر عمر بن حفص بطبنة كما تقدم ولما انقرض أمر أبى يزيد وأثخن المنصور فيمن كان بافريقية من بنى يفرن أقام هؤلاء الذين كانوا بنواحى تلمسان على وفودهم وكان رئيسهم لعهد أبى يزيد محمد بن صالح ولما تولى المنصور محمد بن خزر وقومه مغراوة وكان بينه وبين بنى يفرن هؤلاء فتنة هلك فيها محمد بن صالح على يد عبد الله بن بكار من بنى يفرن كان متحيزا الى مغراوة وولى أمره فى بنى يفرن من بعده ابنه يعلى فعظم صيته واختط مدينة ايفكان ولما خاطب عبد الرحمن الناصر طاعة الاموية من زناتة أهل العدوة واستألف ملوكهم سارع يعلى لاجابته واجتمع عليها مع الخير بن محمد بن خزر وقومه مغراوة وأجلب على وهران فملكها سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة من يد محمد بن عون وكان ولاه عليها اصولات اللميطى أحد رجالات كتامة سنة ثمان وتسعين ومائتين فدخلها يعلى عنوة على بنيه وخربها وكان يعلى قد زحف مع الخير ابن محمد الى تاهرت وبرز اليه ميسور الخصى فى شيعته من لماية فهزموهم وملكوا تاهرت وتقبض على ميسور وعبد الله بن بكار فبعث به الخير الى يعلى بن محمد ايثارا به فلم يرضه كفؤا لدمه ودفعه الى من أثار به من بنى يفرن واستفحل سلطان يعلى فى ناحية المغرب وخطب على منابرها لعبد الرحمن الناصر ما بين تاهرت الى طنجة واستدعى من الناصر تولية رجال بيته على امصار المغرب فعقد على فاس محمد بن الخير بن محمد بن عشيرة ونسك محمد لسنة من ولايته واستأذن فى الجهاد والرباط بالاندلس فأجاز اذلك واستخلف على عمله ابن عمه أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن عثمان بن سعيد وهو الذى اختط مأذنة القرويين سنة أربع وأربعين كما ذكرناه ولم يزل سلطان يعلى بن محمد بالمغرب عظيما الى أن أغزى بعد المعز لدين الله كاتبه جوهر الصقلى من القيروان الى المغرب سنة

سبع وأربعين فلما اتصل جوهر بالجنود بادر امير زناتة بالمغرب يعلى بن محمد اليفرني الى لقائه والاذعان لطاعته والانحياش اليه ونبذ عهد البيعة عن قومه بنى يفرن وزناتة فتقبلها جوهر وأضمر الفتك به وتخير لذلك يوم فصوله من بلده وأسر الى بعض مستخلصيه من الاتباع فأوقعوا نفرة فى أعقاب العسكر طار اليها الزعماء من كتامة وصنهاجة وزناتة وتقبض على يعلى فهلك فى وطيس تلك الهيعة فقعص بالرماح على أيدى رجالات كتامة وصنهاجة وذهب دمه هدرا فى القبائل وخرب جوهر مدينة ايفكان وفرت زناتة أمامه وكشف القناع فى مطالبتهم (وقد ذكر) بعض المؤرخين ان يعلى انما لقى جوهرا عند منصرفه من الغزاة بمدينة تاهرت وهنالك كان فتكه به بناحية شلف فتفرقت بعدها جماعة بنى يفرن وذهب ملكهم فلم يجتمعوا الا بعد حين على ابنه بدوى بالمغرب كما نذكره ولحق الكثير منهم بالاندلس كما يأتى خبرهم فى موضعه وانقرضت دولة بنى يفرن هؤلاء الى أن عادت بعد مدة على يد يعلى بفاس ثم استقرت آخرا بسلا وتعاقب فيهم هنالك الى آخرها كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن الدولة الثانية لبنى يفرن بسلا من المغرب الاقصى وأولية ذلك وتصاريفه)

لما أوقع جوهر الكاتب قائد المعز بيعلى بن محمد أمير بنى يفرن وملك المغرب سنة سبع وأربعين كما ذكرناه وتفرقت جموع بنى يفرن لحق ابنه بدوى بن يعلى بالمغرب الاقصى وأحس بجوهر من ورائه فأبعد المفر وأصحر الى أن رجع جوهر من المغرب ويقال ان جوهرا تقبض عليه واحتمله أسيرا فاعتقل الى ان فر من معتقله بعد حين واجتمع عليه قومه من بنى يفرن وكان جوهر عند منصرفه من المغرب ولى على الادارسة المتحيزين الى الريف وبلاد غمارة الحسن بن كنون شيخ بنى محمد منهم فنزل

وأجاز الحكم المستنصر لاول ولايته سنة خمس وثلثمائة وزيره محمد بن قاسم بن طملس فى العساكر لتدويخ المغرب واقتلاع جرثومة الادارسة فأجاز فى العساكر وغلبهم على بلادهم وأزعجهم جميعا عن المغرب الى الاندلس سنة خمس وستين كما ذكرناه ومهد دعوة الاموية بالمغرب وأقبل الحكم مولاه غالبا ورده الى الثغر لسده وعقد على المغرب ليحيى بن محمد بن هاشم التجيبى صاحب الثغر الاعلى وكان أجازه مدد الغالب فى رجال العرب وجند الثغور حتى اذا انغمس الحكم فى علة الفالج وركدت ريح المروانية بالمغرب واحتاجت الدولة الى رجالها لسد الثغور ودفاع العدو واستدعى يحيى بن محمد بن هاشم من العدوة وادالة الحاجب المصحفى بجعفر بن على بن حمدون أمير الزاب والمسيلة النازع اليهم من دعوة الشيعة وجمعوا بين الانتفاع به فى العدوة والراحة مما يتوقع منه على الدولة ومن البرابرة فى النيات الحلابة لما كانوا أصاروا اليه من النكبة وطوقوه

من المحنة ولما كان اجتمع بقرطبة من جموع البرابرة فعقد واله ولاخيه يحيى
على المغرب وخلعوا عليهما وأمكنوهما من مال دثر وكسى فاخرة الخلع على ملوك
العدوة فنهض جعفر الى المغرب سنة خمس وستين وضبطه واجتمع اليه ملوك زناتة مثل
بدوى بن يعلى أمير بنى يفرن وابن عمه أبو يخت بن عبد الله بن بكار ومحمد بن الخير بن
خزر وابن عمه بكساس ابن سيد الناس وزيرى بن خزروزيرى ومقاتل ابنا عطية بن
تبادها وخزرون بن ... ابن سعيد أمير مغراوة واسمعيل بن البورى
أمير مكناسة ومحمد بن ... ابن محمد الازداجى وكان بدوى بن يعلى من أشدهم
قوة وأحسنهم طاعة ... الحكم وولى مكانه هشام المؤيد وانفرد محمد
ابن أبي عامر بحجابته اقتصر من العدوة لاول قيامه على مدينة سبتة فضبطها بجند
السلطان ورجال الدولة وقلدها الصنائع من أرباب السيوف والاقلام وعول فى ضبط
ماوراء ذلك على ملوك زناتة وتعهدهم بالجوائز والخلع وصار الى اكرام وفودهم واثبات
من رغب فى الاثبات فى ديوان السلطان منهم فجدوا فى ولاية الدولة وبث الدعوة
وفسد ما بين أميرا العدوة جعفر بن على وأخيه يحيى واقتطع يحيى مدينة ... لنفسه
وذهب بأكثر الرجال ثم ... كانت على جعفر النكبة التى نكبه برغواطة فى غزاته اياهم
واستدعاه محمد بن أبي عامر لاول أمره لما رآه من استقامته اليه وشد ازره وتلوى عليه
كراهية لما يلقى بالاندلس من الحكم ثم ... وتخلى لاخيه عن عمل المغرب
وأجاز البحر الى ابن أبي عامر فحل منه بالمكان الاثير ... وتناغت زناتة فى التزلف الى الدولة
بقرب الطاعات ... فزحف خزرون بن فلفول سنة ست وستين الى مدينة سجلماسة
فاقتحمها ومحى دولة آل مدرار منها وعقد له المنصور عليها كما ذكرنا ذلك قبل وزحف
عقب هذا الفتح بلكين بن زيرى قائد افريقية للشيعة الى المغرب سنة تسع وستين
زحفه المشهور وخرج محمد بن أبي عامر من قرطبة الى الجزيرة لمدافعته بنفسه واحتمل
من بيت المال مائة حمل ومن العساكر مالا يحصى عدة وأجاز جعفر بن علي بن حمدون الى
سبتة وانضمت اليه ملوك زناتة ورجع بلكين عنهم الى غزو برغواطة الى أن هلك سنة
ثلاث وسبعين كما ذكرناه ورجع جعفر الى مكانه الى ابن أبي عامر لم يسمح بمقامه عنه
ووصل حسن بن كنون خلال ذلك من القاهرة بكتاب عبد العزيز بن نزار بن معد الى
بلكين صاحب افريقية فى اعانته الى ملك المغرب وامداده بالمال والعساكر فأمضاه
بلكين لسبيله وأعطاه مالا ووعده باضعافه ونهض الى المغرب فوجد طاعة المروانية قد
استحكمت فيه وهلك بلكين أثر ذلك وشغل ابنه المنصور عن شأنه فدعا الحسن بن
كنون الى نفسه وأنفذ أبو محمد بن أبي عامر ابن عمه محمد بن عبد الله و يلقب عسكلاجة

بياض بالأصل : بياض بالأصل : بياض بالأصل : بياض بالأصل : بياض بالأصل

لحربه سنة خمس وسبعين وجاء أثره الى الجزيرة كما نشارف القصة وأحيط بالحسن بن
كنون فسأل الامان وعقد له مقارعه عمرو عسكلاجة وأشخصه الى الحضرة فلم يمض ابن
أبي عامر امامه ورأى ان لا ذمة له لكثرة نكثه فبعث من ثقاته من أتاه برأسه وانقرض
أمر الادارسة وانمحى أثرهم فأغضب عمرو عسكلاجة لذلك واستراح الى الجند بأقوال
نميت عنه الى المنصور فاستدعاه من العدوة وألحقه بمقتوله ابن كنون وعقد على
العدوة للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي واكثف عدده وأطلق فى المال
يده ونفذ الى عمله سنة ست وسبعين فضبط المغرب أحسن ضبط وهابته البرابرة ونزل
فاس من العدوة فعز سلطانه وكثر جمعه وانضم اليه ملوك النواحي حتى حذر ابن أبي
عامر مغبة استقلاله واستدعاه ليبلو صحة طاعته فأسرع اللحاق به فتناعف تكرمته
وأعاده الى عمله وكان بدوى بن يعلى هذا من بين ملوك زناتة كثير الاضطراب على الاموية
والمراوغة لهم بالطاعة وكان المنصور بن أبي عامر يضرب بينه وبين قرينه زيرى بن
عطية ويغرى كلا منهما بمناغاة صاحبه فى الاستقامة وكان الى زيرى أميل وبطاعته
أوثق لخلوصه وصدق طويته واخلاصه فكان يرجو ان يتمكن من قياد بدوى بن يعلى
بمناغاته فاستدعى بزيرى بن عطية الى الحضرة سنة سبع وسبعين فبادر الى القدوم
عليه وتلقاه وأكرم موصله وأحسن مقامه ومنقلبه وأعظم جائزته وسام بدوى مثلها
فامتنع وقال لرسوله قل لابن أبي عامر متى عهد حمر الوحش تنقاد للبيطارة وأرسل عنانه
فى العيث والفساد ونهض اليه صاحب المغرب الوزير حسن بن عبد الودود فى عساكره
وجموعه من جند الاندلس وملوك العدوة مظاهرا عليه لعدوه زيرى بن عطية وجمع لهم
بدوى ولقيهم سنة احدى وثمانين فكان الظهور له وانهزم عسكر السلطان وجموع
مغراوة واستلحموا وجرح الوزير حسن بن عبد الودود جراحات كان فيها مهلكه
وطار الخبر الى ابن أبي عامر فاغتم لذلك وكتب الى زيرى بضبط فاس ومكاتفة أصحاب
حسن وعقد له على المغرب كما نستوفى ذكره عند ذكر دولتهم وغالبه بدوى عليها مرة بعد
أخرى ونزع ابو البهار بن زيرى بن مناد الصنهاجي عن قومه ولحق بسواحل تلمسان
ناقضا لطاعة الشيعة ومحاربا عن أخيه المنصور بن بلكين صاحب القيروان وخاطب ابن
أبي عامر من وراء البحر وأوفد عليه ابن أخيه ووجوه قومه فسرب اليه الاموال والصلات
بفاس مع زيرى حسبما نذكره وجمع أيديهما على مدافعة بدوى فاستمر دفاعهما جميعا
الى أن راجع أبو البهار ولاية منصور بن أخيه كما نذكره بعد وحاربه زيرى فكان له الظهور
عليه ولحق أبو البهار بسبتة ثم عاد الى قومه واستفحل زيرى من بعد ذلك وكانت بينه وبين
بدوى وقعة اكتسح زيرى من ماله ومعسكره مالا كفء له وسبى حرمه واستلحم من قومه

زهاء ثلاثة آلاف فارس وخرج الى الصحراء ثم يداسنة ثلاث وثمانين وهلك هنالك فولى أمره فى قومه حبوس ابن أخيه زيرى بن يعلى ووثب به ابن عمه أبو يداس بن دوناس فقتله طمعا فى الرياسة من بعده واختلف عليه قومه فأخفق أمله وعبر البحر الى الاندلس فى جمع عظيم من قومه وولى أمر بنى يفرن من بعده حمامة بن زيرى بن يعلى أخو حبوس المذكور فاستقام عليه أمر بنى يفرن وقد مرّ ذكره فى خبر بدوى غير مرة وانه كانت الحرب بينه وبين زيرى بن عطية سجالا وكانا يتعاقبان ملك فاس يتناول الغلب وانه لما وفد زيرى على المنصور خالفه بدوى الى فاس فملكها وقتل بها خلقا من مغراوة وانه لما رجع زيرى اعتصم بدوى بفاس فنازله زيرى وهلك من مغراوة وبنى يفرن فى ذلك الحصار خلق ثم اقتحمها زيرى عليهم عنوة فقتله وبعث برأسه الى سدة الخلافة بقرطبة سنة ثلاث وثمانين والله أعلم (ولما) اجتمع بنو يفرن على حمامة تحيز بهم الى ناحية شالة من المغرب فملكها وما اليها من تادلا واقتطعها من زيرى ولم يزل عميد بنى يفرن فى تلك العمالة والحرب بينه وبين زيرى ومغراوة متصلة وكانت بينه وبين المنصور صاحب القيروان مهاداة فأهدى اليه وهو محاصر لعمه حماد بالقلعة سنة ست وأربعمائة وأوفد بهديته أخاه زاوى بن زيرى فلقيه بالطبول والبنود ولما هلك حمامة قام بامر بنى يفرن من بعده أخوه الامير أبو الكمال تميم بن زيرى بن يعلى فاستبد بملكهم وكان مستقيما فى دينه مولعا بالجهاد فانصرف الى جهاد برغواطة وسالم مغراوة وأعرض عن فتنتهم (ولما) كانت سنة أربع وعشرين وأربعمائة تجددت العداوة بين هذين الحيين بنى يفرن ومغراوة وثارت الاحن القديمة وزحف أبو الكمال صاحب شالة وتادلا وما الى ذلك فى جموع يفرن وبرز اليه حمامة بن المعز فى قبائل مغراوة ودارت بينهم حروب شديدة وانكشفت مغراوة وفرّ حمامة الى وجدة واستولى الامير أبو الكمال تميم وقومه على فاس وغلبوا مغراوة على عمل المغرب واكتسح تميم اليهود بمدينة فاس واصطلم نعمهم واستباح حرمهم ثم احتشد حمامة من وجدة سائر قبائل مغراوة وزناتة وبعث الحاشدين فى قياطينهم بجميع بلاد المغرب الاوسط ووصل الى تنس صريخا لزعمائهم وكاتب من بعد عنه من رجالاتهم وزحف الى فاس سنة تسع وعشرين فأفرج عنها أبو الكمال تميم ولحق ببلده ومقر ملكه من شالة وأقام بمكان عمله وموطن امارته منها الى أن هلك سنة ست وأربعين وولى ابنه حماد الى أن هلك سنة تسع وأربعين وولى بعده ابنه يوسف الى أن توفى سنة ثمان وخمسين فولى بعده عمه محمد بن الامير أبى تميم الى أن هلك فى حروب لمتونة حين غلبوهم على المغرب أجمع حسبما نذكره والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (وأما) أبو يداس بن دوناس قاتل

حبوس بن زيرى بن يعلى بن محمد فانه لما اختلف عليه بنو يفرن وأخفق أمله فى اجتماعهم له أجاز البحر الى الاندلس سنة ثنتين وثمانين فرفعه اخوانه أبو قرة وأبو زيد وعطاف فحل كلهم من المنصور محل التكرمة والايثار ونظمه فى جملة الرؤساء والامراء واسنى له الجراية والاقطاع وأثبت رجاله فى الديوان ومن أجاز من قومه فبعد صيته وعلا فى الدولة كعبه (ولما) افترقت الجماعة واسترسلت الخلافة كان له فى حروب البربر مع جند الاندلس آثار بعيدة وأخبار غريبة ولما ملك المستعين قرطبة سنة أربعمائة واجتمع اليه من كان بالاندلس من البرابرة لحق المهدى بالثغور واستجاش طاغية الجلالقة فزحف معه الى غرناطة وخرج المستعين فى جموعه من البرابرة الى الساحل واتبعهم المهدى فى جموعه فتواقعوا بوادى ارة فكانت بين الفريقين جولة عظم بلاء البرابرة وطار لابى يداس فيما ذكر وانهزم المهدى والطاغية وجموعهم بعد أن تضايقت المعركة وأصابت أبا يداس بن دوناس جراحة كان فيها مهلكه ودفن هنالك وكان لابنه خلوف وحافده تميم بن خلوف من رجالات زناتة بالاندلس شجاعة ورياسة وكان يحيى بن عبد الرحمن بن أخيه عطاف من رجالاتهم وكان له اختصاص ببنى حمود ثم بالقاسم منهم ولاه على قرطبة أيام خلافته والبقاء لله وحده

محمد

حبوس

حمامة

بدوى

تميم بن خلوف بن ابيداس بن دوناس

يحيى بن عبد الرحمن بن عطاف

عبد الكبير بن محمد

ولاه يعلى على فاس

(الخبر عن أبي نور بن أبي قرة وما كان له من الملك بالاندلس أيام الطوائف)

هذا الرجل اسمه أبو نور بن أبي قرة بن أبي يفرن من رجالات البربر الذين استظهر بهم قومهم أيام الفتنة تغلب على رندة أزمان تلك الفتن وأخرج منها عامر بن فتوح من موالي الاموية سنة خمس وأربعمائة فملكها واستحدث بها لنفسه سلطانا ولما استفحل أمر ابن عباد باشبيلية واشتق على تملك أجوره من الاعمال والثغور نشأت الفتنة بينه وبين أبي نور هذا واختلف حاله معه في الولاية والانحراف وسجل له سنة ثلاث وأربعين برنده وأعمالها فيمن سجل لهم من البربر واستدعاه بعدها سنة خمسين لبعض ولائمه وكاده بكتاب أوقفه عليه على لسان جارية بقصره تشكو اليه ما نال منها ما نال ابنه من الحرم فانطلق الى بلده وقتل ابنه وشعر بالمكيدة فمات أسفا وولي ابنه الآخر أبو نصر الى سنة سبع وخمسين فغدر به بعض جنده وخرج هاربا فسقط من السور ومات وتسلم المعتمد رنده من يد ذلك ويقال ان ذلك كان عند كائنة الحمام سنة خمس وأربعين وان أبا نور هلك فيها ولما بلغ الخبر ابنه أبا نصر وقع ما وقع والله أعلم

(الخبر عن مرنجيصة من بطون بني يفرن وشرح أحوالهم)

كان هذا البطن من بني يفرن بضواحي افريقية وكانت لهم كثرة وقوة ولما خرج أبو يزيد على الشيعة وكان من أخوالهم بنو واركو ظاهروه على أمره بما كان له معهم من العصبية ثم انقرض أمره وأخذتهم دولة الشيعة وأولياؤهم صنهاجة وولاتهم على افريقية بالسطوة والقهر وانزال العقوبات بالانفس والاموال الى أن تلاشوا وأصبحوا في عداد القبائل الغارمة وبقيت منهم احياء نزلوا ما بين القيروان وتونس أهل شاء وبقر وخيام يظعنون في نواحيها وينتحلون الفلح في معاشهم وملك الموحدون افريقية وهم بهذا الحال وضربت عليهم المغارم والضرائب والعسكرة مع السلطان في غزواته بعدة مفروضة يحضرون بها متى استقروا (ولما تغلب) الكعوب من بني سليم على ضواحي افريقية وأخرجوا منها الزواودة من الرياح أعداء الدولة لذلك العهد واستظهر بهم السلطان عليهم اتخذوا افريقية وطنا من قابس الى باجة ثم اشتدت ولايتهم للدولة وعظم الاستظهار بهم وأقطعهم ملك الدولة ما شاؤه من الاعمال والخراج فكان في اقطاعهم خراج مرنجيصة ولما وقعت بنو مرين على القيروان وكان بعدها في الفترة ما كان من طغيان الفتنة التي اعتز فيها العرب على السلطان والدولة كان لهؤلاء الكعوب المتغلبين مدد قوي من احياء مرنجيصة هؤلاء من الخيل للعملان والخيالة للاستظهار باعدادهم في الحروب فصاروا لهم لحمة وخولة وعلكوهم تملك العبيد حتى اذا ذهب الله بحمى الفتنة وأقام مائل الخلافة والدولة

بتراهذا الملك الحفصي الى الاحق به مولانا السلطان أبي العباس أحمد فاقتلع الجوّ وأضاء الافق ودفع المتغلبين من العرب عن أعماله وقبض أيديهم عن رعاياه وأصار من نجيمة هؤلاء من صفايا بمدار ال العقوبة بهم على لياذهم بالعرب وطاعتهم معهم فراجعوا الحق وأخلصوا في الانحياش ورجعوا الى ما ألقوه من الغرامة وقوانين الخراج وهم على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها

الخبر عن مغراوة من أهل الطبقة الاولى من زناتة وما كان لهم من الدول بالمغرب ومبدأ ذلك وتصاريفه

هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا أوسع بطون زناتة وأهل البأس والغلب منهم ونسبهم الى مغراو بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن ألديرت بن جانا اخوة بني يفرن وبني يرنيان وقد تقدم الخلاف في نسبهم عند ذكر بني يفرن وأما شعوبهم وبطونهم فكثير مثل بني يلنت وبني زنداك وبني خادواو ورترمير وبني أبي سعيد وبني ورسيغان والاغواط وبني ريغة وغيرهم ممن لم يحضرني أسماؤهم وكانت محلاتهم بأرض المغرب الاوسط من شلف الى تلمسان الى جبل مديونة وما اليها ولهم مع اخوانهم بني يفرن اجتماع وافتراق ومباغاة في أحوال البدو وكان لمغراوة هؤلاء في بدوهم ملك كبير أدركهم عليه الاسلام فأقره لهم وحسن اسلامهم وهاجر أميرهم صولات بن وزمار الى المدينة ووفد على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فتلقاه بالبر وقبولا لهجرته وعقد له على قومه ووطنه وانصرف الى بلاده محبوا محبورا مغتبطا بالدين مظاهر القبائل منذر لم يزل هذا دأبه وقيل انه تقبض عليه أسيرا الاول الفتح في بعض حروب العرب مع البربر قبل أن يدينوا بالدين فأشخصوه الى عثمان لمكانه من قومه فمنّ عليه وأسلم فحسن اسلامه وعقد له على عمله فاختص صولات هذا وسائر الاحياء من مغراوة بولاء عثمان وأهل بيته من بني أمية وكانوا خاصة لهم دون قريش وظاهروا دعوة المروانية بالاندلس رعيا لهذا الولاء على ما نراه بعد في أخبارهم ولما هلك صولات قام بأمره في مغراوة وسائر زناتة من بعده ابنه حفص وكان من أعظم ملوكهم ثم لما هلك قام بأمره ابنه خزر وعندما تقلص ظل الخلافة عن المغرب الاقصى بعض الشئ وأطلت فتنة ميسرة المقبر ومظفره فاعتز خزر وقومه على أمر المضرية بالقيروان واستفحل ملكهم وعظم شأن سلطانهم على البدو من زناتة بالمغرب الاوسط ثم انتقض أمر بني أمية بالمشرق فكانت الفتنة بالمغرب فازدادوا اعتزازا وعتوا وهلك خلال ذلك خزر وقام بملكه ابنه محمد وخلص الى المغرب ادريس الاكبر بن عبد الله بن حسن بن الحسن سنة سبعين ومائة في خلافة الهادي وقام برابرة المغرب من

أوربة وصدينة ومقيلة بأمره واستوثق له الملك واقتطع المغرب عن طاعة بنى العباس سائر الايام ثم نهض الى المغرب الاوسط سنة أربع وسبعين فتلقاه محمد بن خزر هذا وألقى اليه المقادة وبايع له عن قومه وأمكنه من تلمسان بعد ان غلب عليها بنى يفرن أهلها وانتظم لادريس بن ادريس الامر وغلب على جميع اعمال أبيه وملك تلمسان وقام بنو خزر هؤلاء بدعوته كما كانوا لابيه وكان قد نزل تلمسان لعهد ادريس الاكبر أخوه سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن القادم اليه من المشرق وعقد له بولاية تلمسان من قبل ابنه ادريس لمحمد ابن عمه سليمان من بعده فكانت ولاية تلمسان وأمصارها فى عقبه واقتسموا ولاية ثغورها الساحلية فكانت تلمسان لولد ادريس بن محمد بن سليمان وأرشكول لولد عيسى بن محمد وتنس لولد ابراهيم بن محمد بن محمد وسائر الضواحى من اعمال تلمسان لبنى يفرن ومغراوة ولم يزل الملك بضواحى المغرب الاوسط لمحمد بن خزر كما قلناه الى ان كانت دولة الشيعة واستوثق لهم ملك افريقية وسرح عبيد الله المهدى الى المغرب عروبة بن يوسف الكتامى فى عساكر كتامة سنة ثمان وتسعين ومائتين فدوخ المغرب الادنى ورجع ثم سرح بعده مصالة بن حبوس الى المغرب فى عساكر كتامة فاستولى على اعمال الادارسة واقتضى طاعتهم لعبيد الله وعقد على فاس ليحيى بن ادريس بن عمر آخر ملوك الادارسة وخلع نفسه ودان بطاعتهم وعقد له مصالة على فاس وعقد لموسى بن أبى العافية أمير مكناسة وصاحب تازة واستولى على ضواحى المغرب وقفل الى القيروان وانتقض عمر بن خزر من أعقاب محمد بن خزر الداعية لادريس الاكبر وجبل زناتة وأهل المغرب الاوسط على البرابرة من الشيعة وسرح عبيد الله المهدى مصالة قائد المغرب فى عساكر كتامة سنة تسع ولقيه محمد ابن خزر فى جموع مغراوة وسائر زناتة ففل عساكر مصالة وخلص اليه فقتله وسرح عبيد الله ابنه أبا القاسم فى العساكر الى المغرب سنة عشر وعقد له على حرب محمد بن خزر وقومه فأجفلوا الى الصحراء واتبع آثارهم الى ملوية فلحقوا بسجلماسة وعطف أبو القاسم على المغرب فدوخ أقطاره وجال فى نواحيه وجدد لابن أبى العافية على عمله ورجع ولم يلق كيدا (ثم ان الناصر) صاحب قرطبة سماله أمل فى ملك العدوة فخاطب ملوك الادارسة وزناتة وبعث اليهم خالصته محمد بن عبد الله بن أبى عيسى سنة ستة عشر فبادر محمد بن خزر الى اجابته وطرد أولياء الشيعة من الزاب وملك شلب وتنس من أيديهم وملك وهران وولى عليها ابنه المنير وبث دعوة الاموية فى اعمال المغرب الاوسط ما عدا تاهرت فى القيام بدعوة الاموية ادريس بن ابراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان صاحب أرشكول ثم فتح الناصر سبتة سنة سبع عشرة من يد الادارسة وأجاز موسى بن أبى العافية على طاعته واتصلت يده بمحمد بن خزر

بياض بالاصل

وتظاهروا على الشيعة وخالف فلفول بن خزر أخاه محمدا الى طاعة الشيعة وعقد له
عبيد الله على مغراوة وزحف الى المغرب حميد بن يصل سنة احدى وعشرين
فى عساكر كتامة الى عبيد الله على تاهرت فانتهى الى فاس وأجفلت أمامه ظواعن زناتة
ومكناسة ودوخ المغرب وزحف من بعده ميسور الخصى سنة ثنتين وعشرين فحاصر
فاسا وامتنعت عليه ورجع ثم انتقض حميد بن يصل سنة ثمان وعشرين وتحيز الى
محمد بن خزر ثم أجاز الى الناصر وولاه على المغرب الاوسط ثم شغل الشيعة
بفتنة أبى يزيد وعظمت آثار محمد بن خزر وقومه من مغراوة وزحفوا الى تاهرت مع
حميد بن يصل قائد الاموية سنة ثلاث وثلاثين وزحف معه الخير بن محمد وأخوه حمزة
وعمه عبد الله بن خزر ومعهم يعلى بن محمد فى قومه بنى يفرن وأخذوا تاهرت عنوة
وقتلوا عبد الله بن بكار وأسروا قائدها ميسور الخصى بعد ان قتل حمزة بن محمد بن خزر
فى حروبها وكان محمد بن خزر وقومه زحفوا قبل ذلك الى بسكرة ففتحوا وقتلوا زيدان
الخصى ولما خرج اسمعيل من حصار أبى يزيد وزحف الى المغرب فى اتباعه خشية محمد
ابن خزر على نفسه لما سلف منه فى نقض دعوتهم وقتل أتباعهم فبعث اليه بطاعة
معروفة وأوعز اليه اسمعيل بطلب أبى يزيد ووعده فى ذلك بعشرين حملا من المال
وكان أخوه معبد بن خزر فى موالاة أبى يزيد الى ان هلك وتقبض اسمعيل بعد ذلك على
على معبد سنة أربعين وقتله ونصب رأسه بالقيروان ولم يزل محمد بن خزر وابنه الخير
متغلبا على المغرب الاوسط ومقاسما فيه ليعلى بن محمد ووفد فتوح بن الخير سنة أربعين
على الناصر مع مشيخة تاهرت ووهران فأجازهم وصرفهم الى اعمالهم ثم حدثت الفتنة
بين مغراوة وصنهاجة وشغل محمد بن الخير وابنه خزر بحروبهم وتغلب يعلى بن محمد على
وهران وخربها وعقد الناصر لمحمد بن يصل على تلمسان واعمالها وليعلى بن محمد على
المغرب واعماله فراجع محمد بن خزر طاعة الشيعة من أجل قريعه يعلى بن محمد ووفد على
المعز بعد مهلك أبيه اسمعيل سنة ثنتين وأربعين فأولاه تكرمة وتم على طاعتهم الى ان
حضر مع جوهر فى غزاته الى المغرب باعوام سبع أو ثمان وأربعين ثم وفد على المعز بعد
ذلك سنة خمسين وهلك بالقيروان وقد نيف على المائة من السنين وهلك الناصر المروانى
عامئذ على حين انتشرت دعوة الشيعة بالمغرب وانقبض أولياء الاموية الى اعمال
سبتة وطنجة فقام بعده ابنه الحكم المستنصر واستأنف مخاطبة ملوك العدوة فأجابه
محمد بن الخير بن محمد بن خزر بما كان من أبيه الخير وجده محمد فى ولاية الناصر والولاية
التى لبنى أمية على آل خزر بوصية عثمان بن عفان لصولات بن وزمار جدهم كما ذكرناه
فأثخن فى الشيعة ودوخ بلادهم ورماه معد بقريعه زيرى بن مناد أمير صنهاجة فعقد له

على حرب زناتة وسوّغه ماغلب عليه من أعمالهم وجمعوا للحرب سنة ستين ومائتين فلقى بلكين بن زيرى جموعهم بدسيسة من بعض أولياء محمد بن الخير قبل أن يستكمل تعبيتهم فابلى منهم ناسا صبرا واشتدت الحرب بينهم وانهزمت زناتة حتى اذا رأى محمد بن الخير ان قد أحيط به انتبذ الى ناحية من العسكر وذبح نفسه واستمرت الهزيمة على قومه ووجد منهم فى المعركة سبعة عشر أميرا سوى الاتباع وتحيز كل الى فريقه وولى بعد محمد فى مغراوة ابنه الخير وأغرى بلكين بن زيرى الخليفة معدا لجعفر بن على ابن حمدون صاحب المسيلة والزاب بموالاة محمد بن الخير فاستراب جعفر وبعث عنه معد لولاية افريقية حتى اعتزم على الرحيل الى القاهرة فاشتدت استرابته ولحق بالخير ابن محمد وقومه وزحفوا الى صنهاجة فأتيحت لهم الكرة وأصيب زيرى بن مناد كبير العصابة وبعثوا برأسه الى قرطبة فى وفد من وجوه بنى خزر مع يحيى بن على أخى جعفر ثم استراب بعدها جعفر من زناتة ولحق بأخيه يحيى ونزلوا على الحكم وعقد معه لبلكين ابن زيرى على حرب زناتة وامده بالاموال والعساكر وسوغه ماتغلب عليه من أعمالهم فنهض الى المغرب سنة احدى وستين وأوغر بالبرابرة منهم وتعرى أعمال

وباغاية والمسيلة وبسكرة وأجفلت زناتة امامه وتقدم الى تاهرت فمحا من المغرب الاوسط آثار زناتة ولحق بالمغرب الاقصى واتبع بلكين آثار الخير بن محمد وقومه الى سجلماسة فأوقع بهم وتقبض عليهم فقتله صبرا وفض جموعهم ودوّخ المغرب وانكفأ راجعا ومرّ بالمغرب الاوسط فاكتسح بوادى زناتة ومن اليهم من المصاصين ورفع الامان على كل من ركب فرسا أوأنتج خيلا من سائر البربر ونذر دماءهم فأقفر المغرب الاوسط من زناتة وصار الى ماوراء ملوية من بلاد المغرب الاقصى الى ان كان من رجوع بنى يعلى بن محمد الى تلمسان وملكهم اياها ثم هلك بنو خزر بسجلماسة وطرابلس وملك بنى زيرى بن عطية بفاس مانحن ذاكروه ان شاء الله تعالى

بياض بالأصل

أعقاب محمد بن خزر بن حفص بن صولات بن وزمار
الخير بن محمد بن الخير بن محمد
حمزة
فتوح
خزر
عطية بن عبد الله
معبد

{الخبر عن آل زيري بن عطية ملوك فاس وأعمالها من الطبقة الاولى من مغراوة
وما كان لهم بالمغرب الاقصى من الملك والدولة ومبادى ذلك وتصاريفه}

كان زيري هذا أمير آل خزر وقته ووارث ملكهم البدوي وهو الذي مهد الدولة بفاس والمغرب الاقصى وأورثها بنيه الى عهد لمتونة حسبما نستوفي شرحه واسمه زيري بن عطية بن عبد الرحمن بن خزر وجده عبد الله أخو محمد داعية الناصر الذي هلك بالقيروان كما ذكرناه وكانوا أربعة اخوة محمد ومعبد الذي قتله اسمعيل وفلفول الذي خالف محمدا الى ولاية الشيعة وعبد الله هذا وكان يعرف بأمه واسمها تبادلت وقد قيل ان عبد الله هذا هو ابن محمد بن خزر وأخوه حمزة بن محمد الهالك في حربه مع ميسور عند فتح تاهرت ولما هلك الخير بن محمد كما قلناه بيد بلكين سنة احدى وستين وارتحلت زناتة الى ماوراء ملوية من المغرب الاقصى وصار المغرب الاوسط كله لصنهاجة واجتمع مغراوة الى بقية آل خزر وأمراؤهم يومئذ محمد بن الخير المذكور ومقاتل وزيري ابنا مقاتل بن عطية بن عبد الله وخزرون بن فلفول ثم كان ما ذكرناه من ولاية بلكين بن زيري على افريقية وزحفه الى المغرب الاقصى زحفته المشهورة سنة تسع وستين وأجفلت أمامه ملوك زناتة من بني خزر وبني محمد بن صالح وانحازوا جميعا الى سبتة وأجاز محمد بن الخير البحر الى المنصور بن أبي عامر صريخا فخرج المنصور

في عساكره الى الجزيرة عدّة اليهم بنفسه وعقد لجعفر بن علي على حرب بلكين وأجازه البحر وأمدّه بمائة حمل من المال فاجتمعت اليه ملوك زناتة وضربوا مصافهم بساحة سبتة واظل عليهم بلكين من جبل تطاوين فرأى مالا قبل له به فارتحل عنهم وأشغل نفسه بجهاد برغواطة الى ان هلك منصرفا من المغرب سنة ثنتين وسبعين كما ذكرناه وعاد جعفر بن علي الى مكانه بن الحضرة وساهمه المنصور في حمل الرياسة وبقي المغرب غفلا من الولاية واقتصر المنصور على ضبط سبتة ووكل الى ملوك زناتة دفاع صنهاجة وسائر أولياء الشيعة وقام يبلو طاعتهم الى أن قام بالمغرب الحسين بن كنون من الادارسة بعثه العزيز نزار من مصر لاسترجاع ملكه بالمغرب وأمده بلكين بعسكر من صنهاجة وهلك على ذلك بلكين ودعا الحسن الى أمره بالمغرب وانضم اليه بدوي بن يعلى بن محمد اليفرني وأخوه زيري وابن عمه أبو بداس فيمن اليهم من بني يفرن فسرّح المنصور لحربه ابن عمه أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر الملقب عسكلاجه وبعثه بالعساكر والاموال فأجاز البحر وانحاش اليه ملوك آل خزر محمد بن الخير ومقاتل وزيري ابنا عطية وخزرون بن فلفول في جميع مغراوة وظاهروه على شأنه وزحف بهم أبو الحكم بن أبي عامر الى الحسين بن كنون حتى الجؤه الى الطاعة وسأل الامان على نفسه فعقد له عمرو بن أبي عامر مارضيه من ذلك وأسكن به من قياده وأشخصه الى الحضرة فكان من قتله واخفار ذمة أبي الحكم بن أبي عامر وقتله بعده بما تقدم حسبما ذكرناه ذلك من قبل ، وكان مقاتل وزيري ابنا عطية من بين ملوك زناتة أشد الناس انحياشا للمنصور وقياما بطاعة المروانية وكان بدوي بن يعلى وقومه بنو يفرن منحرفين عن طاعتهم ولما انصرف أبو الحكم بن أبي عامر من المغرب عقد المنصور عليه للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي وأطلق يده في انتقاء الرجال والاموال فأنفذه الى عمله سنة ست وسبعين وأوصاه بملوك مغراوة من زناتة واستبلغ بمقاتل وزيري من بنيهم لحسن انحياشهم وطاعتهم وأغراه ببدوي بن يعلى المضطرب الطاعة الشديد المراوغة فنفذ لعمله ونزل بفاس وضبط أعمال المغرب واجتمعت اليه ملوك زناتة وهلك مقاتل بن عطية سنة ثمان وسبعين واستقل برياسة الظواعن البدو من مغراوة اخوه زيري بن عطية وحسنت مخالصته لابن عبد الودود صاحب المغرب وانحياشه بقومه اليه واستدعاه المنصور من محله بفاس سنة احدى وثمانين اشادة بتكريمه واغراه ببدوي بن يعلى بمنافسته في الحظ وايثار الطاعة فبادر الى اجابته بعد ان استخلف على المغرب ابنه المعز وأنزله بتلمسان ثغر المغرب وولى على عدوة القرويين من فاس علي بن محمود بن أبي علي قشوش وعلى عدوة الاندلسيين عبد الرحمن بن عبد

بلغ بالاصل

الحكم بن ثعلبة وقدم بين يديه هدية الى المنصور ووفد عليه فاستقبله بالجيوش
والعدة واحتفل لمقدمه وأوسع نزله وجرايته ونوه باسمه فى الوزارة وأقطعه رزقها
وأثبت رجاله فى الديوان ووصله بقيمة هديته وأسنى فيها وأعظم جائزته وجائزة وفده
وعجل تسريحه الى عمله فتنقل الى امارته من المغرب ونمى عنه خلاف ما احتسب فيه من
جحد المعروف وانكار الصنيع والاستنكاف من لقب الوزارة الذى نوه به حتى انه
قال لبعض حشمه وقد دعاه بالوزير وزير من يالكع لا والله الا أمير ابن أمير
واعجبا من ابن أبى عامر ومخرقته والله لو كان بالاندلس رجل ما تركه على حاله
وان له منا ليوما والله لقد تاجرنى فيما أهديت اليه حط القيم ثم غالطنى بما بذله
ثمنا للكرم الآن يحتسب ثمن الوزارة التى حطنى بها من رتبتى ونمى ذلك الى ابن أبى
عامر فصر عليها أذنه وزاد فى اصطناعه وبعث بدوى بن يعلى اليفرنى قريعه فى ملك
زناتة يدعوه الى الوفادة فأساء اجابته وقال متى عهد المنصور حمر الوحش تنقاد للبياطرة
وأخذ فى افساد السابلة والاجلاب على الاحياء والعيث فى العمالة فأوعز المنصور الى
عامله بالمغرب الوزير حسن بن عبد الودود بنبذ العهد اليه ومظاهرة عدوه زيرى بن
عطية عليه فجمعوا السنة احدى وثمانين ولقوه فكانت الدائرة عليهم وتخرم العسكر
وأثبت الوزير بن عبد الودود بجراحة كان فيها حتفه وبلغ الخبر الى المنصور فشق عليه
وأهمه شأن المغرب وعقد عليه لوقته لزيرى بن عطية وكتب اليه بعهده وأمره بضبط
المغرب ومكانفة جند السلطان وأصحاب حسن بن عبد الودود فاطلع باعبائه وأحسن
الغناء فى عمله واستفحل شأن بدوى بن يعلى وبنى يفرن واستغلظوا على زيرى بن عطية
وأصلوه نار الفتنة وكانت حروبهم سجالا وسئمت الرعايا بفاس كثرة تعاقبهم عليها
وانتزاؤهم على عملها وبعث الله لزيرى بن عطية ومغراوة مددا من أبى البهار بن زيرى بن
مناد بما كان انتقض على ابن أخيه منصور بن بلكين صاحب القيروان ونزع عن دعوة
الشيعة الى المروانية واقتفى أثره فى ذلك خلوف بن أبى بكر صاحب تاهرت وأخوه عطية
لصهر كان بينهما وبين فاقتسموا أعمال المغرب الاوسط ما بين
الزاب وأشير وهدان وخطبوا فى سائر منابرها باسم هشام المؤيد وخاطب أبو
البهار من وراء البحر محمد بن أبى عامر وأوفد عليه أبا بكر بن أخيه حبوس بن زيرى فى
طائفة من أهل بيته ووجوه قومه فاستقبلوا بالحسن مائة قطعة من صنوف الثياب
الخز والعبيد وما قيمته عشرة آلاف درهم من الآنية والحلى وبخمسة وعشرين ألفا من
الدنانير ودعاه الى مظاهرة زيرى بن عطية على بدوى بن يعلى وقسم بينهما أعمال المغرب
شق الابلة حتى لقد اقتسما مدينة فاس عدوة بعدوة فلم يرع ذلك بدوى ولا وزعه عن

شأنه من الفتنة والاجلاب على البدو والمنامرة وشق عصا الجماعة وانتقض خلوف بن
أبي بكر على المنصور لوقته وراجع ولاية المنصور بن بلكين ومرض أبو البهار في
المظاهرة عليه للوصلة التي بينهما وقعد عما قام له زيري بن عطية من حرب خلوف بن أبي
بكر وأوقع به زيري في رمضان سنة احدى وثمانين واستلحمه وكثيرا من أوليائه
واستولى على عسكره وانحاش اليه عامة أصحابه وفر عطية شريدا الى الصحراء ثم نهض
على اثرها البدوي بن يعلى وقومه فكانت بينهم لقاآت انكشف فيها أصحاب بدوي
واستلحم منهم زهاء ثلاثة آلاف واكتسح معسكره وسبيت حرمه التي كانت منهن أمه
وأخته وتحيز سائر أصحابه الى فئة زيري وخرج شريدا الى الصحراء الى أن اغتاله
ابن عمه أبو يداس بن دوناس كما ذكرناه وورد خبر الفتحين متعاقبين على المنصور
فعظم موقعهما لديه وقد قيل ان مقتل بدوي انما كان عند اياب زيري من الوفادة
وذلك أنه لما استقدمه المنصور ووفد عليه كما ذكرناه خالفه بدوي الى فاس فملكها وقتل
من مغراوة خلقا واستمكن بها أمره فلما رجع زيري من وفادته امتنع بها بدوي فنازله
زيري وطال الحصار وهلك من الفريقين خلق ثم اقتحمها عليه عنوة وبعث برأسه الى
سدة الخلافة بقرطبة الا أن راوي هذا الخبر يجعل وفادة زيري على المنصور وقتله
لبدوي سنة ثلاث وثمانين فالله أعلم أي ذلك كان (ثم ان زيري) فسد ما بينه وبين
أبي البهار الصنهاجي وتزاحفا فأوقع به زيري وانهزم أبو البهار الى سبتة موريا بالعبور
فبادر بكاتبه عيسى بن سعيد بن القطاع في قطعة من الجند الى تلقيه فخادعه عن لقائه
وصاعد الى قلعة جراوة وقد قدم الرسل الى ابن أخيه المنصور صاحب القيروان
مستميلا الى أن التحم ذات بينهما ثم تحيز اليه وعاد الى مكانه من عمله وخلع ما تمسك به
من طاعة الاموية وراجع طاعة الشيعة فجمع المنصور لزيري بن عطية أعمال المغرب
واستكفى به في سد الثغر وعول عليه من بين ملوك المغرب في الذب عن الدعوة وعهد
اليه بمناجزة أبي البهار وزحف اليه زيري في أمم عديدة من قبائل زناتة وحشود البربر
وفر أمامه ولحق بالقيروان واستولى زيري على تلمسان وسائر أعمال أبي البهار وملك
ما بين السوس الاقصى والزاب فاتسع ملكه وانبسط سلطانه واشتدت شوكته وكتب
بالفتح الى المنصور وبعث بمائتين من الخيل وخمسين جملا من المهاري السبق وألف درقة من
جلود اللمط وأحمال من قسي الزاب وقطوط الغالية والزرافة وأصناف الوحوش
الصحراوية كاللمط وغيره وألف حمل من التمر وأحمال من ثياب الصوف الرفيعة
كثيرة فجدد له عهده على المغرب سنة احدى وثمانين وأنزل أحياءه بانحاء فاس في
قياطينهم واستفحل أمر زيري بالمغرب ودفع بني يفرن عن فاس الى نواحي سلا واختط

المدينة وجدة سنة أربع وثمانين وأنزلها عساكره وحشمه واستعمل عليها ذويه ونقل اليها ذخيرته وأعدها معتصما وكانت ثغرا للعمالتين المغرب الاقصى والاوسط (ثم فسد) ما بينه وبين المنصور بما نمى عنه من التألف لهشام باستبداد المنصور عليه فسامه المنصور الهضيمة وأبى منها وبعث كاتبه ابن القطاع فى العساكر فاستغوى عليه وأمكنه صاحب قلعة حجر النسر منها وأشخصه الى الحضرة وأحسن اليه المنصور وسماه الناصح وكشف زيرى وجهه فى عداوة ابن أبى عامر والاغراء به والتشنيع للمؤيد والامتعاض له من هضيمته وحجره فسخطه عند ابن أبى عامر وقطع عنه رزق الوزارة ومحى اسمه من ديوانه ونادى بالبراءة منه وعقد لواضح مولاه على المغرب وعلى حرب زيرى بن عطية الجمات من سائر الطبقات وأزاح عللهم وأمكنه من الاموال للنفقات واحمال السلاح والكسى وأصحبه طائفة من ملوك العدوة كانوا بالحضرة منهم محمد بن الخير وزيرى بن خزرون ابن عمهما بكساس بن سيد الناس ومن بنى يفرن أبو بخت بن عبد الله بن مدين ومن ازداجة خزرون بن محمد وأمراء وجوه الجند وفصل من الحضرة سنة سبع وثمانين وسار فى التعبية وأجاز البحر الى طنجة فعسكر بوادى ردات وزحف زيرى بن عطية فى قومه فعسكر ازاءه وتواقفا ثلاثة أشهر واتهم واضح رجالات بنى برزال بالادهان فأشخصهم الى الحضرة وأغرى بهم المنصور فوبخهم ونصلوا فصفح عنهم وبعثهم فى غير ذلك الوجه ثم تناول واضح أصيلا ونكور فضبطهما واتصلت الوقائع بينه وبين زيرى وبيت واضح معسكر زيرى بنواحى أصيلا وهم غارون فأوقع بهم وخرج ابن أبى عامر من الحضرة لاستشراف أحوال واضح وامداده فسار فى التعبية واحتل بالجزيرة عند فرضة المجاز ثم بعث ابنه المظفر من مكان استخلافه بالزاهرة وأجازه الى العدوة واستكمل معه أكابر أهل الخدمة وجلة القواد وقفل المنصور الى قرطبة واستراع خبر عبد الملك بالمغرب ورجع اليه عامة أصحاب زيرى من ملوك البربر وتناولهم من احسانه وبره ما لم يعهد وامثاله وزحف عبد الملك الى طنجة واجتمع مع واضح وتلوم هنالك مزيحا لعلل العسكر فلما استتم تدبيره زحف فى جمع لا كفاء له فلقيه زيرى بوادى منى من احواز طنجة فى شوال سنة ثمان وثمانين فدارت بينهم حروب شديدة وهم فيها أصحاب عبد الملك وثبت هو وبينما هم فى حومة الحرب اذ طعن زيرى بعض المتوزرين من أتباعه ابتغاء العزة فى ذلك الموقف فطعنه ثلاثا فى نحره أشواه بها ومر يشتد نحو المظفر ويبشره فاستكذبه لثبوت رؤيته ثم سقط اليه الصحيح فشد عليهم فاستوت الهزيمة وأثخن فيهم بالقتل واستولى على ما كان فى عسكرهم مما يذهب فيه الوصف ولحق زيرى بفاس جريحا فى قلة فامتنع عليه

اهلها

أهلها او دافعوه بحرمه فاحتملهن وفر أمام العساكر الى الصحراء وأسلم جميع أعماله وطير
عبد الملك بالفتح الى أبيه فعظم موقعه عنده وأعلن بالشكر لله والدعاء وبث الصدقات
وأعتق الموالى وكتب الى ابنه عبد الملك بعهده على المغرب فأصلح نواحيه وسد ثغوره
وبعث العمال فى جهاته فأنفذ محمد بن الحسن بن عبد الودود فى جند كثيف الى تادلا
واستعمل حميد بن يصل المكناسى على سجلماسة فخرج كل لوجهه واقتضوا الطاعة
وحملوا اليه الخراج وأقفل المنصور ابنه عبد الملك فى جمادى من سنة تسع وثمانين
وعقد على المغرب لواضح فضبطه واستقام على تدبيره ثم عزله فى رمضان من سنته
بعبيد الله بن أخيه يحيى ثم ولى عليه من بعده اسمعيل بن البورى من بعد
بالاخوص معن بن عبد العزيز التجيبى الى أن هلك المنصور وأعاد المظفر بن المعز بن
زيرى من منتبذه بالمغرب الاوسط لولاية أبيه بالمغرب فنزل فاس وكان من خبر زيرى أنه
لما استقل من نكبته وهزيمة عبد الملك اياه واجتمع اليه بالصحراء فل مغراوة وبلغه
اضطراب صنهاجة واختلافهم على باديس بن المنصور بعد مهلك أبيه وأنه خرج عليه بعد
عمومته مع ماكسن بن زيرى فصرف وجهه حينئذ الى أعمال صنهاجة ينتهز فيها الفرصة
واقتحم المغرب الاوسط ونازل تاهرت وحاصر بها طوفة بن بلكين وخرج باديس من
القيروان صريخا له فلما مر بطبنة امتنع عليه فلفول بن خزرون وخالفه الى افريقية
فشغل بحربه وكان أبو سعيد بن خزرون لحق بافريقية وولاه المنصور على طبنة كما ذكره
فلما انتقض سار اليه باديس ودفع حماد بن بلكين فى عساكر صنهاجة الى مدافعة زيرى
ابن عطية فالتقيا بوادى ميناس قرب تاهرت فكانت الدائرة على صنهاجة واحتوى
زيرى على معسكرهم واستلحم ألوفا منهم وفتح مدينة تاهرت وتلمسان وشلف وتنس
وأقام الدعوة فيها كلها للمؤيد هشام وللحاجب المنصور من بعده ثم اتبع آثار صنهاجة
الى أشير قاعدة ملكهم فأناخ عليها واستأمن اليه زاوى بن زيرى ومن معه من أكابر
أهل بيته المنازعين لباديس فأعطاه منه ما سأل وكتب الى المنصور بذلك يسترضيه
ويشترط على نفسه الرهن والاستقامة ان أعيد الى الولاية ويستأذنه فى قدوم زاوى
وأخيه علال فأذن لهما وقدما سنة تسعين وسأل أخوهما أبو البهار مثل ذلك وأنفذ
رسله يذكر تقدمه فسوفه المنصور لما سبق من نكثه واعتل زيرى بن عطية وهو بمكانه
من حصار أشير فأفرج عنها وهلك فى منصرفه سنة احدى وتسعين واجتمع آل خزر
وكافة مغراوة من بعده على ابنه المعز بن زيرى فبايعوه وضبط أمرهم وأقصر عن محاربة
صنهاجة ثم استجدى للمنصور واعتلق بالدعوة العامرية وصلحت حاله عندهم وهلك
المنصور خلال ذلك ورغب المعز من ابنه عبد الملك المظفر أن يعيده الى عمله على مال يحمله

بياض بالاصل

اليه وعلى أن يكون ولده معنصر رهينة بقرطبة فأجابه الى ذلك وكتب له عهدا وأنفذ به وزيره أبا على بن حديم (ونسخته) بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله من الحاجب المظفر سيف الدولة دولة الامام الخليفة هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر الى كافة مدني فاس وكافة أهل المغرب سلمهم الله أما بعد أصلح الله شانكم وسلم أنفسكم وأديانكم فالحمد لله علام الغيوب وغفار الذنوب ومقلب القلوب ذي البطش الشديد المبدئ المعيد الفعال لما يريد لاراد لامره ولا معقب لحكمه بل له الملك والامر وبيده الخير والشر اياه نعبد واياه نستعين واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين وجميع الانبياء والمرسلين والسلام عليكم أجمعين وان المعز بن زيرى بن عطية أكرمه الله تابع رسله الينا وكتبه متنصلا من هنات دفعته اليها ضرورات ومستغفرا من سيآت حطتها من توبته حسنات والتوبة تمحو الذنب والاستغفار منقذ من العيب واذا أذن الله بشئ يسره وعسى أن تكرهوا شيأ ولكم فيه خير وقد وعد من نفسه استشعار الطاعة ولزوم الجادة واعتقاد الاستقامة وحسن المعونة وخفة المؤنة فوليناه ما قبلكم وعهدنا اليه أن يعمل بالعدل فيكم وأن يرفع أعمال الجور عنكم وأن يؤمن سبلكم وأن يقبل من محسنكم ويتجاوز عن مسيئكم الا في حدود الله تبارك وتعالى وأشهدنا الله عليه بذلك وكفى بالله شهيدا وقد وجهنا الوزير أبا على بن خديم أكرمه الله وهو من ثقاتنا ووجوه رجالنا ليأخذ بشأنه ويؤكد العهد فيه عليه بذلك وأمرناه باشراككم فيه وغض بأمركم معتنون وأحوالكم مطالعون وأن يقضى على الاعلى للادنى ولا يرتضى فيكم بشئ من الادنى فثقوا بذلك واسكنوا اليه وليمض القاضي أبو عبد الله أحكامه مشدودا ظهره بنا معقودا سلطانه بسلطاننا ولا تأخذه في الله لومة لائم فذلك ظننا به اذ وليناه وأملنا فيه اذ قلدناه والله المستعان وعليه التكلان لا اله الا هو ولتبلغوا أمنا سالما طيبا جزيلا ورحمة الله وبركاته (ولما وصل) الى المعز بن زيرى عهد المظفر بولايته على المغرب ماعدا كورة سجلماسة فان واضحا مولى المنصور عهد في ولايته على المغرب بها لواندين بن خزرون بن فلفول حسبما ذكره فلم تدخل في ولاية المعز هذه فلما وصله عهد المظفر ضم نشره وثاب اليه نشاطه وبث عماله في جميع كور المغرب وجبى خراجها ولم تزل ولايته متسقة وطاعة رعاياه منتظمة (ولما) افترق أمر الجماعة بالاندلس واختل رسم الخلافة وصار الامر فيها طوائف استحدث المعز في التغلب على سجلماسة وانتزاعها من أيدى بني واندين بن خزرون فأجمع لذلك ونهض

اليه سنة سبع وأربعمائة وبرزوا اليه في جموعهم فهزموه ورجع الى فاس في فل من قومه وأقام على الاضطراب من أمره الى أن هلك سنة سبع عشرة وولى من بعده بن عمه حمامة بن المعز بن عطية وليس كما يزعم بعض المؤرخين انه ابنه وانما هو اتفاق في الاسماء أوجب هذا الغلط فاستولى حمامة هذا على عملهم واستفحل ملكه وقصده الامراء والعلماء وأتته الوفود ومدحه الشعراء ثم نازعه الامر أبو الكمال تميم بن زيرى ابن يعلى اليفرني سنة أربع وعشرين من بني يدوى بن يعلى المتغلبين على نواحي سلا وزحف الى فاس في قبائل بني يفرن ومن انضاف اليهم من زناتة وبرز اليه حمامة في جموع مغراوة ومن اليهم فكانت بينهم حروب شديدة أجلت عن هزيمة حمامة ومات من مغراوة أمم واستولى تميم على فاس وأعمال المغرب ولما دخل فاس استباح يهود وسبى حرمهم واصطلم نعمتهم ولحق حمامة بوجدة فاستمد من هنالك من قبائل مغراوة ومن انجاد مديونة وملوية وزحف الى فاس فدخلها سنة تسع وعشرين وتحيز تميم الى موضع امارته من سلا وأقام حمامة في سلطان المغرب وزحف اليه سنة ثلاثين وأربعمائة القائد بن حماد صاحب القلعة في جموع صنهاجة وخرج اليه مجمعا حربه وبث القائد عطاءه في زناتة واستعبدهم على صاحبهم حمامة فأقصر عن لقائه ولما دفعه بالسلم والطاعة رجع القائد عنه ورجع هو الى فاس وهلك سنة احدى وثلاثين فولى بعده ابنه دوناس ويكنى أبا العطاف واستولى على فاس وسائر عمل أبيه وخرج عليه لاول أمره حماد بن عمه معنصر بن المعز فكانت له معه حروب ووقائع وكثرت جموع حماد فغلب دوناس على الضواحي وأجحره بمدينة فاس وخندق دوناس على نفسه الخندق المعروف بسياج حماد وقطع حماد جريه الوادي عن عدوة القرويين الى أن هلك محاصرا لها سنة خمس وثلاثين فاستقامت دولة دوناس وانفسحت أيامه وكثر العمران ببلده واحتفل في تشييد المصانع وأدار السور على أرباضها وبنى بها الحمامات والفنادق فاستبحر عمرانها ورحل التجار اليها بالبضائع وهلك دوناس سنة احدى وخمسين وولى بعده ابنه الفتوح ونزل بعدوة الاندلس ونازعه الامر أخوه الاصغر عجيسة وامتنع بعدوة القرويين وافترق أمرهم بافتراقهما وكانت الحرب بينهما سجالا ومجالها بين المدينتين حيث يفضي باب النقبة بعدوة القرويين لهذا العهد وشيد الفتوح باب عدوة الاندلس وهو مسمى به الى الآن واختط عجيسة باب الجيسة وهو أيضا مسمى به وانما حذفت عينه لكثرة الاستعمال وأقاموا على ذلك الى أن غدر الفتوح بعجيسة أخيه سنة ثلاث وخمسين وبيته فظفر به وقتله ودهم المغرب اثر ذلك ما دهمه من أمر المرابطين من لمتونة وخشي الفتوح مغبة أحوالهم فأفرج عن فاس وزحف

صاحب القلعة بلكين بن محمد بن حماد الى المغرب سنة أربع وخمسين على عادتهم في غزوه ودخل فاس واحتمل من أكابرهم وأشرافهم رهنا على الطاعة وقفل الى قلعته وولى على المغرب بعد الفتوح معنصر بن حماد بن معنصر وشغل بحروب لمتونة وكانت له عليهم الوقعة المشهورة سنة خمس وخمسين ولحق بضربته وملك يوسف بن تاشفين والمرابطون فاس وخلف عليها عامله وارتحل الى غمارة فخالفه معنصر الى فاس وملكها وقتل العامل ومن معه من لمتونة ومثل بهم بالحرق والصلب ثم زحف الى مهدى ابن يوسف الكزنائى صاحب مدينة مكناسة وقد كان دخل فى دعوة المرابطين فهزمه وقتله وبعث برأسه الى سكوت البرغواطى   صاحب سبتة وقد بلغ الخبر الى يوسف بن تاشفين فسرح عساكر المرابطين لحصار فاس فأخذوا بمخنقها وقطعوا المرافق عنها حتى اشتد بأهلها الحصار ومسهم الجهد وبرز معنصر لاحدى الراحتين فكانت الدائرة عليه وفقد فى الملحمة ذلك اليوم سنة ستين وبايع أهل فاس من بعده لابنه تميم بن معنصر فكانت أيامه أيام حصار وفتنة وجهد وغلاء وشغل يوسف ابن تاشفين عنهم بفتح بلاد غمارة حتى اذا كان سنة ثنتين وستين وفرغ من فتح غمارة صمد الى فاس فحاصرها أياما ثم اقتحمها عنوة وقتل بها زهاء ثلاثة آلاف من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة وقبائل زناتة وهلك تميم فى جملتهم حتى أعوزت مواراتهم فرادى فاتخذت لهم الاخاديد وقبروا جماعات وخلص من نجا من القتل منهم الى تلمسان وأمر يوسف بن تاشفين بهدم الاسوار التى كانت فاصلة بين العدوتين وصيرهما مصرا واحدا وأدار عليهما سورا واحدا وانقرض أمر مغراوة من فاس والبقاء لله سبحانه وتعالى

في الاصل بياض

خزر بن عبد الله بن عطية بن زيري بن المعز بن معنصر بن حماد بن معنصر بن ...

أولاه القديد بن حماد صاحب القلعة

حمامة

الفتوح بن دوناس حمامة بن المعز

عطية

الخبر عن بني خزرون ملوك سجلماسة من الطبقة الاولى من مغراوة وأولية ملكهم ومصائره

كان خزرون بن فلفول من أمراء مغراوة واعيان بني خزر ولما غلبهم بلكين بن زيري على المغرب الاوسط تحيزوا الى المغرب الاقصى وراء ملوية وكان بنو خزر يدينون بالدعوة المروانية كما ذكرناه وكان المنصور بن أبي عامر القائم بدولة المؤيد قد اقتصر لاول حجابته من أحوال العدوة على ضبط سبتة برجال الدولة ووجوه القواد وطبقات العسكر ودفع ماوراءها الى أمراء زناتة من مغراوة وبني يفرن ومكناسة وعول في ضبط كوره وسداد ثغوره عليهم وتعهدهم بالعطاء وأفاض فيهم الاحسان فازدلفوا اليه بوجوه التقربات وأسباب الوصائل وكان خزرون بن فلفول هذا زحف يومئذ الى سجلماسة وبها المعتز من أعقاب آل مدرار فانتزى بها أخوه المنتصر بعد قفول جوهر من المغرب وظفر بأميرهم الشاكر لله محمد بن الفتح فوثب المنتصر من أعقابهم بعده على سجلماسة وتملكها ثم وثب به أخوه أبو محمد سنة ثنتين وخمسين وثلثمائة فقتله وقام بأمر سجلماسة وأعاد بها ملك بني مدرار وتلقب المعتز بالله فزحف اليه خزرون بن فلفول سنة

سبع وستين فى جموع مغراوة وبرزاليه المعتز فهزمه خزرون واستولى على مدينة سجلماسة ومحا دولة آل مدرار والخوارج منها آخر الدهر وأقام الدعوة بها للمؤيد هشام فكانت أول دولة أقيمت للمروانيين بذلك الصقع ووجد للمعتز مالا وسلاحا فاحتقبها وكتب بالفتح الى هشام وأنفذ رأس المعتز فنصب بباب سدته ونسب الاثر فى ذلك الفتح لصنابة محمد بن أبى عامر وبين طائره وعقد لخزرون على سجلماسة ومن بعده ابنه وانودين ثم كان زحف زيرى بن مناد الى المغرب الاقصى سنة تسع وستين وفرت زناتة أمامه الى سبتة وملك أعمال المغرب وولى عليها من قبله وحاصر سبتة ثم أفرج عنها وشغل بجهاد برغواطة وبلغه أن وانودين بن خزرون أغار على نواحى سجلماسة وأنه دخلها عنوة وأخذ عامله وما كان معه من الاموال والذخيرة فدخل اليها سنة ثلاث وتسعين وفصل عنها فهلك فى طريقه ورجع وانودين بن خزرون الى سجلماسة وفى اثناء ذلك كان استيلاء زيرى بن عطية بن عبد الله بن خزر على المغرب وملك فاس بعهد هشام ثم انتقض على المنصور آخرا وأجاز ابنه عبد الملك فى العساكر الى العدوة سنة ثمان وثمانين فغلب عليها بنى خزرون نزل فاس وبث العمال فى سائر نواحى المغرب لسد الثغور وجباية الخراج وعقد فيما عقد على سجلماسة لحميد بن يصل المكناسى النازع اليهم من أولياء الشيعة فعقد له على سجلماسة حين نزعها بنو خزرون فملكها وأقام فيها الدعوة ولما قفل عبد الملك الى العدوة وأعادوا ضحا الى عمله بفاس استأمن اليه كثير من بنى خزر كان منهم وانودين بن خزرون صاحب سجلماسة وابن عمه فلفول بن سعيد فأمنهم ثم رجع وانودين الى عمله بسجلماسة بعد أن تضمن وانودين وفلفول بن سعيد على مال مفروض وعدة من الخيل والدرق يحملان اليه ذلك كل سنة وأعطيا فى ذلك أبناءهما رهنا فعقد لهما وانصرفا بذلك واستقل وانودين بعد ذلك بملك سجلماسة منذ اول سنة تسعين مقيما فيها الدعوة المروانية ورجع المعز بن زيرى الى ولاية المغرب بعهد المظفر ابن أبى عامر سنة ست وتسعين واستثنى عليه فيها أمر سجلماسة لمكان وانودين بها ولما استرسلت الخلافة بقرطبة وكان أمر الجماعة والطوائف واستبد أمراء الانصار والثغور وولاة الاعمال بما فى أيديهم استبد وانودين هذا بأعمال سجلماسة وتغلب على عمل درعة واستضافه اليه ونهض المعز بن زيرى صاحب فاس سنة سبع وأربعمائة مع جموع من مغراوة يحاول انتزاع هذه الاعمال من يد وانودين فبرز اليه فى جموعه وهزمه وكان ذلك سببا فى اضطراب أمر المعز الى أن هلك واستفحل ملك وانودين واستولى على صبروت من أعمال فاس وعلى جميع قصور ملوية وولى عليها من أهل بيته ثم هلك وولى أمره من بعده ابنه مسعود بن وانودين ولم أقف على تاريخ ولايته ومهلك أبيه (ولما

ظهر عبد الله بن ياسين واجتمع اليه المرابطون من لمتونة ومسوفة وسائر الملثمين وافتتحوا أمرهم بغزو درعة سنة خمس وأربعين فأغاروا على ابل كانت هنالك في حمى لمسعود بن وانودين وقتل كما ذكرناه في أخبار لمتونة ثم عاودوا الغزو الى سجلماسة فدخلوها من العام المقبل وقتلوا من كان بها من فل مغراوة ثم تتبعوا من بعد ذلك أعمال المغرب وبلاد سوس وجبال المصامدة وافتتحوا اصفروى سنة خمس وخمسين وقتلوا من كان بها من أولاد وانودين وبقية مغراوة ثم افتتحوا حصون ملوية سنة ثلاث وستين وانقرض أمر بني وانودين كان لم يكن والبقاء لله وحده وكل شئ هالك الا وجهه سبحانه وتعالى لا رب سواه ولا معبود الا اياه وهو على كل شئ قدير

مسعود بن وانودين بن خزرون بن فلفول بن خزر ـ قتله عبد الله بن ياسين والمرابطون

ـ ملك سجلماسة من يد المعتز بن محمد بن مدرار وعقد له عليها هشام المؤيد

فلفول بن سعيد ـ

الخبر عن ملوك طرابلس من بني خزرون بن فلفول من الطبقة الاولى وأولية أمرهم وتصاريف أحوالهم

كان مغراوة وبنو خزر ملوكهم قد تحيزوا الى المغرب الاقصى أمام بلكين ثم اتبعهم سنة تسع وستين في زحفه المشهور واجحرهم بساحل سبتة حتى بعثوا صريخهم الى المنصور وجاءهم الى الجزيرة مشارفا لاحوالهم وأمدهم بجعفر بن يحيى ومن كان معه من ملوك البربر وزناتة فامتنعوا على بلكين ورجع عنهم فتقرأ أعمال المغرب وهلك في منصرفه سنة ثنتين وسبعين ورجع أحياء مغراوة وبنو يفرن الى مكانهم منه وبعث المنصور الوزير حسن بن عبد الودود عاملا على المغرب وقدم سنة ست وسبعين واختص مقاتلا وزيري ابني عطية بن عبد الله بن خزر بمزيد التكرمة ولحق نظراءهما من أهل بيتهما الغيرة من ذلك فنزع سعيد بن خزرون بن فلفول بن خزر الى صنهاجة سنة سبع وسبعين منحرفا عن طاعة الاموية ووافى المنصور بن بلكين باشير منصرفه من احندى

غزواته فتلقاه بالقبول والمساهمة وبالغ في تكرمته وعقد له على عمل طبنة سنة
احدى وثمانين وخرج للقائه واحتفل في تكرمته ونزله وأدركه الموت بالقيروان فهلك
لسنته وورد ابنه فلفول من مكان عمله فعقد له على عمل أبيه وخلع عليه وزف اليه بنته
وسوغه ثلاثين حملا من المال وثلاثين تختا من الثياب وقرب اليه مراكب بسروج
مثقلة وأعطاه عشرة من البنود مذهبة وانصرف الى عمله وهلك المنصور بن بلكين سنة
خمس وثمانين وولى ابنه باديس فعقد لفلفول على عمله بطبنة ولما انتقض زيرى بن عطية
على المنصور بن أبي عامر وسرح اليه ابنه المظفر كما قلناه فغلبه على أعمال المغرب ولحق
زيرى بالقفر ثم عاج على المغرب الاوسط ونازل ثغور صنهاجة وحاصر تيهرت وبها
يطوفت بن بلكين وزحف اليه حماد بن بلكين من أشير في العساكر من تلكاتة ومحمد بن
أبي العرب قائد باديس بعثه في عساكر صنهاجة من القيروان مددا ليطوفت وأوعز
الى فلفول وهو باشيران يكون معهم ولقيهم زيرى بن عطية ففض جموعهم واستولى على
معسكرهم واضطربت افريقية فتنة وتنكرت صنهاجة لمن كان بجهاتها من قبائل
زناتة وخرج باديس بن المنصور من رقادة في العساكر الى المغرب ولما مر بطبنة استقدم
فلفول بن سعيد بن خزرون ليستظهر به على حربه فاستراب واعتذر عن الوصول وسأل
تجديد العهد الى مقدم السلطان فأسعف ثم اشتدت استرابته ومن كان معه من مغراوة
فارتحلوا عن طبنة وتركوها ولما أبعد باديس رجع فلفول الى طبنة فعاث في نواحيها
ثم فعل في تيجس كذلك ثم حاصر باغاية وانتهى باديس الى أشير وفر زيرى بن عطية الى
صحراء المغرب ورجع على باديس بعد أن ولى على تاهرت وأشير عمه يطوفت بن بلكين
وانتهى الى المسيلة فبلغه خروج عمومته ماكسن وزاوى وعزم ومقنين فخاف أبو
البهار زيرى ولحق بهم من معسكره وبعث باديس في أثرهم عمه حماد بن
بلكين ورحل هو الى فلفول بن سعيد بعد أن كان سرح عساكره اليه وهو محاصر باغاية
فهزمهم وقتل قائدهم أبا زعبل ثم بلغه وصول باديس فأفرج عنها واتبعه باديس الى
مرماجنة فتزاحفوا وقد اجتمع لفلفول من قبائل زناتة والبربر أمم فلم يثبتوا اللقاء
وانكشفوا عنه وانهزم الى جبل الحناش ونزل الفسطون بما فيه وكتب باديس بالفتح
الى القيروان وقد كان الارجاف أخذ منهم المأخذ وفر كثير منهم الى المهدية وشرعوا
في عمل الدروب بما كانوا يتوقعون من فلفول بن سعيد حين قتل أبا زعبل وهزم جيوش
صنهاجة وكانت الواقعة آخر سنة تسع وثمانين وانصرف باديس الى القيروان ثم بلغه
ان أولاد زيرى اجتمعوا مع فلفول بن سعيد وعاقدوه ونزلوا جميعا لحصر تبسة فخرج
باديس من القيروان اليهم فافترقوا ولحق العمومة بزيرى بن عطية ما خلا ماكسن وابنه

حسنا فانهما أقاما مع فلفول ورجع باديس فى أثره سنة احدى وتسعين وانتهى الى بسكرة ففر فلفول الى الرمال وكان زيرى بن عطية محاصر الاشير أثناء هذه الفتنة فأفرج عنها ورجع عنها أبو البهار الى باديس وقفل معه الى القيروان وتقدم فلفول بن سعيد الى نواحى قابس وطرابلس فاجتمع اليه من هنالك من زناتة وملك طرابلس على مانذكره (وذلك) أن طرابلس كانت من أعمال مصر وكان العامل عليها بعد رحيل معد الى القاهرة عبد الله بن يخلف الكتامى ولما هلك معد رغب بلكين من نزار العزيز اضافتها الى عمله فأسعفه بها وولى عليها تصولة بن بكار من خواص مواليه نقله اليها من ولاية بونة فلم يزل عليها الى أن أرسل الى الحاكم بمصر يرغب فى الكون فى حضرته وان يتسلم منه عمل طرابلس وكان برجوان الصقلى يستبد على الدولة وكان يغص بمكان يانس الصقلى منها فأبعده عن الحضرة لولاية برقة ثم لما تتابعت رغبة تصولة صاحب طرابلس أشار برجوان ببعث يانس اليها فعقد له الحاكم عليها وأمره بالنهوض الى عملها فوصلها سنة تسعين ولحق تصولة بمصر وبلغ الخبر الى باديس فسرح القائد جعفر بن حبيب فى العساكر لصده عنها وزحف اليه يانس فكانت عليه الهزيمة وقتل ولحق فتوح بن على من قواده بطرابلس فامتنع بها ونازله جعفر بن حبيب وأقام عليها مدة وبينما هو محاصر له اذ وصله كتاب يوسف بن عامر عامل قابس يذكر ان فلفول بن سعيد نزل على قابس وانه قاصد الى طرابلس فرحل جعفر عن البلد الى ناحية الجبل وجاء فلفول بن سعيد فنزل بمكانه وضاقت الحال بجعفر وأصحابه فارتحلوا معتصمين على المناجزة وقاصدين قابس فتخلى فلفول عن طريقهم وانصرفوا الى قابس وقدم فلفول مدينة طرابلس فتلقاه أهلها ونزل له فتوح بن على عن امارتها فملكها وأوطنها من يومئذ وذلك سنة احدى وتسعين وبعث بطاعته الى الحاكم فسرح الحاكم يحيى بن على بن حمدون وعقد له على أعمال طرابلس وقابس فوصل الى طرابلس وارتحل معه فلفول وفتوح بن على بن غفيان فى عساكر زناتة الى حصار قابس فحاصروها مدة ورجعوا الى طرابلس ثم رجع يحيى بن على الى مصر واستبد فلفول بعمل طرابلس وطالت الفتنة بينه وبين باديس ويئس من صريخ مصر فبعث بطاعته الى المهدى محمد بن عبد الجبار بقرطبة وأوفد اليه رسله فى الصريخ والمدد وهلك فلفول قبل رجوعهم اليه سنة أربعمائة واجتمعت زناتة الى أخيه وروا بن سعيد وزحف باديس الى طرابلس وأجفل وروا ومن معه من زناتة عنها ولحق باديس من كان بها من الجند فلقوه فى طريقه وتمادى الى طرابلس فدخلها ونزل قصر فلفول وبعث اليه وروا بن سعيد يسأل الامان له ولقومه فبعث اليه

محمد بن حسن من صنائعه فاستقدم وفدهم بامانة فوصلهم وولى وروا على نفزاوة والنعيم بن كنون على قسطيلية وشرط عليهم أن يرحلوا بقومهم على أعمال طرابلس فرجعوا الى أصحابهم وارتحل باديس الى القيروان وولى على طرابلس محمد بن الحسن ونزل وروا بنفزاوة والنعيم بقسطيلية (ثم انتقض) وروا سنة احدى وأربعمائة ولحق بجبال ايدمر فتعاقدوا على الخلاف واستضاف النعيم بن كنون نفزاوة الى عمله ورجع خزرون بن سعيد عن أخيه وروا الى السلطان باديس وقدم عليه بالقيروان سنة ثنتين وأربعمائة فتقبله ووصله وولاه عمل أخيه نفزاوة وولى بنى محلية من قومه على

لزناتة وزحف وروا بن سعيد فيمن

نفسه وصارت مدن

بياض بالأصل

معه من زناتة الى طرابلس وبرز اليه عاملها محمد بن حسن فتواقعوا ودارت بينهم حروب شديدة انهزم فيها وروا وهلك الكثير من قومه ثم راجع حصارها وضيق على أهلها فبعث باديس الى خزرون وأخيه والى النعيم بن كنون وأمراء الجريد من زناتة بأن يخرجوا الحرب صاحبهم فخرجوا اليه وتواقعوا بعبرة ما بين قابس وطرابلس ثم افترقوا ولحق أصحاب خزرون بأخيه وروا ورجع خزرون الى عمله واتهمه السلطان بالمداهنة فى شأن أخيه وروا فاستقدمه من نفزاوة فاسترابوا وأظهر الخلاف وسرح السلطان اليه فتوح بن أحمد فى العساكر فأجفل عن عمله واتبعه النعيم وسائر زناتة ولحقوا جميعا بوروا بن سعيد سنة أربع وتظاهروا على الخلاف ونصبوا الحرب على مدينة طرابلس واشتد فساد زناتة فقتل السلطان من كان عنده من رهن زناتة واتفق وصول مقاتل بن سعيد نازعا عن أخيه وروا فى طائفة من أبنائه وأخواله فقتلوا معهم جميعا وشغل السلطان بحرب عمه حماد ولما غلبه بشلب سنته وانصرف الى القيروان بعث اليه وروا بطاعته ثم كان مهلك وروا سنة خمس وأربعمائة واقتسم قومه على ابنه خليفة وأخيه خزرون بن سعيد واختلفت كلمتهم ودس حسن بن محمد عامل طرابلس فى التضريب بينهم ثم صار أكثر زناتة الى خليفة وناجز عمه خزرون الحرب فغلبه على القيطون وضبط زناتة وقام فيهم بأمر أبيه وبعث بطاعته الى السلطان باديس بمكانه من حصار القلعة فتقبلها ثم هلك باديس وولى ابنه المعز سنة ست وانتقض خليفة بن وروا عليه وكان أخوه حمادين وروا يتضرب على أعمال طرابلس وقابس ويواصل عليها الغارة والنهب الى سنة ثلاث عشرة فانتقض عبد الله بن حسن صاحب طرابلس على السلطان وأمكنه من طرابلس وكان سبب ذلك ان المعز بن باديس لاول ولايته استقدم محمد بن حسن من عمله واستخلف عليه أخاه عبد الله بن حسن وقدم على المعز وفوض اليه أمر مملكته وأقام على ذلك سبعا وتمكنت

حاله عند السلطان وكثرت السعاية به فنكب وقتل وبلغ الخبر الى أخيه فانتقض كما قلناه
وامكن خليفة بن ورروا وقومه من مدينة طرابلس فقتلوا الصنهاجيين واستولوا عليها
ونزل خليفة بقصر عبد الله وأخرجه عنه واستصفى أمواله وحرمه واتصل ملك خليفة
ابن ورروا وقومه بنى خزرون بطرابلس وخاطب الخليفة بالقاهرة الظاهر بن الحكم سنة
سبع عشرة بالطاعة وضمان السابلة وتشييع الرفاق ويحفظ عهده على طرابلس فأجابه
الى ذلك وانتظم فى عمله وأوفد فى هذه السنة أخاه حمادا على المعز بهديته فتقبلها وكافأه
عليها (هذا آخر ما حدث به) ابن الرقيق من أخبارهم ونقل ابن حماد وغيره أن المعز زحف
أعوام ثلاثين وأربعمائة الى زناتة بجهات طرابلس فبرزوا اليه وهزموه وقتلوا عبد الله
ابن حماد وسبوا أخته أم العلو بنت باديس ومنوا عليها بعد حين وأطلقوها الى أخيها
ثم زحف اليهم ثانية فهزموه ثم أتيحت له الكرة عليهم فغلبهم وأذعنوا السلطانه واتقوه
بالمهادنة فاستقام أمرهم على ذلك وكان خزرون بن سعيد لما غلبه خليفة بن ورروا على
امارة زناتة لحق بمصر فأقام فيها بدار الخلافة ونشأ بنوه بها وكان منهم المنتصر بن
خزرون وأخوه سعيد ولما وقعت الفتنة بين الترك والمغاربة بمصر وغلبهم الترك
وأجلوهم عنها لحق المنتصر وسعيد بطرابلس وأقاما فى نواحيها ثم ولى سعيد أمر طرابلس
ولم يزل واليا عليها الى أن هلك سنة تسع وعشرين (وقال أبو محمد) التيجانى فى رحلته
عند ذكر طرابلس ولما قتلت زغبة سعيد بن خزرون سنة تسع وعشرين قدم خليفة بن
خزرون من القيطون الى ولايتها فأمكنه منها رئيس الشورى وبها يومئذ من الفقهاء
أبو الحسن بن المنتصر المشتهر بعلم الفرائض وبايع له وقام بها خزرون الى سنة ثلاثين
بعدها فقام المنتصر بن خزرون فى ربيع الاول منها ومعه عساكر زناتة ففر خزرون بن
خليفة من طرابلس مختفيا وملكها المنتصر بن خزرون وأوقع بابن المنتصر ونفاه
واتصلت بها امارته انتهى ما نقله التيجانى (وهذا الخبر) مشكل من جهة أن زغبة من
العرب الهلاليين وانما جاؤا الى افريقية من مصر بعد الاربعين من تلك المائة فلا
يكون وجودهم بطرابلس سنة تسع وعشرين الا ان كان تقدم بعض أحيائهم الى
افريقية من قبل ذلك فقد كان بنو مرة ببرقة بعثهم الحاكم مع يحيى بن على بن حمدون
الا أن ذلك لم ينقله أحد ولم تزل طرابلس بأيدى بنى خزرون الزناتيين ولما وصل العرب
الهلاليون وغلبوا المعز بن باديس على أعمال افريقية واقتسموها كانت قابس
وطرابلس فى قسمة زغبة والبلد لبنى خزرون ثم استولى بنو سليم على الضاحية وغلبوا
عليها زغبة ورحلوهم عن تلك المواطن ولم تزل البلد لبنى خزرون وزحف المنتصر بن
خزرون مع بنى عدى من قبائل هلال مجلبا على بنى حماد حتى نزل المسيلة ونزل أشير ثم

خرج اليهم الناصر فقرأمامه الى الصحراء ورجع الى القلعة فرجعوا الى الاخلاف على اعماله فراسله الناصر على الصلح وأقطعه ضواحى الزاب وربعة وأوعز الى عروس ابن سندى رئيس بسكرة لعهده أن يمكر به فلما وصل المنتصر الى بسكرة أنزله عروس ثم قتله غيلة أعوام ستين وأربعمائة وولى طرابلس آخر من بنى خزرون لم يحضرنى اسمه واختل ملك صنهاجة واتصل فيهم ملك تلك الاعمال الى سنة أربعين وخمسمائة ثم نزل بطرابلس ونواحيها فى هذا العام مجاعة وأصابهم منها شدة هلك فيها الناس وفر واعنها وظهر اختلال أحوالها وفساد حاميتها فوجه اليها الطاغية صقلية اسطولا لحصارها بعد استيلائه على المهدية وصفاقس واستقرار ولايته فيما ووقع بين أهل طرابلس الخلاف فغلب عليهم جرجى بن ميخايل قائد الاسطول وملكها وأخرج منها بنى خزرون وولى على البلد شيخهم أبا يحيى بن مطروح التميمى فانقرض أمر بنى خزرون منها وبقى منهم من بقى بالضاحية الى ان افتتح الموحدون افريقية آخر الدولة الصنهاجية والملك لله وحده يؤتيه من يشاء من عباده سبحانه لا اله غيره

خزرون بن خليفة بن وروار بن سعيد بن خزرون بن فلفول بن خزر

سعيد بن خزرون — المنتصر

تاج — زروال

{الخبر عن بنى يعلى ملوك تلمسان من آل خزر من أهل الطبقة الاولى والالمام ببعض دولهم ومصائرها}

قد ذكرنا فى أخبار محمد بن خزر وبنيه أن محمد بن الخير الذى قتل نفسه فى معركة بلكين كان من ولده الخير ويعلى وأنهما اللذان ثأرا منه بأبيهما زيرى فقتلوه واتبعهم بلكين من بعد ذلك وأجلاهم الى المغرب الاقصى حتى قتل منهم محمد صبرا أعوام ستين

وثلثمائة بنواحي سجلماسة قبل وصول سعد الى القاهرة وولاية بلكين على افريقية
وقام بأمر زناتة بعد الخير محمد وعمه يعلى بن محمد وتكررت اجازة محمد بن الخير هذا وعمه
يعلى الى المنصور بن أبي عامر كما ذكرناه ذلك من قبل وغلبهم ابنا عطية بن عبد الله بن خزر
وهما مقاتل وزيري على رياسة مغراوة وهلك مقاتل واختص المنصور زيري بن عطية
باثرته وولاه على المغرب كما ذكرناه وقارن ذلك مهلك بلكين وانتقاض أبي البهار
ابن زيري صاحب المغرب الاوسط على باديس فكان من شأنه مع زيري ويدوى بن
يعلى ما قدمناه ثم استقل زيري وغلبهم جميعا على المغرب ثم انتقض على المنصور فأجاز
اليه ابنه المظفر وأخرج زناتة من المغرب الاوسط فتوغل زيري في المغرب الاوسط
ونازل أمصاره وانتهى الى المسيلة واشير وكان سعيد بن خزرون قد نزع الى زناتة
وملكوا طبنة واجتمع زناتة بافريقية عليه وعلى ابنه فلفول من بعده وانتقض فلفول
على باديس عند زحف زيري الى المسيلة واشير وشغل باديس ثم ابنه المنصور على المغرب
الاوسط بحروب فلفول وقومه ودفعوا اليه حماد بن بلكين فكانت بينه وبين زناتة
حروب سجال وهلك زيري بن عطية واستقل المعز وابنه بملك المغرب سنة ثلاث وتسعين
وثلثمائة وغلب صنهاجة على تلمسان وما اليها واختط مدينة وجدة كما ذكرنا ذلك كله
من قبل ونزل يعلى بن محمد مدينة تلمسان فكانت خالصة له وبقي ملكها وسائر
ضواحيها في عقبه ثم هلك حماد بعد استبداده ببلاد صنهاجة على آل بلكين وشغل بنوه
بحرب بني باديس فاستوسق ملك بني يعلى خلال ذلك بتلمسان واختلفت أيامهم مع آل
حماد سلما وحربا ولما دخل العرب الهلاليون افريقية وغلبوا المعز وقومه عليها
واقتسموا سائر أعمالها ثم تخطوا الى اعمال بني حماد فأجروهم بالقلعة وغلبوهم على
الضواحي فرجعوا الى استئلافهم واستخلصوا الاثبج منهم وزغبة فاستظهروا بهم على
زناتة المغرب الاوسط وأنزلوهم بالزاب وأقطعوهم الكثير من أعماله فكانت بينهم
وبين بني يعلى أمراء تلمسان حروب ووقائع وكان زغب أقرب اليهم بالمواطن وكان
أمير تلمسان لعهدهم بختي من ولد يعلى وكان وزيره وقائد حروبه أبا سعيد بن خليفة
بن   اليفرني فكان كثيرا ما يخرج بالعساكر من تلمسان لقتال عرب الاثبج
وزغبة ويحتشد من اليها من زناتة من أهل المغرب الاوسط مثل مغراوة وبني يفرن
وبني يلومو وبني عبد الواد وتوجين وبني مرين وهلك في بعض تلك الملاحم هذا الوزير
أبو سعيد أعوام خمسين وأربعمائة (ثم ملك) المرابطون أعمال المغرب الاقصى بعد
مهلك بختي وولاية ابنه العباس بن بختي بتلمسان وسرح يوسف بن تاشفين قائده مزدلي بن
في عساكر لمتونة لحرب من بقي بتلمسان من مغراوة ومن لحق بهم

بياض بالاصل : بياض بالاصل

من قبل بني زيري وقومهم فدوّخ المغرب الاوسط وظفر بمعلى بن العباس بن يحيى بن المدافع بهم فهزمه وقتله وانكفأ راجعا الى المغرب ثم نهض يوسف بن تاشفين بنفسه في جموع المرابطين سنة ثلاث وسبعين فافتتح تلمسان واستلحم بني يعلى ومن كان بها من مغراوة وقتل العباس بن يحيى أميرها من بني يعلى ثم افتتح وهران وتنس وملك جبل وانشريس وشلف الى الجزائر وانكفأ راجعا وقد محى أثر مغراوة من المغرب الاوسط وأنزل محمد بن تينعمر المسوفي في عسكر من المرابطين بتلمسان واختط مدينة تاكرارت بمكان معسكره وهو اسم المحلة بلسان البربر وهي التي صارت اليوم مع تلمسان القديمة التي تسمى أكادير بلدا واحدا وانقرض أمر مغراوة من جميع المغرب كأن لم يكن والبقاء لله وحده سبحانه

معلى بن العباس بن يحيى بن | بن يعلى بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر

(الخبر عن أمراء اغمات من مغراوة)

لم أقف على أسماء هؤلاء الا أنهم أمراء باغمات آخر دولة بني زيري بفاس وبني يعلى اليفرني بسلا وتادلا في جوار المصامدة وبرغواطة وكان لقوط بن يوسف بن علي آخرهم في سني الحسين وأربعمائة وكانت امرأته زينب بنت اسحق النفزاوية من احدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة ولما غلب المرابطون على اغمات سنة تسع وأربعين نزل لقوط هذا الى تادلا سنة احدى وخمسين وقتل الامير محمد واستلحم بني يفرن فكان فيمن استلحم وخلفه أبو بكر بن عمر أمير المرابطين على زينب بنت اسحق حتى اذا ارتحل الى الصحراء سنة ثلاث وخمسين واستعمل ابن عمه يوسف بن تاشفين على المغرب نزل له عن زوجه زينب هذه فكان لها رياسة أمره وسلطانه وما أشارت اليه عند مرجع أبي بكر من الصحراء في اظهار الاستبداد حتى تجافى عن منازعته وخلص ليوسف بن تاشفين ملكه كما ذكرناه في أخبارهم ولم نقف من لقوط بن يوسف وقومه على غير هذا الذي كتبناه والله ولي العون سبحانه

(الخبر عن بني سنجاس وريغة والاغواط وبني ورا من قبائل مغراوة من أهل الطبقة الاولى وتصاريف أحوالهم)

هذه البطون الاربعة من بطون مغراوة وقد زعم بعض الناس أنهم من بطون زناتة غير مغراوة أخبرني بذلك الثقة عن ابراهيم بن عبد الله التمزوغتي قال وهو نسابة زناتة لعهده ولم تزل هذه البطون الاربعة من أوسع بطون مغراوة (فأما) بنو سنجاس فلهم مواطن في كل عمل من افريقية والمغرب فمنهم قبلة المغرب الاوسط بجبل راشد وجبل كريكرة وبعمل الزاب وببلاد شلف ومن بطونهم بنو عياد ببلاد شلف أيضا وبنو عياد

وملكوا عليهم أمرهم وصاروا اليهم فيه ومن بنى سنجاس من نزل الزاب وهم لهذا العهد
أهل مغارم لمن غلب على ثغورهم من مشايخهم وأما من نزل منهم ببلاد شلف ونواحى
قسنطينة فهم لهذا العهد أهل مغارم الدول وكانت بينهم جموع الخارجة على سلطان
زناتة فى الطبقة الاولى ومن بقى منهم اليوم بالزاب فعلى ذلك ومن بنى سنجاس هؤلاء
بأرض الشلف من جبل بنى راشد وطنوا جبالا فى جوار غمرة وصاروا عند تغلب
الهلاليين فى ملكهم يقبضون الاتاوة منهم ونزل منهم لهذا العهد الصحارى من بطون
عروة من زغبة وغلبوهم على أمرهم وأصاروهم خولا (وأما بنو ريغة) فكانوا
أحياء متعددة ولما افترق أمر زناتة تحيز منهم الى جبل عياض وما اليه من بسيطه الى
تعاوس وأقاموا فى مواطنهم فمن كان بجبل عياض منهم أهل مغارم لامراء عياض
يقبضونها للدولة الغالبة ببجاية وأما من كان ببسيط تعاوس فهم فى اقطاع العرب لهذا
العهد ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب وواركلا فاختطوا قصورا كثيرة
فى عدوتى واد ينحدر من المغرب الى المشرق يشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة
والاطم قد رف عليها الشجر ونضدت حفافيها النخيل وانساحت خلالها المياه وزهت
ينابيعها الصحراء وكثر فى قصورها العمران من ريغة هؤلاء وبهم تعرف لهذا العهد وهم
أكثرها ومن بنى سنجاس وبنى يفرن وغيرهم من قبائل زناتة وتفرقت جماعتهم للتنازع
فى الرياسة فاستقلت كل طائفة منهم بقصور منها أو بواحد ولقد كانت فيما يقال أكثر من
هذا العدد أضعافا وان ابن غانية المسوفى حين كان يجلب على بلاد افريقية والمغرب
فى فتنته مع الموحدين خرب عمرانها واجتث شجرها وغور مياهها وبيت بها لذلك آثار

العمران بها في أطلال الديار ورسوم البناء وأعجاز النخل المنقعر وكان هذا العمل
يرجع في أول الدولة الحفصية لعامل الزاب وكان من الموحدين ونزل بسكرة ما بينها
وبين مقرة وكان من أعماله قصور واركلا أيضا ولما فتك المنتصر بمشيخة الزواودة كما
قلناه في أخباره وقتلوا بعد ذلك عامل الزاب ابن عتو من مشيخة الموحدين وغلبوا على
ضواحي الزاب وواركلا وأقطعتهم إياها الدول بعد ذلك فصارت في اقطاعهم ثم عقد
صاحب بجاية بعد ذلك على العمل كله لمنصور بن مزني وانتقرض عقبه فربما يعطون
بعض الاحيان أهل تلك القصور المغرم للسلطان بما كان من الامر القديم ويمسك
عليهم في ذلك كتب رجل الزاب وجباية العرب ويبرزه اليهم أمراء الزواودة ثم يداخلهم
فيما يعتريه منهم وأكبر هذه الامصار يسمى تقرت مصر مستبحر العمران بدوي الاحوال
كثير المياه والنخل ورياسته في بني يوسف بن عبد الله وتغلب على واركلا من يد أبي
بكر بن موسى أزمان حداثته وأضافها الى عمله ثم هلك وصار أمر تقرت لاخيه مسعود
ابن عبد الله ثم لابنه حسن بن مسعود ثم لابنه أحمد بن حسن شيخها لهذا العهد وبنو
يوسف بن عبد الله هؤلاء من ريغة ويقال انهم من سنجاس وفي أهل تلك الامصار من
المذاهب الخوارج وفرقهم كثير وأكثرهم على دين العزابية ومنهم النكارية أقاموا
على انتحال هذه الخارجية لبعدهم عن منال الاحكام ثم بعد مدينة تقرت بلد تماسين
وهي دونها في العمران والخطة ورياسته لبني ابراهيم بن   من ريغة وسائر
أمصارهم كذلك كل مصر منها مستبد بأمره وحرب لجاره (وأما القواطن) وهم فخذ
من مغراوة أيضا فهم في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد ولهم هنالك قصر
مشهور بهم فيه فريق من أعقابهم على غيب من العيش لتوغلهم في القفر وهم
مشهورون بالنجدة والامتناع من العرب وبينهم وبين الزاب أقصى عمل الزاب
مرحلتان ويختلف قصودهم اليهم لتحصيل المرافق منهم والله يخلق ما يشاء ويختار
(وأما بنو ورا) فهم فخذ من مغراوة أيضا ويقال من زناتة وهم متشعبون ومفترقون
بنواحي المغرب منهم بناحية مراكش والسوس ومنهم ببلاد شلب ومنهم بناحية
قسنطينة ولم يزالوا على حالهم منذ انقراض زناتة الاولين وهم لهذا العهد أهل مغارم
وعسكرة مع الدول وأكثر الذين كانوا بمراكش قد انتقل رؤساؤهم الى ناحية شلب
نقلهم يوسف بن يعقوب سلطان بني مرين في أول هذه المائة الثامنة لما ارتاب بأمرهم
في تلك الناحية وخشي من افسادهم وعيثهم فنقلهم في عسكره الى وطن شلب لحماية
ذيرلوابه ولما ارتحل بنو مرين من بعد مهلك يوسف بن يعقوب أقاموا ببلاد شلب
فأعقابهم بها لهذا العهد وأحوالهم جميعا في كل قطر متقاربة في المغرم والعسكرة

مع السلطان ولله الخلق والامر جميعا سبحانه لا اله الا هو مالك العظيم

(الخبر عن بني ريان اخوة مغراوة وتصاريف احوالهم)

وهم منبثون كثيرا بين زناتة في المواطن وأما الجمهور منهم فوطنهم بملوية من المغرب الاقصى ما بين سجلماسة وكرسيف كانوا احلافا مجاورين لمكناسة في مواطنهم واختطوا احفافي وادي ملوية قصورا كثيرة ستقاربة الخطة ونزلوها وتعددت بطونهم وأفخاذهم في تلك الجهات ومنهم بنو وطاط متوطنون لهذا العهد بالجبال المطلة على وادي ملوية من جهة القبلة ما بينه وبين تازي وفاس وبهم تعرف تلك القصور لهذا العهد وكان لبني ريان هؤلاء صولة واعتزاز وأجاز الحكم المستنصر منهم والمنصور بن أبي عامر من بعده فيمن أجازوه من زناتة في المائة الرابعة وكانوا من أفحل جند الاندلس وأشدهم شوكة وبقي أهل المواطن منهم في مواطنهم مع مكناسة أيام ملكهم بالمغرب الاقصى ولما ملك لمتونة والموحدون من بعدهم لحق الطواعن منهم بالقفر فاختلطوا بأحياء بني مرين الموالين لتناول المغرب من زناتة أقاموا معهم في أحيائهم وبقي من عجز عن الظعن منهم بمواطنهم مثل بني وطاط وغيرهم ففرضت عليهم المغارم والجبايات ولما دخل بنو مرين للمغرب ساهموهم في اقتسام أعماله وأقطعوهم البلد الطيب من ضواحي سلا والمعمورة زيادة الى وطنهم الاول بملوية وأنزلوهم بنواحي سلا بعد أن كان منهم انحراف عنهم في سبيل المدافعة عن أوطانهم الاولى ثم اصطلحوا ورعى لهم بنو عبد الحق سابقتهم معهم فاصطفوهم للوزارة والتقدم في الحرب ودفعوهم الى المهمات وخالطوهم بأنفسهم وكان من أكابر رجالاتهم لعهد السلطان أبي يعقوب وأخيه أبي سعيد الوزير ابراهيم بن عيسى استخلصوه للوزارة مرة بعد أخرى واستعمله السلطان أبو سعيد على وزارة ابنه أبي علي ثم لوزارته واستعمل ابنه السلطان أبو الحسن ابناء ابراهيم هذا في أكابر الخدمة فعقد لمسعود بن ابراهيم على أعمال السوس عند ما فتحها أعوام الثلاثين والسبعمائة ثم عزله بأخيه حسون وعقد لحسون على بلاد الجريد من افريقية عند فتحه اياها سنة ثمان وأربعين وكان فيها مهلكه ونظم أخاهما موسى في طبقة الوزارة ثم أفرده بها أيام نكبته والحاقه بجبل هنتاتة واستعمله السلطان ابو عنان بعد في العظيمات وعقد له على أعمال تدويكش بنواحي قسنطينة ورشح ابنه محمد السبيع لوزارته الى ان هلك وتقلبت بهم الايام بعده وقلد عبد الحميد المعروف بحلي بن السلطان أبي علي وزارته محمد بن السبيع بعد هذا أيام حصاره لدار ملكهم سنة ثنتين وستين كما نذكره في أخبارهم فلم يقدر لهم الظفر ثم راجع السبيع بعدها الى محله من دار السلطان وطبقة الوزارة ومازال يتصرف في الخدم الجليلة والاعمال

الواسعة مابين سجلماسة ومراكش وأعمال تازى وبادة وغمارة وهو على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها سبحانه لا اله غيره

(الخبر عن وجديجن واوغمرت من قبائل زناتة ومبادى أحوالهم وتصاريفهم)

قد تقدم أن هذين البطنين من بطون زناتة من ولد ورتنيص بن جانا وكان لهم عدد وقوة ومواطنهم مفترقة فى بلاد زناتة فأما وجديجن فكان جمهورهم بالمغرب الاوسط ومواطنهم منه منداس مابين بنى يفرن من جانب المغرب ولواتة من جانب القبلة فى السرسو ومطماطة فى جانب الشرق فى وانشريس وكان أميرهم لعهد يحيى بن محمد اليفرنى رجل منهم اسمه عنان وكان بينهم وبين لواتة الموطنين بالسرسو فتنة متصلة يذكر أنها بسبب امرأة من وجديجن نكحت فى لواتة وتلاسمعها نساء قيلوتهم فعيرنها بالفقر فكتبت بذلك الى عنان تذمره فغضب واستجاش أهل عصبته من زناتة وجيرانه فزحف معه يعلى فى بنى يفرن وكمام بن حيانى فى مغيلة وغرابة فى مطماطة ودارت الحرب بينهم وبين لواتة مليا ثم غلبوا لواتة على بلاد السرسو واتبعوهم الى كدية لعابد من آخرها وهلك عنان شيخ وجديجن فى بعض تلك الوقائع علا كوا من جهات السرسو ثم لجأت زناتة الى جبل كريرة قبلة السرسو وكان يسكنه أحياء من مغراوة يعرف شيخهم لذلك العهد علاهم ربيب شيخهم عمر بن تامصا الهالك قبله ومعنى تامصا بلسان البربر الغول ولما لجأت لواتة اليه غدر بهم وأغرى قومه فوضعوا أيديهم فيهم قتلا وسلبا فلاذوا بالفرار ولحقوا بجبل معود وجبل دراك فاستقروا هنالك آخر الدهر وورثت وجديجن مواطنهم بمنداس الى ان غلبهم عليها بنو يلومين وبنو وماتو كل من جهته ثم غلب الآخرين عليها بنو عبد الواد وبنو توجين الى هذا العهد والله وارث الارض ومن عليها (وأما أوغمرت) ويسمى لهذا العهد غمرت وهم اخوة وجديجن من ولد ورتنيص بن جانا كما قلناه فكانوا من أوفر القبائل عددا ومواطنهم متفرقة وجمهورهم بالجبال الى قبلة بلاد صنهاجة من المسيلة الى الدوسن وكان لهم مع أبى يزيد صاحب الحمار فى الشيعة آثار وأوقع بهم اسمعيل القائم عند ظهوره على أبى يزيد وأثخن فيهم وكذلك بلكين وصنهاجة من بعده ولما افترق أمر صنهاجة لحماد وبنيه كانوا شيعا لهم على بلكين ونزع عن حماد أيام فتنته ابن أبى حلى من مشيختهم وكان مختصا بهم الى باديس فوصله وحمل أصحابه وعقد له على طبنة وأعمالها حتى اذا جاء العرب الهلاليون وغلبوهم على الضواحى اعتصموا بتلك الجبال قبلة المسيلة وبلاد صنهاجة وتعودوا بها عن الظعن وتركوا القيطون الى سكنى المدن ولما تغلب الزواودة على ضواحى الزاب وما اليها أقطعتهم الدولة مغارم هذه الجبال التى تعمرت وهم لهذا العهد

فى سهمان أولاد يحيى بن على بن سباع من بطونهم وكان فى القديم من غمرت هؤلاء كاهن زناتة موسى بن صالح مشهور عندهم حتى الآن ويتناقلون بينهم كلمات برطانتهم على طريق الرجز فيها أخبار بالحدثان فيما يكون لهذا الجيل الزناتى من الملك والدولة والتغلب على الاحياء والقبائل والبلدان شهد كثير من الواقعات على وفقها بعضها حتى لقد نقلوا من بعض كلماته ما معناه باللسان العربى ان تلمسان مآلها الخراب وتصير دورها فدنا حتى يثير أرضها حراث أسود بثور أسود أعور وذكر الثقات انهم عاينوا ذلك بعد انتشار كلماته هذه أيام لحقها الخراب فى دولة بنى مرين الثانية سنة ستين وسبعمائة وأفرط الخلاف بين هذا الجيل الزناتى فى التشيع له والحمل عليه فمنهم من يزعم انه نبى أو ولى وآخرون يقولون كاهن شيطان ولم توقفنا الاخبار الصحيحة على الجلى من أمره والله سبحانه وتعالى أعلم لا رب غيره

الخبر عن بنى واركلا من بطون زناتة والمصر المنسوب اليهم بصحراء افريقية وتصاريف أحوالهم

بنو واركلا هؤلاء احدى بطون زناتة كما تقدم من ولد فرنى بن جانا وقد مر ذكرهم وان اخوتهم الديرت ومرنجيصه وسبرترة وغمالة والمعروفون لهذا العهد منهم بنو واركلا وكانت فئتهم قليلة وكانت مواطنهم قبلة الزاب واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بسكرة فى القبلة عنها ميامنة الى المغرب بنوها قصورا متقاربة متقاربة الخطة ثم استبحر عمرانها فأتلفت وصارت مصرا واحدا وكان معهم هنالك جماعة من بنى زندال من مغراوة واليهم كان هرب أبى زيد النكارى عند فراره من الاعتقال سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان مقامه بينهم سنة يختلف الى بنى برزال قبلة المسيلة بسالات والى قبائل البربر بجبل أوراس يدعوهم جميعا الى مذهب النكارية الى أن ارتحل الى أوراس واستبحر عمران هذا المصر واعتصم به بنو واركلا هؤلاء والكثير من ظواعن زناتة عند غلب الهلاليين اياهم على الضواحى واختصاص الاثبج بضواحى القلعة والزاب وما اليها ولما استبد الامير أبو زكريا بن أبى حفص بملك افريقية وجال فى نواحيها فى اتباع بن غانية مر بهذا المصر فأعجبه وكلف بالزيادة فى تمصيره فاختط مسجده العتيق ومأذنته المرتفعة وكتب عليها اسمه وتاريخ وضعه نقشا فى الحجر وهذا البلد لهذا العهد باب لولوج السفر من الزاب الى المفازة الصحراوية المفضية الى بلاد السودان يسكنها التجار الداخلون اليها بالبضائع وسكانه لهذا العهد من بنى واركلا واعقاب اخوانهم من بنى يفرن ومغراوة ويعرف رئيسه باسم السلطان شهرة غير نكيرة بينهم ورياسته لهذه الاعصار مخصوصة ببنى أبى عبدل ويزعمون انهم

من بنى راكين احدى بيوت بنى واركلا ولهذا العهد أبو بكر بن موسى بن سليمان من بنى أبى عدل ورياستهم متصلة فى عمود هذا النسب وعلى عشرين مرحلة من هذا فى القبلة منحرفا الى المغرب بسير بلد تكرت قاعدة وطن الملثمين وركاب الحجاج من السودان اختطه الملثمون من صنهاجه وهم سكانه لهذا العهد وصاحبه أمير من بيوتاتهم يعرفونه باسم السلطان وبينه وبين أمير الزاب مراسلة ومهاداة (ولقد) قدمت على بسكرة سنة أربع وخمسين أيام السلطان أبى عنان فى بعض الاغراض السلطانية ولقيت رسول صاحب تكرت عند يوسف بن مزنى أمير بسكرة وأخبرنى عن استبحار هذا المصر فى العمارة ومرور السابلة وقال لى اجتاز بنا هذا العام سفر من تجار المشرق الى بلد مالى فكانت ركابهم اثنى عشر ألف راحلة وذكر لى غيره أن ذلك هو الشأن فى كل سنة وهذا البلد فى طاعة سلطان مالى من السودان كما فى سائر الصحراوية المعروفة بالملثمين لهذا العهد والله غالب على أمره سبحانه .

(الخبر عن دمر من بطون زناتة ومن ولى منهم بالاندلس وأولية ذلك ومصائره)

بنو دمر هؤلاء من زناتة وقد تقدم أنهم من ولد ورسيك بن الديرت بن جانا وشعوبهم كثيرة وكانت مواطنهم بافريقية فى نواحى طرابلس وجبالها وكان منهم آخرون ظواعن مع عرب افريقية ومن بطون بنى دمر هؤلاء بنو ورغمة وهم لهذا العهد مع قومهم بجبال طرابلس ومن بطونهم أيضا بطن متسع كثير الشعوب وهم بنو ورنيدين ابن وانتن بن واردين بن دمر وان من شعوبهم بنى ورتاتين وبنى عردول وبنى تغورت وربما يقال ان هؤلاء الشعوب لا ينتسبون الى بنى ورنيدين كما تقدم وبقايا بنى ورنيدين لهذا العهد بالجبل المطل على تلمسان بعد ان كانوا فى البسيط قبلته فزاحمهم بنو راشد حين أجلوهم من بلادهم بالصحراء الى التل وغلبوهم على تلك البسائط فارتاحوا الى الجبل المعروف بهم لهذا العهد وهو المطل على تلمسان وكان قد أجاز الى الاندلس من بنى دمر هؤلاء أعيان ورجالات حرب فيمن أجاز اليها من زناتة وسائر البربر أيام أخذهم بدعوة المنتصر فضمهم السلطان الى عسكره واستظهر بهم المنصور بن أبى عامر من بعد ذلك على شأنه وقوى بهم المستعين أديم دولته ولما عصوصب البربر على المستعين وبنى حمود من بعده وغالبوا جنود الاندلس من العرب وكانت الفتنة الطويلة بينهم التى نثرت سلك الخلافة وفرقت شمل الجماعة واقتسموا خطط الملك وولايات الاعمال وكان من رجالاتهم نوح الدمرى وكان من عظماء أصحاب المنصور وولاه المستعين أعمال مورور واركش فاستبد بها سنة أربع فى عمار الفتنة وأقام بها سلطانا لنفسه الى أن هلك سنة ثلاث وثلاثين فولى ابنه أبا مناد محمد بن نوح وتلقب بالحاجب عز الدولة . . . فى قرنان ملوك الطوائف وكانت بينه وبين ابن عباد شأن

بياض بالاصل

غرب الاندلس ومن المعتضد فى بعض أسفاره بحصن أركش وتطوف به مختفيا فقبض عليه بعض أصحاب بن نوح وساقه اليه فخلى سبيله وأولاه كرامة احتسبها عنده يدا وذلك سنة ثلاث وأربعين فانطلق الى دار ملكه ورجع بعدها الى ولاية الملوك الذين دونه من البربر وأسجل لابن نوح هذا على عمل اركش ومورور فيمن أسجل له منهم فصاروا الى مخالصته الى أن استدعاهم سنة خمس وأربعين بعدها الى صنع ودعا اليه الجفلى من أهل أعماله واختصه بدخول حمام أعده لهم امتبلاغا فى تكريمهم وتخلف ابن نوح عنده من بينهم فلما حصلوا داخل الحمام أطبقه عليهم وسد المنافس للهوى دونهم الى أن هلكوا ونجا منهم ابن نوح لسالفة يده وطير فى الحين من تسلم معاقلهم وحصونهم فانتظمها فى أعماله وكان منها رندة وشريش وسائر أعمالها وهلك من بعد ذلك الحاجب أبو منادبن نوح سنة   وولى ابنه أبو عبد الله ولم يزل المعتضد يضايقه الى أن انخلع سنة ثمان وخمسين فانتظمها فى أعماله وسار اليه محمد أبى مناد الى أن هلك سنة ثمان وستين وانقرض ملك بنى نوح والبقاء لله وحده سبحانه

أبو عبد الله بن الحاجب أبى مناد محمد بن نوح الدمرى

(الخبر عن بنى برزال احدى بطون دمر وما كان لهم من الحال بقرمونة وأعمالها من الاندلس أيام الطوائف وأولية ذلك ومصائره)

قد تقدم لنا ان بنى برزال هؤلاء من ولد ورنيد بن وانتن بن واردين بن دمر كما ذكره ابن حزم وان اخوتهم بنو يصدرين وبنو صغان وبنو يطوفت وكان بنو برزال هؤلاء بافريقية وكانت مواطنهم منها جبل سالات وما اليها من أعمال المسيلة وكان لهم ظهور ووفور عدد وكانوا نكارية من فرق الخوارج ولما فرّ أبو زيد أمام اسمعيل المنصور وبلغه ان محمد بن خزر يترصد له أجمع الاعتصام بسالات وصعد اليه وأرهقته عساكر المنصور فانتقل عنه الى كتامة وكان من أمره ما قدمناه ثم استقام بنو برزال على طاعة الشيعة وموالاة جعفر بن على بن حمدون صاحب المسيلة والزاب حتى صاروا له شيعا (ولما انتقض) جعفر بن معد سنة ستين وثلثمائة كان بنو برزال هؤلاء فى جملته من أهل خصوصيته فأجازوا معه البحر الى الاندلس أيام الحكم المستنصر فاستخدمهم ونظمهم فى طبقات جنده الى من كان به من قبائل زناتة وسائر البربر أيام أخذهم بالدعوة الاموية ومحاربتهم عليها الادارسة فاستقروا جميعا بالاندلس وكان لبنى برزال من بينهم ظهور وغنى مشهور (ولما أراد) المنصور بن أبى عامر الاستبداد على خليفته هشام وتوقع النكير من رجالات الدولة وموالى الحكم استكثر بنى برزال وغيرهم من البربر وأفاض فيهم الاحسان فاعتز امره واشتد أزره حتى أسقط رجال الدولة ومحى رسومها

بياض بالاصل

وأثبت أركان سلطانه ثم قتل صاحبهم جعفر بن يحيى كما ذكرناه خشية عصبيتهم
واستقالهم من بعده فأصبحوا له عصبة وكان يستعملهم في الولايات النبيهة والاعمال
الرفيعة وكان من أعيان بني برزال هؤلاء اسحق بن فولاه قرمونة
وأعمالها فلم يزل عليها أيام بني عامر وجدد له العقد عليها المستعين في فتنة البرابرة
وولي بأمره من بعده ابنه عبد الله (ولما انقرض) ملك بني حمود من قرطبة ودفع أهلها
القاسم المأمون عمهم سنة أربع عشرة أراد اللحاق بأشبيلية وبها ابنه محمد بن أبي
زيري من وجوه البربر بقرمونة عبد الله بن اسحق البرزالي فداخلهما القاضي ابن
عباد في خلع طاعة القاسم وصده عن العمل فأجاباه الى ذلك ثم دس للقاسم بالتحذير من
عبد الله بن اسحق فعدل القاسم عنهما جميعا الى شريش واستبد كل منهم بعمله ثم هلك
عبد الله من بعد ذلك وولي ابنه محمد سنة وكانت بينه وبين المعتمد بن
عباد حرب وظاهر عليه يحيى بن علي بن حمود في منازلة أشبيلية سنة ثمان عشرة ثم اتفق
مع ابن عباد بعدها وظاهر على عبد الله الافطس وكانت بينهما حرب كانت الدائرة فيها
على ابن الافطس وحصل ابنه المظفر قائد العسكر في قبضة محمد بن عبد الله بن اسحق الى
أن من عليه بعد ذلك وأطلقه ثم كانت الفتنة بين محمد بن اسحق وبين المعتضد وأغار
اسمعيل بن المعتضد على قرمونة في بعض الايام بعد ان كمن الكمين من الخيالة
والرجل وركب اليه محمد في قومه فاستطرد له اسمعيل الى أن بلغوا الكمائن فثاروا بهم
وقتلوا محمدا البرزالي وذلك سنة أربع وثلاثين وولي ابنه العزيز بن محمد وتلقب بالمستظهر
مناغيا الملوك الطوائف لعهده ولم يزل المعتضد يستولي على غرب الاندلس شيأ فشيأ الى
ان ضايقه في عمل قرمونة واقتطع منه اسجة والمدور ثم انخلع له العزيز عن قرمونة سنة
تسع وخمسين ونظمها المعتضد في ممالكه وانقرض ملك بني برزال من الاندلس
ثم انقرض من بعد ذلك حيهم من جبل سالات وأصبحوا في الغابرين والبقاء لله وحده
سبحانه

العزيز محمد بن عبد الله بن اسحق البرزالي

{الخبر عن بني ومانو وبني يلومي من الطبقة الاولى وما كان لهم من الملك والدولة بأعمال المغرب الاوسط ومبدا ذلك وتصاريفه}

هاتان القبيلتان من قبائل زناتة ومن توابع الطبقة الاولى ولم نقف على نسبهما الى جانا
الا أن نسابتهما متفقون على أن يلومي وورتاجن الذي هو أبو مرين اخوان وان مديون
أخوهما للام ذكر ذلك غير واحد من نسابتهم وبنو مرين لهذا العهد يعرفون لهم هذا
النسب ويرعون لهم العصبية له وكانت هاتان القبيلتان من أوفر بطون زناتة

وأشدهم شوكة ومواطنهم جميعا بالمغرب الاوسط وبنو ومانوا منهم الى جهة المشرق عن
وادى ميناس ومرات وما اليهما من أسافل شلب وبنو يلومى بالعدوة الغربية منه
بالجعبات والبطيماء وسيد وسيرات وجبل هوارة وبنى راشد (وكان لمغراوة) وبنى يفرن
التقدم عليهم فى الكثرة والقوة ولما غلب بلكين بن زيرى مغراوة وبنى يفرن على
المغرب الاوسط وأزاحهم الى المغرب الاقصى بقيت هاتان القبيلتان بمواطنهما
واستعملهم صنهاجه فى حروبهم حتى اذا تقلص ملك صنهاجه عن المغرب الاوسط
واعتزوا عليهم واختص الناصر بن علناس صاحب القلعة ومختط بجاية بنى ومانوا
هؤلاء بالولاية فكانوا اشيعا القومه دون يلومى وكانت رياسة بنى ومانوا فى بيت منهم
يعرفون ببنى ماخوخ وأصهر المنصور بن الناصر الى ماخوخ منهم فى أخته فزوجها
اليه فكان لهم بذلك مزيد ولاية فى الدولة ولما ملك المرابطون تلمسان أعوام سبعين
وأربعمائة وأنزل يوسف بن تاشفين بها عامله محمد بن تينعمر المسوفى ودوخ أعمال
المنصور وملك أمصارها الى أن نازل الجزائر وهلك فولى أخاه تاشفين على عمله فغزا أشير
وافتتحها وهدمها وكان لهذين الحيين فى مظاهرته وامداده أحقد عليهم المنصور بعدها
وأغرى بنى ومانوا فى عساكر صنهاجة لهم ماخوخ فهزمه وأتبعه منهزما
الى بجاية وقتل لدخله الى قصره قتلته زوجته أخت ماخوخ تشفيا وضغنا ثم نهض الى
تلمسان فى العساكر واحتشد العرب من الاثبج ورياح وزغبة ومن لحق به من زناتة
وكانت الغزاة المشهورة سنة ست وثمانين أبقى فيها ابن تينعمر المسوفى بعد استمكانه
من البلد كما ذكرناه فى أخبار صنهاجة ثم هلك المنصور وولى ابنه العزيز وراجع ماخوخ
ولايته وأصهر اليه العزيز أيضا فى ابنته فزوجها اياه واعتز البدو فى نواحى المغرب
الاوسط واشتعلت نار الفتنة بين هذين الحيين من بنى ومانوا وبنى يلومى فكانت بينهم
حروب ومشاهد وهلك ماخوخ وقام بأمره فى قومه بنوه تاشفين وعلى وأبو بكر وكان
أحياء زناتة الثانية من بنى عبد الواد وتوجين وبنى راشد وبنى ورسفان من مغراوة
مددا وربما ادبنو من بنى اخوانهم بنى يلومى لقرب مواطنهم منهم
الا أن زناتة الثانية لذلك العهد مغلوبون لهذين الحيين وأمرهم تبع لهم الى أن ظهر
أمر الموحدين وزحف عبد المؤمن الى المغرب الاوسط فى اتباع تاشفين بن على وتقدم
أبو بكر بن ماخوخ ويوسف بن زيد من بنى ومانوا الى طاعته ولحقوه بمكانه من أرض
الريف فسرح معهم عسكر الموحدين لنظر بن واندين بن بن
يغمور فاثخنوا فى بلاد بنى يلومى وبنى عبد الواد ولحق صريخهم بتاشفين بن على بن
يوسف فأمدهم بالعساكر ونزلوا منداس واجتمع لبنى يلومى بنو ورسفان من مغراوة

بياض بالاصل

بياض بالاصل

بياضان بالاصل

وبني توجين من بني بادين وبنو عبد الواد منهم ايضا وشيخهم حمامة بن مظهر وبنو يكاسن من بني مرين وأوقعوا ببني وماتوا وقتلوا أبابكر في ستمائة منهم واستنقذوا غنائمهم وتخلص الموحدون وفل بني وماتوا بجبل سيرات ولحق تاشفين بن ماخوخ صريخا بعبد المؤمن وجاء في جملته حتى نزل تاشفين بن علي بتلمسان ولما ارتحل في أثره الى وهران كما قدمناه سرح الشيخ أبو حفص في عساكر الموحدين الى بلاد زناتة فنزلوا منداس وسط بلادهم وأثخنوا فيهم حتى أذعنوا للطاعة ودخلوا في الدعوة ووفد على عبد المؤمن بمكانه من حصار وهران مقدمهم سيد الناس بن أمير الناس شيخ بني يلومي وحمامة بن مظهر شيخ بني عبد الواد وعطية الحيو شيخ بني توجين وغيرهم فتلقاهم بالقبول ثم انتقضت زناتة بعدها وامتنع بنو يلومي بحصنهم الجعبات ومعهم شيخهم سيد الناس ومدرج ابنا سيد الناس فحاصرتهم عساكر الموحدين وغلبوهم عليها وأشخصوهم الى المغرب ونزل سيد الناس بمراكش وبها كان مهلكه أيام عبد المؤمن وهلك بعد ذلك بنو ماخوخ (ولما) أخذ أمر هذين الحيين في الانتقاض جاذب بنو يلومي في تلك الاعمال بنو توجين وشاجروهم في أحوالهم ثم واقعوهم الحرب في جوانبه وتولى ذلك فيهم عطية الحيو شيخ بني توجين وصلي بنارها معه منهم بنو منكوش من قومه حتى غلبوهم على مواطنهم وأذلوهم واصاروهم جيرانا لهم في قياطينهم واستعلى بنو عبد الواد وتوجين على هذين الحيين وغيرهم بولايتهم للموحدين ومخالطتهم اياهم فذهب شأنهم وافترق قبيلهم أوزاعا في زناتة الوارثين أوطانهم من عبد الواد وتوجين والبقاء لله سبحانه (ومن بطون بني وماتوا هؤلاء بنو ياسدس) وقد يزعم زاعمون انهم من مغراوة ومواطنهم متصلة قبلة المغرب الاقصى والاوسط وراء العرق المحيط بعمرانها المذكور قبل واختطوا في المواطن القصور والاطم واتخذوا بها الجنات من النخيل والاعناب وسائر الفواكه فمنها على ثلاث مراحل قبلة سجلماسة ويسمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المائتين أخذت من المشرق الى المغرب وآخرها من جانب المشرق يسمى تمنطيت وهو بلد مستبحر في العمران وهو محط ركاب التجر المترددين من المغرب الى بلد مالي من السودان لهذا العهد ومن بلد مالي اليه وبينه وبين ثغر بلاد مالي المسمى غا المفازة المجهلة لا يهتدى فيها للسبيل ولا يمر الوارد الا بالدليل الخبير من الملثمين الظواعن بذلك القفر يستأجره التجار على الدلالة بهم فيها باوفر الشروط وكانت بلد بودى وهي أعلى تلك القصور بناحية المغرب من بادية السوس هي الركاب الى ولاتن الثغر الآخر من أعمال مالي ثم أهملت لما صارت الاعراب بادية السوس يغيرون على سابلتها ويعترضون رفاقها فتركوا تلك ونهجوا الطريق الى

بياض بالاصل (?)

بلد السودان من أعلى تمنطيت ومن هذه القصور قبلة تلمسان وعلى عشر مراحل منها قصور تيكارين وهى كثيرة تقارب المائة فى بسيط واد منحدر من المغرب الى المشرق واستبحرت فى العمران وغصت بالساكن وأكثر سكان هذه القصور الغربية فى الصحراء بنو يامدس هؤلاء ومعهم من سائر قبائل البربر مثل وتطغير ومصاب وبنى عبد الواد وبنى مرين وهم أهل عدد وعدة وبعد عن هضيمة الاحكام وذل المغارم وفيهم الرجالة والخيالة وأكثر معاشهم من بلح النخل وفيهم التجار الى بلاد السودان وضواحيهم كلها ممتناة للعرب ومختصة بعبيد الله من المعقل عينتها لهم قسمة الرحلة وربما شاركهم بنو عامر بن زغبة فى تيكرارين فتصل اليها ناجعتهم بعض السنين وأما عبيد الله فلا بد لهم فى كل سنة من رحلة الشتاء الى قصور توات وبلد تمنطيت ومع ناجعتهم تخرج قفول التجار من الامصار والتلول حتى يحطوا بتمنطيت ثم يبذرقون منها الى بلاد السودان وفى هذه البلاد الصحراوية غريبة فى استنباط المياه الجارية لا توجد فى تلول المغرب وذلك ان البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها الى أن يوصل بالحفر الى حجارة صلدة فتنحت بالمعاول والفؤس الى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها على الماء فينبعث صاعدا فيعم البئر على وجه الارض واديا ويزعمون ان الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شئ وهذه الغريبة موجودة فى قصور توات وتيكرارين وواركلا وريغ والعالم أبو العجائب والله الخلاق العليم وهذا آخر الكلام فى الطبقة الاولى من زناتة فلنرجع الى أخبار الطبقة الثانية وهم الذين اتصلت دولتهم الى هذا العهد .

(أخبار الطبقة الثانية من زناتة وذكر أنسابهم وشعوبهم وأوليتهم ومصائر ذلك)

قد تقدم لنا فى أضعاف الكلام قبل انقراض الملك من الطبقة من زناتة ما كان على يد صنهاجة والمرابطين من بعدهم وأن عصبية أجيالهم افترقت بانقراض ملكهم ودولهم وبقى منهم بطون لم يمارسوا الملك ولا أخلقهم ترفه فأقاموا فى قياطينهم بأطراف المغرب ينتجعون جانبى القفر والتل ويعطون الدول حق الطاعة وغلبوا على بقايا الاجيال الاولى من زناتة بعد أن كانوا مغلوبين لهم فأصبحت لهم السورة والعزة وصارت الحاجة من الدول الى مظاهرتهم ومسالمتهم حتى انقرضت دولة الموحدين فتطاولوا الى الملك وضربوا فيه مع أهله بسهم وكانت لهم دول نذكرها ان شاء الله تعالى وكان أكثر هذه الطبقة من بنى واسين بن يصلتن اخوة مغراوة وبنى يفرن ويقال انهم من بنى وانتن بن ورسيك بن جانا اخوة منسارة وناجدة وقد تقدم ذكر هذه الانساب وكان من بنى واسين هؤلاء ببلد قصطيلة وذكر ابن الرقيق ان أبا يزيد النكارى لما ظهر

جبل أوراس كتب اليهم عكانهم حول توزر (١) يأمرهم بحصارها فحاصروها سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وربما كان منهم ببلد الحامة لهذا العهد يعرفون ببنى ورتاجن احدى بطونهم وأما جمهورهم فلم يزالوا بالمغرب الاقصى بين ملوية الى جبل راشد (وذكر موسى) بن أبى العافية فى كتابه الى الناصر الاموى يعرفه بحربه مع ميسور مولى أبى القاسم الشيعى ومن سار اليه من قبائل زناتة فذكر فيمن ذكر ملوية وسار من قبائل بنى واسين وبنى يفرن وبنى برنيان وبنى ورنيت ومطماطة فذكر منهم بنى واسين لان تلك المواطن من مواطنهم قبل الملك (وفى هذه الطبقة منهم بطون) فمنهم بنو مرين وهم أكثرهم عددا وأقواهم سلطانا وملكا وأعظمهم دولة (ومنهم) بنو عبد الواد تلوهم فى الكثرة والقوة وبنو توجين من بعدهم كذلك هؤلاء أهل الملك من هذه الطبقة وفيها غير أهل الملك بنو راشد اخوة بنى يادين كما نذكره وفيها أهل الملك أيضا من غير نسبهم بقية من مغراوة بمواطنهم الاولى من وادى شلب نبضت فيهم عروق الملك بعد انقراض جيلهم الاول فتجاذبوا حبله مع أهل هذا الجيل وكانت لهم فى مواطنهم دولة كما نذكره (ومن أهل هذه الطبقة) كثير من بطونهم ليس لهم ملك نذكرهم الآن عند تفصيل شعوبهم وذلك أن احياءهم جميعا تشعبت من زرجيك بن واسين فكان منهم بنو يادين ابن محمد وبنو مرين بن ورتاجن فأما بنو ورتاجن فهم من ولد ورتاجن بن ماخوخ ابن جريح بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتيد بن المعز بن ابراهيم بن زجيك (وأما بنو مرين) بن ورتاجن فتعددت أفخاذهم وبطونهم كما نذكر بعد حتى كثروا سائر شعوب بنى ورتاجن وصار بنو ورتاجن معدودين فى جملة أفخاذهم وشعوبهم (وأما بنو يادين) بن محمد فمن ولد زرجيك ولا أدرى الآن كيف يتصل نسبهم به وتشعبوا الى شعوب كثيرة فكان منهم بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو مصاب وبنو زردال يجمعهم كلهم نسب يادين بن محمد وفى محمد هذا يجتمع يادين وبنو راشد ثم يجتمع محمد مع ورتاجن فى زرجيك بن واسين وكانوا كلهم معروفين بين زناتة الاولى ببنى واسين قبل أن تعظم هذه البطون والافخاذ وتتشعب مع الايام وبأرض افريقية وصحراء برقة وبلاد الزاب منهم طوائف من بقايا زناتة الاولى قبل انساحهم الى المغرب فمنهم بقصور غدامس على عشرة مراحل قبلة صرت وكانت مختطة منذ عهد الاسلام وهى خطة مشتملة على قصور وآطام عديدة وبعضها لبنى ورتاجن وبعضها لبنى واطاس من أحياء بنى مرين يزعمون أن أوليتهم اختطوها وهى لهذا العهد قد استبحرت فى العمارة واتسعة فى التمدن بما صارت محطا لركاب الحاج من السودان وقفل التجار الى مصر والاسكندرية عند اراحتهم من قطع المفازة ذات الرمال المعترضة أمام طريقهم دون

الارياف والتلول وبابالولوج تلك المفازة والحاج والتجرز فى موضعهم ومنهم ببلد الحامة غربى قابس أمة عظيمة من بنى ورتاجن وفرت منهم حاميتها واشتدت شوكتها ورحل اليها التجر بالبضائع لنفاق أسواقها وتبحر عمرانها وامتنعت لهذا العهد على مرين وبها من يجاورها فهم لايؤدون خراجا ولايسامون بمغرم حتى كأنهم لايعرفونه عزة جناب وفضل باس ومنعته ويزعمون أن سلفهم من بنى ورتاجن اختطوها ورياستهم فى بيت منهم يعرفون ببنى وشاح ولربما طال على رؤسائهم عهد الخلافة ووطأة الدولة فيتطاولون الى التى تنكر على السوقة من اتخاذ الآلة ويبرزون فى زى السلطان أيام الزينة تهاونا بشعار الملك ونسيانا للمألوف الانقياد شأن جيرانهم رؤساء توزر ونفطة وسابق الغاية فى هذه الضحكة هو علول مقدم توزر (ومن بنى واسين) هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطر فى القبلة لما دون الرمال على ثلاث مراحل من قصور بنى ريغة فى المغرب وهذا الاسم للقوم الذين اختطوها ونزلوها من شعوب بنى بادين حسبما ذكرناهم الآن وضعوها فى أرض حرة على احكام وضراب ممتنعة فى مساربها بين الارض المحجرة المعروفة بالحمادة فى سمت العرق متوسطة فيه قبالة تلك البلاد على فراسخ فى ناحية القبلة وسكانها لهذا العهد شعوب بنى بادين من بنى عبد الواد وبنى توجين ومصاب وبنى رزدال فيمن انضاف اليهم من شعوب زناتة وان كان شهرتها مختصة بمصاب وحالها فى المبانى والاغتراس وتفرق الجماعات بتفرق الرياسة شبيهة بحال بنى ريغة والزاب ومنهم بجبل أوراس بافريقية طائفة من بنى عبد الواد موطونة منذ العهد القديم لاول الفتح معروفون ببنى سا كنيه (وقد ذكر) بعض الاخباريين أن بنى عبد الواد حضروا مع عقبة بن نافع فى فتح المغرب عند اتغاله فى ديار المغرب وانتهائه الى البحر المحيط بالسوس فى ولايته الثانية وهى الغزاة التى هلك فيها فى منصرفه منها وانهم أبلوا البلاء الحسن فدعا لهم وأذن فى رجوعهم قبل استتمام الغزاة ولما تحيزت زناتة أمام كتامة وصنهاجة اجتمع شعوب بنى واسين هؤلاء كلهم ما بين ملوية كما ذكرناه وتشعبت أحياؤهم وبطونهم وانبسطوا فى صحراء المغرب الاقصى والاوسط الى بلاد الزاب وما اليها من صحارى افريقية اذ لم يكن للعرب فى تلك المجالات كلها مذهب ولا مسلك الى المائة الخامسة كما سبق ذكره ولم يزالوا بتلك البلاد مشتملين لبوس العز مشمرين للانفة وكانت مكاسبهم الانعام والماشية وابتغاؤهم الرزق من تخيف السابلة (١) وفى ظل الرماح المشرعة وكانت لهم فى مجاربة الاحياء والقبائل ومنافسة الامم والدول ومغالبة الملوك أيام ووقائع نلم بها ولم تعظم العناية باستيعابها فنأتى به والسبب فى ذلك أن اللسان العربى كان غالبا لغلبة دولة العرب وظهور الملة العربية فالكتاب والخط

(١) تنقصت أى نوا المجد

لغة الدولة ولسان الملك واللسان العربي مستتر بجناحه مندرج في غماره ولم يكن لهذا الجيل من زناتة في الاحقاب القديمة ملك يحمل أهل الكتاب على العناية بتقييد أيامهم وتدوين أخبارهم ولم تكن مخالطة بينهم وبين أهل الارياف والحضر حتى يشهدوا آثارهم لابعادهم في القفر كما رأيت في مواطنهم وتوحشهم عن الانقياد فبقوا اغفالا الى ان درس منهم الكثير ولم يصل الينا بعد ملكهم الا الشارد القليل يتبعه المؤرخ المطلع في مسالكه ويتقراه في شعابه ويثيره من مكامنه وأقاموا كذلك القفار الى ان تسنموا منها هضبات الملك على ما نصفه

مصاب ـــــ بن يادين بن محمد بن زرجيك بن واسين بن يصلتين بن مسرى بن زاكيا بن ورسيك بن اديدت بن جانا

- عبد الواد
- توجين
- زردال
- [illegible] راشد

الخبر عن أحوال هذه الطبقة قبل الملك وكيف كانت تصاريف أحوالهم الى ان غلبوا على الملك والدول

وذلك أن أهل هذه الطبقة من بني واسين وشعوبهم التي سميناها كانوا تبعا لزناتة الاولى ولما انزاحت زناتة الى المغرب الاقصى أمام كتامة وصنهاجة خرج بنو واسين هؤلاء الى القفر ما بين وصافكانوا يرجعون الى ملك المغرب لذلك العهد بمكناسة أولا ثم مغراوة من بعدهم ثم حسر تيار بني صنهاجة عن المغرب وتقلص ملكهم بعض الشئ وصاروا الى الاستجاشة على القاصية بقبائل زناتة فأومضت بروقهم ورفت في ممالك زناتة منابتهم كما قدمناه واقتسم أعمالها بنو ومانو وبنو يلومي ناحيتين وكانت ملوك صنهاجة أهل القلعة اذا عسكروا للغرب يستنفرونهم لغزوه ويجمعون حشدهم للتوغل فيه وكان بنو واسين هؤلاء ومن تشعب معهم من القبائل الشهيرة الذكر مثل بني مرين وبني عبد الواد وبني توجين ومصاب قد ملكوا القفر ما بين ملوية وأرض الزاب وامتنعت عليهم المغربان ممن ملكها من زناتة الذين ذكرناهم (وكان) أهل الرياسة بتلك الارياف والضواحي من زناتة مثل بني ومانو وبني يلومي بالمغرب الاوسط وبني يفرن ومغراوة بتلمسان يستجيشون بني واسين هؤلاء وشعوبهم ويستظهرون بجموعهم على من زاحمهم أو نازعهم من ملوك صنهاجة وزناتة وغيرهم يحاجون بهم عن مواطنهم لذلك ويقرضونهم القرض الحسن من المال والسلاح والحبوب المعوزة لديهم بالقفار فيتأثلون منهم ويرتاشون وعظمت حاجة بني حماد اليهم في ذلك عندما عصفت بهم ريح العرب الضوالع من بني هلال بن عامر وصرعوا دولة المعز وصنهاجة بالقيروان والمهدية والانواء عن مدهم وزحفوا الى المغرب الاوسط فداعوا بني حماد عن حوزته وأوعزوا الى زناتة بعداوتهم أيضا فاجتمع لذلك بنو يعلى ملوك تلمسان من مغراوة وجمعوا من كان اليهم من بني واسين هؤلاء من بني مرين وعبد الواد وتوجين وبني راشد وعقدوا على حرب الهلاليين لوزيرهم أبي سعدى خليفة بن   اليفرني فكان له مقامات في حروبهم ودفاعهم عن ضواحي الزاب وما اليه من بلاد افريقية والمغرب الاوسط الى أن هلك في بعض أيامه معهم وغلب الهلاليون قبائل زناتة على جميع الضواحي وأزاحوهم عن الزاب وما اليه من بلاد افريقية وانشمر بنو واسين هؤلاء من بني مرين وعبد الواد وتوجين عن الزاب الى مواطنهم بصحراء المغرب الاوسط من مصاب وجبل راشد الى ملوية وفيكك ثم الى سجلماسة ولاذوا ببني ومانو وبني يلومي ملوك الضواحي بالمغرب الاوسط وتفيؤا ظلهم واقتسموا ذلك القفر بالمواطن فكان لبني مرين الناحية الغربية منها قبالة المغرب الاقصى بتيكوارين ودبروا الى ملوية

بياض بالاصل

وجلماسة وبعدوا عن بني يلومي الافي الاحايين وعند الصريخ وكان لبني يادين منها الناحية الشرقية قبلة المغرب الاوسط ما بين فيكيك ومديونة الى جبل راشد ومصاب وكان بينهم وبين بني مرين فتن متصلة باتصال أيامهم في تلك المواضع بسبيل القبائل الجيران في مواطنهم وكان الغلب في حروبهم أكثر ما يكون لبني يادين لما كانت شعوبهم أكثر وعددهم أوفر فانهم كانوا أربعة شعوب بني عبد الواد وبني توجين وبني زردال وبني مصاب كان معهم شعب آخر وهم اخوانهم بنو راشد لما قدمنا أن راشدا أخو يادين وكان موطن بني راشد الجبل المشهور بهم بالصحراء ولم يزالوا على هذه الحال الى ان ظهر أمر الموحدين فكان لبني عبد الواد وتوجين ومغراوة من المظاهرة لبني يلومي على الموحدين ما هو مذكور في أخبارهم ثم غلب الموحدون على المغرب الاوسط وقبائله من زناتة فأطاعوا وانقادوا وتحيز بنو عبد الواد وبنو توجين الى الموحدين وازدلفوا اليهم وأمحضوا النصيحة للموحدين فاصطنعوهم دون بني مرين كما نذكر في أخبارهم وترك الموحدون ضواحي المغرب الاوسط كما كانت لبني يلومي وبني ومانو فملكوها وتفرد بنو مرين بعد مدخل بني يادين الى المغرب الاوسط بتلك الصحراء لما اختار الله لهم من وفور قسمهم في الملك واستيلائهم على سلطان المغرب الذي غلبوا به الدول واشتملوا الاقطار ونظموا المشارق الى المغارب واقتعدوا كراسي الدول السامية لهم بأجمعها ما بين السوس الاقصى الى افريقية والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده فأخذ بنو مرين وبنو عبد الواد من شعوب بني واسين بحظ من الملك أعادوا فيه لزناتة دولة وسلطانا في الارض واقتادوا الامم بِرَسَن الغلب ونازعهم في ذلك الملك البدوي اخوانهم بنو توجين وكان في هذه الطبقة الثانية بقية أخرى مما ترك آل خزر من قبائل مغراوة الاول كانوا موطنين بقرار عزهم ومنشا جيلهم بوادي شلب فجاذبوا هؤلاء القبائل حبل الملك ونازعوهم في أطوار الرياسة واستطالوا عن وصل جناحهم من هذه العشائر فتطاولوا الى مقاسمتهم في الماء ومساهمتهم في الامر وما زال بنو عبد الواد في الغض من عنانهم وجدع أنوف عصبيتهم حتى أوهنوا من بأسهم وخضت الدولة العبد الوادية ثم المرينية بحمة الملك المحمية من جناح تطاولهم وتمحض ذلك كله عن استبداد بني مرين واستتباعهم لجميع هؤلاء العصائب كما نذكر لك الآن دولهم واحدة بعد أخرى ومصاير هؤلاء القبائل الاربعة التي هي رؤس هذه الطبقة الثانية من زناتة والملك لله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين (ولنبدأ منها بذكر مغراوة) بقية الطبقة الاولى وما كان لرؤسائهم أولاد منديل من الملك في هذه الطبقة الثانية كما ستراه ان شاء الله تعالى

(الخبر عن أولاد منديل من الطبقة الثانية وما أعادوا لقومهم مغراوة من الملك بموطنهم الاول من شلب وما اليه من نواحي المغرب الاوسط)

لما ذهب الملك من مغراوة بانقراض ملوكهم آل خزر واضمحلت دولتهم بتلمسان وسجلماسة وفاس وطرابلس وبقيت قبائل مغراوة متفرقة في مواطنها الاولى بنواحي المغربين وافريقية بالصحراء والتلول والكثير منهم بعنصرهم ومركزهم الاول بوطن شلب وما اليه فكان به بنوورسيفان وبنويرنار وبنو يلنت ويقال انهم من وترمار وبنو سعيد وبنو زحالك وبنو سنجاس ور بما يقال انهم من زناتة وليسوا من مغراوة وكان بنو خزرون الملوك بطرابلس لما انقرض أمرهم وافترقوا في البلاد ولحق منهم عبد الصمد بن محمد بن خزرون بجبل أوراس فرارا من أهل بيته هنالك الذين استولوا على الامر وجده خزرون بن خليفة السادس من ملوكهم بطرابلس فأقام بينهم أعواما ثم ارتحل عنهم فنزل على بقايا قومه مغراوة بشلب من بني ورسيفان وبني ورتزمير وبني بوسعيد وغيرهم فتلقوهم بالمبرة والكرامة وأوجبوا له حق البيت الذي ينسب اليه فيهم وأصهر اليهم فأنكحوه وكثر ولده وعرفوا بينهم ببني محمد ثم بالخزرية نسبة الى سلفه الاول وكان من ولده الملقب أبو ناس بن عبد الصمد بن ورجيع بن عبد الصمد وكان منتحلا للعبادة والخيرية وأصهر اليه بعض ولد ماخوخ ملوك بني ومانو ابابنته فأنكحه اياها فعظم أمره عندهم بقومه ونسبه وصهره وجاءت دولة الموحدين على اثر ذلك فرمقوه بعين التجلة لما كان عليه من طرق الخير فأقطعوه بوادي شلب وأقام على ذلك وكان له من الولد ورجيع وهو كبيرهم وغربي ولغريات وماكور ومن بنت ماخوخ عبد الرحمن وكان أجلهم شأنا عنده وعند قومه عبد الرحمن هذا لما يرجون له بولادة ماخوخ لامه ويتفرسون فيه أن له ولعقبه ملكا وزعموا أنه لما ولد خرجت به أمه الى الصحراء فألقته الى شجرة وذهبت في بعض حاجاتها فأطاف به يعسوب من النحل متواقعين عليه وبصرت به على البعد فجاءت تعدو ولما أدركها من الشفقة فقال لها بعض العارفين خفضي عنك فوالله ليكونن لهذا شأن ونشأ عبد الرحمن هذا في جو هذه النحلة مدة بنسبه وبأسه وكثرت عشيرته من بني أبيه واعصوصب عليه قبائل مغراوة فكان له بذلك شوكة وفي دولة الموحدين تقدمة لما كان يوجب لهم على نفسه من الانحياش والمخالطة والتقدم في مذاهب الطاعة وكان السادة منهم يمرون به في غزواتهم الى افريقية ذاهبين وجائين فينزلون منه خير نزل وينقلبون بحمده والشكر لمذهبه فيزيد خلفاءهم اغتباطا به وأدرك بعض السادة وهو بأرض قومه الخبر بهلاك الخليفة بمراكش فخالف الذخيرة والظهر وأسلمها لعبد الرحمن هذا ونجا بدمائه بعد ان صحبه الى

تخوم وطنه فكانت لهم بها ثروة أكسبته قوة فاستركب من قومه واستكثر من عصابته وعشيرته وهلك خلال ذلك وقد فشل ريح بنى عبد المؤمن وضعف أمر الخليفة بمراكش (وكان له من الولد) منديل وتميم وكان أكبرهما منديل فقام بأمر قومه على حين عصفت رياح الفتنة وسما لمنديل أمل فى التغلب على مايليه فامتاز سدفى عرينة وحامى عن أشباله ثم فسح خطره الى ماجاوره من البلاد فملك جبل وانشريس والمرية وما الى ذلك واختط قصبة مرات وكان بسيط متيجة لهذا العهد فى العمران آهلا بالقرى والامصار (ونقل الاخباريون) أن أهل متيجة لذلك العهد يعدون فى ثلاثين مصرا تجاس خلالها وأوطأ الغارات ساحتها وخرب عمرانها حتى تركها خاوية على عروشها وهو فى ذلك يوهم التمسك بطاعة الموحدين وأنه سلم لمن سالمهم حرب لمن عاداهم وكان ابن غانية منذ غلبه الموحدون عن افريقية قد أزاحوه الى قابس وما اليها فنزل الشيخ أبو محمد بن أبى حفص بتونس ودفعه الى افريقية الى أن هلك سنة ثمان عشرة فطمع يحيى ابن غانية فى استرجاع أمره وسبق الى الثغور والامصار يعيث فيها ويخربها ثم تجاوز افريقية الى بلاد زناتة وشن عليها الغارات واكتسح البسائط وتكررت الوقائع بينه وبينهم فجمع له منديل بن عبد الرحمن ولقيه بمتيجة وكانت الدبرة عليه وانفضت عنه مغراوة فقتله ابن غانية صبرا سنة ثنتين أو ثلاث وعشرين وتغلب على الجزائر فنصب شلوه بها وصيره مثلا للآخرين وقام بأمره فى قومه بنوه وكان مخيا فكان لهم العدد والشرف وكانوا يرجعون فى أمرهم الى كبيرهم العباس فتقلد مذاهب أبيه واقتصر على بلاد متيجة ثم غلبهم بنو توجين على جبل وانشريس وضواحى المرية وما الى ذلك وانقبضوا الى مركزهم الاول شلب وأقاموا فيها ملكا بدويا لم يفارقوا فيه الظعن والخيام والضواحى والبسائط واستولى على مدينة مليانة وتنس وبرشك وشرشال مقيمين فيها للدعوة الحفصية واختطوا قرية مازونة (ولما استوطن) الملك بتلمسان ليغمراسن بن زيان واستفحل سلطانه بها وعقد له عليها ولاخيه من قبله عبد المؤمن سما الى التغلب على اعمال المغرب الاوسط وزاحم بنى توجين وبنى منديل هؤلاء بمكاسه فلفتوا وجوههم جميعا الى الامير أبى زكريا بن أبى حفص مديل الدولة بافريقية من بنى عبد المؤمن وبعثوا اليه الصريخ على يغمراسن فاحتشد لهم جميع الموحدين والعرب وابتز تلمسان وافتتحها كما ذكرناه ولما قفل الى الحضرة عقد فى مرجعه لامراء زناتة كل على قومه ووطنه فعقد للعباس بن منديل على مغراوة ولعبد القوى على توجين وولاء ... ورة ... وسوغ لهم اتخاذ الآلة فاتخذوها بمشهد منه وعقد العباس السلم مع يغمراسن ووفد عليه بتلمسان فلقاه برة وتكريما ... عنه

بياض بالاصل

بعدها مغاضبا يقال انه تحدث بمجلسه يوما فزعم أنه رأى فارسا واحدا يقاتل مائتين من الفرسان فنكر ذلك من سمعه من بنى عبد الواد وعرضوا بتكذيبه فخرج العباس لها مغاضبا حتى أتى بقومه وأتى يغمراسن مصداق قوله فانه كان يعنى بذلك الفارس نفسه وهلك العباس لخمس وعشرين سنة بعد أبيه سنة سبع وأربعين وقام بالامر بعده أخوه محمد بن منديل وصلحت الحال بينه وبين يغمراسن وصاروا الى الاتفاق والمهادنة ونفر معه بقومه مغزوة الى غزو المغرب سنة كاومان وهى سنة سبع وأربعين وستمائة هزمهم فيها يعقوب بن عبد الحق فرجعوا الى أوطانهم وعاودوا شأنهم فى العداوة وانتقض عليهم أهل مليانة وخلعوا الطاعة الحفصية (وكان من خبر) هذا الانتقاض أن أبا العباس أحمد المليانى كان كبير وقته علما ودينا وروايةً وكان عالى السند فى الحديث فرحل اليه الاعلام وأخذ عنه الائمة وأوفت به الشهرة على ثنايا السيادة فانتهت اليه رياسة بلده على عهد يعقوب المنصور وبنيه ونشأ ابنه أبو على فى جو هذه العناية وكان جموحا للرياسة طامحا للاستبداد وهو مع ذلك خلو من المغارم فلما هلك أبوه جرى فى شأو رياسته طلقا ثم رأى ما بين مغراوة وبنى عبد الواد من الفتنة فحدثته نفسه بالاستبداد ببلده فجمع لما جرى وقطع الدعاء للخليفة المستنصر سنة تسع وخمسين وبلغ الخبر الى تونس فسرح الخليفة أخاه فى عسكر من الموحدين فى جملته دون الديك ابن هرنزة من آل ادفوش ملوك الجلالقة كان نازعا اليه عن أبيه فى طائفة من قومه فنازلوا مليانة أياما وداخل السلطان طائفة من مشيخة البلد المنحرفين عن ابن المليانى فسرب اليهم جنودا بالليل واقتحموها من بعض المداخل وفر أبو على المليانى تحت الليل وخرج من بعض البلد فلحق بأحياء العرب ونزل على يعقوب بن موسى بن العطاب من بطون زغبة فأجاره الى أن لحق بعدها بيعقوب بن عبد الحق فكان من أمره ما ذكرناه فى أخبارهم وانصرف عسكر الموحدين والامير أبو حفص الى الحضرة وعقد لمحمد بن منديل على مليانة فأقام بها الدعوة الحفصية على سنن قومه ثم هلك محمد بن منديل سنة ثنتين وستين لخمس عشرة من ولايته قتله أخوه ثابت وعابد بمنزل ظواعنهم بالخيس من بسيط بلادهم وقتل معه عطية ابن أخيه سنيق وتولى عابد وشاركه ثابت فى الامر واجتمع اليه قومه وتقطع ما بين أولاد منديل وخشنت صدورهم واستغلظ يغمراسن بن زيان عليهم وداخله عمر بن منديل فى أن يمكنه من مليانة ويشد عضده على رياسة قومه فشارطه على ذلك وأمكنه من أزمة البلد سنة ثمان وستين ونادى بعزل ثابت وموازرة عمر على الامر فتم لهما ما أحكماه من أمرهما فى مغراوة واستمكن بها يغمراسن من قيادة قومه ثم تنافى أولاد منديل فى الازدلاف الى يغمراسن بمثلها نكاية

لعمر فاتفق ثابت وعابد أولاد منديل أن يحكماه من تونس فأمكناه منها سنة ثنتين وسبعين على اثنى عشر ألفا من الذهب واستمرت ولاية عمر الى أن هلك سنة ست وسبعين فاستقل ثابت بن منديل برياسة مغراوة وأجاز عابد أخوه الى الاندلس للرباط والجهاد مع صاحبه زيان بن محمد بن عبد القوى وعبد الملك بن يغمراسن فحول زناتة واسترجع ثابت بلاد تونس ومليانة من يد يغمراسن ونبذ اليه العهد ثم استغلظ يغمراسن عليهم واسترد تونس سنة احدى وثمانين بين يدى مهلكه (ولما) هلك يغمراسن وقام بالامر بعده ابنه عثمان انتقضت عليه تونس ثم ردد الغزو الى بلاد توجين ومغراوة حتى غلبهم آخرا على ما بأيديهم وملك المرية بمداخلة بنى لمدية أهلها سنة سبع وثمانين وغلب ثابت بن منديل على مازونة فاستولى عليها ثم نزل له عن تونس أيضا فملكها ولم يزل عثمان من أعمالهم الى أن زحف اليهم سنة ثلاث وتسعين فاستولى على أمصارهم وضواحيهم وأخرجهم عنها وألجأهم الى الجبال ودخل ثابت بن منديل الى برشك مما والقادونها فزحف اليهم عثمان وحاصره بها حتى اذا استيقن أنه محاطبه ركب البحر الى المغرب وركب الى يوسف ابن يعقوب سلطان بنى مرين صريخا سنة أربع وتسعين فأكرمه ووعده بالنصرة من عدوه وأقام بفاس وكانت بينه وبين ابن الاشعب من رجالات بنى عسكر صحبة ومداخلة فجاء بعض الايام الى منزله ودخل عليه من غير استئذان وكان ابن الاشعب غلا فسطابه وقتله وثار السلطان بدمه وانتجع لوته وكان ثابت بن منديل قد أقام ابنه محمدا الامير فى قومه ولاه عليهم لعهده واستبد بملك مغراوة دونه (ولما انصرف) أبوه ثابت الى قومه أقام هو فى امارته لى مغراوة وهلك قريبا من مهلك أبيه فقام بأمرهم من بعده شقيقه على ونازعه الامر أخواه رحون ومنيف فقتل منيف ونكر ذلك قومهما وأبوا من امارتهما عليهم فلحقا بعثمان بن يغمراسن وأجازهما الى الاندلس (وكان) أخوهما معمر بن ثابت قائدا على الغزاة بالعدوة فنزل لمنيف عنها فكانت أول ولايه وليها بالاندلس ولحق بهم أخوهم عبد المؤمن فكانوا جميعا هنالك ومن أعقاب عبد المؤمن يعقوب بن زيان بن عبد المؤمن ومن أعقاب منيف   بن عمر بن منيف وجماعة منهم لهذا العهد بالاندلس (ولما هلك) ثابت بن منديل سنة أربع وتسعين كما قلناه كفل السلطان ولده وأهله وكان فيهم حافده راشد بن محمد فأصهر اليه فى أخته وأنكحه اياها ونهض الى تلمسان سنة ثمان وتسعين فأناخ عليها واختط مدينته لحصارها وسرح فى نواحيها وعقد على مغراوة وثلب لعمر بن ويعزن بن منديل وبعث معه جيشا ففتح مليانة وتونس ومازونة سنة تسع وتسعين ووجد راشد فى نفسه اذلم يوله على قومه وكان يرى أنه الاحق لنسبه وصهره فنزع عن السلطان ولحق بجبال متيجة

ودس الى أوليائه من مغراوة حتى وجد فيهم الدخلة فأجد السير ولحق بهم فافترق
أمر مغراوة وداخل أهل مازونة فانتقضوا على السلطان وبيت عمر بن ويغرن بازمور
من ضواحي بلادهم فقتله واجتمع عليه قومه وسرح السلطان اليه الكتائب من بنى
عسكر لنظر الحسن بن على بن أبى الطلاق من بنى ورتاجن ولنظر على بن محمد الخير
من بنى توجين ولنظر أبى بكر بن ابراهيم بن عبد القوى ومن الجند لنظر على بن حسان
الصبحى من صنائعه وعقد على مغراوة لمحمد بن عمر بن منديل وزحفوا الى مازونة وقد
ضبطها راشد وخلف عليها أعلياء وجموا من بنى عمه يحيى بن ثابت ولحق هو ببنى بو سعيد
مطلا عليهم وأناخت العساكر على مازونة وأوالوا عليها الحصار سنين أجهدوهم وبعث
على بن يحيى أخاه حموا الى السلطان من غير عهد فتقبض عليهم ثم اضطره الجهد الى
مركب الغرر فخرج اليهم ملقيا بيده سنة ثلاث وأشخصوه الى السلطان فعفا عنه
واستبقاه واحتبسها تأنيسا واستمالة لراشد بن محمد فى معقل بنى بو سعيد وطال حصاره
اياه وأمكنته الغرة بعض الايام فى العساكر وقد تعلقوا بأوعار البلد زاحفين اليه
فهزمهم وهلك فى تلك الواقعة خلق من بنى مرين وعساكر وذلك سنة
أربع وسبعمائة وبلغ الخبر الى السلطان فأحفظه ذلك عليهم ابن عمه
على ابن يحيى وأخاه حموا ومن معهم من قومهم فقتلوا رشقا بالسهام واستلحمهم
ثم سرح أخاه أبا يحيى بن يعقوب ثانية سنة أربع فاستولى على بلاد مغراوة ولحق
راشد بجبال صنهاجة من متيجة ومعه عمه منيف بن ثابت ومن اجتمع اليهم من قومهم
فنازلهم أبو يحيى بن يعقوب وراسل راشد يوسف بن يعقوب فانعقدت بينهما السلم
ورجعت العساكر عنهم وأجاز منيف بن ثابت معه بنيه وعشيرته الى الاندلس فاستقروا
هنالك آخر الايام (ولما هلك) يوسف بن يعقوب بمناخه على تلمسان آخر سنة ست
انعقدت السلم بين حافده أبى ثابت وبين أبى زيان بن عثمان سلطان بنى عبد الواد
على أن يخلى له بنو مرين عن جميع ما ملكوه من أمصارهم وأعمالهم وثغورهم وبعثوا
فى حاميتهم وعمالهم وأسلموها لعمال بنى زيان وكان راشد قد طمع فى استرجاع بلاده
وزحف الى مليانة فأحاط بها فلما نزل عنها بنو مرين لابى زيان وصارت مليانة وتونس
له أخفق سعى راشد وأفرج عن البلد ثم كان مهلك أبى زيان قريبا وولى أخوه أبو حموا
موسى بن عثمان واستولى على المغرب الاوسط فملك تافركنت سنة وملك
بعدها مليانة والمرية ثم ملك تونس وعقد عليها لمولاه مسامح وقارن ذلك حركة صاحب
بجاية السلطان أبى البقاء خالد بن مولانا الامير أبى زكريا ابن السلطان أبى اسحق الى
متيجة لاسترجاع الجزائر من يد ابن علان الثائر بها عليهم فلقيه هنالك راشد بن محمد

بياض في الأصل

بياض في الأصل

وصار في جملته وظاهره على شأنه ولقاه السلطان تكرمة وبرا وعقد له ولقومه حلفا
مع صنهاجة أولياء الدولة والمتغلبين على ضاحية بجاية وجبال زواوة فاتصلت يد راشد
بيد زعيمهم يعقوب بن خلوف آخر الدولة ولما نهض السلطان للاستيلاء على الحضرة
بتونس استعمل يعقوب بن خلوف على بجاية وعسكر معه راشد بقومه وأبلى في الحروب
بين يديه وأغنى في مظاهرة أوليائه حتى اذا ملك حضرتهم واستولى على سرير ملكهم
أسف حاجب الدولة راشدا هذا وقومه بامضاء الحكم في بعض حشمه وتعرض للحرابة
في السابلة فتقبض عليه ورفع الى سدة السلطان فأمضى فيه حكم الله وذهب راشد
مغاضبا ولحق بوليه ابن خلوف ومضطربه من زواوة وكان يعقوب بن خلوف قد هلك
وولى السلطان مكانه ابنه عبد الرحمن فلم يدع حق أبيه في اكرام صديقه راشد وتشاجر
معه في بعض الايام مشاجرة نكر عبد الرحمن فيها ملاحة راشد له وأنف منها وأدل فيها
راشد بمكانه من الدولة وبأس قومه فلدغه بالقول وتناوله عبد الرحمن وحشمه وخزا
بالرماح الى أن أقعصوه (١) بادعر جمع مغراوة ولحقوا بالثغور القاصية وأقفر منهم
شلب وما اليه كأن لم يكونوا به فأجاز منهم بنو منيف وابن و يعزن الى الاندلس للمرابطة
بثغور المسلمين فكانت منهم عصابة موطنة هنالك أعقابهم لهذا العهد وأقام في جوار
الموحدين فل آخر من أوسط قومهم كانوا شوكة في عساكر الدولة الى أن انقرضوا
ولحق علي بن راشد بعمته في قصر بني يعقوب بن عبد الحق فكفلته وسار أولاد منديل
غضابا الى وطن بني مرين فتولوهم وأحسنوا جوارهم وأصهروا اليهم سائر الدولة الى
أن تغلب السلطان أبو الحسن على المغرب الاوسط ومحا دولة آل زيان وجمع كلمة زناتة
واستظهر مع بلادهم بلاد افريقية وعمل الموحدين وكانت نكبته على القيروان سنة
تسع وأربعين كما شرحناه قبل فانتقضت العمالات والاطراف وانتزى أعياص الملك
بمواطنهم الاولى فتوثب على بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل على بلاد شلب
وتملكها وغلب على أمصارها مليانة وتنس وبرشك وشرشال وأعاد ما كان
لسلفه بها من الملك على طريقتهم البدوية وأرهفوا حدهم لمن طالبهم من القبائل
وخلص السلطان أبو الحسن من ورطته الى افريقية ثم من ورطة البحر من مرسى
الجزائر الى بجاية يحاول استرجاع ملكه المفترق فبعث الى علي بن راشد وذكره ذمتهم
فتذكر حق واشترط لنفسه التجافي له عن ملك قومه بشلب على أن يظاهره على بني عبد
الواد فأبى السلطان أبو الحسن من اشتراط ذلك فصرف عنه الى فئة بني عبد الواد الناجين
بتلمسان كما ذكرناه قبل وظاهرهم عليه وبرز اليهم السلطان أبو الحسن من الجزائر
والتقى الجمعان بشربونة سنة احدى وخمسين فاختلف مصاف السلطان أبي الحسن

وانهزم جمعه وهلك ابنه الناصر طاح دمه في مغراوة هؤلاء وخرج الى الصحراء ولحق منها بالمغرب الاقصى كما نذكره بعد وتداول الناجمون بتلمسان من آل يغمراسن الى استنظام بلاد مغراوة في ملكهم كما كان سلفهم فنهض اليهم بعساكر بني عبد الواد رديف سلطانهم وأخوه أبو ثابت الزعيم بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن وأوطأ قومه بلاد مغراوة سنة ثنتين وخمسين وفل جموعهم وغلبهم على الضاحية والامصار وأحجر علي بن راشد بتنس في شرذمة من قومه وأناخ بعساكره عليه وطال الحصار ووقع الغلب ولما رأى علي بن راشد أن قد أحيط به دخل الى زاوية من زوايا قصره وانتبذ فيها عن الناس وذبح نفسه بحد حسامه وصار مثلا وحديثا للآخرين واقتحم البلد لحينه واستلحم من عثر عليه من مغراوة ونجا الآخرون الى أطراف الارض ولحقوا بأهل الدول فاستركبوا واستلحقوا وصاروا جند الدول وحشما وأتباعا وانقرض أمرهم من بلاد شلب ثم كانت لبني مرين الكرة الثانية الى تلمسان وغلبوا آل زيان ومحوا آثارهم ثم فاء ظلهم عند هلك السلطان أبي عنان وحسر تيارهم وجدد الناجمون من آل يغمراسن دولة ثانية بمكان عملهم على يد أبي حمو الاخير ابن موسى بن يوسف كما نذكره في أخبارهم ثم كانت لبني مرين الكرة الثالثة الى بلاد تلمسان ونهض السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن اليها فدخلها فاتح سنة ثنتين وسبعين وسرح عساكره في اتباع أبي حمو الناجم من آل يغمراسن حين فر أمامه في قومه وأشياعه من العرب كما يأتي ذلك كله ولما انتهت العساكر الى البطحاء تلوموا هنالك أياما لازاحة عللهم وكان في جملتهم صبي من ولد علي بن راشد الذبيح اسمه حمزة ربي يتيما في حجر دولتهم لذمام الصهر الذي لقومه فيهم فكفلته نعمهم وكنفه جوهم حتى شب واستوى وخط رزقه في ديوانهم وحاله بين ولدانهم واعترض بعض الايام قائد الجيوش الوزير أبا بكر بن غازي   وأساء رده فركب الليل ولحق بمعقل بني بوسعيد من بلاد شلب فأجاروه ومنعوه ونادى بدعوة قومه فأجابوه وسرح اليه السلطان وزيره عبد العزيز بن عمر بن مسعود بن منديل بن حمامة كبير يتربعن في جيش كثيف من بني مرين والجند فنزل بساحة ذلك الجبل حولا كريتا (١) فحاصرهم ينال منهم وينالون منه وامتنعوا واتهم السلطان وزيره الآخر أبا بكر بن غازي فنهض بجر العساكر الضخمة والجيوش الكثيفة الى أن نزل بهم وصبحهم القتال فقذف الله في قلوبهم الرعب وأنزلهم من معقلهم وفر حمزة بن علي في فل من قومه فنزل ببلاد حصين المنتقضين كانوا على الدولة مع أبي زيان بن أبي سعيد الناجم من آل يغمراسن حسبما نذكره وأبى بنو أبي سعيد طاعتهم وأخلصوا الضمائر في مغبتها فحسن

(١) قال الجوهري سنة كريت أي تامة اه

بياض بالأصل

موقعهم وبدأ حمزة فى الرجوع اليهم فأعد السير فى لمة من قومه حتى اذا ألم بهم تنكروا
لمكان ما اعتقلوا به من حبل الطاعة فتساهل الى البسائط وقصد تيمروغت يظن بها
غرة ينتهزها فبرز اليه حاميتها فقتلوا حشده وردوه على عقبه وتسابقوا فى اتباعه الى
أن تقبضوا عليه وقادوه الى الوزير بن الغازي ابن الكاس فأوعز اليه السلطان بقتله مع
جملة أصحابه فضربت أعناقهم وبعث بها الى سدة السلطان وصلب أشلاؤهم على
خشب مسندة نصبها لهم ظاهر مليانة ومحى أثر مغراوة وانقرض أمرهم وأصبحوا
خولا للأمراء وجندا فى الدول وأوزاعا فى الاقطار كما كانوا قبل هذه الدولة لا خيرة لهم
والبقاء لله وحده وكل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون لا رب غيره
ولا معبود سواه وهو على كل شئ قدير

حمزة بن علي بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الصمد بن ورجيع بن عبد الصمد بن محمد بن خزرون

- عطية بن منديل — عمر
- يعقوب بن زيان بن عبد الملك
- علي بن هارون
- حمزة بن يحيى
- عابد
- عمر بن منديل
- حمزة بن زيد بن منديل بن محمد
- العباس
- عيسى بن عمر
- محمد
- عمر
- تميم
- يوزان
- ماكور
- ورجيع
- عزنة

{الخبر عن بنى عبد الواد من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم بتلمسان وبلاد}
{المغرب الاوسط من الملك والسلطان وكيف كان مبدأ أمرهم ومصائر أحوالهم}

قد تقدم لنا فى أول هذه الطبقة الثانية من زناتة ذكر بنى عبد الواد هؤلاء وأنهم من ولد بادين بن محمد اخوة توجين ومصاب وزردال وبنى راشد وأن نسبهم يرتفع الى ورزجيك ابن واسين بن ورسيك بن جانا وذكرنا كيف كانت حالهم قبل الملك فى مواطنهم تلك وكان اخوانهم بمصاب وجبل راشد وفكيك وملوية ووصفنا من حال فتنتهم مع بنى مرين اخوانهم المجتمعين معهم فى النسب فى ورزجيك بن واسين ولم يزل بنو عبد الواد هؤلاء بمواطنهم تلك وبنو راشد وبنو زردال ومصاب منحازين اليهم بالنسب والحلف وبنو توجين منابذين لهم أكثر أزمانهم ولم يزالوا جميعا متغلبين على ضاحية المغرب الاوسط عامة الازمان وكانوا تبعا فيه لبنى ومانو وبنى يلومى حين كان لهم التغلب فيهم وربما يقال كان شيخهم لذلك العهد يعرف بيوسف بن تكفا حتى اذا نزل عبد المؤمن والموحدون نواحى تلمسان وسارت عساكرهم الى بلاد زناتة تحت راية الشيخ أبى حفص فأوقعوا بهم كما ذكرناه وحسنت بعد ذلك طاعة بنى عبد الواد وانحياشهم الى الموحدين وكانت بطونهم وشعوبهم كثيرة أظهرها فيما يذكرون ستة بنو ياتكين وبنو اولوا وبنو ورسطف ونصوحه وبنو تومرت وبنو القاسم ويقولون بلسانهم ات القاسم وات حرف الاضافة الى النسبة عندهم ويزعم بنو القاسم هؤلاء انهم من أولاد القاسم بن ادريس وربما قالوا فى هذا القاسم انه ابن محمد بن ادريس او ابن محمد ابن عبد الله أو ابن محمد بن القاسم وكلهم من أعقاب ادريس زعما لامستند له الا اتفاق بنى القاسم هؤلاء عليه مع ان البادية بعداء عن معرفة هذه الانساب والله أعلم بصحة ذلك (وقد قال يغمراسن) ابن زيان أبو ملوكهم لهذا العهد لما رفع نسبه الى ادريس كما يذكرون فقال برطانتهم ما معناه ان كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله وأما الدنيا فانما نلناها بسيوفنا ولم تزل رياسة بنى عبد الواد فى بنى القاسم لشدة شوكتهم واعتزاز عصبيتهم وكانوا بطونا كثيرة فمنهم بنو يكمثن بن القاسم وكان منهم وبعزن ابن مسعود بن يكمثن وأخوه يكمثن وعمر وكان أيضا منهم اغدوى بن يكمثن الاكبر ويقال الاصغر ومنهم أيضا عبد الحق من منغفاد بن ولد وبعزن وكانت الرياسة عليهم لعهد عبد المؤمن لعبد الحق بن منغفاد واغدوى بن يكمثن وعبد الحق بن منغفاد هو الذى استنقذ الغنائم من يدى بنى مرين وقتل المخضب المسوفى حين بعثه عبد المؤمن مع الموحدين لذلك والمؤرخون يقولون عبد الحق بن معاد بميم وعين مهملة مفتوحتين وألف بعدها وهو غلط وليس هذا اللفظ بهذا الضبط من لغة زناتة وانما

هو تصحيف منغفاد بميم ونون مفتوحتين وغين بعدهما معجمة ساكنة وفاء مفتوحة والله أعلم (ومن بطون) بنى القاسم أيضا بنو مطهر بن يمل بن يزكين بن القاسم وكان جماعة بن مطهر من شيوخهم لعهد عبد المؤمن وأبلى فى حروب زناتة مع الموحدين ثم حسنت طاعته وانحياشه (ومن بطون) بنى القاسم أيضا بنو على والبهم انتهت رياستهم وهم أشد عصبية وأكثر جمعا وهم أربعة أفخاذ بنو طاع الله و بنو دلول وبنو كمين وبنو معطى بن جوهر والاربعة بنو على ونصاب الرياسة فى بنى طاع الله لبنى محمد ابن زكراز بن تيدوكس بن طاع الله هذا ملخص الكلام فى نسبهم (ولما) ملك الموحدون بلاد المغرب الاوسط وأبلوا من طاعتهم وانحياشهم ما كان سببا لاستخلاصهم فأقطعوهم عامة بلاد بنى ومانوا وأقاموا بتلك المواطن وحدثت الفتنة بين بنى طاع الله وبنى كمين الى أن قتل كندور بن من بنى كمين زيان بن ثابت كبير بنى محمد بن زكراز وشيخهم وقام بأمرهم بعده جابر بن عمه يوسف بن محمد فثار كندور بزيان ابن عمه وقتله فى بعض أيامهم وحروبهم ويقال قتله غيلة وبعث برأسه ورؤس أصحابه الى يغمراسن بن زيان بن ثابت فنصبت عليهم القدور وأثافى شفاية لنفوسهم من شأن أبيه زيان وافترق بنو كمين وفر بهم كبيرهم عبد الله بن كندور فلحقوا بتونس ونزل على الامير أبى زكريا كما نذكره بعد واستبد جابر بن يوسف بن محمد برياسة بنى عبد الواد وأقام هذا الحى من بنى عبد الواد بضواحى المغرب الاوسط حتى اذا فشل ريح بنى عبد المؤمن وانتزى يحيى بن غانية على جهات قابس وطرابلس وردد الغزو والغارات على بسائط افريقية والمغرب الاوسط فاكتسحها وعاث فيها وكبس الامصار فاقتحمها بالغارة وافساد السابلة وانتساف الزرع وحطم النعم الى أن خربت وعفا رسمها لسنى الثلاثين من المائة السابعة وكان تلمسان نزلا للحامية ومناخا للسيد من القرابة الذى يضم نشرها ويذب عن أكنافها وكان المأمون قد استعمل على تلمسان أخاه السيد أبا سعيد وكان مغفلا ضعيف التدبير وغلب عليه الحسن بن حيون من مشيخة قومه وكان عاملا على الوطن وكانت فى نفسه ضغائن من بنى عبد الواد جرها ما كان حدث لهم من التغلب على الضاحية وأهلها فأغرى السيد أبا سعيد بجماعة مشيخة منهم وفدوا عليه فتقبض عليهم واعتقلهم وكان فى حامية تلمسان لمة من بقايا لمتونة تجافت الدولة عنهم وأثبتهم عبد المؤمن فى الديوان وجعلهم مع الحامية وكان زعيمهم لذلك العهد ابراهيم بن اسمعيل بن علان فشفع عندهم فى المشيخة المعتقلين من بنى عبد الواد فردوه فغضب وحمى انفه وجمع الانتقاض والقيام بدعوة ابن غانية لتجدد ملك المرابطين من قومه بقاصية المشرق فاغتال الحسن بن حيون لحينه وتقبض على السيد أبى سعيد وأطلق

بياض بالاصل

المستضعفين بنى عبد الواد ونقض طاعة المأمون وذلك سنة أربع وعشرين فطير الخبر الى
ابن غانية فأجد اليه السير ثم بداله فى أمر بنى عبد الواد ورأى ان ملاك أمره فى خضد
شوكتهم (١) وقص جناحهم فحدث نفسه بالفتك بمشيختهم ومكر بهم فى دعوة واعدهم
لها وفطن لتدبيره ذلك جابر بن يوسف شيخ بنى عبد الواد فواعده اللقاء والمراوغة وطوى
له على   ونحرج ابراهيم بن علان الى لقائه ففتك به جابر وبادر الى البلد
فنادى   طاعته وكشف لاهلها القناع عن مكر بن علان بهم ولما
أوقعهم   بن غانية فحمدوا رأيه وشكروا جابرا على صنيعه وجددوا البيعة
هذا دفع بنى عبد الواد واحلافهم من بنى راشد وبعث الى   فخاطبه له
بالشكر وكتب له بالعهد على تلمسان وسائر   زناتة على رسم السادات
الذين كانوا يلون ذلك مع القرابة فاضطلع بأمر المغرب الاوسط (وكانت) هذه الولاية
ركوبا الى صهوة الملك الذى اقتعدوه من بعد ثم انتقض عليه أهل ارجونة بعد ذلك
فنازلهم وهلك فى حصارها بسهم غرب   سنة تسع وعشرين وقام
بالامر بعده ابنه الحسن وجدد له المأمون عهده بالولاية ثم ضعف عن الامر وتخلى عنه
لستة أشهر من ولايته ودفع اليه عمه عثمان بن يوسف وكان سيئ الملكة كثير العسف
والجور فثارت به الرعايا بتلمسان وأخرجوه سنة احدى وثلاثين وانتصر امكانه ابن عمه
زكراز بن زيان بن ثابت الملقب بأبى عزة فاستدعوه لها وولوه على أنفسهم وبلدهم
وسلموا له أمرهم وكان مضطلعا بأمر زناتة ومستبدا برياستهم ومستوليا على سائر
الضواحى فنفس بنو مطهر عليه وعلى قومه بنى على اخوانهم ما آتاهم الله من الملك
واكرمهم الله به من السلطان وحسدوا زكراز وسلفه فيما صار اليه من الملك فشاقوه
ودعوا الى الخروج عليه واتبعهم بنو راشد احلافهم منذ عهد الصحراء وجمع لهم أبو
عزة سائر قبائل بنى عبد الواد فكانت بينه وبينهم حرب سجال هلك فى بعض أيامها
سنة ثلاث وثلاثين وقام بالامر بعده أخوه يغمراسن بن زيان فوقع التسليم والرضا
وسر القبيل ودان له بالطاعة جميع الامصار وكتب له الخليفة الرشيد بالعهد على عمله
وكان له ذلك سلما الى الملك الذى أورثه بنيه سائر الايام والملك لله يؤتيه من يشاء

زكراز بن زيان بن ثابت بن محمد بن زكراز بن تيدوكس بن طاع الله ـــ بن علي ـــ بن القاسم ـــ بن عبد الواد

يغمراسن ـ

دلول ـ

معطي بن جوهر ـ

منغفاد بن ويعزن بن مسعود بن سيمكس ـ

عبد الحق بن

بنو ورصطف ـ

مصوهه وللدا ـ

[illegible]

(الخبر عن تلمسان وما تأدى الينا من أحوالها من الفتح الى أن تأثل بها سلطان بنى عبد الواد ودولتهم)

هذه المدينة قاعدة المغرب الاوسط وأم بلاد زناتة اختطها بنو يفرن بما كانت
فى مواطنهم ولم نقف على أخبارها فيما قبل ذلك وما يزعم بعض العامة من ساكنها أنها
أزلية البناء وأن الجدار الذى ذكر فى القرآن فى قصة الخضر وموسى عليهما السلام
هو بناحية اكادير منها فأمر بعيد عن التحصيل لان موسى عليه السلام لم يفارق المشرق
الى المغرب وبنو اسرائيل لم يبلغ ملكهم لافريقية فضلا عما وراءها وانما هى
من مقالات التشيع المجبول عليه أهل العالم فى تفضيل ما ينسب اليه أو ينسبون اليه
من بلد أو أرض أو علم أو صناعة ولم أقف لها على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق بأن أبا
المهاجر الذى ولى افريقية بين ولايتى عقبة بن نافع الاولى والثانية توغل فى ديار المغرب
ووصل الى تلمسان وبه سميت عيون أبى المهاجر قريبا منها وذكرها الطبرى عند
ذكر أبى قرة واجلائه مع أبى حاتم والخوارج على عمر بن حفص ثم قال فأفرجوا عنه
وانصرف أبو قرة الى مواطنه بنواحى تلمسان وذكرها ابن الرقيق أيضا فى أخبار
ابراهيم بن الاغلب قبل استبداده بافريقية وانه توغل فى غزوه الى المغرب ونزلها واسمها
فى لغة زناتة مركب من كلمتين تلم سان ومعناهما تجمع اثنين يعنون البر والبحر (ولما
خلص) ادريس الاكبر بن عبد الله بن الحسن الى المغرب الاقصى واستولى عليه
نهض الى المغرب الاوسط سنة أربع وسبعين ومائة فتلقاه محمد بن خزر بن صولات
أمير زناتة وتلمسان فدخل فى طاعته وحمل عليها مغراوة وبنى يفرن وأمكنه من تلمسان
فملكها واختط مسجدها وصعد منبره وأقام بها أشهرا وانكفأ راجعا الى المغرب
وجاء على اثره من المشرق أخوه سليمان بن عبد الله فنزلها وولاه أمرها ثم هلك ادريس
وضعف أمرهم ولما بويع لابنه ادريس من بعده واجتمع اليه برابرة المغرب نهض
الى تلمسان سنة تسع وتسعين ومائة فجدد مسجدها وأصلح منبرها وأقام بها ثلاث
سنين دوخ فيها بلاد زناتة واستوسقت له طاعتهم وعقد عليها لبنى محمد ابن عمه سليمان
(ولما هلك ادريس) الاصغر واقتسم بنوه أعمال المغرب باشارة أمه كنزة كانت
تلمسان فى سهمان عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان وأعمالها لبنى أبيه محمد بن
سليمان فلما انقرضت دولة الادارسة من المغرب وولى أمره موسى بن أبى العافية بدعوة
الشيعة نهض الى تلمسان سنة تسع عشرة وغلب عليها أميرها لذلك العهد الحسن بن
أبى العيش بن عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان ففر عنها الى مليلة وبنى حصنا
لامتناعه بناحية نكور فحاصره مدة ثم عقد له سلما على حصنه ولما تغلب الشيعة على

المغرب الاوسط أخرجوا أعقاب محمد بن سليمان من سائر أعمال تلمسان فأخذوا بدعوة
بني أمية من وراء البحر وأجازوا اليهم وتغلب يعلى بن محمد اليفرني على بلاد زناتة
والمغرب الاوسط فعقد له الناصر الاموي عليها وعلى تلمسان أعوام أربعين وثلثمائة
ولما هلك يعلى وأقام بأمر زناتة بعده محمد بن الخير بن محمد بن خزر داعية الحكم
المستنصر بتلمسان أعوام ستين وهلك في حروب صنهاجة وغلبوهم على بلادهم وانجلوا
الى المغرب الاقصى ودخلت تلمسان في عمالة صنهاجة الى أن انقسمت دولتهم وافترق
أمرهم واستقل بامارة زناتة وولاية المغرب زيري بن عطية وطرده المنصور عن المغرب
أعوام فصار الى بلاد صنهاجة وأجلب عليها ونازل معاقلهم وأمصارهم
مثل تلمسان وهراة وتنس واشير والمسيلة ثم عقد المظفر بعد حين لابنه المعز بن زيري
على أعمال المغرب سنة ست وتسعين فاستعمل على تلمسان ابنه يعلى بن زيري واستقرت
ولايتها في عقبه الى أن انقرض أمرهم على يد لمتونة وعقد يوسف بن تاشفين عليها
لمحمد بن تينعمر المستوفي وأخيه تاشفين من بعده واستحكمت الفتنة بينه وبين المنصور
ابن الناصر صاحب القلعة من ملوك بني حماد ونهض الى تلمسان وأخذ بمخنقها وكاد أن
يغلب عليها كما ذكرناذلك كله في مواضعه (ولما غلب) عبد المؤمن لمتونة وقتل تاشفين
ابن علي بوهران خربها وخرب تلمسان بعد أن قتل الموحدون عامة أهلها وذلك أعوام
أربعين من المائة السادسة ثم راجع رأيه فيها وندب الناس الى عمرانها وجمع الايدي
على رم ما تثلم من أسوارها وعقد عليها لسليمان بن واندين من مشايخ هنتانة وأخاير
الموحدين وتسبب هذا الحي من بني عبد الواد بأبي من طاعتهم وانحياشهم ثم عقد
عليها لابنه السيد أبي حفص ولم يزل آل عبد المؤمن بعد ذلك يستعملون عليها من
قرابتهم وأهل بيتهم ويرجعون اليه أمر المغرب كله وزناتة أجمع اهتماما بأمرها
واستعظاما لعملها وكان هؤلاء الاحياء من زناتة بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو راشد
غلبوا على ضواحي تلمسان والمغرب الاوسط وملكوها وتقلبوا في بسائطها واحتازوا
باقطاع الدولة الكثير من أرضها والطيب من بلادها والوافر للجباية من قبائلها فاذا
خرجوا الى مشاتيهم بالصحراء خلفوا أتباعهم وحاشيتهم بالتلول لاعتمار أرضهم
وازدراع فدنهم وجباية الخراج من رعاياهم وكان بنو عبد الواد من ذلك فيما بين
البطحاء وملوية ساحله ورشغة وبصراوة وصرف ولاة الموحدين بتلمسان من السادة
نظرهم واهتمامهم بشأنها الى تحصينها وتشييد أسوارها وحشد الناس الى عمرانها
والتناغي في عمرانها واتخاذ الصروح والقصور بها والاحتفال في مقاصد الملك واتساع
خطة الدور وكان من أعظمهم اهتماما بذلك وأوسعهم فيه نظرا السيد أبو عمران موسى

بياض بالاصل

ابن أمير المؤمنين يوسف وولّيها سنة ست وخمسين على عهد أبيه يوسف بن عبد المؤمن واتصلت أيام ولايته فيها فشيد بناءها وأوسع خطتها وأدار سياج الاسوار عليها وولّيها من بعده السيد أبو الحسن بن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن وتقبل فيها مذهبه (ولما كان) من أمر ابن غانية وخروجه من ميورقة سنة إحدى وثمانين ما قدمناه وكبسوا بجاية فتملكوها وتخطوا الى الجزائر ومليانة فتغلبوا عليها تلافى السيد أبو الحسن أمره بانعام النظر في تشييد أسوارها والاستبلاغ في تحصينها وسد فروجها واعماق الحفائر نطاقا عليها حتى صيرها من أعز معاقل المغرب وأحصن أمصاره وتقبل ولاتها هذا المذهب من بعده في المعتصم بها (واتفق من الغرائب) أن أخاه السيد أبا زيد هو الذي دفع لحرب بني غانية فكان لهما في رقع الخرق والمدافعة عن الدولة آثار وكان ابن غانية قد اجتمع اليه ذوبان العرب من الهلاليين بافريقية وخالفتهم زغبة إحدى بطونهم الى الموحدين وتحيزوا الى زناتة المغرب الأوسط وكان مفزعهم جميعا ومجمع تقضيهم وابرامهم الى العامل بتلمسان من السادة أبي مثواهم وحامي حقيقتهم وكان ابن غانية كثيرا ما يجلب على ضواحي تلمسان وبلاد زناتة ويطرقها مع من تابع الفتنة الى ان خرب كثيرا من أمصارها مثل تاهرت وغيرها فأصبحت تلمسان قاعدة المغرب الاوسط وأم هؤلاء الاحياء من زناتة والمغرب الكافية لهم المهيئة في حجرها مهاد نومهم لما خربت المدينتان اللتان كانتا من قبل قواعد في الدول السالفة والعصور الماضية وهما أرشكول بسيف البحر وتاهرت فيما بين الريف والصحراء من قبلة البطحاء وكان خراب هاتين المدينتين فيما خرب من أمصار المغرب الاوسط فتنة ابن غانية وباجلاب هؤلاء الاحياء من زناتة وطلوعهم على أهلها بسوم الخسف والعيث والنهب وتخطف الناس من السابلة وتخريب العمران ومغالبتهم حاميتها من عساكر الموحدين مثل قصر عجيسة وزرفة والخضراء وشلف ومتيجة وحمزة ومرسى الدجاج والجعبات ولم يزل عمران تلمسان يتزايد وخطتها تتسع والصروح بها بالآجر والقهر تعلى وتشاد الى أن نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم وكرسيا لسلطانهم فاختطوا بها القصور المونقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه فأصبحت أعظم أمصار المغرب ورحل اليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الاعلام وضاهت أمصار الدول الاسلامية والقواعد الخلافية والله وارث الأرض ومن عليها

{الخبر عن استقلال يغمراسن بن زيان بالملك والدولة بتلمسان}
{وما اليها وكيف مهد الامر لقومه وأصاره تراثا لبنيه}

كان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد هذا الحى بأسا وأعظمهم فى النفوس مهابة واجلالا وأعرفهم بمصالح قبيلة وأقواهم كاهلا على حمل الملك واضطلاعا بالتدبير والرياسة شهدت له بذلك آثاره قبل الملك وبعده وكان مرموقا بعين التجلة مؤملا للامر عند المشيخة وتعظمه من أمره الخاصة وتفزع اليه فى نوائبها العامة فلما ولى هذا الامر بعد أخيه أبى عزة زكراز بن زيان سنة ثلاث وثلاثين قام به أحسن قيام واضطلع باعبائه وظهر على بنى مطهر وبنى راشد الخارجين على أخيه وأصارهم فى جملته وتحت سلطانه وأحسن السيرة فى الرعية واستمال عشيرته وقومه واحلافهم من زغبة بحسن السياسة والاصطناع وكرم الجوار واتخذ الآلة ورتب الجنود والمسالح واستلحق العساكر من الروم والغز وناشئه وفرض العطاء واتخذ الوزراء والكتاب وبعث فى الاعمال ولبس شارة الملك والسلطان واقتعد الكرسى ومحا آثار الدولة المؤمنية وعطل من الامر والنهى دستها ولم يترك من رسوم دولتهم وألقاب ملكهم الا الدعاء على منابره للخليفة بمراكش وتقلد العهد من يده تأنيسا للكافة ومرضاة للاكفاء من قومه ووفد عليه لاول دولته ابن وضاح اثر الموحدين أجاز البحر مع جالية المسلمين من شرق الاندلس فآثره وقرب مجلسه وأكرم نزله وأحله من الخلة والشورى بمكان اصطفاه له ووفد فى جملته أبو بكر بن خطاب المبايع لاخيه بمرسية وكان مرسلا بليغا وكاتبا مجيدا وشاعرا محسنا فاستكتبه وصدر عنه من الرسائل فى خطاب خلفاء الموحدين بمراكش وتونس فى عهود بيعاتهم ما تنوقل وحفظ ولم يزل يغمراسن محاميا عن عمله محاربا لعدوه وكانت له مع ملوك الموحدين من آل عبد المؤمن ومديلتهم آل أبى حفص مواطن فى التحرس به ومنازلة بلده نحن ذاكروها كذلك وبينه وبين أقتاله بنى مرين قبل ملكهم المغرب وبعد ملكه وقائع متعددة وله على زناتة الشرق من توجين ومغراوة فى فل جموعهم وانتساف بلادهم وتخريب أوطانهم وأيام مذكورة وآثار معروفة نشير الى جميعها ان شاء الله تعالى

(الخبر عن استيلاء الامير أبى زكريا على تلمسان ودخول يغمراسن فى دعوته)

لما استقل يغمراسن بن زيان بأمر تلمسان والمغرب الاوسط وظفر بالسلطان وعلا كعبه على سائر أحياء زناتة نفسوا عليه ما آتاه الله من العز وكرمه به من الملك فنابذوه العهد وشاقوه الطاعة وركبوا له ظهر الخلاف والعداوة فشمر لحربهم ونازلهم فى ديارهم وأحجرهم فى أمصارهم ومعتصماتهم من شواهق الجبال وممتنع الامصار وكانت له عليهم أيام مشهورة ووقائع معروفة وكان متولى كبر هذه المشاقة عبد القوى ابن عباس شيخ بنى توجين أقتالهم من بنى يادين والعباس بن مندبل بن عبد الرحمن واخوته أمراء

بلغ بالاصل

بمغراوة وكان المولى الامير أبو زكريا بن أبي حفص منذ استقل بأمر افريقية واقتطعها من الايالة المؤمنية سنة خمس وعشرين كما ذكرناه متطاولا الى احتياز المغرب والاستيلاء على كرسي الدعوة بمراكش وكان يرى أن مظاهرة زناتة له على شأنه يتم له ما يسمو اليه من ذلك فكان يداخل أمراء زناتة فيرغبهم ويراسلهم فى ذلك على الاحيان من بنى مرين وبنى عبد الواد وتوجين ومغراوة وكان يغمراسن منذ تقلد طاعة بنى عبد المؤمن أقام دعوتهم يعمل متحيزا اليهم سلما لوليهم وحربا على عدوهم وكان الرشيد قد ضاعف له البر والخلوص وخطب منه مزيد الولاية والمصافاة وعاوده الاتحاف بأنواع الالطاف والهدايا عام سبع وثلاثين تقمنا لمسرته وميلا اليه عن جانب أقتال بنى مرين المجلبين على المغرب والدولة وأحفظ الامير أبا زكريا بن عبد الواحد صاحب افريقية ما كان من اتصال يغمراسن بالرشيد وهو من جواره بالمحل القريب واستكره ذلك وبينما هو على ذلك اذ وفد عليه عبد القوى بن عباس وولد منديل بن محمد صريخين على يغمراسن وسهلوا له أمره وسوّلوا له الاستيلاء على تلمسان وجمع كلمة زناتة واعتد ذلك ركابا لما يرومه من استطالة ملك الموحدين وانتظامه فى أمره وسلما للارتقاء ما يسمو اليه من ملكه وبابا للولوج على أهله فحركه املاؤهم وهزه الى النعرة صريخهم وأهاب بالموحدين وسائر الاولياء والعساكر على الحركة على تلمسان واستنفر لذلك سائر البدو من الاعراب الذين فى عمله من بنى سليم ورياح بظعنهم لداغية ونهض سنة تسع وثلاثين فى عساكر ضخمة وجيوش وافرة وسرح أمام حركته عبد القوى ابن العباس وأولاد منديل بن محمد لحشد من بأوطانهم من أحياء زناتة وأتباعهم وذوبان قبائلهم وأحياء زغبة احلافهم من العرب وضرب معهم لموافاتهم فى تخوم بلادهم ولما نزل زاغر قبلة تيطرى منتهى مجالات رياح وبنى سليم فى المغرب وافته هنالك أحياء زغبة من بنى عامر وسويد وارتحلوا معه حتى نازل تلمسان بجمع عساكر الموحدين وحشد زناتة وظعن المغرب بعد أن قدم الى يغمراسن الرسل من ملابنة والاعذار والبراءة والدعاء والطاعة فرجعهم بالخيبة (ولما حلت) عساكر الموحدين بساحة البلد برز يغمراسن وجموعه فنضحتهم ناشبة السلطان بالنبل فانكشفوا ولاذوا بالجدران وعجزوا عن حماية الاسوار فاستمكنت المقاتلة من الصعود ورأى يغمراسن ان قد أحيط بالبلد فقصد باب العقبة من أبواب تلمسان ملتفا على ذويه وخاصته واعترضه عساكر الموحدين فصمد نحوهم وجدل بعض أبطالهم فافرجوا له ولحق بالصحراء وانسلت الجيوش الى البلد من كل حدب فاقتحموه وعاثوا فيه بقتل النساء والصبيان واكتساح الاموال ولما تجلى غشاء تلك الهيعة وخسر تيار

الصدمة وخمدت نار الحرب راجع الموحدون بصائرهم وأمعن الامير نظره فيمن يقلده أمر تلمسان والمغرب الاوسط وينزله بثغرها لاقامة دعوته الدائلة من بنى عبد المؤمن والمدافعة عنها واستكبر ذلك أشرافهم وتدافعوه وتبرأ أمراء زناتة منه ضعفا عن مقاومة يغمراسن وعلما بأنه الفحل الذى لا يجدع أنفه ولا يطرق غيله ولا يصد عن فريسته وسرح يغمراسن الغارات فى نواحى العسكر فاختطفوا الناس من حوله وأطلوا من المراقب عليه وخاطب يغمراسن خلال ذلك الامير أبا زكريا راغبا فى القيام بدعوته بتلمسان فراجعه بالاسعاف واتصال اليد على صاحب مراكش وسوغه على ذلك جباية اقتطعها له وأطلق أيدى العمال ليغمراسن على جبايتها ووفدت أمه سوط النساء للاشتراط والقبول فأكرم موصلها وأسنى جائزتها وأحسن وفادتها ومنقلبها وارتحل الى حضرته لسبع عشرة ليلة من نزوله فى أثناء طريقه ووسوس اليه بعض الحاشية باستبداد يغمراسن عليه وأشاروا باقامة منافسيه من زناتة فأجابهم وقلد عبد القوى بن عطية التوجينى والعباس بن منديل المغراوى وعلى بن منصور الملكيشى على قومهم ووطنهم وعهد اليهم بذلك وأن لهم فى اتخاذ الآلة والمراسم السلطانية على سنن يغمراسن قريعهم فاتخذوها بحضرته وبمشهد من ملك الموحدين وأقاموا مراسمها ببابه وأعد المسير لتونس قرير العين بامتداد الملك وبلوغ وطره والاشراف على اذعان المغرب لطاعته وانقياده وحكمه وادالة عبد المؤمن فيه بدعوته ودخل يغمراسن بن زيان ووفى للامير أبى زكريا بعهده وأقام بها الدعوة له على سائر منابره وصرف الى مشاقيه من زناتة وجوه عزائمه فأذاق عبد القوى وأولاد عباس وأولاد منديل نكال الحرب وسامهم سوء العذاب والفتنة وجاس خلال ديارهم وتوغل فى بلادهم وغلبهم على الكثير من ممالكهم وشرد عن الامصار والقواعد ولاتهم وأشياعهم ودعاتهم ورفع عن الرعية ما نالهم من عدوانهم وسوء ملكتهم وثقيل عسفهم ولم يزل على تلك الحال الى أن كان من حركة صاحب مراكش يغمراسن بالدولة الحفصية ما نذكره ان شاء الله تعالى

بياض بالاصل

الخبر عن نهوض السعيد صاحب مراكش ومنازلته يغمراسن بجبل تامزردكت ومهلكه هنالك

لما انقضت دولة بنى عبد المؤمن وانتزى الثوار والدعاة بقاصية أعمالهم وقطعوها عن ممالكهم فاقتطع ابن هود ما وراء البحر من جزيرة الاندلس واستبد بها ودعا بالدعاء للمستنصر بن الظاهر خليفة بغداد من العباسيين لعهده ودعا الامير أبو زكريا بن أبى حفص بافريقية لنفسه وسما الى جمع كلمة زناتة والتغلب على كرسى الدعوة بمراكش

فنازل تلسان وغلب عليها سنة أربعين وقارن ذلك ولاية السعيد على بن المأمون ادريس بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وكان شهما حازما يقظا بعيد الهمة فنظر فى اعطاف دولته وفاوض الملأ فى تثقيف أطرافها وتقويم مائلها وأثار حفائظهم ماوقع من بنى مرين فى ضواحى المغرب ثم فى أمصاره واستيلائهم على مكناسة وافامتهم الدعوة الحفصية فيها كما ذكره فجهز المولد والعساكر وأزاح عللهم واستنفر عرب المغرب ومايليه واحتشد كافة المصامدة ونهض من مراكش آخر سنة خمس وأربعين يريد القاصية ويشرد بنى مرين عن الامصار الدانية * والمشور بوادى بهت وأعد السير الى تازى فوصلته هنالك طاعة بنى مرين كما ذكره ونفر معه عسكر منهم ونهض الى تلسان وماوراءها ونجا يغمراسن بن زيان وبنو عبد الواد بأهليهم وأولادهم الى قلعة تامزردكت قبلة وجدة فاعتصموا بها ووفد على السعيد الفقيه عبدون وزير يغمراسن مؤديا للطاعة * فى مذاهب الخدمة ومتوليا من حاجات الخليفة بتلسان مايدعوه اليه ويصرفه فى سبيله ومعتذرا عن وصول يغمراسن فلج الخليفة فى شأنه ولم يعذره وأبى الامباشرة طاعته بنفسه وساعده فى ذلك كانون بن جرمون السفيانى صاحب الشورى بمجلسه ومن حضر من الملا ورجعوا عبدونا لاستقدامه فتثاقل خشية على نفسه واعتمد السعيد الجبل فى عساكره وأناخ بها فى ساحة * وأخذ بمخنقهم ثلاثا ولرابعها ركب مهجرا على حين غفلة من الناس فى قائلة ليتطوف على المعتصم ويتقرى مكامنه فبصر به فارس من القوم يعرف يوسف بن عبد المؤمن الشيطان كان أسفل الجبل للاحتراس وقريبا منه يغمراسن ابن زيان وابن عمه يعقوب بن جابر فانقضوا عليه من بعض الشعاب وطعنه يوسف فأكبه عن فرسه وقتل يعقوب بن جابر وزيره يحيى بن عطوش ثم استلحموا الوقتهم مواليه ناصحا من العلوج وعنبرا من الخصيان وقائد جند النصارى أخو العمط وولدا يافعا من ولد السعيد (ويقال) انما كان ذلك يوم عبى العساكر وصعد الجبل للقتال وتقدم امام الناس فاقتطعه بعض الشعاب المتوعرة فى طريقه فتواثب به هؤلاء الفرسان وكان ماذكرناه وذلك فى صفر سنة ست وأربعين ووقعت النفرة فى العساكر لطائر الخبر فأجفلوا وبادر يغمراسن الى السعيد وهو صريع بالارض فنزل اليه وحياه وفداه واقسم له على البراءة من هلكته والخليفة واجم عصرعه يجود بنفسه الى ان فاض وانتهب المعسكر بجملته وأخذ بنو عبد الواد ماكان به من الاخبية والعازات واختص يغمراسن بفسطاط السلطان فكان له خالصة دون قومه واستولى على الذخيرة التى كانت فيه منها مصحف عثمان بن عفان يزعمون أنه أحد المصاحف التى انتسخت لعهد خلافته

* بياض بالاصل

* بياض بالاصل

* بياض بالاصل

وانه

وانه كان فى خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ثم صار فى ذخائر لمتونة فيما صار اليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالاندلس ثم الى خزائن الموحدين من خزائن لمتونة وهو لهذا العهد فى خزائن بنى مرين فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان حين غلبهم اياهم على تلمسان واقتحامها عنوة على ملكها منهم عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن فريسة السلطان أبى الحسن مقتحمها غلابا سنة سبع وثلاثين كما نذكره ومنها العقد المنتظم من خرزات الياقوت الفاخرة والدرر المشتمل على مئين متعددة من حصبانه يسمى بالثعبان وصار فى خزائن بنى مرين بعد ذلك الغلاب فيما اشتملوا عليه من ذخيرتهم الى أن تلف فى البحر عند غرق الاسطول بالسلطان أبى الحسن عرسى بجاية مرجعه من تونس حسبما نذكره بعد الى ذخائر من أمثاله وطرف من أشباهه مما يستخلصه الملوك لخزائنهم و يعنون به من ذخائرهم ولما سكنت النفرة وركد عاصف تلك الهيعة نظر يغمراسن فى شأن مواراة الخليفة فجهز ورفع على الاعواد الى مدفنه بالعباد بمقبرة الشيخ أبى مدين عفا الله عنه ثم نظر فى شأن حرمه وأخته تاعزونت الشهيرة الذكر بعد أن جاءها واعتذر اليها مما وقع وأصحبهن جملة من مشيخة بنى عبد الواد الى مأمنهن والحقوهن بدرعة من تخوم طاعتهم فكان له بذلك حديث جميل فى الابقاء على الحرم ورعى حقوق الملك ورجع الى تلمسان وقد خضدت شوكة بنى عبد المؤمن وأمنهم على سلطانه والله أعلم

(الخبر عما كان بينه و بين بنى مرين من الاحداث سائر أيامه)

قد ذكرنا ما كان بين هذين الحيين من المناغاة والمنافسة منذ الآماد المتطاولة بما كانت مجالات الفريقين بالصحراء متجاورة وكان التخم بين الفريقين واديا صا الى فجيج وكان بنو عبد المؤمن عند فشل الدولة وتغلب بنى مرين على ضاحية المغرب يستجيشون بنى عبد الواد مع عساكر الموحدين على بنى مرين فيجوسون خلال المغرب ما بين تازى الى فاس الى القصر فى سبيل المظاهرة للموحدين والطاعة لهم وسنذكر فى أخبار بنى مرين كثيرا من ذلك فلما هلك السعيد وأسف بنو مرين الى ملك المغرب سما ليغمراسن أمل فى مزاحمتهم وكان أهل فاس وقد تغلب أبو يحيى بن عبد الحق عليهم قد نقموا على قومه سوء السيرة وتمشت رجالاتهم فى اللياذ بطاعة الخليفة المرتضى ففعلوا فعلتهم فى الفتك بعامل أبى يحيى بن عبد الحق والرجوع الى طاعة الخليفة وأعد أبو يحيى المسير الى منازلتهم فحاصرهم شهورا وفى أثناء هذا الحصار اتصلت المخاطبة بين الخليفة المرتضى و يغمراسن بن زيان فى الاخذ بحجزة أبى يحيى بن عبد الحق بفاس فأجاب يغمراسن داعيه واستنفر لها اخوانه من زناتة فنفر معه عبد القوى بن عطية بقومه من

توجين وكافة القبائل من زناتة والمغرب ونهضوا الى وبلغ خبرهم الى أبي
يحيي بن عبد الحق بمكانه من حصار فاس فجهز كتائبه عليها ونهض للقائهم في بقية
العساكر والتقى الجمعان بايسلي من ناحية وجدة وكانت هنالك الواقعة المشهورة بذلك
المكان انكشف فيها جموع يغمراسن وغيره ورجعوا فى فلهم الى تلمسان
واتصلت بعد ذلك بينهم الحروب والفتنات سائر أيامه ورعا تخللتها الهدنات قليلا وكان
بينه وبين يعقوب بن عبد الحق ذمة مواصلة أوجب له رعيها وكثيرا ما كان يثني عليه
أخوه أبو يحيي من أجلها ونهض أبو يحيي بن عبد الحق سنة خمس وخمسين الى قتاله وبرز
اليه يغمراسن وتزاحفت جموعهم بأبي سليط فانهزم يغمراسن واعتزم أبو يحيي على
اتباعه فرده أخوه يعقوب بن عبد الحق (ولما) قفل الى المغرب صمد يغمراسن الى
سجلماسة لمداخلة كانت بينه وبين المنبات من عرب المعقل أهل مجالاتها وذئاب فلاتها
حدثته نفسه باهتبال الغرة فى سجلماسة من أجلها وكانت قد صارت الى ايالة أبي يحيي
ابن عبد الحق منذ ثلاث كما ذكرناه فى أخبارهم ونذر بذلك أبو يحيي فسابق اليها
يغمراسن بمن حضره من قومه فثقفها ووصل يغمراسن عقب ذلك بعساكره وأناخ بها
وامتنعت عليه فأفرج عنها قافلا الى تلمسان وهلك أبو يحيي بن عبد الحق اثر ذلك منقلبه
الى فاس فاستنفر يغمراسن أولياءه من زناتة وأحياء زغبة ونهض الى المغرب سنة
سبع وخمسين وانتهى الى كلدامان ولقيه يعقوب بن عبد الحق فى قومه فأوقع به وولى
يغمراسن منهزما ومر فى طريقه بتافرسيت فانتسفها وعاث فى نواحيها ثم تداعوا للسلم
ووضع أوزار الحرب وبعث يعقوب بن عبد الحق ابنه أبا مالك بذلك فتولى عقده وابرامه
ثم كان التقاؤهما سنة تسع وخمسين بوادي قبالة بنى يرناس واستحكم عقد الوفاق
بينهما بذلك واتصلت المهادنة الى ان كان منهما ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن كائنة النصارى وايقاع يغمراسن بهم)

كان يغمراسن بن زيان بعد مهلك السعيد وانفضاض عساكر الموحدين قد استخدم
طائفة من جند النصارى الذين كانوا فى جملته مستكثرا بهم معتدا بمكانهم مباهيا بهم فى
المواقف والمشاهد ونالهم طرف من حبل عنايته فاعتزوا به واستفحل أمرهم بتلمسان
حتى اذا كان سنة ثنتين بعد مرجعه من بلاد توجين فى احدى حركاته اليها كانت قصة
غدرهم الشنعاء التى أحسن الله فى دفاعها عن المسلمين وذلك أنه ركب فى بعض أيامه
لاعتراض الجنود بباب القرمادين من أبواب تلمسان وبينما هو واقف فى موكبه عند
قائدهم الجماعة اليه قائدهم وبادر النصارى الى محمد بن زيان أخي يغمراسن فتناوله
وأشار له بالحوى فبرز من الصف لاسراره وأمكنه من أذنه فتمكن به النصراني وقد

خالطه روعة أحس منها يغمراسن بمكره فانحاص منه وركض النصراني امامه يطلب النجاة وتبين الغدر وثارت بهم الذهماء من الحامية والرعايا فأحيط بهم من كل جانب وتناولتهم أيدي الهلاك بكل مهلك قعصا بالرماح وهبرا بالسيوف وشدخا بالعصي والحجارة حتى استلحموا وكان يوما مشهودا ولم يستخدم من بعدها جند النصارى بتلمسان حذرا من غائلتهم و يقال ان محمد بن زيان هو الذي داخل القائد في الفتك بأخيه يغمراسن وانه انما قتله عندما لم يتم لهم الامر تبرأ من مداخلته فلم يمهله غاشي الهيعة للتثبت في شأنها والله أعلم

(الخبر عن تغلب يغمراسن على سجلماسة ثم مصيرها بعد الى ايالة بني مرين)

كان عرب المعقل منذ دخول العرب الهلاليين الى صحراء المغرب الاقصى احلافا وشيعا لزناتة وأكثر انحياشهم الى بني مرين الا ذوي عبيد الله منهم لما كانت مجالاتهم لصق مجالات بني عبد الواد ومشاركة لها ولما استفحل شأن بني عبد الواد بين يدي ملكهم زحموهم عنها بالمناكب ونبذوا اليهم العهد واستلحقوا دونهم المنبات من ذوي منصور اقتالهم فكانوا احلافا وشيعة ليغمراسن ولقومه وكانت سجلماسة في مجالاتهم ومنقلب رحلتهم وكانت قد صارت الى ملك بني مرين ثم استبد بها القطراني ثم ثاروا به ورجعوا الى طاعة المرتضى وتولى كبر ذلك علي بن عمر كما ذكرناه في أخبار بني مرين ثم تغلب المنبات على سجلماسة وقتلوا عاملها علي بن عمر سنة ثنتين وستين وآثروا يغمراسن بملكها ودخل أهل البلد في القيام بدعوته وحملوهم عليها وحاجوا يغمراسن فنهض اليها في قومه وأمكنوه من قيادها فضبطها وعقد عليها لولده يحيى وأنزل معه ابن أخته حنينة واسمه عبد الملك بن محمد بن علي بن قاسم بن درع من ولد محمد وأنزل معهما يغمراسن بن حمامة فيمن معهم من عشائرهم وحشمهم فأقام ابنه يحيى أميرا عليها الى أن غلب يعقوب بن عبد الحق الموحدين على دار خلافتهم واطاعته طنجة وعامة بلاد المغرب فوجه عزمه الى انتزاع سجلماسة من طاعة يغمراسن وزحف اليها في العساكر والحشود من زناتة والعرب والبربر ونصب عليها آلات الحصار الى أن سقط جانب من سورها فاقتحموها عنوة في صفر سنة ثلاث وسبعين واستباحوها وقتل القائدان عبد الملك بن حنينة ويغمراسن بن حمامة ومن معهم من بني عبد الواد أمراء المنبات وصارت الى طاعة بني مرين آخر الايام والملك بيد الله يؤتيه من يشاء

(الخبر عن حروب يغمراسن مع يعقوب بن عبد الحق)

قد ذكرنا ما كان من شأن بني عبد المؤمن عند فشل دولتهم واستطالة بني مرين عليهم في الاستظهار ببني عبد الواد واتصال اليد بهم في الاخذ بحجزة عدوهم من بني مرين عليهم

ولما هلك المرتضى وولى أبودبوس سنة خمس وستين وستمائة وطلبتهم فتنته مع يعقوب بن عبد الحق فراسل يغمراسن في مدافعته وأكد العهد واستبق الهدية وأجلب اليه يغمراسن وشن الغارات على ثغور المغرب وأضرمها نارا وكان يعقوب بن عبد الحق محاصر المراكش فأفرج عنها ورجع الى المغرب واحتشد جموعه ونهض الى لقائه وتزاحف الفريقان بوادي تلاغ وقد استكمل كل تعبيته وكانت الوقيعة على يغمراسن استلحمت فيها حرمه واستلحم قومه وهلك ابنه أبو حفص عمر أعز ولده عليه في أتراب له من عشيرته مثل ابن أخته عبد الملك بن حنينة وابن يحيى بن مكي وعمر بن ابراهيم بن هشام ورجع عنه يعقوب بن عبد الحق الى مراكش حتى انقضى شأنه في التغلب عليها ومحى أثر بني عبد المؤمن منها ونزع لمحاربة بني عبد الواد وحشد كافة أهل المغرب من المصامدة والجموع والقبائل ونهض الى بني عبد الواد سنة سبعين فبرز اليه يغمراسن في قومه وأوليائه من مغراوة والعرب وتزاحفوا بايسلى من نواحي وجدة فكانت الدبرة على يغمراسن وانكشف جموعه وقتل ابنه فارس ونجا بأهله بعد ان أضرم معسكره نارا تفاديا من معرة اكتساحه ونجا الى تلمسان فانحجر بها وهدم يعقوب بن عبد الحق وجدة ثم نازله بتلمسان واجتمع اليه هنالك بنو توجين مع أميرهم محمد ابن عبد القوى ووصل يده بيد السلطان على يغمراسن وقومه وحاصروا تلمسان أياما فامتنعت عليهم وأفرجوا عنها ورجع كل الى عمله ومكان ملكه حسبما نذكره في أخبارهم وانعقدت بينهما المهادنة من بعد ذلك وفرغ يعقوب بن عبد الحق للجهاد ويغمراسن لمغالبة توجين ومغراوة على بلادهم الى أن كان من شأنهم ما نذكره والله أعلم

(الخبر عن شأن يغمراسن مع مغراوة وبني توجين وما كان بينهم من الاحداث)

كانت مغراوة في مواطنهم الاولى من نواحي شلب قد سالمتهم الدول عند تلاشي ملكهم وساموهم الجباية فرضوا بها مثل بني ورسفين وبني يلنت وبني ورتزمير وكان قيم سلطان لبني منديل بن عبد الرحمن من أعقاب آل خزر ملوكهم الاولى منذ عهد الفتح وما بعده على ما ذكرناه في خبرهم فلما انتزع عقد الخلافة بمراكش وتشغلت عصاها وكثر الثوار والخوارج بالجهات استقل منديل بن عبد الرحمن وبنوه بتلك الناحية وملكوا مليانة وتنس وشرشال وما اليها وتطاولوا الى متيجة فتغلبوا عليها ثم مدوا أيديهم الى جبل وانشريس وما اليه فتناولوا الكثير من بلاده ثم أزاحهم عنها بنو عطية الحيو وقومه من بني توجين المجاورون لهم في مواطنهم بأعالي شلب شرقي أرض السرسو وكان ذلك لاول دخول أحياء زناتة الناجعة بأرض القبلة الى التلول فتغلب بنو عبد الواد على نواحي تلمسان الى وادي صا وتغلب بنو توجين على ما بين الصحراء والتل من بلد المرية

الى جبل وانشريش الى مرات المعبات وصار التضم للمك بنى عبد الواد سلك والبطحاء من قبلهما مواطن بنى توجين ومن شرقيها مواطن مغراوة وكانت الفتنة بين بنى عبد الواد وبين هذين الحيين من أول دخولهم الى التلول (وكان المولى) الامير أبو زكريا بن أبى حفص يستظهر بهذين الحيين على بنى عبد الواد ويراغمهم بهم حتى كان من فتح تلمسان ماقدمناه وألبس جميعهم شارة الملك على ماذكرناه ونذكره فى أخبارهم فزاحموا يغمراسن بعدها بالمناكب وصرف هواليهم وجه النقمة والحروب ولم يزل الشأن ذلك حتى انقرض ملك هذين الحيين لعهد ابنه عثمان بن يغمراسن وعلى يده ثم على يد بنى مرين من بعدهم كما يأتى ذكره (ولما رجع) يغمراسن بن زيان من لقاء بنى مرين بايسلى من نواحى وجدة وهلك مرجعه منها أنفذ يغمراسن العهد لابنه محمد الامير بعده وزحف الى بلاده بفاس خلالها ونازل حصونها فامتنعت عليه وأحسن محمد بن عبد القوى فى دفاعه ثم زحف ثانية سنة خمسين اليهم فنازل حصن تافركينت من حصونهم وكان به على بن أبى زيان حافد محمد بن عبد القوى فامتنع به فى طائفة من قومه ورجل يغمراسن كظيما ولم يزل يغمراسن بعدها يثير الغارات على بلادهم ويجمع الكتائب على حصونهم وكان بتافركينت صنيعة من صنائع بنى عبد القوى ونسبه فى صنهاجة أهل ضاحية بجاية اختص بهذا الحصن ورسخت قدمه فيه واعتز بكثرة ماله وولده فأحسن الدفاع عنه وكان له مع يغمراسن فى الامتناع عليه أخبار مذكورة حتى سطا به بنو محمد بن عبد القوى حين شرهوا الى نقمته وأنفوا من استبداده فأتلفوا نفسه وتخطفوا نعمته فكان حتف ذلك الحصن فى حتفه كما يأتى ذكره (وعند) ماشبت نار الفتنة بين يغمراسن ومحمد بن عبد القوى وصل محمد يده بيعقوب بن عبد الحق فلما نازل يعقوب تلمسان سنة سبعين بعد أن هدم وجدة وهزم يغمراسن بايسلى جاءه محمد بن عبد القوى بقومه من بنى توجين وأقام معه على حصارها ورحلوا بعد الامتناع عليهم فرجع محمد الى مكانه ثم عاود يعقوب بن عبد الحق منازلة تلمسان سنة ثمانين وستمائة بعد ايقاعه بيغمراسن فى خرزوزة فلقيه محمد بن عبد القوى بالقصبات واتصلت أيديهم على تخريب بلاد يغمراسن مليا ونازلوا تلمسان أياما ثم افترقوا ورجع كل الى بلده (ولما) خلص يغمراسن بن زيان من حصاره زحف الى بلادهم وأوطأ عسكره أرضهم فغلب على الضاحية وخرب عمرانها الى أن تملكها بعده ابنه عثمان كما نذكره (وأما) خبره مع مغراوة فكان عمادرأيه فيهم التغريب بين بنى منديل بن عبد الرحمن للمنافسة التى كانت بينهم فى رياسة قومهم ولما رجع من واقعة تلاغ سنة ست وستين وهى الواقعة التى هلك فيها ولده عمر زحف بعدها الى بلاد مغراوة فتوغل فيها وتجاوزها الى من

وراءهم من ملكش والثعالبة وأمكنه عمر من مليانة سنة ثمان وستين على شرط الموازرة والمظاهرة على اخوته فلكها يغمراسن يومئذ وصار الكثير من مغراوة الى ولايته وزحف بأمعه الى المغرب سنة سبعين ثم زحف بعدها الى بلادهم سنة ثنتين وسبعين فتجافى له ثابت بن منديل عن تنس بعد ان أثخن في بلادهم ورجع عنها فاسترجعها ثابت ثم نزل له عنها ثانيا سنة احدى وثمانين بين يدي مهلكه عند ماتم له الغلب عليهم والاثخان في بلادهم الى أن كان الاستيلاء عليها لابنه عثمان على مانذكره ان شاء الله

(الخبر عن انتزاء الزعيم بن مكن ببلد مستغانم)

كان بنو مكن هؤلاء من علية القرابة من بني زيان يشاركونهم في محمد بن زكراز بن يندوكس بن طاع الله وكان لمحمد هذا أربعة من الولد كبيرهم يوسف ومن ولده جابر بن يوسف أول ملوكهم وثابت بن محمد ومن ولده زيان بن ثابت أبو الملوك من بني عبد الواد ودرع بن محمد ومن ولده عبد الملك بن محمد بن علي بن قاسم بن درع المشتهر بأمه حنينة أخت يغمراسن بن زيان ومكن بن محمد وكان له من الولد يحيى وعمر وكان من ولد يحيى الزعيم وعلي وكان يغمراسن بن زيان كثيرا ما يستعمل قرابته في الممالك ويوليهم على العمالات وكان قد استوحش من يحيى بن مكن وابنه الزعيم وغربهما الى الاندلس فأجازا من هنالك الى يعقوب بن عبد الحق الى تلمسان عامئذ وهما في جملته وأدركتهما المغيرة على قومهما وآثرا مفارقة السلطان اليهم فأذن لهم في الانطلاق ولحقا بيغمراسن ابن زيان حتى اذا كانت الواقعة عليه بخرزوزة سنة ثمانين كما قدمناه وزحف بعدها الى بلاد مغراوة وتجافى له ثابت بن منديل عن مليانة وانكفأ راجعا الى تلمسان استعمل على ثغر مستغانم الزعيم بن يحيى بن مكن فلما وصل الى تلمسان انتقض عليه ودعا الى الخلاف ومالأ عدوه من مغراوة على المظاهرة عليه فصمد اليه يغمراسن وحجر بها حتى لاذ منه بالسلم على شرط الاجازة الى العدوة فعقد له وأجازه ثم أجاز على أثره أبا يحيى واستقر بالاندلس الى أن هلك يحيى سنة ثنتين وتسعين ووفد الزعيم بعد ذلك على يوسف ابن يعقوب ومحمطه لبعض النزعات فاعتقله وفر من محبسه ولم يزل الاغتراب مطوحا به الى أن هلك والبقاء لله وحده ونشأ ابنه الناصر بالاندلس فكانت مثواه وموقف جهاده الى أن هلك (وأما) أخوه علي بن يحيى فأقام بتلمسان وكان من ولده داود بن علي كبير مشيخة بني عبد الواد وصاحب شوراهم وكان منهم أيضا ابراهيم بن علي عقد له أبو حمو الاوسط على ابنته فكان منها ولد كروكان لداود ابن عمه يحيى بن داود استعمله أبو سعيد ابن عبد الرحمن في دولتهم الثانية على وزارتهم فكان من شأنه ما نذكره في أخبارهم والامر لله

(الخبر عن شأن يغمراسن في معاقدته مع ابن الاحمر والطاغية)
(على فتنة يعقوب بن عبد الحق والاخذ بحجزته)

كان يعقوب بن عبد الحق لما أجاز الى الجهاد وأوقع بالعدو وخرب حصونهم ونازل اشبيلية وقرطبة وزلزل قواعد كفرهم ثم أجاز ثانية وتوغل في دار الحرب وأثخن فيها وتخلى له ابن اشقيلولة عن مالقة فملكها وكان سلطان الاندلس يومئذ الامير محمد المدعو بالفقيه ثاني ملوك بني الاحمر ملكهم هو الذي استدعى يعقوب بن عبد الحق للجهاد لما عهد له أبوه الشيخ بذلك فلما استفحل أمر يعقوب بالاندلس وتعاقب الثوار الى اللياذ به خشيه ابن الاحمر على نفسه وتوقع منه مثل فعل يوسف بن تاشفين بابن عباد فاعتمل في أسباب الخلاص مما توهم وداخل الطاغية في اتصال اليد والمظاهرة عليه وكان بمالقة ابن علي استعمله عليها يعقوب بن عبد الحق حين ملكها من يد اشقيلولة فاستماله ابن الاحمر وعده ووادياله بشلوبانية من مالقة طعمة له خالصة فتخلى عن مالقة اليها وأرسل الطاغية أساطيله في البحر لمنع الزقاق من اجازة السلطان وعساكره وراسلوا يغمراسن من وراء البحر في الاخذ بحجزة يعقوب وشن الغارات على ثغوره ليكون ذلك شاغلاله عنهم فبادر يغمراسن باجابتهم وترددت الرسل اليه من الطاغية ومنه الى الطاغية كما نذكره وبث السرايا والبعوث في نواحي المغرب فشغل يعقوب عن شأن الجهاد حتى لقد ساله المهادنة وان يفرغ لجهاد العدو فأبى عليه وكان ذلك مما دعا يعقوب الى الصمود اليه بمواقعته بخرزوزة كما ذكرناه ولم يزل شأنهم ذلك مع يعقوب بن عبد الحق وأيديهم متصلة عليه من كل جهة وهو ينتهز الفرص في كل واحد منهم متى أمكنه حتى هلك وهلكوا والله وارث الارض ومن عليها سبحانه

(الخبر عن شأن يغمراسن مع الخلفاء من بني أبي حفص)
(الذي كان يقيم بتلمسان دعوتهم ويأخذ قومه بطاعتهم)

كان زناتة يدينون بطاعة خلفاء الموحدين من بني عبد المؤمن أيام كونهم بالقفار وبعد دخولهم الى التلول فلما فشل أمر بني عبد المؤمن ودعا الامير أبو زكريا بن أبي حفص بافريقية لنفسه ونصب كرسي الخلاف للموحدين بتونس انصرفت اليه الوجوه من سائر الآفاق بالعدوتين وأملوه الكرة وأوفد زناتة عليه رسلهم من كل حي بالطاعة ولاذ مغراوة وبنو توجين بظل دعوته ودخلوا في طاعته واستنهضوه لتلمسان فنهض اليها وافتتحها سنة أربعين ورجع اليها يغمراسن واستعمله عليها وعلى سائر عمالاتها فلم يزل مقيما لدعوته واتبع أثره بنو مرين في اقامة الدعوة له فيما غلبوا عليه من بلاد المغرب وبعثوا اليه ببيعة مكناسة وتازي والقصر كما نذكره في أخبارهم الى ما دانوا به

ولابنه المستنصر من بعده من خطاب التهويل والاشارة بالطاعة والانقياد حتى غلبوا
على مراكش وخطبوا باسم المستنصر على منابرها حينا من الدهر ثم تبرأوا
بعد تناول تلك النقاصة عليه فعطلوا منابرهم من أسماء أولئك وأقطعوهم جانب
الوداد والموالاة ثم سموا الى اللقب والتفنن في الشارة الملوكية كما تقتضيه طبيعة
الدول وأما يغمراسن وبنوه فلم يزالوا آخذين بدعوتهم واحدا بعد واحد متجافين عن
اللقب أدبا معهم مجددين البيعة لكل من يجدد قيامه بالخلافة منهم يوفدون بها كبار
أبنائهم وأولي الرأي من قومهم ولم يزل الشأن ذلك ولما هلك الامير أبو زكريا وقام ابنه
محمد المستنصر بالامر من بعده وخرج عليه أخوه الامير أبو اسحق في احياء الزواودة
من رياح ثم غلبهم المستنصر جميعا ولحق الامير أبو اسحق بتلمسان في أهله فأكرم
يغمراسن نزلهم وأجاز الى الاندلس للمرابطة بها والجهاد حتى اذا هلك المستنصر
سنة سبع وسبعين واتصل به خبر مهلكه ورأى انه أحق بالامر فأجاز البحر في حينه
ونزل بمرسى هنين سنة سبع وسبعين ولقاه يغمراسن مبرة وتوقيرا واحتفل لقدومه
وأركب الناس لتلقيه وأتاه بيعته على عادته مع سلفه ووعده النصرة على عدوه
والموازرة على أمره وأصهر اليه يغمراسن في احدى بناته المقصورات في خيام
الخلافة بابنه عثمان ولي عهده وأسعفه وأجل في ذلك وعده وانتقض محمد بن أبي هلال
عامل بجاية على الواثق وخلع طاعته ودعا للامير أبي اسحق واستحثه للقدوم فأغذ اليه
السير من تلمسان وكان من شأنه ما قدمناه في أخباره فلما كانت سنة احدى وثمانين
وزحف يغمراسن الى بلاد مغراوة وغلبهم على الضواحي والامصار بعث من هنالك ابنه
ابراهيم وتسميه زناتة برهوم ويكنى أبا عامر أوفده في رجال من قومه على الخليفة أبي
اسحق لاستحكام الصهر بينهما فنزلوا منه على خير نزل من اسناء الجراية ومضاعفة
الكرامة والمبرة وظهر من آثاره في حروب ابن أبي عمارة ما مد الاعناق اليه وقصر
الشيم الزناتية على بيته ثم انقلب آخرا بظعينته محبورا واحتفل وابتنى بها عثمان بلغين
وصرلها وأصبحت عقيلة قصره فكان ذلك مفخر الدولته وذكراله ولقومه ولحق الامير
أبو زكريا ابن الامير أبي اسحق بتلمسان بعد خلوصه من مهلك قومه في واقعة الدعي بن
أبي عمارة عليهم عرماجنة سنة ثنتين وثمانين فنزل من عثمان بن يغمراسن صهره خير نزل
برا واحتفاء وتكريما وملاطفة وسربت اليه أخته من القصر أنواع التحف والانس
ولحق به أولياؤهم من صنائع دولتهم وكبيرهم أبو الحسن محمد بن الفقيه المحدث أبي بكر
ابن سيد الناس اليعمري فتفيؤا من كرامة الدولة بهم ظلالا وارفا واستنصروه الى تراث
ملكه وفاوض أبا مثواه عثمان بن يغمراسن في ذلك فناكره لما كان قد أخذ بدعوة

الحضرة وأوفد عليه رجال دولته بالبيعة على العادة فى ذلك فحدث الامير أبو زكريا
نفسه بالفرار عنه ولحق بداود بن هلال بن عطاف أمير البدو من بنى عامر احدى بطون
زغبة فأجاره وأبلغه مامنه فحيا الزواودة أمراء البدو بعمل الموحدين ونزل منهم على
عطية بن سليمان بن سباع كما قدمناه واستولى على بجاية سنة أربع وثمانين بعد
خطوب ذكرناها وقطعها عن ملك عمه صاحب الدولة بتونس أبى حفص ووفى لداود
ابن عطاف وأقطعه توطن بجاية عملا كبيرا افرد لجبايته كان فيه : من وادى
بجاية واشتغل الامير أبو زكريا بعمالك بونة وقسنطينة وبجاية والجزائر والزاب وما
وراءه وكان هذا الصهر وصلة له مع عثمان بن يغمراسن وبنيه (ولما نازل) يوسف بن
يعقوب تلمسان سنة ثمان وتسعين بعث الامير أبو زكريا المدد من جيوشه الى عثمان بن
يغمراسن وبلغ الخبر بذلك الى يوسف بن يعقوب فبعث أخاه أبا يحيى فى العساكر
لاعتراضهم والتقوا بجبل الزاب فكانت الدبرة على عسكر الموحدين واستلحموا هنالك
وتسمى المعركة لهذا العهد بمرسى الرؤس واستحكمت من أجل ذلك صاغية الخليفة
بتونس الى بنى مرين وأوفد عليهم مشيخة من الموحدين يدعوهم الى حصار بجاية
وبعث معهم الهدية الفاخرة وبلغ خبرهم الى عثمان بن يغمراسن من وراء جدره
فتنكرلها وأسقط ذكر الخليفة من منابره ومحاه من عمله فنسى لهذا العهد والله مالك
الامر سبحانه

: بياض بالاصل

الخبر عن مهلك يغمراسن بن زيان وولاية ابنه عثمان وما كان فى دولته من الاحداث

كان السلطان يغمراسن قد خرج من تلمسان سنة احدى وثمانين واستعمل عليها ابنه
عثمان وتوغل فى بلاد مغراوة وملك ضواحيهم ونزل له ثابت بن منديل عن مدينة تنس
فتناولها من يده ثم بلغه الخبر باقبال ابنه أبى عامر برهوم من تونس بابنة السلطان أبى
اسحق عرس ابنه عثمان فتلوم هنالك الى أن لحقه بظاهر مليانة فارتحل الى تلمسان
وأصابه الوجع فى طريقه وعندما أحل سريره اشتد به وجعه فهلك هنالك آخر ذى
القعدة من سنته والبقاء لله وحده فحمله ابنه أبو عامر على أعواد وواراه فى حدر مورديا
لمرضه الى أن تجاوز بلاد مغراوة الى سك ثم أغذ السير الى تلمسان فلقيه أخوه عثمان بن
يغمراسن ولى عهد أبيه فى قومه فبايعه الناس وأعطوه صفقة أيمانهم ثم دخل تلمسان
فبايعه العامة والخاصة وخاطب لحينه الخليفة بتونس أبا اسحق وبعث اليه ببيعته
فراجعه بالقبول وعقد له على عمله على الرسم ثم خاطب يعقوب بن عبد الحق يخطب منه
السلم لما كان أبوه يغمراسن أوصاه به (حدثنا) شيخنا العلامة أبو عبد الله محمد بن

ابراهيم الابلى قال سمعت من السلطان أبى حمو موسى بن عثمان وكنت قهرمانا بداره
قال أوصى دادا يغمراسن لدادا عثمان ودادا حرف كناية عن غاية التعظيم بلغتهم فقال له
يا بنى ان بنى مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الاعمال الغربية وعلى حضرة
الخلافة بمراكش لا طاقة لنا بلقائهم اذا جمعوا الوفور مددهم ولا يمكننى أنا القعود عن
لقائهم لمعرة النكوص عن القرب التى أنت بعيد عنها فاياك واعتماد لقائهم وعليك
باللياذ بالجدران متى دلفوا اليك وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من
عمالات الموحدين وممالكهم يستفحل به ملكك وتكافئ حشد العدو بحشدك ولعلك
تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك فعلقت وصية الشيخ بقلبه وعقد عليها
ضمائره وجنح الى السلم مع بنى مرين ليفرغ عزمه لذلك وأوفد أخاه محمد بن يغمراسن على
يعقوب بن عبد الحق بمكانه من العدوة الاندلسية فى اجازته الرابعة اليها فخاض اليه
البحر ووصله باركش فلقاه برا وكرامة وعقد له على السلم ما أحب وانكفأ راجعا الى
أخيه فطابت نفسه وفرغ لافتتاح البلاد الشرقية كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن شأن عثمان بن يغمراسن مع مغراوة وبنى توجين وغلبه على معاقلهم والكثير من أعمالهم)

لما انعقد لعثمان بن يغمراسن السلم مع يعقوب بن عبد الحق صرف وجهه الى الاعمال
الشرقية من بلاد توجين ومغراوة وما وراءها من أعمال الموحدين فتغلب أولا على
ضواحى بنى توجين ومغراوة وما وراءها ودوخ قاصيتها وسار الى بلاد مغراوة كذلك
ثم الى متيجة فانتسف نعمها وحطم زرعها ثم تجاوزها الى بجاية فحاصرها كما نذكره بعد
وامتنعت عليه فانكفأ راجعا ومر فى طريقه بمازونة فحاصرها وأطاعته وذلك سنة
ست وثمانين ونزل له ثابت بن منديل أمير مغراوة عن تنس فاستولى عليها وانتظم أمصار
بلاد مغراوة فى ايالته ثم عطف فى ثنية على بلاد توجين فاكتسح حبوبها واحتكرها
بمازونة استعدادا لما يتوقع من حصار مغراوة اياها ثم دلف الى تافركينت فحاصرها
وأخذ بمخنقها وداخل قائدها غالبا الخصى من موالى بنى محمد بن عبد القوى كان مولى
سيد الناس منهم فنزل له غالب عنها وانكفأ الى تلمسان ثم نهض الى بنى توجين سنة سبع
وثمانين فغلبهم على وانشريس مثوى ملكهم ومنبت عزهم وفر أمامه أميرهم مولى بنى
زرارة من ولد محمد بن عبد القوى وأخذ الحلف منهم فلحق بضواحى المرية فى الاعشار
وأولاد عزيز من قومه واتبع عثمان بن يغمراسن آثارهم وشردهم من تلك الناحية
وبها مولى زرارة فى مغرة وكان عثمان قبل ذلك قد دوخ بلاد بنى يدللتن من بنى توجين
ونازل رؤساءهم أولاد سلامة بالقلعة المنسوبة اليهم مرات فامتنعوا عليه ثم أعطوه

أيديهم على الطاعة ومفارقة قومهم بنى توجين الى سلطان بنى يغمراسن فنبذوا العهد الى بنى محمد بن عبد القوى أمرائهم منذ العهد الاول ووصلوا أيديهم بعثمان وألزموا رعاياهم وعمالهم المغارم له الى أن ملك وانشريس من بعدها كما نذكر ذلك فى أخبارهم وصارت بلاد توجين كلها دين عمله واستعمل الحشم بجبل وانشريس ثم نهض بعدها الى المدية وبها أولاد عزيز من توجين فنازلها وقام بدعوته فيها قبائل من صنهاجة يعرفون بلمدية واليهم ينسب فأمكنوه منها سنة ثمان وثمانين وبقيت فى ايالته سبعة أشهر ثم انتقضت عليه ورجعت الى ولاية أولاد عزيز وصالحوه عليها وأعطوه من الطاعة ما كانوا يعطونه محمد بن عبد القوى وبنيه فاستقام أمره فى بنى توجين ودانت له سائر أعمالهم ثم خرج سنة تسع وثمانين الى بلاد مغراوة لما كانوا عليه لبنى مرين فى احدى حركاتهم على تلمسان فدوخها وأنزل ابنه أبا حمو بشلب مركز عملهم فأقام به وقفل هو الى الحضرة وتحيز فل مغراوة الى نواحى متيجة وعليهم ثابت بن منديل أميرهم فلم يزالوا به ونهض عثمان اليهم سنة ثلاث وتسعين بعدها فانحجزوا المدينة برشك وحاصرهم بها أربعين يوما ثم افتتحها وخاض ثابت البحر الى المغرب فنزل على يوسف ابن يعقوب كما نذكره واستولى عثمان على سائر عمل مغراوة كما استولى على عمل بنى توجين فانتظم بلاد المغرب الاوسط كلها وبلاد زناتة الاولى ثم اشتغل بفتنة بنى مرين كما نذكر بعد ان شاء الله تعالى

(الخبر عن منازلة بجاية ومادعا اليها)

قد ذكرنا ان المولى أبا زكريا الاوسط بن المولى أبى اسحق بن أبى حفص لحق بتلمسان عند فراره من بجاية أمام شيعة الدعى بن أبى عمارة ونزل على عثمان بن يغمراسن بخير نزل ثم هلك الدعى ابن أبى عمارة واستقل عمه الامير أبو حفص بالخلافة وبعث اليه عثمان ابن يغمراسن بطاعته على العادة وأوفد عليه وجوه قومه ودس الكثير من أهل بجاية الى الامير أبى زكريا يستحثونه للقدوم ويعدونه اسلام البلد اليه وفاوض عثمان بن يغمراسن فى ذلك فأبى عليه وفاء بحق البيعة لعمه الخليفة بالحضرة فطوى عنه الخبر وتردد فى النقض أياما ثم لحق بأحياء زغبة فى مجالاتهم بالقفر ونزل على داود بن هلال بن عطاف وطلب عثمان بن يغمراسن اسلامه فأبى عليه وارتحل معه الى أعمال بجاية ونزلوا على أحياء الزواودة كما قدمناه ثم استولى المولى أبو زكريا بعد ذلك على بجاية فى خبر طويل ذكرناه فى أخباره واستحكمت القطيعة بينه وبين عثمان وكانت سببا لاستحكام الموالاة بين عثمان وبين الخليفة بتونس فلما زحف اليه عثمان سنة ست وثمانين وتوغل فى قاصية الشرق أعمل الى عمل بجاية ودوخ سائر أقطارها ثم نازلها بعد

ذلك يروم كدها بالاعتمال فى مرضاة خليفته بتونس ويسربذلك حسوا فى ارتقاء وأناخ عليها بعساكره سبعا ثم أفرج عنها منقلبا الى المغرب الاوسط فكان من فتح تافركينت ومازونة ماقدمناه

(الخبر عن معاودة الفتنة مع بنى مرين وشأن تلمسان فى الحصار الطويل)

لما هلك يعقوب بن عبد الحق سلطان بنى مرين على السلم المنعقد بينه وبين بنى عبد الواد لشغله بالجهاد وقام بالامر من بعده فى قومه ابنه يوسف كبير ولده على   شأن الجهاد واستمر يغمراسن وابنه بموالاة الطاغية وابن الاحمر فعقد يوسف بن يعقوب السلم مع الطاغية لحينه ونزل لابن الاحمر عن ثغور الاندلس التى كانت لهم وفرغ لحرب بنى عبد الواد واستتب له ذلك لاربع من مهلك أبيه دلف الى تلمسان سنة تسع وثمانين ولاذ منه عثمان بالاسوار فنازلها صباحا وقطع شجرها ونصب عليها المجانيق والآلات ثم أحس بامتناعها فأفرج عنها وانكفأ راجعا وتقبل عثمان بن يغمراسن مذهب أبيه فى مداخلة ابن الاحمر والطاغية وأوفد رسله عليها ولم يغن ذلك عنه شيأ وكان مغراوة قد لحقوا بيوسف بن يعقوب بتلمسان فنالوا منه أعظم النيل فلما أفرجوا عن تلمسان نهض عثمان الى بلادهم فدوخها وغلبهم عليها وأنزل ابنه أبا حمو بها كما قدمناه فلما كانت سنة خمس وتسعين نهض يوسف بن يعقوب الى حركته الثانية فنازل ندرومة ثم ارتحل عنها الى ناحية وهران وأطاعه أهل جبل كيدره وتاسكدلت رباط عبد الحق بن الشيخ أبى زيد اليزناسى ثم كر راجعا الى المغرب وخرج عثمان بن يغمراسن فأثخن فى تلك الجبال لطاعتهم عدوه واعتراضهم جنده واستباح رباط تاسكدلت ثم أغزاه يعقوب بن يوسف ثالثة سنة ست وتسعين ثم رجع الى المغرب ثم أغزاه رابعة سنة سبع وتسعين فنازل تلمسان وأحاط بها معسكره وشرعوا فى البناء ثم أفرج عنها لثلاثة أشهر ومر فى طريقه بوجدة فأمر بتجديد بنائها وجمع الفعلة عليها واستعمل أخاه أبا يحيى بن يعقوب على ذلك وأقام لشأنه ولحق يوسف بالمغرب وكان بنو توجين قد نازلوا تلمسان مع يوسف بن يعقوب وتولى كبر ذلك منهم أولاد سلامة أمراء بنى يدللتن وأصحاب القلعة المنسوبة اليهم فلما أفرج عنها خرج اليهم عثمان بن يغمراسن فدوخ بلادهم وحاصرهم بالقلعة ونال منها أضعاف ما نالوا منه وطال مغيبه فى بلادهم فخالفه أبو يحيى بن يعقوب الى ندرومة فاقتحمها عنوة بعسكره بمداخلة من قائدها زكريا بن يخلف بن المطغرى صاحب تاونت فاستولى بنو مرين على ندرومة وتاونت وجاء يوسف بن يعقوب على أثرها فوافاهم ودلفوا جميعا الى تلمسان وبلغ الخبر الى عثمان بمكانه من حصار القلعة فطوى المراحل الى تلمسان فسبق اليها يوسف بن يعقوب ببعض يوم ثم أشرفت طلائع

بني مرين عشي ذلك اليوم فأناخوا بها في شعبان سنة ثمان وتسعين وأحاط العسكر بها من جميع جهاتها وضرب يوسف بن يعقوب عليها سياجا من الاسوار محيطا بها وفتح فيه أبوابا مداخل لحربها واختط لنزله الى جانب الاسوار مدينة سماها المنصورة وأقام على ذلك سنين يغاديها بالقتال ويراوحها وسرح عساكره لافتتاح المغرب الاوسط وثغوره فملك بلاد مغراوة وبلاد توجين كما ذكرناه في أخباره وجثم هو بمكانه من حصار تلمسان لا يعدوها كالاسد الضاري على فريسته الى أن هلك عثمان وهلك هو من بعده كما نذكره والى الله المصير سبحانه وتعالى لا رب غيره

{الخبر عن ملك عثمان بن يغمراسن وولاية ابنه أبي زيان وانتهاء الحصار من بعده الى غايته}

لما أناخ يوسف بن يعقوب بعساكره على تلمسان اشجر بها عثمان وقومه واستسلموا والحصار آخذ بمخنقهم وهلك عثمان لخامسة السنين من حصارهم سنة ثلاث وسبعمائة وقام بالامر من بعده ابنه أبو زيان محمد (أخبرني) شيخنا العلامة محمد بن ابراهيم الايلي وكان في صباه قهرمان دارهم قال هلك عثمان بن يغمراسن بالديماس وكان قد أعدّ لشربه لبنا فلما أخذ منه وعطش دعا بالقدح فشرب اللبن وقام فلم يكن بأوشك ان فاضت نفسه وكا نرى معشر الصنائع انه داف فيه السم تفاديا من معرة غلب عدوهم اياهم قال وجاء الخادم الى قعيدة بيته زوجه بنت السلطان أبي اسحق بن الامير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب تونس وخبرها الخبر فجاءت ووقعت عليه واسترجعت وختمت على الابواب بسدادها ثم بعثت الى ابنيه محمد أبي زيان وموسى أبي حمو فعزتهما عن أبيهما وأحضرا مشيخة بني عبد الواد وعرضوا اليهم عرض السلطان فقال أحدهم مستفهما عن الشأن ومترجما عن القوم السلطان معنا آنفا ولم يمتد الزمن لوقوع المرض فان يكن هلك نخبرونا فقال له أبو حمو واذا هلك فما أنت صانع فقال انما نخشى من مخالفتك والا فسلطاننا أخوك الاكبر أبو زيان فقام أبو حمو من مكانه وأكب على يد أخيه يقبلها وأعطاه صفقة يمينه واقتدى به المشيخة فانعقدت بيعته لوقته واشتمل بنو عبد الواد على سلطانهم واجتمعوا اليه وبرزوا الى قتال عدوهم على العادة فكان عثمان لم يمت (وبلغ الخبر) الى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارهم فتفجع له وعجب من صرامة قومه من بعده واستمر حصاره اياهم الى ثمانية سنين وثلاثة أشهر من يوم نزوله نالهم فيها من الجهد مالم ينله أمة من الامم واضطروا الى أكل الجيف والقطوط والفيران حتى انهم زعموا انهم أكلوا فيها اشلاء الموتى من الناس وخربوا السقف للوقود وغلت أسعار الاقوات

والحرب وسائر المرافق بما تجاوز حدود العوائد وعجز وجدهم عنه فكان ثمن مكيال
القمح الذى يسمونه البرشالة ويتبايعون به مقداره اثنا عشر رطلا ونصف مثقالين
ونصفا من الذهب العين وثمن الشخص الواحد من البقر ستين مثقالا ومن الضان
سبعة مثاقيل ونصفا واثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمير بثمن المثقال
ومن الخيل بعشرة دراهم صغار من سكتهم تكون عشرة منها بالمثقال والرطل من الجلد
البقرى ميتة أو مذكى بثلاثين درهما والهر الداجن بمثقال ونصف والكلب بمثله
والفار بعشرة دراهم والحية بمثله والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة بستة
دراهم والعصافير كذلك والاوقية من الزيت باثنى عشر درهما ومن السمن بمثلها ومن
الشحم بعشرين ومن الفول بمثلها ومن الملح بعشرة ومن الحطب كذلك والاصل
الواحد من الكرنب بثلاثة أثمان المثقال ومن الخس بعشرين درهما ومن اللفت
بخمسة عشر درهما والواحدة من القثاء والفقوس بأربعين درهما والخيار بثلاثة
أثمان الدينار والبطيخ بثلاثين درهما والحبة من التين والاجاص بدرهمين واستهلك
الناس أموالهم وموجودهم وضاقت أحوالهم واستفحل ملك يوسف بن يعقوب بمكانه
من حصارها واتسعت خطة مدينة المنصورة المشيدة عليها ورحل اليها التجار بالبضائع
من الآفاق واستبحرت فى العمران بما لم تبلغه مدينة وخطب الملوك سلمه ووده ووفدت
عليه رسل الموحدين وهداياهم من تونس وبجاية وكذلك رسل صاحب مصر والشام
وهديته واعتز اعتزاز الاكفاء له كما يأتى فى أخباره وحلت الجندحامة ببنى يغمراسن
وقبيلهم وأشرفوا على الهلاك فاعتزموا على الالقاء باليد والخروج بهم للاستماتة فكيف
الله لهم الصنع الغريب ونفس عن مخنقهم بهلاك السلطان يوسف بن يعقوب على يد
خصى من العبيد فاحفظته بعض النزعات الملوكية فاعتمده فى كسر بيته ومخدع نومه
وطعنه بخنجر قطع أمعاءه وأدرك فسيق الى وزرائه فمزقوه أشلاء ولم يبق شىء من بنا
عهدهم كما ذكرناه والامر لله وحده وأذهب الله العناء عن آل زيان وقومهم وساكنى
مدينتهم كأنما نشروا من اجداث وكتبوا الى الآفاق بكتبهم ما أقرب فرج الله استغرابا لحادثتها
(وحدثنى) شيخنا محمد بن ابراهيم الابلى قال جلس السلطان أبو زيان صبيحة يوم
الفرج وهو يوم الاربعاء فى خلوة زوايا قصره واستدعى ابن حجاف خازن الزرع فسأله كم
بقى من الاهراء والمطامير المختومة فقال له انما بقى عولة اليوم وغد فاستوصاه بكتمانها
وبينما هم فى ذلك دخل عليه أخوه أبو حمو فأخبره فوجم لها وجلسوا ساكتين
لا ينطقون واذا بالخادم دعد قهرمانة القصر من وصائف بيت السلطان أبى اسحق
وحظية أبيهم خرجت من القصر اليهم وحيتهم تحيتها وقالت تقول لكم حظايا قصركم

وبنات

وبنات زيان حرمكم مالنا وللبقاء وقد أحيط بكم وأسف عدوكم لالتهامكم ولم يبق الافواق بكية لمصارعكم فأريحونا من معرة السبي وأريحوا فيناأنفسكم وقربوا الى مهالككم فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم فالتفت أبوحمو الى أخيه وكان من الشفقة بمكان وقال قد صدقتك الخبر فما تنظر بهن فقال ياموسى أرجئني ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا ولا تشاورني بعدها فيهن بل سرح اليهود والنصارى الى قتلهن وتعال الى تخرج مع قومنا الى عدونا فنستميت ويقضي الله مايشاء فغضب أبوحمو وأنكر الارجاء في ذلك وقال انما نحن والله نتربص المعرة بهن وبأنفسنا وقام عنه مغضبا وجهش السلطان أبوزيان بالبكاء قال ابن حجاف وانا بمكاني بين يديه لا أملك متأخرا ولا متقدما الى أن غلب عليه النوم فما راعني الا حرسي الباب يشير الى أن اذن السلطان بمكان رسول من معسكر بني مرين لسدة القصر فلم أطق رجع جوابه الا باشارة وانتبه السلطان من خفيف اشارتنا فزعا فأذنته واستدعاه فلما وقف بين يديه قال له ان يوسف بن يعقوب بهلك الساعة وانا رسول حافده أبي ثابت اليكم فاستبشر السلطان واستدعى أخاه وقومه حتى أبلغ الرسول رسالته بمسمع منهم وكانت احدى المغربات في الايام (وكان من خبر هذه الرسالة) ان يعقوب بن يوسف لما هلك تطاول للامر الاعياص من اخوته وولده وحفدته وتحيز أبو ثابت حافده الى بني ورتاجن لخؤلة كانت له فيهم فاستجاش بهم واعصوصبوا عليه وبعث الى أولاد عثمان بن يغمراسن أن يعطوه الآلة ويكونوا مفزعا له ومأمنا ان أخفق مسعاه على انه ان تم أمره قوض عنهم معسكر بني مرين فعاقدوه عليها ووفى لهم لما تم أمره ونزل لهم عن جميع الاعمال التي كان يوسف بن يعقوب استولى عليها من بلادهم وجاء بجميع الكتائب التي أنزلها في ثغورهم وقفلوا الى أعمالهم بالمغرب الاوسط كلها الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن السلطان أبي زيان بعد الحصار الى حين مهلكه)

كان من أول ما افتتح به السلطان أبوزيان أمره بعد الخروج من هون الحصار وتناوله الاعمال من يد بني مرين أن نهض من تلمسان ومعه أخوه أبوحمو آخر ذي الحجة من سنة ست وسبعمائة فقصد بلاد مغراوة وشرد من كان هنالك منهم في طاعة بني مرين واحتاز الثغور من يد عمالهم ودوخ قاصيتها ثم عقد عليها للمسامح مولاه ورجع عنها فانهض الى السرسو وكان العرب قد تملكوه أيام الحصار وغلبوا زناتة عليه من سويد والديالم ومن اليهم من بني يعقوب بن عامر فأجفلوا أمامه واتبعوا آثارهم الى أن أوقع بهم وانكفأ راجعا ومر ببلاد بني توجين فاقتضى طاعة من كان بقي بالجبل من

بنى عبد القوى وقدم الى تلمسان لتسعة أشهر من خروجه وقد نسف أطراف ملكه ومسح أعطاف دولته فنظر فى اصلاح قصوره ورياضه ورم ما ثلم من بلده وأصابه المرض خلال ذلك فاشتد وجعه ، وهلك آخر ذى الحجة سنة سبع و لقاء الله وحده

(الخبر عن محو الدعوة الحفصية من منابر تلمسان)

كانت الدعوة الحفصية بأفريقية قد انقسمت بين أعياصهم فى تونس و بجاية وأعمالها وكان التخم بينهما بلد بجاية وبونة وكان الخليفة بتونس الامير أبو حفص ابن الامير أبى زكريا الاول منهم وله الشفوف على صاحب بجاية والثغور الغربية بالحضرة فكانت بيعة بنى زيان له والدعاء على منابرهم باسمه وكانت لهم مع المولى الامير أبى زكريا الاوسط صاحب بجاية وصلة لمكان الصهر بينهم وبينه وكانت الوحشة قد اعترضت ذلك عند منازل عثمان بجاية كما قدمناه ثم تراجعوا الى وصلتهم واستمروا عليها الى أن نازل يوسف بن يعقوب تلمسان والبيعة يومئذ للخليفة بتونس السلطان أبى عصيدة بن الواثق والدعوة على منابر تلمسان باسمه وهو حاقد عليهم ولايتهم للامير أبى زكريا الاوسط صاحب الثغر فلما نازل يوسف بن يعقوب بأعلى تلمسان وبعث عساكره فى قاصية الشرق استجاش عثمان بن يغمراسن بصاحب بجاية فسرح عسكرا من الموحدين لمدافعتهم عن تلك القاصية والتقوا معهم بجبل الزاب فانكشف الموحدون بعد معترك صعب واستلحمهم شوهرين ويسمى المعترك لهذا العهد بمرسى الرؤس لكثرة ما تساقط فى ذلك المجال من الرؤس واستحكمت المنافرة بين يوسف بن يعقوب وصاحب بجاية وأوفد الخليفة بتونس على يوسف بن يعقوب مشيخة من الموحدين تجديد الوصلة سلفهم مع سلفه واغراء بصاحب بجاية وعلها بجاء موقع ذلك من عثمان بن يغمراسن وأحفظه مما لأه خليفته لعدوه فعطل منابره من ذكره وأخرج قومه وأهل التبعية دعوته وكان ذلك آخر المائة السابعة والله تعالى أعلم .

(الخبر عن دولة أبى حمو الاوسط وما كان فيها من الاحداث)

لما هلك الامير أبو زيان قام بالامر بعده أخوه أبو حمو فى آخر بات سنة سبع كما قدمناه وكان صارما يقظا حازما داهية قوى الشكيمة صعب العريكة شرس الاخلاق مفرط الدهاء والحدة وهو أول ملوك زناتة رتب مراسم الملك وهذب قواعده وأرهف فى ذلك لاهل ملكه حده وقلب لهم مجن بأسه حتى ذللوا العز ملكه وتأدبوا بآداب السلطان (سمعت) عريف بن يحيى أمير سويد من زغبة وشيخ المجالس الملوكية يقول وبعثه موسى بن عثمان هو معلم السياسة الملوكية لزناتة وانما كانوا رؤساء بادية حتى قام فيهم موسى بن عثمان فحددها وهذب مراسمها ونقل عنه ذلك أمثاله وأنظاره فتقبلوا

مذهبه واقتدوا بتعليمه انتهى كلامه (ولما استقل) بالامر افتتح شأنه بعقد السلم مع سلطان بنى مرين لاول دولته فأوفد كبراء دولته على السلطان أبى ثابت وعقد له السلم كما رضى ثم صرف وجهه الى بنى توجين ومغراوة فردد اليهم العساكر حتى دوخ بلادهم وذلل صعابهم وشرد محمد بن عطية الاصم عن نواحى وانشريس وراشد بن محمد عن نواحى شلب وكان قد لحق بها بعد مهلك يوسف بن يعقوب فأزاحه عنها واستولى على العملين واستعمل عليهما وقفل الى تلمسان ثم خرج سنة عشر فى عساكره الى بلاد بنى توجين ونزل تافركينت وسط بلادهم فشرد من أعقاب محمد بن عبد القوى عن وانشريس واحتاز رياستهم فى بنى توجين دونهم وأدام منهم بالحشم وبنى تيغزين وعقد لكبيرهم يحيى بن عطية على رياسة قومه فى جبل وانشريس وعقد ليوسف بن حسن من أولاد عزيز على وأعمالها وعقد لسعد من بنى سلامة على قومه من بنى يدللتن احدى بطون بنى توجين وأهل الناحية الغربية من عملهم وأخذ من سائر بطون بنى توجين الرهن على الطاعة والجباية واستعمل عليهم جميعا من صنائعه قائده يوسف بن حيون الهوارى وأذن له فى اتخاذ الآلة وعقد لمولاه مسامح على بلاد مغراوة وأذن له أيضا فى اتخاذ الآلة وعقد لمحمد بن عمه يوسف على مليانة وأنزله بها وقفل الى تلمسان والله أعلم

(الخبر عن استنزال زيرم بن حماد من ثغر برشك وما كان قبله)

كان هذا الغمر من مشيخة هذا القصر لوفور عشيرته من مكانته داخله وخارجه واسمه زيرى بالياء فتصرفت فيه العامة وصار زيرم بالميم ولما غلب يغمراسن على بلاد مغراوة دخل أهل هذا القصر فى طاعته حتى اذا هلك حدثت هذا الغمر نفسه بالانتزاء والاستبداد على برشك ما بين مغراوة وبنى عبد الواد ومدافعة بعضهم ببعض فاعتزم على ذلك وأمضاه وضبط برشك لنفسه سنة ثلاث وثمانين ونهض اليه عثمان بن يغمراسن سنة أربع بعدها ونازله فامتنع ثم زحف سنة ثلاث وتسعين الى مغراوة فلجأ ثابت بن منديل الى برشك وحاصره عثمان بها أربعين يوما ثم ركب البحر الى المغرب كما قلناه وأخذ زيرى بعدها بطاعة عثمان بن يغمراسن دافعه بها وانتقض عليه مرجعه الى تلمسان وشغل بنو زيان بعدها بما دهمهم من شأن الحصار فاستبد زيرى هذا ببرشك واستفحل شأنه بها واتقى بنى مرين عند غلبهم على بلاد مغراوة وتردد عساكرهم فيها بإخلاص الطاعة والانقياد فلما انقشع ايالة بنى مرين بمهلك يوسف بن يعقوب وخرج بنو يغمراسن من الحصار رجع الى ديدنه من التمريض فى الطاعة ومناولة طرفيها على البعد حتى اذا غلب أبو حمو على بلاد مغراوة وتجاوزت طاعته هذا المصر الى ما وراءه

خشيه زيري على نفسه وخطب منه الامان على أن ينزل لمعن المستر فبعث اليه رئيس القبائل ولته أبازيد عبد الرحمن بن محمد الامام كان أبوه من أهل برشك وكان زيري قد قتله لاول ثورته عليه وفر ابنه عبد الرحمن هذا وأخوه عيسى ولحقا بتونس فقرابها ورجعا الى الجزائر فأوطناها ثم انتقلا الى مليانة واستعملها بنو مرين في خطة القضاء بمليانة ثم وفدا بعد مهلك يوسف بن يعقوب على أبي زيان وأبي حمو مع عمال بني مرين وقوادهم بمليانة وكان فيهم منديل بن محمد الكناني صاحب أشغالهم المذكور في أخبارهم وكانا يقرآن ولده محمدا فأشادا عند أبي زيان وأبي حمو بمكانهما من العلم ووقع ذلك من أبي حمو أبلغ المواقع حتى اذا استقل بالامر ابتنى المدرسة بناحية المطهر من تلمسان لطلبة العلم وابتنى لهما دارين على جانبيها وجعل لهما التدريس فيها في ايوانين معدين لذلك واختصهما بالفتيا والشورى فكانت لهما في دولته قدم عالية فلما خطب زيري هذا الامان من أبي حمو وان يبعث اليه من يأمن معه في الوصول الى بابه بعث اليه أبازيد عبد الرحمن الاكبر منهما فنهض لذلك بعد أن استأذنه في أن يثأر منه بأبيه ان قدر عليه فأذن له فلما احتل ببرشك أقام بها أياما يغاديه فيها زيري ويراوحه بمكان نزله وهو يعمل الحيلة في اغتياله حتى اذا أمكنته قتله في بعض تلك الايام سنة ثمان وسبعمائة وصار أمر برشك الى السلطان أبي حمو وانمحى منه أثر المشيخة والاستبداد والامر بيد الله سبحانه

• (الخبر عن طاعة الجزائر واستنزال ابن علان منها وذكر أوليته) •

كانت مدينة الجزائر هذه من أعمال صنهاجة ومختطها بلكين بن زيري ونزلها بنوه من بعده ثم صارت للموحدين واستعملها بنو عبد المؤمن في أمصار المغربين وافريقية ولما استبد بنو أبي حفص بأمر الموحدين وبلغت دولتهم بلاد زناتة وكانت تلمسان ثغرا لهم واستعملوا عليها يغمراسن وبنيه من بعده وعلى ضواحي مغراوة بني منديل بن عبد الرحمن وعلى وانشريس وما اليها من عمل توجين محمد بن عبد القوي وبنيه وبقي ماوراء هذه الاعمال الى الحضرة لولاية الموحدين أهل دولته فكان العامل على الجزائر من الموحدين أهل الحضرة وفي سنة أربع وستين انتقضوا على المستنصر وتمكنوا في ذلك الانتقاض سبعا ثم أوعز الى أبي هلال صاحب بجاية بالنهوض اليها في سنة احدى وسبعين فحاصرها أشهرا وأفرج عنها ثم عاودها بالحصار سنة أربع وسبعين أبو الحسن ابن ياسين بعساكر الموحدين فاقتحمها عليهم عنوة واستباحها وتقبض على مشيختها فلم يزالوا معتقلين الى أن هلك المستنصر ولما انقسم أمر بني حفص واستقل الامير أبو زكريا الاوسط بالثغور الغربية وأبوه بعثوا اليه بالبيعة وولى عليهم ابن أكماز يروكانت

ولايتها من قبل فلم يزل هو والياً عليها الى أن أسنّ وهرم كان ابن علان من مشيخة الجزائر مختصاً به ومتصرفاً في أوامره ونواهيه ومصدراً لامارته وحصل له بذلك الرياسة على أهل الجزائر سائر أيامه فلما هلك ابن اكماز حدثته نفسه بالاستبداد والانتزاء بعد بيته فبعث عن أهل الشوكة من نظائره ليلة هلاك أميره وضرب أعناقهم وأصبح منادياً بالاستبداد واتخذ الآلة واستركب واستلحق من الغرباء والثعالبة عرب متيجة واستكثر من الرجل والرماة ونازلته عساكر بجاية مراراً فامتنع عليهم وغلب ماليكش على جماعة الكثير من بلاد متيجة ونازله أبو يحيى بن يعقوب بعساكر بني مرين عندما تملكهم على البلاد الشرقية وتوغلهم في القاصية فأخذ بمخنقها وضيق عليها ومرّ بابن علان القاضي أبو العباس الغماري رسول الامير خالد الى يوسف بن يعقوب فأودعه الطاعة للسلطان والضراعة اليه في الابقاء فأبلغ ذلك عنه وشفع له فأوعز الى أبيه يحيى بمسالمته ثم نازله الامير خالد بعد ذلك فامتنع عليه وأقام على ذلك أربع عشرة سنة وعيون الخطوب تحدده والايام تستجمع لحربه فلما غلب السلطان أبو حمو على بلاد توجين واستعمل يوسف بن حيون الهواري على وانشريس ومولاه مسامحا على بلاد مغراوة ورجع الى تلمسان ثم نهض سنة ثنتي عشرة الى بلاد شلب فنزل بها وقدم مولاه مسامحا في العساكر فدوخ متيجة من سائر نواحيها وترس بالجزائر وضيق حصارها حتى مسهم الجهد وسأل ابن علان النزول على أن يشترط لنفسه فتقبل السلطان اشتراطه وملك السلطان أبو حمو الجزائر وانتظمها في أعماله وارتحل ابن علان في جملة مسامح ولحقوا بالسلطان بمكانه من شلب فانكفأ الى تلمسان وابن علان في ركابه فأسكنه هنالك ووفى له بشرطه الى أن هلك والبقاء لله سبحانه

(الخبر عن حركة صاحب المغرب الى تلمسان وأولية ذلك)

لما خرج عبد الحق بن عثمان من أعياص الملك على السلطان أبي الربيع بفاس وبايع له الحسن بن علي بن أبي الطلاق صاحب بني مرين بعد اخلة الوزير رحو ابن يعقوب كما قدمناه في أخبارهم وملكوا تازى زحف اليهم السلطان أبو الربيع فبعثوا وفدهم الى السلطان أبي حمو صريخا ثم أعجلهم أبو الربيع وأجهضهم على تازى فلحقوا بالسلطان أبي حمو ودعوه الى المظاهرة على المغرب ليكونوا ردأ له دون قومهم وهلك السلطان أبو الربيع خلال ذلك واستقل بملك المغرب أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق فطالب السلطان أبا حمو باسلام أولئك النازعين اليه فأبى من اسلامهم واخفار ذمته وأجازهم البحر الى العدوة فأغضى له السلطان أبو سعيد عنها وعقد

له السلم ثم استراب يعيش بن يعقوب بن عبد الحق بمكانه عند أخيه السلطان أبي سعيد للسعي فيه عنده ففرّ عنه الى تلمسان وأجاره السلطان أبو حمو على أخيه فأحفظه ذلك ونهض الى تلمسان سنة أربع عشرة وعقد لابنه الامير أبي علي وبعثه في مقدمته وسار هو في الساقة ودخل أعمال تلمسان على هذه التعبية فاكتسح بسائطها ونازل وجدة فقاتلها وضيق عليها ثم تخطاها الى تلمسان فنزل بساحتها واتحجر موسى بن عثمان من وراء أسوارها وغلب على ضواحيها ورعاياها وسار السلطان أبو سعيد في عساكره يتقرى شعارها وبلادها بالحطم والانتساف والعيث بما أحيط به وثقلت وطأة السلطان عليه وحذر المغبة منه ألطف الحيلة في خطاب الوزراء الذين كان يسرّب أمواله فيهم ويخادعهم من نصائح سلطانهم حتى اقتضى مراجعتهم في جاره يعيش بن يعقوب وادالته من أخيه ثم بعث خطوطهم بذلك الى السلطان أبي سعيد فامتلأ قلبه منها خشية ورهبة واستراب بالخاصة والاولياء ونهض الى المغرب على تعبيته ثم كان خروج ابنه عمر عليه بعد مرجعه وشغلوا عن تلمسان وأهلها برهة من الدهر حتى جاء أمر الله في ذلك عند وقته والله تعالى أعلم

(الخبر عن مبدا احصار بجاية وشرح الداعية اليه)

لما رجع السلطان أبو سعيد الى المغرب وشغل عن تلمسان فرغ أبو حمو لاهل القاصية من عمله وكان راشد بن محمد بن ثابت بن منديل قد جاء من بلاد زواوة أثناء هذه الغمرة فاحتل بوطن شلب واجتمع اليه أوشاب قومه وحين تجلت الغمرة عن السلطان أبي حمو نهض اليه بعد أن استعمل ابنه أبا تاشفين على تلمسان وجمع له الجموع ففرّ أمامه ناجيا الى مثوى اغترابه ببجاية وأقام بنو سعيد بمعاقلهم من جبال شلب على دعوته فاحتل السلطان أبو حمو بوادي نهل نخيم به وجمع أهل أعماله لحصار بني أبي سعيد شيعة راشد بن محمد واتخذ هنالك قصره المعروف باسمه وسرّح العساكر لتدويخ القاصية ولحق به هنالك الحاجب ابن أبي حين مرجعه من الحج سنة احدى عشرة وسبعمائة وأغراه بملك بجاية ورغبه فيه وكان قد ثاب له طمع منذ رسالة السلطان مولانا أبي يحيى اليه وذلك انه لما انتقض على أخيه خالد ودعا لنفسه بقسنطينة ونهض الى بجاية فانهزم عنها كما قدمناه في أخباره وأوفد على السلطان أبي حمو بعض رجال دولته مغريا له بابن خلوف وبجاية ثم بعث اليه ابن خلوف أيضا يسأله المظاهرة والمدد فأطمعه ذلك في ملك بجاية (ولما هلك) ابن خلوف كما قدمناه لحق به كاتبه عبد الله بن هلال فأغراه واستحثه وشغله عن ذلك شأن الجزائر فلما استولى على الجزائر بعث مولاه مسامحا في عسكر مع ابن أبي حي فبلغوا الى جبل الزاب وهلك ابن أبي حي ورجع مسامح ثم شغله

عن شأنها زحف وفزع من أمر عدوه ونزل بلد ثابت كما ذكرناه آنفا ولحق به عثمان بن
سباع بن يحيى بن سباع بن سهل أمير الزواودة يستحثه لملك الثغور الغربية من عمل
الموحدين فاهتز لذلك وجمع الجموع وعقد لمسعود بن عمه أبي عامر برهوم على عسكر
وأمره بحصار بجاية وعقد لمحمد ابن عمه يوسف قائد مليانة على عسكر ولمولاه مسامح
على عسكر آخر وسرحهم الى بجاية وما وراءها للتدويخ البلاد وعقد لموسى بن علي
الكردي على عسكر ضخم وسرحه مع العرب من الزواودة وزغبة على طريق الصحراء
فانطلقوا الى وجههم ذلك وفعلوا الافاعيل كل فيما يليه وتوغلوا في البلاد الشرقية
حتى انتهوا الى بلاد بونة ثم انقلبوا من هنالك ومروا في طريقهم بقسنطينة ونازلوها أياما
وصعدوا جبل ابن ثابت المطل عليها فاستباحوه ثم مروا ببني باورار فاستباحوها
وأضرموها واكتسحوا سائر ما مروا عليه وحدثت بينهم المناكرة حسدا ومنافسة
فافترقوا ولحقوا بالسلطان ولحق مسعود بن برهوم محاصر البجاية وبنى حصنا بأصفون
لمقامه وكان يسرح الجيوش لقتالها فتجول في ساحتها ثم تراجع الى الحصن ولم يزل
كذلك حتى بلغه خبر خروج محمد بن يوسف فأجفل عنها على ما نذكره الآن فلم يرجعوا
لحصارها الا بعد مدة والله تعالى أعلم

(الخبر عن خروج محمد بن يوسف ببلاد بني توجين وحروب السلطان معه)

لما رجع محمد بن يوسف من قاصية الشرق كما قدمناه وسابقه الى السلطان موسى بن
علي الكردي وجوانحه تلتهب غيظا حقدا عليه وسعى به عند السلطان فعزله عن مليانة
فوجم لها وسأله زيارة ابنه الامير أبي تاشفين بتلمسان وهو ابن أخته فأذن له وأوعز الى
ابنه بالقبض عليه فأبى من ذلك وأراده والرجوع الى معسكر السلطان فخلى سبيله ولما
وصل اليه تنكر له وجهه فاستراب وملأ قلبه الرعب وفر من المعسكر ولحق بالمرية ونزل
على يوسف بن حسن بن عزيز عاملها للسلطان أبي حمو (بياض بالاصل) به من
نزاعته فأخذ له البيعة على قومه ومن اليهم من العرب وزحفوا الى السلطان
بعسكره من مهل فلقيهم في عساكره فكانت الدبرة على السلطان ولحق بتلمسان وغلب
محمد بن يوسف على بني توجين ومغراوة ونزل مليانة وخرج السلطان من تلمسان لأيام
من دخولها وقد جمع الجموع وأزاح العلل وأوعز الى مسعود بن برهوم بمكانه من حصار
بجاية بالوصول اليه بالعساكر ليأخذ بحجزتهم من ورائهم وخرج محمد بن يوسف على
مليانة لاعتراضه واستعمل على مليانة يوسف بن حسن بن عزيز فلقيه ببلاد ملكش
وانهزم محمد بن يوسف ولجأ الى جبل مرصالة وحاصره مسعود بن برهوم أياما ثم أفرج
عنه ولحق بالسلطان فنازلوا جميعا مليانة وافتتحها السلطان عنوة وجيء بيوسف

ابن حسن أسيرا من مكمنه ببعض المسارب فعفا عنه وأطلقه ثم زحف الى المرية فملكها وأخذ الرهن من أهل تلك النواحي وقفل الى تلمسان واستطال محمد بن يوسف على النواحي ففشت دعوته في تلك القاصية وخاطب مولانا السلطان أبا يحيى بالطاعة فبعث اليه بالهدية والآلة وسوّغه سهام يغمراسن بن زيان بافريقية ووعده بالمظاهرة وغلب سائر بلاد بني توجين وبايع له بنو تيغرين أهل جبل وانشريس فاستولى عليه ثم نهض السلطان الى الشرق سنة سبع عشرة وملك المرية واستعمل عليها يوسف ابن حسن لمدافعة محمد بن يوسف واستلع في أخذ الرهن منه ومن أهل العمالات وقبائل زناتة والعرب حتى من قومه بني عبد الواد ورجع الى تلمسان وأنزلهم بالقصبة وهي الغور الفسيح الخطة تماثل بعض الامصار العظيمة اتخذها الرهن وكان في ذلك حتى يأخذ الرهن المتعددة من البطن الواحد والفخذ الواحد والرهط وتجاوز ذلك الى أهل الامصار والثغور والمشيخة والسوقة فملأ تلك القصبة من أبنائهم واخوانهم وشحنها بالامم بعد الامم وأذن لهم في ابتناء المنازل واتخاذ النساء واختطا لهم المساجد فجمعوا بها الصلاة الجمعة ونفقت بها الاسواق والصنائع وكان حال هذه البنية من أغرب ما حكي في العصور عن سجن ولم يزل محمد بن يوسف بمكان خروجه من بلاد توجين الى أن هلك السلطان والبقاء لله

(الخبر عن مقتل السلطان أبي حمو وولاية ابنه أبي تاشفين من بعده)

كان السلطان أبو حمو قد اصطفى ابن عمه برهوم وتبناه من بين عشيرته وأولي قرباه لمكان صرامته ودهائه واختصاص أبيه برهوم المكنى أبا عامر بيغمراسن بن يغمراسن شقيقه من بين اخوته فكان يؤثره على بنيه ويفاوضه في شؤونه ويصله الى خلواته وكان دفع الى ابنه عبد الرحمن أبا تاشفين اترابا له من العلوجين يقومون في خدمته في مرباه ومنتشئه كان منهم هلال المعروف بالقطاني ومسامح المسمى بالصغير وفرج بن عبد الله وظافر ومهدي وعلي بن تاكدرت وفرج الملقب شقورة وكان ألصقهم وأعلقهم بنفسه تلاد له منهم يسمى هلالا وكان أبو حمو أبوه كثيرا ما يقرعه ويوبخه ارهاقا في اكتساب الخلال وربما يقرع في تقريعه لما كان عمه الله عنه فخاشا فيصغله لذلك وكان مع ذلك شديد السطوة متجاوزا بالعقاب وحدوده في الزجر والادب فكان أولئك العلوجين تحت رهب وكانوا يوعزون لذلك مولاهم أبا تاشفين بأبيه ويعثون غيرته المذكورين لمن اصطفاه ابن أبي عامر دونه وقارن ذلك أن مسعود بن أبي عامر أبلى في لقاء محمد بن يوسف الخارج على أبي حمو البلاء الحسن عندما رجع من حصار بجاية فاستحمد له السلطان ذلك وعير ابنه عبد الرحمن بمكان ابن عمه هذا من النجابة والصرامة يستجد

له بذلك خلالا ويغريه بالكمال وكان عمه أبو عامر ابراهيم بن يغمراسن ترى بما نال من جوائز الملوك فى وفاداته وما أقطع له أبوه وأخوه سائر أيامهما ولما هلك سنة ست وتسعين أوصى أخاه عثمان بولده فضمهم اليه ووضع تراثهم بموضع ماله حتى يأنس منهم الرشد فى أحوالهم حتى اذا كانت غزاة ابنه أبى سرحان هذه وعلا فيها ذكره وبعد صيته رأى السلطان أبو حمو أن يدفع اليه تراث أبيه لاستجماع خلاله فاحتمل اليه من المودع ونمى الخبر الى ولده أبى تاشفين وباطنته السوء من العلوجين فحسبوه مال الدولة قد حمل اليه لبعد عهدهم بما وقع فى تراث أبى عامر أبيه واتهموا السلطان بايثاره بولاية العهد دون ابنه فأغروا أبا تاشفين بالتوثب على الامر وحملوه على الفتك بعشنو به مسعود بن أبى عامر واعتقال السلطان أبى حمو ليتم له الاستبداد وتحينوا لذلك قائلة الهاجرة عند ما انصرف السلطان من مجلسه وقد اجتمع اليه بعض حجر القصر خاصته من البطانة وفيهم مسعود بن أبى عامر والوزراء من بنى الملاح وكان بنو الملاح هؤلاء قد استخصهم السلطان بحجابته سائر أيامه وكان مسمى الحجابة عنده قهرمة الدار والنظر فى الدخل والخرج وهم أهل بيت من قرطبة كانوا يحترفون فيها بسكة الدنانير والدراهم وربما دفعوا الى النظر فى ذلك ثقة بامانتهم نزل أولهم بتلمسان مع جالية قرطبة فاحترفوا بحرفتهم الاولى وزادوا اليها الفلاحة وتحلوا بخدمة عثمان بن يغمراسن وابنه وكان لهم فى دولة أبى حمو مزيد حظوة وعناية فولى على حجابته منهم لاول دولته محمد بن ميمون ابن الملاح ثم ابنه محمد الاشقر من بعده ثم ابنه ابراهيم بن محمد من بعدهما واشترك معه من قرابته على بن عبد الله بن الملاح فكانا يتوليان مهمه بداره ويحضران خلوته مع خاصته فحضروا يومئذ مع السلطان بعد انفضاض مجلسه كما قلناه ومعه من القرابة مسعود القتيل وحاموش بن عبد الملك بن حنيفة ومن الموالى معروف الكبير ابن أبى الفتوح بن عشر من ولد نصر بن على أمير بنى يزيد بن توجين وكان السلطان قد استوزره (فلما علم) أبو تاشفين باجتماعهم هجم ببطانته عليهم وغلبوا الحاجب على بابه حتى ولجوه متسايلين بعد أن استمسكوا من اغلاقه حتى اذا توسطوا الدار اعتوروا السلطان بأسيافهم فقتلوه وحام أبو تاشفين عنها فلم يفرجوا عليه ولاذ أبو سرحان منهم ببعض زوايا الدار واستمكن من غلقها دونهم فكسروا الباب وقتلوه واستلحموا من كان هنالك من البطانة فلم يفلت الا الاقل وهلك الوزراء بنو الملاح واستبيحت منازلهم وطاف الهاتف بسكك المدينة بأن أبا سرحان غدر بالسلطان وان ابنه أبا تاشفين ثأر منه فلم يخف على الناس الشأن وكان موسى بن على الكردى قائد العساكر قد سمع الصيحة فركب الى القصر فوجده مغلقا دونه

فكان التلمون تخشى استيلاء مسعود على الامر فبعث الى العباس بن يغمراسن كبير القرابة فأحضره عند باب القصر حتى اذا مرّ بهم الهاتف واستيقن مهلك أبي سرحان ردّ العباس على عقبه الى منزله ودخل الى السلطان أبي تاشفين وقد أدركه الدهش من المواقعة فثبته ونشطه لخفه وأجلسه بمجلس أبيه وتولى له عقد البيعة على قومه خاصة وعلى الناس عامة وذلك آخر جمادى الاولى من تلك السنة وجهز السلطان الى مدفنه بمقبرة سلفه من القصر القديم وأصبح مثلا فى الآخرين والبقاء لله وأشخص السلطان لاول ولايته سائر القرابة الذين كانوا بتلمسان من ولد يغمراسن وأجازهم الى العدوة حذرا من مغبة ترشيحهم وما يتوقع من الفتن على الدولة من قبلهم وقلد حجابته مولاه هلالا فاضطلع بأعبائها واستبدّ بالعقد والحل والابرام والنقض صدرا من دولته الى أن نكبه حسبما نذكره وعقد ليحيى بن موسى السنوسى من صنائع دولتهم على شلب وسائر أعمال مغراوة وعقد لمحمد بن سلامة بن على على عمله من بلاد بنى يدللتن من توجين وعزل أخاه سعدا فلحق بالمغرب وعقد لموسى بن على الكردى على قاصية المشرق وجعل اليه حصار بجاية وأغرى دولته بتشييد القصور واتخاذ الرياض والبساتين فاستكمل ماشرع فيه أبوه من ذلك وأتى عليه فاحتفلت القصور والمصانع فى الحسن ماشاءت واتسعت أخباره على مانذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نهوض السلطان أبى تاشفين لمحمد بن يوسف بجبل وانشريس واستيلائه عليه)

كان محمد بن يوسف بعد مرجع السلطان أبى حمو كما ذكرناه قد تغلب على جبل وانشريس ونواحيه واجتمع اليه الفل من مغراوة فاستفحل أمره واشتدت فى تلك النواحى شوكته وأهم أبا تاشفين أمره فاعتزم على النهوض اليه وجمع لذلك وأزاح العلل وأناخ على وانشريس وقد اجتمع به بنو توجين ومغراوة مع محمد بن يوسف وكان بتغرين من بنى توجين بطانة ابن عبد القوى يرجعون فى رياستهم الى عمر بن عثمان حسبما نذكره وكان قد استخلص سواه من بنى توجين دونه فأسفه بذلك وداخل السلطان أبا تاشفين وواعده أن ينحرف عنه فاقتحم السلطان عليهم الجبل وانحجزوا جميعا الى حصن توكال ثم خالفهم عمر بن عثمان فى قومه الى السلطان بعد أن حاصرهم ثمانيا فانخرم الجمع واختل الامر وانفض الناس فاقتحم الحصن وتقبض على محمد بن يوسف وجىء به الى السلطان أسيرا وقرّب مركبه فقعد عليه ثم وخزه برمحه وتناوله الموالى برماحهم فأقعصوه وحمل رأسه على القناة الى تلمسان فنصب بشرافات البلد وعقد لعمر بن عثمان على جبل وانشريس وأعمال بنى عبد القوى ولسعيد العربى من مواليه على عمل المرية

وزحف الى الشرق فأغار على أحياء رياح وهم بوادى الجنان حيث الثنية المفضية من بلاد حمزة الى القبلة وصبح أحياءهم فاكتسح أموالهم ومضى فى وجهه الى بجاية فعرس بساحتها ثلاثا وبها يومئذ الحاجب يعقوب بن عمر فامتنعت عليه فظهر له وجه المعذرة لأوليائهم فى استحصانها وقفل الى تلمسان الى ان كان من أمره ماذكره ان شاء الله تعالى *

(الخبر عن حصار بجاية والفتنة الطويلة مع الموحدين التى كان فيها حتفه وذهاب سلطانه وانقراض الأمر عن قومه برهة من الدهر)

لما رجع السلطان ابو تاشفين من حصار بجاية سنة تسع وعشرين اعتمل فى ترديد البعوث الى قاصية الشرق والالحاح بالغزو الى بلاد الموحدين فأغزاها جيوشه سنة عشرين فدوخوا ضواحى بجاية وقفلوا ثم غزاهم ثانية سنة احدى وعشرين وعليهم موسى بن على الكردى فانتهى الى قسنطينة وحاصرها فامتنعت عليه فأفرج عنها وابتنى حصن بكر لاول مضيق الوادى وادى بجاية وأنزل به العساكر لنظر يحيى بن موسى قائد شلب وقفل الى تلمسان ثم نهض موسى بن على ثالثة سنة ثنتين وعشرين فدوخ نواحى بجاية ونازلها أياما وامتنعت عليه فأفرج عنها ووفد سنة ثلاث وعشرين على السلطان حمزة بن عمر بن أبى الليل كبير البدو بافريقية صريخا على صاحب افريقية مولانا السلطان أبى يحيى فبعث معهم العساكر من زناتة وعامتهم من بنى توجين وبنى راشد وأمر عليهم القواد وجعلهم لنظر قائده موسى بن على الكردى فنصلوا الى افريقية وخرج السلطان للقائهم فانهزموا بنواحى مرماجنة وتخطفتهم الايدى فاستلحموا وقتل مسامح مولاه ورجع موسى بن على فاتهمه السلطان بالادهان وكان من نكبته ماذكره فى أخباره وسرح العساكر سنة أربع وعشرين فدوخت نواحى بجاية ولقيهم ابن سيد الناس فهزموهم ونجا الى البلد ووفد على السلطان سنة خمس وعشرين مشيخة سليم حمزة بن عمر بن أبى الليل وطالب بن مهلهل العجلان المتراجحان فى رياسة الكعوب ومحمد بن مسكين من بنى القوس كبراء حكيم فاستحثوه للحركة واستصرخوه على افريقية وبعث معهم العساكر لنظر قائده موسى بن على ونصب لهم ابراهيم بن أبى بكر الشهيد من أعياص الحفصيين وخرج مولانا السلطان أبو يحيى من تونس للقائهم وخشيهم على قسنطينة فسابقهم اليها فأقام موسى بن على بعساكره على قسنطينة وتقدم ابراهيم بن أبى بكر الشهيد فى أحياء سليم الى تونس فملكها كما ذكرناه فى أخبارهم وامتنعت قسنطينة على موسى بن على فأقلع عنها لخمس عشرة ليلة من حصارها وعاد الى تلمسان ثم أغزاه السلطان سنة ست وعشرين

فى الجيوش وعهد اليه بتدويخ الضاحية ومحاصرة الثغور فنازل قسنطينة وأفسد
نواحيها ثم رجع الى بجاية فحاصرها ثم عزم على الاقلاع ورأى أن حصن بكر غير
صالح لتجهيز الكتائب اليها لبعده وارتاد لبناء عليها ما هو أقرب منه فاختط بمكان
سوق الخميس بوادى بجاية مدينة لتجهيز الكتائب لها على بجاية وجمع الايدى على بنائها
من الفعلة والعساكر فتمت لاربعين يوما وسموها تامزيزدكت باسم الحصن القديم
الذى كان لبنى عبد الواد قبل الملك بالجبل قبلة وجدة وأنزل بها عساكره ثلاثة
آلاف وأوعز السلطان الى جميع عماله ببلاد المغرب الاوسط بنقل الحبوب اليها حيث
كانت والادم وسائر المرافق حتى الملح وأخذ الرهن من سائر القبائل على الطاعة
واستوفوا جباياتهم فثقلت وطأتهم على بجاية واشتد حصارها وغلت أسعارها (وبعث
مولانا السلطان أبو يحيى جيوشه وقواده سنة سبع وعشرين فسلكوا الى بجاية على
جبل بنى عبد الجبار وخرج بهم قائدها أبو عبد الله بن سيد الناس الى ذلك الحصن
وكان موسى بن على عند بلوغ خبرهم اليه استنفر الجنود من ورائه وبعث الى القواد
ملهم بالبدار فالتقى الجمعان بضاحية تامزيزدكت فانكشف ابن سيد الناس
وظافر الكبير مقدم الموالى من العلوجين باب السلطان واستبيح معسكرهم ولما هلك
السلطان قائده موسى بن على ونكبه كما نذكره فى أخباره أغزى يحيى بن موسى
السنوسى فى العساكر الى افريقية ومعه القواد فعاثوا فى نواحى قسنطينة وانتهوا
الى بلد بونة ورجعوا وفى سنة تسع وعشرين بعدها وفد حمزة بن عمر على السلطان أبى
تاشفين صريخا ووفد معه أو بعده عبد الحق بن عثمان فحل الشول من بنى مرين وكان
قد نزل على مولانا السلطان أبى يحيى منذ سنين تسخط بعض أحواله ولحق بتلمسان
السلطان معهم جميع قواده بجيوشه لنظر يحيى بن موسى ونصب عليهم محمد
أبى بكر بن عمران من أعياص الحفصيين ولقيهم مولانا السلطان أبو يحيى بالدماس
من نواحى بلاد هوارة وانخزل عنه أحياء العرب من أولاد مهلهل الذين كانوا
وانكشفت جموعه واستولى على ظعائنه بما فيها من الحرم وعلى ولديه احمد وعمر
بهم الى تلمسان ولحق مولانا المنصور أبو يحيى بقسنطينة وقد أصابه بعض الجراحة
خومة الحرب وسار يحيى بن موسى وابن أبى عمران الى تونس واستولوا عليها ثار
يحيى بن موسى عنهم بجموع زناتة لاربعين يوما من دخولها فقفل الى تلمسان وبلغ
الى مولانا السلطان أبى يحيى بتقويل زناتة عنهم فنهض الى تونس وأجهض عنها ابن
عمران بعد ان كان أوفد من بجاية ابنه أبا زكريا يحيى ومعه محمد بن تافراكين
مشيخة الموحدين صريخا على ابى تاشفين فكان ذلك داعية الى انتقاض ملكه كما نذكر

بعد وداخل السلطان أبا تاشفين بعض أهل بجاية ودلوه على عورتها واستقدموه فنهض اليها وحذر بذلك الحاجب ابن سيد الناس فسابقه اليها ودخل يوم نزوله عليها وقتل من اتهم بالمداخلة فانحسم الداء وأقلع السلطان أبو تاشفين عنها وولى عيسى بن مزروع من مشيخة بنى عبد الواد على الجيش الذى بتامزيزدكت وأوعز اليه ببناء حصن أقرب الى بجاية من تامزيزدكت فبناه بالياقوتة من أعلى وادى بجاية فأخذ بخنقها واشتد الحصار الى أن أخذ السلطان أبو الحسن بحجزتهم فأجفلوا جميعا الى تلمسان ونفس مخنق الحصار عن بجاية ونهض مولانا السلطان أبو يحيى بجيوشه من تونس الى تامزيزدكت سنة ثنتين وثلاثين فخربها فى ساعة من نهار كأن لم تغن بالامس حسبما ذكرناه ذلك فى أخباره والله تعالى أعلم

الخبر عن معاودة الفتنة بين بنى مرين وحصارهم تلمسان ومقتل السلطان أبى تاشفين ومصاير ذلك

كان السلطان أبو تاشفين قد عقد السلم لاول دولته مع السلطان أبى سعيد ملك المغرب فلما انتقض عليه ابنه أبو على سنة ثنتين وعشرين بعد المهادنة الطويلة من لدن استبداده بسجلماسة بعث ابنه القعقاع الى أبى تاشفين فى الاخذ بحجزة أبيه عنه ونهض هو الى مراكش فدخلها وزحف اليه السلطان أبو سعيد فبعث أبو تاشفين قائده موسى ابن على فى العساكر الى نواحى تازى فاستباح عمل كارث واكتسح زروعه وقفل واعتدها عليه السلطان أبو سعيد وبعث أبو تاشفين وزيره داود بن على بن مكن رسولا الى السلطان أبى على بسجلماسة فرجع عنه مغاضبا وجنح أبو تاشفين بعدها الى التمسك بسلم السلطان أبى سعيد فعقدلهم ذلك وأقاموا عليها مدة فلما نفر ابن مولانا السلطان أبى يحيى على السلطان أبى سعيد ملك المغرب وانعقد الصهر بينهم كما ذكرناه فى أخبارهم وهلك السلطان أبو سعيد نهض السلطان أبو الحسن الى تلمسان بعد أن قدم رسله الى السلطان أبى تاشفين فى أن يقلع بجيوشه عن حصار بجاية ويتجافى للموحدين عن عمل تنس فأبى وأساء الرد وأسمع الرسل بمجلسه هجر القول وأفزع لهم الموالى فى الشتم لمرسلهم بمسمع من أبى تاشفين فأحفظ ذلك السلطان أبو الحسن ونهض فى جيوشه سنة ثنتين وثلاثين الى تلمسان فتخطاها الى تاسالت وضرب بها معسكره وأطال المقام وبعث المدد الى بجاية مع الحسن البطوى من صنائعه وركبوا فى أساطيله من سواحل وهران ووافاهم مولانا السلطان أبو يحيى ببجاية وقد جمع لحرب بنى عبد الواد وهدم تامزيزدكت وجاء لموعد السلطان أبى الحسن معه أن يجتمعا بعساكرهما لحصار تلمسان فنهض من بجاية الى تامزيزدكت وقد أجفل منها عساكر بنى عبد الواد

وتركوها قفرا ولحقت بها عساكر الموحدين فما توا فى التخريب اوتها وألصقت جدرانها بالارض وتنفس مخنق بجاية من الحصار وانكمش بنو عبد الواد الى ماوراء تخومهم وفى خلال ذلك انتقض أبو على ابن السلطان أبى سعيد على أخيه وصمد من مقره بسجلماسة الى درعة وفتك بالعامل وأقام فيها دعوته كما نذكر ذلك بعد وطار الخبر الى السلطان أبى الحسن بمحلته بتاسالت فنهض راجعا الى المغرب لحسم دائه وراجع السلطان أبو تاشفين عزه وانبسطت عساكره فى ضواحى عمله وكتب الكتائب وبعثها مددا للسلطان أبى على ثم استنفر قبائل زناتة وزحف الى تخوم المغرب سنة ثلاث وثلاثين ليأخذ بحجزة السلطان أبى الحسن عن أخيه وانتهى الى الثغر من تاوريرت واقام هنالك تاشفين ابن السلطان أبى الحسن فى كتيبة جهزها أبوه معه هنالك لسد الثغور ومعه منديل بن حمامة شيخ بنى تيربيغين من بنى مرين فى قومه فلما برزوا اليه انكشف ورجع الى تلمسان ولما تغلب السلطان أبو الحسن على أخيه وقتله سنة أربع وثلاثين جمع لغزو تلمسان وحصارها ونهض اليها سنة خمس وقد استنفد وسعه فى الاحتفال لذلك واضطربت بها عساكره وضرب عليها سياج الاسوار وسرادقات الحفائر أطبقت عليهم حتى لا يكاد الطيف يخلص منهم ولا اليهم وسرح كتائبه الى القاصية من كل جهة فتغلب على الضواحى وافتتح الامصار جميعا وخرب وجدة كما يأتى ذكر ذلك كله وألح عليها بالقتال يغاديها ويراوحها ونصب المجانيق واشتد بها مع السلطان أبى تاشفين زعماء زناتة من بنى توجين وبنى عبد الواد وكان عليهم فى بعض أيامها اليوم المشهور الذى استلحمت فيه أبطالهم وهلك أمراؤهم وذلك أن السلطان أبا الحسن كان يباكرهم فى الاحيان فيطوف من وراء أسواره التى ضربها عليهم شوطا يرتب المقاتلة ويثقف الاطراف ويسد الفروج ويصلح الخلل وأبو تاشفين يبعث العيون فى ارتصاد فرصة فيه وأطاف فى بعض الايام منتبذا عن الجملة فكمنوا له حتى اذا سلك ما بين الجبل والبلد انقضوا عليه يحسبونها فرصة قد وجدوها وضايقوه حتى كاد السرعان من الناس أن يصلوا اليه وأحس أهل المعسكر بذلك فركبوا ازرافات ووحدانا وركب ابناه الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك جناحا عسكره وعقابا جحافله وتهاوت اليهم صقور بنى مرين من كل جو فانكشفت عساكر البلد ورجعوا القهقرى ثم ولوا الادبار منهزمين لا يلوى أحد منهم على أحد واعترضهم مهوى الخندق فتطارحوا فيه وتهافتوا على ردمه فكان الهالك يومئذ بالردم أكثر من الهالك بالقتل وهلك من بنى توجين يومئذ كبير الحشم وعامل جبل وانشريس ومحمد بن سلامة بن على أمير بنى يدللتن وصاحب قلعة تاوغزوت بما اليها من عمالهم وهما ما هما فى زناتة الى أشباههما وأمثال استلحموا فى هذه

الوقعة لحظ هذا اليوم جناح الدولة وحطم منها واستمرت منازلة السلطان أبي الحسن اياها الى آخر رمضان من سنة سبع وثلاثين فاقتحمها يوم السابع والعشرين منه غلابا ولجأ السلطان أبو تاشفين الى باب قصره في لمة من أصحابه ومعه ولداه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن علي وعبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق من أعياص بني مرين وهو الذي لحق بهم من تونس كما ذكرناه وسيأتي ذكره وخبره ومعه يومئذ ابنا أخيه أبو زيان وأبو ثابت فمانعوا دون القصر مستميتين الى أن استلحموا ورفعت رؤسهم على عصي الرماح فطيف بها وغصت سكك البلد من خارجها وداخلها بالعساكر وكظت أبوابها بالزحام حتى لقد كب الناس على أذقانهم وتواقعوا فوطئوا بالحوافر وتراكمت أشلاؤهم ما بين البابين حتى ضاق المذهب ما بين السقف ومسلك الباب وانطلقت الايدي على المنازل نهبا واكتساحا وخلص السلطان الى المسجد الجامع واستدعى رؤساء الفتيا والشورى أبا زيد عبد الرحمن وأبا موسى عيسى ابني الامام قد مهما من أعماله لمكان معتقده في أهل العلم فحضروه ورفعوا اليه أمر الناس وما نالهم من معرة العسكر ووعظوه فأناب ونادى مناديه برفع الايدي عن ذلك فسكن الاضطراب وأقصر العيث وانتظم السلطان أبو الحسن أمصار المغرب الاوسط وعمله الى سائر أعماله وتاخم الموحدين بثغوره وطمس رسم الملك لآل زيان ومعالمه واستتبع زناتة عصبا تحت لوائه من بني عبد الواد وتوجين ومغراوة وأقطعهم ببلاد المغرب سهاما أدالهم بها من تراثهم من أعمال تلمسان فانقرض ملك آل يغمراسن برهة من الدهر الى أن أعاده منهم أعياص سموا اليه بعد حين عند نكبة السلطان ابي الحسن بالقيروان كما نذكره فأومض بارقه وهبت ريحه والله يؤتي ملكه من يشاء

(الخبر عن رجال دولته وهم موسى بن علي ويحيى بن موسى ومولاه هلال وأوليتهم ومصاير أمورهم واختصاصهم بالذكر لما صار من شهرتهم وارتفاع صيتهم)

فأما موسى بن علي الحاجب الهالك فأصله من قبيلة الكرد من أعاجم المشرق وقد أشرنا الى الخلاف في نسبهم بين الامم وذكر المسعودي منهم أصنافا سماهم في كتابه من الشاهجان والبرسان والكيكان الى آخرين منهم وان مواطنهم ببلاد أذربيجان والشام والموصل وأن منهم نصارى على رأي اليعقوبية وخوارج على رأي البراءة من عثمان وعلي انتهى كلامه (وكان) منهم طوائف بجبل شهرزور من عراق العجم وعامتهم يتقلبون في الرحلة وينتجعون لسائمتهم مواقع الغيث ويتخذون الخيام لسكناهم من اللبود وجل مكاسبهم الشاء والبقر من الانعام وكانت لهم عزة وامتناع بالكثرة ورياسات ببغداد أيام تغلب الاعاجم على الدولة واستبدادهم بالرياسة ولما طمس ملك

بنى العباس وغلب التتر على بغداد سنة ست وخمسين وستمائة وقتل ملكهم هلاون آخر خلفاء العباسيين وهو المستعصم ثم ساروا فى ممالك العراق وأعماله فاستولوا عليها وعبر الكثير من الكرد نهر الفرات فرارا أمام التتر لما كانوا يدينون به من المجوسية وساروا فى ايالة الترك فاستنكف أشرافهم وبيوتاتهم من المقام تحت سلطانهم وأجاز منهم الى المغرب عشيرتان تعرفان ببنى لوين وبنى بابير فى اليهم من الاتباع ودخلوا المغرب لآخر دولة الموحدين ونزلوا على المرتضى بمراكش فأحسن تلقيهم وأكرم مثواهم وأسنى لهم الجراية والاقطاع وأحلهم بالمحل الرفيع من الدولة (ولما انتقض) أمر الموحدين بعد ثان وصولهم صاروا الى ملكة بنى مرين ولحق بعضهم بيغمراسن بن زيان ونزع المستنصر الى افريقية يومئذ بيت من بنى بابير لا أعرفهم كان منهم محمد بن عبد العزيز المعروف بالمزوار صاحب مولانا السلطان أبى يحيى وآخرون غيرهم منهم وكان من اشهر من بقى فى ايالة بنى مرين منهم ثم من بنى بابير على بن حسن بن صاف وأخوه سليمان ومن بنى لوين خضر بن محمد وكانت تكون الفتنة بينهم كما كانت فى مواطنهم الاولى فاذا اتعدوا للحرب توافت اليهم أشياعهم من تلمسان وكان نضالهم بالسهام وكانت القسى سلاحهم وكان من أشهر الوقائع بينهم وقيعة بفاس سنة أربع وسبعين وستمائة جمع لها خضر رئيس بنى لوين وسليمان وعلى رئيسا بنى بابير واقتتلوا خارج باب الفتوح وتركهم يعقوب بن عبد الحق لشأنهم من الفتنة حياء منهم فلم يعرض لهم وكان مهلك سليمان منهم بعد ذلك مرابطا بثغر طريف عام تسعين وستمائة وكان لعلى بن حسن ابنه موسى اصطنعه السلطان يوسف بن يعقوب وكشف له الحجاب عن داره وربى بين حرمه فتمكنت له دالة تسخط بسببها بعض الاحوال مما لم يرضه فذهب مغاضبا ودخل الى تلمسان أيام كان يوسف بن يعقوب محاصرا لها فتلقاه عثمان بن يغمراسن من التكرمة والترحيب بما يناسب محله من قومه ومنزلته من اصطناع السلطان وأشار يوسف بن يعقوب على ابنه باستمالته فلقيه فى حومة القتال وحادثه واعتذر له بكرامة القوم اياه فحضه على الوفاء لهم ورجع الى السلطان فخبره الخبر فلم ينكر عليه وأقام هو بتلمسان وهلك أبوه على بالمغرب سنة سبع وسبعمائة ولما هلك عثمان بن يغمراسن بن زيان زاده بنوه اصطناعا ومداخلة وخلطوه بأنفسهم وعقدوا له على العساكر لمحاربة أعدائهم وولوه الاعمال الجليلة والرتب الرفيعة من الوزارة والحجابة ولما هلك السلطان أبو حمو وقام بأمره ابنه أبو تاشفين وكان هو الذى تولى له أخذ البيعة على الناس وغص بمكانه مولاه هلال فلما استبد عليه وكان كثيرا ما ينافس موسى بن على ويناقشه خشيه على نفسه وأجمع على اجازة البحر للمرابطة بالاندلس فبادره هلال وتقبض عليه وغربه

الى العدوة ونزل بغرناطة وانتظم فى الغزاة المجاهدين وأمسك عن جرايه السلطان فلم يعد اليها بدا أيام مقامه وكانت من أنزه ماجاءبه وتحدث به الناس فأغربوا وانقدحت لها بجوانح هلال حسدا وعداوة فأغرى سلطانه فخاطب ابن الاحمر فى استقدامه فأسلمه اليه واستعمله السلطان فى حروبه على قاصيته حتى كان من نهوضه بالعساكر الى افريقية للقاء مولانا السلطان أبى يحيى سنة سبع وعشرين وكانت الدبرة عليه واستلحمت زناتة ورجع فى الفل فأغرى هلال السلطان وألقى فى نفسه التهمة به ونمى ذلك اليه فلحق بالعرب الزواودة وعقد مكانه على محاصرة بجاية ليحيى بن موسى صاحب شلب ونزل هو على سليمان ويحيى بن على بن سباع بن يحيى من أمراء الزواودة فى أحيائهم فلقوه مبرة وتعظيما وأقام بين أحيائهم مدة ثم استقدمه السلطان ورجع الى محله من مجلسه ثم تقبض عليه لاشهر وأشخصه الى الجزائر فاعتقله بها وضيق محبسه ذهابا مع أغراض منافسه هلال حتى اذا سخط هلالا استدعاه من محبسه أضيق ما كان فانطلق اليه فلما تقبض على هلال قلد موسى بن على حجابته فلم يزل مقيما لرسمها الى يوم اقتحم السلطان أبو الحسن تلمسان فهلك مع أبى تاشفين وبنيه فى ساحة قصرهم كما قلناه وانقضى أمره والبقاء لله وانتظم بنوه بعد مهلكه فى جملة السلطان أبى الحسن وكان كبيرهم سعيد قد خلص من بين القتلى فى تلك الملحمة بباب القصر بعد هدو من الليل مثخنا بالجراح وكانت حياته بعدها تعد من الغرائب ودخل فى عفو السلطان الى أن عادت دولة بنى عبد الواد فكان له فى سوقها نفاق حسبما نذكره والله غالب على أمره (وأما يحيى بن موسى) فأصله من بنى سنوس احدى بطون كومية ولهم ولاء فى بنى كمين بالاصطناع والتربية ولما انصل بنو كمين الى المغرب قعدوا عنهم واتصلوا ببنى يغمراسن واصطنعوهم ونشأ يحيى بن موسى فى خدمة عثمان وبنيه واصطناعهم (ولما كان الحصار ولاه أبو حمو مهمه من التطواف بالليل على الحرس بمقاعدهم من الاسوار وقسم القوت على المقاتلة بالمقدار وضبط الابواب والتقدم فى حومة الميدان وكان له أعوان على ذلك من خدامه قد لزموا الكون معه فى البكر والآصال والليل والنهار وكان يحيى هذا منهم فعرفوا له الخدمة وذهبوا الى اصطناعه وكان من أول ترشيحه ترديد أبى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارهم فيما بينهم من المضاربة فكان يجلى فى ذلك ويوفى من عرض مرسله ولما تخرج جوامن الحصار أربوا به على رتب الاصطناع والتنويه (ولما ملك أبو تاشفين) استعمله بشلب مستبدا بها وأذن له فى اتخاذ الآلة ثم لما نزل موسى بن على عن حرب الموحدين وقاصية الشرق عزله به وكانت المرية وتنس من عمله فلما نازل السلطان أبو الحسن تلمسان راسله بالطاعة والكون معه فتقبله وجاءبه من

مكان عمله فقدم عليه بجمعه على تلمسان فاختصه باقباله ورفع مجلسه من بساطه ولم يزل عنده تلك الحال الى أن هلك بعد افتتاح تلمسان والله مصرف الاقدار (وأما هلال) فأصله من سبى النصارى القطلونيين أهداه السلطان ابن الاحمر الى عثمان وصار الى السلطان أبى حمو فأعطاه الى ولده أبى تاشفين فيما أعطاه من الموالى العلوجيين ونشأ عنده وتربى وكان مختصا عنده بالرأفة والدالة وتولى كبر تلك الفعلة التى فعلوا بالسلطان أبى حمو ولما ولى بعده ابنه أبو تاشفين ولاه على حجابته وكان مهيبا فظا غليظا فقعد بمقعد الفصل ببابه وأرهف للناس سطوه وزحزح المرشحين عن رتب المماثلة الى التعلق باهدابه فاستولى على الامر واستبد على السلطان ثم حذر مغبة الملك وسوء العواقب فاستأذن السلطان فى الحج وركب اليه من هنين بعض السفن اشتراها بماله وشحنها بالعبيد والعدة والاقوات والمقاتلة وأقام كاتبه الحاج محمد بن حواتة ببابه السلطان على رسم النيابة عنه وأقلع سنة أربع وعشرين فنزل بالاسكندرية وصحب الحاج من مصر فى حملة الامير عليهم ولقى فى طريقه سلطان السودان من آل منسى موسى واستحكمت بينهما المودة ثم رجع بعد قضاء فرضه الى تلمسان فلم يجد مكانه من السلطان ولم يزل من بعد ذلك يتنكر له وهو يسايسه بالمداراة والاستجداء الى أن سخطه فتقبض عليه سنة تسع وعشرين وأودعه سجنه فلم يزل معتقلا الى أن هلك من وجع أصابه قبيل فتح تلمسان ومهلك السلطان بأيام فكانت آية عجبا فى تقارب مهلكهما واقتراب سعادتهما ونحوسهما وقد كان السلطان أبو الحسن يتبع الموالى الذين شهدوا مقتل السلطان أبى حمو وأهلك هلالا هذا من عقابه بعونه والله بالغ حكمه

{ الخبر عن استيلاء عثمان بن جرار على ملك تلمسان بعد نكبة السلطان أبى الحسن بالقيروان وعود الملك بذلك لبنى زيان }

كان بنو جرار هؤلاء من فصائل بنى تيدوكسن بن طاع الله وهم بنو جرار بن يعلى بن تيدوكسن وكان بنو محمد بن زكراز يغضون اليهم من أول الامر حتى صار الملك اليهم واستبدوا به فجروا على جميع الفصائل من عشائرهم ذيل الاحتقار ونشأ عثمان بن يحيى ابن محمد بن جرار هذا من بينهم مرموقا بعين التجلة والرياسة وسعى عند السلطان أبى تاشفين بأن فى نفسه تطاولا للرياسة فاعتقله مدة وفر من محبسه فلحق بملك المغرب السلطان سعيد فأكرم نزله وأكرم منزله وأحسن مثواه فنسك وزهد واستأذن السلطان عند تغلبه على تلمسان فى الحج بالناس فأذن له وكان قائد الركب من المغرب الى مكة سائر أيامه حتى استولى السلطان أبو الحسن على اعمال الموحدين وحشد أهل المغرب من زناتة والعرب لدخول افريقية اندرج عثمان هذا فى جملته واستأذنه قبيل القيروان فى الرجوع الى

المغرب فأذن له ولحق بتلمسان فنزل على أميرها من ولد الامير أبي عنان كان قد عقد له على عملها ورشحه لولاية العهد بولايتها فازدلف اليه
من الخبر عن أبيه
وتلطف فيما أودع سمعه من تورط أبيه في مهالك افريقية واياسه من خلاصه ووعده بمصير الامر اليه على ألسنة الخبراء والكهان وكان يظن فيه أن لديه من ذلك علما وعلى تفيئة ذلك كانت نكبة السلطان أبي الحسن بالقيروان وظهر مصداق ظنه واصابة قياسه فأغراه بالتوثب على ملك أبيه والبدار الى فاس لغلاب منصور بن أخيه أبي مالك عليها كان استعمله جده أبو الحسن هنالك وأراه آية سلطانه وشواهد ملكه وتحيل عليه في اشاعة مهلك السلطان أبي الحسن والقائه على الالسنة حتى أوهم صدقه وتصدى الامير أبو عنان للامر وتسايل اليه الفل من عساكر بني مرين فاستلحق وبث العطاء وتلقى نابالدعاء لنفسه في ربيع سنة تسع وأربعين وعسكر خارج تلمسان للنهوض الى المغرب كما نذكره في أخبارهم ولما فصل دعا عثمان لنفسه وانتزى على كرسيه واتخذ الآلة وأعاد من ملك بني عبد الواد رسما لم يكن لآل جرار واستبد أشهرا قلائل الى أن خلص اليه من آل زيان من ولد عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن من طمس معالمه وخسف به وبداره وأعاد أمر بني عبد الواد في نصابه حسبما نذكره والله أعلم

(الخبر عن دولة أبي سعيد وأبي ثابت من آل يغمراسن وما فيها من الاحداث)

كان الامير أبو يحيى جدهما من أكبر ولد يغمراسن بن زيان وكان ولي عهده بعد مهلك أخيه عمر الاكبر ولما تغلب يغمراسن على سجلماسة سنة احدى وستين وستمائة استعمله عليها فأقام بها حولا وولد له هنالك ابنه عبد الرحمن ثم رجع الى تلمسان فهلك بها ونشأ عبد الرحمن بسجلماسة ولحق بتلمسان بعد أمه فأقام مع بني أبيه الى أن غص السلطان بمكانه وغربه الى الاندلس فمكث بها حينا وهلك في مرابطته بثغر قرمونة في بعض أيام الجهاد وكان له بنون أربعة يوسف وعثمان والزعيم وابراهيم فرجعوا الى تلمسان وأوطنوها أعواما حتى اذا استولى السلطان أبو الحسن على ملكهم وأضاف الى دولته دولتهم نقلهم من تلمسان الى المغرب في جملة أعياصهم ثم سألوا اذنه في المرابطة بثغور الاندلس التي في عمله فأذن لهم وفرض لهم العطاء وأنزلهم بالجزيرة فكانت لهم بالجهاد مواقف مذكورة ومواطن معروفة ولما استنفر السلطان أبو الحسن زناتة لغزو افريقية سنة ثمان وأربعين كانوا في جملته مع قومهم بني عبد الواد وفي راياتهم ومكانهم معلوم بينهم فلما اضطرب أمر السلطان أبي الحسن وتألب عليه الكعوب من بني سليم أعراب افريقية وواضعوه الحرب بالقيروان كان بنو عبد الواد أول النازعين عنه اليهم فكانت النكبة والتحيز بالقيروان وانطلقت ايدي

الاعراب على الضواحي واستقض المغرب من سائر أعماله أذنوا لبني عبد الواد في اللحاق
بقطرهم وكان عليهم فروا بتونس وأقاموا بها أياما وخلص الملأ منهم نجيا في شأن
أمرهم ومن يقدمون عليهم فأصفقوا بعد الشورى على عثمان بن عبد الرحمن
واجتمعوا اليه اجمعهم يومئذ وقد خرجوا به الى الصحراء وأجلسوه بباب مصلى العيد
من تونس على درقة ثم ازدحموا عليه بحيث توارى شخصه عن الناس يسلمون عليه
بالامارة ويعطونه الصفقة على الطاعة والبيعة حتى استولوا جميعا ثم انطلقوا به الى
رحالهم واجتمع مغراوة أيضا الى أميرهم علي بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل الذي
ذكرناه من قبل وتعاهدوا على الصحابة الى أعمالهم والمهادنة آخر الايام واستئثار كل
بسلطانه وتراث سلفه وارتحلوا على تفيئة ذلك الى المغرب وشنت البوادي عليهم
الغارات في كل وجه ثم يظفروا منهم بقلامة ظفر مثل ويغن ونونة وأهل جبل بني ثابت
وبلمطروا بصابة وكان بها قبل من مغراوة وتوجين رحلوا بها منذ غلبوا على اعمالهم
وصاروا في جند السلطان فارتحلوا معهم واعترضهم بجبل الزاب برابرة زواوة
فأوقعوا بهم وظهر من نجدتهم وبلائهم في الحروب ما هو معروف لأوليهم ثم لحقوا
بشلب فتلقتهم قبائل مغراوة وبايعوا السلطانهم علي بن راشد فاستوسق ملكه وانصرف
بنو عبد الواد والاميران أبو سعيد وأبو ثابت بعد أن أحكموا العقد وأبرموا الوثائق مع
علي بن راشد وقومه وكان في طريقهم بالبطحاء أحياء سويد ومن معهم من احلافهم
قد نزلوا هنالك مع شيخهم ونزمار بن عريف منهزمين من تاسالت أمام جيوش السلطان
أبي عنان فأجفلوا من هنالك ونزل بنو عبد الواد مكانهم وكان في جملتهم جماعة من بني
جرار بن يندوكسن كبيرهم عمران بن موسى ففر ابن عثمان بن يحيى بن جرار الى تلمسان
فعقد له على حرب أبي سعيد وأصحابه فنزل الجند الذين خرجوا معه الى السلطان أبي
سعيد وانقلب هو الى تلمسان والقوم في أثره فأدرك بطريقه وقتل ومر السلطان الى البلد
فثارت العامة بعثمان بن جرار فاستأمن لنفسه من السلطان فأمنه ودخل الى قصر الملك
آخر جمادى الاخيرة من سنة تسع وأربعين فاقتعد أريكته وأصدر أوامره واستوزر
واستكتب وعقد لأخيه أبي ثابت الزعيم على ما وراء بابه من شؤون ملكهما وعلى
القبيل والحروب واقتصر هو على ألقاب الملك وأسمائه ولزم الدعة وتقبض لأول
دخوله على عثمان بن يحيى بن جرار فأودعه المطبق الى أن مات في رمضان من سنته ويقال
قتيلا وكان من أول غزوات السلطان أبي ثابت غزاته الى كومية وذلك أن كبيرهم
ابراهيم بن عبد الملك كان شيخا عليهم منذ حين من الدهر وكان ينتسب في بني عابد وهم
قوم عبد المؤمن بن علي من بطون كومية فلما وقع الهرج بتلمسان حسب أنه لا يخلى

عمامه وحدثته نفسه بالانتزاء فدعا لنفسه وأضرم بلاد كومية وما اليها من السواحل نارا وفتنة فجمع له السلطان أبو ثابت ونهض الى كومية فاستباحهم قتلا وسبيا واقتحم هنين ثم ندرومة بعدها وتقبض على ابراهيم بن عبد الملك الخارج فجاء به معتقلا الى تلمسان وأودعه السجن فلم يزل به الى أن قتل بعد أشهر وكانت أمصار المغرب الاوسط وثغوره لم تزل على طاعة السلطان أبي الحسن والقيام بدعوته وبها حاميته وعماله وأقربها الى تلمسان مدينة وهران كان بها القائد عبد بن سعيد بن جانا من صنائع بني مرين قد ضبطها ولقبها وملأها أقواتا ورجالا وسلاحا وملأ مرساها أساطيل فكان أول ما قدموه من أعمالهم النهوض اليه فنهض السلطان أبو ثابت بعد ان جمع قبائل زناتة والعرب ونزل على وهران وحاصرها أياما وكان في قلوب بني راشد احلافهم مرض فداخلوا قائد البلد في الانقضاض على السلطان أبي ثابت ووعدوه الوفاء بذلك عند المناجزة فبرز وناجزهم الحرب فانهزم بنو راشد وجرّوا الهزيمة على من معهم وقتل محمد ابن يوسف بن عنان بن فارس أخي يغمراسن بن زيان من أكابر القرابة وانتهب المعسكر ونجا السلطان أبو ثابت الى تلمسان الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن لقاء أبي ثابت مع الناصر ابن السلطان أبي الحسن وفتح وهران بعدها)

كان السلطان أبو الحسن بعد وقعة القيروان قد لحق بتونس فأقام بها والعرب محاصرون له ينصبون الاعياص من الموحدين لطلب تونس واحدا بعد آخر كما ذكرناه في أخبارهم وبينما هو موتل الكرة ووصول المدد من المغرب الاقصى اذ بلغه الخبر بانتقاض السكك أجمع وبانتقاض ابنه وحافده ثم استيلاء بني عنان على المغرب كله ورجوع بني عبد الواد ومغراوة وتوجين الى ملكهم بالمغرب الاوسط للدعوة التي كانت قائمة له بأمصاره في الجزائر ووهران وجبل وانشريس وكان به نصر بن عمر بن عثمان بن عطية فأقام بدعوته وأن يكون عريف بن يحيى في جملة الناصر لمكانه من السلطان ومكان قومه من الولاية وكان ذلك من عريف تفاديا من المقام بتونس فأجاب اليه السلطان وبعثهم جميعا ولحق الناصر ببلاد حصين فأعطوه الطاعة وارتحلوا معه ولقيه العطاف والديالم وسويد فاجتمعوا اليه وتألبوا معه وارتحلوا يريدون منداس وبينما الامير أبو ثابت يريد معاودة الغزو الى وهران اذ جاءه الخبر بذلك فطيّره الى السلطان أبي عنان وجاءه العسكر من بني مرين مددا صحبة أبي زيان ابن اخيه أبي سعيد كان مستقرا بالمغرب منذ نهوضهم الى القيروان وبعث عنه أبوه فجاء مع المدد من العساكر والمال ونهض أبو ثابت من تلمسان أول المحرم سنة خمسين وبعث الى مغراوة بالخبر فقعدوا عن مناصرته ولحق ببلاد العطاف فلقيه الناصر هنالك في جموعه بوادي ورك آخر شهر

ربيع الاول فانكشفت جموع العرب وانهزموا ولحق الناصر بالزاب فنزل على أبي عزفي ببسكرة الى أن أصحبه من رجالات سليم من أوصله الى أبيه بتونس ولحق عريف ابن يحيى بالمغرب الاقصى واحتل عند السلطان أبي عنان بمكانه من مجالسهم فحصل على البغية ورجع العرب كلهم الى طاعة أبي ثابت وخدمته واستراب بصغير بن عامر بن ابراهيم فتقبض عليه وأشخصه معتقلا مع البريد الى تلمسان فاعتقل بها الى أن أطلق بعد سنين وقفل أبو ثابت الى تلمسان فتلوم بها أياما ثم نهض الى وهران في جمادى من سنته فحاصرها أياما ثم افتتحها عنوة وعفا عن علي بن جانا القائم بعد مهلك أخيه عبو وعمن معه وأطلق سبيلهم واستولى على ضواحي وهران وما اليها ورجع الى تلمسان وقد استحكمت العداوة بينه وبين مغراوة وكان قد استحجرها ماقدمناه من تعودهم عن نصره فنهض اليهم في شوال من سنته والتقوا عدوة وادى زهير فاقتتلوا مليا ثم انكشفت مغراوة ولحقوا بمعاقلهم واستولى أبو ثابت على معسكرهم وملك مازونة وبعث ببيعتها الى أخيه السلطان أبي سعيد وكان على اثر ذلك وصول السلطان أبي الحسن من تونس كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

الخبر عن وصول السلطان أبي الحسن من تونس ونزوله بالجزائر وما دار بينه وبين أبي ثابت من الحروب ولحوقه بعد الهزيمة بالمغرب

كان السلطان أبو الحسن بعد واقعة القيروان طال مقامه بتونس وحصار العرب اياه واستدعاه أهل المغرب الاقصى وانتقض عليه أهل الجريد وبايعوا للفضل بن مولانا السلطان أبي يحيى فأجمع الرحلة الى المغرب وركب السفن من تونس أيام الفطر من سنة خمسين فعصفت به الريح وأدركه الغرق فغرق أسطوله على ساحل بجاية ونجا بذماءه على بعض الجزائر هنالك حتى لحقه أسطول من أساطيله فتجاوبه الى الجزائر وبها حاجر ابن عيانى العسرى قائده وصنيعة أبيه فنزل عليه وبادر اليه أهل ضاحيتها من مليكش والثعالبة فاستخدمهم وبث فيهم العطاء واتصل خبره بونزمار بن عريف وهو في أحياء سويد فوفد عليه في مشيخة من قومه ووفد معه نصر بن عمر بن عثمان صاحب جبل وانشريس من بني تيغرين وعدى بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوى النازل بنواحي المرية من ولد عبد القوى فأعطوه الطاعة واستحثوه للخروج معهم فردهم للحشد فجمعوا من اليهم من قبائل العرب وزناتة وبينما الامير أبو ثابت ببلاد مغراوة محاصرا لهم في معاقلهم اذ بلغه الخبر بذلك في ربيع سنة احدى وخمسين فعقد السلم معهم ورجع الى قتال هؤلاء فأخذ على منداس وخرج الى السرسو قبلة وانشريس وأجفل أمامه ونزمار وجموع العرب الذين معه ولحق به هنالك مدد السلطان أبي

عنان

عنان وقائدهم يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطي فاتبع آثار العرب وشردهم ولحقت حياء حصين بمعاقلهم من جبل تيطرى ثم عطف على المرية ففتحها وعقد عليها لعمر بن موسى الجلولي من صنائعهم ثم نهض الى حصين فاقتحم عليهم الجبل فلاذوا بالطاعة وأعطوا أبناءهم رهنا عليها فتجاوزهم الى وطاء حمزة فدوخها واستخدم قبائلها من العرب والبربر والسلطان أثناء ذلك مقيم بالجزائر ثم قفل أبو ثابت الى تلمسان وقد كان استراب بيحيى بن رحو وعسكره من بني مرين وأنهم داخلوا السلطان أبا الحسين وبعث فيه الى السلطان أبي عنان فأداله بعيسى بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد ابن يعقوب فبعثه قائدا على الحصة المرينية فتقبض على يحيى بن رحو ولحقوا مع أبي ثابت بتلمسان ثم أجاز الى المغرب وأوعز السلطان أبو الحسن الى ابنه الناصر مع أوليائه من زناتة والعرب فاستولى على المرية وقتل عثمان بن موسى الجلولي ثم تقدم الى مليانة فملكها والى تيمروغت كذلك وجاء على اثره السلطان أبو الحسن كذلك أبوه وقد اجتمعت اليه الجموع من زغبة ومن زناتة ومن عرب افريقية سليم ورياح مثل محمد بن طالب بن مهلهل ورجال من عشيرته وعمر بن علي بن أحمد الذوادي وأخيه أبي دينار ورجالات من قومهما وزحف على هذه التعبية وابنه الناصر أمامه فأجفل علي بن راشد وقومه مغراوة عن بلادهم الى البطحاء وطير الخبر الى أبي ثابت فوافاه في قومه وحشوده وزحفوا واجمعا الى السلطان أبي الحسن وقومه فالتقى الجمعان بتيمغزين من شلف وصابروا مليا ثم انكشف السلطان أبو الحسن وقومه وطعن ولده الناصر بعض فرسان مغراوة وهلك آخر يومه وقتل محمد بن علي بن العربي قائد أساطيله وابن البواق والقبائلي كاتباه واستبيح معسكره ومافيه من متاع وحرم وخلص بناته الى وانشريس وبعث بهن أبو ثابت الى السلطان أبي عنان بعد استيلائه على الجبل وخلص السلطان أبو الحسن الى أحياء سويد الى الصحراء فنجا به ونزمار بن عريف الى سجلماسة كما يأتي في أخباره ودوخ أبو ثابت بلاد بني توجين وقفل الى تلمسان والله تعالى أعلم

(الخبر عن حروبهم مع مغراوة واستيلاء أبي ثابت على بلادهم ثم على الجزائر ومقتل علي بن راشد بتنس على اثر ذلك)

كان بين هذين الحيين من عبد الواد ومغراوة فتن قديمة سائر أيامهم قد ذكرنا الكثير منها في أخبارهم وكان بنو عبد الواد قد غلبوهم على أوطانهم حتى قتل راشد بن محمد في جلائه أمامهم بين زواوة ولما اجتمعوا بعد نكبة القيروان على أميرهم علي بن راشد وجاؤوا من افريقية الى أوطانهم مع بني عبد الواد ولم يطمعوهم حينئذ أن يغلبوهم رجعوا حينئذ الى توثيق العهد وتأكيد العقد فأبرموه وقاموا على الموادعة

والتظاهر على عدوهم وعروق الفتنة تنبض من كل جهة ولما جاء الناصر من افريقية
وزحف اليه أبو ثابت قعد عنه على بن راشد وقومه فاعتدها عليهم وأسرها في نفسه ثم
اجتمع بعد ذلك للقاء السلطان أبي الحسن حتى انهزم ومضى الى المغرب فلما رأى أبو
ثابت أنه قد كفي عدوه الاكبر وفرغ الى عدوه الاصغر تطرق الانتقاض عليهم فبينما
هو يروم أسباب ذلك اذ بلغه الخبر أن بعض رجالات بني كمين من مغراوة جاء الى تلمسان
فاغتالوه فحمى له أنفه وأجمع لحربهم وخرج من تلمسان فاتحة تسع وخمسين وبعث
في أحياء زغبة من بني عامر وسويد يحتازه بفارسهم وراجلهم وظعائنهم وزحف الى
مغراوة فتفادوا من لقائه وتحصنوا بالجبل المطل على تنس فحاصرهم فيه أياما اتصلت
فيها الحروب وتعددت الوقائع ثم ارتحل عنهم فجال في نواحي البلد ودوخ أقطارهم
وأطاعته مليانة والمدية وبرشك وشرشال ثم تقدم بجموعه الى الجزائر فأحاط بها وبها
فل بني مرين وعبد الله بن السلطان أبي الحسن تركه هنالك صغيرا في كفالة على بن سعيد
ابن جانا فغلبهم على البلد وأشخصهم في البحر الى المغرب وأطاعته الثعالبة ومليكش
وقبائل حصين وعقد على الجزائر لسعيد بن موسى بن على الكردي ورجع الى مغراوة
فحاصرهم بمعقلهم الاول بعد أن انصرفت العرب الى مشاتيها فاشتد الحصار على مغراوة
وأصاب مواشيهم العطش فانحطمت دفعة واحدة من الجبل تطلب المورد فأصابهم
الدهش ونجا بعدها على بن راشد الى تنس فأحاط به أبو ثابت أياما ثم اقتحمها عليه غلابا
منتصف شعبان من سنته فاستعجل المنية وتحامل على نفسه فذبح نفسه وافترق
مغراوة من بعده وصاروا أوزاعا في القبائل وقفل أبو ثابت الى تلمسان الى أن كان
من حركة السلطان أبي عنان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن استيلاء السلطان أبي عنان على تلمسان وانقراض أمر بني عبد الواد ثانية)

لما لحق السلطان أبو الحسن بالمغرب وكان من شأنه مع ابنه أبي عنان الى أن هلك بجبل
هنتاتة على ما نذكره في أخبارهم فاستوسق ملك المغرب للسلطان أبي عنان وفرغ لعدوه
وسما لاسترجاع الممالك التي ابتزها أبوه وانتزعها من توثب عليه وكان قد بعث المعلى
ابن راشد من مكان امتناعه من جبل تنس يسأل منه الشفاعة فرد أبو ثابت شفاعته
وأحفظه ذلك وبلغه مقتل على بن راشد فأجمع غزو تلمسان ونذر بذلك أبو سعيد وأخوه
فخرج أبو ثابت وحشد القبائل من زناتة والعرب منتصف ذي القعدة ونزل بوادي
شلف واجتمع الناس اليه وواصلته هنالك بيعة تدلس في ربيع من سنة ثلاث غلب
عليها الموحدون بانا نظرا الى من صنائعه وبلغه من مكانه ذلك زحف السلطان أبي

عثمان فرجع الى تلمسان ثم خرج الى المغرب وجاء على اثره أخوه السلطان أبو سعيد في العساكر من زناتة ومعه بنو عامر من زغبة والفل من سويد اذ كان جمهورهم قد لحقوا بالمغرب لمكان عريف بن يحيى وابنه من ولاية بني مرين فزحفوا على هذه التعبية وزحف السلطان أبو عنان في أمم المغرب

والعرب المعقل والمصامدة وسائر طبقات الجنود والحشد وانتهوا جميعا الى انكاد من بسيط وجدة فكان اللقاء هنالك آخر ربيع الثاني من سنة ثلاث وخمسين واجتمع بنو عبد الواد على صدمة العساكر وقت القائلة وبعد ضرب الابنية وسقاء الركاب وافتراق أهل المعسكر في حاجاتهم فاعجلوهم عن ترتيب المصاف وركب السلطان أبو الحسن لتلافي الامر فاجتمع اليه اوشاب من الناس وانفض سائر المعسكر ثم زحف اليهم فيمن حضره وصدقوهم القتال فاختل مصافهم ومنحوا اكتافهم وخاضوا بحر الظلماء واتبع بنو مرين آثارهم وتقبض على أبي سعيد ليلتئذ مقيدا أسيرا الى السلطان أبي عنان بمشهد الملاو وبخه ثم نقل الى محبسه وقتل لتاسعة من ليالي اعتقاله وارتحل السلطان أبو عنان الى تلمسان ونجا الزعيم أبو ثابت بمن معه من فل بني عبد الواد ومن خلص اليه منهم ذاهبا الى بجاية ليجد في ايالة الموحدين وليجة من عدوه فبيتته زواوة في طريقه وألدعن أصحابه وأرجل عن فرسه وذهب راجلا عاريا ومعه رفقاء من قومه منهم أبو زيان محمد ابن أخيه السلطان أبو سعيد وأبو حمو وموسى ابن أخيهم يوسف ابن أخيه ووزيرهم يحيى بن داود بن فكن وكان السلطان أبو عنان أوعز الى صاحب بجاية يومئذ المولى أبي عبد الله حافد مولانا السلطان أبي بكر بأن يأخذ عليهم الطرق ويذكي في طلبهم العيون فعثر عليهم بساحة البلد وتقبض على الامير أبي ثابت الزعيم وابن أخيه محمد بن أبي سعيد ووزيرهم يحيى ابن داود وأدخلوا الى بجاية ثم خرج صاحبها الامير أبو عبد الله الى لقاء السلطان أبي عنان واقتادهم في قبضة أسره فلقيه بمعسكره من ظاهر المرية فأكرم وفادته وشكر صنيعه وانكفأ راجعا الى تلمسان فدخلها في يوم مسعود وحمل يومئذ أبو ثابت ووزيره يحيى على جملين يتهاديان بهما بين سماطي ذلك المحمل فكان شأنهم ما عجبا ثم سيقا ثاني يومهما الى مصرعهما بصحراء البلد فقتلا قعصا بالرماح وانقرض ملك آل زيان وذهب ما أعاده لهم بنو عبد الرحمن هؤلاء من الدولة بتلمسان الى أن كانت لهم الكرة الثالثة على يد أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن المتولي لها لهذا العهد على ما سنذكره ونستوفي من أخباره ان شاء الله تعالى

بياض بالأصل

بياض بالأصل

الخبر عن دولة السلطان أبي حمو الاخير مديل الدولة بتلمسان في الكرة الثالثة لقومه وشرح ما كان فيها من الاحداث لهذا العهد

كان يوسف بن عبد الرحمن هذا في ايالة أخيه السلطان أبي سعيد بتلمسان هو وأخوه أبو حمو موسى وكان متكاسلا عن طلب الظهور متجافيا عن التهالك في طلب العز ماثلا الى السكون ومذاهب أهل الخير حتى اذا صفت يد ولتهم رياح بني مرين وتغلب السلطان أبو عنان عليهم وابتزهم ما كان بيدهم من الملك وخلص ابنه أبو حمو موسى مع عمه أبي ثابت الى الشرق وقذفت النوى بيوسف مع أشراف قومه الى المغرب فاستقر به ولما تقبض على أبي ثابت على وطن بجاية أغفل أمر أبي حمو من بينهم ونبت عنه العيون فصار الى تونس ونزل بها على الحاجب أبي محمد تافراكين فأكرم نزله وأحله بمكان أعياص الملك من مجلس سلطانه ووفر جرايته ونظم معه آخرين من فل قومه وأوعز السلطان أبو عنان اليه بازعاجهم عن قرارهم في دولته فحمى لها انفه وأبى عن الوضيعة لسلطانه فأغرى ذلك أبا عنان بمطالبته وكانت حركته الى بلاد افريقية ومنابذة العرب من رياح وسليم لعهده ونقضهم لطاعته كما نستوفي أخباره ولما كانت سنة تسع وخمسين قبل مهلكه اجتمع أمر الزواودة من رياح الى الحاجب أبي محمد بن تافراكين ورغبوه في لحاق أبي حمو موسى بن يوسف بالعرب من زغبة وانهم ركابه لذلك ليجلب على نواحي تلمسان و يجعل للسلطان أبي عنان شغلا عنهم وسألوه أن يجهز عليه بعض آلة السلطان ووافق ذلك رغبة صغير بن عامر أمير زغبة في هذا الشأن وكان يومئذ في أحياء يعقوب بن علي وجواره فأصلح الموحدون شأنه بما قدروا عليه ودفعوه الى مصاحبة صغير وقومه من بني عامر وارتحل معهم من الزواودة عثمان بن سباع ومن احلافهم بنو سعيد دعار بن عيسى بن رحاب وقومه ونهضوا بجموعهم يريدون تلمسان وأخذوا على القفر ولقيهم أثناء طريقهم الخبر عن مهلك السلطان أبي عنان فقويت عزائمهم على ارتجاع ملكهم ورجع عنهم صولة بن يعقوب وأغذ السير الى تلمسان وبها الكتائب المجمهرة من بني مرين واتصل خبر أبي حمو بالوزير الحسن بن عمر القائم بالدولة من بعد مهلك السلطان أبي عنان والمتغلب على ولده السعيد من بعده فجهز المدد الى تلمسان من الحامية والاموال ونهض أولياء الدولة من أولاد عريف بن يحيى أمراء البدو من المغرب في قومهم ومن يبدو من اليهم من العرب لموافقة السلطان أبي حمو وأشياعه فانفض جمعهم وغلبوا على تلك المواطن واحتل السلطان أبو حمو وجموعه بساحة تلمسان وأناخوا ركابهم عليها ونازلوها ثلاثا ثم اقتحموها في صبيحة الرابع وخرج ابن السلطان أبي عنان الذي كان أميرا عليها في لمة من قومه فنزل على

صغير بن عامر أمير القوم فأحسن بجلته وأصحبه من عشيرته الى حضرة أخيه ودخل السلطان أبو حمو تلمسان لثمان خلون من الربيع الاول سنة ستين واحتل منها بقصر ملكه واقتعد أريكته وبويع بيعة الخلافة ورجع الى النظر فى تمهيد قواعد ملكه واخراج بنى مرين من أمصار مملكته والله أعلم

(الخبر عن احتمال أبى حمو عن تلمسان أمام عساكر المغرب ثم عوده اليها)

كان القائم بامر المغرب من بعد السلطان ابى عنان وزيره الحسن بن عمر كافل ابنه السعيد الذى أخذله البيعة على الناس فاستبد عليه وملك أمره وجرى على سياسة السلطان الهالك واقتفى أثره فى الممالك الدانية والقاصية فى الحماية والنظر لهم وعليهم ولما اتصل به خبر تلمسان وتغلب أبى حمو عليها قام فى ركائبه وشاور الملأ فى النهوض اليه فأشاروا عليه بالقعود وتسريح الجنود والعساكر فسرح لها ابن عمه مسعود بن رحو بن على بن عيسى بن ماساى بن فودود وحكمه فى اختيار الرجال واستجادة السلاح وبذل الاموال واتخاذ الآلة وزحف الى تلمسان واتصل الخبر بالسلطان أبى حمو وأشياعه من بنى عامر فأفرج عنها ولحق بالصحراء ودخل الوزير مسعود بن رحو تلمسان وخالفه السلطان أبى حمو الى المغرب فنزل بسيط انكاد وسرح اليهم الوزير مسعود بن رحو ابن عمه عامر بن عبد بن ماساى فى عسكر من كتائبه ووجوه قومه فأوقع بهم العرب وأبو حمو ومن معهم واستباحوهم وطار الخبر الى تلمسان واختلفت أهواء من كان بها من بنى مرين وبدا ما كان فى قلوبهم من المرض لتغلب الحسن بن عمر على سلطانهم ودولتهم فتحيزوا زرافات لمبايعة بعض الاعياص من آل عبد الحق وفطن الوزير مسعود بن رحو لما دبروه وكان فى قلبه مرض من ذلك فاغتنمها وبايع لمنصور ابن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق كبير الاعياص المنفرد بالتجلة وارتحل به وبقومه من بنى مرين الى المغرب وتجافى عن تلمسان وشأنها واعترضه عرب المعقل فى طريقهم الى المغرب فأوقع بهم بنو مرين وصمموا الصليهم ورجع السلطان أبو حمو الى تلمسان واستقر بحضرته ودار ملكه ولحق به عبد الله بن مسلم فاستوزره وأسام اليه فاشتد به أزره وغلب على دولته كما نذكره الى أن هلك والبقاء لله وحده

(الخبر عن مقدم عبد الله بن مسلم من مكان عمله بدرعة ونزوله من ايالة بنى مرين الى أبى حمو وتقليده اياه الوزارة وذكر أوليته ومصاير أموره)

كان عبد الله بن مسلم من وجوه بنى زردال من بنى بادين اخوة بنى عبد الواد وتوجين ومصاب الأأن بنى زردال اندرجوا فى بنى عبد الواد لقلتهم واختلطوا بنسبهم ونشأ عبد الله

ابن مسلم في كفالة موسى بن علي لعهد السلطان أبي تاشفين مشهورا بالبسالة والاقدام لم
يخالطهم باذكر وحسن بلائه في حصار تلمسان ولما تغلب السلطان أبو الحسن على بني
عبد الواد وابتزهم ملكهم استخدمهم وكان ينتقي أولي الشجاعة والاقدام منهم فرمى بهم
ثغور المغرب ولما اعترض بنو عبد الواد ومر به عبد الله عنده اذ كرله شأنه ونعت بأسه
فبعثه الى درعة واستوصى عامله به فكان له عنه غناء في مواقفه مع خوارج العرب
وبلاء حسن جذب ذلك بضبعه ورقى عند السلطان منزلته وعرفه على قومه ولما كانت
نكبة السلطان أبي الحسن بالقيروان ومرج أمر المغرب ووثب أبو عنان على الامر
وبويع بتلمسان واستجمع حافده منصور بن أبي مالك عبد الواحد لمدافعته وحشد
حامية الثغور للقائه وانفضت جموعه بتازى وخلص الى البلد الجديد ونازله وكان عبد
الله بن مسلم في جملته ولما نازله السلطان أبو عنان واتصلت الحرب بينهم أياما كان له فيها
ذكر ولما رأى انه أحيط بهم سابق الناس الى السلطان أبي عنان فرأى سابقيته وقلده
عمل درعة فاضطلع بها مدة خلافته وتأكدت له أيام ولايته مع عرب المعقل وصلة وعهد
ضرب بهم بما في مواخاتهم بسهم وكان السلطان أبو عنان عند خروج أخيه أبي الفضل
عليه لحقه بجبل ابن حمدى من معاقل درعة أوعز اليه بأن يعمل الحيلة في القبض عليه
فداخل ابن حمدى ووعده وبذل له فأجاب وأمكنه وقاده عبد الله بن مسلم أسيرا الى أخيه
السلطان أبي عنان فقتله ولما استولى السلطان أبو سالم رفيق أبي الفضل في مثوى
اغترابهما بالاندلس على بلاد المغرب من بعد مهلك السلطان أبي عنان وما كان اثره من
المطلوب وذلك آخر سنة ستين خشيه ابن مسلم على نفسه ففارق ولايته ومكان عمله
وداخل أولاد حسين أمراء المعقل في النجاة به الى تلمسان فأجابوه ولحق بالسلطان
أبي حمو في ثروة من المال وعصبة من العشيرة وأولياء من العرب فسر بمقدمه وقلده
لحينه وزارته وشد به أواخي سلطانه وفوض اليه تدبير ملكه فاستقام أمره وجمع
القلوب على طاعته وجاء بالمعقل من مواطنهم الغربية فأقبلوا عليه وعكفوا على
خدمته وأقطعهم مواطن تلمسان وآخى بينهم وبين زغبة فعلا كعبه واستفحل أمره
واستقامت رياسته الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

(الخبر عن استيلاء السلطان أبي سالم على تلمسان ورجوعه الى المغرب
بعد أن ولى عليها أبو زيان حافد السلطان أبي تاشفين وما آل أمره)

لما استوسق للسلطان أبي سالم ملك المغرب ومحا أثر الخوارج على الدولة سما الى
امتداد ظله الى أقصى تخوم زناتة كما كان لابيه وأخيه وحركه الى ذلك ما كان من فرار
عبد الله بن مسلم الى تلمسان بحياله فلذا أجمع أمره على النهوض الى تلمسان وعسكر

بظاهر فاس منتصف احدى وستين وبعث فى الحشود فتوافت ببابه واكتملت ثم ارتحل اليها وبلغ الخبر الى السلطان أبى حمو ووزيره عبد الله بن مسلم فنادوا فى العرب من زغبة والمعقل كافة فأجابوهم الاشرذمة قليلة من الاحلاف وخرجوا بهم الى الصحراء ونازل خلالهم بعسكره ولما دخل السلطان أبو سالم وبنو مرين تلمسان خالفوهم الى المغرب فنازلوا وطاط وبلاد ملوية وكرسف وحطموا زروعها وانتسفوا أقواتها وخربوا عمرانها وبلغ السلطان أباسالم ما كان من صنيعهم فأهمه أمر المغرب واجلاب المفسدين عليه وكان فى جملته من آل يغمراسن محمد بن عثمان ابن السلطان أبى تاشفين ويكنى بأبى زيان ويعرف بالقبّ ومعناه العظيم الرأس فدفعه للامر وأعطاه الآلة وكتب له كتيبة من توجين ومغراوة كانوا فى جملته ودفع اليه أعطياتهم وأنزله بقصر أبيه بتلمسان وانكفأ راجعا الى حضرته فأجفلت العرب والسلطان أبو حمو أمامه وخالفوه الى تلمسان فأجفل عنها أبو زيان وتحيز الى بنى مرين بأمصار الشرق من البطحاء ومليانة ووهران وأولياؤهم من بنى توجين وسويد من قبائل زغبة ودخل السلطان أبو حمو ووزيره عبد الله بن مسلم الى تلمسان وكان مقير بن عامر هلك فى مذهبهم ذلك ثم خرجوا فيمن اليهم من كافة عرب المعقل وزغبة فى اتباع أبى زيان ونازلوه بجبل وانشريس فيمن معه الى أن غلبوا عليه وانفض جمعه ولحق بمكانه من ايالة بنى مرين بفاس ورجع السلطان أبو حمو الى معاقل وطنه يستنقذها من ملكة بنى مرين فافتتح كثيرها وغلب على مليانة والبطحاء ثم نهض الى وهران ونازلها أياما واقتحمها غلابا واستلحم بها من بنى مرين عددا ثم غلب على المرية والجزائر وأزعج عنها بنى مرين فلحقوا بأوطانهم وبعث رسله الى السلطان أبى سالم فعقد معه المهادنة ووضعوا أوزار الحرب ثم كان مهلك السلطان أبى سالم سنة ثنتين وستين وقام بالامر من بعده عمر بن عبد الله بن على من أبناء وزرائهم مبايعا للولد السلطان أبى الحسن واحدا بعد آخر كما نذكره عند ذكر أخبارهم ان شاء الله تعالى

﴿الخبر عن قدوم أبى زيان ابن السلطان أبى سعيد من المغرب لطلب ملكه وما كان من أحواله﴾

كان أبو زيان هذا وهو محمد ابن السلطان أبى سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن لما تقبض عليه مع عمه أبى ثابت ووزيرهم يحيى بن داود ببجاية من أعمال الموحدين وسيقوا الى السلطان ابى عنان فقتل أبا ثابت ووزيره واستبقى محمدا هذا وأودعه السجن سائر أيامه حتى اذا هلك واستوسق أمر المغرب لاخيه أبى سالم من بعد خطوب وأهوال يأتى ذكرها امتن عليه السلطان أبو سالم وأطلقه من الاعتقال

وتناعه بمجلس ملكه في مراتب الاعياص وأعده لمراجعة ابن عمه وجرت بينه وبين السلطان أبي حمو سنة ثنتين وستين بين يدي مهلكه كما نذكر بعد مرجعه من تلمسان ومرجع أبي زيان حافد السلطان أبي تاشفين من بعده تحقق السعي فيما نصبه له فسماله أمل في أبي زيان هذا أن يستأثر بملك أبيه ورأى أن يحسن الصنيع فيه فيكون ثنة له باعطاء الآلة ونصبه للملك وبعثه الى وطن تلمسان وأتى الى تازى ولحقه هنالك الخبر بمهلك السلطان أبي سالم ثم كانت فتن واحداث نذكرها في محلها وأجلب عبد الحليم ابن السلطان ابي علي ابن السلطان أبي سعيد بن يعقوب بن عبد الحق على فاس واجتمع اليه بنو مرين ونازلوا البلد الجديد ثم انفض جمعهم ولحق عبد الحليم بتازى كما نذكره في موضعه ان شاء الله تعالى ورجا من السلطان أبي حمو المظاهرة على أمره فراسله في ذلك واشترط عليه ابن عمه أبي زيان فاعتقله مرضاة له ثم ارتحل الى سجلماسة كما نذكره بعد ونازله في طريقه أولاد حسين من المعقل بحلالهم واحيائهم فاستغفل أبو زيان ذات يوم الموكلين به ووثب على فرس قائم حذاءه وركضه من معسكر عبد الحليم الى حلة أولاد حسين مستجدا بهم فأجاروه ولحق ببني عامر على حين غفلة وجفوة كانت بين السلطان أبي حمو وبين خالد بن عامر أميرهم ذهب لها مغاضبا فأجلب به على تلمسان وسرح اليهم السلطان أبو حمو عسكرا فشردهم عن تلمسان ثم بذل المال لخالد بن عامر على أن يتصه الى بلاد رياح ففعل وأوصله الى الزواودة فأقام فيهم ثم دعاه أبو الليل بن موسى شيخ بني يزيد وصاحب وطن حمزة وبني حسن وما اليه ونصبه للامر مشاقة وعنادا للسلطان أبي حمو ونهض اليه الوزير عبد الله بن مسلم في عساكر بني عبد الواد وحشود العرب وزناتة فأيقن أبو الليل بالغلب وبذل له الوزير المال وشرط له التجافي عن وطنه على أن يرجع عن طاعة أبي زيان ففعل وانصرف الى بجاية ونزل بها على المولى أبي اسحق ابن مولانا السلطان أبي يحيى أكرم نزل ثم وقعت المراسلة بينه وبين السلطان أبي حمو وقعت المهادنة وانعقد السلم على اقصاء أبي زيان عن بجاية المتاخمة لوطنه فارتحل الى حضرة تونس وتلقاه الحاجب أبو محمد بن تافراكين قيوم دولة الحفصيين لذلك العهد من المبرة والترحيب واسناء الجراية له وترفيع المنزلة بما يليق بهم لمثله من الاعياص ثم لم تزل حاله على ذلك الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن قدوم أبي زيان حافد السلطان أبي تاشفين ثانية من المغرب الى تلمسان لطلب ملكها وما كان من أحواله}

كان العرب من سويد احدى بطون زغبة فئة لبني مرين وشيعة من عهد عريف بن يحيى مع السلطان أبي الحسن وابنه أبي عنان فكانوا عند بني عبد الواد في عداد

عدوهم من بنى مرين مع طاغية الدولة لبنى عامر أقتالهم فكانوا منابذين لبنى عبد الواد آخر الايام وكان كبيرهم ونزمار بن عريف أوطن كرسف فى جوار بنى مرين منذ مهلك السلطان أبى عنان وكان مرموقا بعين النجلة يرجعون الى رأيه ويستمعون الى قوله وأهمه شأن اخوانه فى وطنهم ومع اقتالهم بنى عامر فاعتزم على نقض الدولة من قواعدها وحمل صاحب المغرب عمر بن عبد الله على أن يسرح محمد بن عثمان حافد أبى تاشفين لمعاودة الطلب لملكه ووافق ذلك نفرة استحكمت بين السلطان أبى حمو وأحمد بن رحو بن غانم كبير أولاد حسين من المعقل بعد ان كانوا افتئه له ولوزيره عبد الله ابن مسلم فاغتنمها عمر بن عبد الله وخرج أبو زيان محمد بن عثمان سنة خمس وستين فنزل فى حلل المعقل بملوية ثم نهضوا به الى وطن تلمسان وارتاب السلطان أبو حمو بخالد ابن عامر أمير بنى عامر فتقبض عليه وأودعه المطبق ثم سرح وزيره عبد الله بن مسلم فى عساكر بنى عبد الواد والعرب فأحسن دفاعهم وانفضت جموعهم ورحلهم الى ناحية السرو وهو فى اتباعهم الى أن نزلوا المسيلة من وطن رياح وصاروا فى جوار الزواودة ثم نزل بالوزير عبد الله بن مسلم داء الطاعون الذى عاود أهل العمران عامئذ من بعد ما أهلكهم سنة تسع وأربعين قبلها فانكفأ به ولده وعشيرته راجعين وهلك فى طريقه وأرسلوا اشلوه الى تلمسان فدفن بها وخرج السلطان أبو حمو الى مدافعة عدوه وقد فت مهلك عبد الله فى عضده ولما انتهى الى البطحاء وعسكر بها اجازته جموع السلطان أبى زيان الحرب وأطلت راياته على العسكر فداخلهم الرعب وانفضوا وأعجلهم الأمر عن ابنيتهم وأزوادهم فتركوها وانتضوا وتسلل أبو حمو يبغى النجاة الى تلمسان واضطرب أبو زيان فسطاطه بمكان معسكره وساقه أحمد بن رحو أمير المعقل الى منجاته فلحقه بسك وكر اليه السلطان أبو حمو فيمن معه من خاصته وصدقوه الدفاع فكابه فرسه وقطع رأسه ولحق السلطان أبو حمو بحضرته وارتحل أبو زيان والعرب فى اتباعه الى أن نازلوه بتلمسان أياما وحدثت المنافسة بين أهل المعقل وزغبة واسف زغبة استبداد المعقل عليهم وانفراد أولاد حسين برأى السلطان دونهم فاغتنمها أبو حمو وأطلق أميرهم عامر بن خالد من محبسه وأخذ عليه الموثق من الله ليخذلن الناس عنه ما استطاع وليرجعن بقومه عن طاعة أبى زيان وليفرقن جموعه فوفى له بذلك العهد ونفس عليه المخنق وتفرقت احزابهم ورجع أبو زيان الى مكانه من ايالة بنى مرين واستقام أمر السلطان أبى حمو وصلحت دولته بعد الالتياث الى ان كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن حركة السلطان أبى حمو على ثغور المغرب)

كان ونزمار بن عريف متولى كبر هذه الفتن على أبى حمو وبعث الاعياص عليه واحدا بعد واحد لما كان بينهم من العداوة المتصلة كما قدمناه وكان منزله كرسيف من ثغور المغرب وكان جاره محمد بن زكراز كبير بنى على من بنى ونكاسن الموطنين بجبل دبدو وكانت أيديهما عليه واحدة فلما سكن النوار عنه وزاحمهم عن وطنه الى المغرب وانعقد سلمه معهم رأى أن يعتور هذين الاميرين فى ثغورهما فاعتمل الحركة الى المغرب فاتح سنة ست وستين وانتهى الى دبدو وكرسيف واجفل ونزمار وامتنع بمعاقل الجبال فانتهب أبو حمو الزروع وشمل بالتخريب والعيث سائر النواحى وقصد محمد بن زكراز أيضا فى معقل دبدو فامتنع بحصنه الذى اتخذه هنالك وعاج عليه أبو حمو بركابه وجاس خلال وطنه وشمل بالتخريب والعيث نواحى بلده وانكفأ راجعا الى حضرته وقد عظمت فى تخوم بنى مرين وثغورهم نكايته وثقلت عليهم وطأته وانعقدت بينهما بعد ذلك المهادنة والسلم فانصرفت عزائمه الى بلاد افريقية فكانت حركته الى بجاية من العام المقبل ونكبته عليها كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن حركة السلطان أبى حمو الى بجاية ونكبته عليها)

كان صاحب بجاية المولى الامير أبو عبد الله لما استولى عليها وعادت اليه الدولة الثانية سنة خمس وستين كما ذكرناه فى أخباره زحف الى تدلس فغلب عليها بنى عبد الواد وأنزل بها عامله وحاميته ثم أظلم الجو بينه وبين صاحب قسنطينة السلطان أبى العباس ابن عمه الامير أبى عبد الله لما جرته بينهما المنافسة فى العمالات فنشأت بينهما فتن وحروب شغل بها عن حماية تدلس وألحت عليها عساكر بنى عبد الواد بالحصار وأحيط بها فأوفد رسله على السلطان أبى حمو صاحب تلمسان فى المهادنة على النزول له عن تدلس فتسلمها أبو حمو وأنزل بها حاميته وعقد معه السلم وأصهر اليه فى ابنته فأجابه وزفها اليه فتلقاها قبلة زواوة بآخر عملهم من حدود بجاية وفرغ صاحب بجاية لشأنه وكان أثناء الفتنة معه قد بعث الى تونس عن أبى زيان ابن عمه السلطان أبى سعيد لينزله بتدلس ويشغل به السلطان أبا حمو عن فتنته وكان من خبر أبى زيان هذا انه أقام بتونس بعد مهلك الحاجب أبى محمد بن تافراكين كما ذكرناه الى أن دس اليه مرضى القلوب من مشيخة بنى عبد الواد بتلمسان بالاجلاب على السلطان أبى حمو وعدوه عن أنفسهم الجنوح معه فصغى اليها واعتدها ورحل يريد تخوم تلمسان وعمل بجاية ومر بقسنطينة فتجافى عن الدخول اليها وتنكر لصاحبها وبلغ خبره السلطان أبا العباس صاحبها يومئذ فأجمع أمره على صده عن وجهه وحبسه بقسنطينة

واتصلت الفتنة بينه وبين ابن عمه صاحب بجاية وكان شديد الوطأة على أهل بلده مرهف الحد لهم بالعقاب الشديد حتى لقد ضرب أعناق خمسين منهم قبل أن يبلغ سنتين في ملكه فاستحكمت النفرة وساءت الملكة وعضل الداء وفزع أهل البلد الى مداخلة السلطان أبي العباس باستنقاذهم من ملكة العسف والهلاك بما كان أتيح له من الظهور على أميرهم فنهض اليها آخر سنة سبع وستين وبرز الامير أبو عبد الله للقائه وعسكر بنا مروا الجبل المطل على تاكردت وصبحه السلطان أبو العباس بعسكره هنالك فاستولى عليه وركض هو فرسه ناجيا بنفسه ومرت الخيل تعادى في أثره حتى أدركوه فأحاطوا به وقتلوه قعصا بالرماح عفا الله عنه وأجاز السلطان أبو العباس الى البلد فدخلها منتصف يوم العشرين من شعبان ولاذ الناس به من دهش الواقعة وتمسكوا بدعوته وآتوه طاعتهم فانجلت القيامة واستقام الامر وبلغ الخبر الى السلطان أبي حمو فأظهر الامتعاض لمهلكه والقيام بثاره وسرمن ذلك حشوده في ارتقاء ونهض يجر الامم الى بجاية من العرب وزناتة والحشد حتى أناخ بها وملأت مخيماته الجهات بساحتها وجنح السلطان الى مبارزته فتهدد به أهل البلد ولاذوا بمقامه فأسعفهم وطير البريد الى قسنطينة فأطلق أبا زيان من الاعتقال وسوغه الملابس والمراكب والآلة وزحف به مولاه بشير في عسكر الى أن نزل حذاء معسكر أبي حمو واضطربوا محلهم بسفح جبل بني عبد الجبار وشنوا الغارات على معسكر أبي حمو صباحا ومساء لما كان نمي اليهم من مرض قلوب جنده والعرب الذين معه وبدا للسلطان أبي حمو ما لم يحتسب من امتناعها وكان تقدم اليه بعض بمسامرة الفتن بوعد على لسان المشيخة من أهل البلد أطمعه فيها ووثق بأن ذلك يغنيه عن الاستعداد فاستبق اليها وأغفل الحزم فيما دونها فلما امتنعت عليه انطبق الجو على معسكره وفسدت السابلة على العير للميرة واستحجم الزبون في احياء معسكره بظهور العدو المساهم في الملك وتفادت رجالات العرب من سوء المغبة وسطوة السلطان فتمشوا بينهم في الانفضاض وتعينوا لذلك وقت المناوشة وكان السلطان لما كذبه وعد المشيخة أجمع قتالهم واضطرب الفساطيط مضايقة للاسوار متسنمة وعرا من الجبل لم يرضه أهل الرأي وخرج رجل الجبل على حين غفلة فجاولوا من كان بتلك الاخبية من المقاتلة فانهزموا أمامهم وتركوها بأيديهم فزقوها بالسيوف وعاين العرب على البعد انتهاب الفساطيط فأجفلوا وانفض المعسكر بأجمعه وحمل السلطان أبو حمو أثقاله للرحلة فأجهضوه عنها فتركها وانتهب مخلفه أجمع وتصايح الناس بهم من كل حدب وضاقت المسالك من ورائهم وأمامهم وركضت بزحامهم وتواقعوا الجنوبهم فهلك الكثير منهم

وكانت من غرائب الواقعات تحدث الناس بها زمانا وسيقت حظاياه الى بجاية واستأثر الامير أبو زيان منهن بحظيته الشهيرة ابنة يحيى الزابي ينسب الى عبد المؤمن بن علي وكان أصهر فيها الى أبيها أيام تقلبه في سبيل الاغتراب ببلاد الموحدين كما سبق وكانت أعلق بقلبه من سواها فخرجت في مغانم الامير أبي زيان وتحرج عن مواقعتها حتى أوجده أهل الفتيا السبيل الى ذلك لحنث زعموا وقع من السلطان أبي حمو في نسائه وخلص السلطان أبو حمو من هوة ذلك العصب بعد غصة الريق ونجا الى الجزائر لا يكاد يرد النفس من شناعة ذلك الهول ثم خرج منها ولحق بتلمسان واقتعد سرير ملكه واشتدت شوكة أبي زيان ابن عمه وتغلب على القاصية واجتمعت اليه العرب وكثر تابعه وزاحم السلطان أبا حمو بتلك الناحية الشرقية سنين تباعا نذكر الآن أخبارها ان شاء الله تعالى

{الخبر عن خروج أبي زيان بالقاصية الشرقية من بلاد حصين وتغلبه على المرية والجزائر ومليانة وما كان من الحروب معه}

لما انهزم السلطان أبو حمو بساحة بجاية عشي يومه من أوائل ذي الحجة ختام سنة سبع وستين قرع الامير أبو زيان طبوله واتبع أثره وانتهى الى بلاد حصين من زغبة وكانوا سائمين من الهضيمة والعسف اذ كانت الدول تجريهم مجرى الرعايا المعبدة في المغرم وتعدل بهم عن سبيل اخوانهم من زغبة أمامهم ووراءهم لبغية الغزو فبايعوه على الموت الاحمر ووثقوا بمعتصم من جبل تيطري الى أن دهمتهم عساكر السلطان ثم أجلبوا على المرية وكان بها عسكر ضخم للسلطان أبي حمو لنظر وزرائه عمران بن موسى بن يوسف وموسى بن عرت وواد فل بن عبو بن حماد ونازلوهم أياما ثم غلبوهم على البلد وملكها الامير أبو زيان ومن على الوزراء ومشيخة بني عبد الواد وترك سبيلهم الى سلطانهم وسلك سبيلهم الثعالبة في التجافي عن ذل المغرم فأعطوا يد الطاعة والانقياد للامير أبي زيان وكانت في نفوس أهل الجزائر نفرة من جور العمال عليهم فاستمالهم بها سالم بن ابراهيم بن نصر أمير الثعالبة الى طاعة الامير أبي زيان ثم دعا أبو زيان أهل مليانة الى مثلها فأجابوه واعتمل السلطان أبو حمو نظره في الحركة الحاسمة لدائهم فبعث في العرب وبذل المال وأقطع البلاد على اشطاط منهم في الطلب وتحرك الى بلاد توجين ونزل قلعة بني سلامة سنة ثمان وستين يحاول طاعة أبي بكر بن عريف أمير سويد فلم يلبث عنه خالد بن عامر ولحق بأبي بكر بن عريف واجتمعا على الخلاف عليه ونقض طاعته وشنوا الغارة على معسكره فاضطرب وأجفلوا وانتهبت محلاته وأثقاله ورجع الى تلمسان ثم نهض الى مليانة فانتهبها وبعث الى رياح على حين صاغية اليه من يعقوب بن علي بن أحمد وعثمان

ابن يوسف بن سليمان بن علي أميري الزواودة لما كان وقع بينهما وبين السلطان مولانا أبي العباس من النفرة فاستنظره للحركة على الامير أبي زيان وبعدها الى بجاية وضمنوا له طاعة البدو من رياح وبعثوا اليه رهنهم على ذلك فردها وثوقابهم ونهض من تلمسان وقد اجتمع اليه الكثير من عرب زغبة ولم يزل أولاد عريف بن يحيى وخالد بن عامر في احيائهما منحرفين عنه بالصحراء وصمم اليهم فاجفلوا أمامه وقصد المخالفين من حصين والامير أبا زيان الى معتصمهم بجبل تيطرى وأغذ اليه السير يعقوب بن علي وعثمان بن يوسف بمن معهم من جموع رياح حتى نزلوا بالقلعة حذاءهم وبدر أولاد عريف وخالد بن عامر الى الزواودة ليشردوهم عن البلاد قبل أن يد السلطان بيدهم فصبحوهم يوم الخميس أخريات ذى القعدة من سنة تسع وستين ودارت بينهم حرب شديدة وأجفلت الزواودة أولاثم كان الظهور لهم آخرا وقتل في المعركة من زغبة عدد ويئسوا من صدهم عما جاؤا اليه فانعطفوا الى حصين والامير أبي زيان وصعدوا اليهم بناجعتهم وصار والهم مددا على السلطان أبي حمو وشنوا الغارة على معسكره فصمدوا نحوه وصدقوه القتال فاختل مصافه وانهزمت عساكره ونجا بنفسه الى تلمسان على طريق الصحراء وأجفل الزواودة الى وطنهم وتحيز كافة العرب من زغبة الى الامير أبي زيان واتبع آثار المنهزمين ونزل بسيرات وخرج السلطان أبو حمو في قومه ومن بقى معه من بني عامر وتقدم خالد الى مصادمته ففله السلطان وأجفل القوم من ورائه ثم تلطف في مراسلته وبذل المال له وأوسع له في الاشتراط اليه والتبس بخدمته ورجع الامير أبو زيان الى أوليائه من حصين متمسكا بولاية أولاد عريف ثم نزع محمد بن عريف الى طاعة السلطان وضمن له العدول بأخيه عن مذاهب الخلاف عليه وطال سعيه في ذلك فاتهمه السلطان وحمله خالد بن عامر عدوه على نكبته فتقبض عليه وأودعه السجن واستحكمت نفرة أخيه أبي بكر ونهض السلطان بقومه وكافة بني عامر اليه سنة سبعين واستغلظ أمر أبي بكر بجمع الحرث بن أبي مالك ومن وراءهم من حصين واعتصموا بالجبال من دراك وتيطرى ونزل السلطان بجموعه لعود بلاد الديالمة من الحرث فانتسفها والتهمها وحطم زروعها ونهب مداشرها وامتنع عليه أبو بكر ومن جمعه من الحرث وحصين والامير أبي زيان بينهم فارتحل عنهم وعطف على بلاد أولاد عريف وقومهم من سويد فلاها عيثا وخرب قلعة ابن سلامة لما كانت أحسن أوطانهم ورجع عليهم الى تلمسان وهو يرى أن قد شفا نفسه في أولاد عريف وغلبهم على أوطانهم ورجع عليهم منزلة عدوهم فكان من لحاق أبي بكر بالمغرب وحركة بني مرين ما نذكره

بلغ بالاصل

(الخبر عن حركة السلطان عبد العزيز على تلمسان واستيلائه عليها ونكبة أبي حمو)
(وبني عامر بالدوس من بلاد الزاب وخروج أبي زيان من تيطري الى أحياء رياح)

لما انقبض أبو حمو على محمد بن عريف وفرقة مثل قومه سويد وعاث في بلادهم أجمع رأى أخيه الاكبر على الصريخ بملك المغرب فارتحل اليه بناجعته من بني مالك أجمع من أحياء سويد والديالم والعطاف حتى احتل بسائط ملوية من تخوم المغرب وسار الى أخيه الاكبر ونزمار بعقره من قصر مرادة الذي اختطه بارباع وادي ملوية في ظل دولة بني مرين وتحت جوارهم لما كان ملاك أمرهم بيده ومصادرهم عن آرائه خطة ورثها عن أبيه عريف بن يحيى مع السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن وابنه أبي عنان فتقبل ملوك المغرب مذاهب سلفهم فيه وتبنوا برأيه واستأمنوا الى نصيحته فلما قدم عليه أخوه أبو بكر مستخفيا بملك المغرب وأخبر باعتقال أخيه الآخر محمد قدح عزائمه وأوفد أخاه أبا بكر ومشيخة قومهم من بني مالك على السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن منصرفه من افتتاح جبل هنتاتة وظفر بعامر بن محمد ابن على النازع الى الشقاق في معتصمه فلقوه في طريقه ولقاهم مبرة وتكريما واستصرخوه لاستنقاذ أخيهم فأجاب صريخهم ورغبوه في ملك تلمسان وما وراءها فوافق صاغيته لذلك بما كان في نفسه من الموجدة على السلطان أبي حمو لقبوله كل من ينزع اليه من عربان المعقل أشياع الدولة وبدورها وما كان بعث اليه في ذلك و عن استماعه فاعتزم على الحركة الى تلمسان وألقى زمامه بيد ونزمار وعسكر بساحة فاس وبعث الحاشدين في الثغور والنواحي من المغرب فتوافت الحاشدون ببابه وارتحل بعد قضاء النسك من الاضحى سنة احدى وسبعين واتصل الخبر بالسلطان أبي حمو وكان معسكرا بالبطحاء فانكفأ راجعا الى تلمسان وبعث في أوليائه عبيد الله والاحلاف من عرب المعقل فصموا عن اجابته ونزعوا الى ملك المغرب فأجمع رأيه الى التحيز الى بني عامر وأجفل غرة المحرم سنة ثنتين وسبعين واحتل السلطان عبد العزيز تلمسان في يوم عاشوراء بعدها وأشار ونزمار بن عريف بتسريح العساكر في اتباعه فسرح السلطان وزيره أبا بكر بن غازي بن الكاس حتى انتهى الى البطحاء ثم لحق به هنالك ونزمار وقد حشد العرب كافة وأوغذ السير في اتباع السلطان أبي حمو وبني عامر وكانوا قد أبعدوا المذهب ونزلوا على الزواودة وسرح اليهم السلطان يومئذ عبد العزيز يحملهم على طاعته والعدوى بهم عن صحابة بني عامر وسلطانهم وسرح فرج بن عيسى بن عريف الى حصين لاقتضاء طاعتهم واستدعاء أبي زيان الى حضرته ونبذهم عهده واتهما جميعا الى أبي زيان مقدمة أوليائه ولحق بأولاد يحيى بن علي بن سباع من الزواودة واتهيت أنا اليهم مخفضت عليهم

الشأن فى جواره لما كانت مرضاة السلطان وحذرتهم شأن أبى حمو وبنى عامر وأوفدت مشيختهم على وترمار والوزير أبى بكر بن غازى فدلوهما على طريقه فأغذوا السير وبيتوهم بمنزلهم على الدوس آخر عمل الزاب من جانب المغرب ففضوا جموعهم وانتهبوا جميع معسكر السلطان أبى حمو بأموالهم وأمتعته وظهره ولحق فلهم بمصاب ورجعت العساكر من هنالك فسلكت على قصور بنى عامر بالصحراء قبلة جبل راشد التى ربا ولون ساعون اليها فانتهبوها وخربوها وعاثوا فيها وانكفؤا راجعين الى تلمسان وفرق السلطان عماله فى بلاد المغرب الاوسط من وهران ومليانة والجزائر والمرية وجبل وانشريس واستوسق به ملكه ونزع عنه عدوه ولم يبق به يومئذ الاصرمة من نار الفتنة ببلاد مغراوة   من ولد على بن راشد سخط خالد فى الديوان ولحق بجبل بنى سعيد واعتصم به فجهز السلطان الكتائب لحصاره وسرح وزيره عمر بن مسعود لذلك كما ذكرنا فى أخبار مغراوة واحتقر شأنه وأوفدت أنا عليه يومئذ مشيخة الزواودة فأوسعهم حباء وكرامة وصدروا مملوءة حقائبهم خالصة قلوبهم منطلقة بالشكر ألسنتهم واستمر الحال الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

(الخبر عن اضطراب المغرب الاوسط ورجوع أبى زيان الى تيطرى واجلاب أبى حمو على تلمسان ثم انهزامهما وتشريدهما على سائر النواحى)

كان بنو عامر من زغبة شيعة خالصة لبنى عبد الواد من أول أمرهم وخلص سويد لبنى مرين كما قدمناه فكان من شأن عريف وبنيه عند السلطان أبى الحسن وبنيه ما هو معروف فلما استبيحت أحياؤهم بالدوس مع أبى حمو ذهبوا فى القفر اشفاقا ويأسا من قبول بنى مرين عليهم لما كان ونزمار بن عريف واخوانه من الدولة فحدبوا على سلطانهم أبى حمو يتقلبون معه فى القفار ثم نزع اليهم رحو بن منصور فيمن أطاعه من قومه عبيد الله من المعقل وأجلبوا على وجدة فاضطرم النفاق على الدولة نارا وخشى حصين مغبة أمرهم من السلطان بما اتهموا به من الشقاق والعناد فمدوا أيديهم الى سلطانهم أبى زيان وأوفدوا مشيختهم لاستدعائه من حلة أولاد يحيى بن على فاحتل بينهم وأجابوا به على المرية فملكوا نواحيها وامتنع عليهم مصرها واستمر الحال على ذلك واضطرب المغرب الاوسط على السلطان وانتقضت به طاعته وسرح الجيوش والعساكر الى قتال مغراوة وحصين فأجمع أبو حمو وبنو عامر على قصده بتلمسان حتى اذا احتلوا قريبا منها دس السلطان عبد العزيز بعض شيعته الى خالد بن عامر وزغبة فى المال   منه وكان أبو حمو قد آسفه بمغالطته بعض عشيره وتعقب رأيه برأيه ممن لم يسم الى خطته ولم يرتض كفاءته فجنح الى ملك المغرب ونزع يده من عهد أبى حمو وسرح السلطان

بياض بالاصل

بياض بالاصل

عبد العزيز عسكره الى نالدغا أوقع بأبي حمو ومن كان من العرب عبيد الله وبني عامر وانتهب معسكره وأمواله واحتقبت حرمه وحظاياه الى قصر السلطان وتقبض على مولاه عطية فمن عليه السلطان وأصاره في حاشيته ووزرائه وأصفقت زغبة على خدمة ملك المغرب ووافق هذا الفتح عند السلطان فتح بلاد مغراوة وتغلب وزيره أبو بكر بن غازى على جبل بني سعيد وتقبض على حمزة بن على بن راشد في لمة من أصحابه فضرب أعناقهم وبعث بها الى سدة السلطان وصلب أشلاءهم بساحة مليانة فعظم الفتح واكتمل الظهور وأوعز السلطان الى وزيره أبي بكر بن غازى بالنهوض الى حصين فنهض اليهم وخاطبني وأنا مقيم ببسكرة في دعايته بأن احتشد أولياءه من الزواودة ورياح والتق الوزير والعساكر على حصن تيطرى فنازلناه أشهرا ثم افترق جمعهم وفزوا من حصنهم وتفرقوا كل ممزق وذهب أبو زيان على وجهه فلحق ببلد واركلا قبلة الزاب لبعدها عن منال الجيوش والعساكر فأجاروه وأكرموا نزله وضرب الوزير على قبائل حصين والثعالبة المغارم الثقيلة فأعطوها عن يد وجهضهم باقتضائها ودوّخ قاصية الثغور ورجع الى تلمسان عالي الكعب عزيز السلطان طاهر اليد وتعدله السلطان بجملة يوم وصوله قعود الخما وصل فيه اليه وأوصل من صحبه من وفود العرب والقبائل فقسم فيهم بره وعنايته وقبوله على شاكلته واقتضى من أمراء العرب زغبة أبناءهم الاعزة رهنا على الطاعة وسرحهم لغزو أبي حمو بمنتبذه من تيكورارين فانطلقوا الذلك وهلك السلطان عبد العزيز لليال قلائل من مقدم وزيره وعساكره أواخر شهر ربيع الآخر من سنة أربع وسبعين لمرض مزمن كان يتفادى بالكتمان والصبر من ظهوره وانكفأ بنو مرين راجعين الى ممالكهم بالمغرب بعد أن بايعوا الولد دراجا حاسبا ولقبوه بالسعيد وجملوا أمره الى الوزير أبي بكر بن غازى فملك أمرهم عليهم واستقرت حاله كما نذكره في أخباره ان شاء الله تعالى

الخبر عن عود السلطان أبي حمو الاخير الى تلمسان الكرة الثالثة لبني عبد الواد في الملك

لما هلك السلطان عبد العزيز ورجع بنو مرين الى المغرب نصبوا من أعياص بني يغمراسن لمدافعة أبي حمو من بعدهم عن تلمسان ابراهيم بن السلطان أبي تاشفين كان ناشئا بدولتهم منذ هلك أبوه وتسلل من جملتهم عطية بن موسى مولى السلطان أبي حمو وخالفهم الى البلد غداة رحيلهم فقام بدعوة مولاه ودافع ابراهيم بن تاشفين عن مرامه وبلغ الخبر أولياء السلطان أبي حمو من عرب المعقل أولاد يغمور ابن عبيد الله فطيروا اليه النجب على حين غلب عليه الناس وأجمع الرحلة الى بلاد

السودان لما بلغه من اجتماع العرب للحركة عليه كما قلناه فأغذ السير من مطرح اغترابه وسابقه ابنه ولى عهده فى قومه عبد الرحمن أبو تاشفين مع ظهيرهم عبد الله بن صغير فدخلوا البلد وتلاهم السلطان لرابعة دخولهم وعاود سلطانه واقتعد أريكته وكانت احدى الغرائب وتقبض ساعتئذ على وزرائه اتهمهم بمداخلة خالد بن عامر فيما نقض من عهده وظاهر عليه عدوه فأودعهم السجن ليومهم حنقا عليهم واستحكم لها نفرة خالد وعشيرته وحصلت ولايه أولاد عريف بن يحيى لمنافرة بنى عامر اياه واقتال السلطان عبد العزيز عليه ووثق بمكان ونزمار كبيرهم فى تسكين عادية ملوك المغرب عليه ورجع الى تمهيد وطنه وكان بنو مرين عند انفضاضهم الى مغربهم قد نصبوا من اقتال مغراوة ثم بنى منديل على بن هرون بن ثابت بن منديل وبعثوه الى مزاحمة السلطان أبى حمو ونقض الاطراف ملكه وأجاب أبو زيان بن عمه على بلاد حصين فكان من خبره معهما ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن رجوع أبى زيان بن السلطان أبى سعيد الى بلاد حصين ثم خروجه عنها)

كان الامير أبو زيان بن السلطان أبى سعيد لما هلك السلطان عبد العزيز وبلغه الخبر بمكانه من وارگلا نهض منها الى التلول واسف الى الناحية التى كان منتزيا بها ومسماها لابى حمو فيها فاقتطعت لدعوته كما كانت ورجع أهلها الى ما عرفوا من طاعته فنهض السلطان أبو حمو لتمهيد نواحيه وتثقيف أطراف ملكه ودفع الخوارج عن ممالكه وظاهره على ذلك أمير البدو من زغبة أبو بكر ومحمد ابنا عريف بن يحيى دس اليهما بذلك كبيرهما ونزمار وأخذهما بمناصحة السلطان ومخالصته فركبا من ذلك أوضح طريق وأسهل مركب ونبذ السلطان العهد الى خالد وعشيره فضاقت عليهم الارض ولحقوا بالمغرب لسابقة نزوعهم الى السلطان عبد العزيز وابتدأ السلطان بما يليه فأزعج بمظاهرتهما على بن هرون عن أرض شلف سنة خمس وسبعين بعد حروب هلك فى بعضها اخوه رحمون بن هرون وخلص الى بجاية فركب منها السفن الى المغرب ثم تخطى السلطان أبو حمو الى ما وراء شلف وسفر محمد بن عريف بينه وبين ابن عمه بعد أن نزع اليه الكثير من أوليائه حصين والثعالبة بما بذل لهم من الاموال وبما سئموا من طول الفتنة فشارطه على الخروج من وطنه الى جيرانهم من رياح على أتاوة تحمل اليه فقبل ووضع أوزار الحرب وفارق مكان ثورته وكان لمحمد بن عريف فيها أثر محمود واستألف سالم بن ابراهيم كبير الثعالبة المتغلب على بسيط متيجة وبلد الجزائر بعد أن كان خب فى الفتنة وأوضع فاقتضى له من السلطان عهده من الامان والولاية على قومه وعمله وقلد السلطان أبناءه ثغور أعماله فأنزل ابنه بالجزائر لنظر سالم بن ابراهيم

يناقض بالاصل

من تحت استبداده وابنه أبا زيان عالديه وانقلب السلطان الى حضرته بتلمسان بعد أن دوّخ قاصيته وثقف أطراف عمله وأصلح قلوب أوليائه واستألف شيعة عدوّه فكان فتحا لا كفاء له من بعد ما خلع من ربقة الملك ونزع من شرع السلطان وانتبذ من قومه وعمالكه الى قاصية الأرض في جوار من لا ينفذ أمره ولا يقوم بطاعته والله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء

الخبر عن اجلاب عبد الله بن صغير واستقاض أبي بكر بن عريف وبيعتهما للامير أبي زيان ورجوع أبي بكر الى الطاعة

كان خالد بن عامر وابن أخيه عبد الله بن صغير وسائر اخوانهم من ولد عامر بن ابراهيم قد لحقوا بالمغرب صريخا بنى مرين لما وقع بينهم وبين أبي حمو من الفعلة التي فعل خالد معه وبئس عبد الله بن صغير من صريخهم عاعقد وترماد بن عريف من السلطين صاحب المغرب وصاحب تلمسان فخاض القفر بمن معه من قومه ولحق بوطن زغبة وأجلب على جبل راشد وبه العمور احلاف سويد من بنى هلال فاعترضتهم سويد ودارت بينهم حرب شديدة كان الظهور فيها لسويد عليهم وفي خلال ذلك فسد ما بين السلطان وبين أبي بكر بن عريف بسبب صاحب جبل وانشريس يوسف بن عمر ابن عثمان أراده السلطان عن النزول عن عمله فغضب له أبو بكر لقديم الصداقة بين سلفهما ووصل يده بعبد الله بن صغير بعد الواقعة ودعاه الى بيعة أبي زيان فأجابه وأوفدوا رجالاتهم عليه بمكانه من محالات رياح فوصلوه معهم ونصبوه للامر وتخير محمد بن عريف الى السلطان في جموع سويد ونهض السلطان من تلمسان سنة سبع وسبعين فيمن معه من قبائل بنى عبد الواد وعرب المعقل وزغبة ودس الى أولياء أبي زيان رفيقهم وحكم أبا بكر في الاشتراط عليه ففاء الى الطاعة والمخالصة ورجع أبو زيان الى مكانه من حال الزواودة وأغذ السلطان السير الى حضرته فتلى أريكته وحدث بعد ذلك ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن وصول خالد بن عامر من المغرب والحرب التي دارت بينه وبين سويد وأبي تاشفين هلك فيها عبد الله بن صغير واخوانه

لما بلغ خالد بن عامر بمكانه من المغرب خبر عبد الله ابن أخيه صغير قفل من المغرب يئسا من مظاهرة بنى مرين فخفق السعي في صريخه بهم لما كانوا عليه من افتراق الامر كما ذكرناه قبل ووصل معه ساسى بن سليم في قومه بنى يعقوب وتظاهر الحيان على العيث في بلاد أبي حمو واجتمع اليهم أبناء الفتنة من كل أوب فأجلبوا على الاطراف وشنوا الغارة في البلاد وجمع أولاد عريف لحربهم قومهم من سويد واحلافهم من العطاف

وبعثوا بالصريخ الى السلطان فسرح لحرب عدوه وعدوهم ابنه أبا تاشفين ولى عهده في قومه وبرز لذلك في العساكر والجنود ولما انتهى الى بلاد هوارة واضطرب عسكره بها أعجله صريخ أوليائه عن مناخ الركاب فاستعجل الراحة ولحق بأوليائه أولاد عريف ومن معهم من أشياع الدولة من زغبة وأغذوا السير الى وادهنالك شرقي القلعة فتلاقى الجمعان وتواقفوا للقاء سائر يومهم واستضاؤا باضرام النيران مخافة البيات وأصبحوا على التعبية وتمشت الرجالات في مواضعة الحرب فأعجبهم مناشبة القوم وتزاحفت الصفوف وأعلم الكماة وكشفت الحرب عن ساقها وحمى الوطيس وهبت الريح المبشرة فخفقت لها رايات الامير وهدرت طبوله ودارت رحى الحرب وصمدت اليها كتائب العرب فبرى فيها الابطال منهم وانكشفوا وأجلت المعركة عن عبد الله بن صغير صريعا فأمر أبو تاشفين فاحتز رأسه وطير به البريد الى أبيه ثم عثرت المراكب بأخيه ملوك بن صغير مع العباس ابن عمه موسى بن عامر ومحمد بن زيان من وجوه عشيرتهم متواقعين بجنودهم متضاجعين في مراقدهم كأنما أقعدوا للردى فوطئتهم سنابك الخيل وغشيهم قتام المراكب وأطلقت العساكر أعنتها في اتباع القوم فاستاقوا نعمهم وأموالهم وكثرت يومئذ الانفال وغشيهم الليل فتستروا بجناحه ولحقهم فلهم بجبل راشد وأطرب أبو تاشفين أباه بمشتهى ظهوره وأملاه السرور بما صنع الله على يده وما كان له ولقومه من الاثر في مظاهرة أوليائه وطار له بها ذكر على الايام ورجع الى أبيه بالحضرة مملوء الحقائب بالانفال والجوانح بالسرور والايام بالذكر عنه وعن قومه ومدّ بني خالد لوجهه في فل من قومه ولحق بجبل راشد الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله والله تعالى أعلم

الخبر عن انتقاض سالم بن ابراهيم ومظاهرته خالد بن عامر على الخلاف وبيعتهما للامير أبي زيان ثم مهلك خالد ومراجعة سالم الطاعة وخروج أبي زيان الى بلاد الجريد

كان سالم بن ابراهيم هذا كبير الثعالبة المتغلبين على حصن متيجة منذ انقراض مليكش وكانت الرياسة فيهم لاهل بيته حسبما ذكرناه في أخبارهم عند ذكر المعقل ولما كانت فتنة أبي زيان بعد نكبة أبي حمو على بجاية وهبت ريح العرب واستغلظ أمرهم وكان سالم هذا أول من غمس يده في تلك الفتنة ومكر بعلي بن غالب من بيوتات الجزائر كان مغربا عنها منذ تغلب بني مرين على المغرب الاوسط أيام بني عثمان ولحق بها عندما أظلم الجو بالفتنة واستحكمت نفرة أهل الجزائر عن أبي حمو فأظهر بها الاستبداد واجتمع بها اليه الاوشاب والطغام سالم من الضاحية

باقي بالاصل

أطمعه فى الاستيلاء على الجزائر فداخل فى شأنه الملأ من أهل المدينة وحذرهم منه
أنه يروم الدعوة للسلطان أبى حمو فاستثاطوا ثمرة وثاروا به حتى اذا رأى أنه قد أحيط
به تخلصه من أيديهم وأخرجه الى حيه وأبلغه هنالك وحوّل دعوة الجزائر الى الامير
أبى زيان تحت استبداده حتى اذا كان من أمر بنى مرين وحلول السلطان عبد العزيز
بتلمسان كما قدمناه أقام دعوتهم فى الجزائر الى حين مهلكه ورجوع أبى حمو الى
تلمسان وأقبل جيش أبى زيان الى تيطرى فأقام سالم هذا دعوته فى احيائه وفى بلد الجزائر
بأمر ابن عمه ولما كان من خروج أبى زيان الى أحياء رياح على يد محمد بن عريف
ماقدمناه واقتضى سالم عهده من السلطان وولى سالم على الجزائر أقام سالم على أمره من
الاستبداد بتلك الاعمال واستضافة جبايتها لنفسه وأوعز السلطان الى سائر عماله
باستيفاء جبايتها فاستراب وبقى فى أمره على المداهنة وحدثت اثر ذلك فتنة خالد بن
عامر فتربص دوائرها رجاء أن يكون الغلب له فيشغل السلطان عنه ثم بدا له ما لم يحتسب
وكان الغلب للسلطان ولأوليائه وكان قد حدثت بينه وبين بنى عريف عداوة فخشى
أن يحمل السلطان على النهوض اليه فبادر الى الانتقاض على أبى حمو واستقدم الامير
أبو زيان وجاء بخالد بن عامر من المخالفين معه من المغرب فوصلوا اليه أول سنة ثمان
وسبعين وعقد بينهم حلفا مؤكدا وأقام الدعوة للامير أبى زيان بالجزائر ثم زحفوا الى
حصار مليانة وبها حامية السلطان فامتنعت عليهم ورجعوا الى الجزائر فهلك خالد بن
عامر على فراشه ودفن بها وولى أمر قومه من بعده المسعود ابن أخيه صغير ونهض اليهم
السلطان أبو حمو من تلمسان فى قومه وأوليائه من العرب فامتنعوا بجبال حصين
وناوشتهم جيوش السلطان القتال بأسافل الجبل فغلبوهم عليها وانفضت الناجعة
عنهم من الديالم والعطاف وبنى عامر فلحقوا بالقفر ورأى سالم وأصحابه أن قد أحيط بهم
فلاذ بالطاعة وحمل عليها أصحابه وعقد لهم السلطان من ذلك ما أرادوه على أن يفارقوا
الامير أبا زيان ففعلوا وارتحل عنهم فلحق ببلاد العرب ربيع ثم أجازها الى نفطة من
بلاد الجريد ثم الى توزر فنزل على مقدمها يحيى بن يملول فأكرم نزله وأوسع قراره الى
أن كان من أمره ما نذكر ورجع السلطان أبو حمو الى تلمسان وفى نفسه من سالم حرارة
لكثرة اضطرابه ومراجعته الفتن حتى توسط فصل الشتاء وأبعدت العرب فى مشاتيها
فنهض من تلمسان فى جيوش زناتة وأغذ السير فصبح حصين منتجعة بالغارة الشعواء
وأجفلت الثعالبة فلحقوا برؤس الجبال وامتنع سالم بجبل بنى خليل وبعثوا ابنه
وأولياءه الى الجزائر فامتنعوا بها وحاصروه أياما ثم غلبوه على مكامنه فانتقل الى بنى
ميسرة من جبال صنهاجة وخلف أهله ومتاعه وصار الكثير من الثعالبة الى الطاعة

بياض بالاصل

واستهلوا بامان السلطان وعهده الى مشيخة وبعث هو أخاه ثابتا الى
السلطان بانتقاضه العهد ونزل من رأس ذلك الشاهق الى ابنه أبي تاشفين فأوصله الى
السلطان احدى ليالي العشر الاواخر من رمضان فأخفر عهده وذمة ابنه وتقبض
عليه صبيحة ليلته وبعث قائده الى الجزائر فاستولى عليها وأقام دعوته بها وأوفد عليه
مشيختها فتقبض عليهم وعقد على الجزائر لوزيره موسى بن برغوث ورجع الى تلمسان
فقضى بها عيد النحر ثم أخرج سالم بن ابراهيم من محبسه الى خارج البلد وقتل قعصا
بالرماح ونصب شلوه وأصبح مثلا للآخرين ولله البقاء وعهد السلطان لابنه المنتصر
على مليانة وأعمالها ولابنه أبي زيان على وهران وراسله ابن يملول صاحب توزر وصهره
ابن مزني صاحب بسكرة وأولياؤهما من الكعوب والزواودة لما أهمهم أمر السلطان
أبي العباس وخافوه على أمصارهم فراسلوا أبا حمو يضمنون له مسالمة أبي زيان على أن
يوفي لهم بما اشترط لهم من المال وعلى أن يشب نار الفتنة من قبله على بلاد الموحدين
ليشغل السلطان أبا العباس عنهم على حين عجزه وضعف الدولة عنه فأوهمهم من نفسه
القدرة وأطمعهم في ذلك ومازال يراجعهم ويراجعونه بالمقاربة والوعد الى أن أحيط
بابن يملول واستولى السلطان على بلده فلحق ببسكرة وهلك بها لسنة من خروجه آخر سنة
احدى وثمانين وبقي ابن مزني من بعده متعللا بتلك الاماني الكاذبة الى أن ظهر أمره
وتبين عجزه فراجع طاعة السلطان أبي العباس واستقام على الموادعة ولحق الامير أبو
زيان بحضرة السلطان بتونس فنزل بها أكرم نزل مؤملا منه المظاهرة على عدوه والحال
بالمغرب الاوسط لهذا العهد على ما شرحناه مرارا من تغلب العرب على الضواحي
والكثير من الامصار وتقلص ظل الدولة عن القاصية وارتدادها على عقبها الى
مراكزها بسيف البحر وتناول قدرتها على قدرتهم واعطاء اليد في مغالبتهم ببذل
رغائب الاموال واقطاع البلاد والنزول عن الكثير من الامصار والقنوع بالتغريب
بينهم واغراء بعضهم ببعض والله ولي الامور

* (قسمة السلطان للاعمال بين ولده وما حدث بينهم من التنافس) *

كان لهذا السلطان أبي حمو جماعة من الولد كبيرهم أبو تاشفين عبد الرحمن ثم بعده
أربعة لام واحدة كان تزوجها بمحله من اعمال قسنطينة أيام جولته في بلاد الموحدين
كبيرهم المنتصر ثم أبو زيان محمد ثم عمر ويلقب عميرا ثم بعد ولد كثيرون ابناء علات وكان
أبو تاشفين ولي عهده وقد رفعه على الباقين وأشركه في رأيه وأوجب له الحق على وزراء
دولته فكان لذلك رديفه ومظهر سلطانه وكان مع ذلك يتعاهد أولئك الاخوة الاشقاء
بحنوه ويقسم لهم من ترشيحه والنجاء في خلوته فتنغص أبو تاشفين منهم فلما استفحل أمر

السلطان واتهمت من دولته مآثار الدوارج أعمل نظره في قسمة الاعمال بين ولده وترشيحهم للامارة والبعد بهم عن أخيهم أبي تاشفين أن يصيبهم بمكروه عند ايناس الفرصة منهم فولى المنتصر كبيرهم على مليانة واعمالها وأنفذه اليها ومعه أخوه عمر الاصغر في كفالته وولى أخاهما الاوسط أبازيان على المرية وما اليها من بلاد حصين وولى ابنه يوسف ابن الرابية على تدلس وما اليها من آخر اعماله واستقر أمرهم على ذلك ثم كان من انتقاض سالم الثعلبي بالجزائر ما قدمناه فتبعه الى السلطان أن ابنه أبازيان داخله في الخلاف فلما فرغ من أمر سالم كما مر وطرد أبازيان ابن عمه عن أعماله الى الجريد أعمل نظره في نقل ابنه أبي زيان من المرية الى ولاية وهران وأعمالها بعد الهعن العرب الجلبين في الفتن وأنزل معه بعض وزرائه عينا عليه وأقام واليا عليها والله أعلم

(وشاية أبي تاشفين بيحيى بن خلدون كاتب أبيه)

كان أول شئ حدث من منافسة أبي تاشفين لاخوته ان السلطان لما ولى ابنه أبازيان على وهران وأعمالها طلبه أبو تاشفين في ولايتها لنفسه فأسعفه ظاهرا وعهد الى كاتبه يحيى بن خلدون بمماطلته في كتابها حتى يرى المخلص من ذلك فأقام الكاتب يماطله وكان في الدولة لئيم من سفلة الشرط يدعى بموسى بن يخلف صحبهم أيام الاعتراب بتيكورارين أيام ملك تلمسان عليهم السلطان عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن كما مر وخلاله وجه السلطان أبي حمو وابنه فتقرب اليه بخدمته ورعاها له فلما رجع السلطان الى تلمسان بعد مهلك عبد العزيز قدمه وآثره واستخلصه وكان من أخلص بطانته وكان أبو تاشفين أيضا استخلصه وجعله عينا على أبيه وكان هو أبضا يغص بابن خلدون كاتب السلطان ويغار من تقدمه عنده ويغري به أبا تاشفين جهده فدس اليه أثناء هذه المطاولة أن الكاتب ابن خلدون انما مطله بالكتاب خدمة لابي زيان أخيه وايثارا له عليه فاستشاطه أبو تاشفين وترصد له منصرفه من القصر الى بيته بعد التراويح في احدى ليالي رمضان سنة ثمانين في رهط من الاوغاد كان يطوف بهم في سكك المدينة ويطرق معهم بيوت أهل الستر والحشمة في سبيل الفساد فعرضوا له وطعنوه بالخناجر حتى سقط عن دابته ميتا وغدا الخبر على السلطان صبيحة تلك الليلة فقام في ركائبه وبث الطلب عن أولئك الرهط في جوانب المدينة ثم بلغه أن ابنه أبا تاشفين صاحب الفعلة فأغضى وطوى عليها جوانحه وأقطع أبا تاشفين مدينة وهران كما وعده وبعث ابنه أبازيان على بلاد حصين والمرية كما كان ثم طلب أبو تاشفين من أبيه أن تكون الجزائر خالصة له فأقطعه اياها وأنزل بها من اخوته يوسف بن الرابية بما كان شيعة له من بينهم وفئة في صحبته ومخالصته فأقام واليا عليها والله أعلم

حركة أبي حمو الى ثغور المغرب الاوسط ودخول ابنه أبي تاشفين الى جهات مكناسة

كان أبو العباس بن السلطان أبي سالم ملك بني مرين بالمغرب الاقصى قد نهض في عساكره سنة ثلاث وثمانين الى مراكش وبها الامير عبد الرحمن بن يفلوسن بن السلطان أبي علي مقاسمه في نسبه وملكه وكان قد سوغ له مراكش وأعمالها عند ما أجلب معه على البلد الجديد سنة خمس وسبعين كما في أخبارهم واستقر الامير عبد الرحمن بمراكش ثم حدثت الفتنة بينه وبين السلطان أحمد ونهض اليه من فاس فحاصره أولا وثانيا يفرج فيهما عنه ثم نهض اليه سنة أربع وثمانين فحاصره وأخذ بمخنقه وأطال حصاره وكان يوسف بن علي بن غانم أمير المعقل من العرب منتقضا على السلطان وقد بعث السلطان العساكر الى احيائه فهزموه وخربوا بيوته وبساتينه بسجلماسة ورجعوا وأقام هو بصحرائه منتقضا فلما جهد الحصار الامير عبد الرحمن بمراكش بعث أبا العشائر ابن عمه منصور بن السلطان أبي علي الى يوسف بن علي بن غانم ليجلب به على فاس وبلاد المغرب فيأخذ بحجزة السلطان عنه وينفس من مخنقه فسار يوسف بن علي مع أبي العشائر الى السلطان أبي حمو بتلمسان يستنجده على هذا الغرض لقدرته عليه دون العرب بماله من العساكر والابهة فأنجده على ذلك وقدم ابنه أبا تاشفين معهم وخرج هو في أثرهم فساروا الى المغرب ونزل يوسف بن علي بقومه قريبا من مكناسة ومعه الاميران أبو العشائر وأبو تاشفين وجاء أبو حمو من خلفهم فحصر تازى سبعا وخرب قصر تازروت المعد هنالك لنزل السلطان وكان السلطان قد استخلف على فاس في مغيبه علي بن مهدي العسكري من عمال دولته ووجوه قبيله وكان هنالك عرب المنبأة من المعقل قد أخذوا الميرة فأهاب بهم وترمار بن عريف ولي الدولة من عرب سويد وهو نازل بقصر مرادة من جوار تازى فاستألفهم لمدافعة أبي حمو وابنه وخرج بهم علي بن مهدي ثم وصل الخبر باستيلاء السلطان على مراكش منتصف خمس وثمانين فأجفل أبو تاشفين وأبو العشائر ومن معهما من العرب واتبعهم علي بن مهدي بمن معه من المنبأة وأجفل أبو حمو على تازى ومر بمرادة على قصر وترمار فهدمه وعاث فيه وانكفأ راجعا الى تلمسان وفارق ابنه أبو تاشفين أصحابه أبا العشائر والعرب ولحق بأبيه الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

نهوض السلطان أبي العباس صاحب المغرب الى تلمسان واستيلاؤه عليها واعتصام أبي حمو بجبل تاجموت

لما استولى السلطان أبو العباس على مراكش كما قلناه رجع الى دار ملكه بفاس

وقد أسفه السلطان أبو حمو بإجلابه على وطنه هو وابنه أبو تاشفين مع العرب أيام مغيبه بمراكش فأجمع الرحلة الى تلمسان وخرج فى عساكره وراجع يوسف بن على الطاعة ورحل معه فى جموعه وبلغ الخبر الى السلطان أبى حمو فتردد بين الحصار بتلمسان أو مفارقتها وكان بينه وبين ابن الاحمر صاحب الاندلس مواصلة ولابن الاحمر دالة على السلطان أبى العباس كا فكان يحفظ له الشأن فى تسد تلمسان ويلبثه عنها فيعطيه المقادة فى ذلك فيعلل هو السلطان أبا حمو بأن السلطان أبا العباس لا يصل اليه ثم أجمع السلطان أبو العباس أمره ونهض على حين غفلة معتدا الى تلمسان وتقدم الخبر الى أبى حمو فأجمع مفارقة تلمسان بعد أن أظهر لاوليائه وأهل دولته أنه على الحصار ثم خرج حين عشية الى معسكره بالصفيف وافتقده أهل بلده من صبحتهم فتبادر أكثرهم اليه متعلقين بأذياله خوفا من معرة العدو ثم ارتحل يطوى المراحل الى البطحاء ودخل السلطان أبو العباس تلمسان واستولى عليها وجهز العساكر لاتباع أبى حمو وقومه فأجفل من البطحاء ولحق بتاجموت فاعتصم بمعقلها ولحق به ابنه المنتصر من مليانة بما كان معه من الذخيرة فاستمدّ بها وأقام هنالك عازما على الامتناع والله تعالى أعلم

رجوع السلطان أبى العباس الى المغرب واختلال دولته ورجوع السلطان أبى حمو الى ملكه بتلمسان

كان السلطان أبو العباس لما استولى على مملكة تلمسان طير كتبه ورسله بفتحها الى ابن الاحمر صاحب الاندلس ويعتذر اليه من مخالفة رأيه فى الحركة اليها وقد كان ابن الاحمر أسفه ذلك الى ما انتظم اليه من النزعات الملوكية التى يوسف بها بعضهم بعضا وهو يطوى جوانحه عليها واطلع على فساد طاعة السلطان أبى العباس فى أهل دولته وتقدم ضمائرهم له فأزعج لوقته موسى ابن السلطان أبى عنان من أعياص ملكهم كان عنده بالاندلس وجهزه بما يحتاج اليه وبعث فى خدمته مسعود بن رحو بن ماسالى وزيرهم المشهور وأركبه السفن الى سبتة فنزلوا بساحتها أول ربيع سنة ست وثمانين واستولوا عليها ثم تقدموا الى فاس فنازلوا دار الملك أياما وبها محمد بن حسن كاتب محمد ابن عثمان القائم بدولة السلطان أبى العباس والمستبد عليه واشتدوا فى حصارها وتوافت اليهم الامداد والحشود فداخله الخور وألقى بيده وداخل السلطان موسى الى دار الملك تاسع عشر ربيع الاول من السنة وجلس على أريكته وأتاه الناس طاعتهم وطار الخبر الى السلطان أبى العباس بتلمسان وقد تجهز لاتباع أبى حمو ونزل على مرحلة من تلمسان بعد أن أغراه وترمار بن عريف أمير سويد بتخريب قصور الملك بتلمسان

وكانت لا يعبر عن حسنها اختطها السلطان أبو حمو الاول وابنه أبو تاشفين واستدعى لها الصناع والفعلة من الاندلس لحضارتها وبداوة دولتهم يومئذ بتلمسان فبعث اليهما السلطان أبو الوليد صاحب الاندلس بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء بالاندلس فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله فأشار ونرمار على السلطان أبى العباس بتخريب هذه القصور وأسوار تلمسان انتقاما بزعمه من أبى حمو وأخذا بالثار منه فيما اعتمده من تخريب قصر الملك بتازى وتخريب قصره هو بمرادة فأتى عليها الخراب أسرع من لمح البصر وبينما هو فى ذلك وهو يروم السفر لاتباع أبى حمو اذ جاءه الخبر بأن السلطان موسى بن عم السلطان أبى عنان قد استولى على دار ملكهم بفاس واقتعد أريكتهم فكر راجعا الى المغرب لا يلوى على شئ وترك تلمسان لشأنها وكان من أمره ما يأتى ذكره فى أخبارهم وطار الخبر الى السلطان أبى حمو بمكانه من تاجموت فاغذ السير الى تلمسان ودخلها وعاد الى ملكه بها وتفجع لتلك القصور بما ذهب من رونق حسنها وراجع دولته بنى عبد الواد وسلطانهم بتلمسان والله سبحانه وتعالى أعلم

(تجدد المنافسة بين أولاد السلطان أبى حمو ومجاهرة أبى تاشفين بذلك لهم ولابيه)

كان التنافس بين هؤلاء الاولاد خفيا على الناس بما كان السلطان أبوهم يؤامل بينهم ويدارى بعضهم عن بعض فلما اخر جوا أمام بنى مرين وعادوا الى تلمسان صار تنافسهم الى العداوة واتهم أبو تاشفين أباه بممالأة اخوته عليه فشعر لعقوقه وعداوته وشعر السلطان بذلك فأعمل الحركة الى ناحية البطحاء موريا باصلاح العرب ومعتزما على لقاء ابنه المنتصر بمليانة جناحه ويتخطى الى الجزائر فيجعلها دار ملكه بعد أن استخلف بتلمسان ابنه أبا تاشفين وحالفه على المناصحة واطلع موسى بن يخلف على خبيئة السلطان بذلك فدس بها الى أبى تاشفين على عادته فطار به الاسف كل مطار وأغذ السير من تلمسان فيمن معه من العسكر وصبح أباه بأسافل البطحاء قبل أن يتصل بالمنتصر وكشف القناع عن التنكر والتسخط على ما بلغه فحلف له السلطان على ذلك وأرضاه بالرجوع معه الى تلمسان فرجعا جميعا.

(خلع السلطان أبى حمو واستبداد ابنه أبى تاشفين بالملك واعتقاله اياه)

ولما رجع السلطان من البطحاء وبطل ما كان يؤمله من الاتصال بالمنتصر دس اليه مع خالصة من أهل دولته يعرف بعلى بن عبد الرحمن بن الكلب بأحمال من المال يودعها الى أن يجد السبيل لحاجة نفسه وكتب له بولاية الجزائر ليقيم بها حتى يخلص اليه واطلع موسى على ذلك فأطلع أبا تاشفين على الخبر فبعث فى أثره من حاشيته من اغتال ابن

الكتب وجاء اليه بالمال والكتب فاطلع منها على حقيقة أمرهم وأنهم متربصون به فاستشاط وجاهر أباه وغدا عليه بالقصر فأوقفه على الكتاب وبالغ في عذله وتحيز موسى بن يخلف الى أبي تاشفين وهجر باب السلطان وأغرى به ابنه فغدا على أبيه بالقصر بعد أيام وخلعه وأسكنه بعض حجر القصر ووكل به واستخلص ما كان معه من الاموال والذخيرة ثم بعث به الى قصبة وهران فاعتقله بها واعتقل من حضر بتلمسان من اخوته وذلك آخر ثمان وثمانين وبلغ الخبر الى المنتصر بمليانة وأبي زيان وعمير فلحقوا بقبائل حصين واستذموا بهم فأذموهم وأنزلوهم عندهم بجبل تيطري وجمع أبو تاشفين العساكر واستألف العرب من سويد وبني عامر وخرج في طلب المنتصر واخوته ومر بمليانة فملكها ثم تقدم الى جبل تيطري وأقام في حصارهم به وهم ممتنعون عليه والله تعالى أعلم .

(خروج السلطان أبي حمو من الاعتقال ثم القبض عليه وتغريبه الى المشرق)

لما طال مقام أبي تاشفين على تيطري لحصار اخوته ارتاب بأمر أبيه وطول مغيبه عنه وشاور أصحابه في شأنه فأشاروا بقتله واتفقوا على ذلك فبعث أبو تاشفين ابنه أبا زيان في جماعة من حاشيته فيهم ابن الوزير عمران بن موسى وعبد الله بن الخراساني فقتلوا من كان معتقلا بتلمسان من أبناء السلطان وتقدموا الى وهران وسمع أبو حمو بقدومهم فأوجس الخيفة منهم واطلع من جدران القصبة ينادي بالصريخ في أهل البلد فبادروا اليه من كل جهة وتدلى لهم بحبل وصله من عمامته التي كان معتما بها فشالوه حتى استقر بالارض واجتمعوا اليه وكان الرهط الذين جاؤا لقتله بباب القصر وقد أغلقه دونهم فلما سمعوا الهيعة واستيقنوا الامر طلبوا النجاة بذمائهم واجتمع أهل البلد على السلطان وتولى كبر ذلك خطيبهم وجددوا له البيعة وارتحل من حينه الى تلمسان فدخلها أوائل تسع وثمانين وهي يومئذ عورة بما كان بنو مرين هدموا من أسوارها وأزالوا حصنها وبعث فيمن كان تخلف بأحياء بني عامر من أكابرهم ووجوههم فقدموا عليه وطار الخبر الى أبي تاشفين بمكانه من حصار تيطري فانكفأ راجعا الى تلمسان فيمن معه من العساكر والعرب وبادره قبل أن يستكمل أمره فأحيط به ونجا الى مأذنة الجامع فاعتصم بها ودخل أبو تاشفين القصر وبعث في طلبه وأخبر بمكانه فجاء اليه بنفسه واستنزله من المأذنة وأدركته الرقة فجهش بالبكاء وقبل يده وغدا به الى القصر واعتقله ببعض الحجر هنالك ورغب اليه أبوه في تسريحه الى المشرق لقضاء فرضه [illegible] بعض تجار النصارى المترددين الى تلمسان من القيطلان على حمله الى الاسكندرية وأركبه السفن معهم بأهله من مرسى وهران ذاهبا البلية موكلا به وأقبل أبو تاشفين

على القيام بدولته والله تعالى أعلم

نزول السلطان أبي حمو بجاية من السفين واستيلاؤه على تلمسان ولحاق أبي تاشفين بالمغرب

لما ركب السلطان أبو حمو السفين ذاهبا الى الاسكندرية وفارق أعمال تلمسان وحاذى بجاية داخل صاحب السفينة في أن ينزله بجاية فأسعفه بذلك فخرج من الطارمة التي كان بها معتقلا وصار الموكلون به في طاعته وبعث الى محمد بن أبي مهدى قائد الاسطول بجاية المستبد على أميرها بن ولد السلطان أبي العباس بن أبي حفص وكان محمد خالصة المستنصر بن أبي حمو من ناحية دولتهم قد خلص الى بجاية من تدلري بعد ما تنفس الحصار عنهم فبعثه ابن أبي مهدى الى السلطان أبي حمو بالاجابة الى ما سأل وأنزله بجاية آخر تسع وثمانين وأسكنه ببستان الملك المسمى بالرفيع وطير بالخبر الى السلطان بتونس فشكر له ما آتاه من ذلك وأمره بالاستبلاغ في تكريمه وأن يخرج عساكر بجاية في خدمته الى حدود عمله متى احتاج اليها ثم خرج السلطان أبو حمو من بجاية ونزل متيجة واستنفر طوائف العرب من كل ناحية فاجتمعوا اليه ونهض يريد تلمسان واعصوصب قومه بنو عبد الواد على أبي تاشفين عما بذل فيهم من العطاء وقسم من الاموال فنابذوا السلطان أبا حمو واستصعب أمرهم وخرج الى الصحراء وخلف ابنه أبا زيان في جبال شلف مقيما الدعوة وبلغ الى تاسة من ناحية المغرب وبلغ الخبر الى أبي تاشفين فبعث عسكرا الى شلف مع ابنه أبي زيان ووزيره محمد بن عبد الله بن مسلم فتواقفوا مع أبي زيان بن السلطان أبي حمو فهزمهم وقتل أبو زيان بن أبي تاشفين ووزيره بن مسلم وجماعة من بني عبد الواد وكان أبو تاشفين لما بلغه وصول أبيه الى تاسة سار اليه من تلمسان في جموعه فأجفل أبو حمو الى وادي صا واستجاش بالاحلاف من عرب المعقل هنالك فجاؤا لنصره وزعوا ازمامه فنزلها وأقام أبو تاشفين قبالته وبلغه هنالك هزيمة ابنه ومقتله فولى منهزما الى تلمسان وأبو حمو في اتباعه ثم سرح أبو تاشفين مولاه سعادة في طائفة من العسكر لمحاولة العرب في التخلي عن أبي حمو فانتهز فيه الفرصة وهزمه وقبض عليه وبلغ الخبر الى أبي تاشفين بتلمسان وكان يؤمل النجاح عند سعادة فيما توجه فيه فأخفق سعيه وانفض عنه بنو عبد الواد والعرب الذين معه وخرج فارا من تلمسان مع أوليائه من سويد الى مشاتيهم بالصحراء ودخل السلطان أبو حمو تلمسان في رجب سنة تسعين وقدم عليه أبناؤه فأقاموا معه بتلمسان فطرق المنتصر ابنه المرض فهلك بها لايام من دخوله تلمسان واستقر الامر على ذلك والله أعلم

●(نهوض أبي تاشفين بعساكر بني مرين ومقتل السلطان أبي حمو)●

لما خرج أبو تاشفين من تلمسان امام أبيه واتصل بأحياء سويد أجمعوا رأيهم على الاستمداد بصاحب المغرب فوفد أبو تاشفين ومعه محمد بن عريف شيخ سويد على السلطان أبي العباس صاحب فاس وسلطان بني مرين صريخين على شأنهما فتقبل وفادتهما ووعدهما بالنصر من عدوهما وأقام أبو تاشفين عنده ينتظر انجاز وعده وكان بين أبي حمو وابن الاحمر صاحب الاندلس وشيجة ود وعقيدة وصلة ولابن الاحمر دالة وتحكم في دولة أبي العباس صاحب المغرب بما سلف من مظاهرته على أمره مداول دولته فبعث أبو حمو في الدفاع عنه من اجازة أبي تاشفين من المغرب اليه فلم يجبه صاحب المغرب وفاء بذمته وعلله بالقعود عن نصره وألح عليه ابن الاحمر في ذلك فتعلل بالمعاذير وكان أبو تاشفين قد عقد لاول قدومه مع وزير الدولة محمد بن يوسف بن علال حلفا اعتقد الوفاء به فكان هواه في انجاده ونصره من عدوه فلم يزل يفتل لسلطانه في الذروة والغارب ويلوى عن ابن الاحمر المواعيد حتى أجابه السلطان الى غرضه وسرح ابنه الامير أبا فارس والوزير محمد بن يوسف بن علال في العساكر لمصارخة أبي تاشفين وفصلوا عن فاس أواخر احدى وتسعين وانتهوا الى تازى وبلغ خبرهم الى السلطان أبي حمو فخرج من تلمسان وجمع أشياعه من بني عامر والخراج بن عبد الله وقطع جبل بني ورنيد المطل على تلمسان وأقام بالغيران من جهاته وبلغ الخبر الى أبي تاشفين فقدم الى تلمسان مجدد المكر والخديعة وشيطان الفتنة والشر موسى بن يخلف فاستولى عليها وأقام دعوة أبي تاشفين فيها فطير الخبر الى أبي حمو ابنه عمير فصبحها الليلة من مسيرة فأسلمه أهل البلد وتقبض عليه وجاء به أسيرا الى أبيه بمكانه من الغيران فوبخه أبو حمو على فعاله ثم أذاقه أليم عقابه ونكاله وأمر به فقتل أشنع قتلة وجاءت العيون الى أبي فارس بن صاحب المغرب ووزيره ابن علال بمكان أبي حمو واغرابه بالغيران فنهض الوزير ابن علال في عساكر بني مرين لغزوه وسار أمامهم سليمان بن ناجي من الاحلاف احدى بطون المعقل يدل بهم طريق القفر حتى صبحوه ومن معه من احياء الخراج في مكان مقامتهم بالغيران وناوشوهم القتال فلم يطيقوهم لكثرتهم وولوا منهزمين وكبا بالسلطان أبي حمو فرسه فسقط وأدركه بعض فرسانهم وعرفه فقتله قعصا بالرماح وبادر برأسه الى الوزير ابن علال وأبي تاشفين وجيء بابنه عمير أسيرا وهم أبو تاشفين أخوه بقتله فمنعوه أياما ثم أمكنوه منه فقتله ودخل أبو تاشفين تلمسان أواخر احدى وتسعين وخيم الوزير وعساكر بني مرين بظاهر البلد حتى دفع اليهم ما شارطهم عليه من المال ثم قفلوا الى المغرب وأقام هو بتلمسان يقيم دعوة السلطان أبي العباس صاحب المغرب

ويخطب له على منابره ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما اشترط على نفسه الى أن كان مانذكره ان شاء الله تعالى

(مسير أبى زيان بن أبى حمو لحصار تلمسان ثم اجفاله عنها ولحاقه بصاحب المغرب)

كان السلطان أبو حمو قد ولى على الجزائر ابنه أبا زيان لما عاد الى ملكه بتلمسان وأخرج منها أبا تاشفين فلما قتل أبو حمو بالغيران كما قلناه خرج أبو زيان من الجزائر ناجيا الى أحياء حصين يؤمل الكرة بهم والاخذ بثار أبيه وأخيه فاشتملوا عليه وأجابوا صريخه ثم وفد عليه أمراء بنى عامر من زغبة يدعونه للملكه فسار اليهم وقام بدعوته وطاعته شيخهم المسعود بن صغير ونهضوا جميعا الى تلمسان فى رجب سنة ثنتين وتسعين فحاصروها أياما وسرب أبو تاشفين المال فى العرب فافترقوا على أبى زيان وخرج اليه أبو تاشفين فهزمه فى شعبان من السنة ولحق بالصحراء واستألف أحياء المعقل وعاود حصار تلمسان فى شوال وبعث أبو تاشفين ابنه صريخا الى المغرب فجاء بمدد من العسكر ولما انتهى الى تاوريرت أفرج أبو زيان عن تلمسان وأجفل الى الصحراء ثم أجمع رأيه على الوفادة الى صاحب المغرب فوفد عليه صريخا فتلقاه وبر مقدمه ووعده النصر من عدوه وأقام عنده الى حين مهلك أبى تاشفين والله تعالى أعلم

(وفاة أبى تاشفين واستيلاء صاحب المغرب على تلمسان)

لم يزل هذا الامير أبو تاشفين مملكا على تلمسان ومقيما فيها الدعوة صاحب المغرب أبى العباس بن السلطان أبى سالم ومؤديا للضريبة التى فرضها عليه منذ أول ملكه وأخوه الامير أبو زيان مقيم عند صاحب المغرب ينتظر وعده فى النصر عليه حتى تغير السلطان أبو العباس على أبى تاشفين فى بعض النزعات الملوكية فأجاب داعى أبى زيان وجهزه بالعساكر لملك تلمسان فسار لذلك منتصف سنة خمس وتسعين وانتهى الى تازى وكان أبو تاشفين قد طرقه مرض أزمن به ثم هلك منه فى رمضان من السنة وكان القائم بدولته أحمد بن العز من صنائعهم وكان يمت اليه بخؤولة فولى بعده مكانه صبيا من ابنائه وقام بكفالته وكان يوسف بن أبى حمو وهو ابن الزابية واليا على الجزائر من قبل ابى تاشفين فلما بلغه الخبر أغذ السير مع العرب ودخل تلمسان فقتل أحمد بن العز والصبى المكفول ابن أخيه تاشفين فلما بلغ الخبر الى السلطان أبى العباس صاحب المغرب خرج الى تازى وبعث من هنالك ابنه أبا فارس فى العساكر ورد أبا زيان بن أبى حمو الى فاس ووكل به وسار ابنه أبو فارس الى تلمسان فملكها وأقام فيها دعوة أبيه وتقدم وزير أبيه صالح بن حمو الى مليانة فملكها وما بعدها من الجزائر وتدلس الى حدود بجاية واعتصم يوسف بن الزابية بحصن تاجحموت وأقام الوزير صالح يحاصره وانقرضت دعوة بنى عبد

الوادمن المغرب الاوسط والله غالب على أمره

وفاة أبي العباس صاحب المغرب واستيلاء أبي زيان بن أبي حمو على تلمسان والمغرب الاوسط

كان السلطان أبو العباس بن أبي سالم لما وصل الى تازى وبعث ابنه أبا فارس الى تلمسان فلكها وأقام هو بتازى يشارف أحوال ابنه ووزيره صالح الذي تقدم لمع البلاد الشرقية وكان يوسف بن علي بن غانم أميرا ولاد حسين من المعقل قد حج سنة ثلاث وتسعين واتصل بملك مصر من الترك الملك الظاهر برقوق وتقدمت الى السلطان ثنته واخبرته بحله من قومه فأكرم تلقيه وحمله بعد قضاء حجه هدية الى صاحب المغرب بطرفه فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك فلما قدم بها يوسف على السلطان أبي العباس عظم موقعها وجلس في مجلس جعله لعرضها والمباهاة بها وشرع في المكافأة عنها بتخير الجياد والبضائع والثياب حتى استكمل من ذلك ما رضيه واعتزم على انفاذها مع يوسف بن علي حاملها الاول وانه يرسله من تازى أيام مقامته هنالك فطرقه هنالك مرض كان فيه حتفه في محرم سنة ست وتسعين واستدعوا ابنه أبا فارس من تلمسان فبايعوه بتازى وولوه مكانه ورجعوا به الى فاس وأطلقوا أبا زيان بن أبي حمو من الاعتقال وبعثوا به الى تلمسان أميرا عليها وقائما بدعوة السلطان أبي فارس فيها فسار اليها وملكها وكان أخوه يوسف بن الزابية قد اتصل بأحياء بني عامر يروم ملك تلمسان والاجلاب عليها فبعث اليهم أبو زيان عندما بلغه ذلك وبذل لهم عطاء جزيلا على أن يبعثوا به اليه فأجابوه الى ذلك وأسلموه الى ثقات أبي زيان وساروا به فاعترضهم بعض أحياء العرب ليستنقذوه منهم فبادروا بقتله وحملوا رأسه الى أخيه أبي زيان فسكنت أحواله وذهبت الفتنة بذهابه واستقامت أمور دولته وهم على ذلك لهذا العهد والله غالب على أمره وقد انتهى بنا القول في دولة بني عبد الواد من زناتة الثانية (وبقي) علينا خبر الرهط الذين تحيزوا منهم الى بني مرين منذ أول الدولة وهم بنو كمى من فصائل علي ابن القاسم اخوة طاع الله بن علي وخبر بني كندوز أمرائهم بمراكش فلنرجع الى ذكر أخبارهم وبها تستوفي الكلام في أخبار بني عبد الواد والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(الخبر عن بنى كمى احد بطون بنى القاسم بن عبد الواد وكيف نزعوا الى بنى مرين وما صار لهم بنواحى مراكش وأرض السوس من الرياسة)

قد تقدم لنا أول الكلام فى بنى عبد الواد أن بنى كمى هؤلاء من شعوب القاسم وأنهم بنو كمى بن عيل بن يزكن بن القاسم اخوة طاع الله وبنى دلول وبنى معطى دلول وبنى معطى بن جوهر بن على وذكرنا ما كان بين طاع الله وبين اخوانهم بنى كمى من الفتنة وكيف قتل كندوز بن عبد الله كبير بنى كمى زيان بن ثابت بن محمد كبير بنى طاع الله وأن جابر بن يوسف بن محمد القائم بالامر من بعده ثار منهم بزيان وقتل كندوز اغتيالا أو حربا وبعث برأسه الى يغمراسن بن زيان فنصب عليها أهل البيت القدور شفاية لنفوسهم واستمر الغلب بعدها على بنى كمى فلحقوا بحضرة تونس وكبيرهم اذ ذاك عبد الله ابن كندوز ونزلوا على الامير أبى زكريا حتى كان من استيلائه على تلمسان ما قدمنا ذكره وطمع عبد الله فى الاستبداد بتلمسان فلم يتفق ذلك ولما هلك مولانا الامير أبو زكريا وولى ابنه المنتصر أقام عبد الله صدرا من دولته ثم ارتحل هو وقومه الى المغرب ونزل على يعقوب بن عبد الحق قبل فتح مراكش فاهتز يعقوب لقدومه وأحله بالمكان الرفيع من دولته وأنزل قومه بجهات مراكش وأقطعهم البلاد التى كانت مهماتهم وجعل السلطان انتجاع ابله وراحلته فى أحيائهم وقدم على رعايتها حسان ابن أبى سعيد الصبيحى وأخاه موسى وصلا فى لفيفه من بلاد المشرق وكانا عارفين برعاية الابل والقيام عليها وأقاموا يتقلبون فى تلك البلاد ويتعدون فى نجعتها الى أرض السوس وأوفد يعقوب بن عبد الحق عبد الله بن كندوز هذا على المنتصر صاحب افريقية سنة خمس وستين مع عامر بن أخيه ادريس كما قدمناه واتصل بنو كمى ببنى مرين وأصبحوا احدى بطونهم وهلك عبد الله بن كندوز وصارت رياستهم من بعده لابنه عمر بن عبد الله فلما نهض يوسف بن يعقوب بن عبد الحق الى المغرب الاوسط ونزل بحصار تلمسان وتحدث الناس بما نزل بعبد الواد من بنى مرين أخذت بنى كمى الحمية واستعضوا لقومهم وأجمعوا الخلاف والخروج على السلطان ولحقوا بحاحة سنة ثلاث وسبعمائة واستولوا على بلاد السوس فخرج اليهم أخو السلطان الامير أبو زكرا يعيش بن يعقوب فناجزوه الحرب بتادارت وغلبوه واستمروا على خلافهم ثم عاود محاربتهم بتامطولت سنة أربع بعدها فهزمهم الهزيمة الكبرى التى قصت جناحهم وقتل عمر بن عبد الله وجماعة من كبرائهم وفروا أمامه الى الصحراء ولحقوا بتلمسان وهدم يعيش بن يعقوب تارودنت قاعدة أرض السوس وأقام بنو كندوز

بعدها بتلمسان نحوا من ستة أشهر ثم توجسوا الغدر من ولد عثمان بن يغمراسن فرجعوا الى مراكش واتبعهم عساكر السلطان وأبلى منهم فى القتال عنهم محمد بن أبى بكر بن حمامة بن كندوز وخلصوا الى منجاتهم مشردين بصحراء السوس الى أن هلك السلطان يوسف بن يعقوب وراجعوا طاعة الملوك بالمغرب فعفوا لهم عما سلف من هذه الجريرة وأعادوهم الى مكانهم من الولاية فأمحضوا النصيحة والمخالصة وكان أميرهم من بعد عمر ابنه محمد وأقام فى امارتهم سنين ثم ابنه موسى بن محمد من بعده كذلك واستخلصه السلطان أبو الحسن أيام الفتنة بينه و بين أخيه أبى على لعهد أبيهما السلطان أبى سعيد ومن بعده فكانت له فى المدافعة عن نواحى مراكش آثار وأيام ثم هلك موسى بن محمد فولى السلطان أبو الحسن مكانه ابنه يعقوب بن موسى ولما غلب على تلمسان وأصار بنى عبد الواد فى خوله وجنوده تمشت رجالاتهم وساموا أشجانهم حتى اذا كانت واقعة الغيران وتواقف السلطان وبنى سليم داخلهم يعقوب بن موسى فى أن يخذل عن السلطان اليهم بنى عبد الواد ومن اليهم من مغراوة وتوجين وأوعدهم لذلك ثم مشى فى قومه وكافة بنى عبد الواد فأجابوه الى ذلك ولحقوا جميعا ببنى سليم فجروا بذلك الهزيمة على السلطان بالغيران المشهورة ولحقوا بعدها بتلمسان وولوا أمرهم فى بنى يغمراسن وهلك يعقوب بن موسى بافريقية ولحق أخوه رحو بالمغرب وكان السلطان أبو عنان قد استعمل على جماعتهم وعملهم عبو بن يوسف بن محمد وهو ابن عمهم دينا فأقام فيهم كذلك حتى هلك فولى من بعده ابنه محمد بن عبو وهم على ذلك لهذا العهد يعسكرون للامير بمراكش ويتولون من خدمة السلطان مالهم فيه الغناء والكفاية فكانهم بمعزل عن بنى عبد الواد لاستحكام العداوة بمقتل زيان بن ثابت والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين لا رب غيره ولا معبود سواه

محمد بن أبى بكر بن حمامة

(الخبر عن بنى راشد بن محمد بن بادين وذكر أوليتهم وتصاريف أحوالهم)

واعلم انا قدمنا ذكرهم قبل استتمام بنى بادين لانهم لم يزالوا أحلافا لبنى عبد الواد من جانبهم فكانت أخبارهم من أخبارهم وأما راشد أبوهم فهو أخو بادين واختص بنوه كما قلنا بنى عبد الواد وكانت مواطنهم بالصحراء بالجبل المعروف براشد اسم أبيهم وكانت مواطن مديونة من قبائل البربر قبلة تاسالت وبنو ورنيد من بطون دمر قبلة تلمسان الى قصر سعيد وكان جبل هوارة موطنا لبنى يلوما الذين كان لهم الملك كما قدمنا ولما اضمحل أمر بنى يلوما وذهبت دولتهم زحف بنو راشد هؤلاء من بلوتهم بجبل راشد الى بسائط مديونة وبنى ورنيد فشنوا عليهم الغارات وطالت بينهم الحرب الى أن غلبوهم على مواطنهم وألجؤهم الى الاوعار فاستوطن بنو ورنيد الجبل المطل على تلمسان واستوطن مديونة جبل تاسالت وملك بنو راشد بسائطهم ثم استوطنوا جبلهم المعروف بهم لهذا العهد وهو بلد بنى يفرن الذين كانوا ملوك تلمسان لاول الاسلام وكان منهم أبو قرة الصفرى كما قدمناه وكان منهم بعد ذلك يعلى بن محمد الامير الذى قتله جوهر الصقلى قائد الشيعة كما ذكرناه فى أخبارهم ويعلى هو الذى اختط بهذا الجبل مدينة ايفكان الذى هدمها جوهر يوم قتله فلما ملك بنو راشد هذا الجبل استوطنوه وصار حصنا لهم ومجالاتهم فى ساحة القبلة الى أن غلبهم العرب عليها لهذا العهد وألجؤهم الى الجبل وكان غلب بنى راشد على هذه الاوطان بين دخول بنى عبد الواد الى المغرب الاوسط وكانوا شيعتهم وأحلافا فى فتنتهم مع بنى توجين

مرين وكانت رياستهم في بيت منهم يعرفون ببني عمران وكان القائم بها الاول دخولهم ابراهيم بن عمران واستبد عليه اخوه وترمار وقام بأمرهم الى أن هلك فولي ابنه مقاتل بن وترمار وقتل عمه ابراهيم وافترقت رياسة بني عمران من يومئذ بين بني ابراهيم وبني وترمار الا أن رياسة بني ابراهيم أظهر فولي بعد ابراهيم بن عمران ابنه وترمار وكان معاصر ليغمراسن بن زيان وطال عمره ولما هلك لتسعين من المائة السابعة ولي أمرهم غانم ابن أخيه محمد بن ابراهيم ثم كان فيهم من بعده موسى بن يحيي بن وترمار لا أدري معاقبا لغانم أو توسطهما أحد ولما زحف بنو مرين الى تلمسان آخر زحفهم صار بنو راشد هؤلاء الى طاعة السلطان أبي الحسن وشيخهم لذلك العهد أبو يحيي موسى بن عبد الرحمن بن وترمار بن ابراهيم وانحصر بتلمسان بنو عمه كرجون بن وترمار وانقرض أمر بني عبد الواد وأشياعهم ونقل بنو مرين رؤس زناتة أجمع الى المغرب الاقصى فكان بنو وترمار هؤلاء ممن صار الى المغرب وأوطنوه الى أن صار الامر لبني عبد الواد الكرة الثالثة على يد أبي حمو الاخير موسى بن يوسف وكان شيخ بني راشد لعهده ابن أبي يحيي بن موسى المذكور أقبل اليهم من المغرب من ايالة بني مرين فاتهمه أبو حمو بمداخلتهم فتقبض عليه واعتقله مدة بوهران وفر من معتقله فلحق بالمغرب وارتحل بين أحيائهم مدة ثم رجع الى الطاعة واقتضى العهد من السلطان أبي حمو وولاه على قومه ثم تقبض عليه واعتقله الى أن قتله بمحبسه سنة ثمان وستين وسبعمائة وانقرض أمر بني وترمار بن ابراهيم وأما بنو وترمار بن عمران فقام بأمرهم بعد مقاتل ابن وترمار أخوه أبو زركن بن وترمار ثم ابنه يوسف بن أبي زركن ثم آخرون من بعدهم لم تحضرني أسماؤهم الى أن غلب عليهم بنو وترمار بن ابراهيم وقد ذهبت لهذا العهد رياسة أولاد عمران جميعا وصار بنو راشد هؤلاء خولا للسلطان وبقيتهم بجبلهم على الحال التي ذكرناها والله وارث الارض ومن عليها

زيان بن أبي يحيى بن موسى بن عبد الرحمن ـ بن وزمار بن ابراهيم بن عمران

موسى بن يحيى ـ
كرجون ـ
قاسم
محمد بن زرو
يوسف بن زدكن ـ بن وترمار ـ

{الخبر عن بني توجين من شعوب بني يادين من أهل هذه الطبقة الثالثة من زناتة
وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب الاوسط وأولية ذلك ومصايره}

كان هذا الحي من أعظم أحياء بني يادين وأوفرهم عددا وكانت مواطنهم حفافي وادي شلف قبلة جبل وانشريس من أرض السرسو وهو المسمى لهذا العهد سرسا وكان بأرض السرسو بجهة الغرب منه بطون من لواتة وغلبهم عليها بنو وجديجن ومطماطة ثم صارت أرض السرسو لبني توجين هؤلاء واستضافوها الى مواطنهم الاولى وصارت مواطنهم ما بين موطن بني راشد وجبل دراك في جانب القبلة وكانت لهم رياسة أيام صنهاجة لعطية بن دافلتن وابن عمه لقمان بن المعتز كما ذكره ابن الرقيق ولما كانت فتنة حماد بن بلكين مع عمه باديس ونهض اليه باديس من القيروان حتى احتل بوادي شلف تحيز اليه بنو توجين هؤلاء وكان لهم في حروب حماد آثار مذكورة وكان لقمان بن المعتز أظهر من عطية بن دافلتن وكان قومهم يومئذ زهاء ثلاثة آلاف وأوفد لقمان ابنه يدرا على باديس قبل اللقاء طاعة له وانحياشا فلما انهزم حماد رعى لهم باديس انحياشهم اليه وسوغ لهم ما غنموه وعقد للقمان على قومه ومواطنه وعلى ما يفتحه من البلاد دعوته ثم انقرض رياستهم بعد حين بنو دافلتن ويقال انه دافلتن بن أبي بكر بن الفلب وكانت رياستهم لعهد الموحدين لعطية بن مناد بن العباس بن دافلتن وكان يلقب

عطية الحيو وكانت بينهم لعهده وبين بنى عبد الواد حروب كان متولى كبرها من بنى عبد الواد شيخهم لذلك العهد اعدوى بن يكنيجن بن القاسم فلم تزل تلك الفتنة بينهم الى أن غلبهم بنو عبد الواد آخرا على مواطنهم كما نذكره ولما هلك عطية الحيو قام بأمرهم أبو العباس وكانت له آثار فى الاجلاب على ضواحى المغرب الاوسط ونقض طاعة الموحدين الى أن هلك سنة سبع وستمائة دس عامل تلمسان يومئذ أبو زيد بن لوحان من اغتاله فقتله وقام بأمرهم من بعده ابنه عبد القوى فانفرد برياستهم وتوارثها عقبه من بعده كما نذكره وكان من أشهر بطون بنى توجين هؤلاء يومئذ بنو يدللتن وبنو قرى وبنو مادون وبنو زنداك وبنو وسيل وبنو قاضى وبنو مامت ويجمع هؤلاء الستة بنو مدن ثم بنو تيغرين وبنو يرناتن وبنو منكوش ويجمع هؤلاء الثلاثة بنو سرغين ونسب بنى زنداك دخيل فيهم واغاهم من بطون مغراوة وبنو منكوش هؤلاء منهم عبد القوى بن العباس بن عطية الحيو هكذا رأيت نسبه لبعض مؤرخى زناتة المنكوشى وكانت رياسة بنى توجين جميعا عند انقراض أمر بنى عبد المؤمن لعبد القوى بن العباس بن عطية الحيو واحياؤهم جميعا بتلك المجالات القبلية فلما وهن أمر بنى عبد المؤمن وتغلب مغراوة على بسائط متيجة ثم على جبل وانشريس نازعهم عبد القوى هذا وقومه أمر وانشريس وغالبوهم الى أن غلبوهم عليه واستقر فى ملكهم وأوطنه بنو تيغرين وبنو منكوش من أحيائهم ثم تغلبوا على منداس وأوطنها أحياء بنى مدن جميعا وكان الظهور منهم لبنى يدللتن ورياسة بنى يدللتن لبنى سلامة وبقى بنو يرناتن من بطونهم بمواطنهم الاولى قبلة وانشريس وكان من أحلاف بنى عطية الحيو بنو تيغرين منهم خاصة وأولاد عزيز بن يعقوب ويعرفون جميعا بالوزراء ولما تغلبوا على الاوطان والتلول وأزاحوا مغراوة عن المدية ووانشريس وتافركينت واستأثروا بملكها وملك الاوطان عن غربيها مثل منداس والجعبات وتاوغزوت ورئيسهم لذلك العهد عبد القوى بن العباس والكل لأمره فصار له ملك بدوى ولم يفارق فيه سكنى الخيام ولا ابعاد النجعة ولا ائتلاف الرحلتين يتتابون فى مشاتيهم الى مصاب والزاب وينزلون فى المصايف بلادهم هذه من التل ولم يزل هذا شأن عبد القوى وابنه محمد الى أن تنازع بنوه الامر من بعده وقتل بعضهم بعضا وتغلب بنو عبد الواد على عامة أوطانهم وأحيائهم واستبد عليهم بنو يرناتن وبنو يدللتن فصاروا الى بنى عبد الواد وبقى أعقابهم بجبل وانشريس الى أن انقرضوا على ما نذكره بعد وكان عبد القوى لما غلب مغراوة على جبل وانشريس اختط حصن مرات بعد أن كان منديل المغراوى شرع فى اختطاطه فبنى منه القصبة ولم يكمله فاكمله محمد بن عبد القوى من بعده ولما استبد بنو أبى حفص بأمر افريقية وصارت لهم

خلافة الموحدين نهض الامير أبو زكريا الى المغرب الاوسط ودخلت فى طاعته قبائل
صنهاجة وفرت زناتة أمامه وردد اليهم الغزو فأصاب منهم وتقبض فى بعض غزواته
على عبد القوى بن العباس أمير بنى توجين فاعتقله بالحضرة ثم من عليه وأطلقه على
أن يستألف له قومه فصاروا شيعة له ولقومه آخر الدهر ونهض الامير أبو زكريا بعدها الى
تلمسان فكان عبد القوى وقومه فى جملته حتى اذا ملك تلمسان ورجع الى الحضرة عقد
لعبد القوى هذا على قومه ووطنه وأذن له فى اتخاذ الآلة فكانت أول مراسم الملك
لبنى توجين هؤلاء وكانت حالهم مع بنى عبد الواد تختلف فى السلم والحروب ولما هلك
السعيد على يد يغمراسن وقومه كما ذكرناه استنفر يغمراسن سائر أحياء زناتة لغزو
المغرب ومسابقة بنى مرين اليه فنفر معه عبد القوى فى قومه سنة سبع وأربعين
وانتهوا الى تازى واعترضهم أبو يحيى بن عبد الحق أمير بنى مرين فى قومه فنكصوا
واتبعهم الى انكاد فكان اللقاء وانكشفت جموع بنى يادين وكانت الهزيمة التى
ذكرناها فى أخبار بنى عبد الواد وهلك عبد القوى مرجعه منها فى سنته بالموضع
المعروف باحون من مواطنهم وتصدى للقيام بعده بامرهم ابنه يوسف فمكث فى تلك
الامارة اسبوعا ثم قتله على جدث أبيه أخوه محمد بن عبد القوى وولى عهد أبيه سائر
مراماته وفر ابنه صالح بن يوسف الى بلاد صنهاجة بجبال المدية فأقام بها وولده
واستقل محمد برياسة بنى توجين واستغلظ ملكه وكان الفحل الذى لا يقرع أنفه ونازعه
يغمراسن أمره ونهض الى حربه سنة تسع وأربعين وعمد الى حصن تافركينت فنازله
وبه يومئذ حافده على بن زيان بن محمد فى عصابة من قومه فحاصره أياما وامتنع عليه
فارتحل عنها ثم تواضعوا أوزار الحرب ودعاه يغمراسن الى مثل ما دعا اليه أباه من
غزو بنى مرين فى بلادهم فأجاب ونهضوا سنة سبع وخمسين ومعهم مغراوة فانتهوا الى
كلدمان ما بين تازى وأرض الريف ولقيهم يعقوب بن عبد الحق فى جموعه فانكشفوا
ورجعوا منهزمين الى بلادهم كما ذكرناه وكانت بينه وبين يغمراسن بعد ذلك فتن
وحروب فنازله فى الجبل وانتسف مرات وجاس خلال وطنه ولم يقع بعدها بينهما
مراجعة لاستبداد يغمراسن بالملك وجنوحه الى التغلب على زناتة أجمع وبلادهم وكانوا
جميعا متحاشين الى الدولة الحفصية وكان محمد بن عبد القوى كثير الطاعة للسلطان
المستنصر (ولما نزل) النصارى الافرنجة بساحل تونس سنة ثمان وستين وطمعوا فى ملك
الحضرة بعث المستنصر الى ملوك زناتة بالصريخ فصرفوا وجوههم اليه وخف منهم
محمد بن عبد القوى فى قومه ومن احتشد من أهل وطنه ونزل على السلطان بتونس
وأبلى فى جهاد العدو وأحسن البلاء وكانت له فى أيامه معهم مقامات مذكورة ومواقف

مشهورة وعند الله تحتسبه معدودة ولما ارتحل العدو عن الحضرة وأخذ محمد بن عبد
القوى فى الانصراف الى وطنه أسنى السلطان جائزته وعمّ بالاحسان وجوه قومه
وعساكره وأقطعه بلاد مغراوة وأوماش من وطن الزاب وأحسن منقلبه ولم يزل بعد
ذلك متقلدا بطاعته مستظهرا على عدوه بالانحياش اليه ولما استغلظ بنو مرين على
يغمراسن بعد استيلائهم على أمصار المغرب واستبدادهم بملكه وصل محمد يده بهم فى
الاستظهار على يغمراسن وأوفد ابنه زيان بن محمد عليهم ولما نهض يعقوب بن عبد
الحق الى تلمسان سنة سبعين وأوقع بيغمراسن فى الوقيعة التى هلك فيها ابنه فارس نهض
محمد بن عبد القوى للقائه ومرّ فى طريقه بالبطحاء وهى يومئذ ثغر لأعمال يغمراسن
فهدمها ولقى يعقوب بن عبد الحق فى ساحة تلمسان مباهيا بآلته فأكرم يعقوب
وفادته وبر مقدمه ونازلوها أياما فامتنعت عليهم وأجمعوا على الافراج وتأنى لهم
يعقوب بن عبد الحق متلوما عليها الى أن يلحق محمد وقومه ببلادهم حذرا عليهم من غائلة
يغمراسن ففعل وملأ حقائبهم باتحافه وجنب لهم مائة من الجياد العتاق بالمراكب
الثقيلة وأراح عليهم ألف ناقة حلوب وعمهم بالصلات والخلع الفاخرة واستكثر لهم من
السلاح والفازات والاخبية والعملان وارتحلوا ولحق محمد بن عبد القوى بمكانه من
جبل وانشريس واتصلت حروبه مع يغمراسن وكثر اجلابه على وطنه وعيثه فى بلاده
وهو مع ذلك مقيم على موالاة يعقوب واتحافه بالعتاق من الخيل والمستجاد من الطرف
حتى ان يعقوب اذا اشترط على يغمراسن فى مهادنته جعل سلمهم من سلمه وحربهم من
حربه وبسببهم كان نهوض يعقوب بن عبد الحق سنة ثمانين لما اشترط عليه ذلك ولج فى
قبوله فنهض اليه واوقع به بخرزوزة ثم أناخ عليه بتلمسان ووافاه هنالك محمد بن عبد
القوى فلقيه بالقصاب وعاثوا فى نواحى تلمسان نهبا وتخريبا ثم أذن يعقوب لمحمد
وقومه فى الانطلاق الى بلادهم وتلوم هو بمكانه من ضواحى تلمسان مدة منجاتهم الى
مكانهم من وانشريس حذرا عليهم من اعتراض يغمراسن ولم يزل شأنهم ذلك الى أن
هلك يغمراسن بسدلونة من بلاد مغراوة خاتمة احدى وثمانين وفى خلال ذلك استغلظ
بنو مرين على بنى عبد الواد واستوسق لمحمد هذا ملكه فتغلب على أوطان صنهاجة
بجبال المدية وأخرج الثعالبة من جبل تيطرى بعد أن غدر بمشيختهم وقتلهم فانزاحوا
عنه الى بسائط متيجة وأوطنوها واستولى محمد على حصن المدية وهو المسمى بأهل المدية
بفتح اللام والميم وكسر الدال وتشديد الياء بعدها وهاء النسب فى آخرها وهم بطن من
بطون صنهاجة وكان المختط لها بلكين بن زيرى ولما استولى محمد عليها وعلى ضواحيها
انزل أولاد عزيز بن يعقوب من حشمه بها وجعلها لهم موطنا وولاية وفرّ بنو صالح بن على

أخيه يوسف بن عبد القوى من مكانهم بين صنهاجة منذ مقتل أبيه يوسف كما ذكرناه
ولحقوا ببلاد الموحدين بافريقية فلقوهم مبرة وتكريما وقطعوا لهم بضواحى قسنطينة
فى ايالة الملوك من آل أبى حفص يعسكرون معهم فى غزواتهم ويبلون فى حروبهم
ويقومون بوظائف خدمتهم وكان الموالى من أولاد عزيز على المدية حسن بن يعقوب
وبنوه من بعده يوسف وعلى وكانت مواطنهم ما بين المدية وموطنهم الاول ماختون وكان
بنو يدللتن أيضا من بنى توجين قد استولوا على حصن الجعبات وقلعة تاوغزوت ونزل
القلعة كبيرهم سلامة بن على مقيما على طاعة محمد بن عبد القوى وقومه فاتصل ملك
محمد بن عبد القوى فى ضواحى المغرب الاوسط ما بين مواطن بنى راشد الى جبال
صنهاجة بنواحى المدية وما فى قبلة ذلك من بلاد السرسو وجباله الى أرض الزاب وكان
بعد الرحلة فى مشتاه فينزل الروسن ومغرة والمسيلة ولم يزل دأبه ذلك ولما هلك يغمراسن
سنة احدى وثمانين كما ذكرناه استجدت الفتنة بين عثمان ابنه وبين محمد بن عبد القوى
على اثر ذلك سنة أربع وثمانين وولى من بعده ابنه سيد الناس فلم تطل مدة ملكه وقتله
أخوه موسى لسنة أو نحوها من بعده بعد مهلك أبيه وقام موسى بن محمد فى امارة بنى توجين
نحوا من عامين وكان أهل مرات من أشد أهل وطنه شوكة وأقواهم غائلة فحدثته نفسه
أن يستلم منعتهم ويريح نفسه من محاذرتهم فأجمع لذلك ونزلها وتذروا بشأنه
ورأيه فيهم فاستماتوا جميعا وثاروا به فقاتلهم ثم انهزم مثخنا بالجراحة وأجهزه
الى مهارل الحصن فتردى منه وهلك وولى من بعده عمر بن اخيه اسمعيل بن محمد مدة
اربعة أعوام ثم غدر به أولاد عمه زيان بن محمد فقتلوه وولوا كبيرهم ابراهيم بن زيان
وكان حسن الولاية عليهم يقال ما ولى بعد محمد فيهم مثله وفى خلال هذه الولايات استغلظ
عليهم بنو عبد الواد واشتدت وطأة عثمان بن يغمراسن عليهم بعد مهلك أبيهم محمد
فنهض اليهم سنة ست وثمانين وحاصرهم بجبل وانشريس وعاث فى أوطانهم ونقل
زروعها الى مازونة حين غلب عليها مغراوة ثم نازل حصن تافركينت وملكها بمداخلة
القائد بها غالب الخصى مولى سيد الناس بن محمد وقفل الى تلمسان ثم نهض الى أولاد
سلامة بقلعة تاوغزوت وامتنعوا عليه مرارا ثم أعطوه اليد على الطاعة ومفارقة بنى
محمد بن عبد القوى فنبذوا اليهم العهد وصاروا الى ايالة عثمان بن يغمراسن وفرضوا لهم
المغارم على بنى يدللتن وسلك عثمان بن يغمراسن مسلك التضريب بين قبائل بنى توجين
وتحريضهم على ابراهيم بن زيان أميرهم فعدا عليه زكرار بن أعجمى شيخ بنى مادون
وقتله بالبطحاء فى احدى غزواته لسبعة أشهر من ملكه وولى بعده موسى بن زرارة بن
محمد بن عبد القوى بايع له بنو تيغرين واختلف سائر بنى توجين فأقام بعض سنة

وعثمان بن يغمراسن فى خلال هذا يستألف بنى توجين شعبا فشعبا الى أن نهض الى
جبل وانشريس فملكه وفرّ أمامه موسى بن زرارة الى نواحى المدية وهلك فى سفره ذلك
ثم نهض عثمان الى المدية سنة ثمان وثمانين بعدها فملكها بعد اختلاف المدية من قبائل
صنهاجة غدروا بأولاد عزيز وأمكنوه منها ثم انتقضوا عليه لسبعة أشهر ورجعوا الى
ايالة أولاد عزيز فصالحوا عثمان بن يوسف على الاتاوة والطاعة كما كانوا مع محمد بن
عبد القوى وبنيه فملك عثمان بن يغمراسن عامة بلاد توجين ثم شغل بما دهمه من مطالبة
بنى مرين أيام يوسف بن يعقوب فولى على بنى توجين من بنى محمد بن عبد القوى أبو بكر بن
ابراهيم بن محمد مدة عامين أخاف فيها الناس وأساء السيرة ثم هلك فنصب بنو تيغرين بعده
أبناء عطية المعروف بالاصم وخالفهم أولاد عزيز وجميع قبائل توجين فبايعوا اليوسف
ابن زيان بن محمد وزحفوا الى جبل وانشريس فحاصروا به عطية وبنى تيغرين عاما
أو يزيد وكان يحيى بن عطية كبير بنى تيغرين هو الذى تولى البيعة لعطية الاصم فلما
اشتد بهم الحصار واستفحل ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان ورغبه
فى ملك جبل وانشريس فبعث معه الجيوش لنظر أخيه أبى سرحان ثم أخيه أبى يحيى
وكان نهوض أبى يحيى سنة احدى وسبعمائة فتوغل فى ناحية الشرق ولما رجع صعد الى
جبل وانشريس فهدم حصونه وقفل ونهض ثانية الى بلاد بنى توجين فشردهم عنها
وأطاعه أهل تافركنت ثم انتهى الى المدية فافتتحها صلحا واختط قصبتها ورجع الى أخيه
يوسف بن يعقوب فانتقض أهل تافركنت بعد صدوره عنهم ثم راجع بنو عبد القوى
بصائرهم فى التمسك بالطاعة ووفدوا على يوسف بن يعقوب فتقبل طاعتهم وأعادهم الى
بلادهم وأقطعهم وولى عليهم على بن الناصر بن عبد القوى وجعل وزارته ليحيى بن عطية
فغلبه على دولته واستقام ملكه وهلك خلال ذلك فعقد يوسف بن يعقوب مكانه لمحمد بن
عطية الاصم واستقام على طاعته وقتا ثم انتقض بين يدى مهلكه سنة ست وحمل قومه
على الخلاف ولما هلك يوسف بن يعقوب وتجافى بنو مرين من بعدها لبنى يغمراسن عن
جميع الامصار التى تملكوها بالمغرب الاوسط استمكن بنو يغمراسن منها ودفعوا المتغلبين
عنها ولحق الفل من أولاد عبد القوى ببلاد الموحدين فحلوا من دولتهم محل الايثار
والتكرمة وكان للعباس بن محمد بن عبد القوى مع الملوك من آل أبى حفص مقام الخلة
والمصافاة الى أن هلك وبقى عقبه فى جند السلطان ولما خلا الجو من هؤلاء المرشحين
تغلب على جبل وانشريس من بعدهم كبير بنى تيغرين أحمد بن محمد من أعقاب يعلى بن
محمد لسلطان بنى يفرن فأقام يحيى بن عطية هذا فى رياستهم أياما ثم هلك وقام بأمره من بعده
أخوه عثمان بن عطية ثم هلك وولى من بعده ابنه عمر بن عثمان واستقل مع قومه بجبل

وانشريس واستقل أولاد عزيز بالمدية ونواحيها ورياستهم ليوسف وعلى ابنى حسن
ابن يعقوب والكل فى طاعة أبى حمو سلطان بنى عبد الواد ولما غلبهم على أمرهم وانتزع
الرياسة من بنى عبد القوى أمرائهم الى أن خرج على السلطان أبى حمو ابن عمه يوسف
ابن يغمراسن ولحق أولاد عزيز فبايعوه وداخلوا فى كفالته عمر بن عثمان كبير بنى
تيغرين وصاحب جبل وانشريس فأجابهم وأصفق معهم سائر الاعشار ويكوشة
وبنو يرناتن وزحفوا مع محمد بن يوسف الى السلطان أبى حمو فى عسكره بتهل ففضوه
وكان من شأن فتنته معهم ما ذكرناه فى أخبار بنى عبد الواد الى أن هلك السلطان
أبو حمو وولى ابنه أبو تاشفين فنهض اليهم فى العساكر وكان عمر بن عثمان قد لحقته الغيرة
من مخالصة محمد بن يوسف لاولاد عزيز دون قومه فداخل السلطان أبا تاشفين فى
الانحراف عنه فنازل الجبل ولحق محمد بن يوسف بحصن توكال ليمتنع به فنزع عنه عمر
ابن عثمان ولحق بأبى تاشفين ودله على مكامن الحصن فداف اليه أبو تاشفين وأخذ بمخنقه
وافترق عن محمد بن يوسف أولياؤه وأشياعه فتقبض عليه وقيد أسيرا الى السلطان أبى
تاشفين فقتل بين يديه قعصا بالرماح سنة تسع عشرة وبعث برأسه الى تلمسان وصلب شلوه
بالحصن الذى امتنع فيه أيام انتزائه ورجع أمر وانشريس الى عمر بن عثمان هذا
وصلت ولايته لابى تاشفين الى أن هلك بتلمسان فى بعض أيامهم مع بنى مرين أعوام
نازلها السلطان أبو الحسن كما ذكرناه فى أخبارهما ثم لما تغلب بنو مرين على المغرب
الاوسط استعمل السلطان أبو الحسن ابنه نصر بن عمر على الجبل وكان خير وال وفاء
بالذمة والطاعة وخلوصا فى الولاية وصدقا فى الانحياش واحسانا للملكة وتوفرا
للجباية ولما كانت نكبة السلطان أبى الحسن بالقيروان وتطاول الاعياص من زناتة
الى استرجاع ملكهم انتزى بضواحى المدية من آل عبد القوى عدى بن يوسف بن زيان
ابن محمد بن عبد القوى ونازعه الخوارج فى دعوتهم واشتمل عليه بنو عزيز ولداه
وبنو يرناتن جيرانهم وزحف الى جبل وانشريس لينال مع الحشم من يلى أمرهم
والمداخلين لعدوهم فى قطع دابرهم وكبيرهم يومئذ نصر بن عمر بن عثمان وبايع نصر
المسعود بن أبى زيد بن خالد بن محمد بن عبد القوى من أعقابهم ثم خلص اليهم من جملة
عدى بن يوسف حذرا على نفسه من أصحابه وقاتلهم عدى وقومه فامتنعوا عليه
ودارت بينهم حروب كانت العاقبة فيها والظهور لنصر بن عمر وقومه ثم دخل عدى
فى جملة السلطان أبى الحسن لما خلص من تونس الى الجزائر وبقى مسعود بينهم وملكه
أبو سعيد بن عبد الرحمن لما ملك تلمسان هو وقومه فلم يزل هنالك الى أن غلبهم السلطان
أبو عنان فسار فى جملته بعد أن فر الى زواوة واستنزله منها ونقله الى فاس وانقضى

سلكهم ودولتهم وانقطع أثر بنى محمد بن عبد القوى وأقام نصر بن عمر فى ولاية جبل وانشريس وعقد له السلطان أبو عنان عليه سائر دولته ولم يزل قائما بدعوة بنى مرين من بعده الى أن غلبهم السلطان أبو حمو الاخير وهو ابن موسى بن يوسف على الامر فأعطاه نصر الطاعة ثم اضطرمت نار الفتنة بين العرب وبين بنى عبد الواد أعوام سبعين وسبعمائة وقاموا بدعوة أبى زيان بن السلطان أبى سعيد عم أبى حمو فانحاش نصر بن عمر اليهم وأخذ بدعوة الامير أبى زيان حينا ثم هلك أيام تلك الفتنة وقام بأمرهم من بعده أخوه يوسف بن عمر متقبلا مذاهبه وهو لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين صاحب جبل وانشريس وحاله مع أبى حمو مختلف فى الطاعة والخلاف والله مالك الامور لا رب غيره ولا معبود سواه

فارا

محمد بن عيسى بن موسى بن محمد

عمر

عدي بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية الحيو بن مناد بن العباس بن دافلتن بن أبي بكر بن الغلب

مسعود بن وريد بن خالد

محمد بن عطية بن ابراهيم

سيد الناس

موسى

يحيى بن صالح بن عمر بن صالح بن يوسف

زيان بن يوسف بن موسى

(الخبر عن بني سلامة أصحاب قلعة تاوغزوت رؤساء بني يدللتن من بطون توجين من هذه الطبقة الثانية وأوليتهم ومصايرهم)

كان بنو يدللتن هؤلاء من شعوب بني توجين وأشدهم شوكة وأوفرهم عددا وكان لهم ظهور من بين سائر تلك البطون وكان بنو عبد القوي ملوك بني توجين يعرفون لهم ذلك ويوجبون لهم حقه ولما دخل الى التلول بعد انقراض بني يلومي وبني وماتوا بنو قاضي وبنو مادون بأرض منداس فأوطنوها وجاء بنو يدللتن على اثرهم فأوطنوا الجعبات وتاوغزوت ورياستهم يومئذ لنصر بن سلطان بن عيسى ثم هلك فقام بأمرهم ابنه مناد بن نصر ثم أخوه علي بن نصر ثم ابنه ابراهيم بن علي من بعده ثم هلك وقام بأمرهم أخوه سلامة بن علي على حين استفحل ملك عبد القوي وبنيه فاستفحل أمره هو في قومه واختط القلعة بتاوغزوت المنسوبة اليه والى بنيه وكانت من قبل رباطا لبعض المنقطعين من عرب سويد ويزعم بنو سلامة هؤلاء أنهم دخلاء في نسب توجين وأنهم من العرب من بني سليم بن منصور وجاء جدهم عيسى أو سلطان نازعا عن قومه لدم أصابه فيهم فخالطه شيخ بني يدللتن من بني توجين بنسبه وكفل بنيه من بعده ولما هلك سلامة بن علي قام بأمرهم من بعده ابنه يغمراسن بن سلامة على حين استغلظ بنو عبد الواد على بني توجين من بعد مهلك محمد بن عبد القوي سلطانهم الاكبر فكان عثمان بن يغمراسن يتردد الى بلادهم بالغزو ويطيل فيها العيث ونازل في بعض غزواته قلعتهم هذه وبها يغمراسن فامتنع عليه وخالفه يوسف بن يعقوب وبنو مرين الى تلمسان فأجفل على القلعة وسابق بني مرين الى دار ملكه واتبعه يغمراسن بن سلامة مغيرا في أعقابه فكر عليه بالمكان المعروف بتليوان ودارت بينهم هنالك حروب هلك فيها يغمراسن بن سلامة وقام بالامر من بعده أخوه محمد بن سلامة فأذعن لطاعته عثمان بن يغمراسن وخالف بنو عبد القوي وجعل الاتاوة على قومه ووطنه للوك بني عبد الواد فلم تزل عليهم للوك تلمسان ولحق أخوه سعد بالمغرب وجاء في جملة السلطان يوسف بن يعقوب في غزوته التي حاصر فيها تلمسان حصاره الطويل فرعى لسعد بن سلامة هجرته اليه وولاه على بني يدللتن والقلعة وفر أخوه محمد بن سلامة فلحق بجبل راشد وأقام هنالك الى أن هلك يوسف بن يعقوب ورجع أمر المغرب الاوسط لبني عبد الواد فوضعوا الاتاوة على بني توجين وأصاروهم الى الجباية ولم يزل سعد على ولايته الى أن هلك أبو حمو وولي أبو تاشفين فسخط سعدا وبعث عن أخيه محمد من جبل راشد فولاه مكانه ولحق سعد بالمغرب وجاء في جملة السلطان أبي الحسن ودخل أخوه محمد مع أبي تاشفين فانحصر بتلمسان وولي سعد بن سلامة مكانه ثم هلك محمد في بعض أيام الحصار وحروبه ولما انقرض أمر بني عبد

الوادرغب سعد من السلطان تخلية سبيله لقضاء فرضه للحج وهلك مرجعه من الحج في طريقه وعهد الى السلطان أبي الحسن واسترعاه بنيه على لسان وليه عريف بن يحيى كبير بني سويد فولى السلطان أبو الحسن ابنه سليمان بن سعد على بني يدللتن والقلعة وانتقض أمر السلطان أبي الحسن وعاد الامر الى أبي سعيد وأبي ثابت ابني عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن فكانت بينه وبينهم ولاية وانحراف وكان أولياؤهم من العرب بني سويد من زغبة لما كانوا جيرانهم في مواطنهم من ناحية القبلة فطمع ونزمار بن عريف شيخهم في التغلب على وطن بني يدللتن ومانعه دونه سليمان هذا وبالغ في دفاعه الى أن ملك السلطان أبو عنان بلاد المغرب الاوسط ودعى لونزمار وابنه عريف حتى اصطنعهم اليه وهجر تهم الى قومه فأقطع ونزمار بن عريف القلعة وما اليها وجباية بني يدللتن أجمع وألحق سليمان بن سعد بن سلامة في جنده ووجوه عسكره الى أن هلك السلطان وعاد الامر لبني عبد الواد على يد أبي حمو الاخير فولى سليمان على القلعة وعلى قومه واستغلظ أمر العرب عليه فاسترابت سليمان هذا وندر بالشر منه فلحق باولاد عريف ثم راجع الطاعة فتقبض عليه واغتاله وذهب دمه هدرا ثم غلبه العرب على عامة المغرب الاوسط وأقطع القلعة وبني يدللتن لاولاد عريف استقلالا لهم ثم أقطعهم بني مادون ثم منداس فأصبحت بطون بني توجين كلها خولا لسويد وعبد الجبابتهم الاجبل وانشريس فانه لم يزل لبني تيغرين والوالي عليهم يوسف بن عمر منهم كما قلناه ونظم أبو حمو أولاد سلامة في جنده وأثبتهم في ديوانه وأقطعهم القصبات من نواحي تلمسان في عطائهم وهم على ذلك لهذا العهد ولله الخلق والامر لارب سواه ولا معبود الا اياه له الحكم واليه ترجعون وهو نعم المولى ونعم النصير وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

سلطان بن سعد بن سلامة بن علي بن نصر بن سلطان بن عيسى

يغمراسن — [illegible]

يغمراسن — [illegible]

[illegible]

[illegible]

{ الخبر عن بني يرناتن احدى بطون توجين من هذه الطبقة الثانية }
{ وما كان لهم من التقلب والامارة وذكر أوليتهم ومصايره }

كان بنو يرناتن هؤلاء أوفر قبائل بنى توجين وأعزهم جانبا وأكبرهم صيتا ولما دخل بنو توجين الى تلول المغرب الاوسط أقاموا بمواطنهم الاولى ما بين ماحون وزمنة ثم يعود من القبلة يحولون جانبي نهر واصل من أعلى وادى شلف وكانت رياستهم فى نصر بن على بن تميم بن يوسف بن بونوال وكان شيخهم مهيب بن نصر منهم وكان عبد القوى بن العباس وابنه محمد أمراء بنى توجين يختصونهم بالاثرة والتجلة لمكانهم من قومهم وما يؤنسون من عظيم غنائهم وكان محمد بن عبد القوى فى سلطانه يؤثر عليهم من أولاد عزيز وكان واليهم لعهده وعيد بنه عمو بن حسن بن عزيز وقد كان أصهر مهيب بن نصر الى عبد القوى فى ابنته فأنكحه اياها وولدت له نصر بن مهيب فشرفت خؤلته لمحمد بن عبد القوى وعلا كعبه فى امارته ثم ولى بعده ابنه على بن نصر وكان له من الولد نصر وعشر وآخرون يعرفون بأمهم واسمها تامرغينت وولى بعده ابنه نصر بن على فطال أمد امارته فى قومه واختلف بنو عبد القوى وغلب بنو عبد الواد على ما بأيديهم فصرفت سلولة زناتة وجه العناية اليه فبعد صيته وعرف بنوه من بعده بشهرته وكان ولودا فيقال انه خلف ثلاثة عشر من البنين ما منهم الا صاحب حرب أو مقنب ومن مشاهيرهم عمر الذى قتله السلطان أبو الحسن بمرات حين سعى به أنه داخل فى اغتياله ففروا دولة فقتل بمرات ومنهم مندبل الذى قتله بنو تيغرين أيام ولوا على بن الناصر وقتلوا معه عمو بن حسن بن عزيز ومنهم عثمان ومات قتيلا فى حصار تلمسان أيام أبى تاشفين ومنهم مسعود ومهيب وسعدود اود وموسى ويعقوب والعباس ويوسف فى آخرين معروفين عندهم هذا شأن أولاد نصر بن على بن نصر بن مهيب وأما ولد عشر أخيه فكان منهم أبو الفتوح بن عشر ثم من ولده عيسى بن أبى الفتوح فكان رئيسا على بنى أبيه وكانت احدى وصائفهم سقطت بدار عثمان بن يغمراسن وادعت الحمل من سيدها أبى الفتوح وجاءت بأخ لعيسى يسمى معروفا ربى بدارهم واستوزره أبو حمو وابنه من بعده وبلغ المبالغ فى دولتهم وكان يدعى معروفا الكبير ولحق به أيام رياسته فى دولة أبى حمو الاول أخوه عيسى بن أبى الفتوح مغاضبا لقومه فسعى له فى الولاية على بنى راشد وجبايه أوطانهم وأنزله ببلد سعيدة فكانت لهم بها امارة وكان له من الولد أبو بكر وعمو وطاهر وو ترمار وعند ما بلغ نومر بن على بنى عبد الواد ولاهم السلطان أبو الحسن على بنى يرناتن متداولين وأما ولد تامرغينت من بنى على بن نصر بن مهيب فلم يكن لهم ذكر فى رياسة قومهم الا أن بعض وصائفهم سقطت أيضا الى دار أبى

تاشفين فولدت غلاما يعرف بعطية بن موسى نشأ في دارهم ينسب الى بني تامرعشت هؤلاء وتداولته الحجابة في خدمتهم وولوه الاعمال النبيهة وهو لهذا العهد عامل أبي عمر الاخير على شلف وما اليها وقد غلب العرب لهذا العهد على وطن بني يرنيان وملكوا عليهم نهود وماحون وبقيت صبابتهم بجبل ورنيد وعليهم لهذا العهد سعد بن عمر بن ولد نصر بن علي بن نصر بن مهيب يعطون المغرم للسلطان ويصانعون العرب بالاتاوة وبيد الله تصاريف الامور سبحانه لا رب غيره

عثمان
مهيب
يعقوب
موسى
عيسى بن ابي الفتوح بن عشر

{الخبر عن بني مرين وأنسابهم وشعوبهم وما تأثلوا بالمغرب من السلطان والدولة}
{التي استعملت سائر زناتة واستطمت كراسي الملك بالعدوتين وأولية ذلك ومصايره}

قد ذكرنا أن بني مرين هؤلاء من شعوب بني واسين وذكرنا بني واسين في زناتة وذكرنا أنهم بنو مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتنيص بن المعز بن ابراهيم بن سجيك بن واسين وأنهم اخوة بني يلومي ومديونة وبنا

يشهد بذلك جوارهم واتصالهم قبل الملك ما بين صا ومليلة حسبما ذكرنا كيف اقتسموا الضاحية والتلول مع اخوانهم بني يادين بن محمد وكيف اتصلت فتنتهم معهم سائر أيامهم وكان الغالب أولا لبني يادين بن محمد لكثرة عددهم فانهم كما ذكرنا خمسة بطون بنو عبد الواد وتوجين ومصاب وبنو زردال واخوانهم بنو راشد بن محمد وكانوا أهل تلول المغرب الاوسط دونهم وبقي هذا الحي من بني مرين بمجالات القفر من فيكيك الى سجلماسة الى ملوية وربما يخطون في ظعنهم الى بلاد الزاب ويذكر نسابتهم أن الرياسة فيهم قبل تلك العصور وكانت لمحمد بن ورزير بن فكوس بن كرماط بن مرين وأنه كان لمحمد اخوة آخرون يعرفون بأمهم تابعت وكان بنو عمه ونكاس بن فكوس وكان لمحمد سبعة من الولد شقيقان وهما حمامة وعسكر وابناء علات أمهات أولادهم سنكاسن وسكميان وسكم وورتاغ وفررت ويسمى هؤلاء الخمسة في لسانهم تيربيعين ومعناه عندهم الجماعة ويزعمون أن محمد الهالك قام بأمره في قومه ابنه حمامة وكان الاكبر ثم من بعده أخوه عسكر وكان له من الولد ثلاثة لكوم وأبو بكر ويلقب المخضب وعلي ويلقب الاعذر ولما هلك قام برياسته فيهم ابنه المخضب فلم يزل أميرا عليهم الى أن كان أمر الموحدين وزحف عبد المؤمن الى تاشفين بن علي فحاصره بتلمسان وسرح أبا حفص في العساكر لحرب زناتة بالمغرب الاوسط وجمع له بنو يادين كلهم وبنو يلومي وبنو مرين ومغراوة فنفض الموحدون جموعهم واستلحموا أكثرهم ثم راجع بنو يلومي وبنو يادين طاعتهم وأخلص بنو عبد الواد في خدمتهم ونصيحتهم ولحق بنو مرين بالقفر فلما غلب عبد المؤمن بن علي على وهران واستولى على أموال لمتونة وذخيرتهم بعث بتلك الغنائم الى جبل تينمال حيث كانت داره ومن أين كان منبعث الدعوة وبلغ الخبر الى بني مرين بمكانهم بالزاب وشيخهم يومئذ المخضب بن عسكر فأجمع اعتراضها بقومه ولحق العير بوادي تلاغ فاستاقوها من أيدي الموحدين واستنفر عبد المؤمن لاستنقاذها أولياءه من زناتة وسرحهم مع الموحدين لذلك فأبلى بنو عبد الواد فيها بلاء حسنا وكان اللقاء في فحص حون وانكشف بنو مرين وقتل المخضب بن عسكر واكتسح بنو عبد الواد حللهم وذلك سنة أربعين وخمسمائة فلحق بنو مرين بعدها بصحرائهم ومجالات قفرهم وقام بأمرهم من بعد المخضب ابن عمه حمامة بن محمد الى أن هلك فقام بأمرهم ابنه محيو ولم يزل مطاعا فيهم الى أن استنفرهم المنصور لغزاة الارك فشهدوها وأبلوا فيها البلاء الحسن وأصابت محيو يومئذ جراحة هلك منها بصحراء الزاب سنة احدى وتسعين وخمسمائة وكان من رياسة عبد الحق ابنه من بعده وبقائها في عقبه ما نذكره ان شاء الله سبحانه وتعالى

منصور بن عبد الله بن

عثمان بن الاعذر بن عسكر

الدوب

يونادت

عبد الملك بن عمران بن ابي بكر بن حمامة بن محمد بن وردن بن فكوس بن ... بن ماطي بن ... بن ماخوخ بن ... بن

قائد بن يدر بن يحمت

عمر

سليمان

عبد الحق

المر

{الخبر عن امارة عبد الحق بن محيو المستقرة فى بنيه وامارة ابنه عثمان بعده ثم أخيه محمد بن عبد الحق بعدهما وما كان فيهما من الاحداث}

لما هلك محيو بن أبى بكر بن حمامة من جراحته كما قلناه وكان له من الولد عبد الحق ومباى ويحياتن وكان عبد الحق أكبرهم فقام بأمر بنى مرين وكان خير أمير عليهم قياما بمصالحهم وتعففا عما فى أيديهم وتقويما لهم على الجادة ونظرا فى العواقب واستمرت أيامهم ولما هلك الناصر رابع خلفاء الموحدين بالمغرب سنة عشر وستمائة مرجعه من غزاة العقاب وقام بأمر الموحدين بعده ابنه يوسف المستنصر نصبه الموحدون غلاما لم يبلغ الحلم وشغلته أحوال الصبا وجنونه عن القيام بالسياسة وتدبير الملك فأضاع الحزم وأغفل الامور وتواكل الموحدون بما أرخى لهم من طيل الدالة عليه ونفس عن مخنقهم من قبضة الاستبداد والقهر فضاعت الثغور وضعفت الحامية وتهاونوا بأمرهم وفشلت ريحهم وكان هذا الحى لذلك العهد بمجالات القفار من فيكيك الى صا وملوية كما قدمناه من شأنهم وكانوا يطرقون فى صعودهم الى التلول والارياف منذ أول دولة الموحدين وما قبلها جهات كرسيف الى وطاط ويأنسون بمن هنالك من بقايا زناتة الاولى مثل مكناسة بجبال تازى وبنى يزناسن ومغراوة الموطنين قصور طاط من أعالى ملوية يتقلبون بتلك الجهات عامة المربع والمصيف ويتحدرون الى مشاتيهم بما يمتارونه من الحبوب لاقواتهم فلما رأوا من اختلال بلاد المغرب ما رأوا انتهزوا فيها الفرصة وتخلصوا اليه من القفر ودخلوا من ثناياه وتفرقوا فى جهاته وأوجفوا بخيلهم وركابهم على ساكنيه واكتسحوا بالغارة والنهب سائر بسائطه ولجأت الرعايا الى معتصماتهم ومعاقلهم وكثر شاكيهم وأظلم الجو بينهم وبين السلطان والدولة فآذنوهم بالحرب وأجمعوا الغزوهم وقطع دابرهم وأغزى الخليفة المستنصر عظيم الموحدين أبا على بن وانودين بجميع العساكر والحشود من مراكش وسرحه الى السيد أبى ابراهيم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بمكانه من امارة فاس وأوعز اليه أن يخرج بهم لغزو بنى مرين وأمره أن يثخن ولا يستبقى واتصل الخبر ببنى مرين وهم فى جهات الريف وبلاد بطوية فتركوا أثقالهم بحصن تازوطا وصمدوا اليهم فالتقى الجمعان بوادى نكور فكان الظهور لبنى مرين والدبرة على الموحدين وامتلأت الايدى من اسلابهم وأمتعتهم ورجعوا الى فاس يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة لكثرة الخصب حينئذ واعتمار الفدن بالزرع وأصناف الباقلا حتى لقد سميت الواقعة يومئذ بعام المشعلة وصمد بنو مرين بعدها الى تازى فقاتلوا حاميتها أخرى ثم اختلفت بنو محمد رؤساؤهم وانتبذ عنهم من عشائرهم بنو

عسكر بن محمد لمنافسة وجدوها في أنفسهم من استقلال بني عمهم حمامة بن محمد بالرياسة
دونهم بعد أن كان أوحض عندهم منها في عسكر وابنه المخضب اعياض أخلف بارقه
فخالفوا عبد الحق أميرهم وقومه الى مظاهرة أولياء الموحدين وحامية المغرب من
قبائل رياح الموطنين بالهبط وازغار الحديث عهدهم بالتمرش والعز منذ انزال
المنصور اياهم بذلك المنظر من افريقية فتحيزوا اليهم وكاثروهم على قومهم وصمدوا
اجمعون الى قتال بني مرين سنة أربع عشرة ودارت بينهم حرب تولى الصبر مقامها وهلك
فيها أميرهم عبد الحق وكبير بنيه ادريس وقد أمر لهلكهما بنو مرين رجلا في تلك
الحومة حمامة بن يصلتن من بني عسكر وطيراً بن محيو بن السكمي فانكشف رياح آخرا
وقتل منهم ابطال وولي بنو مرين عليهم بعد مهلك عبد الحق ابنه عثمان تلو ادريس
وشهرته بينهم ادرغال ومعناه برطانتهم الاعور وكان لعبد الحق من الولد عشرة تسعة
ذكور وأختهم ورتطليم فادريس وعبد الحق ورحو لامرأة من بني علي اسمها سوط
النساء وعثمان ومحمد لامرأة من بني ونكاس تسمى السوار بنت تصالت وأبو بكر
لامرأة من بني تنالفت وهي تاغزونت بنت أبي بكر بن حفص وزيان لامرأة من بني
ورتاجن وأبو عياد لامرأة من بني ولالواحدي بطون عبد الواد اسمها أم الفرح
ويعقوب لام اليمن بنت علي من بطوية وكان أكبرهم ادريس الهالك مع أبيه عبد الحق
وقام بأمر بني مرين من بعد عبد الحق ابنه عثمان بايعه لوقته حمامة بن يصلتن وطير بن
محيو من اليهما من مشيخة قومهما واتبعه وانهزمة رياح وأثخنوا فيهم وثار عثمان
بأبيه وأخيه حتى شفى نفسه منهم ولاذوا بالسلم فسالموهم على اتاوة يؤدونها اليه ولقومه
كل سنة ثم استشرى من بعد ذلك داء بني مرين وأعضل خطبهم وكثر الثوار بالمغرب
وامتنع عامة الرعايا عن المغرب وفسدت السابلة واعتصم الامراء والعمال من
السلطان فمن دونه بالامصار والمدن وغلبوا أولئك على الضاحية وتقلص ظل الحكام
عن البدو جملة وانتقد بنو مرين الحامية دون الوطن والرباع فقدوا البلاد بدا وسار بهم
أميرهم أبو سعيد عثمان بن عبد الحق في نواحي المغرب يتقرى مسالكه ويشرع برفع
المغارم على أهله حتى دخل أكثرهم في أمره فبايعوه من الضواحي من الشاوية
والقبائل الآهلة هوارة وزكارة ثم تسول ومكناسة ثم بطوية وفشتالة ثم صدرانة وبهلولة
ومديونة ففرض عليهم الخراج وألزمهم المغارم وفرق فيهم العمال ثم فرض على أمصار
المغرب مثل فاس وتازي ومكناسة وقصر كتامة ضريبة معلومة يؤدونها على رأس
كل حول على أن يكف الغارة عنهم ويصلح سابلتهم ثم أغزى ضواعن زناتة سنة عشرين
وأثخن فيهم حتى أذعنوا وقبض ايديهم عما امتدت اليه من الفساد والنهب وعقب

بعدها على رياح أهل ازغار والهبط وآثار بابه فأثخن فيهم ولم يزل دأبه ذلك الى أن هلك باغتيال عليه سنة سبع وثلاثين وقام بأمر بنى مرين بعده أخوه عبد الحق فتقبل سنن أخيه فى تدويخ بلاد المغرب وأخذ الضريبة من أمصاره وجباية المغارم والوصائل من ضواعنه وبدوه وسائر رعاياه وبعث الرشيد أبا محمد بن واندين لحربهم وعقد له على مكناسة وأجحف بأهلها فى المغارم ثم نزل بنو مرين وغير من نواحيها فنادى فى عسكره وخرج اليهم فدارت بينهم حرب شديدة هلك فيها خلق من الجانبين وبارز محمد بن ادريس بن عبد الحق قائدا من الروم واختلفا ضربتين هلك العلج باحداهما واندرج محمد واندمل جرحه فصار أثرا فى وجهه لقب من أجله بأبى ضربة ثم شد بنو مرين على الموحدين فانكشفوا ورجع ابن واندين الى مكناسة مفلولا وبقى بنو عبد المؤمن أثناء ذلك فى مرض من الايام وتثاقل عن الحماية ثم أومضت دولتهم ايماضة الخمود وذلك أنه لما هلك الرشيد بن المأمون سنة أربعين وستمائة وولى أخوه على وتلقب بالسعيد وبايعته أهل المغرب انصرفت عزائمه الى غزو بنى مرين وقطع أطماعهم عما سمت اليه من تلك المواطن فأغرى عساكر الموحدين بقتالهم ومعهم قبائل العرب والمصامدة وجموع الروم فنهضوا سنة ثنتين وأربعين فى جيش كثيف يناهز عشرين ألفا فيما زعموا وزحف اليهم بنو مرين بوادى ماعاش وصبر الفريقان وهلك الامير محمد بن عبد الحق فى الجولة بيد زعيم من زعماء الروم وانكشفت بنو مرين واتبعهم الموحدون ودخلوا تحت الليل فلحقوا بجبال غياثة من نواحى تازى واعتصموا بها أياما ثم خرجوا الى بلاد الصحراء وولوا عليهم أبا يحيى بن عبد الحق فقام بأمرهم على مانذكره ان شاء الله تعالى

بياض بالاصل

(الخبر عن دولة الامير أبى يحيى بن عبد الحق مديل الامر لقومه بنى مرين وفاتح الامصار ومقيم الرسوم الملوكية من الآلة وغيرها لمن بعده من أمرائهم)

لما ولى أبو يحيى بن عبد الحق أمر بنى مرين سنة ثنتين وأربعين كان من أول ماذهب اليه ورآه من النظر لقومه ان قسم بلاد المغرب وقبائل جبايته بين بنى مرين وأنزل كلا منهم بناحية سوغها سائر الايام طعمة فاسترتكبوا الرجل أتباعهم واستلحقوا من غاشيتهم وتوفرت عساكرهم ثم نار المنافسة بين أحيائهم وخالف بنو عسكر جماعتهم وصاروا الى الموحدين فحرضوهم على أبى يحيى بن عبد الحق وبنى حمامة وأغروهم بهم وبعثوا الصريخ الى يغمراسن بن زيان فوصل فى قومه الى فاس فاجتمعوا جميعا الى قائد الموحدين وأعطوا الرهن على صدق اللقاء فى الامير أبى يحيى وأشياعه وصعدوا اليه حتى انتهوا الى ورغة ثم الى كرت وأعجزهم فانكفؤا راجعين

بياض بالاصل

الى فاس ونذر يغمراسن بقدوم الموحدين فخرج فى قومه مع أوليائه بنى عسكر
وعارضهم الامير أبو يحيى بوادى سبو فانطلق حربهم ورجع عنهم عسكر الموحدين
المصرخ فى معسكرهم من موت الخليفة السعيد ثم بعثوا اليه لملاطفتهم فى الفيئة الى
الطاعة ومذاهب الخدمة القائد عنبر الخصى مولى الخليفة فى حصة من الروم والناشبة
فتقبض عليهم بنو عسكر وتمسكوا بهم فى رهنهم وقتلوا كافة النصارى فأطلق أبناءهم
ولحق يغمراسن وقومه بتلمسان ثم رجع بنو عسكر الى ولاية أميرهم أبى يحيى واجتمع
بنو مرين لشأنهم وتملكوا الاعمال ثم مدوا عيونهم الى تلك الامصار فنزل أبو يحيى
بجملته جبل زرهون ودعا أهل مكناسة الى بيعة الامير أبى زكريا بن حفص صاحب
افريقية لما انه كان يومئذ على دعوته وفى ولايته وحاصرها وضيق عليها بمنع المرافق
وترديد الغارات ومقاتلات الحرب الى أن أذعنوا للطاعة فافتتحها صلحا بمداخلة أخيه
يعقوب بن عبد الحق لزعيمها أبى الحسن بن أبى العافية وبعثوا ببيعتهم الى الامير أبى
زكريا وكانت من انشاء أبى المطرف بن عميرة كان قاضيا بينهم يومئذ فأقطع السلطان
ليعقوب بثلث جبايتها ثم أحس الامير أبو يحيى بن عبد الحق من نفسه الاستبداد ومن
قبيله الاستيلاء فاتخذ الآلة وبلغ الخبر الى السعيد بتغلبه على مكناسة وصرفها لابن
أبى حفص فوجم لها وفاوض الملا من أهل دولته فى أمره وأراهم كيف اقتطع
الامر عنهم شيأ فشيأ فابن أبى حفص اقتطع افريقية ثم يغمراسن بن زيان وبنو عبد الواد
اقتطعوا تلمسان والمغرب الاوسط وأظهروا بها دعوة ابن أبى حفص وأطمعوه فى الحركة
الى مراكش بتظاهرتهم وابن هود اقتطع عدوة الاندلس وأقام فيها دعوة بنى العباس
وابن الاحمر بالجانب الآخر مقيم لدعوة ابن أبى حفص وهؤلاء بنو مرين تغلبوا على
ضواحى المغرب ثم سموا الى تملك أمصاره ثم افتتح أبو يحيى أميرهم مكناسة وأظهر فيها دعوة
ابن أبى حفص وجاهر بالاستبداد ويوشك ان رضينا بهذه الدنية وأغضينا عن هذه
الواقعة أن يختل الامر وتنقرض الدعوة فتذامروا وامتعضوا وتداعوا للنهوض اليهم
فجهز السعيد عساكر واحتشد عرب المغرب وقبائله واستنفر الموحدين والمصامدة
ونهض من مراكش سنة خمس وأربعين يريد مكناسة وبنى مرين أولا ثم تلمسان
ويغمراسن ثانيا ثم افريقية وابن أبى حفص آخرا واعترض العساكر والحشود بوادى
بهت ووصل الامير أبو يحيى بعسكره متواريا عنهم عينا لقومه حتى صدقهم كنه الخبر وعلم
أن لا طاقة لهم بهم فأفرج عن البلاد وتحاذر بنو مرين بذلك من أماكنهم فتلاحقوا
واجتمعوا اليه بتازوطا من بلاد الريف ونزل السعيد مكناسة ولاذ أهلها بالطاعة وسألوا
العفو عن الجريرة واستشفعوا بالمصاحف برزتها الاولاد على رؤسهم واستلموا مع النساء

فى معيد ضامرات منكسرات الطرف من الخشوع و وجوم الذنب والتوسل فعفا عنهم
وتقبل فيئتهم وارتحل الى تازى فى اتباع بنى مرين وأجمع بنو وطاس الفتك بأبى يحيى
بن عبد الحق غيرة ومنافسة ودس اليه بذلك مهيب من مشيختهم فترحل الى بنى يرناسن
ابن نزول بعين الصفاتم راجع نظره فى مسالمة الموحدين وانفيئة الى أمرهم
ومظاهرتهم على عدوهم يغمراسن وقومه من بنى عبد الواد ليكون فيه شفاء نفسه منهم
فأوفد مشيخة قومه عليه بتازى فأدوا طاعته وفيئته فتقبلها وصفح لهم عن الجرائر التى
أتوها وسألوه أن يستكفى بالامير أبى يحيى فى أمر تلمسان ويغمراسن على أن يمده بالعساكر
رامحة وناشبة فاتهمهم الموحدون وحذروا منهم غائلة العصبية فأمرهم السعيد
بالعسكر معه فأمده الامير أبو يحيى بخمسمائة من قبائل بنى مرين وعقد عليهم لابن عمه
أبى عياد بن أبى يحيى بن حمامة وخرجوا تحت رايات السلطان ونهض من تازى يريد
تلمسان وماوراءها وكان من خبره بهلكه على جبل تامزردكت بنى عبد الواد
كماذكرناه فى أخبارهم ولماهلك وانفضت عساكره متسابقين الى مراكش وجمهورهم
يجتمعون الى عبد الله ابن الخليفة السعيد ولى عهده وتحت رايات أبيه وطار الخبر بذلك
الى الامير أبى يحيى بن عبد الحق وهو بجهات بنى يرناسن وقد خلص اليه هنالك ابن عمه
أبو عياد وبعث بنى مرين من تيار تلك الصدمة فانتهز الفرصة وأرصد لعساكر
الموحدين وفلهم بكرسيف فأوقع بهم واستلأت أيدى بنى مرين من اسلابهم وانتزعوا
الآلة من أيديهم وأصار اليه كتيبة الروم والناشبة من الغزو واتخذ المركب
الملوكى وهلك الامير عبد الله بن السعيد فى جوانب تلك الملحمة و للموحدين
بعدها من الكرة فنهض الامير أبو يحيى وقومه الى بلاد المغرب مسابقين اليه
يغمراسن بن زيان بما كان ملوك الموحدين أوجبوهم السبيل الى ذلك باستجاشته على بنى
مرين أيام فتنتهم معهم فكانوا يبيحونه حرم المغرب ويوطونه عساكر قومه مابين تازى الى
فاس الى القصر مع عساكر الموحدين فكان ليغمراسن وقومه بذلك طمع فيه لولا ماكان لحقهم
بأس بنى مرين ويجدعهم من أنوفهم وكان أول مابدا به أبو يحيى بن عبد الحق أعمال
وطاط فافتتح حصونهم بعلويه ودوخ جبلهم ثم رجع الى فاس وقد أجمع أمره على انتزاعها
من ملكة بنى عبد المؤمن واقامة الدعوة لابن أبى حفص بها وبسائر نواحيها والعامل بها
يومئذ السيد أبو العباس بن وأناخ عليها بركابه وتلطف فى مداخلة أهلها
وضمن لهم جميل النظر وحميد السيرة وكف الاذى عنهم والحماية الكفيلة لهم بحسن
المغبة وصالح العائدة فأجابوه ووثقوا بعهده وعنانه واووا الى ظله وركنوا الى طاعتهم
واتصال الدعوة الحفصية بأمره ونبذوا طاعة بنى عبد المؤمن يأسا من صريخهم وحضر

هذا البياض كله بالاصل

أبو محمد الفشتالي وأشهد الله على الوفاء بما اشترط على نفسه من النظر لهم والذب عنهم وحسن الملكة والكفالة وتقبل مذاهب العدل فيهم فكان حضوره ملاك تلك العقدة والبركة التي يعرف أثرها لهم في تلك البيعة وكانت البيعة بالرابطة خارج باب الفتوح ودخل قصبة فاس لشهرين اثنين من مهلك السعيد فاتح ست وأربعين وخرج السيد أبو العباس من القصبة وأخرج معه سبعين فارسا أجازوه أم الربيع ورجعوا ثم نهض الى منازلة تازى وبها السيد أبو علي بن   فنازلها أربعة أشهر ثم نزلوا على حكمه فقتلهم ومن على آخرين منهم وسد ثغرها وثقف أطرافها وأقطع رباط تازى وحصون ملوية لأخيه يعقوب بن عبد الحق ورجع الى فاس فوفد عليه بها مشيخة أهل مكناسة وجددوا بيعتهم وعاودوا طاعتهم ولحق بهم على أثرهم أهل سلا ورباط الفتح فملك الامير أبو يحيى هذه البلاد الاربعة أمهات أمصار المغرب واستولى على نواحيها الى وادي أم الربيع وأقام فيها دعوة ابن أبي حفص وبعث بها اليه واستبد بنو مرين بملك المغرب الاقصى وبنو عبد الواد بملك المغرب الاوسط وبنو أبي حفص بافريقية وخمدت ذبال عبد المؤمن وركدت ريحهم وأذنت بالانقراض دولتهم وأشرف على الفناء أمرهم والى الله عاقبة الامور سبحانه ما أعظم شأنه لا اله غيره

لما ملك الامير أبو يحيى بن عبد الحق مدينة فاس سنة ست وأربعين واستولى على بلاد المغرب بعد مهلك السعيد وقام بأمر الموحدين بمراكش أبو حفص عمر المرتضى بن السيد ابراهيم بن اسحق الذي كان قائد عسكر الموحدين في حروبهم مع بني مرين عام المشعلة بن أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن كان السعيد تركه واليا بقصبة رباط الفتح من سلا فاستدعاه الموحدون وبايعوه وقام بأمرهم فلما تغلب الامير أبو يحيى على بلاد المغرب وملك مدينة فاس كما ذكرناه وخرج الى بلاد فازاز والمعدن لفتح بلاد زناتة وتدويخ نواحيها واستعمل على فاس مولاه السعود بن خرباش من جماعة الحشم أحلاف بني مرين وصنائعهم وكان الامير أبو يحيى استبقى من كان فيها من عسكر الموحدين من غير عيصهم في السبيل التي كانوا عليها من الخدمة وكان فيهم طائفة من الروم استخدمهم لنظر قائدهم   فكانوا من حصة السعود هنالك ووقعت بينهم وبين شيع الموحدين من أهل البلد مداخلة وتنكروا بالسعود عاملهم وقاموا الدعوة للمرتضى الخليفة بمراكش وتحلف المصار وكان المتولي لكبر تلك الثورة ابن حشار المشرف وأخوه ابن أبي طاهر وابنه اجتمعوا الى القاضي أبي عبد الرحمن المغيلي زعيم فئة الشورى بينهم يومئذ وتآمروا فيها وأغروا قائد الروم فقتل

المسعود وعدوا عليه بمقعد حكمه من القصبة وهاجوه ببعض المحاورات فغضب ووثب عليه الرومي فقتله وطار برأسه الهاتف بسكك المدينة في شوال سنة سبع وأربعين وانتهبت داره واستبيحت حرمه ونصبوا قائد الروم لضبط البلد وبعثوا بيعتهم الى المرتضى واتصل الخبر بالامير أبي يحيى وهو منازل بلاد فازازوا فأفرج عنها وأغذ السير الى فاس فأناخ بعساكره عليها وشمر لحصارها وقطع السابلة عنها وبعثوا الى المرتضى بالصريخ فلم يرجع اليهم قولا ولا ملك لهم ضرا ولا نفعا ولا وجد لمنازلهم وجها غير انه استجاش بالامير أبي يحيى يغمراسن بن زيان على أمره وأغراه بعدوه وأمله لكشف هذه النازلة عن انحياش الى طاعته وتعلقت أطماع يغمراسن بطروق بلاد المغرب فاحتشد لحركته ونهض من تلمسان للاخذ بحجزة الامير أبي يحيى عن فاس وأجاب صريخ الخليفة لذلك وبلغ الامير أبا يحيى خبر نهوضه اليه لتسعة أشهر من منازلة البلد فجمر الكتائب عليها وصمد اليه قبل فصوله عن تخوم بلاده والتقى الجمعان بايسلي من بسائط وجدة فتزاحف القوم وأبلوا وكانت ملحمة عظيمة هلك فيها عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بيد ابراهيم بن هشام من بني عبد الواد ثم انكشف بنو عبد الواد وهلك يغمراسن بن تاشفين من أكابر مشيختهم ونجا يغمراسن بن زيان الى تلمسان وانكفأ الامير أبو يحيى بعسكره للاخذ بمخنق فاس فسقط في أيدي أهلها ولم يجدوا وليجة من دون طاعته فسألوه الامان فبذله لهم على غرم ما تلف له من المال بداره يوم الثورة وقدره مائة ألف دينار فتحملوها وأمكنوه من قياد البلد فدخلها في جمادى من سنة ثمان وأربعين وطالبهم بالمال فعجزوا ونقضوا اشرطه فحق عليهم القول وتقبض على القاضي أبي عبد الرحمن وابن أبي طاطوا وابنه وابن حشار وأخيه المتولي كبر الفعلة فقتلهم ورفع على الشرفات رؤسهم وأخذ الباقين بغرم المال طوعا أو كرها فكان ذلك مما عبد رعية فاس وقادهم لاحكام بني مرين وضرب الرهب على قلوبهم لهذا العهد فخشعت منهم الاصوات وانقادت الهمم ولم يحدثوا بعدها أنفسهم بغمس يد في فتنة والله مالك الارض ومن عليها سبحانه

الخبر عن تغلب الامير أبي يحيى على مدينة سلا وارتجاعها من يده وهزيمة المرتضى بعدها

لما كمل للامير أبي يحيى فتح مدينة فاس واستوسق أمر بني مرين بها رجع الى ما كان فيه من منازلة بلاد فازاز فافتتحها ودوخ أوطان زناتة واقتضى مغارمهم وحسم علل الثائرين فيها ثم تخطى الى مدينة سلا ورباط الفتح سنة تسع وأربعين فملكها وتاخم الموحدين بثغرها واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق

وعقد له على ذلك الثغر وضم الاعمال اليه وبلغ الخبر بذلك الى المرتضى فأهمه الشأن وأحضر الملأ من الموحدين وفاوضهم واعتزم على حرب بنى مرين وسرح العساكر سنة خمسين فأحاطت بسلا فافتتحوها وعادت الى طاعة المرتضى وعقد عليها لابى عبد الله بن أبى يعلو امن مشيخة الموحدين وكان المرتضى قد عقد بنفسه سنة تسع وأربعين الى محاربة بنى مرين فى جموع للموحدين وعساكر الدولة وصمد بنو مرين للقائه والتقى الجمعان بايملوان ففضوا جموعه وكانت الدبرة عليه والظهور لهم ثم كان بعد فتح سلا وغلب الموحدين عليها وأجمع المرتضى بعدها على احتشاد أهل سلطانه ومعاودة الخروج بنفسه الى غزوهم لما تخشى من امتداد أمرهم وتقلص ملك الموحدين فعسكر خارج حضرته سنة ثلاث وخمسين وبعث الحاشد فى الجهات فاجتمع اليه أمم الموحدين والعرب والمصامدة وأغذ السير تلقاءهم حتى اذا انتهوا الى جبال بهلولة من نواحى فاس وصمد اليه الامير أبو يحيى فى عساكر بنى مرين ومن اجتمع اليهم من ذويهم والتقى الجمعان هنالك وصدقهم بنو مرين القتال فاختل مصاف السلطان وانهزمت عساكره وأسلمه قومه ورجع الى مراكش مفلولا واستولى القوم على معسكره واستباحوا سرادقه وفساطيطه وانتهبوا جميع ما وجدوا بها من المال والذخيرة واستاقوا سائر الكراع والظهر وامتلأت أيديهم من الغنائم واعتز أمرهم وانبسط سلطانهم وكان يومأله مابعده واغزى اثر هذه الحركة بنى مرين تادلا واستباح بنى جابر حاميتها من جشم ببلد ابى نفيس واستلحم ابطالهم ولاأن من حدهم وخضد من شوكتهم وفى أثناء هذه الحروب كان مقتل على بن عثمان بن عبد الحق وهو ابن أخى الامير أبى يحيى شعر منه بفساد الدخلة والاجماع للتوثب به فدس لابنه أبى حديد فتاح بقتله فقتله فى جهات مكناسة سنة احدى وخمسين والله تعالى أعلم

(الخبر عن فتح سجلماسة وبلاد القبلة وما كان فى ذلك من الاحداث)

لما يئس بنو عبد المؤمن من غلبهم بنى مرين على ما صار فى أيديهم من بلاد المغرب وعادوا الى مدافعتهم عن حماية الدولة التى تحملت اياها اشفاقهم لو أطاقوا المدافعة عنها وملك بنو مرين عامة بلاد التلول اعتزم الامير أبو يحيى بعدها على الحركة الى بلاد القبلة ففتح سجلماسة ودرعة وما اليها سنة ثلاث وخمسين وافتتحها بمداخلة من ابن القطرانى غدر بعامل الموحدين فتقبض عليه وأمكن منها الامير أبا يحيى فملكها وما اليها من درعة وسائر بلاد القبلة وعقد لابنه أبى حديد وبلغ الخبر الى المرتضى فسرح العساكر سنة أربع وخمسين لاستنقاذها وعقد عليهم لابن عطوش فقفل راجعا الى مراكش ثم نهض سنة خمس وخمسين الى محاربة يغمراسن وبنيه بأبى سليط فأوقع بهم

واعتزم على اتباعه فثناه عن رأيه في ذلك أخوه يعقوب بن عبد الحق لعهد تأكد بينه وبين يغمراسن فرجع ولما انتهى الى القرمدة هذه بلغه أن يغمراسن قصد سجلماسة ودرعة لمداخلة من بعض أهلها أطمعته في ملكها فأغذ اليهما السير بجموعه ودخلها ولصبيحة دخوله وصل يغمراسن لشأنه فلما علم بمكان أبي يحيى من البلد سقط في يده ويئس من غلابه ودارت بينهم حرب تكافؤا فيها وهلك سليمان بن عثمان بن عبد الحق ابن أخي الامير أبي يحيى وانقلب يغمراسن الى بلده وعقد الامير أبو يحيى على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن واستعمل على الجباية عبد السلام الاوربي وداود بن يوسف وانكفأ راجعا الى فاس والله تعالى أعلم

(الخبر عن مهلك أبي يحيى وما كان اثر ذلك من الاحداث التي تمخضت عن استبداد أخيه يعقوب بن عبد الحق بالامر)

لما رجع الامير أبو يحيى من حرب يغمراسن بسجلماسة أقام أياما بفاس ثم نهض الى سجلماسة متفقدا الثغورها فانقلب منها عليلا وهلك حتف أنفه على سرير ملكه في رجب سنة ست وخمسين أمضى ما كان عزما وأطول الى تناول الملك يدا اختطفته المنون عن شأنه ودفن بمقبرة باب الفتوح من فاس ضجيعا للولي أبي محمد الفشتالي كما عهد لاهل بيته وتصدى للقيام بأمره ابنه عمر واشتمل عليه عامة قومه ومالت المشيخة وأهل الحل والعقد الى عمه يعقوب بن عبد الحق وكان غائبا عن مهلك أخيه بتازى فلما بلغه الخبر أسرع اللحاق بفاس وتوجهت اليه وجوه الاكابر وأحس عمر بصاغية الناس اليه وحرضه أتباعه على الفتك بعمه فاعتصم بالقصبة وسعى الناس في اصلاح ذات بينهما فتفادى يعقوب عن الامر ودفعه لابن أخيه على أن تكون له بلاد تازى وبطوية وملوية ولما لحق بتازى واجتمع اليه كافة بني مرين عذلوه فيما كان منه فاستلام وحملوه على المعودة في الامر ووعدوه من أنفسهم المظاهرة والموازرة فأجاب وبايعوه وصمد الى فاس وبرز عمر للقائه فانتهى الى ولما تراءى الجمعان خذله جنوده وأسلموه فرجع الى فاس مغلولا ووجه الرغبة الى عمه أن يقطعه مكناسة وينزل له عن الامر فأجابه الى ذلك ودخل السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق مدينة فاس فملكها سنة سبع وخمسين وعنت طاعته في بلاد المغرب ما بين ملوية وأم الربيع وسجلماسة وقصر كتامة واقتصر عمر على امارة مكناسة فتولاها أياما ثم اغتاله من عشيره عمر وابراهيم ابنا عمه عثمان بن عبد الحق والعباس بن عمه محمد بن عبد الحق فقتلوه وثأروا منه بدم كانوا يعتدونه عليه وهلك لعام أو بعد عام من امارته فكفي يعقوب شأنه واستقام سلطانه وذهب التنازع والمشاق عن أمره وكان يغمراسن بعد مهلك قرنه

بياض بالاصل

الامير أبي يحيى ماله أمل في الاستيلاء على المغرب فجمع لذلك قومه واستجاش بني توجين ومغراوة وأطمعهم في غيل الاسد ونهض الى المغرب حتى أتى وادي كلدامان وصمد السلطان يعقوب بن عبد الحق الى لقائهم ففلهم ورجعوا الى ثغرتهم ومر يغمراسن ببلاد بطوية فأحرق واكتسح واستباح وأعظم فيها النكاية ورجع السلطان الى فاس وتقبل مذاهب أخيه الامير أبي يحيى في فتح أمصار المغرب وتدويخ أقطاره وكان مما أكرمه الله به أن فتح أمره باستنقاذ مدينة سلا من أيدي النصارى فكان له بها أثر جميل ونذكر خبره على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن عداة العدو مدينة سلا واستنقاذها من أيديهم)

كان يعقوب بن عبد الله قد استعمله عمه الامير أبو يحيى على مدينة سلا لما ملكها كما ذكرناه ولما استرجعها الموحدون من يده أقام يتقلب في جهاتها مترصدا لأهلها وساميها ولما بويع عمه يعقوب بن عبد الحق اسفته بعض الاحوال فذهب مغاضبا حتى نزل غمرة وألطف الحيلة في تملك رباط الفتح وسلا ليعتده ذريعة لما أسر في نفسه فتقبله الحيلة وركب عاملها ابن يعلو البحر فارا الى أزمور وخلف أمواله وحرمه فتملك يعقوب بن عبد الله البلد وجاهر بالخلاف وصرف الى منازعة عمه السلطان أبي يوسف وجوه العزم وداخل تجار الحرب في الامداد بالسلاح فتماروا في ذلك وكثر سفر المترددين بينهم حتى كثروا أهلها وأعملوا فيها غرة عيد الفطر من سنة ثمان وخمسين عند شغل الناس بعيدهم وثاروا بسلا وسبوا الحرم وانتهبوا الاموال وضبطوا البلد وامتنع يعقوب بن عبد الله برباط الفتح وطار الصريخ الى السلطان أبي يوسف وكان بتازى مستشرفا لأحوال يغمراسن فنادى في قومه وطار بأجنحة الخيول وصلها اليوم وليلة وتلاحقت به امداد المسلمين من أهل الديوان والمطوعة ونازلها أربع عشرة ليلة ثم اقتحمها عليهم عنوة وأثخن فيهم بالقتل ثم رم بالبناء ما كان متثلما بسورها الغربي حيث أمكنت منه الفرصة في البلد وتناول البناء فيه بيده والله لا يضيع عمل عامل وخشي يعقوب بن عبد الله بادرة السلطان فخرج من رباط الفتح وأسلمه فضبطه السلطان وثقفه ثم نهض الى بلاد تامسنا وأنفى فملكها وضبطها ولحق يعقوب بن عبد الله بحصن علودان من جبال غمارة فامتنع به وسرح السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلي بن زيان لمنازلته وسار الى لقاء يغمراسن لقاء المهادنة فلقيه بجيرمان واتفقا على السلم ووضع أوزار الحرب ورجع السلطان الى المغرب فخرج عليه أبناء أخيه أولاد ادريس ولحقوا بقصر كتامة وتابعوا يعقوب ابن عمهم عبد الله على رأيه واجتمعوا الى أكبرهم محمد بن ادريس فبين اليوم بين العشير والصائح نهض

اليهم واقتحم واجبال غمارة ثم استنزلهم واسترضاهم وعقد لعامر بن ادريس سنة ستين على عسكر من ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من المطوعة من بنى مرين وأغزاهم الى العدوة لجهاد العدو وحملهم وفرض لهم وشفع بها عمله فى واقعة سلا وهو أول جيش أجاز من بنى مرين فكان لهم فى الجهاد والمرابطة مقامات محمودة وذكر خالد تقبل سلفهم فيما خلفهم من بعدهم حسبما نذكره وأقام يعقوب بن عبد الله خارجا بالنواحى متنقلا فى الجهات الى أن قتله طلحة بن على بساقية غبولة من ناحية سلا سنة ثمان وستين فكفى السلطان شأنه وكان المرتضى مذ توالت عليهم الوقائع واستمر الظهور لبنى مرين انجحر فى جدرانه وتوارى بالاسوار عن عدوه ولم يسم الى لقاء زحف ولا حدث نفسه بشهود حرب واستأسد بنو مرين على الدولة وشرهوا الى التهام وأسفوا الى منازلة مراكش دار الخلافة كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن منازلة السلطان أبى يوسف حضرة مراكش دار الخلافة وعنصر الدولة وما كان اثر ذلك من نزوع أبى دبوس اليه وكيف نصبه للامر وكان مهلك المرتضى على يده ثم انتقض عليه)

لما فرغ السلطان من شأن الخوارج عليه من عشيره اعتمع لمنازلة المرتضى والموحدين فى دارهم ورأى أنه أوهن لدولتهم وأقوى لأمره عليهم وبعث قومه واحتشد أهل عمالكه واستكمل تعبيته وسار حتى انتهى الى ايكليز واعتزم على ذلك سنة ستين وشارف دار الخلافة ثم نزل بقعرها وأخذ بمخنقها وعقد المرتضى لحربهم للسيد أبى العلاء ادريس المكنى بأبى دبوس ابن السيد أبى عبد الله ابن السيد أبى حفص بن عبد المؤمن فعبى كتائبه ورتب مصافه وبرز لدافعتهم ظاهر الحضرة فكانت بينهم حروب بعد العهد بمثلها استشهد فيها الامير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق وكانوا يسمونه برطانتهم المعجوب ففت مهلكه فى عضدهم وارتحلوا عنها الى أعمالهم واعترضهم عساكر الموحدين بوادى أم الربيع وعليهم يحيى بن عبد الله بن وانودين فاقتتلوا فى بطن الوادى وانهزمت عساكر الموحدين وكان فى مسيل الوادى كدى تحسر عنها غمر الماء تبدو كأنها أرجل فسميت الواقعة بها أم الرجلين ثم سعى سماسرة الفتن عند الخليفة المرتضى فى ابن عمه وقائد حربه السيد أبى دبوس بطلبه الامر لنفسه وشعر بالسعاية فخشى بادرة المرتضى ولحق بالسلطان أبى يوسف مدخله الى فاس من منازلته آخر سنة احدى وستين نازعا اليه فأقام عنده مليا ثم سأل منه الاعانة على أمره بعسكر يمده وآلة يتخذها للملك ومال يصرفه فى ضروراته على أن يشركه فى القسمة والفتح والسلطان فأمده بخمسة آلاف من بنى مرين وبالكفاية من المال والمستجاد من الآلة وأهاب له بالعرب والقبائل من أهل

(هامش: ...ظ بالاصل.)

مملكته ومن سواهم أن يكونوا يدا معه وسار في الكتائب حتى شارف الحضرة ودس الى أشياعه ومن بداخلها من الموحدين في أمره فثاروا بالمرتضى وأخذ ضيوعه ثم انطلق بازمور مستضيئا بصهره ابن عطوش ودخل أبو دبوس الحضرة في المحرم فاتح خمس وستين وتقبض ابن عطوش عامل أزمور على المرتضى واقتاده أسيرا الى أبي دبوس فبعث مولاه من اسحاقا فاحتز رأسه في طريقه واستقل بالخلافة وصابه آل عبد المؤمن ثم بعث اليه السلطان في الوفاء بالمشارطة فاستنكف وعتا ونقض العهد وأساء الجواب فنهض اليه في جموع بني مرين وعساكر المغرب فخام عن اللقاء واعتصم بمراكش ونازلها السلطان أياما تباعا ثم سار في الجهات والنواحي بحطم الزرع وينسف الآثار وعجز أبو دبوس عن دفاعه فاستجاش عليه يغمراسن بن زيان ليفت في عضده ويشغله عما وراءه ويأخذ بحجزته عن التهامه على ما نذكر لو أمهلته الايام وانفسح له الاجل

{ الخبر عن وقيعة تلاغ بين السلطان يعقوب بن عبد }
{ الحق ويغمراسن بن زيان باغراء أبي دبوس وتضريبه }

لما نازل السلطان أبو يوسف حضرة مراكش وقعد على ترابه للتوثب عليها بعث أبو دبوس وليجة من دون قصده الاستجاشة بيغمراسن وقومه عليه ليأخذوا بحجزته عنه ويشغلوه من ورائه فبعث اليه الصريخ في كشف بلواه ومدافعة عدوه وأكد العهد وأسنى الهدية فشمر يغمراسن لاستنقاذه وجذب عدوه من ورائه وشن الغارات على ثغور المغرب وأضرمها نارا فاهتاج عليه وعلى قومه من السلطان يعقوب لشاعاديا وأرجفت منه عزما ماضيا وأفرج يعقوب على مراكش بعزم النهوض الى تلمسان ونزل بفاس فتلوم بها اياما حتى أخذ أهبة الحرب وأكمل استعدادها ورحل فاتح ست وستين وستمائة على كرسيف ثم على تافرطا وتزاحف الفريقان بوادي تلاغ وعبى كل منهم كتائبه وزحف مصافه وبرز النساء سافرات الوجوه على سبيل التحريض لحسن وسعد بن ونزغين ولما فاء الفيء ومال النهار وكثرت حشود المغرب وجموع بني عبد الواد وذن اليوم انكشفوا ومنحوا العدو أكتافهم وهلك أبو حفص عمر كبير ولد يغمراسن وولي عهده في جماعة من عشيره ذكرناهم في أخباره وأخذ يغمراسن بأعقاب قومه فكان لهم ردأ الى أن خلصوا من المعترك ووصلوا الى بلادهم في جمادى من سنتهم وعاد السلطان أبو يوسف الى مكانه من حصار مراكش والله أعلم

{ الخبر عن السفارة والمهاداة التي وقعت بين السلطان يعقوب }
{ ابن عبد الحق وبين المستنصر الخليفة بتونس من آل أبي حفص }

كان الامير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص منذ دعا لنفسه بتونس سنة خمس

وعشرين طموحا الى ملك مراكش مقر الدعوة ومنبعث الدعوة وأصل الخلافة وكان
يؤمل لذلك زناتة ... من خضد شوكة آل عبد المؤمن وتقليم أظافرهم بأسهم وردهم
على أعقابهم أن يخاصروا اليه وتغلب على تلمسان سنة أربعين ودخل يغمراسن بن زيان
فى دعوته وصار فئة له وشيعة على عدوه كما ذكرناه فوصل به جناحه للمدافعة وناغاه بنو
مرين فى مراسلة ابن أبى حفص ومخاطبته والتخفيض عليه فيما يهمه من شأن عدوه
وحمل ما يشدون من بلاد المغرب على البيعة له والطاعة مثل فاس ومكناسة والقصر
وكان هو يلاطفهم بالتحف والهدايا ويريهم البر فى الكتاب والخطاب والمعاملة
والتكريم للوفد غير نبيل آل عبد المؤمن فكانوا يجنحون بذلك الى مراسلته وايفاد
قرابتهم عليه وولى ابنه المستنصر بعده سنة سبع وأربعين فتقبل مذاهب أبيه وأوفى
عليه بالايعاز اليهم بمنازلة مراكش وضمان الانفاق عليهم فيما كان يبعث لذلك أحمالا
من المال والسلاح وأعدادا وافرة من الخيل براكبها المحملان ولم يزل ذلك دأبه معهم
ولما فعل أبو دبوس فعلته فى نقض العهد واستجمع السلطان لمنازلته تقدم بين يدى عمله
مراسلة الخليفة المستنصر يخبره الخبر ويتلطف له فى استنزال المدد فأوفد عليه ابن أخيه
عامر بن ادريس بن عبد الحق وأصحبه عبد الله بن كندوز راعى بنى الواد كبير بنى كمى وقريع
يغمراسن الذى ثار يغمراسن من أبيه كندوز بأبيه زيان كما ذكرناه فى أخبارهم وكان
خلص اليه من حضرة المستنصر فلقاه مبرة وتكريما وأوفد معهم الكاتب أبا عبد الله
محمد الكنانى من صنائع دولة آل عبد المؤمن كان نزع الى أخيه الامير أبى يحيى لما رأى
من اختلال الدولة وأنزله مكناسة وآثره بالصحبة والخلة ليجمع له يعقوب بن عبد الحق فى
هذا الوفد من الاشراف من يحسن الرياسة ويعرب عما فى ضمائر الناس ويدله على
شرف مرسله فوفدوا على المستنصر سنة خمس وستين وأدوا رسالتهم وحركوا له جوار
المظاهرة على صاحب مراكش ... عنانه ففرح واهتز سرورا من أعواده وأفاهم
مبرة التكريم واحسان النزل ورد الامير عامر بن ادريس وعبد الله بن كندوز لوقتهما
وتمسك بالكنانى من بينهم لصاحبة وفده فطال مقامه عنده الى أن كان من فتح مراكش
ما نذكره ثم أوفد المستنصر على السلطان يعقوب بن عبد الحق آخر سنة سبع وثمانين
بعدها شيخ الجماعة من الموحدين لعهده أبا زكريا يحيى بن صالح الهنتاتى مع جماعة من
مشيخة الموحدين فى مرافقة محمد الكنانى وبعث معهم الى السلطان هدية سنية يلاطفه
بها ويتحفه التحف فيها من الجياد والسلاح وأصناف الثياب الغريبة العمل ما أبتقاه
ووفق رضاه وهمته على الاستكثار منه فحسن موقعها وتحدث وانقلب وفده أحسن
منقلب بعد أن تلطف محمد الكنانى فى ذكر الخليفة المستنصر على منبر مراكش فتم له

بياض بالأصل

بياض بالأصل

فيما كان نذكره بعد فى أخبار القرابة ثم أعمل السلطان نظره فى غزو تلمسان على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن حركة السلطان أبى يوسف الى تلمسان وواقعته على يغمراسن وقومه بايسلى)

لما غلب السلطان أبو يوسف على بنى عبد المؤمن وفتح مراكش واستولى على ملكهم سنة ثمان وستين وعاد الى فاس كما ذكرناه تحرك لما كان فى نفسه من ضغائن يغمراسن وبنى عبد الواد وما أسفوا به من تذبيل عزائمه ومجادلته عن قصده ورأى أن واقعة تلاغ لم تشف صدره ولا أطفأت نار موجدته فأجمع أمره على غزوهم واعتد بما صار اليه من الملك والسلطان على حشد أهل المغرب لحربهم وقطع دابرهم فعسكر بفاس وسرح لولى عهده أبا مالك الى مراكش فى خواصه ووزرائه حاشدين لنفسه دانيها وضواحيها وقبائل العرب والمصامدة وبنى ورا وغمرة وصنهاجة وبقايا عساكر الموحدين بالحضرة وحامية الانصار من جند الروم وناشبة الغز فاستكثر من أعدادهم واستوفى حشدهم واستقل السلطان بحركته وارتحل عن فاس سنة سبعين وستمائة وتلوم بملوية الى أن لحقته الحشود وتوافت اليه أمداد العرب من قبائل جشم أهل تامسنا الذين هم سفيان والخلط والعاصم وبنو جابر ومن معهم من الاثبج وقبائل ذوى حسان والشبانات من المعقل أهل السوس الاقصى وقبائل رياح أهل ازغار والهبط فاعترض هنالك عساكره وعبى مواكبه فيقال بلغت ثلاثين ألفا وارتحل يريد تلمسان ولما انتهى الى انكاد وافته رسل ابن الاحمر هنالك ووفد المسلمين بالاندلس حين جاءوا الى العدوة يستصرخون باخوانهم المسلمين ويسألونهم الاعانة فتحركت همته للجهاد ونصر المسلمين من عدوهم ونظر فى صرف الشواغل عن ذلك وجنح الى السلم مع يغمراسن وصوب الملأ فى ذلك رأيه لما كانوا عليه من ايثار الجهاد وانتدب جماعة من المشيخة الى السعى فى صلاح ذات بينهما وانكفاف غرب عدوتهما وساروا الى يغمراسن فوافوه بظاهر تلمسان وقد أخذ أهبته واستعد للقاء واحتشد زناتة أهل ممالكه بالشرق من بنى عبد الواد وبنى راشد ومغراوة وأحلافهم من العرب زغبة فلج فى ذلك واستكبر وصم عن اسماعهم وزحف فى جموعه والتقى الجمعان بوادى ايسلى من بسائط وجدة والسلطان أبو يوسف قد عبى كتائبه ورتب مصافه وجعل ولديه الاميرين أبا مالك وأبا يعقوب فى الجناحين وسار فى القلب فدارت بينهم حرب شديدة تجلت عن هلاك فارس بن يغمراسن وجماعة من بنى عبد الواد وكاثرهم حشود المغرب الاقصى وقبائله وعساكر الموحدين والبلاد المراكشية فولوا الادبار وهلك عامة عسكر الروم

لثباتهم بثبات السلطان فطحنتهم رحى الحرب وتقبض على قائدهم برنيس ونجا يغمراسن بن زيان فى فلّ من قومه فلحق بتلمسان وعمّر بفساطيطه فأضرموها نارا وانتهب معسكره واستبيح حرمه وأقام السلطان أبو يوسف على وجدة حتى خربوها وأصرع بالتراب أسوارها وألصق بالرغام جدرانها ثم نهض الى تلمسان فحاصرها أياما وأطلق الايدى فى ساحتها بالنهب والعيث وشن الغارات على البسائط فاكتسحها سبيا ونسفها نسفا وهلك فى طريقه الى تلمسان وزيره عيسى بن ماساى وكان من عليته ووزرائه وحماة ميدانه وله فى ذلك أخبار مذكورة وكان مهلكه فى شوال من هذه السنة ووصله عنواه من جهة بلاده محمد بن عبد القوى أمير بنى توجين ومستصرخه على بنى عبد الواد لما نال منه يغمراسن من طخ القهر وذل الغلب والحيف فى كافة قبيله مباهيا بآلته فأكرم السلطان أبو يوسف وفادته واستركب الناس للقائه وبرور مقدمه واتخاذ زينة السلاح لمباهاته وأقام محاصر التلمسان معه أياما حتى وقع اليأس وامتنع البلد واشتدت شوكة حاميته ثم أجمع السلطان أبو يوسف على الافراج عنها وأشار على الامير محمد بن عبد القوى وقومه بالقفول قبل قفوله وأن يغذوا السير الى بلادهم ومهلا لحقا بهم باتحافه وجنب لهم من المائة من المقربات بمراكبها وأراح عليهم ألف ناقة حلوب وعمهم بالخلع مع الصلات والخلع الفاخرة واستكثر لهم من السلاح والفازات والفساطيط وحملهم على الظهر وارتحلوا وتلوم السلطان أياما لمنجاتهم الى مقرهم من جبل وانشريس حذرا من غائلة يغمراسن من انتهاز الفرصة فيهم ثم دخل الى فاس ودخلها مفتتح احدى وسبعين وهلك ولده الامير أبو مالك ولى عهده لايام من مقدمه فأسف لمهلكه ثم تعزى بالصبر الجميل عن فقده ورجع الى حاله فى افتتاح بلاد المغرب وكان فى غزوته هذه ملك حصن تازوت وهو معقل مطغرة وشحنه بالاقوات لما رآه ثغرا مجاورا للعدو وأسلمه انظر هرون بن   شيخ مطغرة ثم ملك حصن مليلة بساحل الريف مرجعه من غزاته هذه وأقام هرون بحصن تازوت ودعا لنفسه ولم يزل يغمراسن يردد الغزو اليه حتى فر من الحصن واستمله سنة خمس وسبعين ولحق بالسلطان أبى يوسف كما ذكرناه فى أخباره عند ذكر قبيلة مطغرة وكان من شأنه ما ذكرناه

[بياض فى الاصل]

(الخبر عن افتتاح مدينة طنجة وطاعة أهل سبتة وفرض الاتاوة عليهم وما قارن ذلك من الاحداث)

كانت هاتان المدينتان سبتة وطنجة من أول دولة الموحدين من أعظم عمالاتهم وأكبر ممالكهم لما كانت ثغر العدوة ومرفأ الاساطيل ودار الانشاء الآلات البحرية وفرضة الجواز الى الجهاد فكانت ولايتها مختصة بالقرابة من السادة بنى عبد المؤمن وقد ذكرنا

أن الرشيد كان عقد على أعمالها لابي على بن الخلاص من أهل بلنسية وأنه بعد استقبال الامير أبي زكريا بافريقية وهلك الرشيد صرف الدولة اليه سنة أربعين وبعث اليه بالمال والبيعة مع ابنه أبي القاسم وولى على طنجة يوسف بن محمد بن عبدالله بن أحمد الهمدانى المعروف بابن الامير قائدا على الرجل الاندلسيين وضابطا للقصبة وعقد الامير أبو زكريا على سبتة لابي يحيى بن أبي زكريا ابن عمه أبي يحيى السيد بن الشيخ أبي حفص فنزل بها واستراب أبو على بن خلاص من العواقب عند مهلك ابنه الوافد على السلطان غريقا فى البحر فرحل بجملته الى تونس فى السفن وأراح ببجاية فكان فيها هلاكه سنة ست وأربعين ويقال هلك فى سفينته ودفن ببجاية ولما هلك الامير أبو زكريا سنة سبع بعدها انتقض أهل سبتة على ابنه المنتصر وطردوا ابن الشهيد وقتلوا العمال الذين كانوا معه وصرفوا الدعوة للمرتضى وتولى ذلك حجبون الرنداحى عداخله أبى القاسم العزفى كبير المشيخة بسبتة وأعظمهم جلالة نشأ فى حجر أبيه الفقيه الصالح أبى العباس أحمد مكنوفا بالجلالة مغذوا بالعلم والدين لما كان له فيها قدم الى أن هلك فاوجب أهل البلد لابنه ماعرفوه من حقه وحق أبيه من قبله وكانوا يفزعون اليه فى المهمات ويساورنه فى الشورى فأغرى الرنداحى بهذه الفعلة ففعلها وعقد المرتضى لابى القاسم العزفى على سبتة مستقلا من غير اشراف أحد من السادة ولا من الموحدين واكتفى بغنائه فى ذلك الثغر وعقد لحجبون الرنداحى على قيادة الاساطيل بالمغرب فورثها عنه بنوه الى أن زاحمهم العزفى بمناكب رياسته فتقرضوا عن سبتة فنهم من نزل بمالقة على ابن الاحمر ومنهم من نزل ببجاية على أبى حفص ولهم فى الدولتين آثار تشهد برياستهم واستقل الفقيه أبو القاسم العزفى برياسة سبتة وأورثها بنيه من بعده على ما نذكره بعد وكانت طنجة تالية سبتة فى سائر الاحوال وتبعا لها فاتبع ابن الامير صاحبها امارة الفقيه أبى القاسم ثم انتقض عليه لسنة واستبد وخطب لابن أبى حفص ثم للعباسى ثم لنفسه وسلك فيها مسلك العزفى فى سبتة ولبثوا كذلك ماشاء الله حتى اذا ملك بنو مرين المغرب وانتزوا فى شعابه ومدوا اليد فى عمالكه تنا ولوها ونزلوا ماثلة وحصونه فانتصرها هلك الامير أبو يحيى عبد الحق وابنه عمر من بعده وتميز بنوه فى ذويهم واتباعهم وحشمهم الى ناحية طنجة وأصيلا فأوطنوا ضاحيتها وأفسدوا سابلتها وضيقوا على ساكنها واكتسحوا ما حواليها وشارطهم ابن الامير على خراج معلوم على أن يكفوا الاذية ويحموا الحوزة ويصلحوا السابلة فاتصلت يده بيدهم وترددوا الى البلد لاقتضاء حاجاتهم ثم مكروا وأضمروا الغدر ودخلوا فى بعض أيامهم متأبطين السلاح وفتكوا بابن الامير غيلة فثارت بهم العامة لحينهم واستلموهم وافى مصرع واحد

سنة خمس وستين واجتمعوا الى ولده وبقيت فى ملكته خمسة أشهر ثم استولى عليها الغرفى فنهض اليها بعساكره من الرجل برا وبحرا واستولى عليها وفر ابن الامير ولحق بتونس ونزل على المستنصر واستقرت طنجة فى ايالة الغرفى فضبطها وقام بأمرها وولى عليها من قبله وأشرك الملأ من أشرافها فى الشورى ونازلها الامير أبو مالك سنة ست وستين فامتنعت عليه وأقامت على ذلك حتى اذا انتظم السلطان أبو يوسف بلاد المغرب فى ملكته واستولى على حضرة مراكش ومحا دولة بنى عبد المؤمن وفرغ من أمر عدوه يغمراسن وهم بتلك الناحية واستضافة عملها اليها أجمع الحركة اليها ونازل طنجة مفتتح سنة ثنتين وسبعين بما كانت فى البسيط من دون سبتة وأقام عليها أياما ثم اعتزم على الافراج عنها فقذف الله فى قلوبهم الرعب وافترق بينهم وتنادى فى بعض الناشئة من السور بشعاب بنى مرين فبادر سرعان أناس الى تسور حيطانها فملكوها عليهم وقاتلوا أهل البلد ظلام ليلتهم ثم دخلوا البلد من صبيحتها عنوة ونادى منادى السلطان فى الناس بالامان والعفو عن أهل البلد فسكن روعهم ومهد وفرغ من شأن طنجة ثم بعث ولده الامير أبا يعقوب فى عساكر ضخمة لمنازلة الغرفى فى سبتة وارغامه عن الطاعة فنازلها أياما ثم لاذ بالطاعة على المنعة واشترط على نفسه خراجا يؤديه كل سنة فتقبل السلطان منه وأفرجت عساكره عنهم وقفل الى حضرته وصرف نظره الى فتح سجلماسة وازعاج بنى عبد الواد المتغلبين عليها كما نذكره ان شاء الله تعالى

بياض بالاصل

الخبر عن فتح سجلماسة الثانى ودخولها عنوة على بنى عبد الواد والمنبات من عرب المعقل

قد ذكرنا ما كان من تغلب الامير أبى يحيى بن عبد الحق على سجلماسة وبلاد درعة وأنه عقد عليها وعلى سائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن وأنزل معه ابنه مفتاحا المكنى بأبى حديد فى مشيخته لحياطتها وأن المرتضى سرح وزيره ابن عطوش سنة أربع وخمسين فى العساكر لارتجاعها فنهض الامير أبو يحيى اليه وشرده عنها ورجعه على عقبه وأن يغمراسن بن زيان من بعد واقعة أبى سليط سنة خمس وخمسين قصدها لعورة دل عليها وغرة أمل اصابتها فسابقه اليها الامير أبو يحيى وما لقه من دونها ورجع عنها خائب المسعى مفلول الحامية وكان الامير أبو يحيى من بعد أن عقد عليها ليوسف ابن يزكاسن عقد عليها من بعده لسنة ونصف من ولايته ليحيى بن أبى منديل كبير بنى عسكر اقتالهم ومقاسميهم نسب محمد بن وطيص ثم عقد عليها الشهرين لمحمد بن عمران ابن عبلة من بنى يرسان صنائع دولتهم واستعمل معه على الجباية أبا طالب الحبشى وجعل مسلحة الجند بها النظر لأبى يحيى القطرانى وملكه قيادتهم وأقاموا على ذلك

سنة ثنتين ولما هلك الامير أبو يحيى وشغل السلطان أبو يوسف بحرب يغمراسن ومنازلة
مراكش سما القطراني الى أمل في الاستبداد بها وداخل في ذلك بعض أهل الفتن وظاهره
يوسف بن الغزي وفتكوا بعمار الورندغزاني شيخ الجماعة بالبلد وائتمروا بمحمد بن
عمران بن عبلة فخرج ولحق بالسلطان واستبد القطراني بها ثم ثار به أهل البلد سنة ثمان
وخمسين لسنة ونصف من لدن استبداده وقتلوه وصرفوا بيعتهم الى الخليفة المرتضى
بمراكش وولى كبر ذلك القاضي ابن حجاج وعلي بن عمر فعقد له المرتضى عليها
وأقام بها أميرا ونازلهم عساكر بني مرين والسلطان أبو يوسف سنة ستين ونصب عليها
آلات الحصار فأحرقوها وامتنعوا وأفرج عنهم وأقام علي بن عمر في سلطانه ذلك
ثلاث سنين ثم هلك وكان الامير يغمراسن بن زيان منذ غلب الموحدين على تلمسان
والمغرب الاوسط وصار في ملكته تحيز اليه من عرب المعقل قبيل المنبات من ذوي منصور
عما كانت مجالات المعقل مجاورة لمجالات بني يادين في القفر وانما ارتحلوا عنها من
بعد ما أجاز يغمراسن من بني عامر بمجالاتهم من مصاب بلاد بني يزيد فزاحموا المعقل
بالمناكب عن مجالاتهم ببلاد فيكيك وصاروا واحوالهم الى ملوية وما وراءها من بلاد
سجلماسة فملكوا تلك المجالات ونبذ يغمراسن العهد الى ذوي عبيد الله منهم واستخلص
المنبات هؤلاء فكانوا له حلفاء وشيعة ولقومه ودعوته خالصة وكانت سجلماسة
في مجالاتهم ومتقلب ظعنهم وناجعتهم ولهم فيها طاعة معروفة فلما هلك علي بن عمر آثروا
يغمراسن بملكها فحملوا أهل البلد على القيام بطاعته وخاطبوه وجاء في اجابة فغشيها
بعساكره وملكها وضبطها وعقد عليها لعبد الملك بن محمد بن علي بن قاسم بن درع من
ولد محمد بن زكراز بن تندوكس ويعرف بابن حنينة نسبة الى أم أبيه أخت يغمراسن
ومعه يغمراسن بن حمامة وأنزل معهما ولده الامير يحيى لاقامة الرسم الملوكي ثم أداله
بأخيه من السنة الاخرى وكذا كان شأنه في كل سنة ولما افتتح السلطان أبو يوسف بلاد
المغرب وانتظم أمصاره ومعاقله في طاعته وغلب بني عبد المؤمن على دار خلافتهم ومحا
رسمهم وافتتح طنجة وطوع سبتة صرف الى الجواز الى العدوة وثغر المغرب همه وأمله الى
بلاد القبلة فوجه عزمه الى افتتاح سجلماسة من أيدي بني عبد الواد المتغلبين عليها
وادالة دعوته فيها من دعوتهم فنهض اليها في العساكر والحشود في رجب من سنة ثنتين
وسبعين فنازلها وقد حشد اليها أهل المغرب أجمع من زناتة والعرب والبربر وكافة
الجنود والعساكر ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط
القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزنة أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد
الافعال الى قدرة باريها فأقام عليها حولا كريتا يغاديها القتال ويراوحها الى أن سقطت

ذات يوم على حين غفلة طائفة من سورها بالحاح الحجارة من المنجنيق عليه فبادروا الى اقتحام البلد فدخلوها عنوة من تلك الفرجة فى صفر من سنة ثلاث وسبعين فقتلوا المقاتلة والحامية وسبوا الذرية وقتل الثائر ان عبد الملك بن حنينة ويغمراسن بن حمامة ومن كان معهم من بنى عبد الواد وأمراء المنبات وكمل فتح بلاد المغرب للسلطان أبى يوسف وتمشت طاعته فى أقطاره فلم يبق فيه معقل يدين بغير دعوته ولا جماعة تصير الى غير نشته ولا امل ينصرف الى سواه ولما كملت له نعم الله فى استيساق ملكه وتمهيد أمره انصرف أمله الى الغزو وايثار طاعة الله بجهاد أعدائه واستنقاذ المستضعفين من وراء البحر من عباده على ما نذكره ان شاء الله تعالى ولما انكفأ راجعا من سجلماسة قصد مراكش من حيث جاء ثم وقف الى سلا فأراح بها أياما ونظر فى شؤنها وسد ثغورها وبلغه الخبر بوفادة أبى طالب صاحب سبتة الفقيه أبى القاسم العزفى على فاس فأغذ السير الى حضرته وأكرم وفادته وأحسن منقلبه الى أبيه مملوء الحقائب ببره رطب اللسان بشكره ثم شرع فى اجازة ولده كما نذكره الآن ان شاء الله تعالى

الخبر عن شأن الجهاد وظهور السلطان أبى يوسف على النصارى وقتل زعيمهم ذننة وما قارن ذلك

كانت عدوة الاندلس منذ أول الفتح ثغر المسلمين فيه جهادهم ورباطهم ومدارج شهادتهم وسبيل سعادتهم وكانت مواطنهم فيه على مثل الرضف وبين الظفر والناب من أسود الكفر لتوفر أممهم جوارها واحاطتهم بها من جميع جهاتها وحجز البحر بينهم وبين اخوانهم المسلمين منها الانقطاعهم عن قومهم وأهل دينهم وبعدهم عن الصريخ وشاور فى ذلك كبار التابعين وأشراف العرب فرأوه رأيا واعتزم عليه لولا ما عاقه من المنية وعلى ذلك فكان للاسلام فيه اعتزاز على من جاورهم من أهل الكفر بطول دولة العرب من قريش ومضر واليمن وكانت نهاية عزهم وسورة غلبهم أيام بنى أمية بها الطائرة الذكر الباسطة جناحها على العدوتين منذ ثلاثمئين من السنين أو ما يقاربها حتى انتثر سلكها بعد المائة الرابعة من الهجرة وافترقت الجماعة طوائف وفشلت ريح المسلمين وراء البحر بفناء دولة العرب واعتز البربر بالمغرب واستفحل شأنهم وجاءت دولة المرابطين فجمعت ما كان مفترقا بالمغرب من كلمة الاسلام وتمسكوا بالسنة وتشوفوا الى الجهاد واستدعاهم اخوانهم من وراء البحر للمدافعة عنهم فأجازوا اليهم وأبلوا فى جهاد العدو أحسن البلاء وأوقعوا بالطاغية بن أدفونش يوم الزلاقة وغيرها وفتحوا حصونا واسترجعوا أخرى واستنزلوا الثوار ملوك الطوائف وجمعوا الكلمة بالعدوتين وجاء على اثرهم الموحدون سالكين أحسن مذاهبهم فكان لهم فى الجهاد آثار وعلى

الطاغية أيام منها يوم الارك ليعقوب بن المنصور وغيره من الايام حتى اذا فشلت ريح الموحدين وافترقت كلمتهم وتنازع الامر سادة بنى عبد المؤمن الامراء بالاندلس وتحاربوا على الخلافة واستعانوا بالطاغية وأمكنوه من كثير من حصون المسلمين طعمة على الاستظهار نخشى أهل الاندلس على أنفسهم وثاروا بالموحدين وأخرجوهم وتولى ذلك ابن هود بمرسية وشرق الاندلس وعمّ بدعوته سائر أقطارها وأقام الدعوة فيها العباسيين وخاطبهم ببغداد كما ذكرناه فى أخبارهم واستوفينا كلا مما وضعناه فى مكانه ثم انحجز ابن هود على الغربية لبعدها عنه وفقدوا العصابة المساولة لها وانه لم تكن صنعته فى الملك مستحكمة وتكالب الطاغية على الاندلس من كل جهة وكثر اختلاف المسلمين منهم وشغل بنو عبد المؤمن بما دهمهم من المغرب من شأن بنى مرين من زناتة فتكافأ محمد بن يوسف بن الاحمر أمر الغربية وثار بحصنه أرجونة وكان شجاعا قرما يتابع الحروب فتلقف الكرة من يد ابن هود بعد إذ بذ الحبل وبقارعه على عمالات الاندلس واحدة بعد أخرى الى أن هلك ابن هود سنة خمس وثلاثين وتكالب العدو خلال ذلك على جزيرة الاندلس من كل جانب ووفر له ابن هود الجزية وبلغ بها أربعمائة ألف من الدنانير فى كل سنة ونزل له على ثلاثين من حصون المسلمين وخشى ابن الاحمر أن يستغلظ عليه بالطاغية فجمع حواليه وتمسك بعروته وتفرق جملته الى منازلة اشبيلية نكاية لأهلها ولما هلك الامير أبو زكريا جذ الدعوة الحفصية واستبد لنفسه وتسمى بأمير المسلمين ونازعه بالشرق أعقاب ابن هود وبنى مردنيش ودعاه الامر الى النزول للطاغية عن بلاد الفرنتيرة فنزل عليها بأسرها وكانت هذه المدة من سنة سبعين فترة ضاعت فيها ثغور المسلمين واستبيح حماهم والتهم العدو بلادهم وأموالهم نهبا فى الحروب ووضيعة ومداراة فى السلم واستولى طواغيت الكفر على أمصارها وقواعدها فملك ابن أذفونش قرطبة سنة ست وأربعين وتملك قطبرشلونة مدينة بلنسية سنة سبع وثلاثين الى ما بينهما من الحصون والمعاقل التى لا تعد ولا تحصى وانقرض أمر الثوار بالشرق وتفرد ابن الاحمر بغرب الاندلس وضاق نطاقه عن الممانعة دون البسائط الفيح من الفرنتيرة وما قاربها ورأى أن التمسك بها مع قلة العدد وضعف الشوكة مما يوهن أمره ويطمع فيه عدوه فعقد السلم مع الطاغية على النزول عنها أجمع ولجأ بالمسلمين الى سيف البحر معتصمين بأوعاره من عدوهم واختار لنزله مدينة غرناطة وابتنى بها لسكناه حصن الحمراء حسبما شرحنا ذلك كله فى مواضعه وفى أثناء هذا كله لم يزل صريخه ينادى بالمسلمين من وراء البحر والملأ من أهل الاندلس يفدون على أمير المسلمين أبى يوسف للاعانة ونصر الله واستنقاذ الحرم والولدان من أنياب العدو فلا يجد مفزعا الى

ذلك بما كان فيه من مجاذبة الحبل مع الموحدين ثم مع يغمراسن ثم شغله بفتح بلاد المغرب وتدويخ أقطاره الى أن هلك السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الاحمر المعروف بالشيخ وأبى دبوس اقبين كانا له على حين استكمال أمير المسلمين فتح المغرب وفراغه من شأن عدوه سنة احدى وسبعين على أن بنى مرين كانوا يؤثرون الجهاد ويسمون اليه وفى نفوسهم جنوح اليه وصاغية ولما استوحش بنو ادريس بن عبد الحق وخرجوا سنة احدى وستين على السلطان يعقوب بن عبد الحق واسترضاهم واستصلحهم انتدب الكثير منهم للغزو واجازة البحر لصريخ المسلمين بالاندلس واجتمع اليهم من مطوعة بنى مرين عسكر ضخم من الغزاة ثلاثة آلاف او يزيدون وعقد السلطان على ذلك العسكر لعامر بن ادريس فوصلوا الى الاندلس فكان لهم فيها ذكر ونكاية فى العدو وكان الشيخ ابن الاحمر عهد الى ولده القائم بالامر بعده محمد الشهير بالفقيه لانتحاله طلب العلم أيام أبيه وأوصاه أن يتمسك بعروة أمير المسلمين ويخطب نصيرة ويدرأ به ويقدمه عن نفسه وعن المسلمين تكالب الطاغية فبادر لذلك لحين مواراة أبيه وأوفد مشيخة الاندلس كافة عليه ولقيه وفدهم منصرفا من فتح سجلماسة خاتم الفتوح بالثغور المغربية وملاذ العزو ومقاد الملك وتبادروا للاسلام وألقوا اليه كنه الخبر عن كلب العدو على المسلمين وثقل وطأته فحيا وفدهم ورؤساءهم وبادر لاجابة داعى الله واستثمار الجنة وكان أمير المسلمين منذ أول أمره مؤثرا أعمال الجهاد كلفا به مختارا له حتى أعطى الخيار سائر آماله حتى لقد كان اعتزم على الغزو الى الاندلس أيام أخيه الامير أبى يحيى وطلب اذنه فى ذلك عند ما ملكوا مكناسة سنة ثلاث وأربعين فلم يأذن له ونصل الى الغزو فى حشمه وذويه ومن أطاعه من عشيرته وأوعز الامير أبو يحيى لصاحب الامر بسبتة لذلك العهد أبى على بن خلاص بأن يمنعه الاجازة ويقطع عنه أسبابها ولما انتهى الى قصر الجواز ثنى عزمه عن ذلك الولى يعقوب بن هرون الخبرى ووعده بالجهاد أميرا مستنفر اللمسلمين ظاهرا على العدو فكان فى نفسه من ذلك شغل واليه صاغية فلما قدم عليه هذا الوفد نبهوا عزائمه وذكروا همته فأعمل فى الاحتشاد وبعث فى النفير ونهض من فاس شهر شوال من سنة ثلاث وسبعين الى فرصة المجاز من طنجة وجهز خمسة آلاف من قومه أزاح عللهم واستوفى أعطياتهم وعقد عليهم لابنه منديل وأعطاه الراية واستدعى من الغد فى صاحب سبتة السفن لاجازتهم فوافاه بقصر الجواز عشرون من الاساطيل فأجازوا العسكر ونزل بطريف وأراح ثلاثا ودخل دار الحرب وتوغل فيها وأجلب على ثغورها وبسائطها وامتلأت أيديهم من المغانم وأثخنوا بالقتل والاسر وتخريب العمران ونسف الآثار حتى نزل بساحة شريس فخام حاميتها عن اللقاء

واتجزوا فى البلاد وقفلوا بها الى الجزيرة وقد امتلأت أيديهم من الاموال وحقائبهم من السبى وركائبهم من الكراع والسلاح ورأى أهل الاندلس قد ثاروا بهم ام العقاب حتى جاءت بعدها الطاعة الكبرى على أهل الكفر واتصل الخبر بأمير المسلمين فاعتزم على العبور بنفسه وتخشى على ثغور بلاده من عادية يغمراسن فى الفتنة فبعث حافده تاشفين بن عبد الواحد فى وفد من بنى مرين لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع للاتفاق والموادعة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكرم موصله وموصل قومه وبادر الى الاجابة والالفة وأوفد مشيخة بنى عبد الواد على السلطان لعقد السلم وبعث معهم الرسل وأسنى الهدية وجمع الله كلمة الاسلام وعظم موقع هذا السلم من أمير المسلمين لما كان فى نفسه من الصاغية الى الجهاد وايثاره مبرورات الاعمال وبث الصدقات بشكر الله على ما منحه من التفرغ لذلك ثم استنفر الكافة واحتشد القبائل والجموع ودعا المسلمين الى الجهاد وخاطب فى ذلك كافة أهل المغرب من زناتة والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل البرابرة وأهل المغرب من المرتزقة والمطوعة وأهاب بهم وشرع فى اجازة البحر فأجازه من فرضة طنجة لصفر من سنة أربع وسبعين واحتل بساحة طريف وكان لما استصرخه السلطان ابن الاحمر وأوفد عليه مشايخ الاندلس اشترط عليه النزول عن بعض الثغور بساحل الفرضة لاحتلال عساكره فتجافى له عن رندة وطريف ولما احتل بطنجة بادر اليه ابن هشام الثائر بالجزيرة الخضراء وأجاز البحر اليه ولقيه بظاهر طنجة فأدى له طاعته وأمكنه من قياد بلده وكان الرئيس أبو محمد بن اشقيلولة وأخوه أبو اسحق صهر السلطان ابن الاحمر عماله فى أمره ووزراؤه على شأنه كله وأبوهما أبو الحسن هو الذي تولى كبر الثورة على ابن هود ومداخلة أهل اشبيلية فى القتل بابن الباجى فلما استوثق قدمه فى ملكه وغاب الثوار على أمره فسد ما بينهما بعد أن كان ولى أبا محمد على مالقة وأبا اسحق على وادى آش فامتنع أبو محمد بن اشقيلولة بمالقة واستأثر بها ونفر يتهادونه ومع ذلك فكانوا على الطاغية فتنة ولحمة ولما أحس أبو محمد باجازة السلطان يعقوب بن عبد الحق قدم اليه الوفد من أهل مالقة ببيعتهم وصرعهم وانحاش الى جانب السلطان وولايته وأمحضه المخالصة والنصيحة فلما احتل السلطان بناحية طريف ملأت كتائبه ساحة الارض ما بينها وبين الجزيرة وتسابق السلطان ابن الاحمر وهو الفقيه أبو محمد بن الشيخ أبى دبوس صاحب غرناطة والرئيس أبو محمد بن اشقيلولة صاحب مالقة والغربية الى لقاء السلطان وتنازعوا فى برور مقدمه والاذعان له ثقا ووضعوا فى أمور الجهاد وأرجعهما لحينه الى بلديهما وانصرف ابن الاحمر مغاضبا لبعض النزعات

أخذ نفسه وأغذ السير الى الدرنيرة وعقد لولده الامير أبي يعقوب على خمسة آلاف من عسكره وسرّح كتائبه في البسائط وخلال المعاقل تنسف الزرع وتحطم الغروس وتخرب العمران وتنتهب الاموال وتكتسح السرح وتقتل المقاتلة وتسبي النساء والذرية حتى انتهى الى المدور وتاسة وأبدة واقتحم حصن بلمة عنوة وأتى على سائر الحصون في طريقه فطمس معالمها واكتسح أموالها وقفل والارض تموج سبيا الى أن عرس باستجة من تخوم دار الحرب وجاء النذير باتباع العدو آثارهم لاستنقاذ أسراهم وارتجاع أموالهم وان زعيم الروم وعظيمهم ذننه خرج في طلبهم بأمم بلاد النصرانية من المحتلم فما فوقه فقدم السلطان الغنائم بين يديه وسرّح ألفا من الفرسان أمامها وسار يقتفيها حتى اذا اطلت رايات العدو من ورائهم كان الزحف ورتب المصاف وجرد وذكر ورابطت زناتة بصائرها وعزائمها وتحركت هممها وأبلت في طاعة ربها والذب عن دينها وجاءت بما يعرف من بأسها وبلائها في مقاماتها ومواقفها ولم يكن الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وظهر أمر الله وانكشفت جموع النصرانية وقتل الزعيم ذننه والكثير من جموع الكفر ومنح الله المسلمين أكتافهم واستمر القتل فيهم وأحصي القتلى في المعركة فكانوا ستة آلاف واستشهد من المسلمين ما يناهز الثلاثين أكرمهم الله بالشهادة وآثرهم بما عنده ونصر الله حزبه وأعز أولياءه ونصر دينه وبدا للعدو ما لم يحتسبه بمحاماة هذه العصابة عن الملة وقيامها بنصر الكلمة وبعث أمير المسلمين برأس الزعيم ذننه الى ابن الاحمر فرده زعموا سرا الى قومه بعد أن طيبه وأكرمه ولاية أخلصها لهم مداراة وانحرافا عن أمير المسلمين ظهرت شواهده عليه بعد حين كما نذكره وقفل أمير المسلمين من غزاته الى الجزيرة منتصف ربيع من سنته فقسم في المجاهدين الغنائم وما نفلوه من أموال عدوهم وسباياهم وأسراهم وكراعهم بعد الاستئثار بالخمس لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرفه في مصارفه ويقال كان مبلغ الغنائم في هذه الغزاة مائة ألف من البقر وأربعة وعشرين ألفا ومن الاسارى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثين ومن الكراع أربعة عشر ألفا وستمائة وأما الغنم فاتسعت عن الحصر كثرة حتى لقد زعموا بيع الشاة في الجزيرة بدرهم واحد وكذلك السلاح وأقام أمير المسلمين بالجزيرة أياما ثم خرج [illegible] غازيا الى أشبيلية فجاس خلالها وتقرى نواحيها وأقطارها وأثخن بالقتل والنهب في جهاتها وعمرانها وارتحل الى شريش فأذاقها وبال العيث والاكتساح ورجع الى الجزيرة لشهرين من غزاته وتطرف اختطاط مدينة بفرضة المجاز من العدوة لنزل عسكره منتبذا عن الرعية لما يلحقهم من ضرر العسكر وجفائهم وتخير لها مكانا لصق الجزيرة فأوعز ببناء المدينة المشهورة بالبنية وجعل ذلك لنظر من يثق به من

ذويه ثم أجاز البحر الى المغرب فى رجب من سنة أربع وسبعين فكان مغيبه وراء البحر ستة أشهر واحتل بقصر مصمودة وأمر ببناء السور على بادس مرفأ الجواز ببلاد عمارة وتولى ذلك ابراهيم بن عيسى كبير بنى وسناف بن محيو ثم رحل الى فاس فدخلها فى شعبان وصرف النظر الى أحوال دولته واختطاط البلد الجديد لنزله ونزل حاشيته واستتزال الثوار عليه بالمغرب على ما نذكره ان شاء الله تعالى

•(الخبر عن اختطاط البلد الجديد بفاس وما كان على بقية ذلك من الاحداث)•

لما قفل السلطان أمير المسلمين من غزاته الجهادية وتم صنع الله لديه فى ظهور الاسلام على يديه واعتزاز أهل الاندلس بفيئته راح بالقرب الى نعمة أخرى من ظهور أوليائه وحسم أدواء الفساد فى دولته شفقت مواهب السعادة وأبحاث عوائد الصنع وذلك ان صحابة بنى عبد المؤمن وفلهم لما فروا من مراكش عند الفتح لحقوا بجبل تينمال جرثومة أمرهم ومنبعث دعوتهم وملاحد خلفائهم وحضرة سلفهم ودار امامهم ومسجد مهديهم كانوا يعكفون عليه من بين اطباره ملتمسين بركة زيارته ويقدمون ذلك أمام غزواتهم قربة بين يدى أعمالهم يعتدونها من صالح مساعيهم فلما خلص الفل اليه اعتصموا بمعقله وآووا الى ركونه ونصبوا للقيام بأمرهم عيصا من أعياص خلفاء بنى عبد المؤمن ضعيف المنة عاثر الصفقة من مواهب الحظ وهو اسحق أخو المرتضى وبايعوه سنة تسع وستين يرجون منه رجع الكرة وادالة الدولة وكان المتولى لكبر ذلك وزير دولتهم ابن عطوش ولما عقد السلطان يعقوب بن عبد الحق لمحمد بن على بن محلى على أعمال مراكش لم يقدم عملا على محاربتهم وتخذيل الناس عنهم واستمالة أشياعهم وجمعوا لهم سنة أربع وسبعين على غرة طنوها اذا أوقع بهم وقتل من غزيهم ثم صعد الى الجبل لشهر ربيع من سنته فافتض عذرته وفض ختامه واقتحمه عليهم عنوة بعد مطاولة النزال والحرب وهلك الوزير ابن عطوش فى جوانب الملحمة وتقبض على خليفتهم المستضعف وابن عمه أبى سعيد بن السيد أبى الربيع ومن معهما من الاولياء وجنبوا الى مصارعهم بباب الشريعة بمراكش فضربت أعناقهم وصلبت اشلاؤهم وكان فيمن قتل منهم كاتبه القبائلى وأولاده وعاثت العساكر فى جبل تينمال واكتسحت أمواله و ... قبور خلفاء بنى عبد المؤمن واستخرج ... يوسف وابنه يعقوب المنصور فقطعت رؤسهم وتولى كبر ذلك أبو على الملياني النازع الى السلطان أبى يوسف من مليانة عش غوايته ومواطن انتزائه كما قدمناه وكان السلطان قطعه بلاد اغمات اكراما لوفادته فحضر هذه الغزاة فى جملة العساكر ورأى أن قد شفى نفسه باخراج هؤلاء الخلائق من أرماسهم والعيث باشلائهم لما نقم منه الموحدون

بياض بالاصل

وأزعجه عن قراره فتكرها السلطان لجلاله وتجاوز بها الأماني تأنيس الغربته وجواره وعدها من هناته ولما وصل أمير المسلمين الى حضرته من غزاة الجهاد ترادفت عليه أخبار هذه الملحمة وقطع دابر بنى عبد المؤمن فتظاهر السرور لديه وارتفعت الى الله كلمات الشكر طيبة منه ولما سكن غرب الثوار وتمهد أهل المغرب ورأى أمير المسلمين ان أمره قد استفحل وملكه قد استوسق واتسع نطاق دولته وعظمت غاشيته وكثر وافده رأى أن يختط بلدا يتميز بسكناه فى حاشيته وأهل خدمته وأوليائه حاملين سرير ملكه فأمر ببناء البلد الجديد لصق فاس بساحة الوادى المخترق وسطها من أعلاه وشرع فى تأسيسها الثالث لشوال من سنة أربع وسبعين وجمع الأيدى عليها وحشد الصناع والفعلة لبنائها وأحضر لها والمعدلين لحركة الكواكب فاعتاموا فى الطوالع النجومية ما يرضون أثره ورصدوا أوانه وكان فيهم امامان أبو الحسن بن القطان وأبو عبد الله بن الحباك المقدمان فى الصناعة فكمل تشييد هذه المدينة على ما رسم وكما رضى ونزلها بحاشيته وذويه سنة أربع وسبعين كما ذكرنا واختطوا بها الدور والمنازل وأجرى فيها المياه الى قصوره وكانت من أعظم آثار هذه الدولة وأبقاها على الأيام ثم أوعز بعد ذلك ببناء قصبة مدينة مكناسة فشرع فى بنائها من سنته وكان لحين اجازته البحر قافلا من غزاته لحق طلحة بن محلى بجبل أزروا نازعا الى قبائل من صنهاجة فأوعز السلطان اليه بعساكره وأناخ عليه واستنزله لشهر على ما سأل من الأمان والرتبة وحسم الداء من خروجه واستوزر صنيعته فتح الله الصدرانى وأجرى له رزق الوزارة على عوائدهم ثم بعث الى يغمراسن كفؤ هديته التى أتحفه بها بين يدى غزاته وكان شغله عنها أمر الجهاد فبعث له فسطاطا رائقا كان صنع له بمراكش وحكمات مموهة بالذهب والفضة وثلاثين من البغال الفارهة ذكرانا وأناثا بمراكبها الفارسية من السروج من الولايا وأحمالا من الأديم المعروف دباغه بالشركى الى غير ذلك مما يباهى به ملوك المغرب وينافسون فيه وفى سنة خمس وسبعين من بعدها أهدى له محمد بن عبد القوى أمير بنى توجين وصاحب جبل وانشريس أربعة من الجياد انتقاها من خيل المغرب كافة ورأى أنها على قلة عددها أحفل هدية وفى نفسه أثناء هذا كله من الجهاد شغل شاغل يتخطى اليه سائر أعماله حسبما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن اجازة أمير المسلمين ثانية وما كان فيها من الغزوات)

لما قفل أمير المسلمين من غزاته الأولى واستنزل الخوارج وثقف الثغور وهادى الملوك واختط المدينة لنزله كما ذكرنا ذلك كله ثم خرج فاتح سنة ست وسبعين الى جهة مراكش لسد ثغوره وتثقيف أطرافه وتوغل فى أرض السوس وبعث وزيره فتح الله

بامش له كمال الامل

في العساكر غاص خلاله ثم استكفأ راجعا وخاطب قبائل المغرب كافة بالنفير فتباطؤا
واستفز على تحريضهم ونهض الى رباط الفتح وتلوم بها في انتظار الغزاة فتثبطوا بعض
في خاصته وحاشيته واحتل بالفرضة من قصر المجاز وتلاحق به الناس فأجازوا البحر
واحتل بطريف آخر محرم ثم ارتحل الى الجزيرة ثم الى رندة ووافاه هنالك الرئيسان
أبو اسحق بن اشقيلولة صاحب قمارش وأبو محمد صاحب مالقة للغزو معه وارتحلوا الى
منازلة اشبيلية فعرسوا عليها يوم المولد النبوي وكان بها ملك الجلالقة ابن ادفونش فخام
عن اللقاء وبرز الى ساحة البلد محاميا عن أهله ورتب أمير المسلمين مصافه وجعل ولده
الامير أبا يعقوب في المقدمة وزحف في التعبية فأجحروا العدو في البلد واقتحموا
اثرهم الوادي وأثخنوا فيهم وباتت العساكر ليلتهم يجادلون في متون الخيل وقد أضرموا
النيران بساحتها وارتحل من الغد الى أرض الشرف وبث السرايا والغوازي في سائر
النواحي وأناخ بجمهور العسكر عليها فلم يزل يتقرى تلك الجهات حتى أباد عمرانها
وطمس معالمها ودخل حصن قطيانة وحصن جليانة وحصن القليعة عنوة وأثخن
في القتل والسبي ثم ارتحل بالغنائم والانفال الى الجزيرة لسرار شهره فأراح وقسم
الغنائم في المجاهدين ثم خرج غازيا الى شريش منتصف ربيع الآخر فنازلها وأذاقها
نكال الحرب وأقفر نواحيها بقطع أشجارها وإباد خضرائها وحرق ديارها ونسف
آثارها وأثخن فيها بالقتل والاسر وبعث ولده الامير أبا يعقوب في سرية من عسكره
للغوار على اشبيلية وحصون الوادي فبالغ في النكاية واكتسح حصن روطة وشلوقة
وغليانة والقناطير ثم صبح اشبيلية بغارة فاكتسحها وارتكما الى أمير المسلمين فقفلوا
جميعا الى الجزيرة وأراح وقسم في المجاهدين غنائمهم ثم ندب الى غزو قرطبة ورغبهم
في عمرانها وزروعها وشاكلها وخصب بلادها فانعقدوا الى اجابته وخاطب ابن الاحمر
يستنفره وخرج لاول جمادى من الجزيرة ووافاهم ابن الاحمر بناحية أرشدونة فاكرم
وصوله وشكر خفوفه الى الجهاد وبداره ونازلوا حصن بني بشير فدخله عنوة وقتلت
المقاتلة وسبيت النساء ونهبت الاموال وخرب الحصن ثم بث السرايا والغارات
في البسائط فاكتسحها وامتلأت الايدي وأثرى العسكر وتقروا المنازل والعمران
في طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة فنازلوها وانحجرت حامية العدو من وراء
الاسوار وانبثت بعوث المسلمين وسراياه في نواحيها فنسفوا آثارها وخربوا عمرانها
واكتسحوا قراها وضياعها وترددوا على جهاتها ودخل حصن بركونة عنوة ثم ارجونة
كذلك وقدم بعثا الى جيانة فأخذها حظها من الخسف والدمار وشام الطاغية عن اللقاء
وأيقن بخراب عمرانها واتلاف بلاده فجنح الى السلم وخطبه من أمير المسلمين فدفعه الى

ابن الاحمر وجعل الامر فى ذلك اليه تكرمة لمشهده ووفاء بحقه وأجابهم ابن الاحمر اليه بعد عرضه على أمير المسلمين والتماس اذنه فيه لما فيه من المصلحة وجنوح أهل الاندلس اليه منذ المدد الطويلة فانعقد السلم وقفل أمير المسلمين من غزاته وجعل طريقه على غرناطة احتفاء بالسلطان ابن الاحمر وخرج له عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ودخل أمير المسلمين الى الجزيرة فى أول رجب من عامئذ فأراح ونظر فى ترتيب المسالح على الثغور وتملك مالقة كما نذكره

(الخبر عن تملك السلطان مدينة مالقة من يد ابن اشقيلولة)

كان بنو اشقيلولة هؤلاء من رؤساء الاندلس المؤملين لمدافعة العدو وكانوا أنظراء لابن الاحمر فى الرياسة وهما أبو محمد عبد الله وأبو اسحق ابراهيم ابنا أبى الحسن بن اشقيلولة وكان أبو محمد منهم صهر اله على ابنته فكانوا له بذلك خاصة فأشركهم فى أمره واعتضد بعصابتهم وبابيهم من قبل على مقاومة بن هود وسائر الثوار حتى اذا استمكن من فرصته واستوى على كرسيه استبد دونهم وأنزلهم الى مقامات الوزراء وعقد لابى محمد صهره على ابنته على مدينة مالقة والغربية وعقد لابى الحسن صهره على أخته على وادى آش وما اليها وعقد لابنه أبى اسحق ابراهيم بن على على قمارش وما الى ذلك ووجدوا فى أنفسهم واستمر الحال على ذلك ولما هلك الشيخ ابن الاحمر سنة احدى وسبعين وولى ابنه الفقيه محمد سموا الى منازعته وأوفد أبو محمد صاحب مالقة ابنه أبا سعيد على السلطان يعقوب بن عبد الحق وهو بمنازل طنجة ووفد معه أبو محمد الى السلطان بطاعته وبيعته أهل مالقة سنة ثلاث وسبعين وعقد له عليها ونزع ابنه أبو سعيد فرج الى دار الحرب ثم رجع لسنته فقتل بمالقة ولما أجاز السلطان الى الاندلس اجازته الاولى سنة أربع وسبعين تلقاه أبو محمد بالجزيرة مع ابن الاحمر وفاوضهما السلطان فى أمر الجهاد وردهما الى أعمالهما ولما أجاز اجازته الثانية سنة ست وسبعين لقيه بالجزيرة الرئيسان ابنا اشقيلولة أبو محمد صاحب مالقة واخوه اسحق صاحب وادى آش وقمارش فشهدا معه الغزاة ولما قفل اعتل أبو محمد صاحب مالقة ثم هلك غرة جمادى من سنته فلحق ابنه محمد بالسلطان آخر شهر رمضان وهو متلوم بالجزيرة منصرفه من الغزو كما ذكرناه فنزل له عن البلد ودعاه الى احتيازها فعقد عليها لابنه أبى زيان منديل فسار اليها فى بعث وكان ابن اشقيلولة لحين فصوله الى لقاء السلطان أمر ابن عمه محمد الازرق بن أبى الحجاج يوسف بن الزرقاء باخلاء منازل السلطان بالقصبة واعداد ها فتم ذلك لثلاث ليال واضطرب الامير أبو زيان معسكره بخارجها وأنفذ محمد بن عمران بن عبلة فى رهط من رجال بنى مرين الى القصبة فنزلها وملك أمر البلد وكان السلطان بن الاحمر لما بلغه

وفاة أبي محمد بن اشقيلولة ممالئاً له على استيلائه على مالقة وان ابن أخته شيعة له وبعث بذلك وزيره أبا سلطان عزيز الداني فوافى معسكر الامير أبي زيان بساحتها ورجا أن يتجافى عنها السلطان فأعرض عن ذلك وتجهم له ودخل اليها الثلاث بقين من رمضان وانقلب الداني عنها بخفي حنين ولما قضى السلطان بالجزيرة صومه ونسكه خرج الى مالقة فوافاها سادس شوال وبرز اليه أهلها في يوم مشهود واحتفلوا له احتفال أيام الزينة سرورا بمقدم السلطان ودخولهم في ايالته وأقام فيهم الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيى بن محلي من صنائع دولتهم وأنزل معه المسالح وزيان بن أبي عياد بن عبد الحق في طائفة لنظره من ابطال بني مرين واستوصاه بمحمد بن اشقيلولة وارتحل الى الجزيرة ثم أجاز الى المغرب سنة سبع وسبعين وقد اهتزت الدنيا لقدومه وامتلأت القلوب سرورا بما صنعه الله من نصر المسلمين بالعدوة وعلو راية السلطان على كل راية وعظمت لذلك موجدة ابن الاحمر ونشأت الفتنة كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن تظاهر ابن الاحمر والطاغية على منع السلطان أبي يوسف من اجازة ابن الاحمر واصفاق يغمراسن بن زيان معهم من وراء البحر على الاخذ بحجزته عنهم ووقعة السلطان على يغمراسن بخرزوزة)

لما أجاز أمير المسلمين الى العدوة اجازته الاولى ولقي العدو واستباحه وقتل الله ذنته بأيدي عسكره وصنع له من الظهور والعز ما لا كفاء له ارتاب ابن الاحمر بمكانه فبدا له ما لم يكن يحتسب وظن بأمير المسلمين الظنون واعترض ذكر شأن يوسف بن تاشفين والمرابطين مع ابن عباد سلطان الاندلس وأكد ذلك عنده جنوح الرؤساء من بني اشقيلولة وغيرهم اليه وانقيادهم لامره فشرق بمكانه وحذر غوائله وتنكر الجو بينهما واجاز الاجازة الثانية فانقبض ابن الاحمر عن لقائه ودارت بينهما مخاطبات شعرية في معنى العتاب على السنة كتابهما نسردها الآن (فمن ذلك) قصيدة كتبها اليه ابن الاحمر سنة أربع وسبعين بعد واقعة ذنته واعتزامه على الرجوع الى المغرب يخاطبه بها ويسأله الاقامة بالجزيرة حذرا من غائلة العدو وينحو فيها منحى الاستعطاف وهي من نظم كاتبه أبي عمر بن المرابط

هل من معيني في الهوى أو منجدي * من متهم في الارض أو من منجد
هذا الهوى داع فهل من مسعف * باجابة وانابة أو مسعد
هذا سبيل الرشد قد وضحت فهل * بالعدوتين من امرئ مسترشد
يرجو النجاة بجنة الفردوس أو * يخشى المصير الى الجحيم الموقد
يا آمل النصر العزيز على العدا * أجب الهدى تسعد به وتؤيد

سر النجاة الى النجاة مشمرا * ان الهدى لهو النجاة لمن هدى

يامن يقول غدا أتوب ولا غد * ألديك علم أن تعيش الى غد

لاتغترر بنسيئة الاجل الذى * ان لم يكن لك نقده فكأن قد

سفر عليك طويلة أيامه * لم تستعد الطوله فاستعدد

أوما علمت بأنه لابد من * زاد لكل مسافر فتزود

هذا الجهاد رئيس أعمال التقا * خذ منه زادك لارتحالك تسعد

هذا الرباط بأرض اندلس فرح * منه لما يرضى الهك واعتمد

سودت وجهك بالمعاصى فالتمس * وجها لقيا الله غير مسود

وامح الخطايا بالذنوب فربما * محت الدموع خطيئة المتعمد

من ذا يتوب لربه من ذنبه * أو يقتدى بنبيه أو يهتدى

من ذا يطهر نفسه بعزيمة * مشهودة فى نصر دين محمد

أتعز من أرض العدو مدائن * والله فى أقطارها لم يعبد

وتذل أرض المسلمين وتبتلى * بمناشين سطوا بكل موحد

كم جامع فيها أعيد كنيسة * فاهلك عليه أسى ولا تتجلد

القس والناقوس فوق مناره * والخمر والخنزير وسط المسجد

أسفا عليها أقفرت صلواتها * من قانتين وراكعين وسجد

وتعوضت منهم بكل معاند * مستكبر قد كان لم يتشهد

كم من أسير عندهم وأسيرة * فكلاهما يبغى الفداء فما فدى

كم من عقيلة معشر معقولة * فيهم تود لو انها فى ملحد

كم من وليد بينهم قد ود من * ولداه ودا أنه لم يولد

كم من تقى فى السلاسل موثق * يبكى لآخر فى الكبول مقيد

وشهيد معترك توزعه الردى * ما بين حندى ذابل ومهند

ضجت ملائكة السماء لحالهم * ورثى لهم من قلبه كالجلمد

أفلا تذوب قلوبكم اخواننا * مما دهانا من ردى أومن ردى

أفلا تراعون الاذمة بيننا * من حرمة ومحبة وتودد

أكذا يعيث الروم فى اخوانكم * وسيوفكم للثأر لم تتقلد

ياحسرتى لحمية الاسلام قد * خمدت وكانت قبل ذات توقد

أين العزائم مالها لاتقتضى * هل يقطع الهندى غير مجرد

أبنى مرين أنتم جيراننا * وأحق من فى صرخة بهم ابتدى

فالجار كان به أوصى المصطفى * جبريل حقا في الصحيح المسند
أبني مرين والقبائل كلها * في المغرب الأدنى لنا والأبعد
كتب الجهاد عليكم فتبادروا * منه إلى الفرض الأحق الأوكد
وارضوا وإياكم بإحدى الحسنيين وأقرضوا * حسنا تفوزوا بالضمان الموعد
هذي الجنان تفتحت أبوابها * والحور قد عدت لكم بالمرصد
هل من بايع من ربه من مشتر * منه المعول على النعيم السرمد
لله في نصر الخليفة موعد * صدق فثوروا والانجاز الموعد
هذي الثغور بكم إليكم تشتكي * شكوى العديم إلى الغني الأوجد
ما بال شمل المسلمين مبدد * فيها وشمل الكفر غير مبدد
أنتم جيوش الله ملء فضائه * تأسون للدين الغريب المفرد
ماذا اعتذاركم غدا لنبيكم * وطريق هذا العذر غير ممهد
ان قال لم فرطتم في أمتي * وتركتموهم للعدو المعتدي
تالله لو أن العقوبة لم تخف * لكفى الحيا من وجه ذاك السيد
اخوانيا صلوا عليه وسلموا * وسلوا الشفاعة منه يوم المشهد
واسعوا لنصرة دينه يسقيكم * من حوضه في الحشر أعذب مورد

وصدر جوابها من نظم عبد العزيز شاعر السلطان يعقوب بن عبد الحق بما نصه لبيك لا تخش اعتداء المعتدى الخ وكذلك أجاب عنها أيضا مالك بن المرحل بقوله شهد الاله وأنت يا أرض اشهدي الخ وأجابهما أبو عمرو بن المرابط كاتب ابن الأحمر بقوله ذل للبغاة وللعداة الحسد الخ ولما أجاز السلطان يعقوب بن عبد الحق الاجازة الثانية سنة ست وسبعين كما نذكره صار ابن الأحمر إلى الاستعتاب والرضا ولقي يعقوب بن عبد الحق وأنشد كاتبه أبو عمرو بن المرابط يوم اجتماعهما ما قوله * بشرى لحزب الله والايمان الخ ولما انقضى المجلس أمر السلطان شاعره عبد العزيز بمساجلة قصيدته وأنشدها ثاني المجلس بحضرة ابن الأحمر ونصها * اليوم كن في غبطة وأمان * الخ ثم كان أثناء ذلك ما وقع من استيلاء السلطان يعقوب بن عبد الحق على مدينة مالقة والغربية بل على بعدها لك صاحبها أبي عبد الله بن اشقيلولة فرم لذلك وخيل عليه ففزع إلى مداخلة الطاغية في شأنه وأنه الذي بيده وان يعود إلى مكان أبيه من ولايته ليدافع به السلطان وقومه على أرضه ويأمن معه من زوال سلطانه لما كانت كلمة الاسلام بجراد ونه فاهتبل الطاغية غرتها ونكث عهد أمير المسلمين ونقض السلم ونبذ اليه العهد وأغزى أساطيله الجزيرة الخضراء حيث مسالح السلطان وعساكره وأرست بالزقاق حيث فراض الجواز

وانقطع السلطان من جنود السلطان وقومه وراء البحر وينشوا من صريخه وانتبذ عمر ابن يحيى بن محلي عن قومه بمكان امارته مالقة وكان بنو محلي هؤلاء من كبار قومهم بطوية وكانوا احلافا لبني حمامة بن محمد منذ دخولهم المغرب وأصهر عبد الحق أبو الاملاك الى أبيهم محلي في بنته أم اليمن فكان من ولدها السلطان يعقوب بن عبد الحق وكانت امرأة صالحة خرجت الى الحج سنة ثلاث وأربعين فقضت فريضة الله عليها وعادت الى المغرب رابعة من السنين سنة سبع وأربعين ثم خرجت ثانية سنة ثنتين وخمسين فتطوعت بحجة أخرى وهلكت بمصر منصرفها من تلك السنة سنة ثلاث وخمسين فكان لبني محلي أبيها مكان من الدولة والة على السلطان لخولتهم وغناؤهم في قومهم ولما استولى السلطان على حضرة الموحدين مراكش عقد لمحمد بن علي بن محلي على جميع أعمالها فكانت له بالاصطناع بها مقامات محمودة واتصلت ولايته عليها من لدن سنة ثمان وستين الى سنة سبع وثمانين ثم كان مهلكه أيام يوسف بن يعقوب كما نذكر ولما نزع محمد ابن اشقيلولة الى السلطان بالجزيرة سنة ست وسبعين متجافيا له عن ولاية مالقة بعد وفاة أبيه الرئيس أبي محمد واستولى السلطان عليها واعتزم على الاجازة كما قدمناه وعقد على مالقة والغربية وسائر ثغورها وأعمالها لعمر بن يحيى بن محلي وكان أخوه طلحة بن يحيى ذا بأس وصرامة وقوة شكيمة واعتزاز على السلطان بمكان الخولة وهو الذي قتل يعقوب بن عبد الحق سنة ثمان وستين كما قلناه وظاهر فتح الله السدراتي مولى السلطان ووزيره على قتال أبي العلاء بن أبي طلحة بن أبي قريش عامر المغرب بكدية العرائس بظاهر فاس سنة ثنتين وستين ونزع سنة أربع وسبعين الى جبل آزروا عند مرجع السلطان من أمر مالقة وأجاز البحر الى بلاد الريف ثم رجع الى القبلة وأقام بين بني توجين ثم أجاز الى الاندلس سنة سبع وسبعين عندما أضرم نار هذه الفتنة بين هذا السلطان وبين ابن الاحمر والطاغية واحتل أسطول النصارى بالزقاق وانقطعت عساكر السلطان وراء البحر وأحس أخوه عمر صاحب مالقة باظلام الجو بينه وبين السلطان بما كان من أمر أخيه طلحة من قبل فلاطفه ابن الاحمر عند استقراره بغرناطة في مداخلة أخيه عمر في النزول على مالقة والاعتياض عنها بشلوبانية والمنكب طعمة وخاطبه في ذلك أخوه طلحة فأجاب وخرج ابن الاحمر بعساكره الى مالقة وتقبض عمر بن محلي على زيان بن بوعياد قائد بني مرين ومحمد بن اشقيلولة وأمكن ابن الاحمر من البلد فدخلها آخر رمضان من سنته وأنزل ابن محلي بشلوبانية واحتمل ذخيرته وما كان السلطان ائتمنه عليه من المال والعدد الجهادية واتصلت يد ابن الاحمر بيد الطاغية على منع أمير المسلمين من الاجازة وراسلوا يغمراسن بن زيان من وراء البحر وراسلهم في

مثابة السلطان وافساد ثغوره وازال العوائق به المائعة من حركته والاخذ باله
عن النهوض الى وأستو ابينهما الاتحاف والمهاداة وجنب يغمراسن الى ابن
الاحمر ثلاثين من عتاق الخيل مع ثياب من عمل الصوف وبعث اليه ابن الاحمر جبة
ابن مروان الصابى كفء ذلك عشرة آلاف دينار فلم يرض بالمال فى هديته وردها
وأصفقت أيديهم جميعا على السلطان ورأوا أن قد بلغوا فى احكام أمرهم وسد مذاهبه
اليهم واتصل الخبر بأمير المسلمين وهو بمراكش كان صمد اليها مرجعه من الغزو فى شهر
المحرم فاتح سبع وسبعين لما كان من عيث العرب بجشم بتامسنا وافسادهم السابلة
فثقف أطرافها وحسم أدواءها ولما بلغه خبر ابن محلى ومالقة ومنازلة الطاغية للجزيرة
نهض لثالثة من شوال يريد طنجة ولما انتهى الى تامسنا وافاه الخبر بنزول الطاغية
على الجزيرة واحاطة عساكرها بها بعد ان كانت أساطيله منازلتها
منذ سبع وانه مشرف على التهامها وبعثوا اليه يستعدونه فاعتزم على الرحيل ثم
اتصل به الخبر بخروج مسعود بن كانون أمير سفيان من جشم ببلاد نفيس من المصامدة
خامس ذى القعدة وان الناس اجتمعوا اليه من قومه وغيرهم فكر اليه راجعا وقدم
بين يديه ساقه تاشفين بن أبى مالك ووزيره يحيى بن حازم وجاء على ساقتهم ففروا أمام
جيوشه وانتهب معسكرهم وحللهم واستباح عرب الحرث بن سفيان ولحق مسعود
بمعقل السكسيوى ونازله السلطان بعساكره أياما وسرح ابنه الامير أباز يان منديل
الى بلاد السوس لتمهيدها وتدويخ أقطارها فأوغل فى ديارها وقفل الى أبيه خامس
سنته واتصل بالسلطان ما نال أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدة القتال واعواز
الاقوات وانهم قتلوا الاصاغر من أولادهم خشية عليهم من معرة الكفر فأهمه ذلك
وأعمل النظر فيه وعقد لولى عهده ابنه الامير أبى يعقوب من مراكش على الغزو اليها
وأغزى الاساطيل فى البحر الى جهادعدوهم فوصل الى طنجة لصفر من سنة ثمان
وتسعين وأوعز الى البلاد البحرية لاعداد الاساطيل بسبتة وطنجة وسلا وقسم
الاعطيات وتوفرت همم المسلمين على الجهاد وصدقت عزائمهم على الموت وأبلى
الفقيه أبو حاتم العزفى صاحب سبتة لما بلغه خطاب أمير المسلمين فى ذلك البلاء الحسن
وقام فيه المقام المحمود واستفز كافة أهل بلده فركبوا البحر أجمعين من المحتلم فما فوقه
ورأى ابن الاحمر ما نزل بالمسلمين فى الجزيرة وأشراف الطاغية على أخذها فندم فى
ممالاته ونبذ عهده وأعد أساطيل سواحله من والمرية ومالقة مددا للمسلمين
واجتمعت الاساطيل بمرفاسبتة تناهز السبعين قد أخذت بطرفى الزقاق فى أحفل زى
وأحسن قوة وأكمل عدة وأوفر عدد وعقد عليهم الامير أبو يعقوب رايته وأقاموا

الخبر عن [illegible]

عن طنجة ثامن ربيع الاول وانتشرت قلوعهم فى البحر فأجازوه وباتوا ليلة المولد الكريم بمرفا الجبل وصبحوا العدو وأساطيلهم تناهز أربعمائة فتطاهروا فى دروعهم وأسبغوا من شكتهم وأخلصوا لله عزائمهم وصدقوا مع الله نياتهم وتنادوا بالجنة شعارهم ووعظ وذكر خطباؤهم والتحم القتال ونزل الصبر ولم يكن الا كلا ولا حتى نضحوا العدو بالنبل فانكشفوا وتساقطوا فى العباب فاستلحمهم السيف وغشيهم اليم وملأ المسلمون أساطيلهم ودخلوا مرفا الجزيرة وفرضتها عنوة فاختل معسكر الطاغية وداخلهم الرعب من اجازة الامير أبى يعقوب ومن معه من الحامية فأفرج لحينه عن البلد وانتشرت النساء والصبيان بساحته وغلبت المقاتلة كثيرا من العسكر على مخلفهم فغنموا من الحنطة والادام والفواكه ماملأ أسواق البلد أياما حتى وصلتها الميرة من النواحى وأجاز الامير أبو يعقوب من حينه فأرهب العدو فى كل ناحية وصده عن الغزو شأن الفتنة مع ابن الاحمر فرأى أن يعقد مع الطاغية سلما ويصل به لمنازلة غرناطة يدا وأجابه الى ذلك الطاغية رهبة من بأسه وموجدة على ابن الاحمر فى مدد أهل الجزيرة وبعث أساقفته لعقد ذلك فأجازهم الامير أبو يعقوب الى أبيه أمير المسلمين فغضب لها ونكر على ابنه وزوى عنه وجه رضاه ورجعهم الى طاغيتهم مخفق السعى وأجاز أبو يعقوب بن السلطان الى أبيه ومعه وفد أهل الجزيرة فلقوا السلطان بمكانهم من السوس وولى عليهم ابنه أبا زيان فنزل بالجزيرة وأحكم العقد مع الطاغية ونازل المريلة من طاعة ابن الاحمر برا وبحرا فامتنعت عليه وانضوى اليه أهل الحصون الغربية بطاعتهم حذرا من الطاغية فتقبلهم ثم جاءه المدد من المغرب ونازل رندة فامتنعت والطاغية أثناء ذلك يجوس خلال الاندلس ونازل ابن الاحمر بغرناطة مع بنى اشقيلولة وابن الدليل ثم راجع ابن الاحمر مسالمة بنى مرين وبعث لابى زيان بن السلطان بالصلح واجتمع معه باحواز مريلة كما نذكر بعد ولما ارتحل السلطان من معسكره على جبل السكسيوى يريد السوس ثم أغزى العساكر ورجع من طريقه الى مراكش حتى اذا انقضت غزاة البربر رجع الى فاس وبعث خطابه الى الآفاق مستنفرا فى الجهاد وفصل فى رجب من سنة ثمان وسبعين حتى انتهى الى طنجة وعاين مااختل من أحوال المسلمين فى تلك الفترة وماجرت اليه فتنة ابن الاحمر من اعتزاز الطاغية وماحدثته نفسه من التهام الجزيرة الاندلسية ومن فيها وظاهره على ابن الاحمر منافسوه فى رياسته بنى اشقيلولة فاستجره الرئيس أبو الحسن بن أبى اسحق صاحب وادى آش ونازل معه غرناطة سنة تسع وسبعين خمسة عشر يوما ثم أفرجوا ولقيهم عساكر غرناطة من زناتة بعد ذلك من سنتهم وغلبهم طلحة بن محلى وتاشفين بن معطى كبير

بثر بعين بحصى المسلى . فأظهرهم الله عليهم وهلك من النصارى ما يناهز
ـعمانة من فرسانهم واستشهد فيها من أعياص بنى مرين عثمان بن محمد بن عبد الحق
واستجر لطاغية بعدها الرئيس أبو محمد عبد الله أخو صاحب وادى آش الى منازلة
غرناطة فنازلها الطاغية وأقام عليها أياما ثم ارتحل وقد اعتز عليهم وأشفق السلطان على
المسلمين وعلى ما نال ابن الاحمر من خسف الطاغية فراسله فى الموادعة واتفاق الكلمة
وشرط عليه النزول عن مالقة فرجع السلطان الى ازالة العوائق عن شأنه من الجهاد
وكان من أعظمها فتنة يغمراسن واستيقن ما دار بينه وبين ابن الاحمر والطاغية بن
أخى أدفونش من الاتصال والاصفاق فى تجديد الصلح والاتفاق عليه وكشف الوجه فى
العناد وأعلن عما وقع بينه وبين أهل العدوة سلمهم وكافرهم من الوصلة وانه معترم على
على بلاد المغرب فصرف أمير المسلمين عزمه الى غزو يغمراسن وقفل الى فاس لثلاثة
أشهر من نزوله طنجة فدخلها آخر شوال وأعاد الرسل الى يغمراسن لاقامة الحجة عليه
والتماس المتاب بنى توجين والتجافى عنهم لولاتهم أمير المسلمين فقام يغمراسن فى ركابه
وتمادى فى طغيانه وارتحل أمير المسلمين من فاس سنة تسع وقدم ابنه أبا يعقوب
فى العساكر وأدركه بتازى ولما انتهى الى ملوية نازلهم فى انتظار العساكر ثم ارتحل الى
تافنة ثم تافيا وصمد اليه يغمراسن بحشود زناتة والعرب بجلالهم وكانة باجمعهم
والتقت عيون القوم فكانت بينهما حرب وركب على آثارهما العسكران والتحم
القتال وكان الزحف بخرزوزة من ملعب . سى ورتب أمير المسلمين مصافه
وجعل كتيبته وكتيبة ابنه الامير أبى يعقوب جناحين للعسكر واشتد القتال سائر
النهار وانكشف بنو عبد الواد عندما أراح القوم وانتهب جميع مخلفهم وما كان
فى معسكرهم من المتاع والكراع والسلاح والفساطيط وبات عسكر أمير المسلمين
ليلتهم فى صهوات خيلهم واتبعوا من الغد آثار عدوهم واكتسحت أموال العرب
التابعة الذين كانوا مع يغمراسن وامتلأت أيدى بنى مرين من نعمهم وشائهم ودخلوا
بلاد يغمراسن وزناتة ووافاه هنالك محمد بن عبد القوى أمير بنى توجين لقيه بناحية
القصبات وعاثوا جميعا فى بلاده نهبا وتخريبا ثم أذن لبنى توجين فى اللحاق ببلادهم
وأخذ هو عنق تلمسان متلوما الوصول محمد بن عبد القوى وقومه الى منجاتهم من
جبل وانشريس حذرا عليهم من غائلة يغمراسن ثم أفرج عنها وقفل الى المغرب
ودخل فاس شهر رمضان من سنة ثمانين ثم نهض الى مراكش فاحتفل بها الحدى
وثمانين بعدها وسرح ابنه الامير أبا يعقوب الى السوس لتدويخ أقطاره ووافاه
بمراكش صريخ الطاغية على ابنه شانجة الخارج عليه فاغتنم الفرصة فى فسادبينهم

لقضاء أربه من الجهاد وارتحل بادرا بالاجازة الى الاندلس والله تعالى أعلم

(الخبر عن اجازة السلطان أبي يوسف صريخا للطاغية لخروج ابنه شانجة عليه وافتراق كلمة النصرانية وما كان في هذه الأخبار من الغزوات)

لما رجع السلطان من غزاة تلمسان الى فاس وارتحل الى مراكش وأقام بها وفد الطاغية من بطارقته وزعماء دولته وقوامس ملته صريخا على ابنه شانجة خرج عليه في طائفة من النصارى وغلبوه على أمره فانتصر أمير المسلمين ودعاه لحربهم وأمله لاسترجاع ملكه من أيديهم فأجاب أمير المسلمين داعيه رجاء للكرة بافتراقهم وارتحل حتى انتهى الى قصر المجاز وأوعز الى الناس بالنفير الى الجهاد وأجاز الى الخضراء فاحتل بها الربيع الثاني من سنة احدى وثمانين واجتمعت عليه مسالح الثغور بالأندلس وسار حتى نزل صخرة عباد فوافاه بها الطاغية ذليلا لعز الاسلام مؤملا صريخ السلطان فأكبر وفادته وأكرم موصله وعظم قدره وأمده لنفقاته بمائة ألف من مال المسلمين استرهن فيها التاج الذخيرة عند سلفه وبقي بدارهم فخرا للأعقاب لهذا العهد ودخل معه دار الحرب غازيا حتى ينازل قرطبة وبها شانجة بن الطاغية الخارج عليه مع طائفة فقاتلها أياما ثم أفرج عنها وتنقل في جهاتها ونواحيها وارتحل الى طليطلة فعاث في جهاتها وخرب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من أقصى الثغر فامتلأت أيدي المسلمين وضاق معسكرهم بالغنائم التي استاقوها وقفل الى الجزيرة فاحتل بها لشعبان من سنته وكان عمر بن محلي نزع الى طاعة السلطان فهم به ابن الاحمر ونبذ اليه عهده وارتجع المنكب من يده ونازله بعساكره فاتح هذه السنة فجهز السلطان اليه لوصوله الجزيرة اسطوله وأفرج ابن الاحمر فبادر الى السلطان بطاعته ووصل بيعة شلوبانية فأبقاه فيها بدعوته ثم راجع طاعة ابن الاحمر في شوال من سنته فتقبل فيئته وأعاضه عنها بالمنكب الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن شأن السلم مع ابن الاحمر وتجافي السلطان له عن مالقة ثم تجدد الغزو بعد ذلك)

لما اتصلت يد السلطان بيد الطاغية خشي ابن الاحمر غائلته فجنح الى موالاة شانجة الخارج عن أبيه ووصل يده بيده وأكد له العقد وأضرمت له الاندلس نارا وفتنة ولم تغن شانجة عن ابن الاحمر شيأ ورجع السلطان من غزاته مع الطاغية وقد ظاهر على ابنه فأجمع على منازلة مالقة ونهض اليها من الجزيرة فاتح ثنتين وثمانين فتغلب على الحصون الغربية كلها ثم أسعف الى مالقة فأناخ عليها بعساكره وضاق النطاق على ابن الاحمر وبدا له سوء المغبة في شأن مالقة ومداخلة ابن محلي في الغدر بها وأعمل نظره في الخلاص

من ورطتها ولم يرلها الاولى عهد السلطان ابنه أبا يوسف فخاطبه بمكانه من المغرب مستصرخا لرقع هذا الخرق وجمع كلمة المسلمين على عدوهم فأجابه واغتنم المثوبة في مسعاه وأجازاليه ثم صرفوا الى أمير المسلمين بمعسكره على مالقة ورغب منه السلم لابن الاحمر عن شأن مالقة والتجافي له عنها فأسعف رغبة ابنه لما يؤمل في ذلك من رضا الله في جهاد عدوه واعلاء كلمته وانعقد السلم وانبسط أمل ابن الاحمر وتجددت عزائم المسلمين وقفل السلطان الى الجزيرة وبث السرايا في دار الحرب فأوغلوا وأغنموا ثم استأنف الغزو بنفسه الى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثاني من سنة اثنتين وثمانين حتى انتهى الى قرطبة فأثخن وغنم وخرب العمران واقتحم الحصون ثم ارتحل قصد البرت وخلف معسكره بظاهر ساسة وأغذ السير في أرض قفر قليلتين انتهى الى البرت من نواحي طليطلة فسرح الخيل في البسائط حتى تغزى بجميع ما فيها ولم ينته الى طليطلة لتثاقل الناس بكثرة الغنائم وأثخن في القتل وقفل على غير طريقه فأثخن وخرب وانتهى الى   ووقف بساحتها والعدو منعجزون ثم رجع الى معسكره بساسة وأراح ثلاثا ينسف آثارها ويقتلع أشجارها وقفل الى الجزيرة فاحتل بها شهر رجب وقسم الغنائم ونفل من الخمس وولى على الجزيرة قائده عيسى بن الامير أبي مالك ابنه فهلك شهيدا بالمعرى لشهرين من ولايته وأجاز السلطان غرة شعبان الى المغرب ومعه ابنه أبو زيان منديل وأراح بطنجة ثلاثا وأغذ السير الى فاس فاحتل بها آخر شعبان ولما انقضى صيامه ونسكه ارتحل الى مراكش لتمهيدها وتفقد أحوالها وتقسيم من تطره لنواحي سلا وازدرد فأقام برباط الفتح شهرين اثنين واحتل مراكش فاتح ثلاث وثمانين وبلغه مهلك الطاغية ابن أدفونش واجتماع النصرانية على ابنه شانجة الخارج عليه فتحركت الى الجهاد عزائمه وسرح الامير أبا يعقوب ولي عهده بالعسكر الى بلاد السوس لغزو العرب وكف عاديتهم ومحو آثار الخوارج المتوثبين على الدولة فأجفلوا أمامه واتبع آثارهم الى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس فهلك أكثر العرب في تلك القفار مسغبة وعطشا وقفل لما بلغه من اعتلال أمير المؤمنين ووصل الى مراكش وقد أبل وقد اعتزم على الجهاد والغزو شكر الله كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن اجازة السلطان أبي يوسف الرابعة ومحاصرة شريش وما تخلل ذلك من الغزوات

لما اعتزم أمير المسلمين على الاجازة واعترض جنوده وحاشيته وأزاح عللهم وبعث في قبائل المغرب بالنفير ونهض من مراكش في جمادى الآخرة لثلاث وثمانين

واحتل رباط الفتح منتصف شعبان فقضى به صومه ونسكه ثم ارتحل الى قصر مصمودة
وشرع فى اجازة العساكر والحشود من المرتزقة والمطوعة خاتم سنته ثم أجاز البحر بنفسه
غرة صفر من سنة أربع بعدها واحتل بظاهرها ثم سار من الخضراء وأراح أياما ثم خرج
غازيا حتى انتهى الى وادلك وسرح الخيول فى بلاد العدو وبسائطها يحرق وينسف
فلما خرب بلاد النصرانية ودمر أرضهم قصد مدينة شريش فنزل بساحتها وأناخ عليها
وبث السرايا والغارات فى جميع نواحيها وبعث عن المسالح التى كانت بالثغور
فتوافت لديه ولحقه حافده عمر بن أبى مالك بجمع وافر من المجاهدين من أهل المغرب
فرسانا ورجالا ووافته حصة العزفى من سبتة غزاة ناشبة تناهز خمسمائة وأوعز الى ولى
عهده الامير أبى يعقوب باستنفار من بقى من العدوة واعطاء الراية وسرحه لغزو اشبيلية
لآخر صفر من سنته فغنموا ومروا بقرمونة فى منصرفهم فاستباحوها وأثخنوا بالقتل
والاسر ورجعوا وقد امتلأت أيديهم من الغنائم وبعث وزيره محمد بن عطوا ومحمد بن
عمران بن عبلة عيونا فوافوا حصن القناطر وروضه واستكشفوا ضعف الحامية
واختلال الثغور فعقد ثانية لحافده عمر بن عبد الواحد على مثلها من الفرسان لثالثة
من ربيع وأعطاه الراية وسرحه الى بسائط وادلك فرجعوا من الغنائم بملء
العساكر بعد أن أثخنوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار وأبادوا
عمرانها ثم سرح ثامن ربيع عسكرا للاغارة على حصن أركش ووافوه على غرة
فاكتسحوا أموالهم ثم عقد تاسع ربيع لابنه أبى معروف على ألف من الفرسان
وسرحه لغزو اشبيلية فسار واحتل   عليها وانحجرت منه حاميتها
فخرب عمرانها وقطع شجرها وامتلأت أيدى عسكره سبيا وأموالا ورجع الى معسكر
السلطان بملء الحقائب ثم عقد ثالثة لحافده عمر منتصف ربيع لغزو حصن كان
بالقرب من معسكره وسرح الرجل من الناشبة والفعلة بالآلات وأمده بالرجل من
المصامدة وغزاه سنته فاقتحموه عنوة على أهله وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء والذرية
وأرغموا اخدده بالتراب ولسبعة عشر من الشهر ركب السلطان الى حصن سقوط
قريبا من معسكره فخربه وحرقه بالنار واستباحه وقتل المقاتلة وسبى أهله ولعشرين
من شهره وصل ولى عهده الامير أبو يعقوب من العدوة بنفير أهل المغرب وكافة القبائل
فى جيوش ضخمة وعساكر موفورة وركب أمير المسلمين للقائهم وبروزه قدمهم
واعترض العساكر الموافية يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفا من المصامدة وثمانية آلاف
من برابرة المغرب متطوعون كلهم بالجهاد فعقد السلطان له على خمسة آلاف من
المرتزقة وألفين من المطوعة وثلاثة عشر ألفا من الرجالين وألفين من الناشبة وسرحه

بياض بالاصل

لغزو اشبيلية والاثخان في نواحيها فعبى كتائبه وتقدم لوجهه وبث الغارات بين يديه
فاكتسحوا وسبوا وقتلوا واقتحموا الحصون واكتسحوا الأموال وعاج على الشرف
والغابة من بسيط اشبيلية فنسف آثارها واقتحم من حصونها وقفل الى معسكر أمير
المسلمين فعقد له غداة وصوله وأمده بعسكر آخر وأغزاه قرمونة والوادي الكبير فأغار
على قرمونة وطمعت حاميتها في المدافعة ببرزواله وصدقهم القتال فانكشفوا حتى
أحجروهم في البلد ثم أحاطوا ببرج كان قريبا من البلد فقاتلوه ساعة من نهار واقتحموه
عنوة ولم يزل يتقرى المنازل والعمران حتى وقف بساحة اشبيلية فأغار واقتحم ربما كان
هنالك عينا على المسلمين وأضرمه نارا وامتلأت أيدي عساكره وقفل الى معسكر أمير
المسلمين ولثلاث عشرة من ربيع الثاني عقد للأمير أبي يعقوب لمنازلة جزيرة كبوتر فتقدم
اليها وقاتلها واقتحمها عنوة وفي ثاني جمادى عقد لطلحة بن يحيى بن محلي وكان بعد
مداخلته أبناء عمر في شأن مالقة سنة خمس وسبعين خرج الى الحج فقضى فرضه ورجع
ومر في طريقه بتونس واتهمه الدعي بن أبي عمارة كان بها يومئذ فاعتقله سنة ثنتين وثمانين
ثم سرحه ولحق بقومه بالمغرب ثم أجاز الاندلس غازيا في ركاب السلطان فعقد له في هذه
الغزاة على مائتين من الفرسان وسرحه الى شبلية ليكون رتبة للمعسكر وبعث معه
لذلك عيونا من اليهود والمعاهدين من النصارى يتعرفون له أخبار الطاغية وناحيته
وأمير المسلمين أثناء ذلك يعادي شريش ويراوحها بالقتال والتخريب ونسف الآثار
وبث السرايا كل يوم وليلة في بلاد العدو فلا يخلو يوما من تجهيز عسكر أو اغزاء
جيش أو عقد راية وبعث سرية حتى اكتسح العمران في جميع بلاد النصرانية وخرب
بسائط اشبيلية ولبلة وقرمونة واستجة وجبال الشرف وجميع بسائط الفرنتيرة وأبلى
في هذه الغزوات عباد العاصمي من شيوخ جشم وخضر الغزي أمير الأكراد بلاء
عظيما وكان لهم فيها ذكر وكذلك غزاة سبتة وسائر المجاهدين والعرب من جشم وغيرهم
فلما دمروها تدميرا ونسفوها تخريبا واكتسحوها اغارة ونهبا وزحم فصل الشتاء وانقطعت
الميرة عن العسكر اعتزم على القفول وأفرج عن شريش لآخر رجب ووافاه مدد غرناطة
من عساكر الغزاة وقائدهم يعلى بن أبي عياد بن عبد الحق بوادي بردة فلقاهم مبرة
وتكريما وانقلبوا الى أهلهم واتصل به أن العدو أوعز الى أساطيله باحتيال الزقاق
والاعتراض دون الزاحف فأوعز أمير المسلمين الى جميع سواحله من سبتة وطنجة
والمنكب وجزيرة وطريف وبلاد الريف ورباط الفتح واستدعى أساطيله فتوافت منها
ستة وثلاثون أسطولا مستكملة في عدتها فأحجمت أساطيل العدو عنها وارتدت على
أعقابها واحتل بالجزيرة غرة رمضان واستيقن الطاغية شانجة وأهل ملته أن بلادهم

قد فنيت وأرضهم خربت وتبينوا العجز عن المدافعة والحماية فجنحوا الى السلم وضرعوا
الى أمير المسلمين فى كف عاديته عنهم على ما يذكر ووصل الى السلطان بمكانه من منازلة
شريش عمر بن أبى يحيى بن محلى نازعا الى طاعته فاتهمه لما سبق من تلاعبه وأمر أخاه
طلحة فنكبه واحتمل الى طريف فاعتقل بها وسار طلحة الى المنكب فاستصفى أموال
أخيه عمر وذخائره وسار الى السلطان و   أخاه موسى على عمله بالمنكب
وأمده بعسكر من الرجل ثم أطلق عمر لليال من اعتقاله وأجاز طلحة وعمر فى ركاب
السلطان ونزع منصور بن أبى مالك حافد السلطان الى غرناطة ثم لحق منها بالمنكب
وأقام مع موسى بن يحيى بن محلى فأقره السلطان ورضى بمقامه والله تعالى أعلم

بياض بالاصل

(الخبر عن وفادة الطاغية شانجة وانعقاد السلم ومهلك السلطان على تفيئة ذلك)

لما نزل ببلاد النصرانية ببلاد ابن أدفونش من أمير المسلمين ما نزل من تدمير قراهم
واكتساح أموالهم وسبى نسائهم وابادة مقاتلتهم وتخريب معاقلهم وانتساف عمرانهم
زاغت منهم الابصار وبلغت القلوب الحناجر واستيقنوا أن لا عاصم من أمير المسلمين
فاجتمعوا الى طاغيتهم شانجة خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة متوجعين مما أذاقهم جنود
الله من سوء العذاب وأليم النكال وحملوه على الضراعة لأمير المسلمين فى السلم وايفاد
الملا من كبار النصرانية عليه فى ذلك والا فلا تزال تصيبهم منه قارعة وتحل قريبا من
دارهم فأجاب الى ما دعوه اليه من الخسف والهضيمة لدينه وأوفد على أمير المسلمين وفدا
من بطارقتهم وشمامستهم وأساقفتهم يخطبون السلم ويضرعون فى المهادنة والابقاء
ووضع أوزار الحرب فردهم أمير المسلمين اعتزازا عليهم ثم أعادهم الطاغية بترديد الرغبة
على أن يشترط ما شاء من عز دينه وقومه فأسعفهم أمير المسلمين وجنح الى السلم لما تيقن
من صاغيتهم اليه وذلهم لعز الاسلام وأجابهم الى ما سألوه واشترط عليهم ما تقبلوه من
مسالمة المسلمين كافة من قومه وغير قومه والوقوف عند مرضاته فى ولاية جيرانه من
الملوك أوعداوتهم ورفع الضريبة عن تجار المسلمين بدار الحرب من بلاده وترك
التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم فى فتنة وبعث لعمه عبد الحق بن الترجمان
باشتراط ذلك واحكام عقده فاستبلغ وأكد فى الوفاء ووفدت رسل ابن الاحمر على
الطاغية وهو عنده لعقد السلم معه دون أمير المسلمين على قومه ومدافعته عنهم
فأحضرهم بمشهد ابن الترجمان وأسمعهم ما عقد أمير المسلمين على قومه وأهل ملته وقال
لهم انما أنتم عبيد آبائى فلستم معى فى مقام السلم والحرب وهذا أمير المسلمين ولست
أطيق مقاومته ولا دفاعه عنكم فانصرفوا ولما رأى عبد الحق صاغيته الى مرضاة
السلطان وسوس اليه بالوفادة لتتمكن الالفة وتستحكم العقدة وأراه مغبة ذلك فى سل

الصيمة وتسكين الحفيظة وتمكين الالفة فصغى الى وفاقه ومال الى الامير أبي يعقوب
ولي عهده من قبل ليطمئن عليه فتوسل اليه ولقيه على فراسخ من شريش وباتا بمعسكر
المسلمين هنالك ثم ارتحلا من الغد للقاء أمير المسلمين وقد أمر الناس بالاحتفال لتلقاء
الطاغية وقومه واظهار شعار الاسلام وأبهته فاحتفلوا وتأهبوا وأظهروا عز الملة
وشدة الشوكة ووفور الحامية ولقيه أمير المسلمين بأحسن مبرة وأتم كرامة يلقى بها مثله من
عظماء الملل وقدم الطاغية بين يديه هدية أتحف بها أمير المسلمين وابنه من طرف بلاده
كان فيها زوج من الحيوان الوحشي المسمى بالفيل وحمارة من حمر الوحش الى غير ذلك
من الطرف فتقبلها السلطان وابنه وقابلوه بكفائها ومضاعفتها وكمل عقد السلم وتقبل
الطاغية سائر الشروط ورضي بعز الاسلام عنه وانقلب الى قومه بملء صدره من الرضا
والمسرة وسأل منه أمير المسلمين أن يبعث من كتب العلم التي بأيدي النصارى منذ
استيلائهم على مدن الاسلام فاستكثر من أصنافها في ثلاثة عشر حملا بعث
بها اليه فوقفها السلطان بالمدرسة التي أسسها بفاس لطلب العلم وقفل أمير المسلمين
الى الجزيرة للبلدين بقية رمضان فقضى صومه ونسكه وجعل من قيام
ليله جزأ لمحاضرة أهل العلم وأعد الشعراء كلمات أنشدوها يوم الفطر بمشهد الملا
في مجلس أمير المسلمين وكان من أسبقهم في ذلك الميدان شاعر الدولة عزوز المكناسي
ذكر فيها سير أمير المسلمين وغزواته على نسق ثم أعمل أمير المسلمين نظره في الثغور
فرتب بها المسالح وعقد عليها لابنه الامير أبي زيان منديل وأنزله بركوان مقربة
مالقة واستوصاه بأن لا يحدث في بلاد ابن الاحمر حدثا وعقد لعياد بن أبي عياد
العاصي على مسلحة أخرى وأنزله بالطبونة وأجاز ابنه الامير أبا يعقوب لتفقد أحوال
المغرب ومباشرة أموره فأجاز في أسطول القائد محمد بن القاسم الرنداحي فأنه سبتة
وأوعز اليه بالبناء على قبر أبيه أبي الملوك عبد الحق ولقبه ادريس بتافرطست اختط
هنالك رباطا وبنى على قبورهم أسنمة من الرخام ونقشها بالكتابة ورتب عليها قراء التلاوة
القرآن ووقف على ذلك ضياعا وفدنا وهلك خلال ذلك وزيره يحيى بن أبي منديل
العسكري لمنتصف رمضان ثم اعتل بعد ذلك أمير المسلمين لشهر ذي الحجة واشتد وجعه
وهلك لآخر محرم سنة خمس وثمانين وستمائة والله أعلم

(الخبر عن دولة السلطان وما كان فيها من الاحداث وشأن الخوارج لاول دولته)

لما اعتل أمير المسلمين أبو يوسف بالجزيرة مرضه نساره وطير الخبر الى ولي العهد
الامير أبي يعقوب وهو بمكانه من المغرب فأغذ السير وقضى على أمير المسلمين قبل وصوله
فأخذ له البيعة على الناس وزراء أبيه وعظماء قومه وأجاز اليهم البحر فجددوا بيعته غرة

صفر سنة خمس وثمانين وأخذوها على الكافة وانعقد أمر السلطان يومئذ تفرق الاموال وأجزل الصلات وسرح المسجون ورفع عن الناس الاخذ بزكاة الفطر ووكلهم فيها الى أماناتهم وقبض أيدى العمال عن الظلم والاعتداء والجور على الرعايا ورفع المكوس ومحا رسم الرتب وصرف اعتناءه الى اصلاح السابلة وكان أول شئ أحدث من أمره الى ان بعث ابن الاحمر وضرب موعد اللقاء فبدر اليه ولقيه بظاهر مربالة لاول ربيع ولقاء مبرة وتكريما وتجافى له عن جميع الثغور الاندلسية التى كانت لمملكته ماعدا الجزيرة وطريف وتفرقا من مكانهما على أكمل حالات المصافاة والوصلة ورجع السلطان الى الجزيرة وواقام بها وفد الطاعة شانجة مجددين عقد السلم الذى عقد له أمير المسلمين عفا الله عنه فأجابهم ولما تمهد أمر الاندلس ومر عن النظر فيها عهد لاخيه ابى عطية العباس على الثغور الغربية والامارة عليها وعقد لعلى بن يوسف بن   على مسالحها وأمده بثلاثة آلاف من عساكره وأجاز الى المغرب فاحتل بقصر مصمودة سابع ربيع الثانى ثم ارتحل الى فاس واحتل بها لثنتى عشرة خلت من جمادى ولحين استقراره بدار ملكه خرج عليه محمد بن ادريس ابن عبد الحق فى اخوته وبنيه وذويهم ولحق بجبل ورغة ودعا لنفسه وسرح اليه السلطان أخاه أبا معروف فبدا له فى النزوع اليهم ولحق بهم فأغزاهم السلطان عساكره وردد اليهم البعوث والكتائب وتلطف فى استنزال أخيه فنزل عن الخلاف وعاد الى أحسن طاعته وفر أولاد ادريس الى تلمسان وتقبض عليهم أثناء طريقهم وسرح السلطان أخاه أبا زيان الى تازى وأوعز اليه بقتلهم   خارج تازى لرجب من سنة خمس وثمانين ورهب الاعياص عند ذلك من بادرة السلطان فتفرقوا ولحق بغرناطة أولاد أبى العلاء ادريس بن عبد الحق وأولاد يحيى بن عبد الحق وأولاد عثمان ابن برزول ورجع أولاد أبى يحيى الى السلطان بعد اقتضاء عهده وامانه وهلك أخوه محمد بن يعقوب بن عبد الحق لشعبان من سنته وهلك عمر بن أخيه أبى مالك بطنجة ثم خرج على السلطان عمر بن عثمان بن يوسف العسكرى بقلعة فندلاوة ونبذ الطاعة وأذن بالحرب وأوعز السلطان الى بنى عسكر ومن اليهم من القبائل المجاورين لها فاحتشدوا له ونازلوه ثم نهض بركابه وعساكره الى منازلته واحتل بسدورة وخافه عمر على نفسه وأيقن أنه أحيط به فسأل الامان وبذله السلطان على شريطة اللحاق بتلمسان فبعث من يوثق به من الحيرة فنزل فوفى له السلطان بعهده ولحق بتلمسان بأهله وولده ثم ارتحل السلطان فى رمضان من سنته الى مراكش لتمهيد انحائها وتثقيف أطرافها واحتل بها فى شوال واعمل النظر فى مصالحها ونزع خلال ذلك طلحة بن محلى البطوى الى بنى حسان من

المعقل وسرح على السلطان ودعا لنفسه وعقد السلطان لمنصور بن أخيه أبي مالك على العساكر وعهد له بولاية السوس وسرحه لاستنزال الخوارج ومحو آثار الفساد والارتياب بمكان أخيه عمر فغربه الى غرناطة فقتله أولاد أبي العلاء يوم وصوله اليها فسار الامير منصور في الجيوش والكتائب وغزا عرب المعقل وأثخن فيهم وقتل طلحة بن علي في بعض حروبهم لثلاثة عشر من جمادى سنة ست وثمانين وبعث برأسه الى سدة السلطان فعلق بتازى ثم نهض في رمضان لغزو المعقل بصحراء درعة لما أضروا العمران وأفسدوا السابلة وسار اليهم في اثنى عشر ألفا من الفرسان ومر على بلاد هسكورة معترضا جبل درن وأدركهم بالقفر نواجع فأثخن فيهم بالقتل والسبي واستكثر من رؤسهم فعلقت بشرافات مراكش وسجلماسة وفاس وعاد من غزوه الى مراكش آخر شوال فنكب محمد بن علي بن محلى عاملها القديم الولاية عليها من لدن غلب الموحدين لما وقع من الارتياب بأولاد محلى لما آتاهم كبيرهم طلحة فنكب غرة المحرم من سنة سبعين وهلك في محبسه لشهر صفر بعده وهلك على ذلك المزوار قاسم بن عتو وعقد السلطان على مراكش وأعمالها لمحمد بن عطو الجاناتي من موالي دولتهم وولاة الخلف وترك معه ابنه أبا عامر ثم ارتحل الى حضرة فاس فاحتل بها منتصف ربيع ووافته بها عرسه بنت موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق من غرناطة في وفد من وزراء ابن الاحمر وأهل دولته فأعرس بها وكان بعث الى أبيها من قبل في الاصهار بها ووافت معها رسل ابن الاحمر يسألونه التجافي عن وادي آش فأسعفهم بها كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن دخول وادي آش في طاعة السلطان ثم رجوعها الى طاعة ابن الاحمر)

كان أبو الحسن بن اشقيلولة ظهير السلطان بن الاحمر على ملكه ومعينه على شأنه وكان له في الدولة بذلك مكان ولما هلك خلف من الولد أبا محمد عبد الله وأبا اسحق ابراهيم فعقد ابن الاحمر لابي محمد على مالقة ولابي اسحق على قمارش ووادي آش ولما هلك السلطان ابن الاحمر حدثت مغاضبات ومنافسات بينهما وبينه وتأدى ذلك الى الفتنة كما نقلناه ودخل أبو محمد في طاعة السلطان أبي يوسف ثم هلك فلحق ابنه محمد بالسلطان ونزل له عن البلد سنة ست وسبعين ثم هلك أبو اسحق سنة ثنتين وثمانين وغلب ابن الاحمر على حصن قمارش وصار اليه وكان الرئيس أبو اسحق قد عقد لابنه أبي الحسن على وادي آش وحصونها واتصلت الفتنة بينه وبين ابن الاحمر وظاهر أبو الحسن عليه الطاغية وأجلب أخوه أبو محمد معه على غرناطة هو وابن الدليل وطال أمر الفتنة بينهما وبين ابن الاحمر ثم انعقد السلم بين المسلمين والنصارى وخشى أبو محمد بن اشقيلولة على نفسه عادية

ابن الاحمر فتذمم بطاعة صاحب المغرب وأقام دعوته بوادى آش سنة ست وثمانين فلم يعرض لها ابن الاحمر حتى اذا وقعت المواصلة بينه وبين ابن السلطان أبي يعقوب وكان شأن هذا الثمر على يده بعث رسله الى السلطان يسأله التجافى عن وادى آش فتجافى له عنها وبعث الى أبي الحسن بن اشقيلولة بذلك فتركها وارتحل اليه سنة سبع وثمانين ولقيه بسلا فأعطاه القصر الكبير وأعماله طعمة سوّغه اياها ثم لم تزل البنية آخر دولتهم واستمكن ابن الاحمر من وادى آش وحصونها ولم يبق له بالاندلس منازع من قرابته والله أعلم

(الخبر عن خروج الامير أبي عامر ونزوعه الى مراكش ثم فيئته الى الطاعة)

لما احتل السلطان بفاس وأقام بها خرج عليه ابنه أبو عامر ولحق بمراكش ودعا لنفسه آخر أيام شوال من سنة سبع وثمانين وساعده على الخلاف والانتزاء عاملها محمد بن عطو وخرج السلطان فى أثره الى مراكش فبرز الى لقائه فكانت الدائرة عليهم وحاصرهم السلطان بمراكش أياما ثم خلص أبو عامر الى بيت المال فاستصفى ما فيه وقتل المشرف بن أبي البركات ولحق بجبال المصامدة ودخل السلطان من غده الى البلد يوم عرفة فعفا وسكن ونهض منصور ابن أخيه الامير أبو مالك من السوس الى حاحة فدوّخ انحاءها ثم سرّح اليه المدد من مراكش فأوقعوا بركنة من برابرة السوس وقتل منهم ما يناهز أربعين من سرواتهم وكان فيمن قتل منهم شيخهم حيون بن ابراهيم ثم ان ابنه أبا عامر ضاق ذرعه بسخط أبيه واجلابه فى الخلاف فلحق بتلمسان ومعه وزيره ابن عطو افاتح سنة ثمان وثمانين فآواهم عثمان بن يغمراسن ومهد لهم المكان ولبثوا عنده أياما ثم عطفت السلطان على ابنه رحم كما عطفت ابنه عليه فرضى عنه وأعاده الى مكانه وطالب عثمان بن يغمراسن أن يسلم اليه ابن عطو الناجم فى النفاق مع ابنه فأبى من اضاعة جواره واخفار ذمته وأغلظ له الرسول فى القول فسطا به واعتقله فثارت من السلطان الحفائظ الكامنة وتحركت الاحن القديمة والترات المتوارثة واعتزم على غزو تلمسان والله أعلم

{الخبر عن تجدد الفتنة مع عثمان بن يغمراسن وغزو السلطان مدينة تلمسان ومنازلته اياها}

كانت الفتنة بين هذين الحيين قديمة من لدن مجالاتهم بالقفر من صحراء ملوية الى صا الى فيكيك ولما انتقلوا الى التلول وتغلبوا على الضواحى بالمغرب الاقصى والاوسط لم تزل فتنتهم متصلة وأيام حروبهم فيها مذكورة وكانت دولة الموحدين عند اختلالها والتياثها تستنصر منهم بالتضريب بينهم والفتنة فتمكادت لذلك أحوالها واتصلت

أيامهما وكان بين يغمراسن بن زيان وأبي يحيي بن عبد الحق فيهما وقائع ومشاهد مقاما بعضهما من كل واستظهر الموحدون بيغمراسن عليه في بعضها وكان الغلب أكثر ما يكون لابي يحيي عبد الحق لوفور قبيله الا ان يغمراسن كان يتصدى لمقاومته في سائر وقائعه ولما طمس أثر بني عبد المؤمن واستولى يعقوب بن عبد الحق على ملكهم وصارت في جملته عساكرهم وتضاعف عليه وأسف على ملك يغمراسن ملكه وجمع له فأوقع به في تلاغ الواقعة المعروفة ثم أوقع به ثانية وثالثة ولما استوت قدم يعقوب بن عبد الحق في ملكه واستكمل فتح المغرب وسائر أمصاره وكع يغمراسن عن التطاول الى مقاومته ووهن قواه بفل جموعه ومنازلته في داره ومظاهرة أقتاله من زناتة بني توجين ومغراوة عليه ثم انصرف بعد ذلك الى الجهاد فكان له فيه شغل عما سواه كما قلناه في أخباره ولما انصرف ارتاب بن الاحمر بمكان السلطان يعقوب بن عبد الحق من الاسلام وحذره على ملكه وتظاهر مع الطاغية على منعه من الاجازة الى عدوتهم ثم خشوا أن لا يستقلوا بمدافعته فراسلوا يغمراسن في الاخذ بحجزته وأجابهم اليها وحرد عزائمهم اليها واتصلت أيديهم في التظاهر عليه ثم فسد ما بين ابن الاحمر والطاغية ولم يكن له بد من ولاية يعقوب بن عبد الحق فتولى بواسطة ابنه يوسف بن يعقوب كما ذكرناه واطلعوه على خبء يغمراسن في مظاهرتهم فاغزاه سنة تسع وسبعين وهزمه بخرزونة ونازله بتلمسان ووطأ عدوه من بني توجين بساحته كما ذكرناه ثم انصرف الى شأنه من الجهاد وهلك يغمراسن بن زيان على تفيئة ذلك سنة احدى وثمانين وأوصى ابنه عثمان ولي عهده زعموا أن لا يحدث نفسه بمقاومة بني مرين ومساماتهم في الغلب وأن لا يبرز الى لقائهم بالصحراء وان يلوذ منهم بالجدران متى سموا اليه وألقى اليه زعموا أن بني مرين بعد تغلبهم على مراكش وانضياف سلطان الموحدين الى سلطانهم ازدادت قوتهم وتضاعف غلبهم وقال له زعموا فيما أوصاه ولا يغرنك اني رجعت اليهم بعدها وبرزت الى لقائهم فاني أنفت ان أرجع عن مقاومتهم بعد اعتيادها وأترك مبارزتهم وقد عرفها الناس وأنت لا يضرك العجز عن مبارزتهم والنكول عن لقائهم فليس لك في ذلك مقام معلوم ولا عادة سالفة واجهد جهدك في التغلب على افريقية وراء ظهرك فان كانت المناهضة وهذه الوصاة زعموا هي التي حملت عثمان وبنيه من بعده على طلب ملك افريقية ومنازلة بجاية وحربهم مع الموحدين ولما هلك يغمراسن ذهب ابنه الى مسالمة بني مرين فبعث أخاه محمدا الى السلطان يعقوب بن عبد الحق وأجاز البحر اليه بالاندلس ووافاه بأركش في اجازته الرابعة سنة أربع وثمانين فعقد له ما جاء اليه من السلم والمهادنة ورجعه الى أخيه وقومه ممتلئا كرامة وسرورا وهلك

يعقوب بن عبد الحق اثر ذلك سنة خمس وثمانين وقام بالامر ابنه يوسف بن يعقوب وانتزى الخوارج عليه بكل جهة فشرّدهم واستنزلهم وحسم أدواءهم ثم خرج عليه ابنه آخرا كما ذكرناه مع الأئمة وزير السلطان محمد بن عطوا ثم فاء الى طاعة أبيه ورضى عنه وأعاده الى مكانه من حضرته وطالب عثمان بن يغمراسن كما ذكرناه فى ابن عطوا المنتزى عليه مع ابنه فأبى عثمان من تسليمه وتحركت حفيظة السلطان واعتزم على غزوهم فارتحل من مراكش لصفر من سنة سبع وثمانين وعقد عليها الابنه الامير أبى عبد الرحمن ثم نهض لغزاته من فاس آخر ربيع من سنته فى عساكره وجنوده وحشد القبائل وكافة أهل المغرب وسار حتى نزل تلمسان فانحجز عثمان وقومه بها ولاذوا منه بجدرانها فسار فى نواحيها ينسف الآثار ويخرب العمران ويحطم الزرع ثم نزل بذراع الصابون بساحتها ثم انتقل منه الى تامة وحاصرها أربعين يوما وقطع أشجارها وأباد خضراءها ولما امتنعت عليه أفرج عنها وانكفأ راجعا الى المغرب وقضى نسك الفطر بعين الصفا من بلاد بنى يزناتن ونسك الاضحى وقربانه بتازى وتلبث بها ومنها كان فصوله للغزو عند انتقاض الطاغية كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض الطاغية واجازة السلطان لغزوه)

لما رجع السلطان من غزو تلمسان وافاه الخبر بأن الطاغية شانجة انتقض ونبذ العهد وتجاوز التخوم وأغار على الثغور فأوعز الى قائد المسالح على بن يوسف بن يزناسن بالدخول الى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الطاغية فنهض لذلك فى ربيع الآخر من سنة تسعين وجاس خلالها وتوغل فى أقطارها وأبلغ فى النكاية وفصل السلطان من تازى غازيا على اثره فى جمادى واحتل قصر مصمودة واستنفر أهل المغرب وقبائله ونفروا وشرع فى اجازتهم البحر وبعث الطاغية اساطيله الى الزقاق بحرا دون الاجازة فأوعز السلطان الى قواد اساطيله بالسواحل فأغزاهم والتقت الاساطيل ببحر الزقاق فى شعبان فاقتتلوا وانكشف المسلمون ومحصهم الله ثم أغزاهم ثانية ونكصت أساطيل العدو عن اللقاء وصاعدوا عن الزقاق وملكته أساطيل السلطان فأجاز أخريات رمضان واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنازل حصن بجير ثلاثة أشهر وضيق عليهم وبث السرايا فى أرض العدو وردد الغارات على شريش واشبيلية ونواحيها الى أن بلغ فى النكاية والاثخان وقضى من الجهاد وطرا وزاحمه فصل الشتاء وانقطاع الميرة عن العسكر فأفرج عن الحصن ورجع الى الجزيرة ثم أجاز الى المغرب فاتح احدى وتسعين فتظاهر ابن الاحمر والطاغية على منعه كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

* (الخبر عن انتقاض ابن الاحمر ومظاهرته للطاغية على طريف اعادها الله للمسلمين) *

لما قفل السلطان من غزاته فاتح احدى وتسعين كما ذكرناه وقد أبلغ فى نكاية العدو
وأثخن فى بلاده فأهم الطاغية أمره وثقلت عليه وطأته والتمس الولاية من دونه وحذر
ابن الاحمر غائلته ورأى أن مغبة حاله الاستيلاء على الاندلس وغلبه على أمره
ففاوض الطاغية وتلمسوا النجيا وتحدثوا أن استمكانه من الاجازة اليهم انما هو لقرب
مسافة بحر الزقاق وانتظام ثغور المسلمين حفافيه لتصرف شوانيهم وسفنهم متى أرادوا
فضلا عن الاساطيل وان أم تلك الثغور طريف وأنهم اذا استمكنوا منها كانت ربيئة
لهم على بحر الزقاق وكان اسطولهم عرفاها برصد الاساطيل صاحب المغرب الخائضين
لجة ذلك البحر فاعتزم الطاغية على منازلة طريف وزعم له ابن الاحمر بمظاهرته على ذلك
وشرط له المدد والميرة لاقوات العسكر ايام منازلتها على ان تكون له ان خلصت وتعاونوا
على ذلك واناخ الطاغية بعساكر النصرانية على طريف وألح عليها بالقتال ونصب
الآلات وانقطع عنها المدد والميرة واحتلت أساطيله بحر الزقاق فحالوا دون الصريخ من
السلطان واخوانهم المسلمين واضطرب ابن الاحمر معسكره بمالقة قريبا منه
وسرب اليه المدد من السلاح والرجال والميرة من الاقوات وبعث عسكر المنازلة حصن
اصطبونة وتغلب عليه بعد مدة من الحصار واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى
أصاب أهل طريف الجهد ونال منهم الحصار فراسلوا الطاغية فى الصلح والنزول عن
البلد فصالحهم واستنزلهم سنة احدى وتسعين ووفى لهم بعهده واستشرف ابن الاحمر
الى تجافى الطاغية عنها لما عقدوا عليه فأعرض عن ذلك واستأثر بها بعد ان كان نزل له
عن ستة من الحصون عوضا منها فانفسد ذات بينهما ورجع ابن الاحمر الى تمسكه بالسلطان
واستعانته به لاهل ملته على الطاغية وأوفد ابن عمه الرئيس أبا سعيد فرج بن اسمعيل
ابن يوسف ووزيره أبا سلطان عزيز الدانى فى وفد من أهل حضرته لتجديد العهد
وتأكيد المودة وتقرير المعذرة عن شأن طريف فوافوه بمكانه من منازلة تازوطا
كما نذكر بعد فأبرموا العقد وأحكموا الصلح وانصرفوا الى ابن الاحمر سنة ثنتين
وتسعين باسعاف غرضه من المواخاة واتصال اليد وهلك خلال ذلك قائد المسالح
بالاندلس على بن يركاسن فى ربيع الاول سنة ثنتين وتسعين وعقد السلطان لابنه ولى
عهده الامير أبى عامر على ثغور الاندلس التى فى طاعته وعهد له بالنظر فى مصالحها
وأنفذه الى قصر الجواز بعساكر فوافاه هنالك السلطان ابن الاحمر كما نذكر ان شاء الله
تعالى والله أعلم

* (الخبر عن وفادة ابن الاحمر على السلطان والتقائهما بطنجة) *

لما رجعت الرسل الى ابن الاحمر وقد كرمت وفادتهم وقضيت حاجتهم وأحكمت فى المواخاة مقاصدهم وقع ذلك من ابن الاحمر أجمل موقع وطار سرورا من اعواده وأجمع الرحلة الى السلطان لاحكام الود والاستبلاغ فى العذر عن واقعة طريف وشأنها واستعدادهم لاغاثة المسلمين ونصرهم من عدوهم فاعتزم على ذلك وأجاز البحر ذا القعدة سنة ثنتين وتسعين واحتل بنيونش من ساحة سبتة ثم ارتحل الى طنجة وقدم بين يدى نجواه هدية أتحف بها السلطان كان من أحفلها وأحسنها موقعا لديه فيما زعموا المصحف الكبير أحد مصاحف عثمان بن عفان أحد الاربعة المنبعثة الى الا فاق المختص هذا منها بالمغرب كما نقله السلف كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة فتلقاه الامير أبو عامر هنالك وأخوه الامير أبو عبد الرحمن ابنا السلطان واحتفلا فى مبرته ثم جاء السلطان على اثرهما من حضرته لتلقيه وبرور مقدمه ووافاه بطنجة وبلغ فى تكرمته وبر وفادته مايكرم به مثله وبسط ابن الاحمر العذر عن شأن طريف فتجافى السلطان عن العذل وأعرض عنه وقبل منه وبر واحتفى ووصل وأجزل ونزل له ابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغربية وعشرين حصنا من ثغور الاندلس كانت من قبل لطاعة صاحب المغرب ونزل عساكره وعاد ابن الاحمر الى الاندلس خاتم ثنتين وتسعين محبوا محبورا وأجازت عساكر السلطان معه لحصار طريف وعقد على حربها ومنازلتها الوزير الطائر الذكر عمر بن السعود بن الخرباش الجشمى فنازلها مدة وامتنعت فأفرج عنها وصرف السلطان همته الى غزو تلمسان وحصارها كما يذكر ان شاء الله تعالى

الخبر عن انتزاء الوزير الوساطى بحصن تازوطا من جهات الريف واستنزال السلطان اياه

كان بنو الوزير هؤلاء رؤساء بنى واطاس من قبائل بنى مرين ويرون ان نسبهم دخيل فى بنى مرين وأنهم من أعقاب على بن يوسف بن تاشفين لحقوا بالبدو ونزلوا على بنى واطاس ورسخت فيهم عروقهم حتى لبسوا جلدتهم ولم يزل السرو مترعا بين أعينهم لذلك والرياسة شامخة بأنوفهم وكانوا يرون الفتك بالامراء من أولاد عبد الحق فلم يطيقوه ولما احتل السعيد شازى غازيا الى تلمسان كما ذكرناه ولحق ببلدهم الامير أبو يحيى بن عبد الحق ائتمروا فى الفتك به ونذر بشأنهم فارتحل ففروا الى غبولة وعين الصفا من بلاد بنى يزناسن وهنالك بلغه خبر مهلك السعيد وكانت بلاد الريف لبنى واطاس من لدن دخول بنى مرين المغرب واقتسامهم لاعماله فكانت ضواحيها لنزلهم وأمصارها ورعاياها لجباياتهم وكان حصن تازوطا بها من أمنع المعاقل بالمغرب وكان الملوك من أولاد عبد الحق يعتنون بشأنه وينزلونه من أوليائهم من يثقون بغنائه

واطلاعه ليكون آخذا بناصية هؤلاء الرهط وشجا في صدورهم عما يسمون اليه وكان السلطان قد عقد عليه لمنصور ابن أخيه الامير أبي مالك بعد مهلك ابنه أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق وكان عمر بن يحيى بن الوزير وأخوه عامر رئيسين على وطاس لذلك العهد فاستوثوا أمر السلطان بعد مهلك أبيه وحدثوا أنفسهم بالانتزاء بتازوطا والاستبداد بتلك الناحية فوثب عمر منهم بمنصور ابن أخي السلطان شهر شوال من سنة احدى وتسعين وقتك برجاله وذويه وأزعجه عنها وغلبه على مال الجباية الذى كان بقصره فاستصفاه وتأثر به واستبد وشحن الحصن برجاله وحاشيته ووجوه قومه ووصل منصور الى السلطان وحلف للمال من مغبة أسفالما أصابه وسرّح السلطان وزيره الطائر الذكر عمر بن السعود بن خرباش بالعساكر لمنازلته فأناخ عليه ثم نهض السلطان على أثره ووافاه واضطرب معسكره بساحته وخالف عامر أخاه عمر الى السلطان بقومه حذرا من مغبة الامر وأشفق عمر لشدة الحصار ويئس من الخلاص وظن أن قد أحيط به ودس الى أخيه عامر فاستأذن السلطان في مداخلته في الدخول على الحصن فأذن له واحتمل ذخيرته وفر الى تلمسان وبدا لعامر في رأيه عندما خلص الى الحصن وخلاله من أخيه عمر الجو وحذر غائلة السلطان وخشى أن يثأر منه بابن أخيه فامتنع بالحصن ثم ندم وسقط في يده وفي خلال ذلك كان وصول وفد الاندلس وأرسوا أساطيلهم بمرسى غساسة فبعث اليهم عامر أن يشفعوا له عند السلطان لو جاءتهم اديه فتقبلت شفاعتهم على شريطة اجازته الى الاندلس وكره ذلك وقدم بين يديه بعض حاشيته الى الاسطول مكرا بهم وخاض الليل الى تلمسان وتقبض السلطان على ولده وقتا واسلم أهل الاسطول من كان من حاشيته لديهم وتجافوا عن اجازتهم على السلطان لما مكر بهم عامر فاستلحموا مع من كان بالحصن من أتباعهم وقرابتهم وذرياتهم وملك السلطان حصن تازوطا وأنزل به عماله ومسلحته وقفل الى حضرته بفاس آخر جمادى من سنة اثنتين وتسعين والله تعالى أعلم

(الخبر عن نزوع أبي عامر ابن السلطان الى بلاد الريف وجهات عمارة)

كان الامير أبو عامر بعد اجازة ابن الاحمر الى السلطان أبيه ورضاه عنه وتأكد مواخاته واغراء وزيره بمنازلة طريف واستنزاله أولاد الوزير المتزين بحصن تازوطا رجع من قصر مصمودة الى بلاد الريف بايعاز أبيه اليه بتسكين أحوالها وكان أولاد الامير أبي يحيى بن عبد الحق قد نزعوا الى تلمسان لسعاية فيهم وقرت في صدر السلطان فأقاموا بها أياما ثم استعطفوا السلطان واسترضوه فرضي وأذن لهم في الرجوع الى محلهم من قومهم ودولتهم وبلغ الخبر الامير أبا عامر وهو بمعسكره من الريف فأجمع على

اغتيالهم فى طريقهم فظن أنه رضى بذلك أباه واعترضهم بوادى القطف من ملوية سنة خمس وتسعين فاستلحمهم وانتهى الخبر الى السلطان فقام فى ركائبه وقعد وتبرأ الى ابنه من اخفار ذمته ومن صنيع ابنه وسخطه وأقصاه فذهب مغاضبا ولحق ببلاد الريف ثم صاعدا الى جبل غمارة فلم يزل طريدا بينهم ونازلته عساكر أبيه لنظر ميمون بن وردار الحشمى ثم لنظر تزريكن بن الولاة تاميونت وأوقع بهم مرارا آخرها بيرزيكن سنة سبع وتسعين وذكر الربيحى مؤرخ دولتهم أن خروجه بجبل غمارة كان سنة أربع وتسعين وقتله لأولاد الامير أبى يحيى كان سنة خمس وتسعين بعدها أغزاهم من مثوى انتزائه وقتلهم كما ذكرناه والله أعلم ولم يزل هذا دأبه الى أن هلك ببنى سعيد من جبال غمارة سنة ثمان وتسعين ونقل شلوه الى فاس فوورى بباب الفتوح ملحد قومهم هنالك وأعقب ولدين نقلهما السلطان جدهما فكانا الخليفتين من بعده على ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

*(الخبر عن حصار تلمسان الكبير وما تخلل ذلك من الاحداث)

كان عثمان بن يغمراسن بعد افراج السلطان سنة تسع وثمانين وانتقاض الطاغية وابن الاحمر عليه كما قلناه صرف الى ولايتهما وجه تدبيره وأوفد على الطاغية ابن بربدى من صنائع دولته سنة ثنتين وتسعين ووجهه الطاغية مع الريك ريكس رسول من كبار قومه ثم عاد اليه الحاج مسعود من حاشيته ووصل يده بيده يظن ذلك دافعا عنه واعتدها السلطان عليه وطوى له على الغش حتى اذا فرغ من شأن الاندلس وهلك الطاغية شانجة سنة ثلاث وتسعين لاحدى عشرة من سنى ملكه وارتحل السلطان الى طنجة لمشارفة أحوال الاندلس سنة أربع وتسعين فأجاز اليه السلطان ابن الاحمر ولقيه بطنجة وأحكم معه المواخاة ولما استيقن سكون أحوالها نزل لابن الاحمر عن جميع الثغور التى بها الطاغية وأجمع غزو تلمسان ولحق به بين يدى ذلك ثابت بن منديل المغراوى صريخا على ابن يغمراسن ومستجيشا بقومه فتقبله وأجاره وكان أصاب الناس أعوام ثنتين وتسعين قحط ونالتهم سنة وهنوا لها ثم ان الله رحم خلقه وأدر نعمته وأعاد الناس الى ما عهدوه من سبوغ نعمهم وخصب عيشهم ووفد عليه سنة أربع وتسعين ثابت بن منديل أمير مغراوة مستصرخا به من عثمان بن يغمراسن فبعث من كبار قومه موسى بن أبى حمو الى تلمسان شفيعا فى ثابت بن منديل فرده عثمان أقبح رد وأساء فى اجابته فعاود الرسالة اليهم فى شأنه فلم يزدهم الا اصرارا فاعتزم على غزو بلادهم واستعد لذلك ونهض سنة أربع وتسعين حتى انتهى الى بلاد تاوريرت وكانت تخما العمل بنى مرين وبنى عبد الواد فى جانبها عامل السلطان أبى يعقوب وفى جانبها

الآخر عامل عثمان بن يغمراسن فطرد السلطان عامل ابن يغمراسن واختط الحصن الذى هنالك لهذا العهد وتولى بنفسه بغادى العملة وبراوحهم وأكمل بناءه فى شهر رمضان من سنته واتخذه ثغر الملك وأنزل بنى عسكر لحياطته وسدّ فروجه وعقد عليهم لاخيه أبى يحيى بن يعقوب وانكفأ راجعا الى الحضرة ثم خرج من فاس سنة خمس وتسعين غازيا الى تلمسان ومرّ بوجدة فهدم أسوارها وتغلب على مسيفة والزعاورة وانتهى الى ندرومة ونازلها أربعين يوما ورماها بالمنجنيق وضيق عليها وامتنعت عليه فأفرج عنها الى الفطر ثم أغزى تلمسان سنة ست وتسعين وبرز لمدافعته عثمان بن يغمراسن فهزمه وحجزه بتلمسان ونزل بساحتها وقتل خلقا من أهلها ونازلها أياما ثم أقلع عنها وقفل الى المغرب وقضى منسك الاضحى من سنته بتازى فأعرس هنالك بحافدة أبى ثابت بن منديل كان أصهر فيها الى جدها قبل مهلكه سنة ست وتسعين قتيلا بحيرة الزيتون من ظاهر فاس قتله بعض بنى وزتاجن فى دم كان لهم فى قومه فثأر السلطان به من قاتله وأعرس بحافدته وأوعز ببناء القصر بتازى وقفل الى فاس فاتح سنة سبع وتسعين ثم ارتحل الى مكناسة وانكفأ الى فاس ثم نهض فى جمادى غازيا تلمسان ومرّ بوجدة فأوعز ببنائها وتحصين أسوارها واتخذ بها قصبة ودار السكنى ومسجدا وأوعز الى تلمسان ونزل بساحتها وأحاطت عساكره احاطة الهالة بها ونصب عليها القوس البعيدة النزع العظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار ازدلف اليه الصناع والمهندسون فعملها وكانت توقر على احد عشر بغلا ثم لما امتنعت عليه تلمسان أفرج عنها فاتح سنة ثمان ومرّ بوجدة فأنزل بها الكتائب من بنى عسكر لنظر أخيه أبى يحيى بن يعقوب كما كانوا بتاوريرت وأوعز اليهم بترديد الغزاة على أعمال يغمراسن وافسادسابلتها وضاقت أحوالهم ويئسوا من صريخ صاحبهم فأوفدوا على الامير أبى يحيى وفدا منهم يسألون الامان بين وراءهم من قومهم على أن يمكنوه من قياد بلدهم ويدينوا بطاعة السلطان فبذل لهم من ذلك ما أرضاهم ودخل البلد بعساكره واتبعهم أهل تاورنت وأوفد مشيختهم جميعا على السلطان آخر جمادى فقدموا عليه بحضرته وأدوا طاعتهم فقبلها ورغبوا اليه فى الحركة الى بلادهم ليريحهم من ملكة عدوّه وعدوّهم ابن يغمراسن ووصفوا من عسفه وجوره وضعفه عن الحماية ما استنهض السلطان لذلك على ما نذكر ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن الحصار الكبير لتلمسان وما تخلل ذلك من الاحداث)

لما توفرت عزائم السلطان عن النهوض الى تلمسان ومطاولة حصارها الى أن يظفر بها ويقومها واستيقن أنه لا مدافع له عن ذلك نهض من فاس شهر رجب من سنة ثمان

وتسعين بعد ان استكمل حشده ونادى فى قومه واعترض عساكره وأجزل أعطياتهم وأزاح عللهم وارتحل فى التعبية واحتل بساحة تلمسان ثانى شعبان وأناخ عليها واضطرب معسكره بفنائها وحجز عثمان بن يغمراسن وحاميتها من قومه وأدار الاسوار سياجا على عمرانها كله ومن ورائها نطاق الخندق البعيد المهوى ورتب المسالح على أبوابها وفروجها وسرح عساكره لمحاصرتها فاقتحموها وآتوا طاعتهم وأوفد مشيختهم وسط شعبان ثم سرح عساكره لمحاصرة وهران وتقرى البسائط ومنازلة الامصار فأخذت مازونة فى جمادى الآخرة من سنة تسع وتسعين وتنس فى شعبان بعده وتالموت والقصبات وتامزردكت فى رمضان منه وفيه كان فتح مدينة وهران وسارت عساكره فى الجهات الى أن بلغت بجاية كما نذكره وأخذ الرعب بقلوب الامم بالنواحى وتغلب على ضواحى مغراوة وتوجين وسارت فيها عساكره ودوختها كتائبه واقتحمت أمصارها مثل مليانة ومستغانم وشرشال والبطحاء ووانشريس والمرية وتافركينت وأطاعه زيرى المنتزى ببرشك وأتى ببيعته وابن علان المنتزى بالجزائر وأزعج الناكثين منهم عن طاعته واستألف أهل الطاعة كما نذكره وحذره الموحدون من ورائهم بافريقية ملوك بجاية وملوك تونس فقدوا اليه يد المواصلة ولاطفوه بالمتاحفة والمهاداة كما نذكره وخاطب صاحب الديار المصرية ملك الترك وهاداه وراجعه كما نذكره ووفد عليه شرفاء مكة بنى نمى كما نذكر وهو فى خلال ذلك مستجمع للمطاولة بالحصار والتضييق متجاف عن القتال الا فى بعض الايام ولم تبلغ أربعة أو خمسة ينزل شديد العقاب والسطوة بمن يميرها ويأخذ بالمرصاد على من يتسلل بالاقوات اليها قد جعل سرداق الاسوار المحيطة ملاكالأمره فى ذلك فلا يخلص اليهم الطيف ولا يكاد يصل اليهم العيث مدة مقامه عليها الى أن هلك بعد مائة شهر كما نذكره واختط بمكان فسطاط المعسكر قصر السكناه واتخذ به مسجد الصلاة وأدار عليها السور وأمر الناس بالبناء فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الانيقة واتخذوا البساتين وأجروا المياه ثم أمر بادارة السور سياجا على ذلك سنة ثنتين وسبعمائة وصيرها مصرا فكانت من أعظم الامصار والمدن وأحفلها اتساع خطة وكثرة عمران ونفاق أسواق واحتفال بناء وتشييد منعة وأمر باتخاذ الحمامات والمارستان وابتنى مسجدا جامعا وشيدله مأذنة رفيعة فكان من أحفل مساجد الامصار وأعظمها وسماها المنصورة واستبحر عمرانها ونفقت أسواقها ورحل اليها التجر بالبضائع من الآفاق فكانت احدى مدائن المغرب وخربها آل يغمراسن عند مهلكه وارتحال كتائبه بعد أن كان بنو عبد الواد أشرفوا على الهلاك وأذنوا بالانقراض كما نذكره فتداركهم من

لطف الله ما شاء أن يتدارك المتورطين في المهالك والله غالب على أمره

(الخبر عن افتتاح بلاد مغراوة وما تخلل ذلك من الاحداث)

لما أناخ السلطان على تلمسان وتغلب على ضواحي بني عبد الواد وافتتح أمصارهم سما
الى التغلب على عمالات مغراوة وبني توجين وكان ثابت بن منديل قد وفد على السلطان
عند تملكه من فاس سنة أربع وتسعين وأصهر اليه في حافدته فعقد له عليها وهلك ثابت
بمكان وفادته من دولتهم وأعرس السلطان بحافدته سنة ست وتسعين كما ذكرناه من
قبل فلما تغلب السلطان على مال بني عبد الواد جهز عساكره الى بلاد مغراوة وعقد عليها
لعلي بن محمد من عظماء بني ورتاجن فتغلبوا على الضواحي وشردوا مغراوة الى رؤس
المعاقل واعتصم راشد بن محمد بن ثابت بن منديل صهر السلطان بمليانة فنازلوها ثم
استنزلوه على الامان سنة تسع وتسعين فأوفدوه على السلطان فلقاه مبرة وتكرمة وخلطه
بجملة صهره معه ثم افتتحوا مدينة تدلس ومازونة وشرشال وأعطى زيري بن حماد
المنتري على برشك من بلادهم يد الطاعة وأوفد على السلطان البيعة واستولوا على
ضواحي شلف كلها ولاذت مغراوة بطاعة السلطان وعقد عليهم وعلى جميع بلادهم
لعمر بن ويغرن بن منديل فأسف ذلك راشد بن محمد لما كان يراه لنفسه من
الاختصاص ولما كانت أخته حظية السلطان وكريمته ونافس عمر بن ويغرن في امارة
قومه فلحق بجبال متيجة وأجلب على من هنالك من عمال السلطان وعساكره وانحاش
اليه من بني القلوب من قومه فاعصوصبوا عليه وداخلوا أهل مازونة فانتقضوا على
السلطان وملكوه أمرهم في ربيع من المائة الثامنة ثم بيت عمر بن ويغرن بمعسكره من
أزمور فقتله واستباح العسكر وبلغ الخبر الى السلطان فسرح العساكر من بني مرين
وعقد لعلي بن الحسن بن أبي الطلاق على قومه من بني عسكر ولعلي بن محمد الخيري على
قومه من بني ورتاجن وجعل الامر شورى بينهما وأشرك معهما عليا الحساني من صنائع
دولته وأبا بكر بن ابراهيم بن عبد القوي من أعياص بني توجين وعقد على مغراوة لمحمد
ابن عمر بن منديل وأشركه معهم وزحفوا الى راشد ولما أحس بالعساكر لجأ الى معقل
بني بوسعيد فيمن معه من شيعة مغراوة وأنزل بمازونة عليا وحموا ابني عمه يحيى بن ثابت
واستوصاهم بضبط البلد وأنه متشرف عليهم من الجبل وجاءت عساكر السلطان الى بلاد
مغراوة فتغلبوا على البسائط وأناخوا بمازونة واضطربوا معسكرهم بساحتها وأخذوا
بمخنقها واهتبل علي وقومه غرة معسكر بني مرين فبيتهم سنة احدى وسبعمائة وانفض
المعسكر وتقبض على علي بن محمد الخيري ثم امتنعوا عليه وعاد المعسكر الى مكانهم من
حصارهم وجهدهم حالهم فنزل اليهم حمو بن يحيى على حكم السلطان وأنفذوه اليه

فتتبض عليه ثم نزل على ثانية من غير عهد فأشخصوه الى السلطان فلقاه مبرة وتكريما تأنيسا لراشد المنتزى بمعقله واقتحمت على أهلها عنوة سنة ثلاث فمات منهم عالم واحتملت رؤسهم الى سدة السلطان فرميت فى حفائر البلد المحصور ارهابا بالهم وتخذيلا ولما عقد السلطان لأخيه أبى يحيى على بلاد الشرق وسرحه لتدويخ التخوم نازل راشد بمعقله من بنى بو سعيد فبيت راشد معسكرهم احدى لياليه فانفضوا وقتل طائفة من بنى مرين ووجد السلطان لها فأمر بقتل على وحمو ابنى عمه يحيى ومن كان معتقلا معهما من قومهما ورفعوا على الجذوع وأنتوهم بالسهام ونزل راشد بعدها عن معقله ولحق بمتيجة وانحاش اليه منيف بن ثابت وأوشاب من مغراوة وتحيز الآخرون الى أميرهم محمد بن عمر بن منديل الذى عقد له السلطان عليهم ثم ناشبت على راشد ومنيف خوارج الثعالبة وملكيش وصمد اليهم الامير أبو يحيى فى عساكره ثانية ونازلهم بمعاقلهم ورغبوا فى السلم فبذله السلطان لهم وأجاز منيف بن ثابت الى الاندلس فمن اليه من بنيه وعشيره فاستقروا بها آخر الايام ولحق راشد ببلاد الموحدين ووفد محمد بن عمر بن منديل سنة خمس على السلطان فأوسعه حبا وتكريما وتمهدت بلاد مغراوة واستبد بملكها السلطان وصرف اليها العمال ولم يزل كذلك الى أن هلك سنة ست والله تعالى أعلم

(الخبر عن افتتاح بلاد توجين وما تخلل ذلك)

لما نازل يوسف بن يعقوب تلمسان وأحاط بها وتغلب على بنى عبد الواد وسما الى تملك بلاد توجين وكان عثمان بن يغمراسن قد غلبهم على مواطنهم وملك جبل وانشريس وتصرف فى بنى عبد القوى بالولاية والعزل وأخذ الاتاوة سنة احدى وسبعمائة وأوعز اليه السلطان ببناء البطحاء التى هدمها محمد بن عبد القوى فبناها وتوغل فى قاصية المشرق ثم انكفأ راجعا الى حضرة أخيه وعطف على بلاد بنى توجين سنة اثنين وفر بنو عبد القوى الى ضواحيهم بالقفر ودخل الى جبل وانشريس وهدم حصونهم به ورجع الى الحضرة ثم بادر أهل تافركينت سنة ثلاث باباء طاعتهم وانتقضوا طاعتهم بعدها ثم بعث أهل المرية بطاعتهم السلطان فتقبلها وأوعز ببناء قصبتها وراجع بنو عبد القوى بعد ذلك بصائرهم فدخلوا فى طاعة السلطان ووفدوا عليه بمكانه من المنصورة مدينته المحيطة على تلمسان سنة ثلاث فتقبل طاعتهم ورعى سابقتهم وأعادهم الى بلادهم وأقطعهم وولى عليهم على بن الناصر بن عبد القوى وأوعز ببناء قصبة المرية سنة أربع وكملت سنة خمس وهلك على بن الناصر خلال ذلك فعقد عليهم لمحمد بن عطية الاصم كما ذكرناه فاستمر على الطاعة ثم انتقض سنة ست وحمل قومه على الخلاف وانتبذوا عن الوطن الى أن هلك يوسف بن يعقوب كما نذكره ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

(الخبر عن مراسلة ملوك افريقية بتونس وبجاية لزناتة وأحوالهم معهم)

كان لبنى أبى حفص ملوك افريقية مع زناتة هؤلاء أهل المغرب من بنى مرين وبنى عبد الواد سوابق مذكورة فكان لهم على يغمراسن وبنيه طاعة معروفة يؤدّون بيعتها ويخطبون على منابرهم بدعوتها من تغلب الامير أبى زكريا بن عبد الواحد على تلمسان وعقده عليها ليغمراسن واستمرّ حالهم على ذلك وكانت لهم أيضا مع بنى مرين ولاية وسابقة بما كان بنو مرين منذ أول أمرهم يخاطبون الامير أبا زكريا ويبعثون له ببيعة البلاد التى يتغلبون عليها مثل مكناسة والقصر ومراكش آخرا ثم صارت مخالصة من لدن عهد المستنصر ويعقوب بن عبد الحق وكانوا يتحفونهم بالمال والهدايا فى سبيل المدد على صاحب مراكش وقد ذكرنا السفارة التى وقعت بينهما سنة خمس وستين وأن يعقوب أوفد عامر بن ادريس وعبد الله بن كندوز ومحمد الكنانى وأوفد عليه المستنصر سنة سبع بعدها كبير الموحدين يحيى بن صالح الهنتاتى فى وفد من مشيخة الموحدين ومعهم هدية سنية ثم أوفد الواثق ابنه سنة تسع وسبعين قاضى بجاية المذكور أبا العباس أحمد الغمارى وأسنى الهدية معه ولم يزل الشأن بينهم هذا الى أن افترق أمر آل أبى حفص وطار الامير أبو زكريا بن الامير أبى اسحق بن يحيى بن عبد الواحد من عشه تلمسان فى وكر عثمان بن يغمراسن وأسف الى بجاية فاستولى عليها سنة ثلاث وثمانين واستضاف اليها قسنطينة وبونة وصيرهما عملا لملكه ونصب لهما كرسيا لأمره وأسف عثمان بن يغمراسن لفراره من بلده لما كان عليه من التمسك بدعوة عمه أبى حفص صاحب تونس فشق ذلك عليه ونكره واستمرت الحال على ذلك ولما نزل السلطان يوسف بن يعقوب بمخنق تلمسان وأرسى قواعد ملكه بساحتها وسرح عساكره لالتهام الامصار والجهات وتوجس الموحدون الخيفة منه على أوطانهم وكان الامير أبو زكريا فى جهات تدلس محاميا عن حوزته وعمله ووصله هنالك راشد بن محمد نازعا عن السلطان أبى يعقوب ثم طلعت العساكر على تلك الجهات فى اتباعه فزحف اليه عسكر الموحدين سنة تسع وتسعين بناحية جبل الزاب نفضوا جمعه وأوقعوا به واستلحموا جنوده واستمر القتل فيهم وبقيت عظامهم مثلة بمصارعهم سنين ورجع الامير أبو زكريا الى بجاية فانحصر بها وهلك على تفيئة ذلك على رأس المائة السابعة وقارن ذلك مغاضبة بينه وبين أمير الزواودة لعهده عثمان بن سباع بن يحيى بن دريد بن مسعود البلط نوفد على السلطان آخر بات احدى وسبعمائة ورغبه فى ملك بجاية واستمدّه للسير اليها وأوعز الى أخيه الامير أبى يحيى بمكانه من منازلة مغراوة ومليكش والثعالبة بأن ينهض الى أعمال الموحدين وسار عثمان بن سباع وقومه بين يدى العساكر يتقصون الطريق الى

أن تجاوز الامير أبو يحيى بعساكره بجاية واحتمل تاكرارت من أوطان سدويكش من أعمال بجاية وأطل على بلاد سدويكش وانكفأ راجعا فأوطأ عساكره ساحة بجاية وبها الامير خالد بن يحيى وناشبهم القتال بعض أيام جلا فيها أولياء السلطان أبي البقاء عن أنفسهم وسلطانهم وأمر بروض السلطان المسمى بالبديع فخرّبه وكان من آنق الرياض وأحفلها وقفل الى مكانه من تدويخ البلاد وأعرض عن اعمال الموحدين وكان صاحب تونس لذلك العهد محمد بن المستنصر الملقب بابي عصيدة بن يحيى الواثق فأوفد على السلطان شيخ الموحدين بدولته محمد بن اكماز يرعاقد أسباب الولاية ومحكما مذاهب الوصلة ومقررا سوابق السلف فوفد في مشيخة من قومه لشعبان سنة ثلاث وناغاه الامير أبو البقاء خالد صاحب بجاية وأوفد مشيخة من أهل دولته كذلك وبرّ السلطان وفادتهم وأحسن منقلبهم ثم عاد ابن اكماز ير سنة أربع وسبعمائة ومعه شيخ الموحدين وصاحب السلطان أبو عبد الله بن يزريكن في وفد من عظماء الموحدين وأوفد صاحب بجاية حاجبه أبا محمد الرخامي وشيخ الموحدين بدولته عباد بن سعيد بن عثمن ووفدوا جميعا على السلطان ثالث جمادى فأحسن السلطان في تكرمتهم ماشاء ووصلهم الى نفسه بمساكن داره وأراهم أريكة ملكه وأطافهم قصوره ورياضه بعد أن فرشت ونمقت فلا قلوبهم جلالا وعظمة ثم بعثهم الى المغرب ليطوفوا على قصور الملك بفاس ومراكش ويشاهدوا آثار سلفهم وأوعز الى عمال المغرب بالاستبلاغ في تكرمتهم واتحافهم فانتهوا من ذلك الى الغاية وانقلبوا الى حضرته آخر جمادى وانصرفوا الى ملكهم بالحديث عن شأن رسالتهم وكرامة وفدهم ثم أعاد ملوكهم مراسلة السلطان سنة خمس بعدها فوفد أبو عبد الله بن اكماز ير من تونس وعباد بن سعيد من بجاية وأوفد السلطان على صاحب تونس مع رسوله صاحب الفتيا بحضرته الفقيه أبا الحسن التونسي وعلى بن يحيى البركشي رسولين يسألان المدد بأسطوله فقضوا رسالتهم وانقلبوا سنة خمس ووصل بخبرهما أبو عبد الله المزدوري من مشيخة الموحدين واقترن بذلك وصول حسون بن محمد بن حسون المكناسي من صنائع السلطان كما أوفده مع ابن عثمن على مراسلة الامير أبي البقاء خالد صاحب بجاية في طلب الاسطول أيضا فرجعو بالمعاذير وأوفدوا معه عبد الله بن عبد الحق بن سليمان فتلقاهم السلطان بالمبرة وأوعز الى عامله بوهران أن يستبلغ في تكريم عمرة الاسطول فجرى في ذلك على مذهبه وانقلبوا جميعا أحسن منقلب وغني السلطان عن أسطولهم لفوات وقت الحاجة اليه من منازلة بلاد السواحل اذ كان قد تملكها أيام مماطلتهم بيعثه واتصل الخبر بصاحب تلمسان الامير أبي زيان بن عثمان المبايع أيام الحصار عند مهلك أبيه عثمان

ابن يغمراسن آخر سنة ثلاث فبلغه صنيع الموحدين فى موالاة عدوه السلطان يوسف
ابن يعقوب ومظاهرته بأساطيلهم عليه فأسفهم ذلك وأخرسوا منابرهم عما كانت
تنطق به من الدعاء من عهد يغمراسن فلم يراجعه وادعوتهم من بعد وهلك السلطان على
تفيئة ذلك والبقاء لله وحده

الخبر عن مراسلة ملوك المشرق الاقصى ومهاداتهم ووفادة أمراء الترك على السلطان وما تخلل ذلك

لما استولى السلطان على المغرب الاوسط بممالكه وأعماله وهنأته ملوك الاقطار
واعراب الضواحى والقفار وصلحت السابلة ومشت الرفاق الى الآفاق واستجد أهل
المغرب عزما فى قضاء فرضهم ورغبوا من السلطان اذنه لركب الحاج فى السفر الى مكة
فقد كان عهدهم عطلها الفساد السابلة واستهجان الدول فبينما السلطان فى ذلك آمل اذ
داخله لحرم الله وروضة نبيه صلى الله عليه وسلم شوق وأمر بانتساخ مصحف رائق الصنعة
كتبه ونمقه أحمد بن الحسن الكاتب المحسن واستوسع فى جرمه وعمل غشاء من بديع
الصنعة واستكثر فيه من معالق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقوت وجعلت منها
حصاة وسط المعلق تفوق الحصيات مقدارا وشكلا وحسنا واستكثر من الاصونة
عليه ووقفه على الحرم الشريف وبعث به مع الحاج سنة ثلاث وعنى بشأن هذا الركب
فسرح معهم حامية من زناتة تناهز خمسمائة من الابطال وقلد القضاء عليهم محمد بن
رغبوش من أعلام أهل المغرب وخاطب صاحب الديار المصرية واستوصاه بحاج
المغرب من أهل مملكته وأتحفه بهدية من طرف بلاده استكثر فيها من الخيل العراب
والمطايا الفارهة يقال المطايا كانت منها أربعمائة حدثنى بذلك من لقيته الى ما يناسب
ذلك من طرف المغرب وماعونه ونهج بها السبيل للحاج من أهل المغرب فأجمعوا
الحج سنة أربع بعدها وعقد السلطان على دلالتهم لابى زيد الغفارى وفصلوا من تلمسان
لشهر ربيع الاول وفى شهر ربيع الآخر بعده كان مقدم الحاج الاولين وأهل المصحف
ووفد معهم على السلطان الشريف لبيدة بن أبى نمى نازعا عن سلطان الترك لما كان
تقبض على اخويه حميضة ورميثة اثر مهلك أبيهم أبى نمى صاحب مكة سنة احدى
وسبعمائة فاستبلغ السلطان فى تكريمه وسرحه الى المغرب ليجول فى أقطاره ويطوف
على معالم الملك وقصوره وأوعز الى العمال بتكريمه واتحافه على شاكلته ورجع الى
حضرة السلطان سنة خمس وفصل منها الى المشرق وصحبه من أعلام المغرب أبو عبد
الله مورى ساجا واشعبان من سنة خمس وصل أبو زيد الغفارى دليل ركب الحاج
الآخرين ومعه بيعة الشرفاء أهل مكة للسلطان لما اسفهم صاحب مصر بالتقبض على

اخوانهم وكان شأنهم ذلك متى غاظهم السلطان فقد سبق فى أخبار المستنصر بن أبى
حفص مثلها وأهدوا الى السلطان ثوبا من كسوة البيت شغف به واتخذ منه ثوبا للباسه
فى الجمع والاعياد يستبطنه بين ثيابه تبركا به ولما وصلت هدية السلطان الى صاحب
مصر لعهده الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى حسن موقعها لديه وذهب الى
المكافأة بجمع من طرف بلاده من الثياب والحيوان مايستغرب جنسه وشكله
من نوع الفيل والزرافة وأوفد بها من عظماء دولته الامير الليلى ونصل من القاهرة
أخريات سنة خمس ووصلت الى تونس فى ربيع من سنة ست بعدها ثم كان وصولها الى
سدة السلطان بالمنصورة من البلد الجديد فى جمادى الآخرة واهتز السلطان لقدومها
وأركب الناس الى لقائها واحتفل للقاء هذا الامير الليلى ومن معه من أمراء الترك
وبر وفادتهم واستبلغ فى تكريمهم نزلا وقرى وبعثهم الى المغرب على العادة فى مبرة
أمثالهم وهلك السلطان خلال ذلك وتقبل أبو ثابت سنة من بعده فى تكريمهم
فأحسن منقلبهم وملأ حقائبهم صلة ونصلوا من المغرب لذى الحجة سنة سبع ولما
انتهوا الى بلاد بنى حسن فى ربيع من سنة ثمان اعترضهم الاعراب بالقفر فانتهبوهم
وخلصوا الى مصر   الزمن فلم يعاودوا بعدها الى المغرب سفرا ولا التفتوا اليه
وجها وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يؤبه له ويهادونهم
ويكافئون ولا يزيدون فى ذلك كله على الخطاب شيأ وكان الناس لعهدهم ذلك
يتهمون ان الذين نهبوهم اعراب حصين بدسيسة من صاحب تلمسان أبى حمو لعهدهم
منافسة لصاحب المغرب لما بينهم من العداوات والاحن القديمة (أخبرنى) شيخنا محمد
ابن ابراهيم الابلى قال حضرت بين يدى السلطان وقد وصله بعض الحاج من أهل بلده
مستصحبا كتاب الملك الناصر بالعتاب عن شأن هؤلاء الامراء وما أصابهم فى طريقهم
من بلاده وأهدى له مع ذلك كوبين من دهن البلسان المختص ببلدهم وخمسة مماليك
من الترك رماة بخمسة أقواس من قسى الغز الموثقة الصنعة من العرى والعقب فاستقل
السلطان هديته تلك بالنسبة الى ما أهدوا الى ملك المغرب ثم استدعى القاضى محمد بن
هدية وكان يكتب عنه فقال له اكتب الآن الى الملك الناصر كما أقول لك ولا تحرف
كلمة عن موضعها الا ما تقتضيه صناعة الاعراب وقل له أما عتابك عن شأن الرسل
وما أصابهم فى طريقهم فقد حضروا عندى   لهم الاستعجال حذرا مما
أصابهم وأريتهم مخاوف بلادنا وما فيها من غوائل الاعراب فكان جوابهم انا جئنا
من عند ملك المغرب فكيف نخاف مغترين بشأنهم يحسبون أن أمره نافذ فى اعراب
فلاتنا وأما الهدية فترد عليك أما دهن البلسان فنحن قوم بادية لا نعرف الا الزيت

بياض بالاصل

وحسنابه دهنا وأما الممالك الرمانقة دانتحتنابهم اشبيلية وصرفناهم البلد لتستقيم بهم بعد ادوالسلام قال لي شيخنا وكان الناس اذذاك لا يشكون ان اتيانهم كان باذن منه وكان هذا الكتب دليلا على مافي نفسه وربك يعلم ماتكن صدورهم وما يعلنون

الخبر عن انتقاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس سعيد على سبتة وخروج عثمان بن العلاء في غمارة

لما أحكم السلطان عقد المهادنة والولاية مع السلطان بن الاحمر المعروف بالفقيه عند اجازته اليه بطاعة سنة ثنتين وتسعين كما ذكرناه وفرغ لعدوه وتقبل ابن الاحمر ولايته تلك الى أن هلك سنة احدى وسبعمائة في شهر شعبان منه وقام بالامر الاندلسي من بعده ابنه محمد المعروف بالخلوع واستبد عليه كاتبه أبو عبد الله بن الحكيم من مشايخ رندة كان اصطفاه للكتابة أيام أبيه فاضطلع بأموره وغلب عليه وكان هذا السلطان المخلوع ضرير البصر ويقال انه ابن الحكيم فتغلب عليه واستبد الى أن قتلهما أخوه أبو الجيوش نصر سنة ثمان كما نذكره وكان من أول آثره عند استيلائه على الامر من بعد أبيه المبادرة الى احكام ولاية السلطان واتصال يده بيده فأوفد اليه يطلب ولايته وزير أبيه السلطان أبي عبد الله الداني ووزيره الكاتب أبا عبد الله بن الحكيم فوصلا الى السلطان بمعسكره من حصار تلمسان وتلقاهما بالقبول والمبرة وجددت له أحكام الود والولاية وانقلبا الى مرساهما خير منقلب وتقدم السلطان اليهم في المدد برجل الاندلس وناشبتهم المعوذين منازلة الحصون والماغرة بالرباط فبادروا الى اسعافه وبعثوا حشتهم لحين مرجعهم الى سلطانهم فوصلت سنة ثنتين وسبعمائة وكانت لهم نكاية في العدو وأثر في البلد المحروب ثم بدا لمحمد بن الاحمر المخلوع في ولاية السلطان لمنافسات جرت الى ذلك وبعث الى ادفونش هراندة بن شانجة وأحكم له عقد السلم ولاطفه في الولاية فانعقد ذلك بينهما سنة ثلاث واتصل خبره بالسلطان فسخطه ورجع اليهم حشتهم آخر سنة ثلاث واتصل خبره بالسلطان لسنة من مقدمهم بعد أن أبلوا وأنحوا وطوى لهم عن البث واعتمل ابن الاحمر وشيعته في الاستعداد لمدافعة السلطان والارصاد لسطوته بهم وأوعز الى صاحب مالقة ابن عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن اسمعيل بن محمد ابن نصر وليه من دون القرابة بما كان له من الصهر على أخته والمضطلع له بثغر الغربية وأوعز اليه بعداشه أهل سبتة في خلع طاعة السلطان والقبض على ابن العزفي والرجوع الى ولاية ابن الاحمر وكان أهل سبتة منذ ابراهيم الفقيه أبو القاسم العزفي سنة سبع وسبعين قام بأمرهم ولده أبو حاتم وكان أبو طالب رديفا له في الامر الا أنه استبد عليه بصاغيته الى الرياسة وايثار أبي حاتم للخمول مع ايجابه حق أخيه الاكبر وابايته الداعي

من دون دفع اليه فاستقام أمرهما مدة وكان من سياستهما من أول أمرهما الاخذ بدعوة السلطان فيما النظر هما والعمل بطاعته والتجافي عن السكنى بقصور الملك والتحرج من أبهة السلطان امكانهم فأنزلوا بالقصبة عبد الله بن مخلص قائدا من البيوتات اصطنعوه وجعلوا اليه أحكام البلد وضبط الحامية له فاضطلع بذلك سنين ثم اسفه يحيى بن أبي طالب ببعض النزعات الرياسية وحجر عليه الاحكام في ذويه ثم أغرى به أباه وطالبه بحساب الخرج لعطاء الحامية وغفلوا عما وراءها من التفطن فيه والريبة به ثقة بمكانه واستنامة اليه وهم مع ذلك على أولهم في موالاة السلطان والاخذ بدعوته والوفود عليه في أوقاته ولما فسدت ولاية ابن الاحمر للسلطان وعقد على محاولة سبتة وجد السبيل الى ذلك بما طوى صاحب الاحكام بالقصبة على البث فداخله الرئيس أبو سعيد صاحب الثغر بمالقة جاره بسبتة ووعده الغدر ببني العزفي وأن يصحبهم في أساطيله فشرع الرئيس أبو سعيد في انشاء الاساطيل البحرية واستنفار الناس للمغاورة وان العدو لمالقة بالمرصاد وشحنها بالفرسان والرجل والناشبة والاقوات وأخفى وجه قصده عن الناس حتى اذا أقلعت أساطيله بت سبتة لسبع وعشرين من شوال سنة خمس وأربى بساحتها الموعد صاحب القصبة فأدخله الى حصنه فلكه ونشر راياته بأسوارها وسرب جيوشه الى البلد فتسايلوا وركب الى دور بني العزفي فقبض عليهم وعلى ولدهم وحاشيتهم وطير الخبر الى السلطان بغرناطة فوصل الوزير أبو عبد الله بن الحكيم ونادى في الناس بالامان وبسط المعدلة وأركب ابن العزفي السفن الى مالقة ثم أجازوا غرناطة وقدموا على ابن الاحمر فأجل قدومهم وأركب الناس الى لقائهم وجلس لهم جلوسا فخما حتى أدوا بيعتهم وقضوا وفادتهم وأنزلوا بالقصور وأجريت عليهم سنية الارزاق واستقروا بالاندلس الى أن صاروا بعد الى المغرب كما نذكر واستبد الرئيس أبو سعيد بأمر سبتة وثقف أطرافها وسد ثغورها وأقام دعوة ابن عمه صاحب الاندلس بأنحائها وكان عثمان بن أبي العلاء بن عبد الله بن عبد الحق من أعياص الملك المريني أجازه به البحر اليها أميرا على الغزاة بمالقة وقائد العصبتهم نجب ولانه فوه بنصبه للملك بالمغرب وخاطب قبائل غمارة في ذلك فوقفوا بين الاقدام والاحجام واتصل ذلك كله بالسلطان وهو بعسكره من حصار تلمسان فاستشاط لها غيظا وحمى أنفه نفرة واستنفره الصريخ فبعث ابنه الامير أبا سالم لسد تلك الفرجة وجمع اليه العساكر وتقدم اليه باحتشاد قبائل الريف وبلاد تازي فأغذ السير اليها وأحاطت عساكره بها فحاصرها مدة ثم بيته عثمان بن أبي العلاء فاختل معسكره وأفرج عنها منهزما فسخطه السلطان وذوى عنه وجه رضاه وسار عثمان بن أبي العلاء في نواحي سبتة وبلاد غمارة وتغلب على

تكيساس وانتهى الى قصر ابن عبد الكريم فى آخر سنة ست لستة من استيلائهم على سنة مقيما رسم السلطان منادياً بالدعاء لمه فعتزم السلطان عند النهوض اليه من أمر تلمسان لما كانت على شفا هلكة وشاية انفضاض لولا عوائق الاقدار عن هلكه كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض بنى كمى من بنى عبد الواد وخروجهم بأرض السوس)

كان هؤلاء الرهط من بنى عبد الواد من بطون بنى على من شعب أيت القاسم وكانوا يرجعون فى رياستهم الى كندوز بن   بن كمى ولما استقل زيان برياسة أولاد على بن ثابت بن محمد من أولاد طاع الله ونفس عليه كندوز هذا ما آتاه الله من الرياسة وجاذبه حبلها واحتقر زيان شأنه فلم يحفل به ثم تأشب عليه أخلاط من قومه وواضعه الحرب وهلك زيان بيد كندوز وقام بأمر أولاد على جابر بن يوسف بن محمد ثم تناقلت الرياسة فيهم الى أن عادت لولد ثابت بن محمد واستقل بها أبو عزة زكراز بن زيان ولم تطل أيامه والتحم بين أولاد كمى وبين أولاد طاع الله وتناسوا الاحن وصارت رياسة طاع الله لولد يغمراسن بن زيان واستجمعوا قبائل عبد الواد كافة واعتمل يغمراسن فى الثأر بأبيه زيان من قاتله كندوز فاغتاله بيته دعاماً دبة جمع بنى أبيه حتى اذا اطمأن المجلس تعاوروه بأسيافهم واحتزوا رأسه وبعثوا به الى أمهم فنصبت عليه القدر ثالث أثافيها تشفيا منه وحفيظة وطالب يغمراسن بقية بنى كندوز ففروا أمام مطالبته وأبعدوا المذهب ولحقوا بالامير أبى زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص فأقاموا بحضرته أحوالا وكانوا يرجعون فى رياستهم لعبد الله بن كندوز ثم تذكروا عهد البداوة وحنوا الى عشيرتهم فراجعوا المغرب ولحقوا ببنى مرين اقتالهم ونزل عبد الله بن كندوز على يعقوب بن عبد الحق خير نزل فلقاه من البر والترحيب بما ملأ صدره وأكد غبطته وأقطعه بناحية مراكش الكفاية له ولقومه وأنزلهم هنالك وجعل انتجاع ابله ورواحلته لحسان بن أبى سعيد الصبيحى وأخيه موسى من ذويهم وحاشيتهم وألطف منزلة عبد الله ورفع مكانه بمجلسه واكتفى به فى كثير من أموره وأوفده على المستنصر صاحب افريقية سنة ثمان وستين مع عامر بن أخيه ادريس كما قدمناه واستقر بنو كندوز هؤلاء بالمغرب الاقصى واستمرت الايام على ذلك وصاروا من جملة قبائل بنى مرين وعدادهم وهلك عبد الله بن كندوز وصارت رياستهم لعمر ابنه من بعده ولما ألقت السلطان يوسف بن يعقوب بعزائمه الى بنى عبد الواد ونازل تلمسان وطاول حصارها واستطال بنو مرين وذووهم على بنى عبد الواد وأحسوا بهم أخذتهم العزة بالاثم وأدركتهم النعرة فأجمع بنو كندوز هؤلاء الخلاف والخروج على السلطان

ولحقوا بجاحة سنة ثلاث وسبعمائة واحتفل الامير عراكس يعيش بن يعقوب لغزوهم سنة أربع وسبعمائة فناجزوه الحرب بتادرت واستمروا على خلافهم ثم قاتلهم يعيش وعساكره ثانية بتامطريت سنة أربع فهزمهم الهزيمة الكبرى التي قصت جناحهم وأوهت من رياستهم وقتل جماعة من بني عبد الواد بازعار دتاكما وأثخن يعيش بن يعقوب في بلاد السوس وهدم تارودانت قاعدة أرضها وأم قراها كان بها عبد الرحمن ابن الحسن بن يدر بقية الامراء على السوس من قبل عبد المؤمن وقد مر ذكرهم وكانت بينه وبين عرب المعقل من الشبانات وبني حسان منذ انقرضت دولة الموحدين حرب سجال هلك في بعضها أعمه علي بن يدر سنة ثمان وستين وصارت امارته بعد حين الى عبد الرحمن هذا ولم يزل الوافي حربه الى أن تملك السوس يعيش بن يعقوب وهدم تارودانت قاعدة أرضها ثم راجع عبد الرحمن أمره وبني بلده تارودانت هذه سنة ست بعدها ويزعم بنو يدر هؤلاء انهم مستقرون بذلك القصر من لدن عهد الطوالع من العرب وانهم لم يزالوا أمراء به تعقد لهم ولايته كابرا عن كابر ولقد أدركت على عهد السلطان أبي عنان وأخيه أبي سالم من بعده شيخا كبيرا من ولد عبد الرحمن فحدثني بمثل ذلك وانهم من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه والله أعلم ولم يزل بنو كندوز مشردين بصحراء السوس الى أن هلك السلطان وراجعوا اطاعة الملوك من بني مرين من بعده وعفوا لهم عما سلف من هذه الجريمة وأعادوهم الى مكانهم من الولاية فأمحضوا النصيحة والمخالصة الى هذا العهد كما سنذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن مهلك المشيخة من المصامدة بتلبيس أبي الملياني)

قد ذكرنا شأن أبي علي الملياني وأوليته في أخبار مغراوة الثانية وما كان من ثورته بمليانة وانتزائه عليها ثم ازعاج العسكر اياه منها ولحاقه بيعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين وما أحله من مراتب التكرمة والمبرة وأقطعه بلد أغمات طعمة فاستقر بها وما كان منه في العبث بأشلاء الموحدين ونبش أجداثهم وموجدة السلطان والناس عليه وأرصدله المصامدة الغوائل لما كان منه في ذلك ولما هلك يعقوب بن عبد الحق استعمله يوسف بن يعقوب على جباية المصامدة فلم يضطلع بها وسعى به مشيختهم عند السلطان انه احتجر المال لنفسه وحاسبوه فصدقوه السعاية فاعتقله السلطان وأقصاه وهلك سنة ست وثمانين واصطنع السلطان أحمد ابن أخيه واستعمله في كتابته وأقام على ذلك بنابه في جلته وكان السلطان سخط على مشيخة المصامدة علي بن محمد كبير هنتاتة وعبد الكريم بن عيسى كبير كرمتة وأوعز الى ابنه الامير علي عراكس باعتقالهما فاعتقلهما ومن لهما من الولد والحاشية وأحس بذلك أحمد بن الملياني فاستعجل الثار وكانت

العلامة السلطانية على الكتاب فى الدولة لم تختص بكاتب واحد بل كل منهم يضع العلامة بخطه على كتابه اذا أكمله لما كانوا كلهم ثقاتا امناء وكانوا عند السلطان كاسنان المشط فكتب أحمد بن الملياني الى ابن السلطان الامير بمراكش سنة سبع وتسعين كتابا عن أمر أبيه بأمره فيه بقتل مشيخة المصامدة ولا يمهلهم طرفة عين ووضع عليها العلامة التى تنفذ الاوامر وختم الكتاب وبعث به مع البريد ونجا بنفسه الى البلد الجديد وعجب الناس بشأنه ولما وصل الكتاب الى ابن السلطان بمراكش أخرج أولئك الرهط المعتقلين من المصامدة الى مصارعهم وقتل على بن محمد وولده وعبد الكريم بن عيسى وولده عيسى وعلى ومنصور وابن أخيه عبد العزيز وطير الامير بزبره الى أبيه بالخبر فقتله حنقا عليه وأنفذ البريد باعتقال ابنه وجرد على ابن الملياني ففقد ولحق بتلمسان ونزل على آل زيان ثم لحق من بعدها بالاندلس عند افراج السلطان عنها فى تلك السنة كما ذكرناه وبها هلك واقتصر السلطان من يومئذ فى علامته على من يختاره من صنائعه ويثق بأمانته وجعلها لذلك العهد لعبد الله بن أبى مدين خالصته المضطلع بأمور مملكته فاختصت من بعده لهذا العهد والله تعالى أعلم

كان السلطان يعقوب فى صباه مؤثرا اللذاته ومستترا بها عن أبيه يعقوب بن عبد الحق لمكانه من الدين والوقار وكان يشرب الخمر ويعاقر بها الندمان وكان خلفة بن وقاصة من اليهود المعاهدين بفاس قهرمانا بالداره على عادة الامراء فى مثله من المعاهدين فكان يزدلف اليه بوجوه الخدم ومذاهبها فاستعمله هذا الامير فى اعتصارها والقيام على شؤنها فكانت له بذلك خلوة منه أوجبت له الحظ عنده حتى اذا هلك يعقوب بن عبد الحق واستقل ابنه يوسف باعباء ملكه واتصلت خلواته فى معاقرة الندمان وانفرد ابن وقاصة بخلوته لذلك مع ما كان من القهرمة عظمت رياسته وعلا كعبه فى الدولة وتلقى الخاصة الاوامر منه فصار له الوجه بينهم وعظم قدره بنظم الدولة (أخبرنى) شيخى الابلى قال وكان لخليفة هذا أخ يسمى ابراهيم وابن عم يسمى خليفة الصغير لمكانه هو من هذا الاسم وكان لهم صهر يعرفون ببنى السبتى كبيرهم موسى وكان رديفه فى قهرمته فلم يفق السلطان من نشوة صباه ولهاه حتى وجدهم على حال استعوانها امله من القبيل والوزراء والشرفاء والعلماء فأهمه ذلك وترصدهم وتفطن عذهه فيهم خالصته عبد الله بن أبى مدين فسعى عنده فيهم وأوجده السبيل عليهم فسطا بهم سطوة واحدة واعتقلوا فى شعبان من سنة احدى وسبعمائة بعسكره من حصار تلمسان وقتل خليفة الكبير وأخوه ابراهيم وموسى بن السبتى واخوته بعد أن امتحنوا ومثل

بهم وأتت النكبة على حاشيتهم وذويهم وأقاربهم فلم تبق منهم باقية واستبقى منهم خلفة الاصغر احتقار الشأنه حتى كان من قتله بعد ماذكر وعبث بسائرهم وطهرت الدولة من رجسهم وأزيل منها معرة رياستهم والامور بيد الله سبحانه

(الخبر عن مهلك السلطان أبي يعقوب)

كان في جملة السلطان وحاشيته مولى من العبيد الخصيان من موالى أبي الملياني يسمى سعادة صار الى السلطان من لدن استعماله اياه بمراكش وكان شيخا من الجهل والغباوة بمكان وكان السلطان يخلط الخصيان بأهله ويكشف لهم الحجاب عن ذوات محارمه ولما كانت واقعة العزمولاه واتهم عداخله بعض الحرم وقتل بالظنة واستراب السلطان بكثير من حاشيته الملابسين لداره اعتقل جملة من الخصيان كان فيهم عنبر الكبير عريفهم وحجب سائرهم فارتاعوا لذلك وسولت لهذا الخصي الخبيث نفسه الشيطانية الفتك بالسلطان فعمد اليه وهو في بعض الحجر من قصره وآذنه فأذن له فألفاه مستلقيا على فراشه مختضبا بالحناء فوثب عليه وطعنه طعنات قطع بها امعاءه وخرج هاربا وانطلق بعض الاولياء في اثره فأدركه من العشي بناحية تاسلة فتقبض عليه وسيق الى القصر فقتله العبيد والحاشية وصابر السلطان ميتته الى آخر النهار ثم قضى رحمه الله يوم الاربعاء سابع ذي القعدة من سنة ست وقبر هنالك ثم نقل بعد ماسكنت الهيعة الى مقبرتهم بشالة فدفن بجامع سلفه والبقاء لله وحده

(الخبر عن ولاية السلطان أبي ثابت)

كان الامير أبو عامر بن السلطان أبي يعقوب وولى عهده لما هلك طريدا ببلاد بني سعيد بغمارة والريف سنة ثمان وتسعين كما ذكرنا خلف ولديه عامرا وسليمان في كفالة السلطان جدهما فكان لهما بعينه حلاوة وفي قلبه لوطة لمكان حبه فيهما واغترابه عنه فحدب عليهما وآثرهما من نفسه بمكان وكان الامير أبو ثابت عامر أصغر قومه اقداما وشجاعة وجراءة وكانت له في بني ورتاجن خؤلة فلحين مهلك السلطان عرضواله ودعوه للبيعة فبايعوه وحضر لها الامير أبو يحيى بن يعقوب عم أبيه عز يجتمعهم اتفاقا وحملوه على الطاعة وكان أقرب للامر منه لو حضره رجال فأعطى القياد في المساعدة وطوى على البث وبادر الحاشية والوزراء بالبلد الجديد عند مهلك السلطان فبايعوا ابنه الامير أبا سالم وكاد أمر بني مرين أن يفترق وكلمتهم أن تفسد فبعث الامير أبو ثابت لحينه الى تلمسان للامير أبي زيان وأبي حمو ابني عثمان بن يغمراسن وعقد لهما حلفا على الافراج عنهم ثم أمره أن يمده بالآلة ويرفعاله كسر البيت ان كان غير ما أمل وحضر للعقد أبو حمو فأحكمه ومال أكثر بني مرين وأهل الحل والعقد الى الامير أبي ثابت وتفرد

بيعة أبي سالم البطانة والوزراء والحاشية والاجناد ومن لافهم أركان البلد الجديد
مسكنه وأشاروا عليه بالمبادرة فخرج وقد عبى كتائبه فوقف وتهيب ونكل عن اللقاء
ووعدهم الاقدام بالغداة وكر راجعا الى قصره فتبينوا منه وتسللوا أفذاذا الى الامير
أبي ثابت وهو بمرقب من الجبل مطل عليهم حتى اذا أصبح أبو سالم بالبلد انفض اليه
الجملة دفعة واحدة فلما استوفت القبائل والعساكر لديه زحف الى البلد الجديد مثوى
السلطان وسما لتسوره وتخطى عزمه وانتهى الى ساحتها مقتحما الفرصة وخرج اليه
أبو زيد يخلف بن عمران الفودودي فأرجل عن فرسه بأمر أبي يحيى وقتل بين يديه
قعصا بالرماح وكان قريب عهد بالوزارة استوزره السلطان قبيل مهلكه في
شعبان من سنة ست وفر أبو سالم الى جهة المغرب وصحبه من عشيره من أولاد رحو
ابن عبد الله بن عبد الحق العباس وعيسى وعلي ابنا رحو وابن أخيهم جمال الدين بن
موسى وأتبعهم الامير أبو ثابت شرذمة من عسكره أدركوهم بتدرومة فتقبضوا
عليهم ونفذ أمر السلطان بقتل أبي سالم وجمال الدين واستبقى الآخرين وأمر
باحراق باب البلد ليقتحمها العسكر فأطل عليهم قهرمان دارهم عبد الله بن أبي مدين
الكاتب وأخبره بفرار أبي سالم وباتفاق الناس على طاعته ورغب اليه في المسالمة
ليلتهم حتى يتغير الصباح خشية على دارهم من معرة العساكر وهجومه ففعل وأمره
الامير أبو يحيى باعتقال أبي الحجاج ابن تقاولة فاعتقله لقديم من العداوة كان بينهما
ثم أمر بقتله وانفاذ رأسه فقتل وأمر السلطان ليلتئذ باضرام النيران حتى اذا أضاء
الظلام وبات راكبا ودخل القصر لصبحه فوارى جسده بعد أن صلى عليه وغمص بمكان
الامير أبي يحيى لما تمد به الترشيح وفاوض في شأنه كبير القرابة يومئذ عبد الحق بن
عثمان بن الامير أبي يفرن محمد بن عبد الحق ومن حضر من الوزراء مثل ابراهيم بن عبد
الجليل الونكاسي وابراهيم بن عيسى اليرنياني وغيرهما من الخاصة فأشاروا بقتله
ونميت عنه كلمات في معنى التربص بالسلطان ودولته وابتغاء العصابة لامره وركب
الامير أبو يحيى الى القصر ثالث البيعة فأخذ السلطان بيده ودخل معه الى الحرم
لعزائهن عن أخيه السلطان ثم خرج على الخاصة وتخلف عنه السلطان وقد دس الى
عبد الحق بن عثمان أن يتقبض عليه ففعل ثم برز السلطان اليهم وهو موثق بأمر
بالاجهاز عليه ولم يمهله وألحق به يومئذ وزيره عيسى بن موسى الفودودي وفشا الخبر
بمهلك هؤلاء الرهط فرهب منه القرابة وفر يعيش بن يعقوب أخو السلطان وابنه عثمان
المعروف بأمه تفسيت ورحو بن الامير أبي مالك والعباس بن رحو بن عبد الله بن
عبد الحق ولحقوا جميعا بعثمان بن أبي العلاء بمكانه من غمارة وخلا الجو من المرشحين

واستبد

واستبد السلطان بملك قومه وأمن غوائل المنازعين ولما تم له الامر واستوسق أمر الملك وفى لبنى عثمان بن يغمراسن بالافراج عنهم ونزل لهم عن جميع البلاد التى صارت الى طاعته من بلاد المغرب الاوسط من أعمالهم وأعمال بنى توجين ومغراوة ودعاه الى بدار المغرب ما كان من اختلال عثمان بن أبى العلاء بن عبد الله بن عبد الحق بسبتة ودعائه لنفسه بين يدى مهلك السلطان وخروجه الى بلاد غمارة واستيلائه على قصر كتامة فاعتزم على الرحلة الى المغرب وفوض الامر فى الرحلة بأهل المدينة الجديدة للوزير ابراهيم بن عبد السلام لما كانت حينئذ غاصة بالساكن مستبحرة فى الاعتمار ممتلئة من الخرثى والآلة فأحسن السياسة فى أمرهم وضرب لهم الآجال والمواعيد الى أن استوفوا الرحلة وتركوها فاقوا خربها بنو عثمان بن يغمراسن عند رحلة بنى مرين الى المغرب وتحمنوا الذلك نترات الفتن فطمسوا معالمها طمسا ونسفوها نسفا وقدم السلطان بين يديه من قرابته الحسن بن عامر بن عبد الحق الفجون فى العساكر والجنود وعقد له على حرب ابن أبى العلاء وتلوم بالبلد الجديد لموافاة المسالح التى كانت بثغور المشرق ولما نزل عنها جميعا لبنى عثمان بن يغمراسن ارتحل غرة ذى الحجة ودخل فاس فاتح سبع وسبعمائة والله أعلم

لما فصل أبو ثابت عن معسكرهم بتلمسان الى المغرب قدم بين يديه من قرابته الحسن ابن عامر بن عبد الحق الفجون ابن السلطان فى العساكر والجنود وعقد له على حرب عثمان بن أبى العلاء كما ذكرناه وعقد على بلاد مراكش ونواحيها لابن عمه الآخر يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد الحق وعهد له بالنظر فى أحوالها فصعد اليها واحتمل بها ثم حدثته نفسه بالانتزاء فقتل الوالى بمراكش واستركب واستلحق واتخذ الآلة وجاهر بالعصيان وتقبض على والى البلد فقتله بالسوط فى جمادى سنة سبع وسبعمائة ودعا لنفسه واتصل الخبر بالسلطان لاول قدومه فسرح اليه وزيره يوسف ابن عيسى بن السعود الجشمى ويعقوب بن اصناك فى خمسة آلاف من عساكره ودفعهم الى حربه وخرج فى اثرهم بكتائبه وبرز يوسف بن أبى عياد وأجاز وأمام الربيع فانهزم أمام الوزير وعساكره واتبعه الوزير ففر الى اغمات ثم فر الى جبال هسكورة ولحق به موسى بن سعيد الصبيحى من أغمات تدلى من سورها ودخل الوزير يوسف الى مراكش ثم خرج اثره ولحقه فكانت بينهما جولة وقتل منهم خلق ولحق بهسكورة ودخل السلطان أبو ثابت مراكش منتصف رجب من سنة سبع وأمر بقتل أوربة المداخلة كانوا له فى انتزائه فاستلحموا ولما لحق يوسف بن أبى عياد بجبال

بياض بالاصل

عسكوره ونزل على مخلوف بن هنو اوتذمم بجواره فلم يجره على السلطان وتقبض عليه واقتاده الى مراكش مع ثمانية من أصحابه تولوا كبر ذلك الامر فقتلوا في مصرع واحد بعد ان مثل بهم السلطان بالسياط وبعث رأس يوسف الى فاس فنصب بسورها وأثخن القتل فيمن سواهم ممن داخله في الانتزاء فاستلحم منهم أمم عراكش وأعمالها وسخط خلال ذلك وزيره ابراهيم بن عبد الجليل فاعتقله واعتقل عشيره من بني دولين ومن بني ومكاسن وقتل الحسن بن دولين منهم ثم عفا عنهم وخرج منتصف شعبان الى منازلة السكسيوى وتدويخ جهات مراكش فتلقاه السكسيوى بطاعته المعروفة وأسنى الهدية فتقبل طاعته وخدمته ثم سرح قائده يعقوب بن آمشاد في اتباع زكنة حتى توغل في بلاد السوس ففروا أمامه الى الرمال وانقطع أثرهم ورجع الى معسكر السلطان وانكفأ السلطان بعساكره الى مراكش فاحتل بها غرة رمضان ثم قفل الى فاس بعد أن قتل جماعة من بني ورا وجعل طريقه في بلاد صنهاجة وسار في بلاد تامسنا وتلقاه عرب جشم من قبائل الخلط وسفيان وبني جابر والعاصم فاستصحبهم الى آنفا وتقبض على ستين من أشياخهم فاستلحم منهم عشر بن نمن نمى عنه افساد السابلة ودخل رباط الفتح أخريات رمضان فقتل هنالك من الاعراب أمة ممن تزرعه الحرابة ثم ارتحل منتصف شوال لغزو رياح أهل آزغار والهبط وأثار بالاحن القديمة فأثخن فيهم بالقتل والسبي وقفل الى فاس فاحتل بها منتصف ذي القعدة وبلغه الخبر بهزيمة عبد الحق بن عثمان واستلحام الروم من عساكره ومهلك عبد الواحد الفودودي من رجالات دولته وأن عثمان بن أبي العلاء قد استفحل أمره بجهات غمارة فأجمع لغزوه والله أعلم

الخبر عن غزاة السلطان لمدافعة عثمان بن أبي العلاء ببلاد الهبط ومهلكه بطنجة بعد ظهوره

لما هلك الرئيس أبو سعيد فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر سبتة سنة خمس وسبعمائة وأقام بها الدعوة لابن عمه المخلوع محمد بن محمد الفقيه ابن محمد الشيخ بن يوسف بن نصر كما ذكرناه وأجاز معه رئيس الغزاة المجاهدين بمحل امارته من مالقة عثمان بن أبي العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق من أعياص هذا البيت كان مرشحا للملك فيهم واستقدمه معه ليفرق به الكلمة في المغرب بفتنة الدولة مدافعة عن سبتة لما كان هاج السلطان قومه فأخذها واستقام ملكها وطمع عثمان في ملك المغرب بامدادهم ومظاهرتهم وسولت له نفسه ذلك فخرج من سبتة وولى على جيش الغزاة بعده عمر ابن عمه رحو بن عبد الله ونجم في بلاد غمارة فدعا لنفسه وأجابته القبائل

منهم واحتل بحصن علودان من أمنع معاقلهم و بايعوه على الموت ثم نهض الى أصيلا والعرايش فغلب عليهما واتصل ذلك كله بالسلطان الهالك أبى يعقوب فلم يحركه استهانة بأمرهم وبعث ابنه أبا سالم بالعساكر فنازل سبتة أياما ثم أقلع عنها وبعث بعده أخاه يعيش بن يعقوب وأنزله طنجة وجرمعه الكتائب وجعلها ثغرا وزحف اليه عثمان بن أبى العلاء فتأخر عن طنجة الى القصر ثم اتبعه فخرج اليه أهل القصر فرسانا ورجالا ورماة مع يعيش فوصلوا الى وادى وراء ثم انهزموا الى البلد ومات عمر بن ياسين ونزل عثمان عليهم القصر أياما ثم دخله من غده ثم كان مهلك السلطان وفر يعيش بن يعقوب خيفة من أبى ثابت فلحق بعثمان بن أبى العلاء واستقام أمره بتلك الجهات برهة وكان السلطان أبو ثابت لما احتل بالمغرب شغله ما كان من انتزاء يوسف بن ابى عياد بمراكش كما قدمناه فعقد على حرب عثمان بن أبى العلاء مكان عمه يعيش بن يعقوب لعبد الحق ابن عثمان بن محمد بن عبد الحق من رجالات بيته فزحف اليه ونهض عثمان الى لقائه منتصف ذى الحجة سنة سبع فهزمه واستلحم من كان معه من جند الروم وهلك فى تلك الوقعة عبد الواحد الفودودى من رجالات السلطان المرشحين ردفاء الوزارة وسار عثمان الى قصر كتامة فنزله واستولى على جهاته وعلى تفيئة ذلك كان رجوع السلطان من غزاة مراكش وقد حسم الداء ومحا أثر النفاق فاعتزم على الحركة الى بلاد غمارة ليمحو منها أثر دعوة ابن أبى العلاء التى كادت تلج عليه ممالكه بالمغرب ويرده على عقبه ويستخلص سبتة من يد ابن الاحمر لما صارت ركابا لمن يروم الانتزاء والخروج من القرابة والاعياص المستقرين وراء البحر غزاة فى سبيل الله فنهض من فاس منتصف ذى الحجة من سنة سبع ولما انتهى الى قصر كتامة تلوم به ثلاثا حتى توافت عساكره وحشوده وكمل اعتراضها وفر عثمان بن أبى العلاء أمامه وارتحل السلطان فى اتباعه فنازل حصن علودان واقتحمه عنوة واستلحم به زهاء أربعمائة ثم نازل بلد الدمنة واقتحمها وأثخن فيها قتلا وسبيا لتمسكهم بطاعة ابن أبى العلاء ومظاهرتهم له ثم كبس القصر واستباحه ثم ارتحل الى طنجة واحتل بها وأغزة عثمان واشجر ابن أبى العلاء بسبتة مع أوليائه وسرح السلطان عساكره فتفرقت نواحى سبتة بالاكتساح والغارة وأمر باختطاط المدينة تطاوين لنزول معسكره والاخذ بمخنق سبتة وأوفد كبير الفقهاء بمجلسه أبا يحيى بن أبى الصبر اليهم فى شأن النزول له عن البلد وفى خلال ذلك اعتل السلطان فمرض وقضى أياما قلائل وهلك فى ثامن صفر من سنته ودفن بظاهر طنجة ثم حمل شلوه بعد أيام الى مدفن آبائه بشالة فووري هنالك رحمة الله عليه وعليهم

(الخبر عن دولة السلطان أبى الربيع وما كان فيها من الاحداث)

لما هلك السلطان أبو ثابت تصدى للقيام بالامر عمه على بن السلطان أبى يعقوب المعروف بأمه رزيكة وخلص الملأ من بنى مرين أهل الحل والعقد الى أخيه الربيع فبايعوه وتقبض على عمه على بن رزيكة المستام للامرة فاعتقله بطنجة الى أن هلك بها سنة عشر لجادى وبث العطاء فى الناس وأجزل وارتحل نحو فاس واتبعه عثمان بن أبى العلاء فى جيش كثيف ونيته وقد دربه العسكر فأيقنا والتحم وواقاهم على الظهر بساحة علودان فنادوهم الحرب وكانت الدائرة على عثمان وقومه وتقبض على ولده وكثير من عساكره وأثخن أولياء السلطان فيهم بالقتل والسبى وكان الظهور الذى لا كفاء له ووصل أبو يحيى بن أبى الصبر الى الاندلس وقد أحكم عقدة الصلح وقد كان ابن الاحمر حياء للقاء السلطان أبى ثابت ووصل الى الجزيرة الخضراء فأدركه خبره بهلكه فتوقف عن الجواز وأجازا بن أبى الصبر باحكام الموافاة واجتاز عثمان بن أبى العلاء الى العدوة فيمن معه من القرابة فلحق بغرناطة وأغذ السلطان السير الى حضرته فدخل فاس آخر بيع من سنة ثمان واستقامت الامور وتمهد الملك وعقد السلم مع صاحب تلمسان موسى بن عثمان بن يغمراسن وأقام وادعا بحضرته وكانت أيامه خير أيام هدنة وسكونا وترفا لاهل الدولة وفى أيامه تغالى الناس فى أثمان العقار فبلغت قيمها فوق المعتاد حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين وتنافس الناس فى البناء فعالوا الصروح واتخذوا القصور المشيدة بالصخر والرخام وزخرفوها بالزليج والنقوش وتناغوا فى لبس الحرير وركوب الفاره وأكل الطيب واقتناء الحلى من الذهب والفضة واستبحر العمران وظهرت الزينة والترف والسلطان وادع بداره متمل أريكته الى أن هلك كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

كان أبو شعيب بن مخلوف من بنى أبى عثمان من قبائل كتامة المجاورين للقصر الكبير وكان منتحلا للدين ومشتهرا به ولما أجلب بنو مرين على المغرب وبالوا فى بسائطه وتغلبوا على ضواحيه صحب البر منهم البر والفاجر من أهل مثله وكان بنو عبد الحق قد تخيروا لابى شعيب هذا فيمن تخيروه للصحابة من أهل الدين فكان امام صلاتهم وكان يعقوب بن عبد الحق أشدهم صحابة له وأوفاهم به ذماما فاتصل به حبله واتصلت صحابته وعظم فى الدولة قدره وانبسط بين الناس جاه ولده وأقاربه وحاشيته وربى بنو شعيب هذا عبد الله ومحمد المعروف بالحاج وأبو القاسم ومن بعدهم من اخوتهم بقصر كتامة فى جو ذلك الجاه وهلك السلطان يعقوب بن عبد الحق فاستخلصهم يوسف بن عبد الحق لخدمته واستعملهم على مختصاته ثم ترقى بهم فى رتبة خدمته واستصنعه درجة بعد

أهل سبتة زمرض قلوبهم من ولاية الاندلسيين وسوء ملكتهم ودس اليه بعض أشياعه بالبلد بمثل ذلك فأغرى صنيعته تاشفين بن يعقوب الوطاسي أخا وزيره في عساكر ضخمة من بني مرين وسائر الطبقات من الجند وأوعز اليه بالتقدم الى سبتة ومنازلتها فأغذ اليها السير ونزل بساحتها ولما أحس به أهل البلد ثمت وتنادوا بشعارهم وثاروا على من كان بينهم من قواد ابن الاحمر وعماله وأخرجوا منها حاميته وجنوده واقتحمها العساكر واحتل بها تاشفين بن يعقوب عاشر صفر من سنة تسع وطير بالخبر الى السلطان فعم السرور وعظم الفرح وتقبض على قائد القصبة أبي زكريا يحيى بن مليله وعلى قائد البحر أبي الحسن بن كماشة وعلى قائد الحروب بها من الاعياص عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق كان صاحب الاندلس عقد له مكان ابن عمه عثمان بن أبي العلاء عند اجازته البحر الى الجهاد كما ذكرناه وكتب الى السلطان بالفتح وأوفد عليه الملأ من مشيخة أهل سبتة وأهل الشورى وبلغ الخبر الى ابن الاحمر فارتاع لذلك وخشي عادية السلطان وجيوش المغرب حين انتهوا الى الفرضة وقد كان الطاغية في تلك الايام نازل الجزيرة الخضراء وأقلع عنها على الصلح بعد أن أذاقها من الحصار شدة وبعد أن نازل جبل الفتح فتغلب عليه وانهزم زعيم من زعمائه يعرف بالمش بريس هزمه أبو يحيى بن عبد الله بن أبي العلاء صاحب الجيش عالقة لقيه وهو يجوس خلال البلاد بعد تملك الجبل فهزم النصارى وقتل أبرح وأهم المسلمين شأن الجبل فبادر السلطان أبو الجيوش بانفاذ رسله راغبين في السلم خاطبين للولاية وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورندة وحصونها ترغيبا للسلطان في الجهاد فتقبل منه السلطان وعقد له السلم على ما رغب وأصهر اليه في أخته فأنكحه اياها وبعث بالمدد للجهاد أموالا وخيولا جنائب مع عثمان بن عيسى اليرنياني واتصلت بينهما الولاية الى مهلك السلطان والبقاء لله وحده

{ الخبر عن بيعة عبد الحق بن عثمان بممالأة الوزير
والمشيخة وظهور السلطان عليهم ثم مهلكه باثر ذلك }

كانت رسل ابن الاحمر خلال هذه المهادنة والمكاتبات تختلف الى باب السلطان ووصل منهم في بعض أحيانها خلف من مترفيهم مجاهر بالكبائر فكشف صفحة وجهه في معاقرة الخمر والادمان عليه وكان السلطان منذ شهر جمادى الاولى سنة تسع قد عزل القاضي بفاس أبا غالب المغيلي وعهد باحكام القضاء لشيخ الفتيا المذكور بها أبي الحسن الملقب بالصغير وكان على نهج من تغيير المنكرات والتعسف فيها حتى لقد كان مطاوعا في ذلك وسواس الدين الاعجمي ومتجاوزا به الحدود المتعارفة بين أهل الشريعة

فى سائر الامصار وأحضر عنده ذات يوم هذا الرسول بملا وحضر العدول فاسترجوه ثم أمضى حكم الله فيه وأقام عليه الحد وأضرمته هذه الموجدة فاضطرم تغيظا وتعرض للوزير رحو بن يعقوب الوطاسى منصرفه من دار السلطان فى موكبه وكشف عن ظهره بورية السياط ونعى عليهم سوء هذا المرتكب مع الرسل فبرم لذلك الوزير وأدركته الحفيظة وسرح وزعته وحشمه فى احضار القاضى على أسوإ الحالات من التنكيل والتل لذقنه فضو التلك الوجهة واعتصم القاضى بالمسجد الجامع ونادى المسلمين فثارت العامة فيهم ومرج أمر الناس واتصل الخبر بالسلطان فتلافاه بالبعث فى أولئك النفر من وزعة الوزير وضرب أعناقهم وجعلهم عظة لمن وراءهم فأسرها الوزير فى نفسه وداخل الحسن بن على بن أبى الطلاق من بنى عسكر بن محمد شيخ بنى مرين والمسلم له فى شوارهم وقائد الروم عنصالة المنفرد برياسة العسكر وشوكته وكان لهم بالوزير اختصاص آثروه له على سلطانه فدعاهم لبيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق كبير القرابة وأسد الاعياص وخلع طاعة السلطان فأجابوه وبايعوا له وتم أمرهم نجيا ثم خرج عاشر جمادى من سنة عشر الى ظاهر البلد الجديد بمكان

وجاهروا بالخلعان وأقاموا الآلة وبايعوا سلطانهم عبد الحق على عيون الملا وعسكروا بالعدوة القصوى من سبو تازى وخرج السلطان فى اثرهم فعسكر بسبو وتلوم لاعتراض العساكر وازاحة العلل واحتل القوم برباط تازى وأوفدوا على موسى ابن عثمان بن يغمراسن سلطان بنى عبد الواد يدعونه الى المظاهرة واتصال اليد والمدد بالعساكر والاموال جنوحا الى التى هى آثر لديه من تفريق كلمة عدوه فتثاقل عن ذلك لمكان السلم الذى عقد له السلطان مداول الدولة ولتستبين سبيل القوم وقدم السلطان بين يديه يوسف بن عيسى الجشمى وعمر بن موسى الفودودى فى جموع كتيبة من بنى مرين وسار فى ساقتهم فانكشف القوم عن تازى ولحقوا بتلمسان مرخا وجد السلطان مغبة تثاقله عن نصرهم ووجد بها الحجة عليهم اذ غاية مظاهرته اياهم أن يملكهم تازى وقد انكشفوا عنها فيئسوا من صريخه وأجاز عبد الحق بن عثمان ورحو بن يعقوب الى الاندلس فأقام رحو بها الى أن قتله أولاد ابن أبى العلاء ورجع الحسن بن على الى مكانه من مجلس السلطان بعد أن اقتضى عهده بالامان على ذلك ولما احتل السلطان بتازى حسم الداء ومحا أثر الشقاق وأثخن فى حاشية الخوارج وذويهم بالقتل والسبى ثم اعتل أثناء ذلك وهلك لليال من اعتلاله سلخ جمادى الاخيرة من سنة عشر ووورى بصحن الجامع الاعظم من تازى وبويع السلطان أبو سعيد كما نذكره ان شاء الله

(الخبر عن دولة السلطان أبى سعيد وما كان فيها من الاحداث)

لما هلك السلطان أبو الربيع بتازى تطاول للامر عمه عثمان بن السلطان أبى يعقوب المعروف بأمه قضنيت واستام المنصب وأسدى فى ذلك وألحم وحضر الوزراء والمشيخة بالقصر بعد هدء من الليل واستشاروا شيخ القرابة يومئذ وكبير الاعياص المرشحين وسرحت اليهم الاموال وجاءهم عثمان بن السلطان أبى يعقوب مستاما فزجروه واستدعوا السلطان أبا سعيد فحضر وبايعوه للتنفذ وأنفذ كتبه الى النواحى والجهات باقتضاء البيعة وسرح ابنه الاكبر الامير أبا الحسن الى فاس فدخلها غرة رجب من سنة عشر ودخل القصر واطلع على أمواله وذخيرته وفى غد ليلته أخذت البيعة للسلطان بظاهر تازى على بنى مرين وسائر زناتة والعرب والقبائل والعساكر والحاشية والموالى والصنائع والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء فقام بالامر واستوسق له الملك وفرق الاعطيات وأسنى الجوائز وتفقد الدواوين ورفع الظلامات وحط المغارم والمكوس وسرح المسجون ورفع عن أهل فاس وظيفة الرباع وارتحل لعشرين من رجب الى حضرته فاحتل بفاس وقدم عليه وفود التهنئة من جميع بلاد المغرب ثم خرج لذى القعدة بعدها الى رباط الفتح لتفقد الاحوال والنظر فى أحوال الرعايا واهتم بالجهاد وأنشأ الاساطيل للغزو فى سبيل الله ولما قضى منسك الاضحى بعده رجع الى حضرته بفاس ثم عقد سنة احدى عشرة لاخيه الامير أبى البقاء يعيش على ثغور الاندلس الجزيرة ورندة وما اليها من الحصون ثم نهض من المنصورة سنة ثلاث عشرة الى مراكش لما كان بها من اختلال الاحوال وخروج عدى بن هنو الهسكورى ونقضه للطاعة فنازله وحاصره مدة واقتحم حصنه عنوة عليه وحمله الى دار ملكه عنوة فأودعه المطبق ثم رجع الى غزو تلمسان والله أعلم

(الخبر عن حركة السلطان أبى سعيد الى تلمسان أولى حركاته اليها)

لما خرج عبد الحق بن عثمان على السلطان ابى الربيع وتغلب على تازى بمظاهرة الحسن ابن على بن أبى الطلاق كبير بنى عسكر واختلف رسلهم الى أبى حمو موسى بن عثمان سلطان بنى عبد الواد استفذلك بنى مرين وحركهم احنهم ولما لحق الخارجون على الدولة بالسلطان أبى حمو واقبل عليهم أضرم ذلك حقد بنى مرين وولى السلطان أبو سعيد الامر وفى أنفسهم من بنى عبد الواد غصة فلما استوسق أمر السلطان ودوخ الجهات المراكشية وعقد على البلاد الاندلسية وفرغ من شأن المغرب اعتزم على غزو تلمسان فنهض اليه سنة أربع عشرة ولما انتهى الى وادى ملوية قدم ابنيه أبا الحسن وأبا على فى عسكرين عظيمين فى الجناحين وسار فى ساقتهما ودخل بلاد بنى عبد الواد على هذه التعبية فاكتسح نواحيها واصطلم نعمها ونازل وجدة فقاتلها قتالا شديدا وامتنعت

عليه ثم نهض الى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها وانحجر موسى بن عثمان من وراء أسوارها وغلب على معاقلها ورعاياها وسائر ضواحيها فخطمها احطما ونسف جهاتها نسفا ودوخ جبال بنى يزناسن وفتح معاقلها وأثخن فيها وانتهى الى وجدة وكان معه فى معسكره أخوه يعيش بن يعقوب وقد أدركته بعض استرابة بأمره ففر الى تلمسان ونزل على أبى حمو ورجع السلطان على تعبيته الى تازى فأقام بها وبعث ابنه الامير أبا على الى فاس فكان من خروجه على ابيه مانذكر ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض الامير أبى على وما كان بينه وبين أبيه من الواقعات)

كان للسلطان أبى سعيد اثنان من الولد أكبرهما لامته الحبشية وهو على والاصغر لمملوكة من سبى النصارى وهو عمر وكان هذا الاصغر آثرهما لديه وأعلقهما بقلبه منذ نشأ فكان عليه حدبا وبه مشغوفا ولما استولى على ملك المغرب رشحه بولاية عهده وهو شاب لم يطر شاربه ووضع له ألقاب الامارة وصير معه الجلساء والخاصة والكاتب وأمره باتخاذ العلامة فى كتبه وعقد على وزارته لابراهيم بن عيسى اليرنيانى من صنائع دولتهم وكبار المرشحين بها ولما رآه أخوه الاكبر أبو الحسن صاغية أبيه اليه وكان شديد البر بوالديه انحاش اليه وصار فى جملته وخالط نفسه بحاشيته طاعة لابيه واستمرت حال الامير أبى على على هذا وخاطبه الملوك من النواحى وخاطبهم وهادوه وعقد الرايات وأثبت فى الديوان ومحا وزاد فى العطاء ونقص وكاد أن يستبد ولما قفل السلطان أبو سعيد من غزاته الى تلمسان سنة أربع عشرة أقام بتازى وبعث ولده الى فاس فلما استقر الامير أبو على بفاس حدثته نفسه بالاستبداد على أبيه وخلعه وراوضه المداخلون له فى المكر بالسلطان حتى يتقبض عليه فأبى وركب الخلاف وجاهر بالخلعان ودعا لنفسه فأطاعه الناس لما كان السلطان جعل اليه من أمرهم وعسكر بساحة البلد الجديد يريد غزو السلطان فبرز من تازى بعسكره يقدم رجلا ويؤخر أخرى ثم بدا للامير أبى على فى شأن وزيره وحدثته نفسه بالتقبض عليه استرابة به لما كان بلغه من المكاتبة بينه وبين السلطان فبعث لذلك عمر بن يخلف الفردودى وتفطن الوزير لما حاوله من المكر فتقبض عليه ونزع الى السلطان أبى سعيد فتقبله ورضى عنه وارتحل الى لقاء ابنه ولما تراءى الجمعان بالقرمدة ما بين فاس وتازى واختل مصاف السلطان وانهزم عسكره وأفلت بعد ان أصابته جراحة فى يده وهن لها ولحق بتازى فليلا جريحا ولحق به ابنه الامير أبو الحسن نازعا اليه من جملة أخيه أبى على بعد المحنة وفاء لحق أبيه فاستبشر السلطان بالظهور والفتح وحمد المغبة وأناخ الامير أبو على بعساكره على تازى وسعى الخواص بين السلطان وابنه فى الصلح على أن يخرج له السلطان عن الامر

ويقتصر على تازى وجهاتها فتم ذلك بينهما وانعقد وشهد الملأ من مشيخة العرب
وزناتة وأهل الامصار واستحكم عقده وانكفأ الامير أبو على الى حضرة فاس ملكا
وتوافت اليه بيعات الامصار بالمغرب ووفودهم واستوسق أمره ثم اعتل على اثر ذلك
واشتد وجعه وصار الى حال الموت وخشى الناس على أنفسهم تلاشى الامر بهلكه
فسايلوا الى السلطان بتازى ثم نزع على الامير أبى على وزيره أبو بكر بن النوار وكاتبه
منديل بن محمد الكنانى وسائر خواصه وبطانته وأتوا السلطان وحملوه على تلافى الامر فنهض
من تازى واجتمع اليه كافة بنى مرين والجند وعسكر على البلد الجديد وأقام محاصرا
لها وابتنى دارا لسكناه وجعل لابنه الامير أبى الحسن ما كان لاخيه أبى على من ولاية
العهد وتفويض الامر وفرد أبو على بطائفة من النصارى المستخدمين بدولتهم كان
قائدهم بعث اليه بجزولة وسط البلد مدة مرضه حتى اذا أفاق وتبين اختلال أمره
بعث الى أبيه فى الصلح ويحتمل من المال والذخيرة من دراهم فأجابه لذلك وانعقد بينهما
سنة خمس عشرة وخرج الامير أبو على بخاصته وحشمه وعسكر بالزيتون من ظاهر البلد
ووفى له السلطان بما اشترط وارتحل الى سجلماسة ودخل السلطان الى البلد الجديد
ونزل بقصره وأصلح شؤون ملكه وأنزل ابنه الامير أبا الحسن بالدار البيضاء من قصوره
وفوض اليه فى سلطانه تفويض الاستقلال وأذن له فى اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع
العلامة على كتبه وسائر ما كان لاخيه ووفدت اليه بيعات الامصار بالمغرب ورجعوا
الى طاعته ونزل الامير أبو على لسجلماسة فأقام بها ملكا ودون الدواوين واستلحق
واستركب وفرض العطاء واستخدم ظواعن العرب من المعقل وافتتح معاقل الصحراء
وقصور تاورت وتيكورارين وتمنطيت وغزا بلاد السوس فافتتحها وتغلب على
ضواحيها وأثخن فى اعرابها من ذوى حسان والشبانات وزكنة حتى استقاموا على
طاعته وبيت عبد الرحمن بن يدر أمير الانصار بالسوس فى تارودانت مقره فاقتحمها
عليه عنوة وقتله واصطلم نعمته وأباد سلطانه وأقام لبنى مرين فى بلاد القبلة ملكا
وسلطانا وانتقض على السلطان سنة عشرين وتغلب على درعة وسما الى طلب مراكش
فعقد السلطان على حربه لابنه الامير أبى الحسن وجعله اليه وأغزاه ونهض على اثره
واعتل بمراكش وثقف أطرافها وحسم عللها وعقد عليها لكندوز بن عثمان من صنائع
دولتهم وقفل بعساكره الى الحضرة ثم نهض الامير أبو على سنة ثنتين وعشرين بجموعه
من سجلماسة وأغذ السير الى مراكش فاختلفت عساكرهم بها قبل أن يجتمع لكندوز
أمره فتقبض عليه وضرب عنقه ورفعه على القناة وملك مراكش وسائر ضواحيها
وبلغ الخبر الى السلطان فخرج من حضرته فى عساكره بعد أن احتشد وأزاح العلل

واستوفى الاعطيات وقدم بين يديه ابنه الامير أبا الحسن ولى عهده الغالب على أمره في عساكره وجموعه وجاء في ساقته وسار على هذه التعبية ولما انتهى الى بويومن وادى ملوية تذروا بالبيات من أبي على وجنوده فحذروهم وأيقظوا ليلتهم وبيتهم بعسكرهم ذلك فكانت الدبرة عليه وفل عسكره وارتحلوا من الغد في اثره وسلك على جبال درن وافترقت جنوده في أوعاره ولحقهم من معراتها شناعات حتى ترجل الامير أبو علي عن فرسه وسعى على قدميه وخلص من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق ولحق بسجلماسة ومهد السلطان نواحي مراكش وعقد عليها لموسى بن على الهنتاني فعظم غناؤه في ذلك واضطلاعه وامتدت أيام ولايته وارتحل السلطان الى سجلماسة فدافعه الامير أبو علي بالخضوع في الصفح والرضا والعودة الى السلم فأجابه السلطان لما كان شغفه من حبه فقد كان يؤثر عنه من ذلك غرائب ورجع الى الحضرة وأقام الامير أبو علي بمكانه من ملك القبلة الى أن هلك السلطان وتغلب عليه أخوه السلطان أبو الحسن كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نكبة منديل الكناني ومقتله)

كان أبوه محمد بن محمد الكناني من علية الكتاب بدولة الموحدين ونزع من مراكش عند ما انحل نظام بني عبد المؤمن وانفض جمعهم الى مكناسة فأوطنها في ايالة بني مرين واتصل بالسلطان يعقوب بن عبد الحق فصحبه فيمن كان يثابر على صحابته من أعلام المغرب وسفر عنه الى الملوك كما ذكرناه في سفارته الى المستنصر سنة خمس وستين وهلك السلطان يعقوب بن عبد الحق فازداد الكناني عند ابنه يوسف بن يعقوب حظوة ومكانة الى أن سخطه ونكبه سنة سبع وستين وأقصاه من يومئذ وهلك في حال سخطته وبقي من بعده ابنه منديل هذا في جملة السلطان أبي يعقوب متبرما بمقام عبد الله بن أبي مدين المستولي على قهرمة دار السلطان ومخالصته في خلواته مغضيا لذلك متوقعا النكبة في أكثر أيامه مضطرمة له بالحسد جوانحه مع ما كان عليه من القيام على حسبان الديوان عرف فيه بسبقه وتشابه صديقه وعدوه ولما تغلب السلطان على ضواحي شلف ومغراوة واستعمل على حسبان الجباية وجعل اليه ديوان العسكر هنالك والى نظره اعتراضهم وتمييزهم فنزل على مليانة مع من كان هنالك من الامراء مثل علي بن محمد الخيري والحسن بن علي بن أبي الطلاق العسكري الى أن هلك السلطان أبو يعقوب ورجع أبو ثابت البلاد الى أبي زيان وأخيه أبي حمو فخلف عليهما وحلا بعيونهما واستبلغا في تكريمه وانصرف الى مغربه وكان معسكر السلطان يوسف بن يعقوب على تلمسان قد صحب أثناءه أبا سعيد عثمان بن يعقوب في حال خموله وتأكدت بينهما الخلة

التي رعاها له السلطان أبو سعيد فلما ولي أمر المغرب مت بذلك اليه فعرفه له واختصه وخالصه وجعل اليه وضع علامته وحسبان جبايته ومستخلص أمواله والمفاوضة بذات صدره ورفع مجلسه في بساطه وقدمه على خاصته وكان كثير الطاعة للامير أبي علي ابنه المتغلب على أبيه قبل أول أمره ولما استبد وخلع أباه انحاش منديل هذا اليه ثم نزع عنه حين تبين اختلال أمره وكان الامير أبو الحسن يحقد له ولاية أخيه أبي علي لما كان بينهم من المنافسة وكان كثيرا ما يوغر صدره بايجاب حتى غمر عليه وامتهانه في خدمته وطوى لمعلي البشر حتى اذا انفرد بمجلس أبيه وتصل عمر الى مجلمانية أحكم السعاية فيه والحاح في الهلكة التي أحكم السلطان عليها أداة واعية حتى أذن الله باهلاكه وكان منديل هذا كثيرا ما يغضب السلطان في المحاورة والخطاب دالة عليه وكثيرا ما عدد لبسه من ذلك كلمات وأحوالا وسخطه سنة ثمان عشرة واذن لابنه الامير أبي الحسن في نكبته فاعتقل واستصفى أمواله وطوى ديوانه وامتحنه أياما ثم قتله بحبسه خنقا ويقال جوعا وذهب مثلا في الغابرين والله خير الوارثين

الخبر عن انتقاض العزفي بسبتة ومنازلته ثم مصيرها الى طاعة السلطان بعد مهلكه

كان بنو العزفي لما تغلب عليهم الرئيس أبو سعيد ونقلهم الى غرناطة سنة خمس استقروا بها في ايالة المخلوع ثالث ملوك بني الاحمر حتى اذا استولى السلطان أبو الربيع على سبتة سنة تسع أذنوا في الاجازة الى المغرب فأجازوا الى فاس فاستقروا بها وكان يحيى وعبد الرحمن ابنا أبي طالب من مرائهم وكبارهم وكانوا يغشون مجالس أهل العلم لما كانوا عليه من انتحال الطلب وكان السلطان أبو سعيد أيام امارة بني أبيه يجلس بالمسجد جامع القرويين شيخ الفتيا أبا الحسن الصغير وكان يحيى بن أبي طالب يلازمه فاتصل به وصارت له وسيلة يحتسبها عنده فلما ولي الامر واستقل به رعى لهم ذمام صحابتهم ووفى لهم مقاصدهم وعقد ليحيى على سبتة ورجعهم الى مقر امارتهم منها وحل ربابتهم فارتحلوا اليها سنة عشر وأقاموا دعوة السلطان أبي سعيد والتزموا طاعته ثم تغلب الامير أبو علي على أمر أبيه واستبد عليه فعقد على سبتة لابي زكريا حيون بن أبي العلاء القرشي وعزل يحيى بن أبي طالب عنها واستقدمه الى فاس فقدمها هو وأبوه أبو طالب وعمه حاتم واستقروا في جملة السلطان وهلك أبو طالب بفاس خلال ذلك حتى اذا كان من خروج الامير أبي علي على أبيه ما قدمناه لحق يحيى بن أبي طالب وأخوه بالسلطان نازعين من جملة الامير أبي علي فلما اعتصل بالبلد الجديد ونازله السلطان بها فحينئذ عقد السلطان ليحيى بن أبي طالب على سبتة وبعثه اليها ليقيم دعوته بتلك الجهات

وتمسك بابنه محمد رهناً على طاعته فاستقل بامارتها وأقام دعوة السلطان وطاعته بها وأخذ بيعته على الناس واتصل ذلك سنتين وهلك عمه أبو حاتم هنالك بعد مرجعه معه من المغرب سنة ست عشرة ثم انتقض على طاعة السلطان ونبذ طاعة الامراء ورجع الى حال سلفه من أمر الشورى فى البلد واستقدم من الاندلس عبد الحق بن عثمان فقدم عليه وعقد له على الحرب ليفرق الكلمة به ويوهن بأسه عزائم السلطان فى مطالبته وجهز السلطان اليه العساكر من بنى مرين وعقد على حربه للوزير ابراهيم بن عيسى فزحف اليه وحاصره وتعلل عليهم بطلب ابنه فبعث به السلطان الى وزيره ابراهيم ليعطى طاعته فيسلمه وجاءه الخبر من عيون كانت بالعسكر وان ابنه كان بفسطاط الوزير بساحة البحر بحيث تتأتى الفرصة فى أخذه فبيت العسكر وهجم عبد الحق بن عثمان بحشمه وذويه على فسطاط الوزير فاحتمله الى أبيه وركبت العساكر للهيعة فلم يقفوا على خبر حتى تفقد الوزير بن العزفى واتهموا قائدهم ابراهيم بن عيسى الوزير بمالأة العدو وعلى ذلك فاجتمعت مشيختهم وتقبضوا عليه وحملوه الى السلطان ابتلاء للطاعة واستبصارا فى نصح السلطان فشكر لهم وأطلق وزيره لابتلاء نصيحته ورغب يحيى بن العزفى بعدها فى رضا السلطان وولايته ونهض السلطان سنة تسع عشرة الى طنجة لاختبار طاعته فعقد له على سبتة واشترط هو على نفسه لجباية السلطان وأسنى هديته فى كل سنة واستمرت الحال على ذلك الى أن هلك يحيى العزفى سنة عشرين وقام بالامر بعده ابنه محمد الى نظر عمه محمد ابن على بن الفقيه أبى القاسم شيخ قرابتهم وكان قائد الاساطيل بسبتة وولى النظر فيها بعد أن نزع القائد يحيى الرنداحى الى الاندلس واختلف الغوغاء بسبتة وانتهز السلطان الفرصة فاجمع على النهوض اليها سنة ثمان وعشرين وبادروا باتيان طاعتهم وعجز محمد ابن يحيى عن المناهضة وظنها محمد بن عيسى من نفسه فتعرض للامر فى أوغاد من اللفيف فاجتمعوا اليه ودافعهم الملاعن ذلك وحملوهم على الطاعة واقتادوا بنى العزفى الى السلطان فانقادوا واحتل السلطان بقصبة سبتة وثقف جهاتها ورم منثلمها وأصلح خللها واستعمل كبار رجالاته وخواص مجلسه فى أعمالها فعقد لحاجبه عامر بن فتح الله الصدراتى على حاميتها وعقد لابى القاسم بن أبى مدين على جبايتها والنظر فى مبانيها واخراج الاموال للنفقات فيها وأسنى جوائز الملا من مشيختها ووفر اقطاعاتهم وجراياتهم وأوعز ببناء البلد المسمى افراك على سبتة فشرعوا فى بنائها سنة تسع وعشرين وانكفأ راجعا الى حضرته والله تعالى أعلم

(الخبر عن استقدام عبد المهيمن للكتابة والعلامة)

كان بنو عبد المهيمن من بيوتات سبتة ونسبهم فى حضرموت وكانوا أهل تجلة ووقار

متحلين للعلم وكان أبو محمد قاضيا بسبتة أيام أبي طالب وأبي حاتم وكان لهمعهم صهر ونشأ ابنه عبد المهيمن هذا في حجر الطلب والجلالة وقرأ صناعة العربية على الاستاذ ابن الفاقي وحذق فيها ولما نزلت بهم نكبة الرئيس أبي سعيد سنة خمس واحتملوا الى غرناطة احتمل فيهم القاضي محمد بن عبد المهيمن وابنه وقرأ عبد المهيمن بغرناطة على مشيختها وازداد علما وبصرا باللسان والحديث واستكتب بدار السلطان محمد المخلوع واختص بوزيره المتغلب على دولته محمد بن الحكيم الرندي فيمن اختص به من رؤساء بني العزفي ثم رجع بعد نكبة ابن الحكيم الى سبتة وكتب عن قائدها يحيى بن مسلمة مدة ولما استخلص بنو مرين سبتة سنة تسع اقتصر على الكتابة وأقام منتحلا مذاهب سلفه في انتحال العلم ونزول المروءة ولما استولى السلطان أبو سعيد على المغرب واستقل بولاية العهد وتغلب على الامر ابنه أبو علي وكان محبا للعلم مولعا بأهله متصلا لفنونه وكانت دولتهم خلوا من صناعة الترسل منذ عهد الموحدين للبداوة الموجودة في أولهم وحصل للامير أبي علي بعض البصر بالبلاغة واللسان تفطن به لشأن ذلك وخلو دولتهم من الكتاب المرسلين وأنهم انما يحكمون الخط الذي سدد قوافيه ورأى الاصابع تشير الى عبد المهيمن في رياسة تلك الصناعة فولع به وكان كثير الوفادة مع أهل بلده أوقات وفادتهم فيختصه الامير أبو علي بمزيد بره وكرامته ويرفع مجلسه ويخطبه للكتابة وهو يمتنع عليه حتى اذا أمضى عزيمته في ذلك أوعز الى عامله بسبتة سنة ثنتي عشرة أن يشخصه الى بابهم فقلده كتابته وعلامته حتى اذا خرج أبو علي على أبيه تحيز عبد المهيمن الى الامير أبي الحسن فلما صولح أبو علي على النزول عن البلد الجديد وكتب شرطه على السلطان كان من جملتها كون عبد المهيمن معه وأمضى له السلطان ذلك وأنف الامير أبو الحسن منها فأقسم ليقتلنه ان عمل بذلك فرفع عبد المهيمن أمره الى السلطان ولاذ به وألقى نفسه بين يديه فرق لشكواه وأمره باعتزال الجميع والرجوع الى خدمته وأنزله بمعسكره وأقام على ذلك واختصه منديل الكناني كبير الدولة وزعيم الخاصة وأسكنه ابنته ولما نكب منديل جعل السلطان علامته لابي القاسم بن أبي مدين وكان غفلا خلوا من الآداب فكان يرجع الى عبد المهيمن في قراءة الكتب واصلاحها وانشائها حتى عرف السلطان لهذلك فاقتصر عليه وجعل وضع العلامة اليه سنة ثمان عشرة فاضطلع بها ورسخت قدمه في مجلس السلطان وارتفع صيته واستمر على ذلك أيام السلطان وابنه أبي الحسن من بعده الى أن هلك بتونس في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين والله سبحانه وتعالى خير الوارثين

* (الخبر عن صريخ أهل الاندلس ومهلك بطرة على غرناطة) *

كان الطاغية شانجة بن ادفونش قد تكالب على أهل الاندلس من بعد أبيه هراندة الهالك سنة ثنتين وثمانين منذ غلب على طريف شغل السلطان يوسف بن يعقوب بعده ببني يغمراسن ثم تشاغل حفدته من بعده بأمرهم وتقاصرت مددهم وهلك شانجة سنة ثلاث وسبعين وولى ابنه هراندة ونازل الجزيرة الخضراء فرضة الجهاد لبني مرين حولا كاملا ونازلت أساطيله جبل الفتح واشتد الحصار على المسلمين وراسل هراندة بن ادفونش صاحب برشلونة أن يشغل أهل الاندلس من ورائهم ويأخذ بحجزتهم فنازل المرية وحاصرها الحصار المشهور سنة تسع ونصب عليها الآلات وكان منها برج العود المشهور بطول الاسوار بمقدار ثلاث قامات وتحيل المسلمون على احراقه فأحرق وحفر العدو تحت الارض مسربا بمقدار ما يسير فيه عشرون راكبا وتفطن المسلمون واحتفر قبالتهم مثله الى أن نفذ بعضهم لبعض واقتتلوا من تحت الارض وعقد ابن الاحمر لعثمان بن أبي العلاء زعيم الاعياص على عسكر بعثه مددا لاهل المرية فلقيه جمع من النصارى كان الطاغية بعثهم لحصار مرشانة فهزمهم عثمان واستلحمهم ونزل قريبا من معسكر الطاغية خلال ذلك على جبل الفتح وأقامت عساكره على سماتة واسطبونة وزحف العباس بن رحو بن عبد الله وعثمان بن أبي العلاء في العساكر لاغاثة البلدين فاوقع عثمان بعسكر اسطبونة وقتل قائدهم الفنش بيرش في نحو ثلاثة آلاف فارس واستلحموا ثم زحف عثمان لاغاثة العباس وكان دخل عوجين لمحاصرته جموع النصارى به فانفضوا والخبر زحفه وبلغ الخبر الى الطاغية بمكانه من ظاهر الجزيرة بفتكة عثمان في قومه فسرح جموع النصرانية اليه ولقيهم عثمان فأوقع بهم وقتل زعماءهم وارتحل الطاغية يريد لقاءهم فخالف أهل البلد الى معسكره وانتهبوا محلاته وفساطيطه وأتيحت للمسلمين عليهم الكرة وامتلأت الايدى من غنائمهم واسراهم ثم هلك الطاغية اثر هذه الهزائم سنة ثنتى عشرة وهو هراندة بن شانجة وولى بعده ابنه الهنشة طفلا صغيرا جعلوه لنظر عمه دون بطرة بن شانجة وزعيم النصرانية جوان فكفلاه واستقام أمرهم على ذلك وشغل السلطان أبو سعيد ملك المغرب بشأن ابنه وخروجه فاهتبل النصرانية الغرة في الاندلس وزحفوا الى غرناطة سنة ثمان عشرة وأناخوا عليها بعسكرهم وأممهم وبعث أهل الاندلس صريخهم الى السلطان واعتذر اليهم بمكان أبي العلاء من دولتهم ومحله من رياستهم وأنه مرشح للامر في قومه بني مرين يخشى معه تفريق الكلمة وشرط عليهم أن يدفعوه اليه برمته حتى يتم الجهاد ويعيده اليهم حوطة على المسلمين ولم يمكنهم ذلك لمكان عثمان بن أبي العلاء لصرامته وعصابته من قومه فأخفق سعيهم واستلحموا وأطالت أمم النصرانية

بغرناطة وطمعوا في التهامها ثم ان الله نفس مخنقهم ودافع بيد قدرته عنهم وكيف لعثمان بن أبي العلاء وعصبته واقعة كانت أغرب الوقائع صمموا الى موقف الطاغية بحملتهم وكانوا زهاء ماتين أو أكثر وصابروهم حتى خالطوهم في مراكزهم فصرعوا بطرة وجوان وولوهم الادبار واعترضتهم من ورائهم مسارب الماء المترب من ثقيل فتطارحوا فيها وهلك أكثرهم واكتسحت أموالهم وأعز الله دينه وأهلك عدوه ونصب رأس بطرة بسور البلد عبرة لمن يذكر وهو باق هنالك لهذا العهد والله تعالى أعلم

(الخبر عن صهر الموحدين والحركة الى تلمسان على اثره وما تخلل ذلك من الاحداث)

لما انفرج الحصار عن ولد يغمراسن بن زيان أحد ملوك بني عبد الواد سنة ست وتجافى أبو ثابت عن بلادهم ونزل لهم عما كان بنو مرين ملكوه منها بسيوفهم واستقل أبو حمو ملك بني عبد الواد على رأس الحول منها اصرف نظره واعتمامه الى بلاد المشرق فتغلب على بلاد مغراوة ثم على بلاد بني توجين ومحا منها أثر سلطانهم وألحق أعياصهم من ولد عبد القوي بن عطية وولد مندبل بن عبد الرحمن بالموحدين من بني أبي حفص مع من تبعهم من رؤس قبائلهم وصاروا في جملة عساكرهم واستلحق مولانا السلطان أبو يحيى وحاجبه يعقوب بن عمر منهم جندا كثيفا أثبتهم في الديوان وغالب بهم الخوارج والمنازعين للدولة ثم زحف أبو حمو الى الجزائر وغلب ابن علان عليها سنة ونقله الى تلمسان ووفى له وفر بنو منصور أمراء ملكش أهل بسيط متيجة من صنهاجة فلحقوا بالموحدين واصطنعوهم وتملك قاصية المغرب الاوسط وتاخم عمل الموحدين بعمله ثم تغلب على تدلس سنة ثاني عشرة وتجنى على مولانا السلطان أبي يحيى بما وقع بينهم من المراسلة أيام انتزى ابن مخلوف ببجاية كما ذكرناه في أخباره فبث عزائمه لمنازلتها وطلب بلاد الموحدين وأوطأ عساكره أرضهم ونازل أمصارهم بجاية وقسنطينة واختص بجاية بشوكته من ذلك وجهز العساكر مع مسعود ابن عمه أبي عامر ابراهيم عضايقتها وكان خلال ذلك ما قدمناه من خروج محمد بن يوسف بن يغمراسن عنه سنة وقيام بني توجين بأمره واقتطاع جبل وانشريس من عمالة ملكه واستمرت الحال على ذلك حتى هلك السلطان أبو حمو سنة ثمان عشرة وقام بأمرهم ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن فصنع له في ابن عمه محمد بن يوسف ونهض اليه بعساكر بني عبد الواد حتى نازله بمعتصمه من جبل وانشريس وداخله عمر بن عثمان كبير بني تيغرين في المكر به فتقبض عليه وقتله سنة تسع عشرة وارتحل الى بجاية حتى احتل بساحتها وامتنع

عليه الحاجب ابن عمر فأقام يوما أو بعضه ثم انكفأ راجعا الى تلمسان وردد البعوث الى أوطان بجاية وابتنى الحصون لتجمير الكتائب فابتنى بوادى بجاية من أعلاه حصن بكر ثم حصن تامزيزدكت ثم اختط بتيكلات على مرحلة منها بلدا سماها تامزيزدكت على اسم المعقل الذى كان لأوليهم بالجبل قبالة وجدة وامتنع بغمراسن به على السعيد كما قدمناه فاختط بلد تيكلات هذه وشحنها بالاقوات والعساكر وصيرها ثغر الملكه وأنزل بها جنده وعقد عليها لموسى بن على الكردى كبير دولته ودولة أبيه واستحثه أمراء الكعوب من بنى سليم لملك افريقية حين مغاضبتهم لمولانا السلطان أبى يحيى اللحيانى وأبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن أبى عمران وأبى اسحق بن أبى يحيى الشهيد مرة بعد أخرى كما ذكرناه فى أخبارهم جميعا وكانت حروبهم سجالا الى أن كان بين جيوش زناتة والموحدين الزحف المشهور بالرياش من نواحى مرماجنة سنة تسع وعشرين زحفت فيه الى السلطان أبى يحيى عساكر زناتة مع حمزة بن عمر أمير بنى كعب ومن اليه من البدو وعليهم يحيى بن موسى من صنائع دولة آل يغمراسن وقد نصبوا للملك محمد بن أبى عمران ابن أبى حفص ومعهم عبد الحق بن عثمان من أعياص بنى عبد الحق فى بنيه وذويه كان نزع اليهم من عند الموحدين كما ذكرناه فاختل مصاف مولانا السلطان أبى يحيى وانهزم واستولوا على فساطيطه بما فيها من الذخيرة والحرم وانتهبوا معسكره وتقبضوا على ولديه المولين أحمد وعمر وأشخصوهما الى تلمسان وأصيب السلطان فى بدنه بجراحات أوهنته وخلص الى بونة ناجيا برمقه وركب السفين منه الى بجاية فأقام بها يندمل جراحه واستولت زناتة على تونس ودخلها محمد بن أبى عمران وهو باسم السلطان ومقادته فى يدى يحيى بن موسى أمير زناتة واعتزم مولانا السلطان أبو يحيى على الوفادة على ملك المغرب السلطان أبى سعيد صريخا على آل يغمراسن وأشار حاجبه محمد بن سيد الناس بانفاذ ابنه الامير أبى زكريا صاحب الثغر استنكافا له عن مثلها فتقبل اشارته وأركب ابنه البحر لذلك وبعث اليه معه أبا محمد عبد الله بن تاشفين من مشيخة الموحدين نافضا امامه طرف المقاصد والمحاورات ونزلوا بغساسة من سواحل المغرب وقدموا على السلطان أبى سعيد بحضرته وأبلغوه صريخ مولانا السلطان أبى يحيى فأهتز لذلك هو وابنه الامير أبو الحسن وقال لابنه الامير فى ذلك المحفل يا بنى لقد قصدك أكبر أقوامنا وموصلك والله لابذلن فى مظاهرتكم مالى وقومى ونفسى ولاسيرن بعساكرى الى تلمسان فأنزلها مع أبيك فانصرفوا الى منازلهم مسرورين وكان فيما اشترطه عليهم السلطان أبو سعيد مسير مولانا السلطان أبى يحيى بعساكره الى منازلة تلمسان معه فقبلوا ونهض السلطان أبو سعيد الى تلمسان سنة ثلاثين ولما انتهوا الى وادى ملوية

وعسكر بصرجاءهم الخبر اليقين باستيلاء السلطان أبي يحيى على حضرة تونس واجهاضه زناتة وسلطانهم عنها فاستدعى مولانا السلطان الامير أبازكريا يحيى ابنه ووزيره أبا محمد عبد الله بن تافراكين وأمرهم بالانصراف الى صاحبهم وأمنى جوائزهم وصلاتهم وركبوا أساطيلهم من غساسة وأرسل معهم لخاطبة العم رابراهيم ابن أبي حاتم العزفي والقاضي بحضرته أبي عبد الله بن عبد الرزاق وانكفأ على عقبه راجعا الى حضرته ولما انعقد الصهر بين الامير أبي الحسن والسلطان أبي يحيى في ابنته شقيقة الامير يحيى زفها اليهم في أساطيله مع مشيخة من الموحدين كبيرهم أبو القاسم بن عبو ووصلوا بها الى مرسى غساسة سنة احدى وثلاثين بين يدي مهلك السلطان أبي سعيد فقاموا لها على أقدام البر والتكرمة وبعثوا الظهر الى غساسة لركوبها وحمل أثقالها وصيغت حكمات الذهب والفضة ومدت ولايا الحرير المغشاة بالذهب واحتفل لوافدها واعراسها غاية الاحتفال بما لم يسمع مثله في دولتهم وتولت قهارمة الدار من عجز النساء ما يتولاه مثلهم من ذلك فطم الصنيع وتحدث الناس به وهلك السلطان أبو سعيد بين يدي موصلها والبقاء لله وحده

{الخبر عن مهلك السلطان أبي سعيد عفا الله عنه وولاية} {السلطان أبي الحسن وما تخلل ذلك من الاحداث}

كان السلطان لما بلغه وصول العروس بنت مولانا السلطان أبي يحيى سنة احدى وثلاثين واهتزت الدولة لقدومها عليهم تعظيما لحق أبيها وقومها واحتفالهم ارتحل السلطان أبو سعيد الى تازى ليشارف أحوالها بنفسه احتفاء في تكرمتها وسرورا بعرس ابنه واعتل هنالك ومرض حتى اذا أشفى على الهلكة ارتحل به ولي العهد الامير أبو الحسن الى الحضرة وحمله في فراشه على أكتاف الحاشية والخول حتى نزل بسبو ثم أدخله كذلك ليلا الى داره وأدركته المنية في طريقه فقضى رحمة الله عليه فوضعوه بمكانه من البيت واستدعى الصالحين لمواراته فووري لشهر ذي الحجة سنة احدى وثلاثين والبقاء لله وحده وكل شئ هالك الا وجهه ولما هلك السلطان أبو سعيد اجتمع الخاصة من المشيخة ورجالات الدولة لولي عهده الامير أبي الحسن وعقدوا له على أنفسهم وآتوه طاعتهم وبيعتهم وأمر بنقل معسكره من سبو واضطرب بالزيتون من ساحة فاس ولما ووري السلطان خرج الى معسكره بالتعبية واجتمع اليه الناس على طبقاتهم لاداء البيعة وتولى بفسطاطه وتولى أخذ البيعة له يومئذ على الناس المزوار عبو بن قاسم رئيس الوزعة والمتصرفين وحاجب الباب القديم الولاية بذلك في دارهم منذ عهد السلطان يوسف بن يعقوب وزفت اليه يومئذ عروسه بنت السلطان أبي يحيى فأعرس بها



بمكانه من المعسكر وأجمع أمره على الانتقام لابيها من عدوه وبدا باستكشاف حال أخيه أبي علي وكان السلطان أبوهما يستوصيه به لما كان له بقلبه من العلاقة وكان ولي العهد هذا مؤثر ارضاه جهده فاعتزم على الحركة الى سجلماسة لمشارفة أحواله والله تعالى أعلم

الخبر عن حركة السلطان أبي الحسن الى سجلماسة وانكفائه عنها الى تلمسان بعد الصلح مع أخيه والاتفاق

لما هلك السلطان أبو سعيد وكملت بيعة السلطان ابي الحسن وكان كثيرا ما يستوصيه بأخيه أبي علي لما كان كلفا به شفوقا عليه فأراد مشارفة أحواله قبل النهوض الى تلمسان فارتحل من معسكره بالزيتون قاصدا سجلماسة وتلقته في طريقه وفود الامير أبي علي أخيه مؤديا حقه موجبا مبرته مهنئاله بما آتاه الله من الملك متجافيا عن المنازعة فيه قانعا من تراث أبيه بما حصل في يده طالبا العقد له بذلك من أخيه فأجابه السلطان أبو الحسن الى ماسأل وعقد له على سجلماسة وما اليها من بلاد القبلة كما كان لعهد أبيهما وشهد الملأ من القبيل وسائر زناتة والعرب وانكفأ راجعا الى تلمسان لاجابة صريخ الموحدين وأغذ السير اليها ولما انتهى الى تلمسان تنكب عنها متجاوزا الى جهة المشرق لوعد مولانا السلطان أبي يحيى بالنزول معه على تلمسان كما كان عليه وفاقهم ومشارطتهم مع الامير أبي زكريا الرسول اليهم فاحتل بتاسالت في شعبان من من سنة ثنتين وثلاثين وتلوم بها وأوعز الى أساطيله بمراسي المغرب فأغزاها الى سواحل تلمسان وجهز لمولانا السلطان أبي يحيى مددا من عسكره أركبهم الاساطيل من سواحل وهران وعقد عليهم لمحمد البطوي من صنائع دولته ونزلوا بجاية ووافوا بها مولانا السلطان أبا يحيى فصار وافي جملته ونهضوا معه الى تيكلات ثغر بني عبد الواد المجمرة بها الكتائب لحصار بجاية وبها يومئذ بن هزرع من قوادهم وأجفل من كان بها من العسكر قبل وصوله اليهم فلحقوا بآخر عملهم من المغرب الاوسط وأناخ مولانا السلطان أبو يحيى عليها بعساكر من الموحدين والعرب والبربر وسائر الحشود فخربوا عمرانها وانتهبوا ما كان من الاقوات مختزنا بها وكان بحر الايدرك ساحله لما كان السلطان أبو حمو من لدن اختطها قد أوعز الى العمال بسائر البلاد الشرقية منذ عمل البطحاء أن ينقلوا أعشار الحبوب اليها وسائر الاقوات وتقبل ابنه السلطان أبو تاشفين مذهبه في ذلك ولم يزل دأبهم الى حين حلت بها هذه الفاقرة فانتهب الناس من تلك الاقوات مالا كفاء له وأضرعوا اختطها بالارض فنسفوها نسفا وذروها قاعا صفصفا والسلطان أبو الحسن خلال ذلك متشوف لاحوالهم منتظر قدوم مولانا

السلطان أبي يحيى عليه لمنازلة تلمسان حتى وافاه الخبر بانتقاض أخيه كما نذكره فنكفأ راجعا واتصل الخبر بمولانا السلطان أبي يحيى فقفل الى حضرته وحمل البطوى معه واسنى جائزته وجبوا زعسكره وانصرفوا الى السلطان مرسلهم من ماعتها وانقبض عنان السلطان أبي تاشفين عن غزو بلاد الموحدين الى أن انقرض أمره والبقاء لله وحده

(الخبر عن انتقاض الامير أبي علي وزحف السلطان أبي الحسن اليه وظفره به)

لما توغل السلطان أبو الحسن في غزاة تلمسان وتجاوزها الى تاسالت لوعد مولانا السلطان أبي يحيى دس أبو تاشفين الى الامير أبي علي في اتصال اليد والاتفاق على السلطان أبي الحسن وأن يأخذ كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه حتى ذمم به وانعقد بينهما على ذلك وانتقض الامير أبو علي على أخيه السلطان أبي الحسن ونهض من سجلماسة الى درعة فقتل بها عامل السلطان واستعمل عليه من ذويه وسرح العسكر الى بلاد مراكش واتصل الخبر بالسلطان وهو بمعسكره بتاسالت فأحفظه شأنه وأجمع على الانتقام منه فانكفأ راجعا الى الحضرة وأنزل بثغر تاوريرت تخم عمله معسكرا وعقد عليه لابنه تاشفين وجعله الى نظر وزيره مندبل بن حمامة بن تيربيعين وأغذ السير الى سجلماسة فنزل عليها وأحاطت عساكره بها وأخذ بمخنقها وحشد الفعلة والصناع لعمل الآلات لحصارها والبناء بساحتها وأقام يغاديها القتال ويراوحها حولا كريتا ونهض أبو تاشفين في عساكره وقومه الى ثغر المغرب ليوطنه عساكره وبعث في نواحيه يجاذب السلطان عن مكانه من حصاره ولما انتهى الى تاوريرت برز اليها بن السلطان في وزرائه وعساكره وزحفوا اليه في التعبية فاختل مصافهم وانهزم ولم يلق أحدا وعاد الى منجحره وبادر الى امداد الامير أبي علي بعسكره فعقد على حصة من جنده وبعث بهم اليه فتسربوا الى البلد زرافات ووحدانا حتى استكملوا اعندهم وطاولهم السلطان الحصار وأنزل بهم أنواع الحرب والنكال حتى تغلب عليهم واقتحم البلد عنوة وتقبض على الامير أبي علي عند باب قصره وسيق الى السلطان فاعتقله واعتقله واستولى على ملكه وعقد على سجلماسة واستعمل عليها ورحل منكفئا الى الحضرة فاحتل بها سنة ثلاث وثلاثين واعتقل أخاه في احدى حجر القصر الى أن قتله لاشهر من اعتقاله خنقا بمحبسه وعدل به هذا الفتح فتح الجبل واسترجاعه من يد العدو دمره الله بأيدي عسكره وتحت راية ابنه أبي مالك كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن منازلة جبل الفتح واستنقاذ الامير أبي مالك والمسلمين به)

المائة السلطان أبو الوليد ابن الرئيس أبي سعيد المتغلب على ملك الاندلس من يد ابن عمه أبي الجيوش قام بالامر بعده ابنه محمد طفلا صغيرا لنظر وزيره محمد بن المحروق من بيوت الاندلس وصنائع الدولة واستبد عليه فلما شب وناهز أنف من الاستبداد عليه وأغراه المعلوجي من حشمه بالوزير فاغتاله وقتله سنة تسع وعشرين وشمر للاستبداد وشد أواخي الملك وكان الطاغية قد أخذ جبل الفتح سنة تسع وجاورت النصرانية به ثغور الفرضة وكان شجا في صدرها وأهم المسلمين شأنه وشغل عنهم صاحب المغرب بما كان فيه من فتنة ابنه فرجعوا الجزيرة وحصونها الى ابن الاحمر منذ سنة ثنتي عشرة لاول المائة الثامنة واستغلظ الطاغية عليهم بعد ذلك فرجعوا الجزيرة الى صاحب المغرب سنة تسع وعشرين وولي عليها السلطان أبو سعيد من أهل دولته سلطان بن مهلهل من عرب الخلط أخواله وأسف الطاغية الى حصونها عند مهلك السلطان أبي سعيد فملك أكثرها ومنع البحر من الاجازة وقارن ذلك استبداد صاحب الاندلس وقتله لوزيره ابن المحروق وأهمه شأن الطاغية فبادر لاجازة البحر ووفد على السلطان أبي الحسن بدار ملكه من فاس سنة ثنتين وثلاثين فأكبر موصله وأركب الناس للقائه وأنزله بروض المصارة لصق داره واستبلغ في تكريمه وفاوضه ابن الاحمر في شأن المسلمين وراء البحر وما أهمهم من عدوهم وشكا اليه خال الجبل واعتراضه شجا في صدر الثغور فأشكاه السلطان وعاد الله في أسباب الجهاد وكان مشغوفا به متقبلا مذهب جده يعقوب فيه وعقد لابنه الامير أبي مالك على خمسة آلاف من بني مرين وأنفذهم مع السلطان محمد بن اسمعيل لمنازلة الجبل فاحتل بالجزيرة وتتابع اليه الاسطول بالمدد وأرسل ابن الاحمر حاشرين في الاندلس فتسايلوا اليه واضطرب معسكرهم جميعا بساحة الجبل وأبلوا في حربه ومنازلته البلاء الحسن الى أن تغلبوا عليه سنة ثلاث وثلاثين واقتحمه المسلمون عنوة ونفلهم الله من كان به من النصرانية بجامعتهم ووافاهم الطاغية بأمم الكفر لثالثة فتحه وقد شحنه المسلمون بالاقوات نقلوها من الجزيرة على خيولهم وباشر نقلها الامير أبو مالك وابن الاحمر فنقلها الناس عامة وتحيز الامير أبو مالك الى الجزيرة وترك بالجبل يحيى بن طلحة بن محلي من وزراء أبيه ووصل الطاغية بعد ثلاث فأناخ عليه وبرز أبو مالك بعساكره فنزل بحذائه وبعث الى الامير أبي عبد الله صاحب الاندلس فوصل بحشد المسلمين بعد أن دوخ أرض النصرانية وخرج فنزل بازاء عسكر الطاغية وتحصن العدو في محلتهم وقاموا كذلك عادية لقرب العهد بارتجاعه وخفة ما به من الحامية والسلاح فبادر السلطان ابن الاحمر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه عجلا بائعا نفسه من الله في رضا المسلمين وسد فرجتهم فتلقاه الطاغية راجلا

حاسرا اعطاها الموصلة وأجابه الى ماسأل من الافراج عن هذا المعقل وأتحفه بدنانير عما لديه وارتحل بفوره وأخذ الامير أبو مالك فى تثقيف أطراف الثغور وسد فروجه وأنزل الحامية به ونقل الاقوات اليه وكان فتحا طوق دولة السلطان أبى الحسن قلادة الفخر الى آخر الايام ثم رجع بعدها الى شأنه من منازلة تلمسان والله تعالى أعلم

الخبر عن حصار تلمسان وتغلب السلطان أبى الحسن عليها وانقراض أمر بنى عبد الواد بمهلك أبى تاشفين

لما تغلب السلطان على أخيه وحسم علة انتزائه ومنازعته وسد ثغور المغرب وعظمت لديه نعمة الله بنا وعسكره على النصرانية وارتجاع جبل الفتح من أيديهم بعد أن أقام فى ملكة الطاغية ثمانى عشرين سنة فرغ لعدوه وأجمع لتلمسان وقدعليه الامير السلطان أبى يحيى فى سبيل التهنئة بالفتح والاخذ بحجزة أبى تاشفين على الثغور وأوفد السلطان الى أبى تاشفين شفعاء فى أن يتخلى عن عمل الموحدين جملة ويتراجع لهم عن تدلس ويرجع الى تخوم عمله منذ أول الامر ولو عاش لذلك ليعلم الناس جاه السلطان عند الملوك ويقدروه حق قدره واستنكف أبو تاشفين مع ذلك وأغلظ للرسل فى القول وأفحش مجلسه بعض السفهاء من العبيد فى الرد عليهم والنيل من مرسلهم فانقلبوا اليه بما أحفظه فانبعثت عزائم السلطان للصمود اليهم وعسكر بساحة البلد الجديد وبعث وزراءه الى قاصية البلاد المراكشية لحشد القبائل والعساكر ثم ارتحل فاعترض جنوده وأزاح عللهم وعبى مواكبه وسار فى التعبية وفصل بعساكره من فاس أواسط خمس وثلاثين وسار يجر الشوك والمدر من أمم المغرب وجنوده ومر بوجدة فجمر الكتائب لحصارها ثم مر بندرومة فقاتلها بعض يوم واقتحمها فقتل حاميتها واستولى عليها آخر سنة خمس ثم سار على تعبيته حتى أناخ على تلمسان وبلغه الخبر بتغلب عساكره على وجدة سنة ست وثلاثين فأوعز اليه بتخريب أسوارها فأضرعوها بالارض وتوافت امداد النواحى وجهاتها وحشودها وربض على فريسته ووفدت اليه قبائل مغراوة وبنى توجين فآتوه طاعتهم ثم سرح عساكره الى الجهات فتغلب على وهران وهنين ثم على مليانة وتنس والجزائر كذلك سنة ست وثلاثين ونزع اليه يحيى بن موسى صاحب القاصية الشرقية من عمله والمتاخم كان لعمل الموحدين والقائم بحصار بجاية بعد نكبة موسى بن على فلقاه مبرة وتكريما ورفع بساطه ونظمه فى طبقات وزرائه وجلسائه وعقد على فتح البلاد الشرقية ليحيى ابن سليمان العسكرى كبير بنى عسكر بن محمد وشيخ بنى مرين وصاحب شوراهم بمجلس السلطان والمخصوص بصهر من السلطان عقد له على ابنته فسار فى الولاية والجنود

وطوع ضاحية الشرق وقبائله وافتتح أمصاره حتى انتهى الى المرية ونظم البلاد في طاعة السلطان واحتشد عقائلها الى معسكره فلحقوا به وكاثروا جنوده واستعمل السلطان على وانشريس وعمل الحشم من بني توجين وعقد لسعد بن سلامة ابن علي على بني يدللتن وجعل الوالي بالقلعة الى نظره وكان خلص اليه بالمغرب قبل فصوله نازعا عن أبي تاشفين لمكان أخيه قريعه محمد من الدولة واستعمل السلطان أيضا على شلف وسائر أعمال المغرب الاوسط واختط السلطان بغربي تلمسان البلد الجديد لسكناه ونزل عساكره وسماه المنصورية وأدار على البلد المخروب سياجا من السور ونطاقا من الخندق ونصب المجانيق والآلات من وراء خندقه ينضح رماته بالنبل رماتهم ويشغلونهم بأنفسهم حتى شيد برجا آخر أقرب منه وترتفع شرفاته فوق خندقهم ويعاصع المقاتلة بالسيوف من أعاليها ورتب المجانيق الى رجمها ودكها فنالت من ذلك فوق الغاية واشتد الحرب وضاق نطاق الحصار وكان السلطان يصحبهم كل يوم بالبكور والتطواف على البلد من جميع جهاته لتفقد المقاتلة في مراكزهم وربما ينفرد في طوافه بعض الايام عن حاشيته فاهتبلوا الامر يحسبونه غرة وصفوا جيوشهم من وراء السور بما يلي الجبل المطل على البلد حتى اذا حاذاه السلطان في تطوافه فتحوا أبوابهم وأرسلوا عليه عقبان جنودهم واضطروه الى سفح الجبل حتى لحق بأوعاره وكاد أن ينزل عن فرسه هو ووليه عريف بن يحيى أمير سويد ووصل الصائح الى المعسكر من كل جانب فشمر جنود بني عبد الواد الى مراكزهم ثم دفعوهم عنها وحملوهم على هوة الخندق فتطاردوا فيه وترادفوا وهلك بالكظيظ أكثر ممن هلك بالقتل واستلحم في ذلك اليوم زعماء ملئهم مثل عمر بن عثمان كبير الحشم من بني توجين ومحمد بن سلامة بن علي كبير بني يدللتن منهم أيضا وغيرهم وكان يوماله ما بعده واعتز بنو مرين عليهم من يومئذ ونذر بنو عبد الواد بالتغلب عليهم واتصلت الحرب مدة عامين ثم اقتحمها السلطان غلابا السبع وعشرين من رمضان سنة سبع وثلاثين ووقف أبو تاشفين بساحة قصره مع خاصته وقاتل هنالك حتى قتل ابناه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن علي ووليه عبد الحق ابن عثمان من أعياص عبد الحق نزع اليه من جملة الموحدين كما أشرنا اليه واستوفى خبره فهلك هو وابنه وابن أخيه وأثخنت السلطان أبا تاشفين الجراحة ووهن لها فتقبض عليه واختبنه بعض الفرسان الى السلطان فلقيه الامير أبو عبد الرحمن تالك الحروب وأورد غمرتها بنفسه فاعترضه وقد غض الطرف بموكبه فأمر به في الحين فقتل واحتز رأسه وسخط ذلك السلطان من فعله لحرصه على توبيخه وتقريعه وذهب مثلا في الغابرين واقتحم السلطان البلد بكافة عساكره وتواقع الناس

بياض في الاصل

باب كشوط لجنودهم من كظيظ الزحام فهلك منهم أمم وانطلقت أيدى النهب على البلد فلحقت الكثير من أهله معرات فى أموالهم وحرمهم وخلص السلطان الى المسجد الجامع مع لمة من خواصه وحاشيته واستدعى شيوخ الفتيا بالبلد أبو زيد وأبو موسى ابنا الامام وفاء بحق العلم وأهله فخلصوا اليه بعد الجهد وعناء وذكروه بما نال الناس من النهب فركب لذلك بنفسه وسكن وأوزع جنوده وأشياعه من الرعية وقبض أيديهم عن الفساد وعاد الى معسكره بالبلد الجديد وقد كمل الفتح وعز النصر وشهد ذلك اليوم أبو محمد بن تافراكين واماه رسولاعن مولانا السلطان أبي يحيى وبجتد العهد فأعمله السلطان الى مرسله بالخبر وسابق السابقين ودخل تونس لسبع عشرة ليلة من نوبة الفتح فعظم السرور وعند السلطان أبي يحيى بهلاك عدوه والانتقام منه بثاره واعتدها بعاعيه ورفع السلطان أبو الحسن القتل عن بنى عبد الواد أعدائهم وشفى نفسه بقتل سلطانهم وعفا عنهم وأثبتهم فى الديوان وفرض لهم العطاء واستتبعهم على راياتهم ومراكزهم وجمع كلمة بنى واسين من بنى مرين وبنى عبد الواد وتوجين وسائر زناتة وأنزلهم بلاد المغرب وسد بكل طائفة منهم ثغرا من أعماله وساروا عصائب تحت لوائه فأنزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة وأجاز منهم الى ثغور عمله بالاندلس حامية ومرابطين واستجروا فى جملته واتسع نطاق ملكه وأصبح ملك زناتة بعد أن كان ملك بنى مرين وسلطان العدوتين بعد أن كان سلطان المغرب والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

(الخبر عن نكبة الامير عبد الرحمن بمتيجة وتقبض السلطان عليه ثم مهلكه اثرا)

قد قدمنا ما كان من اشتراط السلطان أبى سعيد على الموحدين منازلتهم تلمسان مع عساكره وتلوم السلطان أبي الحسن بتاسالت لانتظار مولانا السلطان أبي يحيى ولما نازل تلمسان بعساكره المرة الثانية لم يطالبهم بذلك وكان أبو محمد بن تافراكين يتردد اليه وهو بمعسكره من حصار تلمسان مؤديا حقه مستخبرا ما لعدوهم فلما تغلب على تلمسان أشترا اليه سفيره أبو محمد بن تافراكين بأن سلطانه قادم عليه للقائه وتهنئته بالظفر بعدوه وتشوق السلطان أبو الحسن اليه لما كان يحب الفخر ويعنى به وارتحل من تلمسان سنة ثلاث وثلاثين ومعسكر بمتيجة منتظرا وفادة مولانا السلطان أبي يحيى عليه وتكامل السلطان غنم الماآراء المتحكم فى دولته محمد بن الحكيم من حذر مغبتها وقال له ان لقاء سلطانين لا يتفق الا فى يوم على أحدهما نكره ذلك السلطان وتقاعد عنه وطال مقام السلطان أبى الحسن فى انتظار الموعد الذى ألقى اليه أبو محمد بن تافراكين واعتل لانشمر من لقائه ومرض بمرض بخطاطه وتحدث أهل المعسكر بهلكه وكان ابناء

الامير أبو عبد الرحمن وأبو مالك متناغيين فى ولاية عهده منذ أيام جدهما أبى سعيد وكان السلطان قد جعل لهما من أول دولته ألقاب الامارة وأحوالها من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين واثبات العطاء واستلحاق الفرسان والانفراد بالعساكر فكانا من ذلك على نهج وجعل لهما مع ذلك الجلوس لمقعد فصله مناوبة لتنفيذ الاوامر السلطانية فكانا لذلك رديفين له فى سلطانه ولما اشتد وجع السلطان تمشت سماسرة الفتن بين هذين الاميرين وحزب أهل المعسكر لهما أحزابا وبث كل واحد منهما المال وحمل على المقربات وصارت شيعا وانقسموا فرقا وهم الامير أبو عبد الرحمن بالتوثب على الامر قبل أن يتبين حال السلطان باغراء وزرائه وبطانته بذلك وتفطن خاصة السلطان لها فأخبروه الخبر وحضوه على الخروج الى الناس قبل أن يتفاقم الامر ويتسع الخرق فبرز الى فسطاط جلوسه وتسامع أهل المعسكر به فازدحموا على مجلسه وتقبيل يده وتقبض على أهل الظنة من العساكر وتسامع أهل المعسكر فأودعهم السجن وسخط على الاميرين ورحل الناس من معسكرهما فردهما الى معسكره ثم رجع الى فسطاطه فارتاب الاميران لذلك ووجما وطفئت نار فتنتهما وسكن سعى المفسدين وانبذ الناس عنهما فاشتدت روعة الامير أبى عبد الرحمن وركب من فساطيطه وخاض الليل وأصبح بحلة أولاد على أمراء زغبة الموطنين بأرض حمزة فتقبض عليه أميرهم موسى بن أبى الفضل ورده الى أبيه فاعتقله بوجدة ورتب العيون لحراسته من حشمه الى أن قتل بعد ذلك سنة ثنتين وأربعين وثب بالسجان فقتله وأنفذ السلطان حاجبه علال بن محمد فقضى عليه ولحق وزيره زيان بن عمر الوطاسى بالموحدين فأجاروه ورضى السلطان صنيعة نزوع أبى عبد الرحمن عن أخيه أبى مالك وعقد له على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وانكفأ الى تلمسان والله أعلم

(الخبر عن خروج ابن هيدور وتلبيسه بأبى عبد الرحمن)

لما تقبض السلطان على ابنه عبد الرحمن وأودعه السجن تفرق حرمه وحشمه واندعروا فى الجهات وهمل جازر من مطبخه كان يعرف بابن هيدور كان شبيها له فى الصورة فلحق ببنى عامر من زغبة وكانوا لذلك العهد منحرفين عن الطاعة خوارج على الدولة لما كان السلطان وأبوه اختصا عريف بن يحيى أمير سويد أقتالهم منذ نزع اليهم عن أبى تاشفين فركبوا اسنة الخلاف ولبسوا جلدة النفاق وانتبذوا بالقفار ورياستهم لذلك العهد لصغير بن عامر واخوته وعقد السلطان على حربهم لونزمار بن ولمه عريف وكان سيد البدو يومئذ فجمع لهم وشمر لطلابهم وأبعدوا أمامه فى المذاهب وأوقع بهم مرارا ولحق بهم هذا الجازر وانتسب لهم الى السلطان أبى الحسن وأنه أبو عبد الرحمن ابنه النازع

عمه فشمه لهم وبايعوه وأجلوا به على نواحى المرية وبرزا اليهم قائدها مجاهد بن من صنائع الدولة ففضوا جمعه وانهزم أمامهم ثم جمع لهم وتزمار وفتروا عن تلك النواحى وافترق جمعهم ونبذوا لذلك الجائر عهده فلحق ببنى يربان من زواوة ونزل على سيدتهم شمسى فقامت بأمره وحل بنوها من بنى عبد الصمد قومهم على طاعته وشاع فى الناس خبره فمن مصدق ومن مكذب حتى تبينت ووقفوا على كذبه فى انتسابه فنبذوا عهده ولحق بالزواودة أمراء رياح ونزل على سيدهم يعقوب بن على وانتسب له فى مثل ذلك فأجاره ان صدق نسبه وأوعز السلطان الى السلطان أبى يحيى صاحب افريقية فى شأنه فبعث الى يعقوب وأشخصه الى السلطان مع ذويه فلحق به بمكانه من سبتة فامتحنه السلطان وقطعه من خلاف واقحم داءه وبقى بالمغرب تحت جراية من الدولة الى أن هلك سنة ثمان وثمانين والله تعالى أعلم

(هذا الخبر عن الواقعة الاولى)

لما فرغ السلطان من أمر عدوه وما تبع من ذلك الاحوال صرف اعتزامه الى الجهاد لما كان كلفا به وكان الطاغية منذ شغل بنى مرين عن الجهاد منذ عهد يعقوب بن عبد الحق قد اعتزوا على المسلمين بالعدوة ونازلوا معاقلهم وتغلبوا على الكثير منها وارتجعوا الجبل ونازلوا السلطان أبا الوليد فى عقر داره بغرناطة ووضعوا عليه الجزية فتقبلها وأسفوا الى التهام المسلمين بالاندلس فلما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وعلت على الايدى يده وانفسح نطاق ملكه دعته نفسه الى الجهاد وأوعز الى ابنه الامير أبى مالك أمير الثغور من عمله بالعدوة سنة أربعين بالدخول الى دار الحرب وجهز اليه العساكر من حضرته وأنفذ اليه الوزراء فشخص غازيا فى الحفل وتوغل فى بلاد الطاغية واكتسحها وخرج بالسبى والغنائم الى أدنى صدره من أرضهم وأناخ بها واتصل به الخبر بأن النصارى جمعوا له وأغذوا السير فى اتباعه واشار عليه الملأ بالخروج من أرضهم واجازة الوادى الذى كان تخما بين أرض الاسلام ودار الحرب وأن يصير الى مدن المسلمين فيمتنع بها فلج فى ابايته وصمم على التعريس وكان قرما ثبتا الا أنه غير بصير بالحروب لمكان سنه فصبحهم عساكر النصرانية فى مضاجعهم قبل أن يركبوا وخالطوهم فى ابنيتهم وأدرك الامير أبو مالك بالارض قبل أن يستوى على فرسه فجدلوه واستلحموا الكثير من قومه واحتووا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين وأموالهم ورجعوا على أعقابهم واتصل الخبر بالسلطان فتفجع لهلاك ابنه واسترحم له واحتسب عند الله أجره وفى سبيله قتله وشرع فى اجازة العساكر للجهاد وتجهيز الاساطيل

لما بلغ الخبر الى السلطان باستشهاد ابنه أخرج وزراءه الى السواحل لتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء واعترض الجنود وأزاح عللهم واستنفر أهل المغرب وارتحل الى سبتة ليباشر أحوال الجهاد وتسامعت أمم النصرانية بذلك فاستعدوا للدفاع وأخرج الطاغية أسطوله الى الزقاق ليمنع السلطان من الاجازة واستحث السلطان أساطيل المسلمين من مراسي العدوة وبعث الى الموحدين بتجهيز أسطولهم اليه فعقدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية من صنائع دولتهم ووافى سبتة فى ستة عشر من أساطيل افريقية كان فيها من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية وتوافت أساطيل المغرب بمرسى سبتة تناهز المائة وعقد السلطان عليها لمحمد بن على العزفى الذى كان صاحب سبتة يوم فتحها وأمره بمناجزة أسطول النصارى بالزقاق وقد اكمل عديدهم وعدتهم فاستلأموا وتظاهروا فى السلاح وزحفوا الى أسطول النصارى وتواقفوا مليا ثم قربوا الاساطيل بعضها الى بعض وقرنوها للمصاف فلم يعض الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وأظفر الله المسلمين بعدوهم وخالطوهم فى أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيوف وطعنا بالرماح وألقوا أشلاءهم فى اليم وقتلوا قائدهم الملند واستاقوا أساطيلهم مجنوبة الى مرسى سبتة فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤسهم فى جوانب البلد ونظمت أصفاد الاسرى بدار الانشاء وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة وأنشدت الشعراء بين يديه وكان يوما من أعز الايام والمنة لله

(الخبر عن واقعة طريف وتمحيص المسلمين)

لما ظفر المسلمون باسطول النصارى وخضدوا شوكتهم عن ممانعة الجواز شرع السلطان فى اجازة العساكر الغزاة من المطوعة والمرتزقة وانتظمت الاساطيل سلسلة واحدة من العدوة الى العدة ولما استكمل اجازة العساكر أجاز هو فى أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين ونزل بساحة طريف وأناخ بعساكره عليها واضطرب معسكره بفنائها وبدأ بمنازلتها ووافاه سلطان الاندلس أبو الحجاج ابن السلطان أبى الوليد بعسكر الاندلس من غزاة زناتة وحامية الثغور ورجل البدو فعسكر واحذاء معسكره وأحاطوا بطريف نطاقا واحدا وأنزلوا بهم أنواع القتال ونصبوا عليها الآلات وجهز الطاغية اسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر وطال ثواؤهم بمكانهم من حصار البلد ففنيت أزودتهم وافتقدوا العلوفات فوهن الظهر واختلت أحوال المعسكر واحتشد الطاغية أمم النصرانية وظاهره البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس فجاء معه فى قومه وزحف اليهم لستة أشهر من نزولهم ولما قرب معسكرهم سرب الى طريف جيشا من النصارى أكمنه بها فدخلوه ليلا على حين غفلة من العسس الذى أرصداهم

وأحروابهم آخر ليلتهم فثاروا بهم من مراصدهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلد فقتلوا منهم عددا وابسوا أهل السلطان بأنه لم يدخل البلد واهتم حذرا من سطوته وزحف الطاغية من الغد في جموعه وعبي السلطان مواكب المسلمين صفوفا وتزاحفوا ولما نشب الحرب برز الجيش الكمين من البلد وخالفوهم الى المعسكر وعمدوا الى فسطاط السلطان ودافعهم عنه الناشبة الذين أعدوا للحراسة فاستلحموهم ثم دافعهم النساء عن أنفسهن فقتلوهن وخلصوا الى حظايا السلطان عائشة بنت عمه أبي يحيى ابن يعقوب وفاطمة بنت مولانا السلطان أبي يحيى ملك افريقية وغيرهما من حظاياه فقتلوهن واستلبوهن وانتهبوا سائر الفسطاط وأضرموا المعسكر نارا وأحس المسلمون بما وراءهم في معسكرهم فاختل مصافهم وارتدوا على أعقابهم بعد أن كان ابن السلطان صمم في طائفة من قومه وذويه حتى خالطهم في صفوفهم فأحاطوا به وتقبضوا عليه وولى السلطان متحيزا الى فئة المسلمين واستشهد كثير من الغزاة ووصل الطاغية الى فسطاط السلطان من الحلة وأنكر قتل النساء والولدان ووقف عنه لمنتهى أثره وانكفأ راجعا الى بلاده ولحق ابن الاحمر بغرناطة وخلص السلطان الى الجزيرة ثم الى الجبل ثم ركب السفين الى سبتة في ليله ومحص الله المسلمين وأجزل ثوابهم

لما رجع الطاغية من طريف استأسد على المسلمين بالاندلس وطمع في التهامهم وجمع عساكر النصرانية ونازل قلعة بني سعيد ثغر غرناطة وعلى مرحلة منها وجمع الآلات والايدي على حصارها واشتد مخنقها وأصابهم الجهد من العطش فنزلوا على حكمه سنة ثنتين وأربعين وأدال الله الطيب منها بالخبيث وانصرف الى بلاده وكان السلطان أبو الحسن لما أجاز الى سبتة أخذ نفسه بالعودة الى الجهاد لرجع الكرة وبعث في الامصار للاستنفار وأخرج قواده الى سواحل البحر لتجهيز الاساطيل حتى اكتمل له منها اعداد ثم ارتحل الى سبتة لمشارفتها وقدم عساكره الى العدوة مع وزيره عسكر بن تاحضريت وبعث على الجزيرة محمد بن العباس بن تاحضريت من قرابة الوزير وبعث اليها مددا من العسكر مع موسى بن ابراهيم اليرنياني من المرشحين للوزارة نيابة وبلغ الطاغية خبره فجهز أسطوله وأجراها الى بحر الزقاق لمدافعته وتلاقت الاساطيل ومحص الله المسلمين واستشهد منهم أعداد وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق وملكوه دون المسلمين وأقبل الطاغية من اشبيلية في عساكر النصرانية حتى أناخ بها على الجزيرة الخضراء مرفأ أساطيل المسلمين وفرضة المجاز وأمل أن يستلمها في مملكته مع جارتها طريف وحشر الفعلة والصناع للآلات وجمع الايدي عليها وطاولها الحصار واتخذ

أثل المعسكر بيوتا من الخشب للمطاولة وجاء السلطان أبو الحجاج بعساكر الاندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح فى سبيل الممانعة وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبتة ليسرّب عليها المدد من الفرسان والمال والزرع فى الفعلة من أساطيلهم وتحت جناح الليل فلم يغنهم ذلك واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد وأجاز اليه السلطان أبو الحجاج يفاوضه فى شأن السلم مع الطاغية بعد اذن الطاغية له فى الاجازة مكرا به وترصد له بعض الاساطيل فى طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا الى الساحل بعد غص الريق وضاق أحوال الجزيرة ومن كان بها من عساكر السلطان وسألوا من الطاغية الامان على أن ينزلوا عن البلد فبذله وخرجوا فوفى لهم وأجازوا الى المغرب سنة ثلاث وأربعين فأنزلهم السلطان ببلاده على خير نزل ولقاهم من المبرة والكرامة ما أعاضهم عما فاتهم وخلع عليهم وحملهم وأجازهم بما تحدث به الناس وتقبض على وزيره عسكر بن تاحضريت عقوبة على تقصيره فى المدافعة مع تمكنه منها من العساكر وانكفأ السلطان الى حضرته موقنا بظهور أمر الله وانجاز وعده فى رجوع الكرة وعلو الدين والله متمّ نوره ولو كره الكافرون

كان عثمان بن أبى العلاء من أعياص آل عبد الحق شيخ الغزاة المجاهدين من زناتة والبربر بالاندلس وكان له فيها مقام معلوم فى حماية الثغور ومدافعة العدو وغزو دار الحرب ومساهمة صاحب الاندلس الجهاد كما نستوفى أخباره وكان السلطان أبو سعيد لما استصرخ بأهل الاندلس اعتذر بمكانه بينهم واشترط عليهم أن يمكنوه من قياده حتى يقضى نوبة الجهاد فلم يسعفوه بذلك ولما هلك عثمان بن أبى العلاء قام بالامر من بعده فى مراسم الجهاد بنوه وكانوا يرجعون فى رياستهم الى كبيرهم أبى ثابت عامر وقويت عصابتهم بالموالى والابناء وغلبت على يد السلطان واستبدوا عليه فى أكثر الاحوال واستنكف لها وكان ذلك مما دعاه الى القدوم على السلطان أبى الحسن وارتاب بنو أبى العلاء فى اجازته اليه واتهموه على أنفسهم وأسعدهم الى منازلة جبل الفتح على كره فلما تغلب المسلمون عليه وقضى ابن الاحمر من مدافعة الطاغية منه لرغبة ما قضى كما ذكرناه واعتزم على القفول الى حضرته أجمعوا الفتك به فى طريقه وداخلوا فى ذلك مولاه ابن المعلوجى لما أسفهم به من ارهاف حده والتضييق عليهم فى جاههم فرصدوا وأوطؤا على البث حتى اذا وجدوا من أبى العلاء صاغية الى ذلك خفوا الى اجابتها ونذر بهم محمد ابن الاحمر فبعث عن السفن تعرضه فى طريقه وساحل اليهم وتسابقوا الشأنهم قبل فوته فأدركوه دون حصن اصطبونة وعتبوه فاستعتب واغلظوا له فى القول وقتلوا

الساحل فى المواضع الثلاثة بالأصل

مولاه عاصما صاحب ديوان العطاء تعتبا عليه ونكر ذلك السلطان فتناولوه بالرماح قعصا وطعنا حتى أقعصوه ورجعوا الى المعسكر فاستدعوا من كان اخلهم من الموالى وباؤا بأخيه أبى الحجاج يوسف بن أبى الوليد فبايعوا له وأصفقوا على تقديمه وسرح لحينه قائده ابن عزون فاستولى له على دار الملك وتم أمره وحجبه رضوان مولى أبيهم واستبد عليه وسكن بن جنبيه من بنى أبى العلاء وقتلهم لأخيه داء دخيل حتى اذا سما السلطان أبو الحسن الى الجهاد وأجاز المدد الى ثغور عمله بالاندلس وعقد لابنه الامير أبى مالك أسر اليهم فى شأن بنى أبى العلاء بما كان أبوه السلطان أبو سعيد اشترط عليهم فى مثلها ووافق منه داعية لذلك فتقبض عليهم أبو الحجاج وأودعهم المطبق أجمع ثم أشخصهم فى السفين الى مراسى افريقية فنزلوا بتونس على مولانا السلطان أبى يحيى وبعث فيهم السلطان أبو الحسن اليه فاعتقلهم ثم أوعز اليه مع عريف الوزعة ببابه ميمون ابن بكرون فى اشخاصهم الى حضرته فتوقف عنها وأبى من اخفار ذمتهم ووسوس اليه وزيره أبو محمد بن تافراكين بأن مقصد السلطان فيهم غير ما ظنوا به من الشر ورغب بعثهم اليه والمبالغة فى الشفاعة فيهم علما بأن شفاعته لا ترد فأجابه لذلك وجنبوهم اليه مع بكرون واتبعهم أبو محمد بن تافراكين بكتاب الشفاعة فيهم من السلطان وقدموا على السلطان أبى الحسن مرجعه من الجهاد سنة ثنتين وأربعين فتلقاهم بالبر والترحيب اكراما لشفيعهم وأنزلهم بعسكره وجنب لهم المقربات بالمراكب الثقيلة وضرب لهم الفساطيط وأسنى لهم الخلع والجوائز وفرض لهم أعلى رتب العطاء وصاروا فى جملته ولما احتل بسبتة لمشارفة أحوال الجزيرة سعى عنده فيهم بأن كثيرا من المفسدين بداخلونهم فى الخروج والتوثب على الملك فتقبض عليهم وأودعهم فى السجن بمكاسة الى أن كان من خبرهم مع ابنه أبى عنان ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

{الخبر عن هدية السلطان الى المشرق وبعثه نسخ المصحف من خطه الى الحرمين والقدس}

كان للسلطان أبى الحسن مذهب فى ولاية ملوك المشرق والكلف بالمعاهد الشريفة تقبله من سلفه وضاعفه لديه متين ديانته ولما قضى من أمر تلمسان ما قضى وتغلب على المغرب الاوسط وصار أهل النواحى تحت ربقته واستطال بجناح سلطانه خاطب لحينه صاحب مصر والشام محمد بن قلاوون الملك الناصر وعرفه بالفتح وارتفاع العوائق عن الحاج فى سابلتهم وكان فى ذلك فارس بن ميمون بن وردار وعاد بجواب الكتاب وتقرير المودة بين السلف وأجمع السلطان على كتب نسخة عتيقة من المصحف الكريم بخط يده ليوقفها بالحرم الشريف قربة الى الله تعالى وابتغاء

للمثوبة فانتسخها وجمع الوراقين لمعاناة تذهيبها وتنميقها والقراء لضبطها وتهذيبها حتى اكتمل شأنها وصنع لها وعاء مؤلفا من خشب الابنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشى بصفائح الذهب ونظم بالجوهر والياقوت واتخذ له اصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب من فوقها غلاف الحرير والديباج وأغشية الكتان وأخرج من خزائنه أموالا عينها لشراء الضياع بالمشرق لتكون وقفا على القراء فيها وأوفد على الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام خواص مجلسه وكبار أهل دولته مثل عريف بن يحيى أمير زغبة والسابق المقدم فى بساطه على كل خاصة عطية بن مهلهل بن يحيى كبير الدولة وبعث كاتبه أبا الفضل بن محمد ابن أبى مدين وعريف الوزعة ببابه وصاحب دولته عبو بن قاسم المزوار واحتفل فى الهدية للمزوار للسلطان صاحب مصر احتفالا تحدث الناس به دهرا ووقفت على برنامج الهدية بخط أبى الفضل بن أبى مدين هذا الرسول ووعيته وأنسيته وذكر لى بعض قهارمة الدار أنه كان فيها خمسمائة من عتاق الخيل المقربات بسروج الذهب والفضة ولجمها خالصا ومغشى ومموها وخمسمائة حمل من متاع المغرب وماعونه وأسلحته ومن نسج الصوف المحكم ثيابا وأكسية وبرانس وعمائم وازرا معلمة وغير معلمة ومن نسج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملونا وغير ملون وساذجا ومنمقا ومن الدرق المجلوبة من بلاد الصحراء المحكمة بالدباغ المعارف وتنسب الى اللمط ومن خرثى المغرب وماعونه ومايستظرف صناعته بالمشرق حتى لقد كان فيها مكيل من حصى الجوهر والياقوت واعتزمت حظية من حظايا أبيه على الحج فى ركابه ذلك فأذن لها واستبلغ فى تكريمها واستوصى بها وافده وسلطان مصر فى كتابه وفصلوا من تلمسان سنة وأدوا رسالتهم الى الملك الناصر وهديتهم فتقبلها وحسن لديه موقعها وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوما مشهودا تحدث به الناس دهرا واقاهم فى طريقهم أنواع البر والتكرمة حتى قضوا فرضهم ووضعوا المصحف الكريم حيث أمرهم صاحبهم واسنى هدية السلطان من فساطيطهم الغريبة الشكل والصنعة بالمغرب ومن ثياب الاسكندرية البديعة النسج المرقومة بالذهب ورجعهم بها الى مرسلهم وقد استبلغ فى تكريمهم ووصلتهم وبقى حديث هذه الهدية مذكورا بين الناس لهذا العهد ثم انتسخ السلطان نسخة أخرى من المصحف الكريم على القانون الاول ووقفها على القراء بالمدينة وبعث بها من تخيره لذلك العهد من أهل دولته سنة واتصلت الولاية بينه وبين الملك الناصر الى أن هلك سنة احدى وأربعين وولى الامر من بعده ابنه أبو الفداء اسمعيل فخاطبه السلطان وأتحفه وعزاه

بياض بالاصل

عن أبيه وأوفد عليه كاتبه وصاحب ديوان الخراج أبا الفضل بن عبد الله بن أبي مدين
فقضى من وفادته ما حمل وكان شأنه عجبا في اظهار ابهة سلطانه والانفاق على
المستضعفين من الحاج في طريقه واتحاف رجال الدولة التركية بذات يده والتعفف
عما في أيديهم ثم شرع بعد استيلائه على افريقية كما نذكره في كتاب نسخة أخرى من
المصحف الكريم ليوقفها ببيت المقدس فلم يقدر اتمامها وهلك قبل فراغه من نسخها
كما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن هدية السلطان الى ملك مالي من السودان المجاورين للمغرب) *

كان للسلطان أبي الحسن مذهب في الفخر يتطاول به الى مباغات الملوك الاعاظم
واقتفاء سننهم في مهاداة الاقيال والامصار وانفاد الرسل على ملوك النواحي القاصية
والتخوم البعيدة وكان ملك مالي أعظم ملوك السودان لعهده ومجاور الملكه بالمغرب
على مائة مرحلة في القفر من ثغور ممالكه القبلية ولما غلب بني عبد الواد على تلمسان
وابتزهم ملكهم واستولى على ممالك المغرب الاوسط وتحدث الناس بشأن أبي تاشفين
وحصاره ومقتله وما كان للسلطان في ذلك من سورة التغلب وآية العز وشاعت أخبار
ذلك في الآفاق وسما سلطان مالي منسا موسى المتقدم ذكره في أخبارهم الى
مخاطبته فأوفد عليه فراقين من أهل مملكته مع ترجمان من الملثمين المجاورين
لممالكهم من صنهاجة فوفدوا على السلطان في التهنئة بالغلب والظفر فأكرم وفادتهم
وأحسن مثواهم ومنقلبهم ونزع الى طريقته في الفخر فانتقى طرفا من متاع المغرب
وماعونه من ذخيرة داره واسنى هدية وعين رجالا من أهل دولته كان فيهم كاتب الديوان
أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاه عنبر الخصي وأوفدهم بها على ملك مالي منسا
سليمان بن مهلك أبيه قبل مرجع وفده وأوعز الى اعراب الفلاة من المعقل بالسير معهم
ذاهبين وجائين فشمر لذلك علي بن غانم أمير أولاد جار الله من المعقل وصحبهم في طريقهم
امتثالا لامر السلطان وتوغل ذلك الركاب في القفر الى بلد مالي بعد الجهد وطول الشقة
فأحسن مبرتهم وأعظم موصلهم وأكرم وفادتهم ومنقلبهم وعادوا الى مرسلهم في وفد
من كبار مالي يعظمون سلطانه ويوجبون حقه ويؤدون طاعته من خضوع مرسلهم
وقيامه بحق السلطان واعتماله في مرضاته ما استوصاهم به فأدوا رسالتهم وبلغ السلطان
أربا من اعتزازه على الملوك وخضوعهم لسلطانه وقضى حق الشكر لله في صنعه

* (الخبر عن اصهار السلطان الى صاحب تونس) *

لما هلكت ابنة السلطان أبي يحيى بطريف فيمن هلك من حظايا السلطان أبي الحسن
فاطمة بقي في نفسه منها شيء حنينا الى ما شغفته به من خلالها وعزة سلطانها وقيامها

على بيتها وظائرها فى تصريفها والاستمتاع بأصول الترف ولذاذة العيش فى عشرتها فسما أمله الى الاعتياض عنها ببعض أخواتها وأوفد فى خطبتها وليه عريف بن يحيى أمير زغبة وكاتب الجباية والعساكر بدولته أبا الفضل بن عبد الله بن أبى مدين وفقيه الفتوى بمجلسه أبا عبد الله محمد بن سليمان السطى ومولاه عنبرا الخصى فوفدوا يوم من سنة ست وأربعين وأنزلوا منزل البر واستبلغ فى تكريمهم ودس الحاجب أبو عبد الله ابن تافراكين الى سلطانه غرض وفادتهم فأبى من ذلك صونا لحرمه عن جولة الاقطار وتحكم الرجال واستعظاما لمثل هذا العرس ولم يزل حاجبه ابن تافراكين يخفض عليه الشأن ويعظم عليه حق السلطان أبى الحسن فى رد خطبته مع الاذمة السابقة بينهما من الصهر والمخالصة الى أن أجاب وأسعف وجعل ذلك اليه فانعقد الصهر بينهما وأخذ الحاجب فى شوار العروس وتأنق فيه واحتفل واستكثر وطال ثواء الرسل الى أن استكمل وارتحلوا من تونس لربيع من سنة تسع وأوعز مولانا السلطان أبو يحيى الى ابنه الفضل صاحب بونة وشقيق هذا العروس أن يزفها على السلطان أبى الحسن قياما بحقه وبعث من بابه مشيخة من الموحدين مقدمهم عبد الواحد بن محمد ابن أكماز يصحبوا ركابها اليه ووفدوا جميعا على السلطان واتصل الخبر أثناء طريقهم بمهلك مولانا السلطان أبى يحيى عفا الله عنه فعزاهم السلطان أبو الحسن عنه عند ما وصلوا اليه واستبلغ فى تكريمهم وأجمل موعد أخيها الفضل بسلطانه ومظاهرته على تراث أبيه فاطمأنت به الدار الى أن سار فى جملة السلطان وتحت ألويته الى افريقية كما نذكر ان شاء الله تعالى

(الخبر عن حركة السلطان الى افريقية واستيلائه عليها)

كان السلطان أبو الحسن قد امتدت عينه الى ملك افريقية لولا مكان السلطان أبى يحيى من ولايته وصهره وأقام يتحين لها الاوقات ولما بعث اليه فى الصهر وأشيع بتلمسان أن الموحدين ردوا خطبته نهض من المنصورة بتلمسان وأغذ السير الى فاس ففتح ديوان العطاء وأزاح علل العسكر وعقد على المغرب الاقصى لحافده منصور بن الامير أبى مالك وفوض الى الحسن بن سليمان بن تزيكن فى أحكام الشرطة وعقد له على الضاحية وارتحل الى تلمسان مضمرا الحركة الى افريقية حتى اذا جاء الخبر اليقين بالاسعاف والزفاف سكن عزمه وهدأ طائره فلما هلك السلطان أبو يحيى فى رجب من سنة سبع وأربعين وكان من قيام ابنه عمر بالامر ونزوع الحاجب أبى محمد بن تافراكين فى رمضان منها ما ذكرناه تحركت عزائم السلطان لذلك ورغبه ابن تافراكين فى ملك الموحدين فرغب وجاء على أثره الخبر بما كان من قبل عمر لاخيه أحمد ولى العهد

بياض بالأصل

وكان يستظهر على عهده بكتاب أبيه وما أودعه السلطان بحاشيته من الوفاق على ذلك بخطه واقتضاه منه حاجبه أبو القاسم بن عتو في سفارته اليه فامتعض السلطان لما أضاع عمر من عهد أبيه وهدر من دم أخيه وارتكب مذاهب العقوق فيهم وشرق السياج الذي فرضه بخطه عليهم فأجمع الحركة الى افريقية ولحق به خالد بن حمزة بن عمر داعيا اليه ومستعدا مسيره ففتح ديوان العطاء ونادى في الناس بالمسير الى افريقية وأزاح عللهم وكان صاحب بجاية المولى أبو عبد الله حافد مولانا الامير أبي يحيى وفد على السلطان أبي الحسن أيام ملك جده بتربية المكتب بسفارة أبيه اليه وبطلب الاقرار على عمله فلما استيأس منه واستيقن حركته بنفسه الى افريقية طلب الرجوع الى مكانه فأسعف وفصل الى بجاية ولما قضى السلطان منسك الاضحى من سنة تسع وأربعين عقد لابنه الامير أبي عنان على المغرب الاوسط وعهد اليه بالنظر في أموره كافة وجعل اليه حمايته وارتحل يريد افريقية وسار في جملته هو وخالد بن حمزة أمير البدو ولما احتل بوهران وافاه هنالك وفد قسنطينة وبلاد الجريد يقدمهم أحمد بن مكي أمير حربه ورديف أخيه عبد الملك في امارته ويحيى بن محمد بن يملول أمير توزر سقط اليها بعد خروج الامير أبي عمر العباس ولي العهد عنها وهلكه بتونس وأحمد بن عامر بن العابد رئيس نفطة رجعا اليهما كذلك بعد مهلك ولي العهد فلقيه هؤلاء الرؤساء بوهران في ملا من وجوه بلادهم فأتوه بيعتهم وقضوا حق طاعته ومحمد بن ثابت أمير طرابلس عن اللحاق به فبعث بيعته معهم فأكرم وفدهم وعقد لهم على أمصارهم وصرفهم الى أعمالهم وتمسك بأحمد بن مكي أصحابه في ركابه وفي جملته وأغذ السير ولما احتل بني حسن من أعمال بجاية وافاه بها منصور بن فضل بن مزني أمير بسكرة وبلاد الزاب في وفد من أهل وطنه ويعقوب بن علي بن أحمد سيد الزواودة وأمير البدو بضاحية بجاية وقسنطينة فتلقاهم بالمبرة والاحتفاء وألزمهم ساقته وسرح بين يديه قائده حمو بن يحيى العسكري من صنائع أبيه فلما عسكر بساحة بجاية أبى أبو عبد الله وأبى عليه أهل البلد رهبة من السلطان ورغبة فيه وانفضوا من حوله وراسلت مشيختهم من القضاة وأهل الفتيا والشورى بمجلس السلطان وسابقهم اليه حاجبه فارح بن سيد الناس فأدى طاعته ورجعه اليه للخروج للقاء ركابه وارتحل حتى اذا أطلت راياته على البلد بادر المولى أبو عبد الله ولقيه بساحة البلد واعتذر عن تخلفه فتقبل عذره وأسنى له من البرور والتكرمة محل الولد العزيز وأقطعه عمل كومية من نواحي ستين وأسنى جرايته بتلمسان وأصحبه الى ابنه أبي عنان صاحب المغرب الاوسط واستوصاه به ودخل بجاية ورفع عنهم الظلامات وحط عنهم الربع من المغارم ونظر في أحوال ثغورها

فثقفها وسد فروجها وعقد عليها لمحمد بن النوار من طبقة الوزراء والمرشحين لها وأنزل معه حامية من بني مرين وكاتب الخراج بها به بركات بن حسون بن البواق وارتحل معد السيرة حتى احتل بقسنطينة وتلقاه أميرها أبو زيد حافد مولانا السلطان أبي يحيى وأخواه أبو العباس أحمد وأبو يحيى زكريا وسائر اخوتهم فأتوه ببيعتهم ونزلوا له عن عملهم واد الهم السلطان منه بندرومة من عمل تلمسان عقد للمولى أبي زيد على امارتها وجعل له اسوة اخوته في اقطاع جبايتها ودخل البلد وعقد عليها لمحمد بن العباس وانزل معه العباس بن عمر في قومه من بني عسكر وأمضى اقطاعات الزواودة ووافاه هنالك عمر بن حمزة سيد الكعوب لعهده وأمير البدو متحاملا ركابه وأخبره برحيل السلطان عمر ابن مولانا السلطان أبي يحيى من تونس فيمن اجتمع اليه من أولاد مهلهل اقتالهم من الكعوب موجها الى ناحية قابس وأشار على السلطان بتسريح العساكر لاعتراضه قبل أن يخلص الى طرابلس فسرح معه حمو بن يحيى العسكري قائده في عسكر من بني مرين والجند وارتحلوا في اتباع السلطان أبي حفص وتلوم السلطان أبو الحسن بقسنطينة واعترض عساكره بسطح الجعاب منها وصرف يوسف ابن مزني الى عمله بالزاب بعد أن خلع عليه وحمله ثم عقد للمولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى على مكان عمله ببونة وملاحقا به جائزة وخلعا نفيسة وسرحه ثم ارتحل على أثرهم وأوعز حمو بن يحيى مع الناجعة من أولاد أبي الليل ولحقوا بالامير أبي حفص لمباركة من ناحية قابس فأوقعوا به وتردى عن فرسه في حومة القتال هو ومولاه ظافر السنان القائم بدولته من المعلوجي فتقبض عليهما وسيقا الى أبي حمو فاعتقلهما الى الليل ثم ذبحهما وأنفذ برؤسهما الى السلطان ولحق الفل بقابس فتقبض عبد الملك بن مكي على أبي القاسم بن عتو صاحب الامير أبي حفص وشيخ الموحدين وعلى صخر بن موسى شيخ بني سكين من سدويكش فيمن تقبض عليه من ذلك الفل وأشخصهم مقرنين في الاصفاد الى السلطان وسرح السلطان عساكره الى تونس وعقد عليهم ليحيى بن سليمان صهره من بني عسكر على ابنته وأنفذ معه أحمد بن مكي فاحتلوا بتونس واستولوا عليها وانطلق ابن مكي الى مكان عمله من هنالك لما عقد له السلطان عليه وسرحه اليه بعد أن خلع عليه وعلى حاشيته وحملهم ونزل السلطان بناحية   فوافاه هنالك البريد برأس الامير أبي حفص وعظم الفتح ثم ارتحل الى تونس واحتل بها يوم الاربعاء الثامن لجمادى الآخرة من سنة ثمان وتلقاه وفد تونس وملؤها من شيوخ الشورى وأرباب الفتيا فاتوا طاعتهم وانقلبوا مسرورين لمكانتهم ثم عبى يوم السبت الى دخولها مواكبه وصف جنوده سماطين من معسكره

هذان السلطان بالاصل [?]

بهجوم الى باب البلد بناهز ثلاثة أميال أو أربعة وركب بنو مرين الى مراكزهم في جموعهم وتحت راياتهم وركب السلطان من فسطاطه وراكبه من على يمينه ولبه عريف بن يحيى أمير زغبة ويليه أبو محمد عبد الله بن تافراكين ومن على يساره الامير أبو عبد الله محمد أخو مولانا السلطان أبي يحيى ويليه الامير أبو عبد الله ابن أخيه خالد كانا معتقلين بقسنطينة مع ولدهما منذ خروج أخيه الامير أبي فارس وأطلقهم السلطان أبو الحسن وصحبوه الى تونس فكانوا طرازا في ذلك الموكب فيمن لا يحصى من أعياص بني مرين وكبرائهم وهدرت طبوله وخفقت راياته وكانت يومئذ مائة وجاء والمواكب تجتمع عليه صفاصفا الى أن وصل الى البلد وقد ماجت الارض بالجيوش وكان يوما لم ير مثله فيما عقلناه ودخل السلطان الى القصر وخلع على أبي محمد ابن تافراكين كسوته وقرب اليه فرسه بسرجه ولجامه وطعم الناس بين يديه وانتشروا ودخل السلطان مع أبي محمد بن تافراكين الى حجر القصر ومساكن الخلفاء فطاف عليها ودخل منه الى الرياض المتصلة به المدعوة برأس الطابية فطاف على بساتينه وأفضى منه الى معسكره وأنزل يحيى بن سليمان بقصبة تونس في عسكر لحمايتها ووصل اليه فل الامير أبي حفص والامير بقابس مقرنين في أصفادهم فأودعهم السجن بعد ان قطع أبا القاسم بن عتو وصخر بن موسى من خلاف لفتيا الفقهاء بحرابتهم وارتحل من الغد الى القيروان فجال في نواحيها ووقف على آثار الاولين ومصانع الاقدمين والطلول الماثلة لصنهاجة والعبيديين وزار أجداث العلماء والصالحين ثم سار الى المهدية ووقف على ساحل البحر ونظر في عاقبة الذين كانوا من قبل أشد قوة وآثارا في الارض واعتبر بأحوالهم ومر في طريقه بقصر الاجم ورباط المنستير وانكفأ راجعا الى تونس واحتل بها غرة رمضان وأنزل المسالح على ثغور افريقية وأقطع بني مرين البلاد والضواحي وأمضى اقطاعات الموحدين للعرب واستعمل على الجهات وسكن القصر وقد عظم الفتح وعظمت في الاستيلاء على الممالك والدول المنة واتصلت عمالته ما بين مسراتة والسوس الاقصى من هذه العدوة والى رندة من عدوة الاندلس والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * ودفع اليه الشعراء بتونس يهنونه بالفتح وكان سابقهم في تلك النوبة أبو القاسم الرحوي من ناشئة أهل الادب فرفع اليه قوله

أجابك شرق اذ دعوت ومغرب * فمكة هشت للقاء ويثرب

وناداك مصر والعراق وشامه * بدار فصدع الدين عندك يشعب

وحنت أوكادت تحي منابر * عليها دعاة الحق باسمك تخطب

فسارع منا كل دان وشاسع * الى طاعة من طاعة الله تحسب
وتاقت لك الارواح حبا ورغبة * وأنت على الآمال تنأى وتقرب
ففي البلدة البيضاء لبالك معشر * وأنت بأفق الناصر يترقب
ووافتك من ذات النخيل وفودها * فلاقاهم أهل لديك ومرحب
ولم تتلكأ عن اباء بجاية * ولكن ترأس الصعب ثم تركب
تأبت فلما ان أطلت عساكر * ترى الشهب منها تستباح وتنهب
تبادر منهم مذعن ومسلم * وأذعن منهم شاغب ومؤلب
وما تونس الا بمصر مروع * وفي حرم أمست لديك تسرب
وما أهلها الا بغاث لصائد * وبالعز منها استنسروا وتعقبوا
وقد كنت قبل اليوم كهف زعيمهم * فها أنت كهف للجميع ومهرب
فكان يرى أن الزمان أداله * بكم فأجاب العيش والعيش مخصب
كذلك ابن طانع وان اعتلت * به السن أحوالا وأنت له أب
وما ذاك الا أن عدلك ينتمي * الى الخلفاء الراشدين وينسب
تساميت في ملك ونسك تخطه * حذاءك محراب لديها ومركب
اذا الذ للاملاك خمر مدامة * فلذلك القرآن يتلى ويكتب
وان لذ من القوم الصبوح فانما * على ركعات بالضحى أنت تدأب
وان حمدوا الشرب الغبوق فانما * شرابك بالامساء ذكر مرتب
وان خشنت أخلاقهم وتحجبوا * فما أنت فظ بل ولا متحجب
لقد كرمت منك السجايا فأصبحت * اذا ما أمر الدهر تحلو وتعذب
كما شيدت بيتا ذؤابة معشر * يزيدهم قحطان فخرا ويعرب
هم التاركو قلب القساور خضعا * وعن شأوهم كفت عبيد وأغلب
هم الناس والاملاك تحت جوارهم * هم العظم والارض العظيمة مغرب
هم المالكو الملك العظيم فبيتهم * على كاهل السبع الشداد مطنب
لقد أصبحت بغداد تحسد باسهم * وحلة ودت أن تكون تناسب
تجلت ببيت المجد منهم كواكب * لقد جل منها شارق ومغرب
ولله منهم ثلة بغرنية * يروم بناها الاعجمي فيغرب
أقيد قام عبد الحق للحق طالبا * فما فاته منه الذي قام يطلب
وأعقب يعقوبا يؤم سبيله * فلم يخطه وهو السبيل المخصب
وخلف عثمانا فلله صارم * به بان للاسلام شرع ومذهب

وكم في سبيل الله شن اغارة * لما شاد أهل الكفر أمست تخرب
ولما أراد الله اتمام منه * تقلدها منا مطيع ومذنب
أبى لك للدين الحنيفي آية * تعزى بها عن لامع الحق غيهب
كنت عارفى به الله سالكا * سبيلا الى رضوانه بك يذهب
وقمت بأمر الله حق قيامه * يناضل عنه منك نصل مدرب
وأصبح أهل الله أهلا وشيعة * لكم ولهم منكم مكان ومنصب
وحل بأهل الفتك ما حل عزمهم * وقام لديهم واعظ مترقب
وجاهدت في الرحمن حق جهاده * فراهب أهل الكفر بأسك يرهب
وأنقذت من أيدى الاغارة أمة * وأولى جهاد كان بل هو أوجب
فأصبحت الدنيا ورب رزقها * لامرك من جارى المقادير مغرب
فلا مصر الا قيد تمالك أهله * ولا أرض الا بادكار لك تخصب
وما الارض الا منزل أنت ربه * وما حلها الا الودود المرجب
تملكت شطر الارض كسبا وشطرها * وراثا فطاب الكل ارثا ومكسب
فجيش على الالواح والماء يمتطى * وجيش على الضمر السوابق يركب
وجيش من الاحسان والعدل والتقى * وذلك لعمر الله أعلى وأغلب
فلا مركب الا بين راكبا * ولا راكب الا به اردان مركب
ولا رمح الا وهو أهيف خاطر * ولا سيف الا وهو أبيض قاضب
فكم كاتب خطيه ودواته * ولم يقر خطا يقتدى وهو يكتب
يجر على الابطال وهو كنانه * هر بر وابطال الفوارس ربرب
وكم كاتب لا ينكر الطعن رمحه * خبير بأيام الا عارب معرب
له من عجيب السحر بالقول أضرب * وفى هامة القوم المضارب مضرب
فهاهو فى الاقوال واش محبر * وها هو فى الامثال ناو مجرب
ومن ساحب بردا من العلم والتقى * عليه ذيول الداودية تسحب
له صبغة فى العلم جاءت بأصبغ * وشهبان فهم لم يشمهن أشهب
فيا عسكر قد ضم أعلام عالم * به طاب فى الدنيا لنا متقلب
هم الفئة العليا والمعشر الذى * اذا حل شعبا فهو للعز مشعب
لك الفضل فى الدنيا على كل قاطن * ومن نسل أبى يحيى يجيء ويذهب
ويا ما لكا هذا لا رضا متورعا * مناقبه العلياء تتلى وتكتب
شرعت من الاحسان فينا شريعة * تساوى بها ناء ومن يتقرب

وأجبت

وأحييت أهل النسك اذ كنت منهم * بفضلك أخو التقوى قريب مقرب
وأعليت قدر العلم اذ كنت عالما * ففيه وفى طلابه لك مأرب
فدحك محتوم على كل قائل * ومن ذا الذى يحصى الرمال ويحسب
فلله كم تعطى وتعطى وتجتبى * فللبحر من كفيك قد صح منسب
فلا برحت كفاك فى الارض مزنة * يطيب بها للخلق مرعى ومشرب
ولا زلت فى علياء مجدك راقيا * وشانئك المدحوض ينكى وينكب
توافى على أقصى أمانيك آمنا * فلا ربع يستعصى ولا يتعصب

الخبر عن واقعة العرب مع السلطان أبى الحسن بالقيروان وما تخللها من الاحداث

كان هؤلاء الكعوب من بنى سليم رؤساء البدو بافريقية وكان لهم اعتزاز على الدولة لا يعرفون غيره منذ أولها بل وما قبلها اذ كان سليم هؤلاء منذ تغلب العرب من مضر على الدول والممالك أول الاسلام انتبذوا الى الضواحى والقفار وأعطوا من صدقاتهم عن عزة وارتاب الخلفاء بهم لذلك حتى لقد أوصى المنصور ابنه المهدى أن لا يستعين بأحد منهم كما ذكر الطبرى فلما اشتالت الدولة العباسية واستبد الموالى من العجم عليهم اعتز بنو سليم هؤلاء بالقفر من أرض نجد وأجلبوا على الحاج بالحرمين ونالتهم منهم معرات ولما انقسم ملك الاسلام بين العباسية والشيعة واختطوا القاهرة نفقت لهم أسواق الفتنة والتعزز وساموا الدولتين بالهضيمة وقطع السابلة ثم أغراهم العبيديون بالمغرب وأجازوا الى برقة على اثر الهلاليين فخربوا عمرانها وأجروا فى خلالها حتى اذا خرج ابن غانية على الموحدين وانتزى بالثغور الشرقية طرابلس وقابس واجتمع معه قراقش الغزى مولى بنى أيوب ملوك مصر والشام وانضاف اليهم أفاريق العرب من بنى سليم هؤلاء وغيرهم أجلبوا معه على الضواحى والامصار وصاروا فى جملتهم من ناعق فتنتهم ولما هلك قراقش وابن غانية واستبد آل أبى حفص بافريقية وأعزال زواودة على الامير أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص استظهر عليهم ببنى سليم هؤلاء وزاحمهم بظواعنهم وأقطعهم بافريقية ونقلهم عن مجالاتهم باطرابلس وأنزلهم بالقيروان فكان لهم من الدولة مكان وعليها اعتزاز ولما افترق سلطان بنى أبى حفص واستبد الكعوب برياسة البدو وضربوا بين أعياصها وسعوا فى شقاقها وأصابت منهم وأصابوا منها وكان بين مولانا الامير أبى يحيى وبين حمزة بن عمر أخى الامير منازعة وفتن وحرب سجال اعانه عليها ما كان من رغب بنى عبد الواد الى افريقية وطمعهم فى تلك ثغورها فكان يستجيشهم لذلك وينصب الاعياص من بنى أبى

حدثت براءتهم ثم غلبه مولانا السلطان أبو بكر آخرا واستجروا الى الطاعة ما كان
من قطع كلمة الزبون عن مولانا السلطان أبي يحيى وهلاك عدوه من آل يغمراسن
بسيف وليه وظهيره السلطان أبي الحسن فأذعن وسكن غرب اعتزازه وحمل بني سليم
على اعطاء صدقاتهم وأعطوها باكراهه ثم هلك باغتيال الدولة له وصار عمرون وقام
بالأمر بنوه ولم يعرفوا عواقب الامور ولا أبلوا باعتساف الدولة ولم يعهدوا ولا سمعوا
لآبائهم غير الاعتزاز فحدثتهم أنفسهم بالعصبة والاعتزاز على قائد الدولة وحاربوه
فغلبوه وأجلبوا على السلطان في ملكه ونازلوه بمقر داره سنة ثنتين وأربعين ولما
سامهم الامير ابن مولانا السلطان أبي يحيى الهضيمة بعد مهلك أبيه نزعوا الى أخيه
ولي العهد فجاء الى تونس وملكها أياما ثم اقتحم عليه أخوه الامير أبو حفص فقتله
وتقبض يوم اقتحامه البلد على أبي الهول بن حمزة أخيهم فقتله صبرا بباب داره بالقصبة
فأسفهم بها ونزعوا الى السلطان أبي الحسن ورغبوه في ملك افريقية واستعدوه
اليها ولما تغلب السلطان على الوطن وكانت حاله في الاعتزاز على من في طاعته غير حال
الموحدين وملكته للبدو وغير ملكتهم وحين رأى اعتزازهم على الدولة وكثرة ما أقطعتهم
من الضواحي والامصار نكره وأدالهم من الامصار التي أقطعهم الموحدون بأعطيات
فرضها لهم في الديوان واستكثر جباياتهم فنقصهم الكثير منها وشكا اليه الرعية من
البدو وما ينالونهم به من الظلامات والجور بفرض الاتاوة التي لهم ومنها الخفارة فقبض
أيديهم عنها وأوعز الى الرعايا بمنعهم منها فارتابوا لذلك وفسدت نياتهم وثقلت وطأة
الدولة عليهم فتربصوا الها وتسامع ذؤبانهم وبواديهم بذلك فأغاروا على قياطين بني
مرين ومسالحهم بثغور افريقية وفروجها واستاقوا أموالهم وكثر شاكيهم وأظلم
الجو ما بينهم وبين السلطان والدولة ووفد عليه بتونس بعد مرجعه من المهدية وفد
من مشيختهم كان فيهم خالد بن حمزة مصعبة الى افريقية وأخوه أحمد وخليفة بن عبد
الله بن مسكين وابن عمه خليفة بن بوزيد من أولاد القوس فأراهم السلطان وأكرمهم
ثم رفع اليه الامير عبد الرحمن ابن السلطان أبي يحيى زكريا بن اللحياني كان في جملته وكان
من خبره انه رجع من المشرق بعد مهلك أبيه بمصر كما قدمناه سنة ثنتين وثلاثين فدعا
لنفسه بجهات طرابلس وتابعه اعراب ذباب وبايع له عبد الملك بن مكي صاحب قابس
ونهض معه الى تونس في غيبة السلطان لتخريب تامزيزدكت كما ذكرناه فملكها أياما
وأحس بمرجع السلطان فأجفل عنها ولحق عبد الواحد بن اللحياني الى تلمسان الى
أن دلف اليها السلطان أبو الحسن بعساكره ففارقهم وخرج اليه فأحله محل
التكرمة والمبرة واستقر في جملته الى أن ملك تونس ورفع اليه عن مقدم هذا الوفد

انهم دسوا اليه مع بعض حشمه وطلبوه فى الخروج معهم لينصبوه للامر بافريقية وتبرأ الى السلطان من ذلك فأحيضروا بالقصر وويخهم الحاجب علال بن محمد بن المصمودو أمر بهم فسحبوا الى السجن وفتح السلطان ديوان العطاء وعسكر بسيجوم من ساحة البلد بعد قضائه منسك الفطر من سنته وبعث فى المسالح والعساكر فتوافت اليه واتصل الخبر بأولاد أبى الليل وأولاد القوس باعتقال وفدهم وعسكرة السلطان لهم فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتعاقدوا على الموت وبعثوا الى اقتالهم أولاد مهلهل بن قاسم بن أحمد وكانوا بعد مهلك سلطانهم أبى حفص قد لحقوا بالقفر وانتبذوا عن افريقية فرارا من مطالبة السلطان بما كانوا شيعة لعدوهم فأغذ السير اليهم أبو الليل بن حمزة متطارحا عليهم بنفسه فى الاجتماع على الخروج على السلطان فأجابوه وارتحلوا معه وتوافت احياء بنى كعب وحكيم جميعا بتوزر من بلاد الجريد فهدروا الدماء بينهم وتدامروا وتبايعوا على الموت والتمسوا من أعياص الملك من ينصبونه للامر فدلهم بعض سماسرة الفتن على رجل من أعقاب أبى دبوس فرتسة بنى مرين من خلفاء بنى عبد المؤمن بمراكش عندما استولى عليها وكان من خبره ان أباه عثمان بن ادريس بن أبى دبوس لحق بمهلك أبيه بالاندلس وصحب هنالك مرغم بن صابر شيخ بنى ذباب ببرشلونة فلما انطلق من أسره صحبه الى وطن ذباب بعد أن عقد قمص برشلونة بينهما حلفا وأمدهما باسطول على مال التزماه ونزل بضواحى طرابلس وجبال البربر بها ودعا لنفسه هنالك وقام بدعوته كافة العرب من ذباب وقاتل طرابلس فامتنعت عليه ثم بايعه أحمد بن أبى الليل شيخ الكعوب بافريقية وأجلب به على تونس فلم يتم أمره لرسوخ دعوة الحفصيين بافريقية وانقطاع أمر بنى عبد المؤمن منها وآثارهم منذ الاحوال العديدة والآباد المتقادمة فنسى أمرهم وهلك عثمان بن ادريس هذا بجربة ثم ابنه عبد السلام بعده وترك من الولد ثلاثة أصغرهم أحمد وكان صناع اليدين ولحقوا بتونس بعد ماطوحت بهم طوائح الاغتراب وظنوا ان قد تنوسى شأن أبيهم فتقبض عليهم مولانا السلطان أبو يحيى وأودعهم السجن الى أن غربهم الى الاسكندرية سنة أربع وأربعين ورجع أحمد الى افريقية واحتل بتوزر محترفا بالخياطة يتعيش فاستدعاه بنو كعب هؤلاء حين اتفقت أهواؤهم ومن اتبعهم من احلافهم أولاد القوس وسائر شعوب علاق وخرج اليهم من توزر فنصبوه للامر وجمعوا له شيأ من الفساطيط والآلة والكسوة الفاخرة والمقربات وأقاموا له رسم السلطان وعسكروا عليه بحللهم وقياطينهم وارتحلوا المنابزة السلطان ولما قضى منسك الاضحى من سنة ثمان وأربعين ارتحل من ساحة تونس يريدهم فوافاهم فى الفرج بين بسيط تونس وبسيط

القيروان المسمى بالثنية فأجفلوا أمامه وصدقوه القتال منهزمين وهو في اتباعهم الى
أن حصل بالقيروان ورأوا أن لا مجاز منه فتذامروا واتفقوا على الاستماتة ودس اليهم
من عسكر السلطان بنو عبد الواد ومغراوة وبنو توجين فغلبوا بني مرين ووعدوهم
بالمناجزة صبيحة يومهم ليتحيزوا اليهم براياتهم وصبحوا معسكر السلطان وركب اليهم في
الآلة والتعبية فاختل المصاف وتحيز اليهم الكثير ونجا السلطان الى القيروان
ودخلها في الفل من عساكره ثامن المحرم سنة تسع وأربعين وتدافعت ساقات العرب
في اثره وتسابقوا الى المعسكر فانتهبوه ودخلوا فسطاط السلطان فاستولوا على ذخيرته
والكثير من حرمه وأحاطوا بالقيروان وأحاطت حللهم بها سياجا وتعاوت ذئابهم
بأطراف البقاع وأجلب ناعق الفتنة من كل مكان وبلغ الخبر الى تونس فاستحصن
بالقصبة أولياء السلطان وحرمه ونزع ابن تافراكين من جملة السلطان بالقيروان اليهم
فعقدوا له على حجابة سلطانهم أحمد بن أبي دبوس ودفعوه الى محاربة من كان بالقصبة
بتونس وأغذ اليها السير واجتمع اليه أشياخ الموحدين وزعانف الغوغاء والجند
وأحاطوا بالقصبة وعاودها القتال ونصب المنجنيق لحصارها ووصل سلطانه أحمد على
اثره فامتنعت عليهم ولم يغنوا فيها غناء وافترق أمر الكعوب وتحالف بعضهم بعضا الى
السلطان وتساقطوا اليه فتنفس مخنق الحصار عن القيروان واختلفت اليه رسل
أولاد مهلهل وأحس بهم أولاد أبي الليل بن حمزة بنفسه وعاهد السلطان على
الافراج ولم يفوا بعهده وداخل السلطان أولاد مهلهل في الخروج معهم الى سوسة
فعاهدوه على ذلك وأوعز أسطوله بمرساها وخرج معهم ليلا على تعبية فلحق بسوسة
وبلغ الخبر الى ابن تافراكين بمكانه من حصار القصبة فركب السفين ليلا الى الاسكندرية
وارتاب سلطانهم ابن أبي دبوس لما وقف على خبره فانفض جمعهم وأفرجوا عن القصبة
وركب السلطان أسطوله من سوسة ونزل بتونس آخر جمادى واعتمل في اصلاح
أسوارها وادارة الخندق عليها وأقام لها من الامتناع والتحصين رسما ثبت لمن بعده
ودفع به في نحر عدوه واستقل من نكبة القيروان وعثرتها وخلص من ورطتها والله
يفعل ما يشاء ولحق أولاد أبي الليل وسلطانهم أحمد بن أبي دبوس بتونس فأحاطوا
بالسلطان واستبلغوا في حصاره وخلصت ولاية أولاد مهلهل للسلطان فعوّل عليهم
ثم راجع بنو حمزة رأيهم في طاعة السلطان فدخل كبيرهم عمر اليه في شعبان وتقبضوا
على سلطانهم أحمد بن أبي دبوس وقادوه الى السلطان استبلاغا في الطاعة والمخالصة
للولاية فتقبل فيئتهم وأودع ابن أبي دبوس السجن وأصهر الى عمر بابنه أبي الفضل فعقد
له على بنته واختلفت أحوالهم في الطاعة والانحراف الى أن كان ما نذكره والله غالب

على أمره

(الخبر عن انتقاض الثغور الغربية ورجوعها الى دعوة الموحدين)

كان المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى لما قدم على السلطان أبي الحسن بتلمسان في زفاف شقيقته سنة سبع وأربعين بعدما اتصل به في طريقه مهلك أبيه أوسع له السلطان كنفه ومهد له جانب كرامته وبره وعمر له بوعد في المظاهرة على ملك أبيه تعزى به عن فقده وارتحل السلطان الى افريقية والمولى الفضل يرجو أن يجعل سلطانها اليه حتى اذا استولى السلطان على الثغرين بجاية وقسنطينة وارتحل الى تونس عقد له على مكان امارته أيام أبيه بونة فصرفه اليه فانقطع أمله وفسد ضميره وطوى على البث حتى اذا كانت نكبة القيروان سما الى التوثب على ملك سلفه وكان أهل قسنطينة وبجاية قد رموا من الدولة واستثقلوا وطأة الايالة لما اعتادوا من الملك الرفيق فاشرأبوا الى الثورة عندما بلغهم خبر النكبة وقد كان توافى بقسنطينة ركاب من المغرب في طوائف من الوفود والعساكر وكان فيهم ابن صغير من أبناء السلطان عقد له على عسكر من أهل المغرب وأوعز اليه باللحاق بتونس وفيهم أعمال المغرب قدموا عند رأس الحول بجباياتهم وحسبانهم وفيهم أيضا وفد من زعماء النصارى بعثهم الطاغية بن أدفونش مع تاشفين ابن السلطان لما أطلقه من الاسر بعدما عقد السلم والمهادنة وكان أسيرا عندهم من لدن واقعة طريف كما ذكرناه وكان أصابه مس من الجنون فلما خلصت الولاية بين السلطان والطاغية وعظم عنده الاتحاف والمهاداة وبلغه خبر السلطان وتملكه افريقية أطلق ابنه تاشفين وبعث معه هؤلاء الزعماء للتهنئة وفيهم أيضا وفد من أهل مالي ملوك السودان بالمغرب أوفدهم ملكهم منسا سليمان للتهنئة بسلطان افريقية وكان معهم أيضا يوسف بن مزني عامل الزاب وأميره قدم بجباية عمله واتصل به خبر الركاب بقسنطينة فلحق مؤثرا اصحابهم الى سدة السلطان وتوافت هؤلاء الوفود جميعا بقسنطينة واعصوصبوا على ولد السلطان فلما وصل خبر النكبة اشرأب الغوغاء من أهل البلد الى الثورة وتحلبت شفاههم الى ما بأيديهم من اموال الجباية وأحوال الثورة فنقموا عليهم سوء الملكة ودس مشيختهم الى المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى بمكانه من بونة وقد كشف القناع في الانتزاء على عمله والدعاء لنفسه فخطبوه للامر واستحثوه للقدوم فأغذ السير وتسامع بخبره أولياء السلطان فخشي ابن مزني على نفسه وخرج الى معسكره بحلة أولاد يعقوب ابن علي أمير الزواودة ولجأ ابن السلطان وأولياؤه الى القصبة ومكر بهم أهل البلد في الدفاع دونهم حتى اذا أطلت رايات المولى الفضل وثبوا بهم وحجزوهم الى القصبة

وأحاطوا بها حتى استنزلوهم على أمان عقدوه لهم ولحقوا بابن يعقوب فعسكروا بها بعد أن نقض أهل البلاد عهدهم في ذات يدهم فاستصفوه وأشار عليهم ابن مزني باللحاق بسكرة لتكون ركابهم الى السلطان فارتحلوا جميعا في جوار يعقوب ابن على في تلك الضواحي حتى لحقوا ببسكرة ونزلوا منها على ابن مزني خير نزل وكفاهم كل شيء يهمهم على طبقاتهم ومقاماتهم وعناية السلطان بمن كان وافدا منهم حتى سار بهم يعقوب بن على الى السلطان وأوفدهم عليه في رجب من سنته واتصل الخبر بأهل بجاية بالفعلة التى فعل أهل قسنطينة فتاجروهم في الثورة وكبسوا منازل أولياء السلطان وعماله فاستباحوها واستلبوهم وأخرجوهم من بين ظهرانيهم عراة فلحقوا بالمغرب وطيروا الخبر الى المولى الفضل واستحثوه للقدوم فقدم عليهم وعقد على قسنطينة وبونة لمن استكفى به من خاصته ورجالات دولته واحتل ببجاية لشهر ربيع من سنته وأعاد ملك سلفه واستوسق أمره بهذه الثغور الى أن كان من خبره مع السلطان بعد خروجه من بجاية ما نذكره ان شاء الله

الخبر عن انتزاء أولاد السلطان بالمغرب الاوسط والاقصى ثم استقلال أبى عنان بملك المغرب

لما اتصل خبر النكبة بالقيروان بالامير أبى عنان ابن السلطان وكان صاحب تلمسان والمغرب الاوسط وتساقط اليه الفل من عسكر أبيه عراة زرافات ووحدانا وأرجف الناس بهلك السلطان بالقيروان فتطاول الامير أبو عنان للاستئثار بسلطان أبيه دون الابناء لما كان له من الايثار عند أبيه لاصالته وعفافه واستظهاره القرآن فكان بعين أبيه لامثالها وكان عثمان بن يحيى بن جرار من مشيخة بنى عبد الواد وأولاد يندوكسن ابن طاع الله منهم وكان له محل من الدولة كما ذكرناه عند أخباره وكان السلطان أذن له في الرجوع الى المغرب فرجع من معسكره بالمهدية ونزل بزاوية العباد من تلمسان وكان مسمتا وقورا جهينة خبر ممتعا في حديثه وكان من جانبه الوقوف على الحدثان وكان الامير أبو عنان متشوقا الى خبر أبيه ففزع الى عثمان بن جرار في تعرفها واستدعاه وأنس به وكان في قلبه مرض من السلطان فأودع أذن الامير أبى عنان ما أراد من الامانى بتورط السلطان في المهلكة وبشره بمصير الامر اليه فصادف منه أذنا واعية واشتمل عليه ابن جرار من بعدها وورد الخبر بنكبة السلطان فأغراه ابن جرار بالتوثب على الملك وسول له الاستئثار به من دون اخوانه بتبايعهم لبث السلطان ثم أوهمه الصدق بارجاف الناس بموت السلطان فاعتزم وشحذ عزيمته في ذلك ما اتصل به من حافد السلطان منصور ابن الامير أبى مالك صاحب فاس وأعمال المغرب من الانتزاء على

عمله وأنه فتح ديوان العطاء واستلحق واستركب لغيبة بني
من عساكرهم وأظهر العسكر والحشد لاستنقاذ السلطان من
حسوا في ارتقاء وتفطن لشأنه الحسن بن سليمان بن يرزيكن عامل
وصاحب الشرطة بالضواحي فاستأذنه باللحاق بالسلطان فأذن له
وأصحبه عمال المصامدة ونواحي مراكش ليستقدمهم على السلطان
بالامير أبي عنان على حين أمضى عزيمته على التوثب والدعاء لنفسه فقبض
وأخرج ما كان بموضع السلطان بالمنصورة من المال والذخيرة وجاهر بالدعاء لنفسه
وجلس للبيعة بمجلس السلطان من قصره في ربيع من سنة تسع فبايعه الملأ وقرأ كتاب
بيعتهم على الاشهاد ثم بايعه العامة وانفض المجلس وقد عقد سلطانه ورست قواعد ملكه
وركب في التعبية والآلة حتى نزل بقبة الملعب وطعم الناس وانتشروا وعقد على
وزارته للحسن بن يرزيكن ثم لفارس بن ميمون بن وردار وجعله رديفاله وتبعا ورفع
مكان ابن حدار عليهم واختص لولايته ومناجاة خلوته كاتبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن
أبي عمرو وسنذكر خبره ثم فتح الديوان واستركب من تساقط اليه من فل أبيه وخلع عليهم
ودفع اليهم أعطياتهم وأزاح عللهم وبينما هو يريد الرحلة الى المغرب بلغه أن ونزمار بن
عريف ولي السلطان وخالصته عريف بن يحيى وكان أمير زغبة لعهده ومقدما على
سائر البدو وأنه قد جمع له يريد حربه وغلبه على ما صار اليه من الانتزاء والثورة على أبيه
وانه قصد تلمسان بجموعه من العرب وزناتة المغرب الاوسط فعقد للحسن بن سليمان
وزيره على حربه وأعطاه الآلة وسرحه للقائه وسرح معه من حضر من بني عامر
اقتال سويد وارتحل في عسكره حتى احتل تسالة ونا جزه ونزمار الحرب ففلت جموعه
ومنحوا أكتافهم واتبع الوزير عسكرهم واكتسح أموالهم وحللهم وعاد الى سلطانه
بالفتح والغنائم وارتحل الامير أبو عنان الى المغرب وعقد على تلمسان لعثمان بن جرار
وأنزله بالقصر القديم منها حتى كان من أمره مع عثمان بن عبد الرحمن ما ذكرناه
في أخبارهم ولما انتهى الى وادي الزيتون وشى اليه بالوزير الحسن بن سليمان انه مضمر
الفتك به بتازى تزلفا الى السلطان ووفاء بطاعته وانه داخل في ذلك الحافد منصورا
صاحب أعمال المغرب بما كان يظهر من طاعة جده فارتاب الامير أبو عنان به
واستظهر واشيه على ذلك بكتابه فلما قرأه تقبض عليه وقتله بالمساء خنقا وأغذ السير الى
المغرب وبلغ الخبر منصور بن أبي مالك صاحب فاس فزحف للقائه والتقى الجمعان
بناحية تازى وبوادي أبي الاجراف فاختل مصاف منصور وانهزمت جموعه ولحق
بفاس وانحجر بالبلد الجديد وارتحل الامير أبو عنان في اثره وتسايل الناس على

طبقاتهم اليه وآتوه الطاعة وأناخ بعساكره على البلد الجديد فى ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وأخذ بمخنقها وجمع الايدى والفعلة على الآلات لحصارها ولحين نزوله على البلد الجديد أوعز الى الوالى بمكانه أن يطلق أولاد أبى العلاء المعتقلين بالقصبة فاطلقهم ولحقوا به فأقاموا معه على حصار البلد الجديد وطال تمرسه بها الى أن ضاقت أحوالهم واختلفت أهواؤهم ونزع اليه أهل الشوكة منهم ونزع اليهم عثمان بن ادريس بن أبى العلاء فبين اليه من الحاشية باذنه له فى ذلك سرا ليمكن اليه فدس اليه وواعدوه الثورة بالبلد فثاربها واقتحمها الامير أبو عنان عليهم ونزل منصور بن أبى مالك على حكمه فاعتقله الى أن قتله بمحبسه واستولى على دار الملك وسائر أعمال المغرب وتسابقت اليه وفود الامصار للتهنئة بالبيعة وتمسك أهل سبتة بطاعة السلطان والانقياد لقائدهم عبد الله بن على بن سعيد من طبقة الوزراء حتى ثار به أوباشهم وعقدوا على أنفسهم للامير أبى عنان وقادوا عاملهم اليه وتولى كبر الثورة فيهم زعيمهم الشريف أبو العباس أحمد بن محمد بن رافع من بيت أبى الشرف من آل الحسين كانوا انتقلوا اليها من صقلية واستوسق للامير أبى عنان ملك المغرب واجتمع اليه قومه من بنى مرين للامر وأقام مع السلطان بتونس وفاء بحقه وحص جناح أبيه عن الكرة على الكعوب الناكثين لعهده الناكبين عن طاعته فأقام بتونس يرجو الايام ويؤمل الكرة والاطراف تنتقص والدوائر تتجدد الى أن ارتحل الى المغرب بعد اليأس كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض النواحى واقتراء بنى عبد الواد بتلمسان ومغراوة بشلف وتوجين بالمرية)

لما كانت نكبة السلطان بالقيروان واستمر ملك زناتة وانتقضت قواعد سلطانهم اجتمع كل قوم منهم لابرام أمرهم والنظر فى شأن جماعتهم وكانوا اجتمعوا الى الكعوب الخارجين على السلطان وبنزوعهم تمت الدبرة عليه ولحقوا بتونس مع الحاجب أبى محمد بن تافراكين ليلحقوا منها بأعمالهم وكان فى جملة السلطان جماعة من أعيانهم منهم عثمان واخوته الزعيم ويوسف وابراهيم ابناء عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان سلطان بنى عبد الواد صار فى ايالة السلطان منذ فتح تلمسان وانزالهم بالجزيرة للرباط ثم رجعوا ابعد استئثار الطاغية بها من مكانهم من دولته وساروا الى القيروان تحت لوائه ومنهم على بن راشد بن محمد بن منديل وقد ذكرنا أخبار أبيه وانه ربى فى ايالة السلطان وجو الدولة يتيما وكفلته نعمتها منذ نشأته حتى كأنه لا يعرف سواها فاجتمع بنو عبد الواد بتونس وعقدوا على أنفسهم لعثمان بن عبد الرحمن لما كان كبير اخوته وآتوه

ببيعتهم شرقي المصلى العتيق المطل على سجوم من ساحة البلد لعهدي بهم يومئذ وقد وضعوا له درقة بالارض من اللمط أجلسوه عليها ثم ازدحموا مكبين على يده يقبلونها للبيعة ثم اجتمع من بعدهم مغراوة الى على بن راشد وبايعوه وحفوا به وتعاهد بنو عبد الواد ومغراوة على الالفة وانتظام الكلمة وهدر الدماء وارتحلوا الى أعمالهم بالمغرب الاوسط فنزل على بن راشد قومه بموضع عملهم من ضواحي شلف وتغلبوا على أمصاره وافتتحوا تدلس وأخرجوا منها أولياء السلطان وعسكره وقتلوا القاضي بمازونة سرحان كان مقيما بها الدعوة السلطان ثم سولت له نفسه التوثب والانتزاء فدعا لنفسه وقتله على بن راشد وقومه وأجاز عبد الرحمن وقومه من بنى عبد الواد الى محل ملكهم بتلمسان فألفوا عثمان بن جرار قد انتزى بها بعد منصرف الامير أبي عنان ودعا لنفسه فتجهم له الناس لتوثبه على المنصب الذي ليس لأبيه واستمسك بالبلد أياما يؤمل نزوع قومه اليه ثم زحف اليه بنو عبد الواد وسلطانهم فصدقوه الزحف وثارت به الغوغاء وكسروا أبواب البلد وخرجوا الى السلطان فأدخلوه القصر واحتل به في جمادى من سنة تسع وتسابق الناس الى مجلسه مثنى وفرادى وبايعوه البيعة العامة ثم تفقد ابن جرار ثم أغرى به البحث فعثر عليه ببعض زوايا القصر واحتمل الى المطبق فأودع به الى أن سرب اليه الماء فمات غريقا في هوته وساهم السلطان أبو سعيد عثمان أخاه أبا ثابت الزعيم في سلطانه وأشركه في أمره وأردفه في ملكه وجعل اليه أمر الحرب والنواحي والبدو وكلها واستوزر قريبه يحيى بن داود بن مكن من ولد محمد بن يند وكس بن طاع الله واستوسق ملكهم وأوفدوا مشيختهم على الامير أبي عنان صاحب المغرب وسلطان بنى مرين فعقدوا معه السلم والمهادنة واشترطوا له عن أنفسهم دفاع السلطان اليه وزحفوا الى وهران من ثغور أعمالهم ونازلوا بها أولياء السلطان وعساكره وعاملها يومئذ عبد الله بن اجانا من صنائع السلطان أبي الحسن الى أن غلبوه عليها واستنزلوه صلحا الاشهر من حصارها واستمسك أهل الجزائر بطاعة السلطان واعتصموا بها وعقد عليها قائده محمد بن يحيى بن العسكرى من صنائع أبيه بعثه اليهم من تونس بعد نكبة القيروان ونجم بالمدية على ابن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوى داعيا لنفسه وطالبا سلطان سلفه وامتنع عليه معقل ملكهم بجبل وانشريس لمكان ولد عمر بن عثمان وقومهم من بنى تيغرين في رياسته وانحاش اليه أولاد عزيز من بنى توجين أهل ضاحية المدية فقاموا بأمره واعصوصبوا عليه وكانت بينه وبين أبناء عمر بن عثمان بن انشريس حرب سجال الى أن هلك وخلص أمر بنى توجين لابناء عمر بن عثمان وهم على مذهبهم من طاعة السلطان وتمسكهم بدعوته وهو مقيم خلال هذا بتونس الى أن أزمع الرحلة

واحتل بالجزائر كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن رجوع الثغور الغربية لامراء الموحدين بجاية وقسنطينة)

لما توثب الامير أبو عنان على ملك أبيه وبويع بتلمسان وكانت للامير أبي عبد الله محمد ابن الامير أبي زكريا صاحب بجاية لديه خلة ومصافاة من لدن بعثه اليه السلطان أمره من بجاية وأنزله تلمسان فدعاه السابقة وآثره بالامارة وعقد له على محل امارته من بجاية وأمده بما رضيه من المال والسلاح ودفعه اليها يكون حجرا دون السلطان بتونس وضمن له هذا الامير صده عن الخلوص اليه وسد المذاهب دونه وأوعز أبو عنان الى أساطيله بوهران فركبها الامير الى تدلس ودخلها ونزل اليه صنهاجة أهل ضاحية بجاية عن عمه الامير أبي العباس الفضل واعصوصبوا عليه وقاموا بأمره لقديم نعمته وسالف امارة أبيه ولما ارتحل الامير أبو عنان الى المغرب رحل في جملته الامير أبو زيد عبد الرحمن ابن الامير أبي عبد الله صاحب قسنطينة ومعه اخوته فاختصهم يومئذ بتغريبه وخلطهم بنفسه فلما غلب الامير أبو عنان منصور ابن أخيه أبي مالك على البلد الجديد واستولى على المغرب رأى أن يبعث اولئك الموحدين الى بلادهم ويدفع في صدر أبيه بمكانهم فسرح الامير أبا زيد واخوته وكان منهم السلطان أبو العباس الذي جبر الله به الصدع ولم الشعث فوصلوا الى موطن ملكهم ومحل امارتهم وكان مولاهم نبيل صاحب أبيهم قد تقدم الى بجاية ولحق بالامير أبي عبد الله من حصارها ثم تقدم الى قسنطينة وبها ولي من موالي السلطان المتغلب عليها وهو الامير أبو العباس الفضل الحسن اطلاله على جهاتها وشعورا أهلها بمكانه لقيت منهم عزائم المودة وذكروا جميع الايالة وأجمعوا التوثب بواليهم واحتمل نبيل بظاهرتهم ناية فاشرأبت العامة الى امارته والقيام بدعوة مواليه وتوثب أشياعهم على أولياء عمهم فأخرجوهم واستولى القائد نبيل على قسنطينة وأعمالها وأقام دعوة الامير أبي زيد واخوته كما كانت أول مرة فيها وجاؤا من المغرب الى مراكز امارتهم ودعوتهم بها قائمة ورايتهم على الخصائص خافقة فاستلموا بها حلول الآساد بعرائنها والكواكب بآفاقها ونهض الامير أبو عبد الله محمد فيمن اجتمع اليه من البطانة والاولياء الى محاصرة بلد بجاية فأجحر عمه بالبلد وأخذ بمخنقها أياما ثم أفرج عنها ثم رجع الى مكانه من حصارها ودس اليه بعض أشياعه بالبلد وسرب اليه المال في الغوغاء فواعدوه وفتح أبواب الربض في احدى ليالي رمضان سنة تسع وأربعين واقتحم البلد وملأ الفضاء بهدير طبوله فهب الناس من مراقدهم فزعين وقد ولج الامير وقومه البلد ونجا الامير الفضل الى شعاب الجبل وكواريه المطل على القصبة راجلا حافيا فاختفى به الى أن عثر عليه ضحى النهار وسيق الى ابن أخيه فحق

عليه وأركبه السفين الى محل امارته من بونة وخلص ملك بجاية للامير أبي عبد الله هذا واستعد سرير آبائه بها وكتبوا للامير أبي عنان بالفتح وتجديد المخالصة والموالاة والعمل عن مدافعة أبيه عن جهاته والله تعالى أعلم

(الخبر عن نهوض الناصر ابن السلطان ووليه عريف بن يحيى من تونس الى المغرب الاوسط)

لما بلغ السلطان خبر ما وقع بالمغرب من انتقاض أطرافه وتغلب الاعياص من قومه وسواهم على أعماله ووصل اليه يعقوب بن على أمير الزواودة بولده وعياله ووفده تنازل في تلافي أمره بتسريح ولده الناصر الى المغرب الاوسط لارتجاع ملكه ومحو آثار الخوارج من أعمالهم فنهض مع يعقوب بن علي وأصحبه وليه عريف بن يحيى أمير زغبة ليستظهر به على ملك المغرب وقدمها طليعة بين يديه وسار الناصر الى بسكرة واضطرب معسكره بها ثم فصل من بلاد رياح الى بلاد زغبة واجتمع اليه أولياؤهم من العرب ومن زناتة من بني توجين أهل وانشريس وغيره وزحف اليهم الزعيم أبو ثابت من تلسان في قومه من بني عبد الواد وغيرهم للمدافعة والتقى الجمعان بوادي ورك فانفضت جموع الناصر واندعروا ورجع على عقبه الى بسكرة وخلص عريف بن يحيى الى قومه سويد ثم قطع القفر الى المغرب الاقصى ولحق بالامير أبي عنان فنزل منه بألطف محل ورجع الناصر الى بسكرة وارتحل مع أوليائهم أولاد مهلهل لمدافعة أولاد أبي الليل وسلطانهم المولى الفضل عن تونس كما ذكرناه وأحسرابه فنهض اليهم وفروا أمامه الى أن خلص الناصر الى بسكرة ثانية واتخذها مثوى الى أن لحق بأبيه بالجزائر عند رحلته من تونس كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن رحلة السلطان أبي الحسن الى المغرب وتغلب المولى الفضل على تونس وما دعا الى ذلك من الاحوال)

لما خلص المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى من نكبة بجاية وامتن عليه ابن أخيه فلحق بمحل امارته من بونة وافتتح بها مشيخة أولاد أبي الليل أوفدهم عليه بنو حمزة ابن عمر يستحثونه لملك افريقية ويرغبونه فيه فأجاب داعيتهم ونهض اليهم بعد قضاء نسك الفطر من سنة تسع وأربعين ونزل بحللهم وأوجفوا بخيلهم وركابهم على ضواحي افريقية وجهاتها وصمدوا الى تونس فنازلوها وأخذوا بمخنقها أياما ثم أخذ بحجزتهم عنها شيعة السلطان وأولياؤه من أولاد مهلهل وابنه الناصر عند قفوله من المغرب الاوسط مغلولا فرحلوهم وشردوهم ثم رجعوا الى مكانهم من حصارها ثم انفضوا عنها وتحيز خالد بن حمزة الى شيعة السلطان أبي الحسن مع أولاد مهلهل وقومه فاعتزوا به

وذهب عمر بن حمزة الى المشرق لقضاء فرضه وأجفل أبو الليل أخوه مع المولى الفضل الى القفر حتى كان من دخول أهل الجريد فى طاعته ما نذكره ان شاء الله تعالى وكان السلطان لما خلص من القيروان الى تونس وفد اليه أحمد بن مكى مهنيا ومفاوضا فى شأن الثغر وما منى به من انتقاض الاطراف وفساد الرعية وتدارك السلطان أمره عند وفاته بالتولية على أهل القطار من جنسهم استئلافا للكافة واستبقاء لطاعتهم فعقد على عمل قابس وجربة والحامة وما اليها للعبد الواحد ابن السلطان زكريا بن أحمد اللحيانى وأنفذه مع أحمد بن مكى الى عمله فهلك بجربة لليال من مقدمه فى الطاعون الجارف عامئذ وعقد لابى القاسم بن عتو شيخ الموحدين على توزر ونفطة وسائر بلاد الجريد بعد أن كان استخلصه بعد مفر أبى محمد بن تافراكين قريبه وما أنحى من سوء دخلته فنزل بتوزر وجمع أهل الجريد على الولاية والمخالصة ولما نازل المولى أبو العباس الفضل تونس مرتين وشرد أولاد مهلهل وامتنعت عليه عمد الى الجريد سنة خمسين يحاول فيه ملكا وخاطب أبا القاسم بن عتو يذكره عهده وعهد سلفه ويحقوقهم فتذكر وحن ونظر الى ما ناله به السلطان من المثلة فى أطرافه واستثار كامن حقده فانحرف وحمل الناس على طاعة المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبى يحيى فسارعوا الى الاجابة وبايعه أهل توزر وقفصة ونفطة والحامة ثم دعا ابن مكى الى طاعته فأجاب اليها وبايعه أهل قابس وجربة أيضا وأتى الخبر الى السلطان باستيلاء المولى الفضل على أمصار افريقية وأنه ناهض الى تونس فأهمه الشأن وخشى على أمره وكانت بطانته يوسوسون اليه بالرحلة الى المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاع ملكه فأجابهم اليها رغبة عن أعماله بالاقوات وأزاح علل المسافرين ولما قضى منسك الفطر من سنة خمسين ركب البحر أيام استقبال فصل الشتاء وعقد لابنه أبى الفضل على تونس ثقة بما بينه وبين أولاد حمزة من الصهر وتفاديا بمكانه من معرة الغوغاء وثورتهم وأقلع من مرسى تونس ولخمس دخل مرسى بجاية وقد احتاجوا الى الماء فمنعهم صاحب بجاية من الورود وأوعز الى سائر سواحله بمنعهم فرحلوا الى الساحل وقاتلوا من صدهم عن الماء الى أن غلبوهم واستقوا وأقلعوا وعصفت بهم الريح ليلتئذ وجاءهم الموج من كل مكان وألقاهم اليم بالساحل بعد أن تكسرت الاجفان وغرق الكثير من بطانته وعامة الناس وقذف الموج بالسلطان فألقاه الى الجزيرة قرب الساحل من بلاد زواوة مع بعض حشمه عراة حفاة والتئم وصحبهم جفن من الاساطيل كان قد سلم من ذلك العاصف فقربوا اليه من رأوه وقد تسامع به البربر من الجبال وتواثبوا اليه فاختطفه أولياؤه من أهل الجفن قبل أن يصل اليه البربر وقذفوا به الى الجزائر فنزل بها ولاءم صدعه وخلع على من وصل من قل

الاساماعيل ومن خرج اليه من أوليائه ولحق به ابنه الناصر من بسكرة واتصل بالمولى الفضل خبر رحيله من تونس وهو ببلاد الجريد فأغذالسير الى تونس ونزل بها على ابنه ومن كان بها من مخلف أوليائه فغلبوهم عليها واتصل أهل البلد بهم وأحاطوا يوم منى بالقصبة واستنزلوا ابن السلطان أبا الفضل الامير بالقصبة على الامان فخرج الى بيت أبى الليل بن حمزة وأنفذ معه من أبلغه الى مأمنه فلحق بأبيه بالجزائر وبادر الى السلطان على بن يوسف المنتزى بالمدية من بنى عبد القوى فصار فى جملته وخرج له عن الامر وزعم أنه انما كان قائما بدعوته فتقبل منه وأقره على عمله ووفد عليه أولياؤه من العرب سويد والحرث والحصين ومن اليهم ممن اجتمع الى وليه وترمار بن عريف المتمسك بطاعته ووفد عليه أيضا على بن راشد أمير مغراوة وأعزاه بنى عبد الواد واشترط عليه اقراره بوطنه وعمله اذا تم أمره فأبى من قبول الاشتراط ضنا بعهده عن النكث فنزع عنه وصار الى مظاهرة بنى عبد الواد وبعث أبو سعيد عثمان صاحب تلمسان الى الامير أبى عنان فى المدد فبعث اليه بعسكر من بنى مرين عقد عليهم ليحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى من تيربيعن وزحف الزعيم ابو ثابت الى حرب السلطان أبى الحسن فيمن اجتمع له من عسكر بنى مرين ومغراوة وخرج السلطان من الجزائر وعسكر بمتيجة واحتشد وترمار سائر العرب بحللهم ووافاهم وارتحلوا الى شلف ولما التقى الجمعان بشدبونة صدقه مغراوة الحملة وصابرهم ابنه الناصر وطعن فى الجولة فهلك واختل مصاف السلطان واستبيح معسكره وانتهب فساطيطه وخلص مع وليه وترمار بن عريف وقومه بعد ان استبيحت حللهم فخرجوا الى جبل وانشريس ثم لحق بجبل راشد ورجع القوم عن اتباعهم وانكفؤا الى الجزائر فتغلبوا عليها وأخرجوا من كان بها من أولياء السلطان ومحوا آثار دعوته من المغرب الاوسط جملة والامر بيد الله يؤتيه من يشاء

الخبر عن استيلاء السلطان على سجلماسة ثم فراره عنها أمام ابنه الى مراكش واستيلائه عليها وما تخلل ذلك

لما انفضت جموع السلطان بشدبونة وقتل عساكره وهلك الناصر ابنه خاض الى الصحراء مع وليه وترمار ولحق بحلال قومه سويد وأوطانهم قبلة جبل وانشريس وأجمع أمره على قصد المغرب موطن قومه ومنبت عزه ودار ملكه وارتحل معه وليه وترمار بالناجعة من قومه وخرجوا الى جبل راشد ثم أبعدوا المذاهب وقطعوا المفاوز الى سجلماسة فى القفر فلما أطلوا عليها وعاين أهلها السلطان تهافتوا عليه تهافت الفراش وخرج اليه العذارى من وراء ستورهن صاغية اليه وايثارا لايالته وفر العامل بسجلماسة الى منجاته وكان الامير أبو عنان لما بلغه الخبر بقصده سجلماسة وارتحل اليها

في قومه وكافة عساكره بعد أن أزاح عللهم وأفاض عطاءه فيهم وكان بني مرين نفرة عن السلطان وحذر من غائلته لجناياتهم بالتخاذل في المواقف والفرار عنه في الشدائد ولما كان يعدهم في الاسفار ويجشمهم المهالك فكانوا لذلك مجتمعين على منابذته ومجامعين في مناصحة ابنه منازعة فبالغ السلطان أن جاءه الخبر بوصولهم اليه في العساكر الضخمة فغذ في السير الى دفاعه وعلم من حاله انه لا يطيق دفاعهم وأجفل عسكره وتمار وليه في قومه وتبدد وكان من خبره أن عريف بن يحيى كان نزع الى الامير أبي عنان وأحله بمحله المعهود من تشريفهم وولايتهم حتى اذا بلغه الخبر بمناصحة وتمار للسلطان ومظاهرته وقصده المغرب معه بجماعته زوى عنه وجه رضاه بعض الشيء وأقسم له لئن لم تفارق السلطان لا وقعن بك وبابنك عشر وكان معه في جملة الامير أبي عنان وأمره بأن يكتب له بذلك فآثر وتمار رضا أبيه وعلم أن غناءه عن السلطان في وطن المغرب قليل فاجتمل عنه وساق   عن قومه وألقى عصاه ببسكرة فكان ثواؤه بها الى أن لحق بالامير أبي عنان على ما نذكره ولما أجفل السلطان عن سجلماسة دخل الامير أبو عنان اليها وثقف أطرافها وسد فروجها وعقد عليها ليحيى بن عمر بن عبد المؤمن كبير بني ونكاسن وبلغه قصد السلطان الى مراكش فاعتزم على الرحلة اليها وانثنى عليه قومه فرجع بهم الى فاس الى أن كان من خبرهم مع السلطان ما نذكره ان شاء الله تعالى

بياض في الأصل

الخبر عن استيلاء السلطان على مراكش ثم انهزامه أمام الامير أبي عنان ونهاكه بجبل هنتاتة عفا الله عنه

لما أجفل السلطان عن سجلماسة سنة احدى وخمسين بين يدي الامير أبي عنان وعسكر بني مرين قصد مراكش وركب اليها الاوعار من جبال المصامدة ولما أشارف نواحيها سارع اليه أهل جهاتها بالطاعة من كل أوب وتسايلوا من كل حدب ولحق عامل مراكش بالامير أبي عنان ونزع الى السلطان صاحب ديوان الجباية أبو محمد بن محمد بن أبي مدين بما كان في المودع من مال الجباية فاختصه واستكتبه وجعل اليه علامته واستركب واستلحق وجبى الاموال وبث العطاء ودخل في طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة وثاب له بمراكش ملك أمل معه أن يستولي على سلطانه ويرتجع فارط أمره من يده وكان الامير أبو عنان لما رجع الى فاس عسكر بساحتها وشرع في العطاء وازاحة العلل وتقبض على كاتب الجباية يحيى بن حمزة بن شعيب بن محمد بن أبي مدين اتهمه بممالأة بني مرين في الامالة عليه عن اللحاق بمراكش من سجلماسة وأثار حقده في ذلك ما كان من نزوع عمه أبي المجد الى السلطان بأموال الجباية ووسوس اليه في السعاية به كاتبه وخالصته أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن أبي عمر لما بينهما من المنافسة فتقبض عليه

وامتحنه ثم قطع لسانه وهلك في ذلك الامتحان وارتحل الامير أبو عنان وجموع بني
مرين الى مراكش وبرز السلطان الى لقائهم ومدافعتهم وانتهى كل واحد من الفريقين
الى وادي أم ربيع وتربص كل بصاحبه اجازة الوادي ثم اجازه السلطان أبو الحسن
وأصحوا جميعا في التعبية والتقى الجمعان بتامرغوست في آخر صفر من سنة احدى
وخمسين فاختل مصاف السلطان وانهزم عسكره ولحق به أبطال بني مرين فرجعوا
عنه حياء وهيبة وكابه فرسه يومئذ في مفره فسقط الى الارض والفرسان تحوم حوله
واعترضهم دونه أبو دينار سليمان بن علي بن أحمد أمير الزواودة ورديف أخيه يعقوب
كان هاجر مع السلطان من الجزائر ولم يزل في جملته الى يومئذ فدافع عنه حتى ركب
وسار من ورائه ردأله وتقبض على حاجبه علال بن محمد فصار في يد الامير أبي عنان
وأودعه السجن الى أن امتن عليه بعد مهلك أبيه وخلص السلطان الى جبل هنتاتة
ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن علي فنزل عليه وأجاره واجتمع اليه الملأ من قومه
هنتاتة ومن انضاف اليهم من المصامدة وتآمروا وتعاهدوا على الدفاع عنه وبايعوه
على الموت وجاء أبو عنان على اثره حتى احتل بمراكش وأنزل عساكره على جبل
هنتاتة ورتب المسالح لحصاره وحربه وطال عليه ثواؤه وطلب السلطان من ابنه الابقاء
وبعث في حاجبه محمد بن أبي عمر فحضر عنده وأحسن العذر عن الامير أبي عنان والتمس
له الرضا منه فرضي عنه وكتب له بولاية عهده وأوعز اليه بأن يبعث له مالا وكسا
فسرح الحاجب بن أبي عمر باخراجها من المودع بدار ملكهم واعتل السلطان خلال
ذلك فرضه أولياؤه وخاصته وافتصد لاخراج الدم ثم باشر الماء افصده للطهارة فورم
وهلك لليال قريبة عفا الله عنه لثلاث وعشرين من ربيع الثاني سنة ثنتين وخمسين
وبعث أولياؤه الخبر الى ابنه بعسكره من ساحة مراكش ورفعوه على أعواده اليه
فتلقاه حافيا حاسرا وقبل أعواده وبكى واسترجع ورضي عن أوليائه وخاصته وأنزلهم
بالمحل الذي رضوه من دولته ووارى أباه بمراكش الى أن نقله الى مقبرة سلفهم بشالة
في طريقه الى فاس وتلقى أبا دينار بن علي بن أحمد بالقبول والكرامة وأحله محل
الرحب والسعة وأسنى جائزته وخلع عليه وحمله وانصرف من فاس الى قومه يستحثهم
للقاء السلطان أبي عنان بتلمسان لما كان أجمع على الحركة اليها بعد مهلك أبيه ورعى
لعبد العزيز بن محمد أمير هنتاتة اجارته للسلطان واستماتته دونه فعقد له على قومه
وأحله بالمحل الرفيع من دولته ومجلسه واستبلغ في تكريمه والله تعالى أعلم

(الخبر عن حركة السلطان أبي عنان الى تلمسان وايقاعه ببني عبد الواد بانكاد ومهلك سلطانهم سعيد)

لما هلك السلطان أبو الحسن وانقضى شأن الحصار ارتحل السلطان أبو عنان الى فاس ونقل شلو أبيه الى مقبرتهم بشالة فدفنه مع من هنالك من سلفه وأغذ السير الى فاس وقد استبد بالامر وخلت الدولة عن المنازع فاحتل بفاس وأجمع أمره على غزو بنى عبد الواد لارتجاع ما بأيديهم من الملك الذى هو الاستخلاص ولما كان فتح سنة ثلاث وخمسين نادى بالعطاء وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد واعترض العساكر وارتحل يريد تلمسان واتصل الخبر بأبى سعيد وأخيه فجمعوا قومهم ومن اليهم من الاشياع والاحزاب من زناتة والعرب وارتحلوا الى لقائه ونزل السلطان بعساكره وادى ملوية وتلوم به أياما لاعتراض الحشود والعرب ثم رحل على التعبية حتى اذا احتل تسسط أنكاد وتراءى الجمعان انفض سرعان المعسكر وسلقوا بالعرب وركب السلطان فى التعبية وخاض بحر القتال وقد أطلم الجو بهم حتى اذا خاض اليهم من غمره وحالطاهم فى صفوفهم ولوهم الادبار ومنحوهم الاكتاف واتبع بنو مرين آثارهم فاستولوا على معسكرهم واستباحوه واستباحوهم قتلا وسبيا وفقدوهم أسرى وغشيهم الليل وهم متسايلون فى اثرهم وقبض على أبى سعيد سلطانهم فسيق الى السلطان فأمر باعتقاله وأطلق أيدى بنى مرين من الغد على حلل العرب من المعقل فاستباحوهم واكتسحوا أموالهم جزاء بما شرهوا اليه من النهب فى الحلة فى هيعة ذلك المجال ثم ارتحل على تعبيته الى تلمسان فاحتل بها فى ربيع من سنته واستوت فى ملكها قدمه وأحضر أبا سعيد فقرعه ووبخه وأراه أعماله حسرة عليها وأحضر الفقهاء وأرباب الفتيا فأفتوا بجراءته وقتله فأمضى حكم الله فيه فذبح فى محبسه لتاسعة من اعتقاله وجعله مثلا للآخرين وخلص أخوه الزعيم أبو ثابت الى قاصية الشرق فكان من خبره ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

الخبر عن شأن أبى ثابت وايقاع بنى مرين به بوادى شلف وتقض الموحدين عليه بجاية

لما أوقع السلطان ببنى عبد الواد بانكاد وقبض على أبى سعيد سلطانهم خلص أبو ثابت أخوه فى فل منهم ومر بتلمسان فاحتمل حرمهم ومخلفهم وأجفل الى الشرق فاحتل بشلف من بلاد مغراوة وعسكر هنالك واجتمع اليه أوشاب من زناتة وحدث نفسه باللقاء ووعدها بالصبر والثبات وسرح السلطان وزيره فارس بن ميمون بن ودرار فى عساكر بنى مرين والجند وأغذ السير اليهم وارتحل من تلمسان على اثره ولما تراءى الجمعان صدق الفريقان المجاولة وخاضوا النهر بالقراع ثم صدق بنو مرين الحملة واجتازوا النهر اليهم فانكشفوا واتبعوا آثارهم واستلحموهم وانتبهوا معسكرهم

واستباقوا أموالهم ودوابهم ونساءهم وارتحلوا في اتباعهم وكتب الوزير بالفتح الى السلطان ومرّ أبو ثابت بالجزائر طارقا وأجاز الى ناصية المشرق فاعترضهم قبائل زواوة وأرجلوهم عن خيلهم وانتهبوا أسلابهم ومرّ واحفاة عراة واحتل الوزير بالجزائر واستولى عليها واقتضى بيعة السلطان منهم فآتوها واحتل الوزير بالمدية وأوعز الى أمير بجاية المولى أبي عبد الله حافد مولانا الامير أبي يحيى مع وليه وترمار وخاصته يعقوب بن علي بالتقبض على أبي ثابت فأذكوا العيون عليهم وقعدوا لهم بالمرصاد وعثر بعض الحشم على أبي ثابت وأبي زيان ابن أخيه أبي سعيد ووزيرهم يحيى بن داود فرفعوهم الى الامير بجاية فاعتقلهم وارتحل للقاء السلطان بالمدية وبعثهم مع مقدمته وجاء على اثرهم ونزل على السلطان بعسكره من المدية خير نزل بعد ان تلقاه بالمبرة والاحتفاء وركب للقائه ونزل عن فرسه للسلطان فنزل السلطان بوائله وأودع أبا ثابت السجن وتوافت اليه وفود الزواودة بمكانه من المدية فأكرم وفدهم وأسنى أعطياتهم من الخلع والحملان والذهب وانقلبوا خير منقلب ووافته بمكانه ذلك بيعة ابن مزني عامل الزاب ووفدهم فأكرمهم ووصلهم وفرغ السلطان من شأن المغرب الاوسط وبث العمال في نواحيه وثقف اطرافه وسما الى ملك افريقية كما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن تملك السلطان أبي عنان بجاية وانتقال صاحبها الى المغرب) *

لما وصل السلطان أبو عبد الله محمد بن الامير أبي زكريا يحيى صاحب بجاية الى السلطان بمكانه من المدية في شعبان من سنته وأقبل السلطان عليه وبوّأه كنف ترحيبه وكرامته خلص الامير به نجيا وشكا اليه ما يلقاه من أهل عمله من الامتناع من الجباية والسعي في الفساد وما يتبع ذلك من زبون الحامية واستبداد البطانة وكان السلطان متشوّقا لمثلها فأشار عليه بالنزول عنها وان يديله عنها بما شاء من بلاده فسارع الى قبول اشارته ودس اليه مع حاجبه محمد بن أبي عمرو أن يشهد بذلك على رؤس الملا ففعل ونقم عليه بطانته ذلك وفرّ بعضهم من معسكره فلحق بافريقية ومنهم علي ابن القائد محمد بن الحكيم وأمره السلطان أن يكتب بخطه الى عامله على البلد بالنزول عنها وتمكين عمال السلطان منها ففعل وعقد السلطان عليها لعمر بن علي الوطاسي من أولاد الوزير الذي ذكرنا خبر انتزائهم بتازوطا من قبل ولما قضى السلطان حاجته من المغرب الاوسط واستولى على بجاية انكفأ راجعا الى تلمسان لشهود الفطر بها ودخلها في يوم مشهود وحمل أبا ثابت ووزيره يحيى بن داود على جملين يخطوان بهما في ذلك المحفل بين السماطين فكانا عبرة لمن حضر وجنبا من الغد الى مصارعهما فقتلا قعصا بالرماح وأنزل السلطان المولى الامير أبا عبد الله صاحب بجاية خير نزل وفرش له في مجلسه تكرمة له

الى أن كان من توثب صنهاجة وأهل بجاية بعمر بن على ما نحن ذاكروه ان شاء الله تعالى

(الخبر عن ثورة أهل بجاية ونهوض الحاجب اليها بالعساكر)

كان صنهاجة هؤلاء من أعقاب ملكانة ملوك القلعة وبجاية نزل أولوهم بوادى بجاية بين القبائل من برابرتها الكاسين فى مواطن بنى ورياكل منذ أول دولة الموحدين وأقيام وهم على العسكرة معهم ولما ضعفت جنود الموحدين وقل عددهم انفردوا بالعسكرة مع السلطان وصار لهم بذلك اعتزاز وزبون على الدولة وكان الامير أبو عبد الله هذا قد أصاب منهم لأول أمره وقتل محمد بن تميم من أكابر مشيختهم وكان صاحبه فارح مولى ابن سيد الناس عريفا عليهم من عهد أبيه الامير أبى زكريا وكان مستبدا على المولى أبى عبد الله فلما نزل عن امارته للسلطان أبى عنان سخط ذلك ونقمه عليه وأسرها فى نفسه ولم يبدها الكافة وسرحه أميره مع عمر بن على الوطاسى لينقل حرمه ومتاعه وماعون داره فوصل اليها وشكا اليه المتاجيون مغبة أمرهم فى ثقل الوطأة وسوء الملكة فأشكاهم ودعاهم الى الثورة بنى مرين والقيام بدعوة الموحدين للمولى أبى زيان صاحب قسنطينة فأجابوه وتواعدوا الفتك بعمر بن على عند دخوله من القصبة وتولى كبرها منصور بن الحاج من مشيختهم وباكره بداره على عادة الامراء ولما أكب عليه ليلثم أطرافه طعنه بخنجره وفر الى بيته جريحا فوطوا عليه واستلموه وثارت الغوغاء من أهل البلد فى ذى الحجة من سنة ثلاث وخمسين وركب الحاجب فارح وشق الهاتف بدعوة المولى أبى زيد صاحب قسنطينة وطيروا بالخبر واستدعوه فتثاقل عن اجابتهم وبعث مولى ابن المعلوجى للقيام بأمرهم وبلغ الخبر الى السلطان فاتهم المولى أبا عبد الله بمداخلة حاجبه فاعتقله بداره واعتقل وفدا من ملا بجاية كان ببابه وبثت آراء المشيخة من أهل بجاية وتمشت رجالاتهم وأولوا الرأى والشورى منهم فى الفتك بصنهاجة والعلج وداخلهم القائد هلال مولى ابن سيد الناس وتواعدوا الفتك بفارح يوم وصول النائب من قبل صاحب قسنطينة جهروا بالنكير على الحاجب ودعوا الى المسجد ليؤامروه ونذر بأمرهم فاعتد بدار شيخ الفتيا أحمد بن ادريس فاقتحموا عليه الدار وباشره مولاه محمد بن سيد الناس فطعنه وأشلاه ورمى بشلوه من سقف الدار وقطع رأسه فبعثوا به الى السلطان وفر منصور بن الحاج وقومه صنهاجة من البلد وكان بالمرسى أحمد بن سعيد القرمونى من خاصة السلطان جاء فى السفن لبعض حاجاته من تونس وارفأ فى مرسى بجاية يومئذ فأنزلوه واعصوصبوا عليه وتنادوا بدعوة السلطان وطاعته فأشار عليهم أحمد القرمونى أن يبعثوا الى قائد تدلس من مشيخة بنى مرين عياش بن عمر بن عبد المؤمن الونكاسى فاستدعوه ووصل اليهم فى جملة من

العسكر وبعثوا بأخبارهم الى السلطان وانتظروا فلما بلغ الخبر الى السلطان أمر حاجبه محمد بن أبي عمر بالنهوض الى بجاية فعسكر بساحة تلمسان واتفق له السلطان من قومه وجنوده خمسة آلاف فارس أزاح عللهم واستوفى أعطياتهم وسرحه فنهض من تلمسان بعد قضاء منسك الاضحى وأغذ السير الى بجاية ولما نزل ببني حسن جمع له صنهاجة ثم نكلوا عن اللقاء ولحقوا بقسنطينة وأجازوا منها الى تونس واحتل الحاجب بعسكرهم من تيكلات وخرج اليه المشيخة والوزراء فتقبض على القائد هلال وأشخصه الى السلطان ودخل البلد على التعبية واحتل بقصبتها المحرم فاتح أربع وخمسين وسكن الناس وخلع على المشيخة واختص على بن ومحمد بن سيد الناس واستظهر بهم على أمره وتقبض على جماعة من الغوغاء وعلى من تحت أيديهم ممن يتهم بالمداخلة في الثورة يناهزون مائتين واعتقلهم وأركبهم السفن الى المغرب فودع الناس وسكنوا وتوافت وفود الزواودة من كل جهة فأجزل صلاتهم واقتضى الطاعة منهم ووصل عامل الزاب يوسف وسدفروجه وارتحل الى تلمسان أول جمادى لشهرين من مدخله وأغذ السير بمن معه من العرب والوفود وكنت يومئذ في جملتهم وقد خلع على وحملني وأجزل صلتي وضرب لي الفساطيط فوفدت في ركابه وقدم تلمسان لاول جمادى الاخيرة فجلس السلطان للوفد واعترض ما جنب له من الجياد والهدية وكان يوما مشهودا ثم أسنى السلطان جوائز الوفد واختص يوسف بن مزنى ويعقوب بن على بمزيد من البر والصلة وخصوا بجاه من الكرامة وآمرهم في شأن افريقية ومنازلة قسنطينة ورجع معهم الحاجب ابن أبي عمر على كره منه لما ذكره من أخباره وانصرفوا الى مواطنهم لاول شعبان من سنة أربع وخمسين وانقلبت معه بعد اسناء الجائزة والخلع والحملان من السلطان والوعد الجميل بتجديد ما الى قومه ببلده من الاقطاع والله أعلم

الخبر عن الحاجب ابن أبي عمرو وما عقد له السلطان على ثغر بجاية وعلى منازلة قسنطينة ونهوضه لذلك

سلف هذا الرجل من أهل المهدية من أجواد العرب من بني تميم بافريقية وانتقل جده على الى تونس باستدعاء السلطان المستنصر وكان فقيها عارفا بالفتيا والاحكام وقلده القضاء بالحضرة واستعمله على كتب علامته في الرسائل والاوامر الكبرى والصغرى فاضطلع بذلك وهلك على حالة من التجلة والمنصب وقلد ابنه عبد الله من بعده العلامتين أيام أبي حفص عمر ابن الامير أبي زكريا كما كان لابيه فاضطلع لذلك وكان أخوه أحمد بن على مستنا وقورا منتحلا للعلم ونشأ ابنه محمد وقرأ بتونس وتفقه على

مشيختها ولما التاثت أمورهم وتلاشت أحوالهم خرج محمد بن أحمد بن على منتبذا للرزق والمعاش وطوحت به الطوائح الى بلد القل وكان منتحلا للطلب والكتابة فاستعمل شاهدا بمرسى القل أيام رياسة الحاجب ابن أبي عمرو وكانت له صحبة مع حسن بن محمد السبتى المتصل نسب الشرف وكانا رفيقين فى مطارح اغترابهما فسعى له فى مرافقة الشهرة فأسعفا واتصلا بابن أبي عمرو فخدمه أيام منازلة الشريف عبد الوهاب زعيم تدلس الى طاعة الموحدين أيام التياث أبي حمو بخروج محمد بن يوسف عليه واعتلال الدولة ودخل فى أمر ابن أبي عمرو وجملته فبعث محمد بن أبي عمرو هذا وصاحبه الى تدلس واستعمل حسن الشريف فى القضاء ومحمد بن أبي عمرو فى شهادة الديوان فلما رثت الدولة من مرضها واستفحل أمر أبي حمو وتغلب على تدلس وصار رئيس القضا من الامام لاقتضاء طاعتها وانفاذ أهلها على السلطان فى الوفد واستقر بتلمسان يومئذ واستعملا فى خطة القضاء متعاقبين أيام بنى عبد الواد وأيام السلطان أبي الحسن وتعصب على ابن أبي عمرو أيام قضائه جماعة من مشيخة البلد وسعوا به الى السلطان أبي الحسن وتظاهروا فأشكاهم على علم ببراءته واختصه بتأديب ولده فارس هذا وتعليمه فأفرغ وسعه فى ذلك وربى ولده محمدا هذا الحاجب مع السلطان أبي عنان توأمار ضاملا وألقى عليه محبته حتى اذا خلص له الملك رفع رتبة محمد بن أبي عمرو هذا ورقاه من منزلة الى أخرى حتى اذا أربى به على سائر المراتب وجعل اليه العلامة والقيادة والحجابة والوزارة وديوان الجند والحساب والقهرمة وسائر ألقاب دولته وخصوصيات داره فانصرفت اليه الوجوه ووقفت ببابه الاشراف من الاعياص والقبائل والشرفاء والعلماء وسربت اليه العمال أموال الجباية تزلفا وطال أمره واستبلاؤه على السلطان ونفس عليه رجال الدولة ووزراؤها ما آتاه الله من الحظ حتى اذا خلا لهم وجه السلطان منه عند نهوضه الى بجاية جاءت أغراض السعاية على مكانه فقرطس وألقى السلطان أذنه الى استماعها فلما رجع من بجاية وكانت له الدولة على السلطان وجد عليه فى قبول ولقيه مغاضبا فتنكر له السلطان ثم تجنى بطلب الغيبة عن الدولة ويعقد له على بجاية متوهما ان السلطان ضنين به فبادر السلطان الى اسعافه وبدا له مالم يحتسب من الاعراض عنه ورجع الى الرغبة فى الاقالة فلم يسعف وعقد له على حرب قسنطينة وحكمه فى المال والجيش وارتحل فى شعبان من سنة أربع وخمسين واحتل بجاية آخرها ونصب الموحدون تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المعتقل عندهم من لدن عهد المولى الفضل واعتقاله إياه فنصبوه للامر لتفريق كلمة بنى مرين وجمعوا له الآلة والفساطيط وقام بأمره ميمون بن على لمنافسته مع أخيه يعقوب وتسمع بخبره يعقوب

بياض بالاصل

فأغذ السير بحاله من بلاد الزاب وفرق جمعهم وردهم على أعقابهم وأجزهم بالبلد ولما انصرم الشتاء وقضى منسك الاضحى عسكر بساحة البلد واعترض العساكر وأزاح عللهم وفرق أعطياتهم وارتحل الى منازلة قسنطينة واجتمع اليه الزواودة بحللهم وجمع المولى أبو زيد صاحب قسنطينة من كان على دعوته من أحياء توبة وميمون ابن على بن أحمد وشيعته من الزواودة وعقد عليهم لحاجبه نبيل وسرحه للقاء ابن أبى عمرو وعساكره فأوقع بهم الحاجب لجمادى من سنة خمس وخمسين واكتسح أموالهم ونازل قسنطينة حتى تفادوا منه بتمكينه من تاشفين ابن السلطان أبى الحسن المنصوب للامر فاقتادوه اليه وأشخصه الى أخيه السلطان وأوفد المولى أبو زيد ابنه على السلطان أبى عنان فتقبل وفادته وشكر مراجعته وانكفأ الحاجب ابن أبى عمرو الى بجاية وأقام بها الى أن هلك فى المحرم سنة ست وخمسين فذهب حميد السيرة عند أهل البلد وتفجعوا لمهلكه وبعث السلطان دوابه لارتحال عياله وولده ونقل شلوه الى مقبرة أبيه بتلمسان وسرح ابنه أبا زيان فى عساكر من مرين لموارأته بها وعقد على بجاية لعبد الله بن على بن سعيد وزيره فنهض اليها فى شهر ربيع من سنة ست وخمسين واستقر بها وتقبل ما حمده الناس من مذاهب الحاجب وسيرته فيها على ما نذكره وجهز العساكر الى حصار قسنطينة الى أن كان من فتحها ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى

الخبر عن خروج أبى الفضل ابن السلطان أبى الحسن بجبل السكسيوى ومكر عامل درعة به ومهلكه

كان السلطان أبو عنان بعد مهلك أبيه لحق به فى جملته أخواه أبو الفضل محمد وأبو سالم ابراهيم وتدبر فى ترشيحهما وتصدر عليه مغبته فأشخصهما الى الاندلس واستقرا بها فى ايالة أبى الحجاج ابن السلطان أبى الوليد بن الرئيس أبى سعيد ثم ندم على ما أتاه من ذلك فلما استولى على تلمسان والمغرب الاوسط ورأى أن قد استفحل أمره واعتز بسلطانه أغذ السير الى ابى الحجاج أن يشخصهما اليه ليكون مقامهما لديه أحوط للكلمة من أن ينعقد تفريقهما بمساسرة الفتن وخشى أبو الحجاج عليهما غائلته فأبى من اسلامهما اليه وأجاب الرسل بأنه لا يخفر ذمته وجوار المسلمين المجاهدين فأحفظ السلطان كلمته وأوغر الى حاجبه محمد بن أبى عمرو بان يخاطبه فى ذلك بالتوبيخ واللائمة فكتب له كتابا قرعه فيه وقفنى عليه الحاجب ببجاية أيام كونى معه فقضيت عجبا من فصوله واغراضه ولما قرأه أبو الحجاج دس الى كبيرهما أبى الفضل باللحاق بالطاغية وكانت بينهما ولاية ومخالصة منذ مهلك أبيه الهنشة على جبل الفتح سنة احدى وخمسين وسبعمائة فنزع اليه أبو الفضل وجهزه به أسطولا الى مراسى المغرب وأنزله بساحة السوس فلحق

بالسكسيوي عبد الله ودعا لنفسه و بلغ الخبر الى السلطان بن مقدم حاجبه ابن أبي عمرو من فتح بجاية سنة أربع وخمسين فجهز عساكره الى المغرب وعقد على حرب السكسيوي لوزيره فارس بن ميمون بن ورداز وسرّحه اليه فنهض من تلمسان لربيع سنة أربع وخمسين وأغذ السير الى السكسيوي ونزل بجنقه وأحاط به واختط مدينة لمعسكره وتجهيز كتائبه بسفح جبله سماها القاهرة واستبد الحصار على السكسيوي وأرسل الى الوزير في الرجوع الى طاعته المعروفة وأن ينبذ العهد الى أبي الفضل ففارقه وانتقل الى جبال المصامدة ودخل الوزير فارس الى أرض السوس فدوّخ أقطارها ومهد الحال وسارت الولاية والجيوش في جهاته ورتب المسالح في ثغوره وأمصاره مثل وتارودانت وثقف أطرافه وسد فروجه وسار أبو الفضل في جبال المصامدة الى أن انتهى الى صناكة وألقى نفسه على ابن حميدي منهم مما يلي بلاد درعة فأجاره وقام بأمره ونازله عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزردالي من مشيخة دولة بني عبد الواد كان اصطنعه السلطان أبو الحسن منذ تغلبه عليهم وفتحه لتلمسان سنة سبع وثلاثين فاستقر في دولتهم ومن جملة صنائعهم فأخذ بمخنق ابن حميدي وأرهبه بوصول العساكر والوزراء اليه وداخله في التقبض على أبي الفضل وان يبذل له في ذلك ما أحب من المال فأجاب ولاطف عبد الله بن مسلم الامير أبا الفضل ووعده من نفسه الدخول في الامر وطلب لقاءه فركب اليه أبو الفضل ولما استمكن منه عبد الله ابن مسلم تقبض عليه ودفع لابن الحميدي ما اشترطه من المال وأشخصه معتقلا الى أخيه السلطان أبي عنان سنة خمس وخمسين فأودعه السجن وكتب بالفتح الى القاصية ثم قتله لليال من اعتقاله خنقا بمحبسه وانقضى أمر الخوارج وتمهدت الدولة الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض عيسى بن الحسن بجبل الفتح ومهلكه)

كان عيسى بن الحسن بن علي بن أبي الطلاق هذا من مشيخة بني مرين وكان صاحب شوراهم لعهده وقد كنا قصصنا من أخبار أبيه الحسن عند ذكر دولة أبي الربيع وكان السلطان أبو الحسن قد عقد له على ثغور عمله بالاندلس وأنزله بجبل الفتح عندما أكمل بناءه وجعل اليه النظر في مسالح الثغور وتفريق العطاء على مسالحها طال عهد ولايته ورسخ فيها قدمه وكان السلطان أبو الحسن يبعث عنه في الشورى متى عنت وحضره عند سفره الى افريقية وأشار عليه بالاقتصار عنها وأراه ان قبائل بني مرين لا تفي اعدادهم بمسالح الثغور اذا رتبت شرقا وغربا وعدوة البحر وان افريقية تحتاج من ذلك الى أوفر الاعداد وأشد الشوكة لتغلب العرب عليها وبعد عهدهم بالانقياد

فأعرض السلطان عن نصيحته لما كان شره الى تملكها وصرفه الى مكان عمله بالثغور الاندلسية ولما كانت نكبة القيروان وانتزى الابناء بفاس وتلمسان أجاز البحر لحسم الداء ونزل بقسانة ثم انتقل الى وطنه بتازى وجمع قومه بنى عسكر السلطان أبى عنان قد هزم عساكر ابن أخيه وأخذ بمخنقه فأجاب عليه وبيته بمعسكره من سلمة البلد الجديد وعقد السلطان أبو عنان على حربه لصنيعته سعيد بن موسى العجيسى وأنزله بثغر بلاد بنى عسكر على وادى بوحلو وتواقفا كذلك أياما حتى تغلب السلطان أبو عنان على البلد الجديد ثم أرسل عيسى بن الحسن فى الرجوع الى الطاعة وأبطأ عنه صريخ السلطان أبى الحسن بافريقية فراجعه واشترط عليه فتقبل وسار اليه فتلقاه السلطان وامتلأ سرورا بقدمه وأنزله بصدوره وجعل الشورى اليه فى مجالسه واستمرت على ذلك حاله ولما حال ابن أبى عمرو انفرد بخلة السلطان ومناجاته وحجبه عن الخاصة والبطانة أحفظه ذلك ولم يبدها واستأذن السلطان فى الحج فأذن له وقضى فرضه ورجع الى محله من بساط السلطان سنة ست وخمسين وأتى ابن أبى عمرو ببجاية وتطارح عليه فى أن يصلح حاله عند سلطانه فوعده فى ذلك ولما وفد على السلطان وجده قد استبد فى الشورى وتنكر للخاصة والجلساء فاستأذنه فى الرجوع الى محله من الثغر لاقامة رسم الجهاد فأذن له وأجاز البحر الى جبل الفتح من سنته وكان صاحب ديوان العطاء بالجبل يحيى الفرقاجى وكان مستظهرا على العمال وكان ابنه أبو يحيى قد برم بمكانه فلما وصل عيسى الى الجبل اتبعه السلطان بأعطيات المسالح مع مسعود بن كندوس من صنائع دولته فسرب الفرقاجى الى الضرب على يده شأنه مع ابنه أيام مغيبه وأنف عيسى من ذلك فتقبض عليه وأودعه المطبق ورد ابن كندوس على عقبه وأركبه السفين من ليلته الى سبتة وجاهر بالخلعان وبلغ الخبر الى السلطان أبى عنان فقلق لذلك وقام فى ركائبه وقعد وأوعز بتجهيز الاساطيل وظن أنه قد تدبر من الطاغية وابن الاحمر وبعث أحمد بن الخطيب قائد البحر بطنجة عينا على شأنهم فوصل الى مرسى الجبل وكان عيسى بن الحسن لما جاهر بالخلعان تمشت رجالات الثغر وعرفاء الرجل من غمارة الغزاة الموطنون بالجبل وتحدثوا فى شأنه وامتنعوا من الخروج على السلطان وتآمروا وخالفه سليمان بن داود من عرفاء العسكر كان من خواصه وأهل شوراه وكان عيسى قد مكن قومه عند السلطان واستعمله على رندة فلما جاهر عيسى بالخلعان وركب ظهر الغدر خالفه سليمان هذا الى طاعة السلطان وأنفذ كتبه وطاعته واشتبه عليه الامر فندم اذ لم يكن بنى أمره على أساس من الرأى فلما احتل أسطول أحمد بن الخطيب بمرسى الجبل خرج اليه وناشده الله والعهد أن يبلغ السلطان طاعته والبراءة مما صنع أهل

بلغ بالاصل

الجبل ونسبها اليهم فعند ذلك خشى غمارة على أنفسهم فنادوا به ولجأ الى الحصن فاقتحموه عليه وشدوه وابنه وثاقا وألقوه فى أسطول ابن الخطيب وأنزله بسبتة وطير للسلطان بالخبر فقلع عليه وأمر خاصته فقلعوا عليه وبعث عمر ابن وزيره عبد الله بن على وعمر بن العجوز قائد جند النصارى فأحضروهما بدار السلطان يوم منى من سنة ست وجلس لهما السلطان ووقفا بين يديه وتنصلا واعتذرا فلم يقبل منهما وأودعهما السجن وشدد وثاقهما حتى قضى منسك الاضحى ولما كان ثالثه أمر بهما فجنبا الى مصارعهما وقتل عيسى قعصا بالرماح وقطع ابنه أبو يحيى من خلاف وأبى من مداواة قطعه فلم يزل يتخبط فى دمه الى أن هلك لثالثة قطعه وأصبحا مثلا فى الآخرين وعقد على جبل الفتح وسائر ثغور الاندلس لسليمان بن داود الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نهوض السلطان الى ثغر قسنطينة وفتحها ثم فتح تونس عقبها)

لما هلك الحاجب محمد بن أبى عمرو عقد السلطان على ثغور بجاية وما وراءها من بلاد افريقية لوزيره عبد الله بن على بن سعيد وسرحه اليها وأطلق يده فى الجباية والعطاء وكانت جبال ضواحى قسنطينة قد تملكها السلطان لما كانت الزواودة متغلبة عليها وكان عامة أهل ذلك الوطن قبائل سدويكش وعقد السلطان عليهم لموسى بن ابراهيم ابن عيسى وأنزله بتاوريرت آخر عمل بجاية وأخذ بخنق قسنطينة ثم ارتحل عنها على ما عقد من السلم على المولى الامير أبى زيد أنزل موسى بن ابراهيم بميلة فاستقر بها ولما ولى الوزير عبد الله بن على أمر افريقية أوعز اليه السلطان بمنازلة قسنطينة فنزلها سنة سبع وأخذ بخنقها ونصب المجانيق عليها واشتد الحصار بأهلها وكادوا أن يلقوا باليد لولا ما بلغ العسكر من الارجاف بهلك السلطان فأفرجوا عنها ولحق المولى أبو زيد ببونة وأسلم البلد الى أخيه مولانا الامير أبى العباس أيده الله تعالى عندما وصل اليه من افريقية كان بها مع العرب طالبا ملكهم بتونس ومجلبا بهم على ابن تافراكين منذ نازلوا تونس سنة ثلاث وخمسين كما مر فلما رجع الآن الى قسنطينة مع خالد بن حمزة داخل المولى أبا زيد فى خروجه الى حصار تونس واقامة مولانا أبى العباس بقسنطينة فأجاب لذلك وخرج معه ودخل مولانا أبو العباس الى قسنطينة ودعا لنفسه وضبط قسنطينة وكان مدلا ببأسه واقدامه وداخل بعض المحترفين من بنى مرين من أولاد يوسف بن عبد الواحد ويكمز فى تبييت موسى بن ابراهيم بمعسكره من ميلة فبيتوه وانتهبوا معسكره وقتلوا أولاده وخلص الى تاوريرت ثم الى بجاية ولحق بمولانا السلطان مفلولا ونكر السلطان على وزيره عبد الله بن على ما وقع بموسى بن ابراهيم وانه قصر فى امداده فسرح شعيب بن ميمون وتقبض عليه وأشخصه الى السلطان معتقلا وعقد على بجاية

مكانه ليحيى بن ميمون بن مصمود من صنائع دولته وفى خلال ذلك راسل المولى أبو زيد
الحاجب أبا محمد عبد الله بن تافراكين المتغلب على عمه ابراهيم فى النزول لهم على
قومه والقدوم عليهم بتونس فقبلوه وأحلوه محل ولى العهد واستعملوه على بونة من
صنائعهم ولما بلغ خبر موسى بن ابراهيم الى السلطان أيام التشريق من سنة سبع
وخمسين اعتزم على الحركة الى افريقية واضطرب بمعسكره بساحة البلد
الجديد وبعث فى الحشد الى مراكش وأوعز الى بنى مرين بأخذ الاهبة للسفر
وجاس للعطاء والاعتراض من لدن وصول الخبر اليه الى شهر ربيع من سنة ثمان
وخمسين ثم ارتحل من فاس وسرح فى مقدمته وزيره فارس بن ميمون فى العساكر
وسار فى ساقته على التعبية الى أن احتل بجاية وتلوم لازاحة العلل ونازل الوزير
قسنطينة ثم جاء السلطان على اثره ولما أطلت راياته وماجت الارض بعساكره ذعر
أهل البلد وألقوا بأيديهم الى الاذعان وانفضوا من حول سلطانهم مهطعين الى
السلطان وتحيز صاحب البلد فى خاصته الى القصبة ووصل أخوه المولى الفضل فطلب
الامان فبذله السلطان لهم وخرجوا وأنزلهم بمعسكره أياما ثم بعث بالسلطان
فى الاسطول الى سبتة فاعتقلهم بها الى أن كان من أمره ما نذكره بعد وعقد على قسنطينة
لمنصور بن الحاج خلوف اليابانى من مشيخة بنى مرين وأهل الشورى منهم وأنزله
بالقصبة فى شعبان من سنته ووصل اليه بمعسكره من ساحة قسنطينة بيعة يحيى بن يملول
صاحب توزر وبيعة على بن الخلف صاحب نفطة ووفد ابن مكى مجددا طاعته ووصل اليه
أولاد مهلهل أمراء الكعوب وأقيال بنى أبى الليل يستحثونه لملك تونس فسرح معهم
العساكر وعقد عليهم ليحيى بن رحو بن تاشفين وبعث اسطوله فى البحر مددا لهم وعقد
عليهم للرئيس محمد بن يوسف الابكم وساروا الى تونس وأخرج الحاجب أبا محمد بن
تافراكين سلطانه أبو اسحق ابن مولانا السلطان أبى يحيى مع أولاد أبى الليل وجهز معه
العساكر لما أحس بقدوم عساكر السلطان ووصل الاسطول الى مرسى تونس فقاتلهم
يوما أو بعض يوم وركب الليل الى المهدية فتحصن بها ودخل أولياء السلطان الى تونس
فى رمضان من سنة ثمان وخمسين وأقاموا بها دعوته واحتل يحيى بن رحو بالقصبة
وأنفذ الاوامر وكتبوا الى السلطان بالفتح ونظر السلطان بعد ذلك فى أحوال ذلك
وقبض أيدى العرب من رياح عن الاتاوة التى يسمونها الخفارة فارتابوا وطالبهم
بالرهن فأجمعوا على الخلاف فأرهفهم حده و يعقوب بن على أميرهم
فخرج معهم ولحقوا معا بالزاب وارتحل فى اثرهم وسار
يوسف بن مزنى عامل الزاب ببعض الطريق أمامه حتى نزل ببسكرة ثم ارتحل الى طولقة

البياض فى الموضعين بالاصل

ودفن يوم السبت وحجب الحسن بن عمر الولد المنصوب للامر وأغلق عليه بابه وتفرد بالامر والنهي دونه ولحق عبد الرحمن ابن السلطان أبي عنان بجبل الكاي يوم بيعة أخيه وكان أسن منه وانما آثروه لمكان ابن عمه مسعود بن ماسي من وزارته فبعثوا اليه من لاطفه واستنزله على الامان وجاء به الى أخيه فاعتقله الحسن بالقصبة من فاس وبعث على أبناء السلطان الاصاغر الامراء بالثغور وبقاء المعتصم من سجلماسة وامتنع المعتمد بمراكش وكان بها في كفالة عامر بن محمد الهنتاتي استوصاه به السلطان وجعله هنالك لنظره فمنعه من الوصول وخرج به من مراكش الى معقله من جبل هنتاتة وجهز الوزير العساكر لحاربته ولم يزل هنالك الى أن استنزله عمه السلطان أبو سالم عند استيلائه على ملك المغرب كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم .

﴿ الخبر عن تجهيز العساكر الى مراكش ونهوض ﴾
﴿ الوزير سليمان بن داود لمحاربة عامر بن محمد ﴾

كان عامر بن محمد بن علي شيخ هنتاتة من قبائل المصامدة وكان السلطان يعقوب قد استعمل أباه محمد بن علي على جباياتهم والسلطان أبو سعيد استعمل عمه موسى بن علي وربي عامر هذا في كفالة الدولة وصار في جملة السلطان الى افريقية وولاه السلطان أحكام الشرطة بتونس ولما ركب البحر الى المغرب أركب حرمه وحظاياه في السفن وجعلهم الى نظر عامر بن محمد وأجاز البحر الى الاندلس وبلغهم غرق السلطان أبي الحسن وعسكره فأقام بهم بمكانه من المدينة ودعى للسلطان أبي عنان فلم يجب داعيه وفاء ببيعة أبيه حتى اذا هلك السلطان أبو الحسن بدارهم بالجبل دعاهم السلطان أبو عنان وأحسن نزله ثم عقد له على جباية المصامدة سنة أربع وخمسين وبعثه له من تلمسان فاضطلع بهذه الولاية وأحسن الغناء فيها والكفاية عليها حتى كان السلطان أبو عنان يقول وددت لو أصبت رجلا يكفيني ناحية المشرق من سلطاني كما كفاني عامر بن محمد ناحية المغرب وأودع ونافسه الوزراء في مقامه ذلك عند السلطان ورتبته وانفرد الحسن بن عمر آخر الامر بوزارة السلطان واشتدت منافسته وانتهت الى العداوة والسعاية وكان السلطان بين يدي مهلكه ولى أبناءه الاصاغر على أعمال ملكه فعقد لابنه محمد المعتمد على مراكش واستوزر له وجعله الى نظر عامر واستوصاه به فلما هلك السلطان واستقل الحسن بن عمر بالامر ونصب السعيد للملك استقدم الابناء من الجهات فبعث عن المعتمد من مراكش فأبى عليه عامر من الوفادة عليهم وصعد به الى معقله من جبل هنتاتة وبلغ الحسن بن عمر خبره فجهز اليه العساكر وأزاح عللهم وعقد على حربه للوزير سليمان بن داود مساهمه في القيام بالامر وسرحه في المحرم سنة ستين وسبعمائة فأغذ السير الى

مراكش واستولى عليها وصعد الى الجبل فأحاط به وضيق على عامر وطاول منازلته وأشرف على اقتحام معقله الى أن بلغه خبر افتراق بنى مرين وخروج منصور بن سليمان من أعياص الملك على الدولة وأنه منازل للبلد الجديد فانفض العسكر من حوله وتسابقوا الى منصور بن سليمان فلحق به الوزير سليمان بن داود وتنفس الحصار عن عامر الى أن استولى السلطان أبو سالم على ملك المغرب فى شعبان من سنة ستين واستقدم عامرا والمعتمد ابن أخيه من مكانهم بالجبل فقدم عليه وأسلمه اليه كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن ظهور أبى حمو بنواحى تلمسان وتجهيز العساكر لمدافعته ثم تغلبه وما تخلل ذلك

كان ولد عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن هؤلاء أربعة كما ذكرناه فى أخبارهم وكان يوسف كبيرهم وكان سكوتا منتحلا لطرق الخير لا يريد علوا فى الارض ولما هلك أخوه عثمان بتلمسان عقد له على هنين وكان ابنه يوسف بن موسى متقبلا مذهبه فى السكوت والدعة ومجانبة أهل الشر ولما تغلب السلطان أبو عنان عليهم سنة ثلاث وخمسين وفر أبو ثابت الى قاصية المشرق واستلبهم قبائل زواوة وأرجلوهم عن خيلهم سعوا على أقدامهم وانتبذ أبو ثابت وأبو زيان ابن أخيه أبى سعيد وموسى ابن أخيه يوسف ووزيرهم يحيى بن داود ناحية عن قومهم وسلكوا غير طريقهم وتقبض على أبى ثابت ويحيى بن داود ومحمد بن عثمان وخلص موسى الى تونس فنزل على الحاجب محمد بن تافراكين وسلطانه خير نزل وأجارهم مع فل من قومه خلصوا اليهم وأسنوا جرايتهم وبعث السلطان أبو عنان فيهم الى ابن تافراكين فأبى من اسلامهم وجاهر باجارتهم على السلطان ولما استولت عساكر السلطان على تونس وأجفل عنها سلطانها أبو اسحق ابراهيم ابن مولانا السلطان أبى يحيى خرج موسى بن يوسف هذا فى جملته ولما رجع السلطان الى المغرب صمد المولى أبو اسحق ابراهيم ابن مولانا السلطان أبى يحيى وابن أخيه المولى أبى زيد صاحب قسنطينة مع يعقوب بن على وقومه من الزواودة الى منازلة قسنطينة وارتجاعها وسار فى جملتهم موسى بن يوسف هذا فيمن كان عنده من زناتة قومه وكان بنو عامر من زغبة خارجين على السلطان أبى عنان منذ غلبه بنو عبد الواد على تلمسان وكانت رياستهم الى صغير بن عامر بن ابراهيم لحق بافريقية فى قومه ونزلوا على يعقوب بن على وجاوروه بحللهم وظعنهم فلما أفرجوا عن قسنطينة بعد امتناعها واعتزم صغير على الرحلة بقومه الى وطنهم من صحراء المغرب دعوا موسى ابن يوسف هذا الى الرحلة معهم ليستضيفوه للامر ويجلبوا به على تلمسان فخلى الموحدون

سبيله وأعانوه بما اقتدروا عليه لوقتهم وعلى حال سفرهم من آلة وفسطاط وارتحل مع بني عامر وارتحل مع صولة بن يعقوب بن علي وزيان بن عثمان بن سباع من أمراء الزواودة وصغار بن عيسى في حال من سعيد احدى بطون رياح وأغذوا السير الى المغرب للعيث في نواحيه وجمع لهم أقيالهم من سويد أولياء السلطان والدولة والتقوا بقبلة تلمسان فانهزمت سويد وهلك عثمان بن ونزمار كبيرهم وكان مهلك السلطان في خلال ذلك ولما اتصل الخبر بوفاة السلطان بالمغرب أغذوا السير الى تلمسان وملكوا ضواحيها وجهز الحسن بن عمر لها عسكرا عقد عليه وعلى الحامية الذين بها لسعيد بن موسى العجيسي من صنائع السلطان ومرشحه لها وسار في جملته أحمد بن مزني فاصلا الى عمله بعد أن وصل وخلع عليه وحمله وسار سعيد بن موسى في العساكر الى تلمسان واحتل بها في صفر من سنة ستين وزحف اليه جموع بني عامر وسلطانهم أبو حمو موسى بن يوسف فغلبوهم على الضاحية وأحجروهم بالبلد ثم ناجزوهم الحرب أياما واقتحموها عليهم لليال خلون من ربيع واستباحوا من كان بها من العسكر وامتلأت أيديهم من أسلابهم ونهابهم وخلص سعيد بن موسى بابن السلطان الى حلة صغير بن عامر فأجاره ومن جاء على أثره من قومه وأوفد رجالات من بني عامر يصحبونه الطريق أمامه الى أن أبلغوه مأمنه من دار ملكهم واستولى أبو حمو على ملك تلمسان واستأثر بالهدية التي ألفى بمودعها كان السلطان أنشأها وبعث بها الى صاحب برشلونة ابن القط وبعث اليه فيها بفرس أدهم من مقرباته بمركب ولجام مذهبين ثقيلين فاتخذ أبو حمو ذلك الفرس لركوبه وصرف الهدية في مصارفه ووجوه مذاهبه والله غالب على أمره

بياض بالاصل

الخبر عن نهوض الوزير مسعود بن ماسي الى تلمسان وتغلبه عليها ثم انتقاضه ونصبه سليمان بن منصور للامر

لما بلغ الوزير الحسن بن عمر خبر تلمسان واستيلاء أبي حمو عليها جمع مشيخة بني مرين وأمرهم بالنهوض اليها فأبوا عليه من النهوض بنفسه وأشاروا بتجهيز العساكر ووعدوه مسيرهم كافة ففتح ديوان العطاء وفرق الاموال وأسنى الصلات وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد ثم عقد عليهم لمسعود بن رحو بن ماسي وحمل معه المال وأعطاه الآلة وسار في الالوية والعساكر وكان في جملته منصور بن سليمان بن منصور بن أبي مالك بن يعقوب بن عبد الحق وكان الناس يرجفون بأن سلطان المغرب صائر اليه بعد مهلك أبي عنان وشاع ذلك على ألسنة الناس وذاع وتحدث به السمر والندمان وخشي منصور على نفسه لذلك فجاء الى الوزير الحسن وشكا اليه ذلك فاتهمه أن يختلج بفكره هذا الوسواس اتهاما خلا من وجه السياسة فانزجر واقتصر ولقد شهدت

هـذا الموطن ورحمت ذلة انكساره وخضوعه فى موقفه ورحل الوزير مسعود
فى التعبية وأفرج أبو حمو عن تلمسان ودخلها مسعود فى ربيع الثانى واستولى عليها
وخرج أبو حمو الى الصحراء وقد اجتمعت عليه جموع العرب من زغبة والمعقل ثم
خالفوا بنى مرين الى المغرب واحتلوا بانكاد بحللهم وظواعنهم وجهز اليهم مسعود بن
رحو عسكرا من جنوده انتقى فيه مشيخة بنى مرين وأمراءهم وعقد عليهم لعامر بن
عمه عبو بن ماسى وسرحهم فزحفوا اليه بساحة وجدة وصدقهم العرب الحملة
فانكشفوا واستبيح معسكرهم واستلبت مشيختهم وأرجلوا عن خيلهم ودخلوا الى
وجدة عراة وبلغ الخبر الى بنى مرين بتلمسان وكان فى قلوبهم مرض من استبداد الوزير
عليهم وحجره اسلطانهم فكانوا يتربصون بالدولة فلما بلغ الخبر وحاص الناس لها حيصة
الحمر خاص بعضهم نجيا بساحة البلد واتفقوا على البيعة ليعيش بن على بن أبى زيان ابن
السلطان أبى يعقوب فبايعوه وانتهى الخبر الى الوزير مسعود بن رحو وكان
السلطان منصور بن سليمان فأكرهه على البيعة وبايعه معه الرئيس الابكم من بنى الاحمر
وقائد جند النصارى انقهردور وتسايل اليه الناس وتسامع الملأ من بنى مرين بالخبر
فتهاووا اليه من كل جانب وذهب يعيش بن أبى زيان لوجهه فركب البحر وخلص الى
الاندلس وانعقد الامر لمنصور بن سليمان واحتمل بنى مرين على كلمته وارتحل بهم
من تلمسان يريد المغرب واعترضهم جموع العرب فى طريقهم فأوقعوا بهم وامتلأت
أيديهم من أسلابهم وظعنهم وأغذوا السير الى المغرب واحتلوا بسبو فى منتصف
جمادى الاخيرة وبلغ الخبر الى الحسن بن عمر فاضطرب معسكره بساحة البلد وأخرج
السلطان فى الآلة والتعبية الى أن أنزله بفسطاطه ولما غشيهم الليل انفض عنه الملأ
الى السلطان منصور بن سليمان فأوقد الشموع وأذكى النيران حوالى الفسطاط وجمع
الموالى والجند وأركب السلطان ودخل الى قصره وانحجر بالبلد الجديد وأصبح
منصور بن سليمان فارتحل فى التعبية حتى نزل بكدية العرائس فى الثانى والعشرين
لجمادى الاخيرة واضطرب معسكره بها وغدا عليها بالقتال وسدّ عليها الحالات وامتنعت
يومها ثم جمع الايدى على اتخاذ الآلات للحصار واجتمعت اليه وفود الامصار بالمغرب
للبيعة ولحقت به كتائب بنى مرين التى كانت مجمرة بمراكش لحصار عامر مع الوزير
سليمان بن داود فاستوزره وأطلق عبد الله بن على وزير السلطان أبى عنان من معتقله
بسبتة تخلص منه خلوص الابريز بعد السبك وأمر منصور بن سليمان بتسريح
السجون فخرج من كان بها من دعار بجاية وقسنطينة وكانوا معتقلين من لدن استيلاء
السلطان أبى عنان على بلادهم وانطلقوا الى مواطنهم وأقام على البلد الجديد يغاديها

بياض بالاصل

القتال وبراوحها ونزع عنه الى الوزير الحسن بن عمر طائفة من بنى مرين ولحق آخرون ببلادهم واستضوا عليه ينتظرون ما يؤل أمره وليث على هذه الحال الى غرة شعبان فكان من قدوم السلطان أبى سالم الملك سلمه بالمغرب واستيلائه عليه ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن نزول المولى أبى سالم بجبال غمارة واستيلائه على ملك المغرب ومقتل منصور بن سليمان

كان السلطان أبو سالم بعد مهلك أبيه واستقراره بالاندلس وخروج أبى الفضل بالسوس لطلب الامر ثم ظفر السلطان أبى عنان به ومهلكه كما ذكرناه قد توذع وسكن ثم لما هلك سلطان الاندلس أبو الحجاج سنة خمس وخمسين يوم الفطر بمصلى العيد طعنه أسود مدسوس كان ينسب الى أخيه محمد من بعض اماء قصرهم ونصبوا للامر ابنه محمدا وحجبه مولاه رضوان واستبد عليه وكان للسلطان أبى عنان اعتزاز كما ذكرناه وكان يؤمل ملك الاندلس وأوعز اليهم عندما طرقه طائف المرض سنة سبع وخمسين أن يصنوا له طبيب دارهم ابراهيم بن زرزور الذمى وامتنع من ذلك اليهودى واعتذر وردوه فتنكر لهم السلطان ولما وصل الى فاس من فتح قسنطينة وافريقية تقبض على وزيره والمشيخة وقتلهم تجنيا عليهم اذ لم يبادروا السلطان بنفسه أو حاجبه للتهنئة وأطلع الجزيرة بينهم واعتزم على النهوض اليهم وكانوا متحاشين بالجملة الى الطاغية بطرة بن أذفونش صاحب قشتالة منذ مهلك أبيه الهنشة على جبل الفتح سنة احدى وخمسين ثم استبد رضوان على الدولة بعد مهلك أبى الحجاج فكانت له ساعية اليه ظاهرها النظر للمسلمين بمسالمة عدوهم وكان السلطان أبو عنان يعتقد ذلك عليهم وعلم أنه لا بد أن يتهم بأساطيله وبدانه وعن الاجازة اليهم وكان بين الطاغية بطرة وبين قمص برشلونة فتنة هلك فيها أهل ملتهم فسرف السلطان قصده الى قمص برشلونة وخاطبه فى اتصال اليد على ابن اذفونش واجتمع أسطول المسلمين وأسطول النصارى القمص بالزقاق وضربوا لذلك الموعد وأتحفه السلطان بهدية سنية من متاع المغرب وماعونه ومن كب ذهبى منيع ومقرب من جياده فبلغت تلمسان وهلك قبل وصولها الى محلها ولما هلك السلطان أبو عنان اتصل أخوه المولى أبو سالم ملك أخيه وطمع فى مظاهرة أهل الاندلس له على ذلك لما كان بينهم وبين أخيه واستدعاه أشياع من أهل المغرب ووصل البعض منهم اليه بمكانه من غرناطة وطلب الاذن من رضوان فى الاجازة فأبى عليه فأحفظه ذلك ونزع الى ملك قشتالة متطارحا بنفسه عليه أن يجهز له الاسطول للاجازة الى المغرب فاشترط عليه وتقبل شرطه وأجازه فى أسطوله الى مرا كش فامتنع عامر من قبوله لما كان فيه من

التضييق

التضييق والحصار بحضرة سليمان بن داود كما ذكرناه فانكفأ راجعا على عقبه فلما حاذى طنجة وبلاد غمارة ألقى بنفسه اليهم ونزل من الصفيحة من بلادهم واشتملت عليه قبائلهم وتسايلوا اليه من كل جانب وبايعوه على الموت وملك سبتة وطنجة وبها يومئذ السلطان أبو العباس بن أبي حفص صاحب قسنطينة لحق بها بعد الخروج من اعتقاله بسبتة كما ذكرناه فاختصه المولى أبو سالم بالصحبة والخلة والبواء في اقترابه ذلك الى أن استولى على ملكه وألفى بطنجة الحسن بن يوسف الورتاجني وكاتب ديوان الجند أبا الحسن بن على بن السعود والشريف أبا القاسم التلمساني كان منصور بن سليمان ارتاب بهم واتهمهم بمداخلة الوزير الحسن بن عمر بمكانه من البلد الجديد فصرفهم من معسكره الى الاندلس فوافوا الامير أبا سالم عند استيلائه على طنجة فصاروا الى ايالته واستوزر الحسن بن يوسف واستكتب لعلامته أبا الحسن على بن السعود واختص الشريف بالمجالسة والمراكبة ثم قام أهل الثغور الاندلسية بدعوته وأجاز يحيى بن عمر صاحب جبل الفتح بمن كان معه من العسكر وطالت المولى أبي سالم واتسع معسكره وبلغ الخبر الى الثائر على البلد الجديد منصور بن سليمان فجهز عسكرا لدفاعه وعقد عليه لاخويه عيسى وطلحة وأنزلهما قصر كتامة وقاتلوه فهزموه واعتصم بالجبل وبادر الحسن بن عمر من وراء الجدران فبعث طاعته اليه ووعده بالتمكين من دار ملكه وداخل بعض أشياع المولى أبي سالم مسعود بن رحو بن ماسى وزير منصور في النزوع الى السلطان وكان قد ارتاب بمنصور وابنه على فنزع وانفض الناس من حول منصور وتخاذل أشياعه من بني مرين ولحق بباديس من سواحل المغرب ومشى أهل العسكر بأجمعهم في ساقاتهم ومواكبهم على التعبية فلحقوا بالسلطان أبي سالم واستعدوه الى دار ملكه فأغذ السير وخلع الحسن بن عمر سلطانه السعيد من الامر لتسعة أشهر من خلافته وأسلمه الى عمه وخرج اليه فبايعه ودخل السلطان الى البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة ستين واستولى على ملك المغرب وتوافت وفود النواحي بالبيعات وعقد للحسن بن عمر على مراكش وجهزه اليها بالعساكر ريبة بمكانه واستوزر مسعود بن رحو بن ماسى والحسن بن يوسف الورتاجني واصطفى من خواصه خطيب أبيه الفقيه أبا عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وجعل الى مؤلف هذا الكتاب توقيعه وكتابة سره وكنت نزعت اليه من معسكر منصور بن سليمان بكدية العرائس لما رأيت من اختلال أحواله ومصير الامر الى السلطان فأقبل على وأنزلني بمحل التنويه واستخلصني لكتابته واستوسق أمره بالمغرب وتقبض شيعة السلطان بباديس على منصور بن سليمان وابنه على وقادوهم مصفدين الى سدته وأحضرهم ووبخهم وجنبوا الى مصارعهم فقتلوا

بياض بالاصل

فعصى الرماح آخر شعبان من سنته وجمع الابناء والقرابة المرشحين من ولد أبيه وأشخصهم الى رندة من ثغورهم بالاندلس ووكل بهم من يحرسهم ونزع محمد ابن أخيه أبو عبد الرحمن منهم الى غرناطة ثم لحق منها بالطاغية واستقر لديه حتى كان من تملكه المغرب ما نقصه ان شاء الله تعالى وهلك الباقون غرقا بالبحر بايعاز السلطان بذلك بعد مدة من سلطانه أركبهم السفن الى المشرق ثم غرقهم وخلص الملك من الخوارج والمنازعين واستوسق له الامر والله غالب على أمره واحتفل السلطان فى كرامة مولانا السلطان أبي العباس وأشاد ببره وأوعز دار عامر بن فتح الله وزير أبيه لنزله ومهد له المجلس لضيق أريكته ووعده بالمظاهرة على ملكه الى أن بعثه من تلمسان عند استيلائه عليها كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن خلع ابن الاحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان)

لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين ونصب ابنه محمد للامر واستبد عليه رضوان مولى أبيه وكان قد رشح ابنه الاصغر اسمعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته فلما عدلوا بالامر عنه حجبوه ببعض قصورهم وقد كان له صهر من ابن عمه محمد بن اسمعيل ابن الرئيس أبي سعيد فى شقته فكان يدعوه سرا الى القيام بأمره حتى أمكنته فرصة فى الدولة فخرج السلطان الى بعض منتزهاته برياضة فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين من رمضان من سنة ستين فى بعض أوشاب جمعهم من الطعام لثروته وعمد الى دار الحاجب رضوان فاقتحم عليه الدار وقتله بين حرمه وبناته وقربوا الى اسمعيل فرسه فركب فأدخلوه القصر وأعلنوا ببيعته وقرعوا طبولهم بسور الحمراء وفر السلطان من مكانه بمنتزهه الى وادى آش بعد مقتل حاجبه رضوان واتصل الخبر بالسلطان المولى أبي سالم فامتعض لهلك رضوان وخلع السلطان رعيا للسالف له فى جوارهم وأزعج لحينه أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقلاله فوصل الى الاندلس وعقد مع أهل الدولة على اجازة المخلوع من وادى آش الى المغرب وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله بن الخطيب كانوا اعتقلوه لاول أمرهم لما كان رديفا للحاجب رضوان وركنا للدولة المخلوع فأوصى المولى أبو سالم اليهم باطلاقه فأطلقوه ولحق الرسول أبو القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادى آش للاجازة الى المغرب وأجاز لذى القعدة من سنته وقدم على السلطان بفاس وأجل قدومه وركب للقائه ودخل به الى مجلس ملكه وقد احتفل ترتيبه وغص بالمشيخة والعلية ووقف وزيره ابن الخطيب فأنشد السلطان قصيدته الرائقة يستصرخه لسلطانه ويستحثه لمظاهرته على أمره واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة ونص القصيدة

سلا هل لديها من مخبرة ذكر * وهل أعشب الوادى ونم به الزهر
وهل باكر الوسمى دارا على اللوى * عفت آيها الا التوهم والذكر
بلادى التى عاطيت مشمولة الهوى * بأكنافها والعيش فينان مخضر
وجوى الذى ربى جناحى وكره * فها انا ذا مالى جناح ولا وكر
نفت بى لا عن جفوة وملالة * ولا نسخ الوصل الهنى لها هجر
ولكنها الدنيا قليل متاعها * ولذاتها دأبا تزور وتزور
ثمن لى بنيل القرب منها ودوننا * مدى طال حتى يومه عندنا شهر
ولله عينا من رآنا وللأسى * ضرام له فى كل جانحة جمر
وقد بددت در الدموع يد النوى * وللبين أشجان يضيق لها الصدر
بكينا على النهر السرور عشية * فعاد أجاجا بعد ناذلك النهر
أقول لأظعانى وقد غالها السرى * وآنسها الحادى وأوحشها الزجر
رويدك بعد العسر يسر فأبشرى * بانجاز وعد الله قد ذهب العسر
وان تجبن الايام لم تجبن النهى * وان يخذل الاقوام لم يخذل الصبر
وان عركت منى الخطوب مجربا * نقابا تسوى عنده الحلو والمر
فقد محمت عودا صليبا مقوما * وعزما كما تمضى المهندة البتر
اذا أنت بالبيضاء قررت منزلى * فلا اللعم حل ما جنيت ولا الظهر
زجرنا بابراهيم مل‌ء همومنا * فلما رأينا وجهه صدق الزجر
بمنتخب من آل يعقوب كلما * دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر
تناقلت الركبان طيب حديثه * فلما رأته صدق الخبر الخبر
ندى لو حواه البحر لذ مذاقه * ولم يتعقب مده أبدا جزر
وبأس غدا يرتاع من خوفه الردى * وترفل فى اذياله الفتية البكر
أطاعته حتى العصم فى قنن الربا * وهشت الى تأمليه الانجم الزهر
قصدنا بك الدنيا مولى الملوك على النوى * لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بك الايام عن غلوائها * وقد رابنا منها التعسف والكبر
وعذنا بذاك المجد فانصرف الردى * ولذنا بذاك العز فانهزم الشر
ولما أتينا البحر يرهب موجه * ذكرنا نداك الغمر فاحتقر البحر
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها * فايمانه لغو وعرفانه نكر
ووصفك يهدى المدح قصد صوابه * اذا ضل فى أوصاف من دونك الشعر
دعتك قلوب المسلمين وأخلصت * وقد طاب منها السر لله والجهر

ومدّت الى الله الاكف ضراعة * فقال لهن الله قد قضى الامر
وألبسها النعمى بيمنك التى * لها الطائر الميمون والجد الحر
فأصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكا * وقد كان مما نابه ليس يفتر
وآمنت بالسلم البلاد وأهلها * فلا ضيمة تعدو ولا دعة تعرو
وقد كان لولا أنك الولد مصرحا * بأنك فى أولاده الولد البر
وقد كنت حقا بالخلافة بعده * على الفور لكن كل شئ له قدر
فأوحشت من دار الخلافة أهلها * أقامت زمانا لا يلوح بها البدر
ورد عليك الله حقك اذ قضى * بأن تشمل النعمى وينسدل الستر
وقاد اليك الملك رفقا بخلقه * وقد عدموا ركن الامامة واضطروا
وزادك بالتمحيص عزا ورفعة * وأجرا ولولا السبك ما عرف التبر
وأنت الذى تدعى اذا دهم الردى * وأنت الذى ترجى اذا أخلف القطر
وأنت اذا جار الزمان بحكمه * لك النقض والابرام والنهى والامر
وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه * كسير ومن عليائك يلتمس النصر
غريب يرجى منك ما أنت أهله * فان كنت تبغى الفخر قد جاءك الفخر
نعد يا أمير المؤمنين لبيعة * موثقة قد حل عقدتها الغدر
وشلة من يرعى الدخيل ومن دعا * بآل مرين جاءه العز والنصر
وخذ يا امام الحق للحق ثاره * ففى ضمن ما تأتى به العز والاجر
وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم * بحق فما زيد يرجى ولا عمرو
فان قيل مال مالك الدثر وافر * وان قيل جيش عندك العسكر المجر
يكف بك العادى ويحيا بك الهدى * ويبنى بك الاسلام ما هدم الكفر
أعده الى أوطانه عنك ثانيا * وقلده نعماك التى مالها حصر
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها * فقد صدهم عنك التغلب والقهر
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة * تحاولها يمناك ما بعدها خسر
مرامك سهل لا يؤودك كفله * سوى أنه عرض له فى العلا خطر
وما العمر الا زينة مستعارة * ترد ولكن الثناء هو العمر
ومن باع ما يفنى بباق مخلد * فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر
ومن دون ما تبغيه يا مالك العلا * جياد المذاكى والمحجلة الغر
ورادوشقر واصحات شياتها * فأجسامها تبر وأرجلها در
وشهب اذا ما ضمرت يوم غارة * مطهمة غارت بها الانجم الزهر

وأمر

وأمر رجال من مرين أعزة * عمائمها بيض وآسالها سمر
عليهم من الماذى كل مفاضة * تدافع فى أعطافها اللجج الخضر
هم القوم ان هبوا لكشف ملمة * فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعر
اذا سئلوا أعطوا وان نوزعوا سطوا * وان وعدوا وفوا وان عاهدوا بروا
وان سمعوا العوراء وافوا بأنفس * كرام على هاماتها فى الورى البر
وان مدحوا اهتزوا ارتياحا كأنهم * نشاوى تمشت فى معاطفهم خمر
وتبسم ما بين الوشيج ثغورهم * وما بين قضب الدوح يبتسم الزهر
أمولاى غاضت فكرتى وتبلدت * طباعى فلا طبع يعين ولا فكر
ولولا حنان منك داركتنى به * وأحييتنى لم يبق عين ولا أثر
فأوجدت منى فائتا أى فائت * وأنشرت ميتا ضم أشلاءه قبر
بدأت بفضل لم أكن لعظيمه * بأهل فخل اللطف وانشرح الصدر
وطوقتنى النعما المضعفة التى * يقل عليها منى الحمد والشكر
وأنت بتتميم الصنائع كافل * الى أن يعود العز والجاه والوفر
بجاهك الذى أسنى مقامك رحمة * تفك بها العانى وينفس مضطر
اذا نحن أثنينا عليك بمدحة * فهيهات يحصى الرمل أو يحصر القطر
ولكننا نأتى بما نستطيعه * ومن بذل المجهود حق له العذر

ثم انقضى المجلس وانصرف ابن الاحمر الى نزله وقد فرشت له القصور وقربت له الجياد بالمراكب المذهبة وبعث اليه بالكسا الفاخرة ورتب الجرايات له ولمواليه من المعلوجى وبطانته من الصنائع وحفظ عليه رسم سلطانه فى الركب والرجل ولم يفقد من ألقاب ملكه الا الاداة أدبا مع السلطان واستقر فى جملته الى أن كان من لحاقه بالاندلس وارتجاع ملكه سنة ثلاث وستين مانذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض الحسن بن عمر وخروجه بتادلا وتغلب السلطان عليه ومهلكه)

لما فصل الوزير الحسن بن عمر الى مراكش واستقربها اتأثل له بها سلطان ورياسة نفسها أهل مجلس السلطان وسعوا فى تنكر السلطان له حتى أظلم الجو بينهما وشعر الوزير بذلك فارتاب بمكانه وخشى بادرة السلطان على نفسه فخرج من مراكش فى شهر صفر من سنة احدى وستين فلحق بتادلا منحرفا عن الطاعة مرتكبا أمره وتلقاه بنو جابر من جشم واعصوصبوا عليه وأجاروه وجهز السلطان عساكره الى حربه وعقد عليها لوزيره الحسن بن يوسف وسرحه اليه فاحتل تادلا ولحق الحسن بن عمر بالجبل واعتصم به مع الحسين بن على الورديغى كبيرهم وأحاطت بهم العساكر وأخذوا بمخنقهم وداخل الوزير

بعض أهل الجبل من صنا كه فى الثورة بهم وسرب اليهم المال فنادوا بهم وانفض جمعهم وتقبض على الحسن بن عمر وقاده برمته الى عسكر السلطان فاعتقله الوزير وانكفأ راجعا الى الحضرة وقدم بها على السلطان فى يوم مشهود استركب السلطان فيه العسكر وجلس ببرج الذهب مقعده من ساحة البلد لاعتراض عساكره وحمل السلطان الحسن بن عمر على جمل طيف به بين أهل ذلك المحشر وقرب الى مجلس السلطان فأوما الى تقبيل الارض فوق جمله وركب السلطان الى قصره وانفض الجمع وقد شهروا وصاروا عبرة من عبر الدنيا ودخل السلطان قصره فاقتعد أريكته واستدعى خاصته وجلساءه وأحضره فوبخه وقرّعه بمرتكبه فتناول بالمعاذير وفزع الى الانكار وحضرت هذا المجلس يومئذ فيمن حضره من العلية والخاصة فكان مقاما تسيل فيه العيون رحمة وعبرة ثم أمر به السلطان فسحب على وجهه ونتفت لحيته وضرب بالعصى وتل الى محبسه وقتل لليال من اعتقاله قعصا بالرماح بساحة البلد ونصب شلوه بسور البلد عند باب المحروق وأصبح مثلا فى الآخرين

❊ (الخبر عن وفد السودان وهديتهم واغرابهم فيها بالزرافة) ❊

كان السلطان أبو الحسن لما أهدى الى ملك السودان منسا سليمان بن منسا موسى هديته المذكورة فى خبره اعتمل فى مكافأته وجمع لهادانه من طرف أرضه وغرائب بلاده وهلك السلطان أبو الحسن خلال ذلك ووصلت الهدية الى أقصى ثغورهم من الارض وهلك منسا سليمان قبل فصولها واختلف أهل مالى وافترق أمرهم وتواثب ملوكهم على الامر وقتل بعضهم بعضا وشغلوا بالفتنة حتى قام فيهم منسا زاطة واستوسق له أمرهم ونظر فى اعطاف ملكه وأخبر بشأن الهدية وانها بوالاتن فأمر بانفاذها الى ملك المغرب وضم اليها حيوان الزرافة الغريب الشكل العظيم الهيكل المختلف الشبه بالحيوانات وفصلوا بها من بلادهم فوصلوا الى فاس فى صفر من سنة اثنتين وستين وكان يوم وفادتهم يوما مشهودا جلس لهم السلطان ببرج الذهب مجلس العرض ونودى فى الناس بالبروز الى الصحراء فبرزوا ينسلون من كل حدب حتى غص بهم الفضاء وركب بعضهم بعضا فى الازدحام على الزرافة اعجابا بخلقتها وأنشد الشعراء فى معرض المدح والتهنئة ووصف الحال وحضر الوفد بين يدى السلطان وأدوا رسالتهم بتأكيد الود والخالصة والعذر عن ابطاء الهدية بما كان من اختلاف أهل مالى وتواثبهم على الامر وتعظيم سلطانهم وما صار اليه والترجمان يترجم عنهم وهم يصدقونه بالنزع فى أوتار قسيهم عادة معروفة لهم وحيوا السلطان يحثون التراب على رؤسهم على سنة ملوك العجم ثم ركب السلطان وانفض ذلك الجمع وقد طار به التذكير

واستقر

كفالة نعمتهم وهو أبو زيان محمد بن عثمان وشهرته بالقبي وأنزله بالقصر القديم من تلمسان
وعسكر عليه زناتة الشرق كلهم واستوزر له ابن عمه عمر بن محمد بن ابراهيم بن مكي ومن
أبناء وزرائهم سعيد بن موسى بن علي وأعطاه عشرة أحمال من المال دنانير ودراهم
ودفع اليه الآلة وذكر حينئذ لمولانا السلطان أبي العباس سوابقه وبلاءه في المنزل
الخشن فنزل له عن محل امارته قسنطينة وصرف أيضا المولى أبا عبد الله صاحب بجاية
لاسترجاع بلده بجاية فعقد لهما بذلك وحملهما وخلع عليهما وأعطاهما حملين من المال
وكانت بجاية لذلك العهد قد تغلب عليها عمهم المولى أبو اسحق ابراهيم صاحب تونس
فكتب الى عاملهم على قسنطينة منصور بن الحاج خلوف أن ينزل عن بلد مولانا
السلطان أبي العباس أحمد ويمكنه منها وودع هؤلاء الامراء وانكفأ راجعا الى حضرته
لسد ثغور المغرب وحسم داء العدو ودخل فاس في شعبان من سنته ولم يلبث ان رجع
أبو زيان على اثره بعد أن أجفل عن تلمسان ولحق بونشريس وتغلب عليه أبو حمو
ونفض جموعه فلحق بالسلطان واستقل أبو حمو بملك تلمسان وبعث في السلم الى السلطان
فعقد له من ذلك ما رضيه كما ذكرناه

{ الخبر عن مهلك السلطان أبي سالم واستيلاء عمر بن عبد الله على ملك المغرب ونصبه للملوك واحدا بعد واحد الى أن هلك }

كان السلطان قد غلب على هواه الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق وكان من خبره
ان سلفه من أهل رباط الشيخ أبي مدين كان جده قيما على خدمة قبره واستخدمه
واتصل القيام على هذا الرباط في عقبه وكان جده الثالث محمد معروفا بالولاية ولما مات
دفنه يغمراسن بالقصر القديم ليجاوره بجدثه تبركا به وكان ابنه أحمد أبو محمد هذا قد
ارتحل الى المشرق وجاور الحرمين الى أن هلك وربي ابنه محمد بالمشرق ما بين الحجاز
ومصر وقفل الى المغرب بعد أن أمر أشياء في الطلب وتفقه على أولاد الامام ولما بنى
السلطان أبو الحسن مسجد العباد ولاه الخطابة به وسمعه يخطب على المنبر وقد أحسن
في ذكره والدعاء له فخلا بمنه واستخلصه لنفسه وأحله محل القرب من نفسه وجعله
خطيبا حيث يصلي من مساجد المغرب وسفره عنه الى الملوك ولما كانت نكبة القيروان
خلص الى المغرب واستقر برباط العباد بجبل سلفه بعد أحوال أضربنا عن ذكرها
اختصارا ولما خلص السلطان الى الجزائر داخله أبو سعيد صاحب تلمسان في السفارة
عنه الى السلطان أبي الحسن وصلاح ما بينهما فسار لذلك ونقمه أبو ثابت وبنو عبد
الواد وذكروه على سلطانهم وسرحوا صغير بن عامر في اتباعه فتقبض عليه
وأودعوه المطبق ثم أشخصوه بعد حين الى الاندلس فاتصل بأبي الحجاج صاحب

غرناطة وولاه خطابته لما اشتهر به من اجادة الخطبة للملوك بزعمهم وألف السلطان أباسالم فى مثوى اغترابهما من غرناطة وشاركه عند أبى الحجاج فرعى السلطان وسائله ونوآته القديمة والحادثة الى مقامه عند أبيه فلما استوسق له ملك المغرب استخصه بولايته وألقى عليه محبته وعنايته وكان مؤامره ونجى خلوته والغالب على هواه فانصرفت اليه الوجوه وخضعت ووطئ عقبه الاشراف والوزراء وعطف على بابه القواد والامراء وصار زمام الدولة بيده وكان يتجافى عن ذلك أكثر أوقاته حذرا من سوء المغبة ويزجر من يتعرض له فى الشكاية ويوهم الى أصحاب المراتب والخطط بباب السلطان وهم يعلمون انه قد ضرب على أيديهم فنقموا ذلك وسخطوا الدولة من أجله ومرضت القلوب أهل الحل والعقد من تقدمه ونفس عليه الوزراء ماثبت له عند السلطان من الحظ فتربصوا بالدولة وشمل هذا الداء الخاصة والعامة وكان عمر بن عبد الله بن على لما هلك أبوه الوزير عبد الله بن على فى جمادى سنة ستين عند استيلاء السلطان على ملكه تحلبت شفاه أهل الدولة على تراثه وكان مثريا فاستجار منهم بابن مرزوق وساهمه فى تراث أبيه بعد أن حلوا السلطان على النيل منه والاهانة له فأجاره منهم ورفع عند السلطان رتبته وحمله على الاصهار اليه فى أخته وقلده السلطان أمانة البلد الجديد دار ملكه متى عنت له الرحلة عنها وأصهر عمر الى وزير الدولة مسعود بن ماسى تسكينا لروعته واستخلاصا لمودته وسفر عن السلطان الى صاحب تلمسان فى شعبان من سنة اثنين وستين ونمى عنه أنه داخل صاحب تلمسان فى بعض المكر فهم بنكبته وقتله ودافع عنه ابن مرزوق وخلص من عقابه وطوى على البث وتصرف فى الدولة وتربص بالدولة واعيد الى مكانه من الامانة على دار الملك أول ذى القعدة مرجعه من تلمسان لما كان السلطان قد تحول عنها الى القصبة بفاس واختط ايوانا فخما لجلوسه بها لضيق قصوره بها فلما استولى عمر على دار الملك حدثته نفسه بالتوثب وسوّل له ذلك ما اطلع عليه من مرض القلوب والنكير على الدولة لمكان ابن مرزوق فداخل قائد الجند غرسية بن انطول واتعدوا لذلك ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذى القعدة سنة اثنين وستين وخلصوا الى تاشفين الموسوس ابن السلطان أبى الحسن بمكانه من البلد الجديد فخلعوا عليه وألبسوه شارة الملك وقربوا له مركبه وأخرجوه الى أريكة السلطان فأقعدوه عليها وأكرهوا شيخ الحامية والناشبة محمد بن الزرقاء على البيعة له وجاهروا بالخلعان وقرعوا الطبول ودخلوا الى مودع المال ففرضوا العطاء من غير تقدير ولا حسبان وماج أهل البلد الجديد من الجند بعضهم فى بعض واختطفوا ما وصلوا اليه من العطاء وانتهبوا ما كان بالمخازن الخارجة من السلع والعدة وأضرموا النار فى بيوتها استرا

على ماضاع منها وأصبح السلطان بمكانه من القصبة فركب واجتمع اليه من حضر من
الاولياء والقبائل وغدا على البلد الجديد وطاف بها يروم مهاجمتها فاستصعب
واضطرب معسكره بكدية العرائس لحصارها ونادى في الناس بالاجتماع اليه ونزل
عند قائلة الهاجرة بفسطاطه فتسايل الناس عنه الى البلد الجديد وجاء بعد وقت من رأى
منه الى أن سار اليه أهل مجلسه وخاصته فطلب النجاء بنفسه وركب في قلة من الفرسان
مع وزرائه مسعود بن رحو وسليمان بن داود ومقدم الموالي والجند ببابه سليمان بن
نصار وأذن لابن مرزوق في الدخول الى داره ومضى على وجهه ولما غشيهم الليل
انفضوا عنه ورجع الوزير الى دار الملك فتقبض عليهما عمر بن عبد الله وساهمه
غريسة بن أنطول واعتقلهما متفرقين وأشخص علي بن مهدي وبدريس في طلب
السلطان فعثر عليه نائما في بعض المعاشر بوادي ورغة وقد نزع عنه لباسه اختفاء
بشخصه وتوارى عن العيون بمكانه فتقبض عليه وحمله على بغل وطير الخبر الى عمر بن
عبد الله فأزعج لتلقيه شعيب بن ميمون بن ورداز وفتح الله بن عامر بن فتح الله وأمرهما
بقتله وانفاذ رأسه فلقياه بخندق القصب ازاء كدية العرائس فأمر بعض جنود
النصارى أن يتولى ذبحه وحمل رأسه في مخلاة فوضعه بين يدي الوزير والمشيخة
واستقل عمر بالامر ونصب الموسوس تاشفين يموه به على الناس وذوات الامور الى
غاياتها ولكل أجل كتاب

الخبر عن الفتك بابن أنطول قائد العسكر من النصارى ثم خروج يحيى بن رحو وبني مرين عن الطاعة

لما تقبض عمر بن عبد الله على الوزير كان معتقل سليمان بن داود بدار غريسة قائد
النصارى ومعتقل ابن ماسي بداره وصانه عن الامتهان بمكان صهره ولما يسمه من
الاستظهار بعصابته من الابناء والاخوة والقرابة وكان غريسة بن أنطول صديقا
لسليمان بن ونصار فلما رجع عن السلطان ليلة انفضاضهم نزل عليه وكان يعاقر الخمر
فأتاه حرا وتنافى اعتقال عمر واستسمعه لسليمان بن داود في الوزارة لما هو
عليه من السن ورسوخ القدم في الامر وسعى الى عمر الخبر فارتاب وكان حذرا من
العصابة ففزع الى قائد المركب السلطاني من الرجل الاندلسيين يومئذ ابراهيم
البطروجي (بياض بالاصل) أمره وبايعه على الاستماتة دونه ثم استقل عصابتهم ففزع الى
يحيى بن رحو شيخ بني مرين وصاحب شوراهم فشكا اليه فأشكاه ووعده الفتك بابن
أنطول وأصحابه وابرم عقدا ابن أنطول وسليمان ابن ونصار على شأنهم وعدوا الى القصر
وداخل ابن أنطول طائفة من النصارى للاستظهار بهم ولما توافت بنو مرين بمجلس

السلطان على عادتهم و عمر بن عبد الله القائد بن أفطول بن يدى يحى بن رحو وقد أحضر البطروجى رجل الاندلسيين فسأله تحويل سليمان بن داود من داره الى السجن فأبى وضن به عن الاهانة حتى سأل مثلها من ابن ماسى صاحبه فأمر عمر بالتقبض عليه فبكشر فى وجوه الرجال واخترط سكينه للمدافعة فتواثبت بنو مرين وقتلوه لحينه واستلحموا من وجد بالدار من جند النصارى عند دخولهم وفروا الى معسكرهم ويعرف بالملاح جوار البلد الجديد وأرجف الغوغاء بالمدينة ان ابن أفطول غدر بالوزير فقتل جند النصارى حيث وجدوا من سكك المدينة وتزاحفوا الى الملاح لاستلحام من به من الجند وركب بنو مرين لحماية جندهم من معرة الغوغاء وانتهب يومئذ الكثير من أموالهم وآنيتهم وأمتعتهم وقتل النصارى كثيرا من المجان كانوا يعاقرون الخمر بالملاح واستبد عمر بالدار واعتقل سليمان بن ونصار الى الليل وبعث من قتله بمحبسه وحول سليمان بن داود ببعض الدور بدار الملك اعتقله بها واستولى على أمره ورجع فى الشورى الى يحى بن رحو واعصوصب بنو مرين عليه واستبدوا على الامير او الدولة وكان عدو الخاصة السلطان أبى سالم حريصا على قتلهم وكان عمر يريد استبقاءهم لما أمله فى ابن ماسى فخشنت صدورهم عليه ودبروا فى شأنه وخاطبوا عامر ابن محمد فى اتصال اليد واقتسام ملك المغرب وبعث اليه بأبى الفضل بن السلطان أبى سالم اعتقه عنده وليحة لخلاصه من ربقة الحصار الذى هم به مشيخة بنى مرين وكان أبو الفضل هذا بالقصبة تحت الرقبة والارصاد فتفقد من مكانه وأغلظ المشيخة فى العتب لعمر فى ذلك فلم يستعتب ونبذ اليهم العهد وامتنع بالبلد الجديد ومنعهم من الدخول اليه فاعصوصبوا على كبيرهم يحى بن رحو وعسكروا بباب الفتوح وجاجوا بعبد الحليم ابن السلطان أبى على وكان من خبره معه ما نذكره وأطلق عمر بن عبد الله مسعود بن ماسى من محبسه وسرحه الى مراكش وأوعده فى الاجلاب عليهم ان حاصروه كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن وصول عبد الحليم بن السلطان من تلمسان وحصار البلد الجديد)

كان السلطان أبو الحسن لما قتل أخاه السلطان أبا على وقضى الحق الذى له فى ذمته عمل بالحق الذى عليه فى ذمته ولده وحرمه فكفلهم وغذاهم بنعمته وساواهم بولده فى كافة شؤنهم وأنكح ابنته تاحضريت العزيزة عليه عليا منهم المكنى بأبى سلوبن ونزع عنه وهو بالقيروان أيام النكبة ولحق بالعرب وأجلب معهم على السلطان بالقيروان وتونس ثم انصرف من افريقية ولحق بتلمسان ونزل على سلطانها أبى سعيد عثمان بن عبد الرحمن فبوأ كرامته ثم شرع فى الاجازة الى الاندلس وبعث فيه السلطان أبو عنان قبل فصوله

فانحصوا اليه فاعتقله ثم أحضره ووبخه على مرتكبه مع السلطان أبى الحسن وجدد حقه ثم قتله لليلتين من شهر احدى وخمسين ولما هلك السلطان أبو الحسن ولحقت جملته من الخاصة والابناء بالسلطان أبى عنان وأشخص اخوته الى الاندلس وأشخص معهم ولدا الامير أبى على هؤلاء عبد الحليم وعبد المؤمن والمنصور والناصر وسعيد ابن أخيهم زيان فاستقروا بالاندلس فى جوار ابن الاحمر ثم طلب أبو عنان اشخاصهم بعد كما طلب اشخاص أخيه فأجارهم ابن الاحمر جميعا وامتنع من اسلامهم اليه وكان من المنافسة لذلك ما قدمناه ولما اعتقل السلطان أبو سالم الابناء المرشحين وكان برندة كما قدمناه نزع منهم عبد الرحمن بن على بن أبى يفلوس الى غرناطة فلحق بأعماله وكان السلطان أبو سالم بمكانهم مستريبا بشأنهم حتى لقد قتل محمد بن أبى يفلوس بن أخته تاحضريت وهو فى حجرها وحجره استرابه بما نمى عنه ولما أجاز أبو عبد الله المخلوع ابن أبى الحجاج الى المغرب ونزل عليه وصار الى ايالته ورأى ان قد ملك أمره فى هؤلاء المرشحين بغرناطة وأرسل الرئيس محمد بن اسمعيل عند توثبه على الامراء واستلامه أبناء السلطان أبى الحجاج فراسله فى اعتقالهم ثم فسد ما بين الرئيس والطاغية وأخذ منه كثيرا من حصون المسلمين وبعث الى السلطان أبى سالم فى أن يخلى سبيل المخلوع اليه فامتنع وفاء للرئيس ثم دافع الطاغية عن ثغوره باسعاف طلبته فجهز المخلوع وملأ حقائبه صلة وأعطاه الآلة وأوعز الى أسطوله بسبتة فجهز وبعث علال بن محمد ثقة أبيه فأركبه الاسطول وركب معه الى الطاغية وخلص الخبر الى الرئيس بمكانه من ملك غرناطة وكان أبو حمو صاحب تلمسان يراسله فى أولاد أبى على وأن يجيرهم اليه ليبدهم زبونا على السلطان أبى سالم فبادر لحينه وأطلقهم من مكان اعتقالهم وأركب عبد الحليم وعبد المؤمن وعبد الرحمن ابن أخيهما على أبى يفلوس فى الاسطول وأجازهم الى مرسى هنين بين يدى مهلك السلطان أبى سالم فنزلوا من صاحب تلمسان بأعز جوار ونصب عبد الحليم منهم لملك المغرب وكان محمد السبيع بن موسى بن ابراهيم نزع عن عمر ولحق بتلمسان فتوافى معهم وأخبرهم بمهلك السلطان وبايع له وأغراه بالرحلة الى المغرب ثم تتابعت وفود بنى مرين بمثلها فسرحه أبو حمو وأعطاه الآلة واستوزر له محمد السبيع وارتحل معه يغذ السير ولقى فى طريقه محمد بن زكراز من أولاد على من شيوخ بنى ونكاس أهل دبدو وثغر المغرب منذ دخول بنى مرين اليه فبايعه وحمل قومه على طاعته وأغذ السير وكان يحيى بن رحو والمشيخة لما نبذ عمر بن عبد الله اليهم العهد وعسكروا بباب الفتوح أوفدوا مشيخة منهم على تلمسان لاستقدام السلطان عبد الحليم فوافوه بتازى ورجعوا معه وتلقته جماعة بنى مرين بسبو ونزلوا على البلد الجديد يوم السبت سابع

بياض بالاصل

محرم من سنة ثلاث وستين واضطرب معسكرهم بكدية العرائس وغادوا البلد القتال وراوحوها سبعة أيام وتتابعت وفودهم والحشود تتسايل اليهم ثم ان عمر بن عبد الله برز من البيت القابل فى مقدمة السلطان أبى عمر عن معه من جند المسلمين والنصارى رامحة وناشبة ووكل بالسلطان من جاء به فى الساقة على التعبية المحكمة وناشبهم الحرب فدلفوا اليه فاستطرد لهم ليتمكن الناشبة من عقرهم من الاسوار حتى فشت فيهم الجراحات ثم سم نحوهم وانفرج القلب وانفضت الجموع وزحف السلطان فى الساقة فانذعروا فى الجهات وافترق بنو مرين الى مواطنهم ولحق يحيى بن رحو بمراكش مع مبارك بن ابراهيم شيخ الخلط ولحق عبد الحليم واخوته بتازى بعد أن شهد لهم أهل المقام بصدق الجلاد وحسن البلاء فى ذلك المجال وصابر عمر بن عبد الله قدوم محمد بن أبى عبد الرحمن كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن قدوم الامير محمد بن الامير عبد الرحمن وبيعته بالبلد الجديد فى كفالة عمر بن عبد الله

لما نبذ بنو مرين عهدهم واعصوصبوا عليه ونكروا ما جاء به من البيعة لابى عمر مع فقده العقل الذى هو شرط الخلافة شرعا وعادة ونقموا عليه اتهم نفسه فى نظره وفرغ الى التماس المرشحين فوقع نظره على حافد السلطان أبى الحسن محمد ابن الامير أبى عبد الله النازع لاول دولة السلطان أبى سالم من رندة الى الطاغية وكان قد نزل منه بخير مثوى فبعث اليه مولاه عتيقا الخصى ثم تلاه بعثمان بن الياسمين ثم تلاهما بالرئيس الابكم من بنى الاحمر فى كل ذلك يستحث قدومه وخاطب المخلوع ابن الاحمر وهو فى جوار الطاغية كما قدمناه قريب عهد بجواره فخاطبه فى استحثاثه واستخلاصه من يد الطاغية وكان المخلوع يرتاد لنفسه منزلا من ثغور المسلمين لما فسد بينه وبين الطاغية ورام النزوع عن ايالته فاشترط على الوزير عمر النزول له عن رندة فتقبل شرطه وبعث اليه الكتاب بالنزول عنها بعد أن وضع الملأ عليه خطوطهم من بنى مرين والخاصة والشرفاء والفقهاء فسار ابن الاحمر الى الطاغية وساله تسريح محمد هذا الى ملكه وأن قبيله دعوه الى ذلك فسرحه بعد أن شرط عليه وكتب الكتاب بقبوله ووصل من اشبيلية فى شهر المحرم فاتح ثلاث وستين ونزل بسبتة وبها سعيد بن عثمان من قرابة عمر بن عبد الله أرصده لقدومه فطير بالخبر اليه فخلع أبا عمر من الملك لعام من بيعته وأنزله بداره مع حرمه وبعث الى السلطان أبى زيان محمد بالبيعة والآلة والفساطيط ثم جهز عسكرا للقائه فتلقوه بطنجة وأغذ السير الى الحضرة فنزل منتصف شهر صفر بكدية العرائس واضطرب معسكره بها وتلقاه الوزير يومئذ وبايعه وأخرج فسطاطه فاضطربه بمعسكره

وتلوم السلطان حالك ثلاثا ثم دخل فى الرابع الى قصره واقتعد أريكته وتودع ملكه وعمر مستبد عليه لايكل اليه أمرا ولانهيا واستطال عند ذلك المنازعون أولاد أبى على كما نذكره ان شاء الله تعالى

{ الخبر عن السلطان عبد الحليم }
{ واخوته الى سجلماسة بعد الوقعة عليهم بمكناسة }

لما سمع عبد الحليم بقدوم محمد بن أبى عبد الرحمن من سبتة الى فاس وهو بمكانه من تازى سرح أخاه عبد المؤمن وعبد الرحمن ابن أخيه الى اعتراضه فانتهوا الى مكناسة وثاروا عن لقائه فلما دخل الى البلد الجديد أجلبوا بالغارة على النواحى وكثر العيث وأجمع الوزير عمر على الخروج اليهم بالعساكر فبرز بالتعبية والآلة وبات بوادى النجا وأصبح على تعبيته وأغذ السير الى مكناسة فزحف اليه عبد المؤمن وابن أخيه عبد الرحمن فى جموعهما فناولهما القتال ساعة ثم صمم اليهم فدفعهم عن مكناسة وانكشفوا فلحقوا بأخيهم السلطان عبد الحليم بتازى ونزل الوزير عمر بساحة مكناسة وأوفد بالفتح على السلطان وكنت وافده اليه يومئذ فعمت البشرى واتصل السرور وتهنأ السلطان بملكه وتودع من يومئذ سلطانه ولما وصل عبد المؤمن الى أخيه عبد الحليم بتازى مفلولا انتقض معسكره ونزعوا عنه الى فاس وذهب لوجهه هو واخوته مع وزيرهم السبيع بن محمد ومن كان معهم من عرب المعقل فلحقوا بسجلماسة وكان أهلها قد دخلوا فى بيعتهم ودانوا بطاعتهم فاستعزوا بها وجددوا رسم الملك والسلطان الى أن كان من خروجهم ما نذكره ان شاء الله تعالى

{ الخبر عن قدوم عامر بن محمد ومسعود بن ماسى من مراكش }
{ وما كان من وزارة ابن ماسى واستبداد عامر بمراكش }

كان السلطان أبو سالم لما استقل بملك المغرب استعمل على جباية المصامدة وولاية مراكش محمد بن أبى العلاء بن أبى طلحة من أبناء العمال وكان مطلعا بها وناقش النكير من ذوى عامر فأحفظه ذلك وربما تكررت سعايته فى عامر عند السلطان ولم يقبل ولما بلغ الى عامر مهلك السلطان أبى سالم وقيام عمر بالامر وكانت بينهما خلة بين محمد ابن أبى العلاء فتقبض عليه وامتحنه وقتله واستقل بأمر مراكش وبعث اليه الوزير عمر بأبى الفضل بن السلطان أبى سالم ليعتده لما يقع من حصار بنى مرين اياه أن عليه عامر عليهم ويستنقضه كما ذكرناه ثم سرح مسعود بن ماسى كما ذكرناه ولما أحاط بنو مرين بالبلد الجديد جمع عامر من اليه من الجند والحشود وزحف بأبى الفضل بن السلطان أبى سالم الى ونزل بوادى أم ربيع ولما انفض جمعهم من على

البلد الجديد لحق به يحيى بن رحو وكان له صديقا ملاطفا فتنكر له توفية لعمر بن عبد الله وصاحبه مسعود وبعثه الى الجبل ولم يشهد الجمع فذهب مغاضبا ولحق بسجلماسة بالسلطان عبد الحليم وهلك فى بعض حروبه مع العرب ولما انفض عبد المؤمن وأجفل عبد الحليم من تازى ولحقوا بسجلماسة واستوسق الامر لعمر بن عبد الله وفرغ من شأن المنازعين ومضايقتهم له رجع الى ما كان يؤمله من الاستظهار على أمره بمسعود ابن ماسى واخوته وأقاربه لمكان الصهر الذى بينهما فاستقدمه للوزارة مرضاة لبنى مرين لما كانوا عليه من استمالتهم لجميع المذاهب والاغضاء عما نالوه به من النكاية وكان عامر بن محمد مجمعا القدوم على السلطان فقدم فى صحابته ونزلا من الدولة بخير منزل وعقد السلطان لمسعود بن رحو على وزارته باشارة الوزير عمر فاضطلع بها ودفعه عمر اليها استمالة اليه وثقة بمكانه واستظهارا بعصابته وعقد مع عامر بن محمد الحلف على مقاسمة المغرب من لحم وأدم رغيع وجعل امارة مراكش لابى الفضل بن السلطان أبى سالم اسعافا بغرض عامر بن محمد فى ذلك وأصهر عامر اليهم فى بنت مولانا السلطان أبى يحيى المتوفى عنها السلطان أبو عنان فحملوا أولياءها على العقد عليها وانكفأ راجعا الى مكان عمله بمراكش يجر الدنيا وراءه عزا وثروة وتابعا لجمادى من سنة ثلاث وستين وصرف عمر عزيمته الى تشريد عبد الحليم وأخيه من سجلماسة كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن زحف الوزير عمر بن عبد الله الى سجلماسة)

لما احتل عبد الحليم واخوته بسجلماسة اجتمع اليهم عرب المعقل كافة بحللهم واقتضوا خراج البلد فوزعوه فيهم واتضوا على الطاعة رهنهم وأقطعهم جنات المختص بأمرها واعصوصبوا عليه واستحثه يحيى بن رحو ومن هنالك من مشيخة بنى مرين الى النهوض للمغرب فأجمع أمره على ذلك وتدبر الوزير عمر أمره وخشى أن يضطره حوه فأجمع اليه الحركة ونادى فى الناس بالعطاء والرحلة فاجتمعوا اليه وبث العطاء فيهم واعترض العساكر وأزاح العلل وارتحل من ظاهر فاس فى شعبان من سنة ثلاث وستين وارتحل معه ظهيره مسعود بن ماسى وبرز السلطان عبد الحليم الى لقائهم ولما تراءت الفئتان بتاغزوطت عند فرج الجبل المفضى من تلول المغرب الى الصحراء هموا باللقاء ثم تواقفوا أياما وتمشت بينهم رجالات العرب فى الصلح والتجافى لعبد الحليم عن سجلماسة تراث أبيه فعقد بينهما وافترقا ورجع كل واحد منهما الى عمله ومكانه من سلطانه ودخل عمر والوزير مسعود الى البلد الجديد فى رمضان من سنته وتلقاهما سلطانهما بأنواع المبرة والكرامة ونزع الوزير محمد بن السبيع عن السلطان عبد الحليم الى الوزير عمر وسلطانه فتقبل وحل محل التكرمة والردافة للوزارة واستقر كل

بمكانه وتوادعوا أمرهم الى ما كان من خلع عبد المؤمن لاخيه عبد الحليم ... ان شاء الله تعالى

(الخبر عن بيعة العرب لعبد المؤمن وخروج عبد الحليم الى المشرق)

لما رجع عبد الحليم بعد عقد السلم مع الوزير عمر الى سجلماسة واستقر بها وكان عرب المعقل من ذوى منصور فريقين الاحلاف وأولاد حسين وكانت سجلماسة وطن للاحلاف وفى مجالاتهم منذ أول أمرهم ودخولهم المغرب وكان من أولاد حسين نزع الى الوزير عمر ما قدمناه فكانت صاغية السلطان عبد الحليم الى الاحلاف بسبب ذلك أكثر فأسف ذلك أولاد حسين على الاحلاف وتجددت لذلك الفتنة وتزاحفوا وأخرج السلطان عبد الحليم أخاه عبد المؤمن لرقع ما بينهما من الخرق ولأمته فلما قدم على أولاد حسين دعوه الى البيعة والقيام بأمره فأبى فأكرهوه عليها وبايعوه وزحفوا الى سجلماسة فى صفر من سنة أربع وستين وبرز عبد الحليم اليهم فى أوليائه من الا... وتواقفوا مليا وعقلوا رواحلهم وانكشف الاحلاف وانهزموا وهلك يحيى بن رحو كبير المشيخة من بنى مرين يومئذ فى حربهم وتغلبوا على سجلماسة ودخلا... المؤمن وتخلى له أخوه عبد الحليم عن الامر وخرج الى المشرق ... وزودوه بما أرادوا وارتحل الى الحج وقطع المفازة الى بلد مالى من السودان و... ركاب الحج الى مصر ونزل على أميرها المتغلب على سلطانها يومئذ وهو مليغا الخاصكى وأنهى خبره اليه وعرف بمكانه فاستبلغ فى تكريمه بما ناسب بيته وسلطانه وقضى ... وانصرف الى المغرب فهلك بقرب الاسكندرية سنة ست وستين واستقل عبد المؤمن بأمر سجلماسة حتى كان من نهوض العسكر اليه ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نهوض ابن ماسى بالعساكر الى سجلماسة واستيلائه عليها ولحاق عبد المؤمن بمراكش)

لما افترقت كلمة أولاد السلطان أبى عنان وخلع عبد المؤمن أخاه تطاول الوزير عمر الى التغلب عليهم ونزع اليه الاحلاف عدو أولاد حسين وشيعة عبد الحليم المخلوع فجهز العساكر وبث العطاء وأزاح العلل وسرح ظهيره مسعود بن ماسى الى سجلماسة فنهض اليها فى ربيع من سنة أربع وتلقاه الاحلاف بحللهم وناجعتهم وأغذ السير ونزع الكثير من أولاد حسين للوزير مسعود وبعث عامر بن محمد عن عبد المؤمن من سجلماسة فتركها ولحق بعامر فقبض عليه واعتقله بداره من جبل هنتاتة ... الوزير مسعود الى سجلماسة واستولى عليها واقتلع منها جرثومة الشقاق بافتراق ... أولاد أبى على منها وكر راجعا الى المغرب لشهرين من حركته فاحتل بفاس الى

ان كان من خبر انتقاضه على عمر وفساد ذات بينهما ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض عامر ثم انتقاض الوزير بن ماسي على اثره)

لما استقل عامر بالناحية الغربية من جبال المصامدة ومراكش وما الى ذلك من الاعمال واستبدبها ونصب لامره أبا الفضل ابن السلطان أبي سالم واستوزر له واستكفأ لامره وصارت كأنها دولة مستقلة تصرف اليه النازعون من بني مرين على الدولة وبدوه مفرهم ولجؤا اليه فأجارهم عن الدولة واجتمع اليه منهم ملأ وأشاروا اليه باستقدام عبد المؤمن وانه أبلغ ترشيحا من أبي الفضل بنسبه وقيامه على أمره وصاغية بني مرين اليه فاستدعاه وأظهر لعمر أنه يروم بذلك مصلحته والمكر بعبد المؤمن ونما ذلك كله الى عمر فارتاب به ونزع اليه آخرا السبيع بن موسى بن ابراهيم الوزير كان لعبد الحليم فكشف القناع في بطانته وتجهيز العساكر اليه واستراب بأهل ولايته وعثر على كتاب من الوزير مسعود بن ماسي اليه بخالصه ويبذل له النصيحة فتقبض على حامله وأودعه السجن فتنكر مسعود وأغراه صحابته الملاشون له من بني مرين بالخروج ومنازعة عمر في الامر ووعدوه النصر منه فاضطرب معسكره بالزيتون من خارج فاس موريا بالنزهة ابان الربيع وزخرف الارض في شهر رجب من سنة خمس وبنى أصحابه الفساطيط في معسكره حتى اذا استوفى جمعهم واعتزم على الخروج ارتحل منها جرا بالخلاف وعسكر بوادي النجا بمن كان معه بعده الخروج معه من بني مرين ثم ارتحل الى مكناسة وكتب الى عبد الرحمن بن على بن يفلوسن يستقدمه للبيعة تادلا قد خرج بها بعدانصرافهم من سجلماسة وتخلف عن عبد المؤمن وبعث عامر اليهم بعثا فهزموه ثم لحق ببني ونكاسن فبعث اليه ابن ماسي وأصحابه فقدم عليهم وبايعوه وأخرج عمر سلطانه محمد بن أبي عبد الرحمن وعسكر بكدية العرائس وبث العطاء وأزاح العلل ثم ارتحل الى وادي النجا فبيته مسعود وقومه فثبت هو وعسكره في مراكزهم حتى انجاب الظلام وفروا أمامهم فاتبعوا آثارهم وانفض جمعهم وبدا لهم مالم يحتسبوه من اصفاق الناس على السلطان ووزيره عمر واعتصامهم بطاعته فانذعروا ولحق مسعود بن ماسي بن رحو بتادلا ولحق الامير عبد الرحمن ببلاد بني ونكاسن ورجع عمر والسلطان الى مكانهما من الحضرة واستمال مشيخة بني مرين فرجعوا اليه وعفا لهم عنها واستصلحهم وتمسك أبو بكر بن حمامة بدعوة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن وأقامهما في نواحيه وبايعه عليها موسى بن سيد الناس من بني أهل جبل دبدوا من بني ونكاسن بما كان صهر اله وخالفه قومه الى الوزير عمر واعتدوه بالنهوض الى أبي بكر بن حمامة فنهض وغلبه على بلاده واقتحم حصنه اكاوان وفرّ هو وصهره موسى

باضنان بالاصل :

وفارقوا سلطانهم عبد الرحمن ونبذوا اليه عهده ورجعوا الى طاعة صاحب فمن لحق هو بتلمسان ونزل على السلطان أبي حمو فاستبلغ فى تكريمه ولحق وزيره مسعود بن ماسى بدبرّ واونزل على أميره محمد بن زكراز صاحب ذلك الثغر وبعث الى الامير عبد الرحمن من تلمسان ليطارد به لفرصة ظنها فى المغرب ينتهزها وأبى عليه أبو حمو من ذلك فركب مطية الفرار ولحق بابن ماسى وأصحابه فنصبوه للامر وأجلبوا على تازى ونهض الوزير اليهم فى العساكر واحتل بتازا وتعرضوا اللقائه ففض جموعهم وردهم على أعقابهم الى جبل دبدو وسعى بينهم ونزمار بن عريف ولى الدولة فى قبض عنانهم عن المنازعة والتجافى عن طلب الامر وأن يجيزوا الى الاندلس للجهاد فأجاز عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ووزيره ابن ماسى من غساسة فاتح سبع وستين وخلا الجو من اجلابهم وعنادهم ورجع الوزير الى فاس واحتشد الى مراكش كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نهوض الوزير عمر وسلطانه الى مراكش)

لما فرغ عمر من شأن مسعود وعبد الرحمن بن أبي يفلوسن صرف نظره الى ناحية مراكش واتهم عامر بن محمد بها واجمع أمره على الحركة اليه فأفاض العطاء ونادى بالسفر الى حرب عامر وأزاح العلل وارتحل اليه لرجب من سنة سبع وصعد عامر وسلطانه أبو الفضل الى الجبل فاعتصم به وأطلق عبد المؤمن من معتقله ونصب له الآلة وأجلسه على سرير حذاء سرير أبي الفضل يوهم انه قد بايع له وانه أحكم أمره تحامى بذلك لبنى مرين لما يعلم من صاغيتهم اليه وخشى مغبة ذلك فألان له القول ولاطفه فى الخطاب وسعى بينهما فى الصلح حسون بن على الصبيحى فعقد له عمر من ذلك ما أرضاه وانقلب الى فاس ورجع عامر عبد المؤمن الى معتقله وأمر الاحوال على ما كانت من قبل الى أن بلغهم قتل الوزير لسلطانه كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن مهلك السلطان محمد بن أبى عبد الرحمن وبيعة عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن)

كان شأن هذا الوزير عمر فى الاستبداد على سلطانه هذا عجبا حتى بلغ مبلغ الحجر من الصبيان وكان قد جعل عليه العيون والرقباء حتى من حرمه وأهل قصره وكان السلطان كثيرا ما يتنفس الصعداء مع ندمائه ومن يختصه بذلك من حرمه الى أن حدثته نفسه باغتيال الوزير وأمر بذلك طائفة من العبيد كانوا يختصون به فنمى القول وأرسل به الى الوزير بعض الحرم كانت عينا له عليه فخشى على نفسه وكان من الاستبداد والدولة أن الحجاب مرفوع له عن خلوات السلطان وحرمه ومكاشفة رتبه فخلص اليه فى حشمه

وهو معاقر لندمائه فطردهم عنه وتناوله غطا حتى فاض وألقوه فى بئر فى روض الغزلان واستدعا الخاصة فأراهم مكانه وانه سقط عن دابته وهو ثمل فى تلك البئر وذلك فى المحرم فاتح ثمان وستين لست سنين من خلافته واستدعى من حينئذ عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن وكان فى بعض الدور من القصبة بفاس تحت الرقباء والحراسة من الوزير لما كان السلطان محمد يروم الفتك به غيرة منه على الملك لمكان ترشيحه فخرج بالقصر وجلس على سرير الملك وفتحت الابواب لبنى مرين والخاصة والعامة فازدحموا على تقبيل يده معطين الصفقة بطاعته وكمل أمره وبادر الوزير من حينه الى تجهيز العساكر الى مراكش ونادى بالعطاء وفتح الديوان وكمل الاعراض وارتحل بسلطانه من فاس فى شهر شعبان وأغذ السير الى مراكش ونازل عامر بن محمد بمعقله من جبل هنتاتة ومعه الامير أبو الفضل ابن السلطان أبى سالم وعبد المؤمن ابن السلطان أبى على أطلقه من الاعتقال أيضا وأجلسه موازى ابن عمه واتخذه الآلة يموه به فى شأنه الاول ثم سعى بينه وبين عمر فى الصلح فانعقد بينهما وانكفأ راجعا بسلطانه الى فاس فى شهر شوال فكان حتفه اثر ذلك كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن مقتل الوزير عمر بن عبد الله واستبداد السلطان عبد العزيز بأمره)

كان عمر قد عظم استبداده على السلطان عبد العزيز بحجره ومنعه من التصرف فى شئ من أمره ومنع الناس من النهوض له فى شئ من أمورهم وكانت أمه حذرة عليه اشفاقا وحبا وكان عمر لما ملك أمره واستبد عليه سما الى الاصهار اليهم فى بنت السلطان أبى عنان واشترط لها زعموا تولية أخيها الامير ونما ذلك الى السلطان وان عمر مغتاله لا محالة وقارن ذلك ان عمر أوعز الى السلطان بالتحول عن قصره الى القصبة فركب أسنة الغدر لاضطراره واعتزم على الفتك به وأكمن بزوايا داره جماعة من الرجال وأعدهم بالتوثب به ثم استدعاه الى بيته للمؤامرة معه سنته فدخل معه وأغلق الموالى من الخصيان باب القصر من ورائه ثم أغلظ له السلطان بالقول وعتبه ودلف الرجال اليه من زوايا الدار فقتلوه بالسيوف هبرا وصرخ ببطانته بحيث أسمعهم فحملوا على الباب وكسروا اغلاقه فألفوه مضرجا بدمائه فولوا الادبار وانفضوا من القصر وانذعروا وخرج السلطان الى مجلسه فقعد أريكته واستدعى خاصته وعقد لعمر بن مسعود ابن منديل بن حمامة من بنى مرين وشعيب بن ميمون بن وردان من الحشم ويحيى بن ميمون بن المصمود من الموالى وكلت بيعته منتصف ذى القعدة سنة ثمان وستين وتقبض على على بن الوزير عمر وأخيه وعمه وحاشيتهم وسربهم واعتقلهم حتى أتى القتل عليهم لليال واستأصل المكان شأفتهم وسكن وأمن ورد النافرين بأمانه وبسط لهم بشره

ثم تقبض لأيام على سليمان بن داود ومحمد السبيع وكانا في مخالصة عمر بن عثمان فاعتقلهما استرابة بهما ولشيء نمي له عنهما وأودعهما السجن إلى أن هلكا واعتقل معهما علال بن محمد والشريف أبا القاسم ريبة بصحابتهما ثم امتن عليه باشفاعة ابن الخطيب وزير ابن الأحمر وأقصاه ثم أطلق عنانه في الاستبداد وقبض أيدي الخاصة والبطانة عن التصرف في شيء من سلطانه إلا بإذنه وعن أمره وذلك لأشهر من استبداد الوزير شعيب ابن ميمون ثم هلك يحيى بن ميمون على ما نذكره إن شاء الله تعالى

(الخبر عن انتزاء أبي الفضل بن المولى أبي سالم ثم نهوض السلطان إليه ومهلكه)

لما فتك السلطان عبد العزيز بعمر بن عبد الله المتغلب عليه سولت لأبي الفضل ابن السلطان أبي سالم نفسه مثلها في عامر بن محمد لمكان استبداده عليه وأغراه بذلك البطانة وتوحش لها عامر فتمارض بداره واستأذنه في الصعود إلى معتصمه بالجبل ليمرضه هنالك أقاربه وحرمه وارتحل بجملته ويئس أبو الفضل من الاستمكان منه وأغراه حشمه بالراحة من عبد المؤمن والملك من منصرف عامر فقتل أبو الفضل ذات ليلة وبعث عن قائد الجند من النصارى فأمر بقتل عبد المؤمن بمكان معتقله من قصبة مراكش فجاء برأسه إليه وطار الخبر إلى عامر فارتاع ووجد الله أن خلص من غائلته وبعث ببيعته إلى السلطان عبد العزيز وأغراه بأبي الفضل ورغبه في ملك مراكش ووعده بالمظاهرة فأجمع السلطان أمره على النهوض إلى مراكش ونادى في الناس بالعطاء وقضى أسباب حركته وارتحل من فاس سنة تسع وستين واستبد أبو الفضل من بعد مهلك عبد المؤمن واستوزر طلحة الوري وجعل علامته لمحمد بن محمد بن منديل الكتاني وجعل شوراه لمبارك بن إبراهيم بن عطية الخلطي ثم أشخص طلحة الوري لسعاية الكتاني فقتله واعتمد منازلة عامر ولما فصل لذلك من مراكش جاءه الخبر بحركة السلطان عبد العزيز إليه فانفض معسكره ولحق بتادلا ليعتصم بها في معقل بني جابر وجاء السلطان بعساكره من مراكش إليها فنازله وأخذ بمخنقه وقاتله فقتل عسكره وداخل بعض بني جابر في الاختلال بمصافه يوم الحرب على مال يعطيه لهم فقبلوا وانهزمت عساكر أبي الفضل وجموعه وتقبض على أشياعه وسيق مبارك بن إبراهيم إلى السلطان فاعتقله إلى أن قتل مع عامر عند مهلكه كما نذكره وفر الكتاني إلى حيث لم يعلم مسقطه ثم لحق بعامر بن محمد ولحق أبو الفضل بقبائل صناكة من ورائهم وداخلهم أشياع السلطان من بني جابر وبذلوا لهم المال الدثر في إسلامه فأسلموه وبعث السلطان إليهم وزيره يحيى بن ميمون فجاء به أسيرا وأحضره السلطان فوبخه وقرعه واعتقله بفسطاط جواره ثم غط من الليل وكان مهلكه في رمضان من سنة ثمان وستين من

امارته على مراكش وبعث السلطان الى عامر بخبر طاعته بذلك فأبى عليه وجاهر بالخلاف الى ان كان من شأنه ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نكبة الوزير يحيى بن ميمون بن مصمود ومقتله)

كان يحيى بن ميمون هذا من رجالات دولتهم وربي فى دولة السلطان أبى الحسن وكان عمه علال عدو اله بعداوة أبيه ولما انتزى السلطان أبو عنان على ملك أبيه استخلص يحيى هذا سائر أيامه وهلك عمر يوم مهلكه كما ذكرناه واستعمل يحيى هذا ببجاية فلم يزل بها الى أن تقبض عليه الموحدون لما استخلصوا بجاية من يده وسار الى تونس واعتقل بها مدة ثم صرفوه الى المغرب أيام عمر فاختص به ولما عقد له السلطان عبد العزيز على وزارته وكان قوى الشكيمة شديد الحزم صعب العداوة مرهف الحد وكان عمه علال بعد أن أطلقه السلطان من الاعتقال نكبه عن اذنه وأقامه متصرفا بين يديه فألقى الى السلطان استبداد يحيى عليه وحذره من شأنه ورفع اليه انه يروم تحويل الدعوة لبعض القرابة من آل عبد الحق وانه داخل فى ذلك قواد الجند من النصارى وأصاب الوزير وجع قعد به عن مجلس السلطان فاختلف الناس الى زيارته وعكف ببابه قواد النصارى فاسترب بأمرهم وتيقن الامر بعكوفهم فأرسل السلطان من حشمه من تقبض عليه وأودعه السجن ثم جنب الى مصرعه من الغد وقتل قعصا بالرماح وقتل المتهمون من القرابة وقواد الجند واستلحموا جميعا وصاروا مثلا فى الآخرين والامر لله

(الخبر عن حركة السلطان الى عامر بن محمد ومنازلته بجبله ثم الظفر به)

لما فرغ السلطان من شأن أبى الفضل عقد على مراكش لعلى بن محمد بن اجانا من صنائع دولتهم وأوعز اليه بالتضييق على عامر والاخذ بمخنقه والجائه الى الطاعة وانقلب الى فاس واعتزم على الحركة الى تلمسان وبينما هو فى الاستنفار لذلك اذ جاءه الخبر بأن على بن اجانا نهض الى عامر وحاصره أياما وان عامرا زحف اليه ففض معسكره وتقبض على بن اجانا والكثير من العسكر فاعتقلهم فقام السلطان فى ركائبه وقعد وأجمع أمره على النهوض اليه بكافة بنى مرين وأهل المغرب فبعث فى الحشود وبث العطاء وعسكر بظاهر البلد حتى استوفى الغرض وعقد على وزارته لابى بكر بن الغازى بن يحيى بن الكاس لمكان فيه من مخايل الرياسة وارتفع محله وارتحل سنة سبعين فاحتل بمراكش ثم خرج الى منازلة الجبل ونازله وكان عامر بن محمد قد نصب بعض الاعياص من آل عبد الحق من ولد أبى ثابت بن يعقوب اسمه تاشفين ولحق به على بن عمر ويعلان من شيوخ بنى ورتاجن كبير بنى مرين وصاحب الشورى فيهم لعهده فاشتد

أزره به وتوافى به كثير من الجند النازعين عن السلطان رهبة من بأسه وسخطة لحاله
أو رغبة فيما عند عامر فرتبوهم وأمسك الله يده عن العطاء فلم تنس قطرة وطال ثوى
السلطان بساحته وعلى حصاره ورتب المقاعد للمقاتلة وغاداه للقتال وراوحه وتغلب
على حصونه شيأ فشيأ الى أن تعلق بأعلى جبل تامسكروط وكان لابى بكر بن غازى غناء
مذكور وبين أصحاب عامر وأشياعه من عطائه وفسد ما بينه وبين على بن عمر حينئذ
فدس الى السلطان بطلب الامان ووثق لنفسه ثم نزع اليه وداخل فارس بن عبد العزيز
أخى عامر فى القيام بدعوة السلطان والخلاف على عمه لما كان به من
ارداف الملك بتفضيل ابنه أبى بكر عليه فبلغ خبره الى السلطان واقتضى له وثيقة من
الامان والعهد بعث به اليه فثار بعمه واستدعى القبائل من الجبل فأجابوه واستحث
السلطان للزحف اليهم فزحفت العساكر والجنود واستولت على معتصم الجبل ولما
استيقن عامر ان قد أحيط به أوعز الى ابنه أن يلحق بالسلطان مموها بالنزوع فألقى
بنفسه اليه وبذل له الامان وألحقه بجملته وانتبذ عامر عن الناس وذهب لوجهه
ليخلص الى السوس فردّه الثلج وقد كانت السماء أرسلت به منذ أيام رذاذا وثلجا حتى
تراكم بالجبل بعضه على بعض وسد المسالك فاقتحمه عامر وهلك فيه بعض حرمه ونفق
مركوبه وعاين الهلكة العاجلة فرجع مختفيا أثره الى غار اوى اليه مع أدلاء بذل لهم
المال يسلكون به ظهر الجبل الى الصحراء بالسوس وأقاموا ينتظرون امساك
الثلج وأقام وأغرى السلطان بالبحث عنه فدلهم عليه بعض البربر عثروا عليه
فسيق الى السلطان وأحضره بين يديه ووبخه فاعتذر وبخع بالطاعة ورغب
فى الاقالة واعترف بالذنب فحمل الى مضرب بنى له بازاء فسطاط السلطان واعتقل
هنالك وتقبض يومئذ على محمد الكتانى فاعتقل وانطلقت الايدى على معاقل عامر
ودياره فانتهب من الاموال والسلاح والذخيرة والزرع والاقوات ما لاعين رأت
ولا خطر على قلب أحد منهم واستولى السلطان على الجبل ومعاقله فى رمضان من سنة
احدى وسبعين لحول من يوم حصاره وعقد على هنتاتة لفارس بن عبد العزيز بن محمد
ابن على وارتحل الى فاس واحتل بها آخر رمضان ودخلها فى يوم مشهود برز فيه الناس
وحمل عامر وسلطانه تاشفين على جملين وقد أفرغ عليهما الرث وعبثت بهما أيدى
الاهانة فكان ذلك عبرة لمن رآه ولما انقضى منسك الفطر أحضر عامر فقرعه بذنوبه
وأوقفه على كتابه بخطه يخاطب فيه أبا حمو ويستجده على السلطان فشهد عليه وأمر به
السلطان فامتحن ولم يزل يجلد حتى انتثر لحمه وضرب بالعصى حتى ورمت أعضاؤه وهلك
بين يدى الوزعة وأحضر الكتانى ففعل به مثله وجنب تاشفين سلطانه الى مصرعه فقتل

قعصا

نعصابالرماح وجنب مبارك بن ابراهيم من محبسه بعد الاعتقال فالحق بهم ولكل أجل كتاب وصفا الجو لسلطان من المنازعين وفرغ لغزو تلمسان كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن ارتجاع الجزيرة الخضراء)

قد تقدم ذكر تغلب الطاغية ابن الهنشة على الجزيرة سنة ثلاث وأربعين وانه نازل بعدها جبل الفتح سنة احدى وخمسين وهلك بالطاعون وهو محاصر له عندما استفحل أمره واشتدت شوكته وكفى الله شأنه وولى أمر الخلافة بعده ابنه بطرة وعدا على سائر اخوته وفر أخوه القمط بن حظية أبيه المسماة بلغتهم الريق همزة الى قمط برشلونة فاجاره وأنزله خير نزل ولحق به من الزعماء المريكس بن خالته وغيره من اقماطهم وبعث اليه بطرة ملك قشتالة فى اسلام أخيه فأبى من اخفار جواره وحدثت بينهما بذلك الفتنة الطويلة افتتح بطرة فيها كثيرا من معاقل صاحب برشلونة وأوطأ عساكره نواحى أرضه وحاصر بلنسية قاعدة شرق الاندلس مرارا وأجلب عليها بعساكره وملأ البحر اليها بأساطيله الى أن ثقلت على النصرانية وطأته وساءت فيها ملكته فانتقضوا عليه ودعوا القمط أخاه فزحف الى قرطبة وثار على بطرة أهل اشبيلية وتيقن صاغية النصارى اليه ففر عن ممالكه ولحق بملك الافرنج وراء جليقية فى الجوف عنها وهو صاحب انكلطرة واسمه النباس غالس ووفد عليه صريخا سنة سبع وستين فجمع قومه وخرج فى صريخه الى أن استولى على ممالكه ورجع ملك الافرنج فعاد النصارى الى شأنهم مع بطرة وغلب القمط على سائر الممالك فتحيز بطرة الى ثغوره مما يلى بلاد المسلمين ونادى صريخا بابن الاحمر فانتهز فيها الفرصة ودخل بعساكر المسلمين فأثخن فى أرض النصرانية وخرب معاقلهم ومدنهم مثل أبرة وجيان وغيرهما من امهات أمصارهم ثم رجع الى غرناطة ولم تزل الفتنة قائمة بين بطرة وأخيه القمط الى ان غلب عليه القمط وقتله وفى خلال هذه الفتن بقيت ثغورهم مما يلى أرض المسلمين عورة وتشوف المسلمون الى ارتجاع الجزيرة التى قرب عهدهم بانتظامها فى ملكة المسلمين وكان صاحب المغرب فى شغل عن ذلك بما كان فيه من انتقاض أبى الفضل ابن أخيه وعامر بن محمد فراسل صاحب الاندلس أن يزحف اليه بعساكره على أن عليه عطاءهم وامداده بالمال والاساطيل على أن يكون مثوبة جهاده خالصة له فأجاب الى ذلك وبعث اليه أحمال المال وأوعز الى أساطيله بسبتة فعمرت وأقلعت من مرسى الجزيرة لحصارها وزحف ابن الاحمر بعساكر المسلمين على أثرها بعد أن قسم فيهم العطاء وأزاح العلل واستعد الآلات للحصار فنازلها أياما قلائل ثم أيقن النصارى بالهلكة لبعدهم عن الصريخ ويأسهم عن مدد ملوكهم والقوا باليد وسألوا النزول على حكم السلم

فأجابهم السلطان اليه ونزلوا عن البلد وأقيمت فيها شعائر الاسلام ومحيت منها
كلمة الكفر وطاغيته وكتب الله أجرها لمن أخلص في معاملته وكان ذلك سنة سبعين
وولي ابن الاحمر عليها من قبله ولم تزل لنظره الى أن غمض النظر عن هدمها خشية
استيلاء النصرانية عليها فهدمت أعوام ثمانين وأصبحت خاوية كأن لم تغن بالامس
والبقاء لله

{ الخبر عن حركة السلطان الى تلمسان واستيلائه }
{ عليها وعلى سائر بلادها وفرار أبي حمو عنها }

كان عرب المعقل موطنين بصحراء المغرب من لدن السوس ودرعة وتافيلالت وملوية
وصا وكان بنو منصور منهم أولاد حسين والاحلاف مختصين بطاعة بني مرين
وفي وطنهم وكانوا منغلبين للدولة تحت قهر من كان سلطانها ولما ارتجع بنو عبد الواد
ملكهم بتلمسان على يد أبي حمو وكان الاختلاف بالمغرب عاث هؤلاء المعقل وأكثروا
في الوطن الفساد ولما استقالت الدولة من عثارها تحيزوا الى بني عبد الواد وأقطعوهم
في أوطانهم واستقروا هنالك من لدن نزوع عبد الله بن مسلم العامل بدرعة الى أبي
حمو ووزارته له وفسد ما بين سلطان المغرب وأبي حمو من أجل ذلك ونهض أبو حمو سنة
ست وستين الى المغرب وعاث في نواحي دبدو وثغر المغرب فنشأت لذلك نار العداوة بينه
وبين صاحب الثغر محمد بن زكراز مكان داعيه لعدو صاحب المغرب به على الايام ولما
استبد السلطان عبد العزيز وهلك صاحبهم عبد الله بن مسلم وترددت الرسل بين أبي حمو
وبين السلطان عبد العزيز كان فيما اشترط عليه الصلح عن قبول عرب المعقل عرب
وطنه لما فيه من الاستكثار بهم عليه وأبى عليهم أبو حمو منها الاستظهار بهم على رعيته
من أهل وطنه وغيرهم وكثر التلاحي في ذلك وأحفظ السلطان وهم بالنهوض اليه سنة
سبعين وأقصر لما أخذ بحجزته من خلاف عامر وصاحب الثغر محمد بن زكراز أثناء
ذلك يحرضه على الحركة الى أبي حمو ويرغبه في ملك تلمسان ولما قضى السلطان حركة
مراكش وفرغ من شأن عامر ورجع الى فاس ولقيه أبو بكر بن عريف أمير سويد
في قومه من بني مالك بجللهم وما جعتهم صريخا على أبي حمو لما نال منهم وتقبض على
أخيهم محمد رؤساء بني مالك جرائم يعرف لهم ولسلفهم من ولاية صاحب المغرب ووفد
عليه رسل أهل الجزائر ببيعتهم يستحثون السلطان لاستنقاذهم من ملكته وأمر
السلطان لذلك وليه ونزمار ومحمد بن زكراز صاحب دبدو وافزع واليه الغناء في ذلك واعتزم
على النهوض الى تلمسان وبعث الحاشدين الى مراكش للاحتشاد وتوافى الناس به
على طبقاتهم أيام منى من سنة احدى وسبعين وأفاض العطاء وأزاح العلل ولما قضى

منسلخ الاضحى اعترض العساكر ورحل الى تلمسان واحتل بتازا وبلغ خبر نهوضه الى
أبى حمو فجمع من اليه من زناتة الشرق و بنى عامر من عرب المعقل وزغبة وتوافت
جموعه بساحة تلمسان واضطرب هنالك معسكره واعترض جنوده واعتزم على الزحف
للقاء بنى مرين ثقة بمكان المعقل وتحيز من كان معه من عرب المعقل الاحلاف وعبيد الله
الى السلطان عبد العزيز بمداخلة وليهم ونزمار واجتمعوا اليه وسرح معهم صنائعه
فارتحلوا بين يديه وسلكوا طريق الصحراء و بلغ خبر تحيزهم واقبالهم الى أبى
حمو فأجفل هو وجنوده وأشياعه من بنى عامر وسلكوا على البطحاء ثم ارتحلوا
عنها وعاجوا على منداس وخرجوا الى بلاد الديالم ثم لحقوا بوطن رياح فنزلوا على
أولاد سباع بن يحيى واحتل السلطان عبد العزيز بتازا وقدم بين يديه وزيره أبا
بكر بن غازى فدخل تلمسان وملكها ورحل السلطان على اثره واحتل بتلمسان يوم
عاشوراء من سنة اثنتين وسبعين فدخلها فى يوم مشهود واستولى عليها وعقد لوزيره أبى
بكر بن غازى على العساكر من بنى مرين والجنود والعرب من المعقل وسويد وسرحه
فى اتباعه وجعل شواره الى وليه ونزمار وفوض اليه فى ذلك فارتحلوا من تلمسان آخر
المحرم وكنت وافدا على أبى حمو فلما أجفل عن تلمسان ودعته وانصرفت الى هنين
للاجازة الى الاندلس ووشى بعض المفسدين الى السلطان بأنى احتملت مالا للاندلس
فبعث جريدة من معسكره للقبض على ووافونى بوادى الزيتون قبل مدخلى الى تلمسان
فأحضرنى وسألنى وتبين كذب الواشى فأطلقنى وخلع على ولما ارتحل الوزير فى اتباع
أبى حمو استدعانى وأمرنى بالنهوض الى رياح والقيام فيهم بدعوته وطاعته وصرفهم
عن طاعة أبى حمو وصريخه فنهضت لذلك ولحقت بالوزير بالبطحاء وارتحلت معه الى
وادى ورك من بلاد العطاف فودعته وذهبت لوجهى وجمعت رياح على طاعة
السلطان ونكبت بهم عن طاعة أبى حمو فنكبوا عنها وخرج أبو زيان من محل نزوله
بحصين فلحق بأولاد محمد بن على بن سباع من الزواودة وارتحل أبو حمو من المسيلة فنزل
بالدوسن وتلوم بها وأوفدت من الزواودة على الوزير ونزمار فكانوا أدلاءهم فى النهوض
اليه ووافوه بمكانه من الدوسن فى معسكره من زناتة وحلل بنى عامر والوزير فى التعبية
وأمم زناتة والعرب من المعقل وزغبة ورياح محيفة به فأجهضوه عن ماله ومعسكره
فانتهب بأسره وانتسفت أموال العرب الذين معه ونجا بدمائه الى مصاب وتلاحق به
ولده وقومه متفرقين على كل مفازة وتلوم الوزير بالدوسن أياما ووافاه بذلك لحاق بنى
مرين وانقلب الى المغرب ومر على قصور بنى عامر بالصحراء فاستباحها وشردهم عنها
الى قاصية القفر ومفازة العطش ولحق بتلمسان فى ربيع الثانى ووفدت أنا بالزواودة

على السلطان ورئيسهم أبو دينار بن على بن أحمد فبر السلطان مقدمه ورعى له سابقه عنده اخيه وخلع عليه وحمله وخلع على الوفد كافة وانصرفوا الى مواطنهم وبعث السلطان عماله على الامصار وعقد لمنابعه على النواحى وجهز الكتائب مع وزيره عمر ابن مسعود بن منديل بن حمامة لحصار حمزة بن على بن راشد من آل ثابت بن منديل كان ربى فى حجر الدولة ونشأ فى جو نعمتها وبخط حاله لديهم فنزع الى وطن سلفه من مغراوة ونزل بجبل بنى بوسعيد فنابذوه وبايعوه على الموت دونه وسرح السلطان وزيره الى الاخذ بمخنقهم فنزل عليهم وقاتلهم وامتنعوا فى رأس شاهقهم فأوطن الوزير بالحبس من وادى شلف وأجحرهم بمعتصمهم وتوافت لديه الامداد من تلمسان فجهزها كتائب وبوأهم المقاعد للحصار وأقام هنالك واستولى السلطان على سائر الوطن من الامصار والاعمال وعقد عليها واستوسق له ملك المغرب الاوسط كما كان لسلفه والله تعالى أعلم

الخبر عن اضطراب المغرب الاوسط ورجوع أبى زيان الى تيطرا واجلاب العرب بابى حمو على تلمسان الى أن غلبهم السلطان جميعا على الامر واستوسق له الملك

لما خلص أبو حمو من وقعة الدوسن هو وأحياء بنى عامر أشياعه لحقوا بالصحراء وأبعدوا انتباذا عن قصورهم قبلة جبل راشد وجمع الوزير ونزمار بن عريف بأحياء العرب كافة من زغبة والمعقل وكان السلطان لما احتل بتلمسان طلب العرب منه اطلاق أيديهم على ما أقطعهم أبو حمو اياه من الوطن على الزبون والاعتزاز عليه فاستنكف من ذلك لعظم سلطانه واستبداد ملكه فحذلوا أحوالهم ورجوا أن يكون لابى حمو ظهور يشاونه به من ذلك لما أملوه فلما انهزم وقلت عساكره وظهر السلطان ظهورا لا كفاء له أجمع رحو بن منصور أمير الخراج من عبيد الله احدى بطون المعقل الخروج على السلطان ولما خرج العرب الى مشاتيهم لحق بأبى حمو وأحياء بنى عامر وكاثروهم وقادوهم الى العيث فى الاوطان فأجلبوا على عمالك السلطان ونازلوا وجدة فى رجب من سنة اثنتين وسبعين وصمدت نحوهم العساكر من تلمسان فأجفلوا وعاجوا الى البطحاء فاكتسحوا أوطانها ونزل اليهم الوزير فى العساكر فنفروا أمامه واتبع آثارهم الى أن أصحروا [بياض بالأصل] خلال ذلك حمزة بن على بن راشد فبيت معسكر الوزير بمكانه من حصار شلف ففض جموعه ولحق منفلولا بالبطحاء وبلغ الخبر الى حصين وكانوا راشين من السلطان لما اشتمر عنهم من الاجلاب على الدول والقيام بأمر الخوارج فجأجؤا بأبى زيان الثائر كان عندهم من مكانه باحياء أولاد يحيى بن على بن سباع من الزواودة فلحق بهم وأجلبوا على ضواحى المدية ونازلوا عسكر السلطان

بها واضطرم المغرب الاوسط نارا واتصل ذلك به ولما كان سنة ثلاث وسبعين استمال
السلطان رحو بن منصور عن أبي حمو وبذل له مالا وأقطعه ما أحب من الضواحي وفعل
ذلك بسائرهم وملأ صدورهم ترغيبا واعتزم على تجهيز العساكر معهم لحسم أدواء
الفساد واخراج الثوار من النواحي واتهم وزيره عمر بن مسعود بالمداهنة في أمر
المغراوي فسرح من دولته من تقبض عليه وأشخصه الى حضرته مقيدا واعتقله بفاس
وجهز عساكره واعترض جنوده وعقد لوزيره أبي بكر بن غازي على حرب الثوار
والخوارج فنهض من تلمسان في رجب سنة ثلاث وسبعين واعتمد حمزة على ابن راشد
في معتصمه بجبل بني بوسعيد وألح عليه بالقتال فعضتهم الحرب بنابها وداخلهم الرعب
وأوفدوا مشيختهم على الوزير بالطاعة ونبذ العهد الى حمزة فعقد لهم ما ابتغوه ولحق
حمزة بأبي زيان بمكانه من حصين ثم ثنى عزمه عن ذلك ورجع الى ضواحي شلف وبيته
بعض الحامية فثبتوا في مراكزهم وانفض جمعه وتقبض عليه وسيق الى الوزير فاعتقله
وبعث الى السلطان في شأنه وعلق أشلاءهم بسور مليانة ثم زحف الى حصين فأجحرهم
بمعقلهم بتيطرا واجتمعت اليه أحياء زغبة كافة فأحاط بهم من كل جانب وطاولهم
الحصار وعاودوهم الحرب وخاطبني السلطان بمكاني من الزاب وأوعز الي بنفير رياح
كافة الى معسكر الوزير فاستنفرناهم بأحيائهم وناجعتهم ونازلنا الجبل من ناحية
الصحراء مما يلي ضواحي رياح فأصابهم الجهد وداخلهم الرعب وانفضوا من المعقل
وانتهب ما فيه واقتضى رهن حصين على الطاعة وقرر عليهم الوضائع والمغارم فأعطوها
عن يد وكان أبو حمو في خلال ذلك قد أجلب على تلمسان ينتهز الفرصة في انتباذ العسكر
عن السلطان وكان وليه خالد بن عامر أمير بني عامر من زغبة مريض الطاعة لما اتهم
أبو حمو به من ولاية رديفه عبد الله بن عسكر بن معروف دونه فأسخطه ذلك وداخل
السلطان عبد العزيز في الانحراف اليه عن أبي حمو على مال حمله اليه فنزع عنه وجهز
له السلطان عسكرا لحرب أبي حمو في ذي القعدة من سنة ثلاث وسبعين من بني
عامر وأولاد يغمور من المعقل وعقد عليهم لمحمد بن عثمان من قرابة أبي بكر بن غازي
وتعرضوا اللقاتهم ففض جمعهم ومنحوا أكتافهم وأحيط بمعسكر أبي حمو وحلل العرب
فاكتسح ما فيها واستولى بنو مرين على أمواله وحرمه وولده فاستاقوهم الى السلطان
وأشخصهم الى فاس فأنزلهم بقصوره وتقبض على مولاه عطية بن موسى صاحب
شلف فامتن عليه وألحقه وبعث معه الادلاء الى تيكورارين من بلاد القبلة فنزلها
وكان ذلك بين يدي فتح تيطرا بليال واستوت قدم السلطان في ملكه واستولى على
المغرب الاوسط ودفع الثوار والخوارج عنه واستمال كافة العرب الى طاعته فأتوها

راغبين راهبين ووفد عليه للوزير أبو بكر بن غازى من قاصية الشرق ومعه مشيخة العرب من كل حى من أحيائهم فوصلهم واحتفى بقدومهم وركب للقاء الوزير وطلب المشيخة فى الرهن على الطاعة والاحتفاظ لتشريد أبى حمو من تيكورارين وأوسع حفايتهم وبرهم وانصرفوا الى مشاتيهم معتملين فى أسباب الحركة الى تيكورارين الى أن كان مانذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن قدوم ابن الخطيب على السلطان بتلمسان نازعا اليه عن سلطانه ابن الاحمر صاحب الاندلس

أصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة فى الشمال من البسيط الذى فيه ساحتها المسمى بالمرج على وادى سنجيل ويقال شنيل المصرف فى ذلك البسيط من الجنوب الى الشمال كان له بها سلف معروفون فى وزارتها وانتقل أبو عبد الله الى غرناطة واستخدم لملوك بنى الاحمر واستعمل على مخازن الطعام ونشأ ابنه محمد هذا بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هذيل وأخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز فى الطب وانتحل الادب وأخذ عن أشياخه وامتلأ حوض السلطان من نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه وبلغ فى الشعر والترسل حيث لا يجارى فيهما وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بنى الاحمر وملأ الدولة بمدائحه وانتشرت فى الآفاق قدماه فرقاه السلطان الى خدمته وأثبته فى ديوان الكتاب ببابه مرؤسا بأبى الحسن بن الجياب شيخ العدوتين فى النظم والنثر وسائر العلوم الادبية وكاتب السلطان بغرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه عندما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبد عليه كما مر فى أخبارهم فاستبد ابن الجياب برياسة الكتاب من يومئذ الى أن هلك فى الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعمائة فولى السلطان أبو الحجاج يومئذ محمد بن الخطيب هذا رياسة الكتاب ببابه وثناه بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسل فى مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ثم داخله السلطان فى تولية العمال على يديه بالمشارطات فجمع له بها أموالا وبلغ به المخالصة الى حيث لم يبلغ بأحد من قبله وسفر عنه الى السلطان أبى عنان ملك بنى مرين بالعدوة معزيا بأبيه السلطان أبى الحسن فجلى فى اغراض سفارته ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين عدا عليه بعض الزعانف يوم الفطر بالمسجد فى سجوده للصلاة وطعنه فأنفذه لوقته وتعاورت سيوف الموالى المعلوجى هذا القاتل فمزقوه اشلاء وبويع ابنه محمد بالامر لوقته وقام بأمره مولاهم رضوان الراسخ القدم فى قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم واستبد بالدولة وأفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن

الخطيب رديفا له فى أمره ونشارككافى الاستبداد معا فجرت الدولة على أحسن حال وأقوم طريقة ثم بعث الوزير ابن الخطيب سفيرا الى السلطان أبى عنان مستمدين له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائهم استأذنه فى انشاد شئ من الشعر يقدمه بين يدى نجواه فأذن له وأنشد وهو قائم

خليفة الله ساعد القدر * علاك مالاح فى الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته * ماليس يستطيع دفعه البشر
وجهك فى النائبات بدر دجا * لنا وفى المحل كفك المطر
والناس طرا بأرض أندلس * لولاك ماأوطنوا ولا عمروا
ومن به مذ وصلت حبلهم * ماجحدوا نعمة ولا كفروا
وقد أهمتهم نفوسهم * فوجهونى اليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الابيات وأذن له فى الجلوس وقال له قبل أن يجلس ماترجع اليهم الا بجميع عطائهم ثم أثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ماطلبوه وقال شيخنا القاضى أبو القاسم الشريف وكان معه فى ذلك الوفد لم يسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذا ومكثت دولتهم هذه بالاندلس خمس سنين ثم نازلهم محمد الرئيس ابن عم السلطان يشاركه فى جده الرئيس أبى سعيد وتحين خروج السلطان الى متنزهه خارج الحمراء وتسور دار الملك المعروفة بالحمراء فأخرجه وبايع له وقام بأمره مستبدا عليه وأحس السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان فركب باديا الى وادى آش وضبطها وبعث بالخبر الى السلطان أبى سالم اثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب وقد كان مثواه أيام أخيه أبى عنان عندهم بالاندلس واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه فى محبسه وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالاندلس كامر وكان غالبا على هوى السلطان أبى سالم فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادى آش يعده زبونا على أهل الاندلس ويكف به عادية القرابة المرشحين هنالك متى طمعوا الى ملك المغرب فقبل ذلك منه وخاطب أهل الاندلس فى تسهيل طريقه من وادى آش اليه وبعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التلمسانى وحمله مع ذلك الشفاعة فى ابن الخطيب وحل معتقله فأطلق وصحب الشريف أبا القاسم الى وادى آش وسار فى ركاب السلطان وقدموا على السلطان أبى سالم فاهتز لقدوم ابن الاحمر وركب فى الموكب لتلقيه وأجلسه ازاء كرسيه وأنشد ابن الخطيب قصيدته كامر يستصرخ السلطان بنصره فوعده وقد كان يوما مشهودا وقد مر ذكره ثم أكرم

مثواه وأرغد نزله ووفر أرزاق القادمين فى ركابه وانصريه وأرغد عيش ابن الخطيب فى الجراية والاقطاع . واستأذن السلطان فى التحول الى جهات مراكش والوقوف على آثار الملك بها فأذن له وكتب الى العمال بإتحافه فتبادروا فى ذلك وحصل منه على حظ وعندما مر بسلا فى قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان أبى الحسن وأنشد قصيدته على روى الراء الموصولة يرثيه ويستثير به استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها

ان بان منزله وشطت داره * قامت مقام عيانه أخباره

قسم زمانك عبرة أو عبرة * هذا ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم فى ذلك الى أهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا متبذا عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس سنة ثلاث وستين كما مر فى أخباره وبعث عن مخلفه بفاس من الاهل والولد والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله بن على فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظره فسر السلطان بمقدمه ورده الى منزلته كما كان مع رضوان كافله وكان عثمان بن يحيى عمر شيخ الغزاة وابن أشياخهم قد لحق بالطاغية فى ركاب أبيه عندما أحس بالشر من الرئيس صاحب غرناطة وأجاز يحيى من هنالك الى العدوة وأقام عثمان بدار الحرب فصحب السلطان فى مثوى اغترابه هنالك وتغلب فى مذاهب خدمته واغترفوا عن الطاغية بعد ما يئسوا من الفتح على يديه فتحولوا عنه الى ثغور بلاده وخاطبوا عمر بن عبد الله فى أن يمكنهم من بعض الثغور القريبة التى أطاعتهم بالاندلس يرتقبون منها الفتح وخاطبنى السلطان المخلوع فى ذلك وكانت بينى وبين عمر بن عبد الله ذمة مرعية وتأكدة فوفيت للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله وحملته على أن يرد عليه مدينة رندة اذ هى من تراث سلفه فقبل اشارتى فى ذلك وتسورها السلطان المخلوع ونزل بها عثمان بن يحيى فى جملته وهو مقدم فى بطانته ثم غزوا منها مالقة فكانت ركابا للفتح وملكها السلطان واستولى بعدها على دار ملكها بغرناطة وعثمان بن يحيى مقدم القوم فى الدولة عريق فى المخالصة وله على السلطان دالة واستبداد على هواه فلما فصل ابن الخطيب بأهل السلطان وولده وأعاده السلطان الى مكانه من الدولة من علو يده وقبول اشارته فأدركته الغيرة من عثمان ونكر على السلطان الاستكفاء به والتخوف من هؤلاء الاعياص على ملكه فحذره السلطان وأخذ فى التدبير عليه حتى نكبه وأباه واخوته فى رمضان سنة أربع وستين وأودعهم المطبق ثم غربهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان وأخمد ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بنيه بندمائه وأهل خلوته وانفراد ابن

الخطيب

الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت عليه الآمال وغشى بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه وقد صم السلطان عن قبولها ونما الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده فى التقويض عنهم واستخدم للسلطان عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن ملك العدوة يومئذ فى التقبض على ابن عمه عبد الرحمن بن أبى يفلوسن بن السلطان أبى على كانوا قد نصبوه شيخا على الغزاة فى الاندلس لما أجاز من العدوة بعد ما جاس خلالها الطلب الملك وأضرم بها نار الفتنة فى كل ناحية وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القائم حينئذ بدولة بنى مرين فاضطر الى الاجازة الى الاندلس فأجازهو ووزيره مسعود بن ماسى ونزلوا على السلطان على المخلوع أعوام سبع وستين فاكرم نزلهم وتوفى على بن بدر الدين شيخ الغزاة فقدم عبد الرحمن مكانه وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد قتله الوزير عمر بن عبد الله فغص بما فعله السلطان المخلوع من ذلك وتوقع انتقاض أمره منهم ووقف على مخاطبات ابن عبد الرحمن يسربها فى بنى مرين وأغرى ابن الخطيب سلطانه بالقبض على ابن أبى يفلوسن وابن ماسى فتقبض عليهما وفى خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما خيل أن السلطان مال الى قبولها وانهم قد أحفظوه عليه فأجمع التحول عن الاندلس الى المغرب واستأذن السلطان فى تفقد الثغور الغربية وسار اليها فى لمة من فرسانه ومعه ابنه على الذى كان خالصة السلطان وذهب لطيته فلما حاذى جبل الفتح فرضة المجاز الى العدوة مال اليه اذ ذاك بين يديه تخرج قائد الجبل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز قدأوعز اليه بذلك وجهز اليه الاسطول من حينه فأجاز الى سبتة وتلقاه بها بأنواع التكرمة وامتثال الاوامر ثم سار لقصد السلطان فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين بمقامته من تلمسان فاهتزت له الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله بمجلسه بمحل الامن والغبطة ومن دولته بمكان الشرف والعزة وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبى مدين سفيرا الى الاندلس فى طلب أهله وولده فجاءبهم على أكمل الحالات من الامن والتكرمة ثم لغط المنافسون له فى شأنه وأغروا سلطانه بتتبع عثراته وأبدوا ما كان كامنا فى نفسه من سقطات دالته واحصاء معايبه وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة أحصوها عليه ونسبوها اليه ورفعت الى قاضى الحضرة الحسن بن الحسن فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رأيه فيه وبعث القاضى أبو الحسن الى السلطان عبد العزيز فى الانتقام منه بتلك السجلات وامضاء حكم الله فيه فصم لذلك وأنف لذمته أن تخفر ولجواره أن يردى وقال لهم هلا انتقمتم وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه

وأما ناقلا يعلص اليه بذلك أحد ماله كان في جوارى ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولي جامن فرسان الاندلس في جملته فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين ورجع بنو مرين الى المغرب وتركوا تلمسان ارهق في ركاب الوزير أبي بكر بن غازى القائم بالدولة فنزل بفاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى واتصلت حاله على ذلك الى أن كان ماند كره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن مهلك السلطان عبد العزيز وبيعة ابنه السعيد
واستبداد أبي بكر بن غازى عليه ورجوع بنى مرين الى المغرب)

كان السلطان منذ أول نشأته قد أزمنت به العلة بما أصابه من مرض الحول ولاجل ذلك تجافى السلطان أبو سالم على احتماله مع الابناء الى رندة ولما شب أفاق من مرضه وصلح بدنه ثم عاوده وجعه في مثواه بتلمسان وتزايد نحوله ولما كمل الفتح واستفحل سلطانه واشتد به الوجع وصابر المرض وكتمه عن الناس خشية الارجاف واضطراب معسكره خارج تلمسان للحاق بالمغرب ولما كان ليلة الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وسبعين قضى متودعا بين أهله وولده ودس الحرم الخبر الى الوزير فخرج على الناس وقد احتمل محمدا السعيد ابن السلطان على كتفه فعزى الناس عن خليفتهم لسبع سنين من خلافته وألقى ابنه بين أيديهم فازدحموا عليه باكين متفجعين يعطونه الصفقة ويقبلون يديه للبيعة وأخرجوه للمعسكر ثم أخرج الوزير شلو السلطان على أعواده وأركبه فساطيطه وأيقظ الليل بحراسة المعسكر وأذن للناس بالرحيل فخرجوا أفواجا الى الجهة ثم ارتحلوا الثلاث وأغذوا السير الى المغرب واحتلوا تازا ثم أغذوا السير الى فاس واحتل ابن السلطان بدار ملكه وجلس لبيعة العامة بقصره وتوافت وفود الامصار ببيعتهم على العادة واستبد عليه الوزير أبو بكر بن غازى وحجبه بقصره وحجره عن التصرف في شيء من سلطانه ولم يكن في سن التصرف واستعمل على الجهات وجلس بمجلس الفصل واشتغل بأمر المغرب ابراما ونقضا الى أن كان ماند كره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن استيلاء أبي حمو على تلمسان والمغرب الاوسط)

لما فصل بنو مرين من تلمسان اثر مهلك السلطان عبد العزيز واحتلوا تازا اجتمع المشيخة وعقدوا على تلمسان لابراهيم ابن السلطان أبي تاشفين كان ربي في كفالة دولتهم منذ مهلك أبيه فآثروه بذلك الوصية وبعثوا مع رحو بن منصور أمير عبيد الله من المعقل وسرحوا معهم من كان بالمغرب من مغراوة الى وطن ملكهم بشلف وعقدوا عليهم لعلي بن هرون بن منديل بن عبد الرحمن وانصرفوا الى بلادهم وكان

عطية بن موسى مولى أبي حمو قد صار الى السلطان عبد العزيز وألحقه بجملته وبطانته فلما ذلك السلطان خرج من القصر واختفى بالبلد حتى اذا فصل بنو مرين من معسكرهم بظاهر البلد خرج من مكان اختفائه وقام بدعوة مولاه أبي حمو واجتمع اليه شيعة من أهل البلد مع من تشاب اليه من الغوغاء وحملوا الخاصة على البيعة لأبي حمو ووصلهم ابراهيم بن أبي تاشفين مع رحو بن منصور وقومه من عبيد الله فنبذوه وامتنعوا عليه فرجع عنهم الى المغرب وطير أولاد يعمور أولياء أبي حمو من عبيد الله بالخبر اليه وهو بعدواة من تيكورارين واتصل بابنه تاشفين وهو عند يحيى بن عامر فدخل الى تلمسان ومن معه من بني عبد الواد وتساقط اليه فلهم من كل جانب ووصل السلطان على اثرهم بعد اليأس منه فدخلها في جمادى من سنة أربع وسبعين واستقل بملكه وتقبض على بطانته الذين آنفوه في اغترابه ونمى له عنهم السعي عليه فقتلهم ورجع ملك بني عبد الواد وسلطانهم ونهض الى مغراوة أولياء بني مرين بمكانهم من شلف فغلبهم عليه بعد مطاولة وحروب سجال هلك فيها وحون بن هرون ومحي دعوة بني مرين من ضواحي المغرب الاوسط وأمصاره واستقل بالامر حسبما ذكرناه في أخباره واتصل الخبر بالوزير أبي بكر بن غازي فهم بالنهوض اليه ثم ثنى عزمه ما كان من خروج الامير عبد الرحمن بناحية بطوية فشغله شأنه عن ذلك

الخبر عن اجازة الامير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن الى المغرب واجتماع بطوية اليه وقيامهم بشأنه

كان محمد المخلوع ابن الاحمر قد رجع من رندة الى ملكه بغرناطة في جمادى من سنة ثلاث وستين وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المنتزى على ملكهم حين هرب من غرناطة اليه وفاء بعهد المخلوع واستوى على كرسيه واستقل بملكه ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب واستخلصه وعقد له على وزارته وفوض اليه في القيام بملكه فاستولى عليه وملك هواه وكانت عينه ممتدة الى المغرب وسكناه الى ان نزلت به آفة في رياسته فكان لذلك يقدم السوابق عند ملوكه وكان لابناء السلطان أبي الحسن كلهم غيرة على ولد عمهم السلطان أبي علي ويخشونهم على أمرهم ولما لحق الامير عبد الرحمن بالاندلس اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجواه ورفع في الدولة رتبته وأعلى منزلته وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناتة مكان بني عمه من الاعياص فكانت له آثار في الاضطلاع بها ولما استبد السلطان عبد العزيز بأمره واستقل بملكه وكان ابن الخطيب ساعيا في مرضاته عند سلطانه فدس اليه باعتقال عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ووزيره المطارد به مسعود بن ماسي وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره وحمل

السلطان عليهما الى أن سطابهما ابن الاحمر واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين لما تقدم من الوسائل ومهدمن السوابق فقدمه السلطان وأحله من مجلسه محل الاصطفاء والقرب وخاطب ابن الاحمر في أهله وولده فبعثهم اليه واستقر في جملة السلطان ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الاحمر فرغب السلطان في ملك الاندلس وحمله عليه وتواعدوا لذلك عند مرجعه من تلمسان الى المغرب ونمى ذلك الى ابن الاحمر فبعث الى السلطان بهدية لم يسمع بمثلها انتقى فيها من متاع الاندلس وماعونها وبغالها الفارهة ومعلوجى السبي وجواريه وأوفد بها رسله يطالب اسلام وزيره ابن الخطيب اليه فأبى السلطان من ذلك ونكره ولما هلك واستبد الوزير ابن غازى بالامر تحيز اليه ابن الخطيب وداخله وخاطبه ابن الاحمر فيه بمثل ماخاطب السلطان فلم يؤب واستنكف ذلك وأقبح الرد وانصرف رسله اليه وقد رهب سطوته فأطلق ابن الاحمر لحينه عبد الرحمن بن أبى يفلوسن وأركبه الاسطول وقذف به الى ساحل بطوية ومعه الوزير مسعود بن ماسى ونهض الى جبل الفتح فنازله بعساكره ونزل عبد الرحمن ببطوية فى ذى القعدة من سنة أربع وسبعين ومعه وزيره مسعود ابن ماسى فاجتمع قبائل بطوية اليه وبايعوه على القيام بدعوته والموت دونه واتصل الخبر بالوزير أبى بكر بن غازى فعقد لابن عمه محمد بن عثمان على سبتة وبعثه لسد ثغورها لما يخشى عليها من ابن الاحمر ونهض من فاس بالآلة والعساكر ونازل عبد الرحمن ببطوية وقاتله أياما ثم رجع الى تازا ثم الى فاس ودخل الامير عبد الرحمن تازا واستولى عليها ودخل الوزير الى فاس وقعد بمجلس الفصل وهو يجمع العودة الى تازا لتشريد عدوه الى أن جاء الخبر ببيعة السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن بيعة السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم واستقلاله بالملك وما كان خلال ذلك من الاحداث

لما نزل محمد بن عثمان بالثغر من سبتة لسد فروجها ومدافعة ما يخشى من عادية ابن الاحمر عليها وكان قد طاول حصار جبل الفتح وأخذ بمخنقه وتكررت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان بالعتاب فاستعتب له وقبح ما جاء ابن عمه من الاستغلاظ له فوجد ابن الاحمر بذلك السبيل الى غرضه وداخله فى البيعة للسلطان أبى سالم من الابناء الذين كانوا بطنجة تحت الرقبة والحوطة وأن يقيمه للمسلمين سلطانا يحوط سياجهم ويدافع عنهم ولا يتركهم فوضى هملا ويجتنب بيعة الصبى الذى لم تنعقد بيعته شرعا واختص هذا بالسلطان من بين أولئك الابناء وفاء بحقوق أبيه ووعده بالمظاهرة على ذلك واشترط

عليه أن ينزلوا له عن الجبل اذا انعقد أمرهم ويشخصوا ابن الخطيب متى قدروا عليه ويعذروا اليه بتقية الابناء والقرابة فتقبل محمد بن عثمان شرطهم وكان سفيره فى ذلك أحمد المرغى من طبقات كتاب الاشغال بسبتة كان السلطان أبو الحسن تزوج أمته ليلة اجازته من واقعة طريف وافتقاد حظاياه حتى لحق به الحرم من فاس فردها الى أهلها ونشأ المرغى فى توهم هذه الكفالة فانتفخ نحره لذلك ويحسبها وصلة الى أبناء السلطان أبى الحسن وكان سفيرا بين محمد بن عثمان وابن الاحمر فأمل الرياسة فى هذه الدولة وركب محمد بن عثمان من سبتة الى طنجة وقصد مكان اعتقالهم واستدعى أبا العباس أحمد بن السلطان أبى سالم من مكانه مع الابناء فبايع له وحمل الناس على طاعته واستقدم أهل سبتة بكتاب للبيعة فقدموا وخاطب أهل الجبل فبايعوا وأفرج ابن الاحمر عنهم وبعث اليه محمد بن عثمان بالنزول عن جبل الفتح وخاطبوا أهله بالرجوع الى طاعته فارتحل من مالقة اليه ودخله واستولى عليه ومحا دعوة بنى مرين مما وراء البحر وأهدى للسلطان أبى العباس وأمده بعسكر من غزاة الاندلس وحمل اليه مالا للاعانة على أمره وكان محمد بن عثمان عند فصوله من فاس وودعه الوزير ابن عمه فاوضه فى شأن السلطان وأن يقدم للناس اماما يرجعون اليه ويترك له أمرهم وآمره فى ذلك ولم يفترقا على مبرم من أمرهم فلما ارتكب هذا المركب وجاء بهذا الامر خاطب الوزير يموه عليه بأنه فعل بمقتضى المؤامرة وانه عن اذنه والله أعلم بما دار بينهما ولج الوزير فى تكذيبه والبراءة للناس مما رمى به ولاطفه فى نقض ذلك الامر ورد أبا العباس الى مكانه مع الابناء تحت الحوطة وأبى محمد بن عثمان من ذلك ودافعه باجتماع الناس عليه وانعقاد الامر وبينما الوزير يروم ذلك جاءه الخبر بأن محمد بن عثمان أشخص الابناء المعتقلين كلهم الى الاندلس وانهم حصلوا فى كفالة ابن الاحمر فوجم وأعرض عن ابن عمه وسلطانه ونهض الى تازا ليفرغ من عدوه اليهم فنازل الامير عبد الرحمن وأخذ بمخنقه واهتبل محمد بن عثمان الغرة فى ملك المغرب فوصله مدد السلطان ابن الاحمر وعسكره تحت رايته عقدها عليهم ليوسف بن سليمان بن عثمان بن أبى العلاء من مشيخة الغزاة المجاهدين وعسكرا آخر من رجل الاندلس الناشبة بسبعمائة وبعث ابن الاحمر رسله الى الامير عبد الرحمن باتصال اليد بابن عمه السلطان أبى العباس أحمد ومظاهرته على ملك سلفه بفاس واجتماعهما لمنازلتها وعقد بينهما الاتفاق والمواصلة وأن يختص عبد الرحمن بملك سلفه فتراضيا وزحف محمد بن عثمان وسلطانه الى فاس فالفوا اليها الوزير وانتهوا الى قصر بن عبد الحليم وبلغ الخبر الى الوزير بمكانه من حصار تازا فانفض معسكره ورجع الى فاس ونزل بكدية العرائس وانتهى

السلطان أبو العباس أحمد الى زرهون فصعد اليه الوزير بعساكره وصمم نحوه بمكانه من قنة الجبل فاختل مصافه وانهزمت ساقة العسكر من ورائه ورجع على عقبه فلولا وانتهب المعسكر ودخل الى البلد الجديد وجاء بالعرب أولاد حسين أن يعسكروا له بالزيتون ظاهر فاس ويخرج بجموعه الى حللهم فمرض اليهم الامير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب الاحلاف وشردهم الى الصحراء وشارف السلطان أبا العباس أحمد بجموعه العرب وزناتة وبعثوا الى ونزمار بن عريف بمكانه من قصر مراده الذى اختطه بملوية فجاءهم وأطلعوه على كامن اسرارهم فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق فاجتمعوا بوادي النجا وحضر لعقدهم واتفاقهم وحلفهم على اتصال اليد على عدوهم ومنازلته بالبلد الجديد حتى يمكن الله منه وارتحلوا بجموعهم الى كدية العرائس فى ذى القعدة من سنة خمس وسبعين وبرز اليهم الوزير بعساكره فدارت الحرب وحمى الوطيس واشتد القتال مليا ثم زحف اليه العسكران بساقتهما والتحما فاختل مصافه وانهزمت جيوشه وجموعه وأحيط به وخلص الى البلد الجديد بعد غص الريق واضطرب السلطان أبو العباس معسكره من كدية العرائس ونزل الامير عبد الرحمن بازائه وضربوا على البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار وأنزلوا بها أنواع القتال والارهاف ووصلهم مدد السلطان ابن الاحمر من رجال الناشبة والحشكر وافى ضياع ابن الخطيب بفاس فهدموها وعاثوا فيها ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل محمد بن عثمان ابن عمه أبا بكر فى النزول عن البلد الجديد والبيعة للسلطان لما كان الحصار قد اشتد ويئس من الصريخ وأعجزه المال فأجاب واشترط عليهم الامير عبد الرحمن التجافى له عن أعمال مراكش وان يدلوه بامن صلماسة فعقدوا له على كره وطووا على المكر وخرج الوزير أبو بكر للسلطان ابى العباس أحمد وبايعه واقتضى عهده بالامان وتخلية سبيله من الوزارة فبذله ودخل السلطان أبو العباس أحمد الى البلد الجديد سابع المحرم وارتحل الامير عبد الرحمن يومئذ الى مراكش واستولى عليها وارتحل معه على بن عمر بن ويعلان شيخ بنى ورين والوزير ابن ماسى ثم نزع عنه ابن ماسى الى فاس لعهد كان قد اقتضاه من السلطان أبى العباس وأجاز البحر الى الاندلس فاستقر بها فى ايالة ابن الاحمر واستقل السلطان أبو العباس ابن السلطان أبى سالم بملك المغرب ووزيره محمد بن عثمان وفوض اليه شؤنه وغلب على هواه وصار أمر الشورى الى سليمان بن داود وكان نزع اليه من البلد الجديد من جملة أبى بكر ابن غازى بعد أن كان أطلقه من محبسه واستخلصه وجعل اليه مرجع أمره فتركه أحوج ما كان اليه ولحق بالسلطان أبى العباس بمكانه من حصار البلد الجديد فلما

استوسق ملكه ألقى الوزير محمد بن عثمان مقاد الدولة له وصار اليه أمر الشورى ورياسة المشيخة واستحكمت المودة بينه و بين ابن الاحمر وتأكدت المداخلة وجعلوا اليه المرجع فى نقضهم وابرامهم لمكان الابناء المرشحين من ابائهم ولما ارتحل الامير عبد الرحمن الى مراكش نبذوا اليه العهد وتعللوا عليه بأن العقد الاول له انما كان على ملك سلفه ومراكش انما ألجأهم الى العقد عليها الجاه واعتزموا على النهوض اليه ثم أقصروا وانعقدت بينهما السلم سنة ست وسبعين وجعلوا التخم بينهما أزمور وعقدوا على ثغرها لحسان الصبيحى فلم يزل عليها الى أن هلك كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن مقتل ابن الخطيب)

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه فاتح ست وسبعين واستقل بسلطانه والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه وسليمان بن داود رديف له وقد كان الشرط وقع بينه و بين السلطان ابن الاحمر عند ما بويع بطنجة على نكبة ابن الخطيب واسلامه اليه لما نمى اليه عنه انه كان يغرى السلطان عبد العزيز بملك الاندلس فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ولقى الوزير أبا بكر بن غازى بساحة البلد الجديد فهزمه السلطان ولاذ منه بالحصار آوى معه ابن الخطيب الى البلد الجديد خوفا على نفسه فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض عليه فقبضوا عليه وأودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر وكان سليمان ابن داود شديد العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد تابع السلطان ابن الاحمر على مشيخة الغزاة بالاندلس حتى أعاده الله الى ملكه فلما استقر له بسلطانه أجاز اليه سليمان سفيرا عن عمر بن عبد الله ومقتضيا عهده من السلطان فصده ابن الخطيب عن ذلك بأن تلك الرياسة انما هى لاعياص الملك من آل عبد الحق لانهم يعسوب زناتة فرجع آيسا وحقد ذلك لابن الخطيب ثم جاور الاندلس بمحل امارته من جبل الفتح فكانت تقع بينه و بين ابن الخطيب مكاتبات ينفس كل منهما لصاحبه بما يحفظه لما كمن فى صدورهما وحين بلغ الخبر بالقبض على ابن الخطيب الى السلطان بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو أبو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان أبى العباس وأحضر ابن الخطيب بالمشور فى مجلس الخاصة وأهل الشورى وعرض عليه بعض كلمات وقعت له فى كتابه فعظم عليه النكير فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملا ثم تل الى محبسه واشتوروا فى قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وأفتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاؤا فى لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقا فى

محبسه وآخر بدوا شلوه من الغد فدفن فى مقبرة باب المحروق ثم أصبح من الغد على شافة قبره طريحا وقد جمعت له أعواد وأضرمت عليه نارا فاحترق شعره واسود بشره وأعيد الى حفرته وكان فى ذلك انتهاء محنته وعجب الناس من هذه السفاهة التى جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته والله الفعال لما يريد وكان عفى الله عنه أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فيتجيش هواتفه بالشعر يبكى نفسه (ومما قال فى ذلك)

بعدنا وان جاورتنا البيوت * وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة * كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما * وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا * غربن فناحت عليها البيوت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا * وذو البعث كم جدلته الحتوت
وكم سيق للقبر فى خرقة * فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب * وفات ومن ذا الذى لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له * فقل يفرح اليوم من لا يموت

* (الخبر عن اجازة سليمان بن داود الى الاندلس ومقامه الى أن هلك بها) *

كان سليمان بن داود هذا منذ عضته الخطوب واختلفت عليه النكبات يروم الفرار بنفسه الى الاندلس للمقامة مع غزاة المجاهدين من قومه ولما استقر السلطان ابن الاحمر بفاس عند خلعه ووفادته على السلطان أبى سالم سنة احدى وستين وداخله سليمان بن داود فى تأميل الكون عنده نعاهده على ذلك وأن يقدمه على الغزاة المجاهدين من قومه ولما عاد الى ملكه وفد عليه سليمان بن داود بغرناطة فى سبيل السفارة عن عمر بن عبد الله سنة ست وستين وأن يؤكد عقده من السلطان فحال دون ذلك ابن الخطيب ومارى السلطان عن ذلك بأن شياخة الغزاة مخصوصة بأعياص الملك من بنى عبد الحق لمكان عصابتهم بالاندلس فأخفق أمل سليمان حينئذ وحقدها على ابن الخطيب ورجع الى مرسله ثم كانت نكبته أيام السلطان عبد العزيز فلم يخلص منها الا بعد مهلكه أطلقه أبو بكر بن غازى المستبد بالامر من بعده لعضد بمكانه على شأنه فلما استبد الحصار على ابن غازى خرج عنه سليمان ولحق بالسلطان أبى العباس ابن المولى أبى سالم بمكانه من ظاهر البلد الجديد فكان ذلك من أسباب الفتح ولما دخل السلطان الى دار ملكه من البلد الجديد فاتح سنة ست وستين واستوسق أمره رفع مجلس سليمان وأحله محل الشورى واعتضد به وزيره محمد بن عثمان واستخلصه كاذ كرناه وكان يرجع الى رأيه

وهو فى خلال ذلك يحاول اللحاق بالاندلس فكان من أول عمله التقرب الى السلطان ابن الاحمر باغراء الوزير محمد بن عثمان بقتل ابن الوزير مسعود يه فتم ذلك لاول الدولة وجرت الامور بعدها على الاعمال فى مرضاته الى أن حاول السفارة اليه فى أغراض سلطانه سنة ثمان وستين فى صحابة وترمار بن عريف فتلقاهما السلطان ابن الاحمر بما يتلقى به أمثالهما وعزة فى تكرمتهما وأما وترمار فانقلب راجعا لاول تأدية الرسالة يقتضى من السلطان خطه بقواد أسطوله بتسهيل الاجازة اليه متى رامها وخرج يتصيد فلحق موسى بمالقة ودفع أمر السلطان بخطه الى قائد الاسطول فاجازه الى سبتة ولحق بمكانه وأما سليمان فاعتزم على المقام عند ابن الاحمر وأقام هنالك خالصة ونجيا ومشاورا الى أن هلك سنة احدى وثمانين

{ الخبر عن شأن الوزير أبى بكر ابن غازى وما كان من
تغريبه الى مايرقة ثم رجوعه وانتقاضه بعد ذلك }

لما اشتد الحصار بالوزير أبى بكر بن غازى وفنيت أمواله وأموال السلطان وظن أنه أحيط به داخله الوزير محمد بن عثمان من مكانهم بحصاره فى النزول عن البلد على الامان والابقاء فأجاب وخرج الى السلطان أبى العباس بن أبى سالم فعقد له أمانا بخطه وتحول الى داره بفاس وأسلم سلطانه المنصوب للامر قبله منه الوزير محمد بن عثمان واستبد فى الاحتياط عليه الى أن بعثه الى السلطان ابن الاحمر فكان فى جملة الابناء عنده ودخل السلطان أبو العباس الى دار ملكه واقتعد سريره ونفذت فى الممالك أوامره وأقام أبو بكر بن غازى على حاله بداره والخاصة يباكرونه والنفوس منطوية على تأميله فغص به أهل الدولة وترددت فيه السعاية وتقبض عليه السلطان وأشخصه الى غساسة وركب منها السفين الى مايرقة آخر ست وسبعين فأقام بها أشهرا ومخاطباته مترددة الى الوزير محمد بن عثمان ثم عطفته عليه رحم فأذن له فى القدوم الى المغرب والمقامة بغساسة فقدمها أوائل سنة سبع واستبد بامارتها وبداله رأى فى تأميل الوثبة وظهر ما كان يخفيه لابن عمه من المنافسة فخاطب ابن الاحمر وراء البحر ولاطفه بالتحف والهدايا فكتب الى ابن عمه محمد بن عثمان يحضه على اعادته الى مكانه دفعا لغوائله فأبى من ذلك وداخله وترمار بن عريف فى بعضها كذلك فلج فى الامتناع وحمل سلطانه على نبذ العهد لابى بكر بن غازى فتنكر له وأجمع المسير اليه بعساكر العرب فخرج من فاس سنة تسع وسبعين وبلغ الخبر الى أبى بكر بن غازى فاستجاش بالعرب وأحثهم للوصول فوصل اليه الاحلاف من المعقل وسرب فيهم أمواله وخرج من غساسة فألقى بينهم نفسه وعمد الى بعض الطارئين فنصبه للامر مشبها ببعض أبناء السلطان أبى الحسن

وزحف اليه السلطان حتى نزل تازا فاجفلت أحياء العرب أمام العساكر من بنى حربن والجند ونجا ابن غازى معهم بذمائه ثم داخله ونزمار بن عريف فى الاذعان للسلطان عن شق الخلاف فأجاب ووصل به الى سدة الملك فبعث به السلطان محتاطا عليه الى فاس فاعتقل بها ونزلت مقدمات العساكر بوادى ملوية وداخل صاحب تلمسان منها رعب فأوفد على السلطان من قومه وكبار مجلسه ملاطفا مداريا فتقبل منه وعقد السلم وأصدر به كتابه وعهد ه بخطه وانكفأ راجعا الى حضرته بعد أن بث العمال فى تلك النواحى على جبايتها لجمع المال منها مما رضى ولما احتل بدار ملكه أنفذ أمره بقتل أبى بكر بن غازى فقتل بمحبسه طعنا بالرماح واستوسق للسلطان أمره وأحكم العقد مع الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن صاحب مراكش وترددت المهاداة بينهما بعض الى بعض والى صاحب الاندلس واليهما منه ما عامل المغرب وبث بساطا وغبطا والحال متصلة على ذلك لهذا العهد آخر سنة احدى وثمانين أيام اشرافنا على هذا التأليف

(الخبر عن انتقاض الصلح بين الامير عبد الرحمن صاحب مراكش والسلطان أبى العباس صاحب فاس واستيلاء عبد الرحمن على ازمور ومقتل عاملها حسون بن على)

كان على بن عمر كبير بنى ورتاجن وشيخ بنى ويعلان منهم قد تحيز الى الامير عبد الرحمن منذ اجازته الى الاندلس واستيلائه على تازا وبعه الى حصار البلد الجديد مع السلطان أبى العباس كما مر فوصل فى جملته الى مراكش وكان صاحب شوراه وكبير دولته وكان يلعن على خالد بن ابراهيم الهربجى شيخ حاحة من قبائل المصامدة ما بين مراكش وبلاد السوس وقد كان على بن عمر انتقض على ابن غازى الوزير المستبد بعد السلطان عبد العزيز ولحق بالسوس ومر بخالد بن ابراهيم هذا فاعترضه فى طريقه وأخذ الكثير من أثقاله ورواحله وتخلص هو الى منجاته بالسوس وقد حقد ذلك لخالد ثم حث شيوخ المعقل عندما أجاز الامير عبد الرحمن من الاندلس الى نواحى تازا بزوم اللحاق به فوفدوا عليه وسار معهم الى احيائهم وأقام معهم وهو فى طاعة الامير عبد الرحمن ودعوته الى أن اتصل به بين يدى حصاره البلد الجديد مع السلطان أبى العباس فلما افتتح السلطان البلد الجديد أول سنة ست وسبعين واستولى على ملكهم بها وانصل عبد الرحمن الى مراكش كما كان الوفاق بينهم وسار على بن عمر فى جملة السلطان عبد الرحمن الى مراكش واستأذنه فى قتل خالد صاحبه فلم يأذن له فأحفظه ذلك وطوى عليه وبعد أيام صعد جبل ورديكة فى غرض من أغراض الدولة وتقدم الى حافده عامر

بقتل خالد فقتله بظاهر مراكش جده على بن عمر بوريكة فتلطف له الامير عبد الرحمن
وراسله بالملاينة والاستعطاف ثم ركب اليه بنفسه واستصلحه ونزل به الى مراكش
فأقام معه أياما ثم ارتاب ولحق بأزمور وعاملها يومئذ حسون بن على الصبيحى فأغراه
بالاجلاب على عمل مراكش وزحفوا جميعا الى عمل صنهاجة وسرّح الامير عبد
الرحمن لمدافعتهم كبير دولته يومئذ وابن عمه عبد الكريم بن عيسى بن سليمان بن منصور
ابن أبى مالك عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق فخرج فى العساكر ومعه منصور مولى
الامير عبد الرحمن فلقوا على بن عمر فهزموه وأخذوا اسواده ولجأ الى أزمور ثم وفد هو
وحسون بن على الى السلطان بفاس ووقعت أثناء ذلك المراسلة بين السلطانين وانعقد
بينهما الصلح فأقام على بن عمر بفاس ورجع حسون بن على الى مكان عمله بأزمور
ثم انتقض ما بين السلطانين ثانيا وكان عند الامير عبد الرحمن اخوان من ولد محمد بن
يعقوب بن حسان الصبيحى وهما على وأحمد جرثومتا بغى وفساد وعدا على كبيرهما على
ابن يعقوب بن على بن حسان فقتله واستعدى أخوه موسى عليه السلطان فأعداه
وأذن له فى أن يثأر منه بأخيه فقتله فخرج لذلك أحمد أخو على وهمّ بقتل موسى فاستجار
بموسى بن يعقوب بن موسى بن سيد الناس كبير بنى ونكاسن وصهر الامير عبد الرحمن
وأقام أياما فى جواره ثم هرب الى أزمور فلحقت نار الفتنة ونهض الامير عبد الرحمن
الى أزمور فلم يطق حسان بن على دفاعه فملكها عليه وقتله واستباحها وبلغ الخبر الى
السلطان بفاس فنهض فى عساكره وانتهى الى سلا ورجع الامير عبد الرحمن الى
مراكش وسار السلطان فى اتباعه حتى نزل بحصن أكليم من مراكش وأقام هنالك
نحوا من ثلاثة أشهر والقتال يتردد بينهم ثم سعى بين السلطانين فى الصلح فاصطلحوا على
حدود العمالات أولا وانكفأ صاحب فاس الى عمله وبلده وبعث الحسن بن يحيى بن
حسون الصنهاجى عاملا على الثغر بأزمور فأقام بها وكان أصله من صنهاجة أهل وطن
أزمور وله سلف فى خدمة بنى مرين منذ أول دولتهم وكان أبو يحيى فى دولة السلطان
أبى الحسن عاملا فى الجباية بأزمور وغيرها وهلك فى خدمته بتونس أيام مقام السلطان
بها وترك ولده يستعمل فى مثل ذلك ونزع الحسن هذا منهم الى الجندية فلبس شارتها
وتصرف فى الولاية المناسبة لها واتصل بخدمة السلطان أبى العباس لاول بيعته
بطنجة وكان يومئذ عاملا بالقصر الكبير فدخل فى دعوته وصار فى جملته وشهد معه الفتح
واستعمله فى خطط السيف حتى ولاه أزمور هذه الولاية فقام بها كما ذكره (وأما
الصبيحيون) فالخبر عن أوليتهم ان جدهم حسان من قبيلة صبيح من أفاريق سويد جاء
مع عبد الله بن كندوز الكمى من بنى عبد الواد حين جاء من تونس وأوفد على السلطان

ابن عبد الحق ولقبه تامزّ وكان حسان من رعاة ابله فلما استقر عبد الله بن كندوز بناحية مراكش وأقطعه السلطان يعقوب فى أعمالها وكان الظهر الذى يحمل عليه السلطان متفرقا فى سارية المغرب بجمعه وجعله لنظر عبد الله بن كندوز فجمع له الرعاء وكبيرهم يومئذ حسان الصبيحى فكان يباشر السلطان فى شان ذلك الظهر ويطالعه فى مهماته فحصلت له مداخلة أجلبت اليه الحظ حتى ارتفع وكبر ونشؤا فى ظل الدولة وغيرها وتصرفوا فى الولايات فيها وانفردوا بالشاوية فلم تزل ولايتها متوارثة فيهم منقسمة بينهم لهذا العهد الى ما كانوا يتصرفون فيه من غير ذلك من الولايات وكان لحسان من الولد على ويعقوب وطلحة وغيرهم ومن حسان هذا تفرعت شعوبهم فى ولده وهم لهذا العهد متصرفون فى الدولة على ما كان سلفهم من ولاية الشاوية والنظر فى رواحل السلطان والظهر الذى يحمل من الابل ولهم عدد وكثرة ونباهة فى الدولة والله أعلم

﴿الانتقاض الثانى بين صاحب فاس وصاحب مراكش﴾ ﴿ونهوض صاحب فاس اليه وحصاره ثم عودهما الى الصلح﴾

لما رجع السلطان الى فاس على ما استقر من الصلح طلب الامير عبد الرحمن أن يدخل عمالة صنهاجة ودكالة فى أعماله وكتب السلطان الى الحسن بن يحيى عامل أزمور وتلك العمالة بأن يتوجه اليه ويسد المذاهب فى ذلك دونه وكان الحسن بن يحيى مصطنعا على الدولة فلما وصل اليه داخله فى الخلاف وان يملكه تلك العمالة فازداد الامير عبد الرحمن بذلك قوة على أمره وزماله على صاحب فاس بأن يكون حدا بين الدولتين وادام ربيع واستمر صاحب فاس على الاباية من ذلك فنهض الامير عبد الرحمن من مراكش ودخل الحسن بن يحيى فى طاعته فملكها وبعث بولاه منصورا فى العساكر الى انفاء فاستولى عليها وصادر اعيانها وقاضيها وواليها وبلغ الخبر الى السلطان فنهض من فاس فى عساكره وانتهى الى سلا فهرب منصور من انفاء وتركها ولحق بمولاه عبد الرحمن فاجفل من أزمور الى مراكش والسلطان فى أثره حتى انتهى الى قنطرة الوادى على غلوة من البلد وأقام خمسة أشهر يحاصرها واتصل الخبر بالسلطان ابن الاحمر صاحب الاندلس فبعث الى عسكره الوزير أبا القاسم الحكيم الرندى ليعقد الصلح بينهما فانعقد على أن يسترهن السلطان أولاد الامير عبد الرحمن من يخدمه بن وغيرهم زعوا عنه وكان محمد بن يعقوب الصبيحى لقى فى طريقه مولى الامير عبد الرحمن جاء به مكرها الى السلطان وكان من النازعين أيضا يعقوب بن موسى بن سيد الناس كبير ونكاسن وأبو بكر بن رحو بن الحسن بن على بن أبى الطلاق ومحمد بن مسعود الادريسى وزيان بن عمر بن على الوطاسى وغيرهم من المشاهير وقدموا على السلطان بلا فاكرمهم

ورحل راجعا الى فاس والله أعلم

{ انتقاض على بن زكريا شيخ الهساكرة على الامير عبد الرحمن وفتكه بمولاه منصور ومقتل الامير عبد الرحمن }

لما رجع السلطان الى فاس وبدا من الخلل فى دولة الامير عبد الرحمن وانتقاض الناس عليه ما قدمناه نزع يده من التعويل على العساكر وشرع فى تحصين البلد وضرب الاسوار على القصبة وحفر الخنادق وتبين بذلك اختلال أمره وكان على بن زكريا شيخ هسكورة وكبير المصامدة وكان فى دعوته منذ دخل مراكش متلا فى أمره مع صاحب فاس ومدا اليه يدا من طاعته ثم انتقض على الامير عبد الرحمن ودخل فى دعوة السلطان وبعث اليه الامير عبد الرحمن مولاه منصورا يستألفه فأرصد اليه فى طريقه من حاشيته من قتله وبعث برأسه الى فاس فنهض السلطان فى عساكره الى مراكش واعتصم الامير عبد الرحمن بالقصبة وقد كان أفردها عن المدينة بالاسوار وخندق عليها فملك السلطان المدينة ورتب على القصبة المقاتلة من كل جهة ونصب الآلة وأدار عليها من جهة المدينة حائطا وأقام يحاصرها تسعة أشهر يغاديها القتال ويراوحها وكان أحمد بن محمد الصبيحي من الذين بوّؤا المقاعد لقتالها فهم بالانتقاض وحدثته نفسه بغدرة السلطان والتوثب به وسعى بذلك الى السلطان فتقبض عليه وحبسه وبعث السلطان بالنفير الى أعماله فتوافت الامداد من كل ناحية وبعث اليه صاحب الاندلس مددا من العسكر فلما اشتد القتال والحصار بالامير عبد الرحمن ونفذت الاقوات وأيقن أصحابه بالهلكة وأهمتهم أنفسهم وهرب عنه وزيره محمد بن عمر شيخ الهساكرة والمصامدة لعهد السلطان أبى الحسن وابنه وقد مر ذكره فلما لحق هذا بالسلطان وعلم انه انما جاء مضطرا قبض عليه وحبسه ثم انفض الناس عن الامير عبد الرحمن ونزلوا من الاسوار ناجين الى السلطان وأصبح فى قصبته منفردا وقد بات ليلته يراوض ولديه على الاستماتة وهما أبو عامر وسليم وركب السلطان من الغد فى التعبية وجاء الى القصبة فاقتحمها بمقدمته ولقيهم الامير عبد الرحمن وولداه مباشرا الى الميدان بين أبواب دورهم فجالوا معهم جولة قتل فيها وولداه قتلهم على بن ادريس وزيان بن عمر الوطاسى وطال ما كان زيان يعترى بذى نعمهم ويجر ذيله خيلاء فى جاههم فذهب مثلا فى كفران النعمة وسوء الجزاء والله لا يظلم مثقال ذرة وكان ذلك خاتم جمادى الاخيرة سنة أربع وثمانين لعشر سنين من امارته على مراكش ثم رحل السلطان منقلبا الى فاس وقد استولى على سائر أعمال المغرب وظفر بعدوه ودفع المنازعين عن ملكه والله أعلم

{اجلاب العرب على المغرب فى مغيب السلطان بقربه من ولد أبى على}
{وأبى تاشفين بن أبى حمو صاحب تلمسان ومجىء أبى حمو على أثرهم}

كان أولاد حسين من عرب المعقل مخالفين على السلطان من قبل مسيره الى مراكش وكان شيخهم يوسف بن على بن غانم قد حدثت بينه وبين الوزير القائم على الدولة محمد بن عثمان منافرة وفتنة وبعث العساكر الى سجلماسة فخربت ما كان لهم بها من العقار والاملاك وأقام منتقضا بالقفر فلما حاصر السلطان الامير عبد الرحمن بمراكش وأخذ بمخنقه أرسل أبا العشائر ابن عمه منصور الى يوسف بن على وقومه ليجلبوا به على المغرب ويأخذوا بحجزة السلطان عن حصاره فسار لذلك ولما قدم على يوسف سار به الى تلمسان مستجيشا بالسلطان أبى حمو لتلك القصد لما كان بينه وبين الامير عبد الرحمن من العهد على ذلك فبعث أبو حمو معهم ابنه أبا تاشفين فى بعض عساكره وسار فى الباقين على أثرهم وسار أبو تاشفين وأبو العشائر الى أحياء العرب قد دخلوا الى أحواز مكناسة وعاثوا فيها وكان السلطان عند سفره الى مراكش استخلف على دار ملكه بفاس على بن مهدى العسكرى فى جماعة من الجند واستجد بونزمار بن عريف شيخ سويد وولى الدولة المقيم بأحياء ملوية مخالفين عرب المعقل واستألف منهم العمارنة والمنبات وهم الاحلاف واجتمع مع على بن مهدى وسار والمدافعة العدو بنواحى مكناسة فصدوهم عن مرامهم ومنعوهم من دخول البلاد فأقاموا متواقفين أياما وقصد أبو حمو فى عسكره مدينة تازى وحاصرها سبعا وخرب قصر الملك هنالك ومسجده المعروف بقصر تازروت وبينما هم على ذلك بلغ الخبر اليقين بفتح مراكش وقتل الامير عبد الرحمن فأجفلوا من كل ناحية وخرج أولاد حسين وأبو العشائر وأبو تاشفين والعرب الاحلاف فى اتباعهم وأجفل أبو حمو عن تازى راجعا الى تلمسان ومر بقصر ونزمار فى نواحى بطوية المسمى مرادة فهدمه ووصل السلطان الى فاس وقدم له الظهور والفتح الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ثم نهوض السلطان الى تلمسان وفتحها وتخريبها)

كان السلطان لما بلغه ما فعل العرب وأبو حمو بالمغرب لم يشغله ذلك عن شأنه ونقم على أبى حمو ما أتاه من ذلك وانه نقض عهده من غير داع الى النقض فلما احتل بدار ملكه بفاس أراح أياما ثم أجمع النهوض الى تلمسان وخرج فى عساكره على عادتهم وانتهى الى تاوريرت وبلغ الخبر الى أبى حمو فاضطرب أمره واعتزم على الحصار وجمع أهل البلد عليه واستعد له ثم خرج فى بعض تلك الليالى بولده وأهله وخاصته وأصبح مخيما بالصفصف وانفض أهل البلد اليه بعضهم بعياله وولده متمسكين به متفادين من معرة

بجموع العساكر فلم يزعه ذلك عن قصده وارتحل ذاهبا الى البطحاء ثم قصد بلاد مغراوة فنزل فى بنى بوسعيد قريبا من شلف وأنزل أولاده الاصاغر وأهله بحصن تاجحومت وجاء السلطان الى تلمسان فملكها واستقر فيها أياما ثم هدم أسوارها وقصور الملك بها باغراء ولينه وترمارجزاء بما فعله أبو حمو فى تخريب قصر تازروت وحصن مرادة ثم خرج من تلمسان فى اتباع أبى حمو ونزل على مرحلة منها وبلغه الخبر هنالك باجازة السلطان موسى ابن عمه أبى عنان من الاندلس الى المغرب وانه خالفه الى دار الملك فانكفا راجعا وأغذ السير الى المغرب كما نذكره ورجع أبو حمو الى تلمسان واستقر فى ملكه بها كما ذكرناه فى أخباره

(اجازة السلطان موسى ابن السلطان أبى عنان من الاندلس الى المغرب واستيلاؤه على الملك وظفره بابن عمه السلطان أبى العباس وازعاجه الى الاندلس)

قد تقدم أن السلطان محمد بن الاحمر المخلوع كان له تحكم فى دولة السلطان أبى العباس بن أبى سالم صاحب المغرب بما كان من اشارته على محمد بن عثمان ببيعته وهو معتقل بطنجة ثم بما أمده من مدد العساكر والاموال حتى أمره واستولى على البلد الجديد كما قدمناه فى أول خبره ثم بما كان له من الزبون عليهم بالقرابة المرشحين الذين كانوا معتقلين بطنجة مع السلطان أبى العباس من أسباط السلطان أبى الحسن من ولد أبى عنان وأبى سالم والفضل وأبى عامر وأبى عبد الرحمن وغيرهم وكانوا متعاهدين فى معتقلهم ان من أتاح الله له الملك منهم يخرجهم من الاعتقال ويجيزهم الى الاندلس فلما بويع السلطان أبو العباس وفى لهم بهذا العهد وأجازهم الى الاندلس فنزلوا على السلطان ابن الاحمر أكرم نزل أنزلهم بقصور ملكه بالحمراء وقرب لهم المراكب وأفاض عليهم العطاء ووسع لهم الجرايات والارزاق وأقاموا هنالك فى ظل ظليل فكان لهم به وثوب على ملك المغرب وكان الوزير القائم بها محمد بن عثمان يقدر له قدر ذلك فيجرى فى اغراضه وقصوده ويحكمه فى الدولة ماشاء أن يحكمه حتى توجهت الوجوه الى ابن الاحمر وراء البحر من أشياخ بنى مرين والمغرب وأصبح المغرب كأنه من بعض أعمال الاندلس ولما نهض السلطان الى تلمسان خاطبوه وأوصوه بالمغرب وترك محمد بن عثمان بدار الملك كاتبه محمد بن الحسن كان مصطنعا عنده من بقية شيع الموحدين ببجاية فاختصه ورقاه واستخلفه فى سفره هذا على دار الملك فلما انتهوا الى تلمسان وحصل لهم من الفتح ما حصل كتبوا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر مع شيطان من ذرية عبو بن قاسم المزوارى كان بدارهم وهو عبد الواحد بن محمد بن عبو كان يسمو بنفسه الى العظائم التى ليس لها بأهل ويتربص لذلك بالدولة وكان ابن الاحمر

مع كثرة تحكمه فيهم يتنى لهم ببعض الاوقات بما يأتونه من تقصير في شفاعة أو مخالفة
في الامر لا يعدون عنها وليجة فيه طمع لهم ذلك فلما قدم عليه عبد الواحد هذا بخبر الفتح
وقص عليه القصص دس له أن أهل الدولة مضطربون على سلطانهم ومستبدلون به
لو وجدوا وبلغ من ذلك ما حمل وما لم يحمل وأشار له بجلاء المغرب من الحامية جملة وأن
دار الملك ليس بها الا كاتب حضرى لا يحسن المدافعة وهو أعرف به فانتهز الفرصة ابن
الاحمر وجهز موسى ابن السلطان أبي عنان من الاسباط المقيمين عنده واستوزر له
مسعود بن رحو بن ماسى من طبقات الوزراء من بني مرين ومن بني فودود من أسلافهم
وله في ذلك سلف وقد كان بعثه من قبل وزيرا للأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن حين
أجاز الى المغرب أيام استبداد أبي بكر بن غازي فلم يزل معه حتى كان حصار البلد الجديد
واستيلاء السلطان أبي العباس عليها وذهب عبد الرحمن الى مراكش فاستأذنه
مسعود في الانصراف الى الاندلس فأذن له ورجع منه الى فاس ثم فارقها وأجاز الى
الاندلس متودعا ومتوددا للكل ومعولا على ابن الاحمر فتلقاه بالقبول وأوسع له النزول
والجراية وخلطه بنفسه وأحضره مع ندمائه ولم يزل كذلك الى أن جهزه وزيرا
الى المغرب مع السلطان أبي عنان وبعثهما معسكرا ثم ركب السفين الى سبتة
وكانت بينه وبين شرفائها ورؤساء الشورى بها مداخلة فقاموا بدعوة السلطان موسى
وأدخلوه وقبضوا على عاملها رحو بن الزعيم المكدولى وبادروا به الى السلطان فملكها
غرة صفر من سنة ست وثمانين وسلمها الى ابن الاحمر فدخلت في طاعته وسار هو الى
فاس فوصلها لايام قريبة وأحاط بدار الملك واجتمع عليه الغوغاء ونزل اليه محمد
ابن الحسن فبادر بطاعته ودخل السلطان الى دار الملك وقبض عليه لوقته وذلك
في عشر ربيع الاول من السنة وجاء الناس بطاعته من كل جانب وبلغ الخبر الى
السلطان أبي العباس بمكانه من نواحي تلمسان بأن السلطان موسى قد نزل بسبتة بجهز
على بن منصور ترجمان الجند وجند النصارى ببابه مع طائفة منهم وبعثهم حامية لدار
الملك فانتهوا الى تازا وبلغهم خبر فتحها فأقاموا هنالك وأغذ السلطان أبو العباس
السير الى فاس فلقيهم خبر فتحها بتاوريرت فتقدم الى ملوية وتردد رأيه بين المسير الى
سجلماسة من المغرب أو قصد المغرب ثم استمر عزمه ونزل بتازا وأقام فيها أربعا
وتقدم الى الركن وأهل دولته خلال ذلك يخوضون في الانتقاض عليه تسللا الى ابن
عمه السلطان موسى المتولى على فاس ويوم أصبح من الركن أرجفوا به ثم انفضوا عليه
طوائف قاصدين فاس ورجع هو الى تازا بعد أن انتهب معسكره وأضرمت النار
في خيامه وخزائنه ثم أصبح بتازا من ليلته قد دخلها وعاملها يومئذ الخير من موالي

السلطان أبي الحسن وذهب محمد بن عثمان الى ولي الدولة وترمار بن عريف وأمراء المغرب من المعقل ولما دخل السلطان أبو العباس الى تازا كتب الى ابن عمه السلطان موسى بذكره العهد بينهما وتذكان السلطان ابن الاحمر عهد اليه أن يبعث به اليه ان ظفر به فبادر السلطان موسى باستدعائه مع جماعة من وجوه بني عسكر أهل تلك الناحية وهم زكريا بن يحيي بن سليمان ومحمد بن سليمان بن داود بن اعراب ومعهم العباس بن عمر الوسناني فجاؤا به وأنزلوه بالزاوية بغدير الحمص بظاهر فاس فقيد هنالك ثم بعثه الى الاندلس موكلا به مع عمر بن رحو أخو الوزير مسعود بن ماسي واستصحب ابنه أبا فارس وترك سائرهم بفاس واجاز البحر من سبتة فأنزله السلطان ابن الاحمر بقلعة ملكه الحمراء وفك قيوده ووكل به ووسع له في الجراية فأقام هنالك محتاطا به الى أن كان مانذكره ان شاء الله تعالى

(نكبة الوزير محمد بن عثمان ومقتله)

أصل هذا الوزير محمد بن الكاس احدى بطون بني ورتاجين وكان بنو عبد الحق عند ماتأثلوا ملكهم بالمغرب يستعملونه منهم في الوزارة وربما وقعت بينهم هنالك وبين بني ادريس وبني عبد الله منافسة قتلوا فيها بعض بني الكاس منهم في دولة السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن ثم استوزره السلطان أبو الحسن بعد مهلك وزيره يحيى بن طلحة ابن محلي بمكانه من حصار تلمسان وقام بوزارته أياما وحضر معه وقعة طريف سنة احدى واربعين من هذه المائة واستشهد فيها ونشأ ابنه أبو بكر في ظل الدولة متمتعا بحسن الكفالة وسعة الرزق وكانت أمه أم ولد وخلفه عليها ابن عمه محمد بن عثمان هذا الوزير فنشأ أبو بكر في حجره وكان أعلى رتبة منه بأولية أبيه وسلفه حتى اذا بلغ أشده واستوى سمت به الحال وجال امصار الملوك في اختياره وترشيحه حتى استوزره السلطان عبد العزيز كما قلناه وقام بوزارته أحسن قيام وأصبح محمد بن عثمان هذا رديفه وهلك السلطان عبد العزيز فنصب أبو بكر ابنه السعيد للملك صبيا لم يثغر وكان من انتقاض أمره وحصاره بالبلد الجديد واستيلاء السلطان أبي العباس عليه ماقدمناه قام محمد بن عثمان بوزارة السلطان أبي العباس مستبدا عليه ودفع اليه أمور ملكه وشغل بلذاته فقام محمد بن عثمان بوزارة السلطان أبي العباس من أمور الدولة ماعاناه حتى كان من استيلاء السلطان موسى على دار ملكهم مامر وانفض بنو مرين عنه للسلطان أبي العباس كما ذكرناه ورجع الى تازا فدخلها السلطان أبو العباس وفارقهم محمد بن عثمان الى ولي الدولة وترمار بن عريف وهو مقيم بتازا وتذمم له فنجهم له ونرمار وأعرض عنه فسار معدا الى أحياء المنبات من عرب المعقل كانوا

هنالك قبيلة تازا لتمة صحابة كانت بينه وبين شيخهم أحمد بن عبو فنزل عليه متذمما به فغادره وبعث بخبره الى السلطان فجهز اليه عسكرا مع المزوار عبد الواحد بن محمد بن عبو بن قاسم بن ورزوق بن يومريلت والحسن العوفي من الموالي فتبرأ منه العرب وأجلوه اليهم فحاؤا به وأشهروه يوم دخوله الى فاس واعتقل أياما وامتحن في سبيل المصادرة ثم استصفى ثم قتل ذبحا بمحبسه والله وارث الارض ومن عليها

(الخبر عن خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماسي اليه بالعساكر)

لما استقل السلطان موسى بملك المغرب وقام مسعود بن ماسي بوزارته مستبدا عليه وكان من تغريبهم السلطان أبا العباس الى الاندلس وقتلهم وزيره محمد بن عثمان وافتراق أشياع الوزير محمد بن عثمان وقرابته وبطانته فطلبوا بطن الارض ولحق منهم ابن أخيه العباس بن المقداد بتونس فوجد هنالك الحسن بن الناصر ابن السلطان أبي علي قد لحق بها من مقره بالاندلس في سبيل طلب الملك فداخله ورأى في الرجوع به الى المغرب لطلب الامر هنالك فخرج به من تونس وقطع المفاوز والمشاق الى أن انتهى الى جبل غمارة ونزل على أهل الصفيحة منهم فأكرموا مثواه وتقبله وأعلنوا بالقيام بدعوته واستوزر العباس بن المقداد وبلغ الخبر الى مسعود بن ماسي فجهز العساكر مع أخيه مهدي بن ماسي فحاصره بجبل الصفيحة أياما وامتنع عليهم فتجهز الوزير مسعود بن ماسي بالعساكر من دار الملك وسار لحصاره ثم رجع من طريقه لما بلغه من وفاة السلطان بعده والله أعلم

(وفاة السلطان موسى والبيعة للمنتصر ابن السلطان أبي العباس)

كان السلطان موسى لما استقل بملك المغرب استنكف من استبداد ابن ماسي عليه وداخل بطانته في الفتك به وأكثر ما كان يفاوض في ذلك كاتبه وخالصته محمد ابن كاتب أبيه وخالصته محمد بن أبي عمر وكان للسلطان موسى ندمان يطلعهم على الكثير من أموره منهم العباس بن عمر بن عثمان الوسناني وكان الوزير مسعود بن ماسي قد خلف أباه عمر على أمه وربي في حجره فكان يدلي اليه بذلك وينهي اليه ما يدور في مجلس السلطان في شأنه فحصلت للوزير بذلك نفرة طلب لاجلها البعد عن السلطان وبادر للخروج لمدافعة الحسن القائم بغمارة واستخلف على دار الملك أخاه يعيش بن رحو بن ماسي فلما استوى الى القصر الكبير لحقه الخبر بوفاة السلطان موسى وكانت وفاته في جمادى الاخرى طرقه المرض فهلك ليوم وليلة لثلاث سنين من خلافته وكان الناس يرمون يعيش أخا الوزير بأنه سمه وبادر يعيش فنصب ابن عمه للملك وهو المنتصر ابن السلطان أبي

العباس وانكفأ راجعا الوزير مسعود من القصر وقتل السبيع محمد بن موسى من طبقة الوزراء وقد مر ذكره وذكر قومه وكان اعتقله أيام السلطان موسى فقتله بعد وفاته واستمرت الدولة في استقلاله والله أعلم

(اجازة الواثق محمد بن أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن من الاندلس والبيعة له)

كان الوزير مسعود بن ماسي لما استوحش من السلطان موسى بعث ابنه يحيى وعبد الواحد المزوار الى السلطان ابن الاحمر يسأل منه اعادة السلطان أبي العباس الى ملكه فأخرجه ابن الاحمر من الاعتقال وجاء به الى جبل الفتح يروم اجازته الى العدوة فلما توفي السلطان موسى بدا للوزير مسعود في أمره ودس للسلطان ابن الاحمر في رده وأن يبعث اليه بالواثق محمد بن أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن من القرابة المقيمين عنده ورآه أليق بالاستبداد والحجر فأسعفه ابن الاحمر في ذلك ورد السلطان أحمد الى مكانه بالحمراء وجاء بالواثق فحضر بجبل الفتح عنده وفي خلال ذلك وصل جماعة من أهل الدولة وانتقضوا على الوزير مسعود ولحقوا بسبتة وأجازوا الى السلطان ابن الاحمر وهم يعيش ابن علي بن فارس وسيور بن يحيى بن عمر الونكاسني واحمد بن محمد الصبيحي فوفد اليهم الواثق ورجعوا به الى المغرب على أنهم في خدمة الوزير حتى اذا انتهوا الى جبل زرهون واعتصموا بجبلهم ولحق بهم من كان على مثل دينهم من الخلاف على ابن ماسي وصاروا معهم يدا مثل طلحة بن الزبير الورتاجني وسيور بن يحياتن بن عمر الونكاسني ومحمد التونسي من بني أبي الطلاق وفارح بن مهدي من معلوجي السلطان وأصله من موالي بني زيان ملوك تلمسان وكان أحمد بن محمد الصبيحي حين جاء مع الواثق قد استطال على أصحابه وأظهر الاستبداد بما كان من طائفة الجند المستخدمين فغص به أهل الدولة وتبرؤا منه للسلطان الواثق فأظهر لهم البراءة منه فوثبوا به وقتلوه عند خيمة السلطان وتولى كبر ذلك يعيش بن علي بن فارس اليابانى كبير بني مرين فذهب مثلا في الغابرين ولم تبك عليه سماء ولا أرض وكان رزق بن يوفريات من موالي بني علي بن زيان من شيوخ بني ونكاسن من أعيان الدولة ومقدمي الجند قد انتقض على الدولة أيام السلطان موسى ولحق بأحياء أولاد حسين من عرب المعقل المخالفين منذ أيام السلطان موسى ونزل على شيخهم يوسف بن علي بن غانم لذمة صحابة بينهما من جوارهم في المواطن وكان معه في ذلك محمد بن يوسف بن علال كان أبوه يوسف من صنائع السلطان أبي الحسن ونشأ محمد في دولته استوحشا من الوزير فلحقا بالعرب لما جاء هذا السلطان الواثق قدما عليه فلقيهما بالتكرمة وأحلهما في مقامهما من الدولة وخرج الوزير مسعود بن ماسي في العساكر ونزل قبالتهم بجبل مغيلة وقاتلهم هنالك أياما وداخل الذين مع

الواثق واستمالهم و بعث عسكرا الى مكناسة فحاصروها وكان بها يومئذ عبد الحق بن الحسن بن يوسف الورتاجنى فاستنزلهم منها وملكها وترددت المراسلات بينه وبين الواثق وأصحابه على أن ينصبوه للامر و يبعث بالمنتصر المنصوب عنده الى أبيه السلطان أبى العباس بالاندلس وقبض على جماعة ممن كان مع الواثق مثل المزوار عبد الواحد وقتله وعلى فارح بن مهدى وحبسه وعلى الطبيب ولى الامير عبد الرحمن وامتحنه وعلى آخرين سواهم ثم قبض على جماعة من بطانة السلطان موسى كانوا يداخلونه فى القبض والستائر بخبسهم وقتل بعضهم وعلى جند الاندلس الذين جاؤا مددا للواثق وعلى قوادهم من معلوجى ابن الاحمر فأودعهم السجن ثم تقبض على كاتب السلطان موسى بن أبى الفضل بن ابى عمر مرجعه من السفارة عن سلطانه الى الاندلس فاعتقله وصادره ثم خلى سبيله ثم بعث الى الحسن بن الناصر الثائر بجبل الصفيحة من غمارة مع ادريس بن موسى بن يوسف اليابانى فخادعه باستدعائه للملك والبيعة له فخدعه واستنزله وجاء به فاعتقله أياما ثم أجازه للاندلس واستقر الامر على ذلك والله أعلم

(الفتنة بين الوزير ابن ماسى وبين السلطان ابن الاحمر واجازة السلطان أبى العباس الى سبتة لطلب ملكه واستيلاؤه عليها)

لما بلغ الوزير ابن ماسى للواثق ورأى أنه قد استقل بالدولة ودفع عنها الشواغب وصرف نظره الى ما فرط من أعمال الدولة وافتتح أمره بسبتة وقد كان السلطان موسى لاول اجازته أعطاها لابن الاحمر كما مر فبعث اليه الآن الوزير ابن ماسى فى ارتجاعها منه على سبيل الملاطفة فاستشاط لها ابن الاحمر ولج فى الرد فنشأت الفتنة لذلك وجهز ابن ماسى العساكر لحصار سبتة مع العباس بن عمر بن عثمان الوسنافى ويحيى بن علال بن أمصمود والرئيس محمد بن أحمد الابكم من بنى الاحمر ثم من بيت السلطان الشيخ فاتح أمرهم وعهدوا ثم وراسل السلطان اشبيلية والجلالقة من بنى أدفونش وراء البحر بأن يبعث اليهم ابن عم السلطان ابن الاحمر محمد بن اسمعيل مع الرئيس الابكم ليجلبا من ناحيته على الاندلس وجاءت عساكر الوزير الى سبتة فحاصروها ودخلوها عنوة واعتصم حامية الاندلس الذين كانوا بها بالقصبة واتصلت الجولة بين الفريقين وسط البلد وأوقد أهل القصبة النيران بالجبل علامة على أمرهم ليراها ابن الاحمر وكان مقيما بمالقة فبادر بتجهيز الاسطول مشحونا بالمقاتلة مددا لهم ثم استدعى السلطان أبو العباس من مكانه بالحمراء واركبه السفين الى القصبة فى غرة صفر سنة تسع وثمانين وأشرف عليهم من الغد وناداهم من السور يدعوهم الى طاعته فلما رأوه اضطربوا وافترقوا وخرج اليهم فنهب سوادهم ودخلوا فى طاعته متسايلين ورجع جمهور العسكر

ومقدموهم الى طنجة واستولى السلطان على مدينة سبتة وبعث اليه ابن الاحمر بالنزول عنها وردها اليه فاستقرت فى ملكه وكملت بها بيعته وكان يوليه أمر الاضياف الواردين والله تعالى أعلم

{مسير السلطان أبى العباس من سبتة لطلب ملكه بفاس ونهوض ابن ماسى لدفاعه ورجوعه منهزما}

ولما استولى السلطان أبو العباس على سبتة وتم له ملكها واعتزم على المسير لطلب ملكه بفاس وأغراه ابن الاحمر بذلك ووعده بالمدد لما كان من مداخلة ابن ماسى لجماعة من بطانته فى أن يقتلوه ويملكوا الرئيس الابكم يقال ان الذى داخله فى ذلك من بطانة ابن الاحمر يوسف بن مسعود البلنسى ومحمد بن الوزير أبى القاسم بن الحكيم الرندى وشعر بهم السلطان ابن الاحمر وهو يومئذ على جبل الفتح يطالع أمور السلطان أبى العباس فقتلهم جميعا واخوانهم ويقال ان ذلك كان بسعاية القائم على دولته مولاه خالد كان يغص بهم ويعاديهم فأخفى عليهم هذه وتمت سعايته بهم فاستشاط ابن الاحمر غضبا على ابن ماسى وبعث الى السلطان أبى العباس يستنفره للرحلة الى طلب ملكه فاستخلف على سبتة رحو بن الزعيم المكرودى عاملها من قبل كامروسار الى طنجة وعاملها من قبل الواثق صالح بن رحو اليابانى ومعه بها الرئيس الابكم من قبل العساكر فحاصرها أياما وامتنعت عليه فجمر عنها الكتائب وسار عنها الى أصيلا فدخلت فى دعوته وملكها ونهض الوزير من فاس فى العساكر بعد أن استخلف أخاه يعيش على دار الملك وسار ولحقت مقدمته بأصيلا ففارقها السلطان أبو العباس وصعد الى جبل الصفيحة فاعتصم به وجاء الوزير ابن ماسى فتقدم الى حصاره بالجبل وجمع عليه رماة الرجل من الاندلسيين الذين كانوا بطنجة وأقام يحاصره بالصفيحة شهرين وكان يوسف بن على بن غانم شيخ أولاد حسين من عرب المعقل مخالفا على الوزير مسعود وداعية الى السلطان أبى العباس وشيعة له وكان يراسل ابن الاحمر فى شأنه فلما سمع باستيلائه على سبتة واقباله الى فاس جمع أشياعه من العرب ودخل فى طاعته الى بلاد المغرب ما بين فاس ومكناسة وشن الغارات على البسائط واكتسحها وأرجف الرعايا وأجفلوا الى الحصون وكان ونزمار بن عريف ولى الدولة شيعة للسلطان وكان يكاتبه وهو بالاندلس ويكاتب ابن الاحمر بشأنه فلما اشتد الحصار بالسلطان فى الصفيحة بعث ابنه أبا فارس الى ونزمار بمكانه من نواحى تازا وبعث معه سعود بن يحياتن بن عمر فقام ونزمار بدعوته وسار به الى مدينة تازا وعاملها سليمان العودودى من قرابة الوزير ابن ماسى فلما نزل بها أبو فارس ابن السلطان

بادر الى طاعته وأمكنه من البلد واستوزر سليمان هذا وسار الى صفروا ومعه ونزمار للاجتماع بعرب المعقل وأسفهم الى حصار فاس وكان محمد بن آلدغة عاملا على ورغة فبعث اليه السلطان عسكرا مع العباس بن المقداد ابن أخت الوزير محمد بن عثمان فقتلوه وجاؤا برأسه ونجم الخلاف على يعيش بالبلد الجديد من كل جهة وطير الخبر بذلك كله الى أخيه بمكانه من حصار السلطان بالصفيحة فانفضت عنه العساكر وأجفل راجعا الى فاس وسار السلطان فى أتباعه ودخل فى طاعته عامل مكناسة وجاء الخبر بوصول الامير عبد الرحمن ولقيه يوسف بن على بن غانم ومن معه من احياء العرب وساروا جميعا الى فاس وكان أبو فارس ابن السلطان قد رحل من تازا الى صفروا للقاء أبيه فاعترضه ابن ماسى فى العساكر رجاء أن يغلبه ولقيه بنى بهلول فرجع أهل المعسكر الى أبى فارس ابن السلطان وهو بمكناسة فارتحل يغذ السير الى فاس وسار ابنه أبو فارس لقائه فى وادى النجا وصحبوا البلد الجديد فنزلوا عليه بجموعهم وقد اعتصم به الوزير فى أوليائه وبطانته ومعه يغمراسن بن محمد السالني ومراهن بنى مرين الذين استرهنهم عند مسيره للقاء السلطان أصيلا والله أعلم

* (ظهور دعوة السلطان أبى العباس فى مراكش واستيلاء أوليائه عليها) *

كان الوزير مسعود بن ماسى قد ولى على مراكش وأعمال المصامدة أخاه عمر بن رحو وكانت منتظمة فى طاعته فلما بلغ الخبر بوصول السلطان الى سبتة واستيلائه عليها قامت رؤس أوليائه الى اظهار دعوته بتلك النواحى فقام بدعوته بجبل الهساكرة على ابن زكريا وبعث الوزير مسعود من مكانه فى حصار السلطان بالصفيحة فى امداده بالعساكر من مراكش فزحف اليه مخلوف بن سليمان الوارثى صاحب الاعمال ما بين مراكش والسوس وقعد الباقون عن نصره وتفرقوا وصعد أبو ثابت مائدة على بن عمر الى جبل الهساكرة ومعه يوسف بن يعقوب بن على الصبيحى فاستمد على بن زكريا ورجع الى مراكش مجلبا على على بن رحو بها وكتب للسلطان بذلك وهو بمكناسة متوجها الى فاس فكتب اليه بأن يصل بعساكر مراكش لحصار دار الملك فجمع العساكر واستخلف على قصبة مراكش بعض بنى عمه ولحق بالسلطان وأقام معه فى حصار البلد الجديد والله أعلم

* (ولاية المنتصر بن السلطان أبى على على مراكش واستقلاله بها) *

كان السلطان أبو العباس حين ملك المغرب بعث ابنه المنتصر فى البحر الى سلا واستوزر له عبد الحق بن يوسف الورتاجنى وأقام ومن معه رزوق بن توفر يطت راجعا من ذكالة حين نزول السلطان على البلد الجديد فتلطف فى استدعائه ثم قبض عليه وبعث

بولاية مقيدا وأودعه السجن وقتل بعد ذلك بمحبسه ثم بعث السلطان الى ابنه المنتصر بولاية مراكش وأن يصير اليها فلما وصل الى مراكش امتنع النائب بالقصبة فدس لعبد الحق وزير المنتصر أن النائب قد هم بقتله وحينئذ يمكن المنتصر من القصبة فأجفل بالمنتصر وصعد الى جبل هنتانة وطير بالخبر الى السلطان فتغير لابى ثابت وأمره أن يكاتب نائبه بتمكين ابنه من القصبة واستوزر له سعيد بن عبدون وبعثه بالكتاب وعزل عبد الحق عن وزارة ابنه واستدعاه لفاس فوصل سعيد بن عبدون الى مراكش ودفع الى النائب بالقصبة كتاب مستخلفه الى الامتثال وأمكنه من القصبة واعتزل عنها فدخلها وبعث عن المنتصر بن السلطان واستولوا عليها وقبضوا على نائب عامر الذى كان بها وسائر شيعته وبطانته وامتحنوهم واستصفوهم الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

*(حصار البلد الجديد وفتحها ونكبة الوزير ابن ماسى ومقتله)

لما نزل السلطان على البلد الجديد واجتمع اليه سائر قبيله وأوليائه وبطانته داخل الوزير مسعود الحنق على بنى مرين لا تباذهم عنه فأمر بقتل أبنائهم الذين استرهنوهم على الوفاء له فلاطفه يعمراسن السالفى فى المنع من ذلك فأقصر عنه وضيق السلطان مخنقه بالحصار ثلاثة أشهر حتى دعا الى النزول والطاعة فبعث اليه ولى الدولة وترمار بن عريف وخالصته محمد بن علال فعقد لهم الامان لنفسه ولمن معه على أن يستمر على الوزارة ويبعث بسلطانه الواثق الى الاندلس واستحلفهم على ذلك وخرج معهم للسلطان فدخل السلطان البلد الجديد خامس رمضان سنة تسع وثمانين لثلاثة أعوام وأربعة أشهر من خلعه ولحين دخوله قبض على الواثق وبعث به معتقلا الى طنجة وقتل بها بعد ذلك ولما استولى على أمره قبض على الوزير ابن ماسى ليومين من دخوله واخوته وحاشيته وامتحنهم جميعا فهلكوا فى العذاب ثم سلط على مسعود من العذاب والانتقام ما لا يعبر عنه ونقم عليه ما فعله فى دور بنى مرين النازعين الى السلطان فانه متى كان هرب عنه أحد منهم يعمد الى بيوته فيهدمها فأمر السلطان بعقابه فى أطلالها فكان يؤتى به الى كل بيت منها فيضرب عشرين سوطا الى أن قتله العذاب وتجاوز الحد ثم أمر به فقطعت أربعته فهلك عند قطع الثانية فذهب مثلا فى الآخرين

(وزارة محمد بن علال)

كان أبوه يوسف بن علال من رؤساء الدولة وصنائعة السلطان أبى الحسن وربى فى داره ولما تخم أمره سما به الى ولاية الاعمال فولاه على درعة فانتزى وانتخب أولياء الدولة ثم ولاه السلطان أبو عنان أمر طنجة ومائدته وضيوفه واستكفى به فى ذلك

وولاه أخوه أبو سالم بعده كذلك ثم بعثه الى سجلماسة فعانى بها من أمور العرب مشقة وعزله عنها وشاب بفاس وكان له جماعة من الولد قد نشؤا فى ظل هذه النعمة وحذبت النجابة بمحمد المذكور منهم فلما استولى السلطان أبو العباس استعمله فى أمور الصنوف والمائدة كما كانت لابيه ثم رقاه الى الخالصة وخلطه بنفسه فلما خلع السلطان واستولى الوزير ابن ماسى على المغرب وكانت بينه وبين أخيه يعيش بن ماسى احن قديمة فسكن لصولتهم حتى اذا اضطرمت نار الفتنة بالمغرب وأجلبت عرب المعقل الخلاف فاستوحش محمد هذا فلحق باحيائهم مع رزوق ابن توفريطت كما مر ذكره ونزل على يوسف بن على بن غانم شيخ أولاد حسين وأقام معه فى خلافه حتى اذا أجاز السلطان الواثق الى الاندلس ووصل مع أصحابه الى جبل زرهون وأظهروا الخلاف على ابن ماسى بدر محمد هذا ورزوق الى السلطان ودخلا فى طاعته متبرئين من النفاق الذى حملهم عليه عداوة الوزير بما كان الى أن انعقد الصلح بين الواثق وابن ماسى وسار به وأصحابه الى فاس وحصلوا فى قبضة ابن ماسى فعفا لهم عما كان منهم وا ... فى مهود ولايتهم ثم جاء الخبر باجازة السلطان أبى العباس الى سبتة فاضطرب محمد بن يوسف وذكر مخالصة السلطان ومشافرة ابن ماسى فأجمع أمره ولحق بسبتة فتلقاه السلطان بالكرامة وسر بقدومه ودفعه الى القيام بأمر دولته فلم يزل متصرفا بين يديه الى أن نزل الى البلد الجديد ولأيام من حصارها خلع عليه الوزارة ودفعه اليها فقام بها أحسن قيام ثم كان الفتح وانتظم أمر الدولة ومحمد هذا يصرف الولاية على أحسن أحوالها الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ظهور محمد بن السلطان عبد الحليم بسجلماسة)

قد تقدم لنا ذكر السلطان عبد الحليم ابن السلطان أبى على وكان يدعى بحلى وكيف بايع له بنو مرين وأجلبوا به على عمر بن عبد الله سنة ثلاث وستين أيام مبعثه للسلطان أبى عمر ابن السلطان أبى الحسن وحاصروا معه البلد الجديد حتى خرج لدفاعهم وقاتلهم فانهزموا وافترقوا ولحق السلطان عبد الحليم بتازا وأخوه عبد المؤمن بمكناسة ومعه ابن أخيهما عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ثم بايع الوزير عمر بن عبد الله لمحمد بن أبى عبد الرحمن بن السلطان أبى الحسن واستبدل به من أبى عمر ولما كان بنو مرين يرمونه بالجنون والوسوسة فاستدعى محمد بن أبى عبد الرحمن من مطرح اغترابه باشبيلية وبايعه وخرج فى العساكر لمدافعة عبد المؤمن وعبد الرحمن عن مكناسة فلقيهما وهزمهما ولحقا بالسلطان عبد الحليم بتازا وساروا جميعا الى سجلماسة فاستقروا فيها والسلطان عبد الحليم وقد تقدم خبر ذلك كله فى أماكنه ثم كان الخلاف بين عرب المعقل أولاد

حسين

حسين والاحلاف وخرج عبد المؤمن للاصلاح بينهم فبايع له أولاد حسين ونصبوه كرها للملك وخرج السلطان عبد الحق اليهم في جموع الاحلاف فقاتلوه وهزموه وقتلوا كبار قومه كان منهم يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى شيخ بنى تيربيعن وكبير دولة بنى مرين أجلت المعركة عن قتله ودخل عبد المؤمن البلد منفردا بالملك وصرف السلطان أخاه عبد الحليم الى المشرق لقضاء فرضه برغبته في ذلك فسار على طريق القفر مسلك الحاج من التكرور الى أن وصل القاهرة والمستبد بها يومئذ يلبغا الخاصكى على الاشرف شعبان بن حسين من أسباط الملك الناصر محمد بن قلاوون فأكرم وفادته ووسع نزله وجرايته وأدر لحاشيته الارزاق ثم أعانه على طريقه للحج بالازواد والابنية والظهور من الكراع والخف ولما انصرف من حجه اسفر المغرب وهلك بفروجة سنة سبع وستين ورجع حاشيته الى المغرب بحرمه وولده وكان ترك محمدا هذا رضيعا فشب متقلبا من الدولة من ملك الى آخر منتبذا عن قومه بغيرة السلطان أبى الحسن من بنى عمهم السلطان أبى على وكان أكبر ما يكون مقامه عند أبى حمو سلطان بنى عبد الواد بتلمسان لما يروم به من الاجلاب على المغرب ودفع عادية بنى مرين عنه فلما وقع بالمغرب من انتقاض عرب المعقل على الوزير مسعود بن ماسى سنة تسع وثمانين واستمروا على الخلاف انتهز أبو حمو الفرصة وبعث محمد بن عبد الحليم هذا الى المعقل ليجلب بهم على المغرب ويعزوا من الملك ما قدروا عليه فلحق بأحيائهم ونزل على الاحلاف الذين هم أمس رحما بسجلماسة وأقرب موطنا بها وكان الوزير ابن ماسى قد ولى عليها من أقاربه على بن ابراهيم بن عبو بن ماسى فلما ضيق عليه السلطان أبو العباس رضيق مخنقه بالبلد الجديد دس الى الاحلاف والى قريبه على بن ابراهيم أن ينصب محمد بن السلطان عبد الحليم ويملكه سجلماسة ويجلب به على تخوم المغرب ليأخذ بحجزة السلطان أبى العباس عنه وينفسوا من حصاره ففعلوا ذلك ودخل محمد الى سجلماسة فملكها وقام على بن ابراهيم بوزارته حتى اذا استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد وفتك بالوزير مسعود بن ماسى وباخوته وسائر قرابته اضطرب على بن ابراهيم وفسد ما بينه وبين سلطانه محمد فخرج عن سجلماسة ودعا الى أبى حمو سلطان تلمسان كما كان ثم زاد هو ارتيابه فخرج عن سجلماسة وتركها ولحق بأحياء العرب وسارت طائفة منهم معه الى أن أبلغوه مأمنه ونزل على السلطان أبى حمو الى أن هلك فسار الى تونس وحضر وفاة السلطان أبى العباس بها سنة تسع وتسعين ولحق محمد ابن السلطان عبد الحليم بعد مهلك أبى حمو بتونس ثم ارتحل بعد وفاة السلطان ابى العباس الى المشرق لحجة فرضه والله تعالى أعلم

ناقص بالاصل

(نكبة ابن أبي عمرو مهلكه وحركات ابن حسون)

لما استقل السلطان بملكه واقتعد سريره صرف نظره الى أولياء تلك الدولة ومن يرتاب منه وكان محمد بن أبي عمر قد تقدم ذكره وأوليته من جملة خواصه وأوليائه وندمائه وكان السلطان يتسم له من عنايته وجميل نظره ويرفعه عن نظرائه فلما ولي السلطان موسى ترغب اليه بوازع الخالصة لأبيه من السلطان أبي عنان فقد كان أبوه أعز بطانته كما مر فاستخلصه السلطان موسى للشورى وزدمه على منابر أهل الدولة وجعل اليه كتاب علامته على المراسم السلطانية كما كان لأبيه وكان يفاوضه في مهماته ويرجع اليه في أموره حتى غص به أهل الدولة ونماعنه للوزير مسعود بن ماسي أنه يداخل السلطان في نكبته وربما سعى عند سلطانه في جماعة من بطانة السلطان أحمد فأتى عليهم النكال والقتل لكلمات كانت تجري بينهم وبينه في مجالسة المنادمة عند السلطان حقدها لهم فلما ظفر بالحظ من سلطانه سعى بهم فقتلهم وكان القاضي أبو اسحق البرنامي من بطانة السلطان أحمد وكان يحضر مع ندمائه فحقدله ابن أبي عامر وأغرى به سلطانه فضربه وأطافه وجابها شنعاء غريبة في القبح وبقر عن سلطانه الى الاندلس وكان يحضر مجالس السلطان أحمد ومكان اعتناله وربما يلقاه فلايلم اليه ولايجيبه ولايوجب له حقاً فأحفظ ذلك السلطان ولما فرغ من ابن ماسي قبض على ابن أبي عمر هذا وأودعه السجن ثم امتحنه بعد ذلك الى أن هلك بالسياط وحمل الى داره وبينما أهله يحضرونه الى قبره واذا بالسلطان قد أمر بأن يسحب بنواحي البلد ابلاغا في السكيل فحمل من نعشه وقد ربط حبل برجله وسحب في انر المدينة ثم ألقي في بعض المزابل ثم قبض على حركات ابن حسون وكان مجدا في الفتنة وكان العرب المخالفون من المعقل لما أجاز السلطان الى سبتة وحركات هذا بتادلا راودوه على طاعة السلطان فامتنع أولا ثم أكرهوه وجاؤا به الى السلطان فطوى على ذلك حتى استقام أمره وملك البلد الجديد فقبض عليه وامتحنه الى أن هلك والله وارث الارض ومن عليها .

(خلاف علي بن زكريا بجبل الهساكرة ونكبته)

لما ملك السلطان البلد الجديد واستولى على ملكه وفد عليه علي بن زكريا شيخ هسكورة مستصفيا بما قدم من سوابقه وقد كان حضر معه حصار البلد الجديد واستدعاه بجاه بقومه وعساكر المصامدة على عادة الدولة في ذلك ثم وفد معه محمد بن ابراهيم المزاري من شيوخ المصامدة وكانت له ذمة صهر مع الوزير محمد بن يوسف بن علال علي أخته فولاه السلطان مكان علي بن زكريا فغضب لها واستشاط وبادر الى الانتقاض والخلاف ونصب بعض القرابة من بني عبد الحق فجهز اليه السلطان العساكر مع محمد بن

يوسف

يوسف بن علال وصالح بن حمو الياباني وأمر صاحب درعة وهو يومئذ عمر بن عبد المؤمن بن عمر أن ينهض اليه بعساكر درعة من جهة القبلة فساروا اليه وحاصروه في جبله وحاولوه مرات ينهزم في جميعها حتى غلبوه على جبله وسار الى ابراهيم بن عمران الصناكي المجاور له في جبله فاستذم به وخشي ابراهيم معرة الخلاف والغلب ورغبه الوزير محمد بن يوسف بما بذل له فأمكنه منه وقبض على الوزير وجاء به الى فاس فأدخله في يوم مشهود وشهره واعتقل فلم يزل في الاعتقال الى أن هلك السلطان أبو العباس وارتاب به أهل الدولة بعده فقتلوه كما نذكره ان شاء الله تعالى

(وفادة أبي تاشفين على السلطان أبي العباس صريخا على أبيه ومسيره بالعساكر ومقتل أبيه السلطان أبي حمو)

كان أبو تاشفين ابن السلطان أبي حمو قد وثب على أبيه آخر ثمان وثمانين وسبعمائة لغيره من اخوته واعتقله بوهران وخرج بالعساكر لطلب اخوته المنتصر وأبي زيان وعمر فامتنعوا عند حصن بجبل تيطرى فحاصرهم أياما ثم تذكر غائلة أبيه فبعث ابنه أبا زيان في جماعة من بطانته منهم ابن الوزير عمران وعبد الله بن جابر الخراساني فقتلوا بعض ولده بتلمسان ومضوا اليه وهو بمحبسه في وهران فلما شعر بهم أشرف من الحصن ونادى في أهل المدينة متذمما بهم فهرعوا اليه وتدلى اليهم في عمامته وقد احتزم بها فأنزلوه وأحدقوا به وأجلسوه على سريره وتولى كبر ذلك خطيب البلد ابن حذورة ولحق أبو زيان بن أبي تاشفين ناجيا الى تلمسان واتبعه السلطان أبو حمو ففر منها الى أبيه ودخل أبو حمو تلمسان وهي طال وأسوارها خراب فأقام فيها رسم دولته وبلغ الخبر الى أبي تاشفين فأجفل من تيطرى وأغذ السير فدخلها واعتصم أبوه بمئذنة المسجد فاستنزله منها وتجافى عن قتله ورغب اليه أبوه في رحلة الشرق لقضاء فرضه فأسعفه وأركبه السفين مع بعض تجار النصارى الى الاسكندرية موكلا به فلما حاذى مرسى بجاية لاطف النصراني في تخلية سبيله فأسعفه وملك أمره وبعث الى صاحب الامر ببجاية يستأذنه في النزول فأذن له وسار منها الى الجزائر واستخدم العرب واستصعب عليه أمر تلمسان فخرج الى الصحراء وجاء الى تلمسان من جهة المغرب فهزم عساكر ابنه تاشفين وملكها وخرج أبو تاشفين هاربا منها فلحق بأحياء السويد في مشاتيهم ودخل أبو حمو تلمسان في رجب سنة تسع وسبعمائة وقد تقدم شرح هذه الاخبار مستوعبا ثم وفد أبو تاشفين مع محمد بن عريف شيخ سويد على السلطان أبي العباس صريخا على أبيه ومؤملا الكرة بامداده فبعث له السلطان وأجمل عليه المواعد وقام أبو تاشفين في انتظارها والوزير محمد ابن يوسف بن علال يعده ويمنيه ويحلف له على

الوفاة وبعث السلطان أبو حمو الى ابن الاحمر لما يعلم من استطالته على دولة بنى مرين كما يتوصل اليه فى أن يتجشم عن صريخ أبى تاشفين وامداده فخلا ابن الاحمر فى ذلك وجعلها من أهم حاجاته وخاطب السلطان أبا العباس فى أن يجيز اليه أبا تاشفين فتعلل عليه فى ذلك بأنه استجار بابنه أبى فارس واستذم به ولم يزل الوزير ابن علال يفتل لسلطانه ولابن الاحمر فى الذروة والغارب حتى تم أمره وأنجزله السلطان بالنظر وعده وبعث ابنه الامير أبا فارس والوزير ابن علال فى العساكر صريخين له واتهوا الى تازا وبلغ الخبر الى أبى حمو فخرج من تلمسان فى عساكره واستألف أولياءه من عبيد الله ونزل بالغيران من وراء جبل بنى راشد الطالع على تلمسان وأقام هنالك متحصنا بالجبل وجاءت العيون الى عساكر بنى مرين بتازا بمكانه دون اعرابه من الغيران فأجمعوا غزوه وسار الوزير ابن علال وأبو تاشفين وسلكوا القفر ودليلهم سليمان بن ناجى من الاحلاف حتى صبحوا أبا حمو ومن معه من أحياء الخراج فى مكانهم بالغيران فجاولوهم ساعة ثم ولوا منهزمين وكبا بالسلطان أبى حمو فرسه فسقط وأدركه بعض أصحاب أبى تاشفين فقتلوه قعصا بالرماح وجاؤا برأسه الى ابنه أبى تاشفين والوزير ابن علال فبعثوا به الى السلطان وجىء بابنه عمير اسيرا فهم أخوه أبو تاشفين بقتله فمنعه بنو مرين أياما ثم أمكنوه منه فقتله ودخل تلمسان آخر احدى وتسعين وخيم الوزير وعساكر بنى مرين بظاهر البلد حتى دفع اليهم ما شارطهم عليه من المال ثم قفلوا الى المغرب وأقام أبو تاشفين بتلمسان يقيم دعوة السلطان أبى العباس صاحب المغرب ويخطب له على منابر تلمسان وأعمالها ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما اشترط على نفسه وكان أبو حمو لما ملك تلمسان ولى ابنه أبا زيان على الجزائر فلما بلغه مقتل أبيه امتنع ولحق بأحياء حصين ناجيا وسريحا وجاءه وفد بنى عامر من زغبة يدعونه للملك فسار اليهم وقام بدعوته شيخهم المسعود بن صغير ونهضوا جميعا الى تلمسان فى رجب سنة ثنتين وتسعين فحاصرها أياما ثم سرب أبو تاشفين المال فى العرب فافترقوا عن أبى زيان وخرج اليه أبو تاشفين فهزمه فى شعبان من السنة ولحق بالصحراء واستألف أحياء المعقل وعاود حصار تلمسان فى شوال وبعث أبو تاشفين ابنه صريخا الى المغرب فجاءه بمدد من العساكر ولما انتهى الى تاوريرت أفرج أبو زيان عن تلمسان وأجفل الى الصحراء ثم أجمع رأيه على الوفادة الى صاحب المغرب فوفد عليه صريخا فتلقاه وبر مقدمه ووعده النصر من عدوه وأقام هنالك الى مهلك أبى تاشفين والله أعلم

(وفاة أبى تاشفين واستيلاء صاحب المغرب على تلمسان)

لم يزل هذا الامير أبو تاشفين مملكا على تلمسان ومقيما فيها الدعوة صاحب المغرب أبى العباس ابن السلطان أبى سالم ومؤديا الضريبة التى فرضها عليه منذ ملك وأخوه الامير أبو زيان عند صاحب المغرب ينتظر وعده بالنصر عليه حتى تغير السلطان أبو العباس على أبى تاشفين فى بعض النزغات الملوكية فأجاب داعى أبى زيان وجهزه بالعساكر الى تلمسان فسار اذلك منتصف سنة خمس وتسعين وانتهى الى تازا وكان أبو تاشفين قد طرقه مرض أزمن به ثم ذلك منه فى رمضان من السنة وكان القائم بدولته أحمد بن العز من صنائعهم وكان فولى بعده مكانه صبيا من أبنائه وأقام بكفالته وكان يوسف بن أبى حمو وهو ابن الزابية واليا على الجزائر من قبل أبى تاشفين فلما بلغه الخبر أغذ السير مع العرب فدخل تلمسان وقتل أحمد بن العز والصبى المكفول ابن أخيه أبى تاشفين فلما بلغ الخبر الى السلطان أبى العباس صاحب المغرب خرج الى تازا وبعث من هنالك ابنه أبا فارس فى العساكر ورد أبا زيان بن أبى حمو الى فاس ووكل به وسار ابنه أبو فارس الى تلمسان فملكها وأقام فيها دعوة أبيه وتقدم وزير أبيه صالح بن أبى حمو الى مليانة فملكها وما بعدها من الجزائر وتدلس الى حدود بجاية واعتصم يوسف بن الزابية بحصن تاجموت وأقام الوزير صالح يحاصره وانقرضت دعوة بنى عبد الواد من المغرب الاوسط والله غالب على أمره

وفاة أبى العباس صاحب المغرب واستيلاء أبى زيان بن أبى حمو على تلمسان والمغرب الاوسط

كان السلطان أبو العباس بن أبى سالم لما وصل الى تازا وبعث ابنه أبا فارس الى تلمسان فملكها وأقام هو بتازا يشارف أحوال ابنه ووزيره صالح الذى تقدم لفتح البلاد الشرقية وكان يوسف بن على بن غانم أمير أولاد حسين من المعقل قد حج سنة ثلاث وتسعين واتصل بملك مصر من الترك الملك الظاهر برقوق وتقدمت الى السلطان فيه وأخبرته بمحله من قومه فأكرم تلقيه وحمل بعد قضاء حجه هدية الى صاحب المغرب يطرفه فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك فلما قدم يوسف بها على السلطان أبى العباس أعظم موقعها وجلس فى مجلس حفل لعرضها والمباهاة بها وشرع فى المكافأة عليها بتخير الجياد والبضائع والثياب حتى استكمل من ذلك مارضيه واعتزم على انفاذها مع يوسف بن على حاملها الاول وانه يرسله من تازا أيام مقامته تلك فطرقه هنالك مرض كان فيه حتفه فى محرم سنة ست وتسعين واستدعوا ابنه أبا فارس من تلمسان فبايعوه بتازا وولوه مكانه ورجعوا به الى فاس وأطلقوا أبا زيان بن أبى حمو من الاعتقال وبعثوا به الى تلمسان أميرا عليها وقائما بدعوة السلطان أبى فارس فيها

بياض بالاصل

فسار اليها وملكها وكان أخوه يوسف بن الزابية قد اتصل بأحياء بنى عامر يروم ملك
تلمسان والاجلاب عليها فبعث اليهم أبو زيان عندما بلغه ذلك وبذل لهم عطاء جزيلا
على أن يبعثوا به اليه فأبوا الى ذلك وأسلموه الى ثقات أبي زيان وساروا به فاعترضهم
بعض أحياء العرب ليستنقذوه منهم فبادروا بقتله وحملوا رأسه الى اخيه أبى زيان
فسكنت أحواله وذهبت الفتنة بذهابه واستقامت أمور دولته وهم على ذلك لهذا
العهد والله غالب على أمره وهو على كل شئ قدير

السلطان ابو العباس احمد بن ابي سالم ابراهيم بن ابي الحسن علي بن ابي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق

ابو فارس

ابو عمر

محمد بن عبد الواحد

محمد بن ابي مالك

يعيش

ابو يحيى

العباس

زيان

ابو عياد

عبد الله

رحو

ادريس

المنتصر

ابو الفضل

موسى بن ابي عنان

السعيد بن عبد العزيز

الواثق بن الفضل

عبد الرحمن بن علي بن ابي يفلوسن

منصور بن ابي العباس

الناصر

عبد الحليم

عبد المؤمن

تاشفين بن ابي مالك عبد الواحد

منصور بن سليمان بن منصور

عيسى

ابو الربيع

ابو ثابت بن ابي عامر بن ابي يعقوب يوسف

عبد الله العجوب

محمد احلند

عمر بن منديل

يحيى

محمد

عثمان

اخيهم ورتطين

{الخبر عن القرابة المرشحين من آل عبد الحق من الغزاة المجاهدين}
{بالاندلس الذين ناهموا ابن الاحمر في ملكه وانفردوا برياسة جهاده}

كانت الجزيرة الاندلسية وراء البحر منذ انقراض أمر بني عبد المؤمن وقيام ابن الاحمر بأمرها قليلة الحامية ضعيفة الاحوال الامن يلهمه الله لعمل الجهاد من قبائل زناتة المؤملين كرة الملك والمتنحين عمالك المغرب وخصوصا بني مرين أهل المغرب الاقصى لاتصال عدوة الاندلس بسائطه ولتعدد الفراض بحر الزقاق القريب العدوتين ومازال أهل الزقاق على قديم الزمان لاجل ذلك فرضة دون سواحل المغرب (ولما استولى) بنو مرين على عمالكه وضاقت أحوال المسلمين بالاندلس وأخذ بمخنقهم الطاغية حتى ألجأهم الى سيف البحر واستأثر بالقوسرة وماوراءها واستأثر بنو القمص أهل برشلونة وقطلوسة بشرق الاندلس وانتشر في الاقطار ما كان من أمر قرطبة وأختها اشبيلية وبلنسية وامتعض لذلك المسلمون وتنافسوا في الجهاد وامدادا الاندلس بأموالهم وأنفسهم وسابق الناس الى ذلك الامير أبو زكريا بن أبي حفص بما كان صاحب الوقت والمؤمل للكرة فاستنفذ الكثير من أمواله ومقربانه في امدادهم بعد ان كانوا آثروا التيام بدعوته وأوفدوا عليه المشيخة ببيعتهم وكان ليعقوب بن عبد الحق أمل في الجهاد وحرص عليه فاعتز في سلطان أخيه أبي يحيى على الاجازة لذلك فمنعه ضنة به عن الاغتراب عنه وأوعز الى صاحب سبتة يومئذ أبي علي بن خلاص بمنعه منها فوعرله السبيل وسد عليه المذاهب ولم ينشب يعقوب بن عبد الحق أن قام بسلطان المغرب بعد أخيه أبي يحيى وشانه وأهمه شأن ابن أخيه ادريس بن عبد الحق لما كان فيهم من الترشيح والمنافسة لبنيه واستأذنه عامر بن ادريس منهم في الجهاد بعد العدوة فاغتنمها منة وعقد له من مطوعة زناتة على ثلاثة آلاف أو يزيدون وأجاز معه رحو ابن عمه ابن عبد الله بن عبد الحق وفصلوا الى الاندلس سنة احدى وستين فحسنت آثارهم في الجهاد وكرمت مقاماتهم ثم رجع عامر ابن ادريس الى المغرب وكثرا انتقاض القرابة ونافسهم أقيال زناتة في مثلها فاجتمع أبناء الملوك بالمغرب الاوسط مثل عبد الملك يغمراسن بن زيان وعامر بن منديل بن عبد الرحمن وزيان بن محمد بن عبد القوى فتعاقدوا على الاجازة الى الاندلس الى الجهاد وأجازوا فيمن خف معهم من قومهم سنة ست وسبعين وستمائة فامتلأت الاندلس بأقيال زناتة وأعياص الملك منهم وكان فيمن أجاز من أعياصهم بنو عيسى بن يحيى بن وسناف بن عبو بن أبي بكر بن حمامة ومنهم سليمان وابراهيم وكانت لهما آثار في الجهاد ومقامات محمودة وكان موسى بن رحو لما نازله السلطان وبني أبيه عبد الله بن عبد الحق

بحصن علودان ونزلوا على عهده لحق بتلمسان وكان بنو عبد الله بن عبد الحق وادريس ابن عبد الحق عصبة من بين سائرهم لان عبد الله وادريس كانا شقيقين لسوط النساء بنت عبد الحق فاقتفى أبو يعقوب بن عبد الحق بن عبد الله محمد ابن عمه ادريس وخرج على السلطان بقصر كتامة سنة ثلاث وستين ثم استرضاه عمه واستنزله وبقى يعقوب بن عبد الله فى انتقاضه ينتقل فى الجهات الى أن قتله طلحة بن محلى من أولياء السلطان سنة ثلاث وستين بجهات سلا فكفى السلطان شأنه ولما كان من عهد السلطان لابنه أبى مالك ماقدمناه نفس عليه هؤلاء القرابة هذا الشأن فانتقضوا ولحق ابن ادريس بحصن علودان ولحق موسى بن رحو بن عبد الله بجبال غمارة ومعه أولاد عمه أبى عياد بن عبد الحق ونازلهم السلطان حتى نزلوا على عهده وأجازهم الى الاندلس سنة سبعين فأقاموا بها للجهاد سوقا ونافسهم أقيال زناتة فى مثلها بتلمسان وأجازتها الى الاندلس سنة سبعين فولاه السلطان ابن الاحمر على جميع الغزاة المجاهدين هنالك لما كان كبيرهم ومحل سؤلهم ولم يلبث ان عاد الى المغرب فولى السلطان مكانه أخاه عبد الحق ثم رجع عنه مغاضبا الى تلمسان فولى مكانه على الغزاة المجاهدين ابراهيم بن عيسى بن يحيى بن وسناف الى أن كان مانذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن موسى بن رحو فاتح هذه الرياسة بالاندلس وخبر أخيه عبد الحق من بعده وابنه حمو بن عبد الحق بعدهما

لما هلك السلطان الشيخ بن الاحمر وولى ابنه السلطان الفقيه ووفد على السلطان يعقوب ابن عبد الحق صريخا للمسلمين فأجاز اليه أول اجازته سنة ثلاث وسبعين وأوقع بجيوش النصرانية وقتل الزعيم ذننه واستولى له الغلب على الاندلس وبدا لابن الاحمر فى أمره وخشى مغبته وتوقع أن يكون شأنه معه شأن يوسف بن تاشفين والمرابطين مع ابن عباد وكان بالاندلس قرابته بنو شقيلولة قد قاسموه فى ممالكها وانفردوا بوادى آش ومالقة وقمارش حسبما ذكرناه فى أخباره مع السلطان وانتقض عليه أيضا من رؤساء الاندلس ابن عبد ريل وابن الدليل فكانوا يجلبون على بلاد المسلمين وكانوا قد استنجدوا جيوش النصرانية ونازلوا غرناطة وعاثوا فى الجهات فلما استوت قدم السلطان يعقوب بن عبد الحق بالاندلس وصل هؤلاء الثوار به أيديهم فخشيهم ابن الاحمر جميعا على نفسه وقلب السلطان ليوسف ظهر المجن واستظهر عليه بالاعياص من قرابته وكان هؤلاء القرابة من أولاد رحو بن عبد الله بن عبد الحق وادريس بن عبد الحق وينسبون جميعا الى سوط النساء كما ذكرناه ومن أولاد أبى عياد بن عبد الحق اما أوجسوا الخيفة من السلطان واستشعروا النكير منه لحقوا بالاندلس تورية بالجهاد وانتبذوا عن الهول

فرارا من محله وقد كان السلطان أبو يوسف حين انتقضوا عليه اشخصهم الى الاندلس
فاجتمع منهم عند ابن الاحمر عصابة من أولاد عبد الحق كما قلناه وأولاد وسناف وأولاد
برول وتاشفين بن معطى كبير بنى تيربيعن من بنى محمد وتبعهم أولاد محلى اخوال السلطان
أبي يوسف وكان ابن الاحمر كثيرا ما يعقد لهم على الغزاة المجاهدين من زناتة لدار
الحرب فعقد أولا لموسى بن رحو سنة ثلاث وسبعين ولاخيه عبد الحق بعد انصرافه
الى المغرب ثم لابراهيم بن عيسى بعد انصرافهما معا كما قلناه ثم رجع فعقد لموسى بن
رحو ثانية على أشياخه وأثبت له قدما فى الرياسة ليحسن به دفاع السلطان أبى يوسف
عنهم ثم تداولت الامارة فيهم ما بينهم وبين عمومتهم وربما عقد قبل ذلك أزمان الفترة
ليعلى بن أبى عياد بن عبد الحق فى بعض الغزوات ولتاشفين بن معطى فى أخرى سنة
تسع وسبعين ومعه طلحة بن محلى فاعترضوا الطاغية دون حصر المسلمين وربما كان
لهم الظهور ثم حدثت الفتنة بينه وبين السلطان أبى تاشفين وعقد ابن الاحمر فى بعض
حروبه معه ليعلى بن أبى عياد على زناتة جميعا وحاشهم الى رايته فانفضت جموع أبى
يوسف وظهروا عليه وتقبضوا فى المعركة على ابنه منديل واستاقوه أسيرا الى أن
أطلقه السلطان ابن الاحمر فى سلم عقده بعد مهلكه مع أبيه يوسف بن يعقوب واستبد
موسى بن رحو من بعدها بامارة الغزاة بالاندلس الى أن هلك فوليها من بعده أخوه عبد
الحق الى أن هلك سنة تسع وسبعين وكان مظفر الراية على عدو المسلمين ولما هلك
ولى من بعده ابنه حمو بن عبد الحق فكانت هذه الامارة متصلة فى بنى رحو الى أن
انتقلت منهم الى اخوانهم من بنى أبى العلاء وغيرهم واندرج حمو فى جملة عثمان
ابن ابى العلاء من بعد حسبما نذكر وأما ابراهيم بن عيسى الوسنافى فانه رجع الى
المغرب ونزل على يوسف بن يعقوب وقتل بمكانه من حصار تلمسان بعد حين من الدهر
وبعد أن كبر وعمى والله مالك الامور لا رب غيره وكان مهلك ابن أبى عياد سنة
سبع وثمانين ومعطى بن أبى تاشفين سنة تسع وثمانين وطلحة بن محلى سنة ست وثمانين
والله أعلم

(الخبر عن عبد الحق بن عثمان شيخ الغزاة بالاندلس)

كان عبد الحق هذا من أعياص الملك المرينى وهو من ولد محمد بن عبد الحق ثانى الامراء
على بنى مرين بعد ابيهم عبد الحق وهلك أبوه عثمان بن محمد بالاندلس احدى أيام الجهاد
سنة تسع وسبعين وربى عبد الحق هذا فى حجر السلطان يوسف بن يعقوب الى أن كان من
أمر خروجه مع الوزير رحو بن يعقوب على السلطان أبى الربيع ما ذكرناه فى أخباره
ولحق بتلمسان وأجاز منها الى الاندلس وسلطانه يومئذ أبو الجيوش ابن السلطان

الفقيه وشيخ زناتة حمو بن عبد الحق بن رحو وخاطبهم السلطان أبو سعيد ملك المغرب في اعتقاله فأجابوه وفر من محبسه ولحق بدار الحرب ولما انتقض أبو الوليد بن الرئيس أبي سعيد وبايع لنفسه بمالقة وزحف الى غرناطة فنازلها ووقعت الحرب بظاهرها بين الفريقين وأخذ في بعض حروبهم حمو بن عبد الحق أسيرا وسيق الى السلطان أبي الوليد وكان معه عمه أبو العباس بن رحو فأبى من اسار ابن أخيه وخلاعنه فرجع الى سلطانه فارتاب به لذلك وعقد على الغزاة مكانه لعبد الحق بن عثمان استدعاه من مكانه بدار الحرب ثم غلبهم أبو الوليد على غرناطة وتحول أبو الجيوش على وادي آش على سلم انعقد بينهم وسار معه عبد الحق بن عثمان على شأنه ثم وقعت بينه وبين أبي الجيوش مغاضبة لحق لاجلها بالطاغية وأجاز الى سبتة فاستظهر به أبو يحيى بن أبي طالب العزفي أيام حصار السلطان أبي سعيد اياه فكان له في حماية ثغره والدفاع عنه آثار مذكورة ثم عقد السلطان أبو سعيد السلم ليحيى العزفي وأفرج عنه فارتحل عبد الحق بن عثمان الى افريقية ونزل بجاية سنة تسع عشرة على أبي عبد الرحمن بن عمر صاحب السلطان أبي يحيى المستبد بالثغور الغربية فأكرم نزله وأوسع قراره وضرب له الفساطيط بالزينة من ساحة البلد استبلاغا في تكريمه وحمله وأصحابه على مائة وخمسين من الخيل ثم أقدمهم على السلطان بتونس فبر مقدمهم وخلط عبد الحق بنفسه وآثره بالحلل والصحابة وأجله بمكان الاستظهار به وبعصابته ولما عقد السلطان لمحمد بن سيد الناس على حجابته سنة سبع وعشرين واستقدمه لذلك من ثغر بجاية كما ذكرناه عظمت رياسته واستغلظ حجابه وحجب عبد الحق ذات يوم عن بابه فسخطها وذهب مغاضبا وداخل أبا فارس في الخروج على أخيه فأجابه وخرج به من تونس فكان من خبرهم ومقتل أبي فارس وخلوص عبد الحق الى تلمسان ونزوله على أبي تاشفين وغزوه الى افريقية مع عساكر بني عبد الواد سنة سبع وعشرين ما ذكرناه في أخبار الدولة الحفصية ثم لما رجع بنو عبد الواد الى تلمسان صمد مولانا السلطان أبو يحيى الى تونس في أخريات سنته وفر ابن أبي عمران السلطان المنصوب بتونس من بني أبي حفص الى أحياء العرب وتقبض على ابن رزيق ابن أخي عبد الحق بن عثمان في جملة من أصحابه فقتله قعصا بالرماح ورجع عبد الحق بن عثمان الى مكانه من تلمسان فأقام بمثواه عند أبي تاشفين متبوئا من الكرامة والاعتزاز الى أن هلك بهلك أبي تاشفين يوم اقتحم السلطان أبو الحسن تلمسان عليهم سنة سبع وثلاثين وقتلوا جميعا عند قصر الملك أبو تاشفين وابناء عثمان ومسعود وحاجبه موسى بن علي ونزيله عبد الحق هذا وأبو ثابت ابن أخيه فقطعت رؤسهم وتركت أشلاؤهم بساحة القصر عبرة للمعتبرين حسبما ذكرناه في أخبار

أبي تاشفين والله أعلم

(الخبر عن عثمان بن أبي العلاء من أمراء الغزاة المجاهدين بالاندلس)

كان أولاد دسوط النساء من ولد عبد الحق أهل عصابة واعتزاز على قومهم وهم أولاد ادريس وعبد الله ابني الشقيقين كما ذكرناه وكان مهلك ادريس الاكبر يوم مهلك أبيه بتافرطت ومهلك عبد الله قبله وخلف عبد الله ثلاثة من الولد تشعب فيهم نسله رحو يعقوب ورحو وادريس واستعمل أبو يحيى بن عبد الحق يعقوب منهم على سلا عند افتتاحه اياها سنة تسع وأربعين ثم انتزى بها بعد ذلك على عمه يعقوب سنة ثمان وخمسين وكان من شأن ثورة النصارى به ما ذكرناه واستخلصها يعقوب بن عبد الحق ولحق يعقوب بن عبد الله بعلودان من بلاد غمارة وامتنع بها وخرج على أثره ابنا عمه ادريس وهما عامر ومحمد وانتزوا بالقصر الكبير ولحق بهم كافة أولاد دسوط النساء وطالبهم السلطان فلحقوا بجبال غمارة ونازلهم ثم استنزلهم بعد ذلك على الامان وعقد لعامر على الغزو الى الاندلس سنة ستين كما ذكرناه وأجاز معه رحو بن عبد الله ورجع محمد بن عامر ورحو الى تلمسان سنة ثمانين وأجاز منها الى الاندلس ثم خرجوا على السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة تسع وثمانين ومعهم ولد أبي عياد بن عبد الحق واعتصموا بعلودان واستنزلهم السلطان على اللحاق بتلمسان فلحقوا بها وأجاز أولاد دسوط النساء وأولاد أبي عياد كافة الى الاندلس واستقروا بها يومئذ ورجع عامر منهم ومحمد وكان من خبره ما ذكر وهلك يعقوب بن عبد الله سنة ثمان وستين في اغترابه بقفوله من رباط الفتح قتله طلحة بن علي واستقر بنوه من أولاد دسوط النساء بالمغرب وكان ابنه أبو ثابت أميرا على بلاد السوس أيام السلطان يوسف بن يعقوب وأوقع بالركبة سنة تسع وتسعين ولم يزل بنوه بالمغرب من يومئذ وكان من اخوته أبي العلاء ورحو بن عبد الله بن عبد الحق تشعب نسله فيهما وأجاز رحو الى الاندلس مع عامر ومحمد ابن عمه ادريس ثم أجاز بموسى ابنه سنة تسع وتسعين مع أولاد أبي عياد وأولاد دسوط النساء ثم رجع الى محله من الدولة وتربا بها سنة خمس وسبعين الى تلمسان وأجاز منها الى الاندلس واستقر بها وأجاز أولاد أبي العلاء سنة خمس وثمانين مع أولاد أبي يحيى بن عبد الحق وأولاد عثمان بن عبد الحق واستقروا بالاندلس وكانوا يرجعون في رياستهم لكبيرهم عبد الله بن أبي العلاء وعقد له ابن الاحمر على الغزاة من زناتة فيمن كان يعقد لهم من زناته قبل استقرار المنصب الى أن هلك شهيدا في احدى غزوات سنة ثلاث وتسعين وعقد المخلوع ابن الاحمر لابنه عثمان بن أبي العلاء على حامية مالقة وغربها من الغزاة لنظر ابن عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر ولما غدر الرئيس أبو سعيد بسبتة سنة خمس وتملك

في مثلها الحيلة واضطرمت نار العداوة بينه وبين صاحب المغرب نصبوا عثمان هذا للامر وأجازوه الى غمارة فثار بهم ودعا لنفسه وتغلب على أصيلا والعرائش وكان ما ذكرنا الى أن غلبه أبو الربيع سنة ثمانين ورجع الى مكانه بالاندلس ولما اعتزم أبو الوليد ابن الرئيس أبي سعيد على الخروج على أبي الجيوش صاحب غرناطة داخل في ذلك شيخ الغزاة بمالقة عثمان بن ابي العلاء فساعده عليه واعتقل أباه الرئيس أبا سعيد وزحف الى غرناطة سنة أربع عشرة فلما استولى عليها اعتقد لعثمان هذا على امارة الغزاة المجاهدين من زناتة وصرف عنها عثمان بن عبد الحق بن عثمان فلحق بوادي اش مع أبي الجيوش وصار حمو بن عبد الحق بن رحو في جملته بعد أن كان شيخا على الغزاة كما قدمناه واستمرت أيام ولاية عثمان هذا وبعد فيها صيته وغص صاحب المغرب أبو سعيد بمكانه ولما استصرخه المسلمون للجهاد سنة ثمان عشرة اعتذر بمكان عثمان هذا واشترط عليهم القبض عليه حتى يرجع عنهم فلم يتمكن ذلك ونازل الطاغية غرناطة وحاصرها وكان لعثمان وبنيه في ذلك آثار مذكورة وأتاح الله للمسلمين في النصرانية على يد عثمان هذا وبنيه ما لم يخطر على قلب أحد منهم فتأكد اغتباط الدولة والمسلمين بمكانهم الى أن هلك أبو الوليد سنة خمس وعشرين وسبعمائة باغتيال بعض الرؤساء من قرابته بعداخله عثمان هذا زعموا في غدره ونصب للامر ابنه محمد صبيا لم يبلغ الحلم وأقام بأمره وزيره محمد بن المحروق من صنائع دولتهم فاستبد عليه وأبى زمام الدولة بيد عثمان في النقض والابرام فاعتز عليهم وقاسمهم في الامر واستأثر في أعطيات الغزاة بكثير من أموال الجباية حتى خشي الوزير على الدولة وأدار الرأي في تكبره على التغلب وفسد ما بينه وبين الوزير ابن المحروق فانتقض عليه وخرج مغاضبا فاضطربت فساطيطه بمرج غرناطة واعصوصب جماعة الغزاة من قبائل زناتة عليه واعتصم الوزير وأهل الدولة بالحمراء وسعى الناس بينهما أياما وأدار الوزير الرأي في أن ينصب له كفؤا من قرابته يجاذبه الحبل ويشغله بشأنه عن الدولة فجاء بيحيى بن عمر بن رحو وكان في جملة عثمان وأصهر اليه في ابنته وعقد له على الغزاة وتسايلوا اليه وبرز عثمان بعسكره في عشيره وولده وأخذ معه السلم في أن يجيز الى المغرب وأوفد بطانته على السلطان أبي سعيد سنة ثمان وعشرين وارتحل من ساحة غرناطة في ألف فارس من ذويه وأقاربه وحشمه وقصد تدرش ليجعلها فرضة لمجازه حتى اذا حاذى تدرش وكان بينه وبين رؤسائها سيد اخله خرجوا اليه مؤذنين حق مبرته فغدر بهم وأركب اليها فملكها وضبطها وأنزل بها حرمه واثقاله ودعا محمد بن الرئيس من شلوبانية كان منزلا بها الجفاء

بياض في الاصل

اليه ونصبه للامر وشن الغارات على غرناطة صباحا ومساء واضطرمت نار الفتنة واستركب يحيى بن رحو من قبيل رعايه من زناتة وطالت الحرب سنين حتى اذا قتل السلطان محمد بن الاحمر بوزيره ابن المحروق استدعى عثمان بن أبي العلاء وعقد له السلم على أن يجيزه الى المغرب ويلحق بغرناطة لشأنه من رياسة الغزاة فتم ذلك سنة تسع وعشرين ورجع الى مكانه من الدولة وهلك اثر ذلك لسبع وثلاثين سنة من امارته على الغزاة والبقاء لله وحده

(الخبر عن رياسة ابنه أبي ثابت من بعده ومصير أمرهم)

لما هلك شيخ الغزاة ويعسوب زناتة عثمان بن أبي العلاء قام بأمره وقومه ابنه أبو ثابت عامر وعقد السلطان أبو عبد الله بن أبي الوليد له على الغزاة المجاهدين كما كان أبوه فعظم شأنه قوة وشكيمة وكثرة عصابة ونفوذ رأي وبسالة وكان لقومه اعتزاز على الدولة بما عجبوا من عودها وكانوا أولي بأس وقوة فيها واستبداد عليها وكان السلطان محمد بن أبي الوليد مستنكفا عن الاستبداد عليه في القل والكثر فكان كثيرا ما يحرقهم بتسفيه آرائهم والتضييق عليهم في جاههم ولما وفد على السلطان أبي الحسن سنة ثنتين وثلاثين صريخا على الطاغية واستمدى ابنه الامير أبا مالك لمنازلة جبل الفتح اتهموه بمداخلة السلطان أبي الحسن في شأنهم فتنكروا وأجمعوا الفتك به وداخلوا في ذلك بعض صنائعه ممن كان متربصا بالدولة ولما افتتح الجبل وكان من شأنه ما قدمنا ذكره وزحف الطاغية فأناخ عليه وتصدى ابن الاحمر للطاغية في بنيه راغبا أن يرجع الى المسلمين فرجع وافترقت عساكر المسلمين ارتحل السلطان ابن الاحمر الى غرناطة سنة ثلاث وثلاثين وقد قعدوا له بمرصد من طريقه ونمى الخبر اليه فدعا بأسطوله لركوب البحر الى مالقة واستبق اليهم الخبر بذلك فتبادروا اليه ولقوه بطريقه من ساحل اسطبونة فلاموه وعاتبوه في شأن صنيعته عاصم من معلوجيه وحاجبهم عنه فاعتوروا عاصما بالرماح فنكر ذلك عليهم فألحقوه به وخر صريعا عن مركوبه وبعثوا الى أخيه يوسف فأعطوه بيعتهم وصفقة أيمانهم ورجعوا به الى غرناطة وهو حذر منهم لفعلتهم التي فعلوا واستمرت الحال على ذلك ولما استكمل السلطان أبو الحسن فتح تلمسان وصرف عزائمه الى الجهاد داخل ابن الاحمر في ازعاجهم عن الاندلس مكان جهاده فصادف منه اسعافا وقبولا وتقبض على أبي ثابت واخوته ادريس ومنصور وسلطان وفر آخرهم سليمان فلحق بالطاغية وكان له يوم أثر في الايقاع بالمسلمين ولما تقبض ابن الاحمر على أبي ثابت واخوته أودعهم جميعا المطبق أياما ثم غربهم الى افريقية فنزلوا بتونس على مولانا السلطان أبي يحيى وأوعز اليه السلطان أبو الحسن بالتوثق منهم

ان يتصلوا بنواحي المغرب ويخالفوه اليه أيام شغله بالجهاد في الاندلس فاعتقلهم وارفد أبا محمد بن تافراكين الى سدة السلطان أبي الحسن اليه شفيعا فيهم فتقبل شفاعته وأحسن نزلهم وكراماتهم حتى اذا احتل بسبتة أيام حصار الجزيرة في سنة ثلاث وأربعين سعى بهم عنده فتقبض عليهم واعتقلهم بمكناسة ولما انتزى ابنه الامير أبو عنان على الامر وهزم منصورا ابن أخيه أبي مالك صاحب فاس ونازله بالبلد الجديد بعث فيهم الى مكناسة فأطلقهم من الاعتقال وأفاض فيهم الاحسان واستظهر على شأنه وأحل أبا ثابت محل الشورى من مجلسه وداخل ادريس أخاه في المكر بالبلد الجديد فنزع اليها ومكر بهم وثار عليهم الى أن نزلوا على حكم السلطان أبي عنان فعقد لابي ثابت على سبتة وبلاد الريف ليشارف منها الاندلس محل امارته وأطلق يده في المال والجيش ونصل اذلك نهلك بالطاعون يومئذ سنة تسع وأربعين بمعسكره ازاء معسكر السلطان من حصار البلد الجديد واستقر اخوانه في ايالة السلطان أبي عنان بالمغرب الاقصى الى أن كان من مفر أخيه ادريس وولايته على الغزاة بالاندلس ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن يحيى بن عمر بن رحو وامارته على الغزاة بالاندلس أولا وثانيا وبعد ذلك وتصاريفه

كان رحو بن عبد الله كبير ولد عبد الله بن عبد الحق وكان له بنون كثيرون وتشعب نسلهم منهم موسى وعبد الحق والعباس وعمر ومحمد وعلي ويوسف أجازوا كلهم الى الاندلس مع أولاد سوط النساء من تلمسان كما قدمناه وأقام عمر بعدهم بتلمسان مدة واتخذ بها الاهل والولد ثم لحقهم وولي موسى امارة الغزاة بعد ابراهيم بن عيسى الوسناني وبعده أخوه عبد الحق على الغزاة أقام بها مدة وأجاز الى سبتة مع الرئيس أبي سعيد وعثمان بن أبي العلاء سنة خمس وولي بعدها على الغزاة المجاهدين ثم رجع الى الاندلس ولم يلبث بها أن اجاز الى المغرب ونزل على السلطان أبي سعيد فأكرم نزله ثم رجع الى الاندلس ولما ولي امارة الغزاة عثمان بن أبي العلاء وكان بينهم من المنافسة ما يكون بين فحول الشول أشخص بني رحو جميعا الى افريقية فنزلوا على مولانا السلطان أبي يحيى خير نزل اصطناهم واستخلصهم واستظهر بجمعهم في حروبه وهلك عمر بن رحو ببلاد الجريد وقبره ببشرى من نفزاوة معروف ونزع ابنه يحيى من بين اخوته عن مولانا السلطان أبي يحيى وصار في جملة ابن أبي عمران ثم لحق بزواوة وأقام في بني يراتن سنين ثم أجاز الى الاندلس واستقر بمكانه من قومه واصطفاه عثمان بن أبي العلاء وأصهر اليه بابنته وخلطه بنفسه ولما فسد ما بينه وبين ابن المحروق وزير السلطان بغرناطة سنة

سبع وعشرين واعصوصب عليه الغزاة بمعسكره من مرج غرناطة ودس اليه يومئذ
ابن المحروق الى يحيى هذا ودعاه الى مكان عمه ليضبطه بذلك فأجاب ونزع عن عثمان
وقومه الى ابن المحروق وسلطانه وعقد له على الغزاة فتسايلوا اليه عن عثمان وانصرف
الى المرية وكان من شأنه ما قصصناه في أخباره وأقام يحيى بن عمر في رياسته الى أن هلك
ابن المحروق بنكبة سلطانه واستدعى عثمان بن أبي العلاء للرياسة فرجع اليها وصرف
يحيى بن عمر الى وادي آش وعقد له على الغزاة بها فأقام حينا ثم رجع الى مكانه بين
قومه واصطفاه عثمان بن أبي العلاء وابنه أبا ثابت لما كانت أمه بنت موسى بن رحو
فكان يتعصب لولايته فيه ثم هلك عثمان وكان ما قدمناه من شأن ولده وتمسكهم
بالسلطان المخلوع وتقبض أخوهم أبو الحجاج عليهم وأشخصهم الى افريقية وقوض
مباني رياستهم وعقد على الغزاة مكانهم ليحيى بن عمر هذا فاضطلع بأحسن اضطلاع
واستمرت حاله وحضر مشاهد أبي الحجاج مع السلطان أبي الحسن فظهرت كفايته وغناؤه
ولما هلك أبو الحجاج سنة خمس وخمسين طعينا بمصلى العيد في آخر سجدة من صلاته
بيد عبد من عبيد اصطبله مصاب في عقله أغرى زعموا به وقتل لحينه هبرا بالسيوف
وبويع لابنه محمد أخذ له البيعة على الناس يومئذ مولاه رضوان من معلوجاتهم
حاجب أبيه وعمه وقام بأمره واستبد عليه وحجره فقاسمه يحيى بن عمر هذا في شأنه وشاركه
في أمره وشد أزر سلطانه حتى اذا ثار بالحمراء الرئيس ابن عمهم محمد بن اسمعيل بن
الرئيس أبي سعيد فأقام دعوة اسمعيل بن أبي الحجاج أخي السلطان محمد كان ساكنا
بالحمراء وتحينوا لذلك مغيب السلطان في متنزهه بروضة خارج الحمراء فخالفوه اليها
وكبسوها ليلا فقتلوا الحاجب المستبد رضوان وأجلس السلطان على سرير ملكه
ونادوا بالناس الى بيعته ولما أصبح غدا عليهم يحيى بن عمر بعد أن يئسوا منه وخشوا
عاديته فآتاهم بيعته وأعطى عليها صفقته وانصرف الى منزله وبعد استيلائهم
استخلصوا ادريس بن عثمان بن أبي العلاء كان وصل اليهم من دار الحرب برشلونة
كما نذكره وولوه امارة الغزاة وائتمروا في القبض على يحيى بن عمر وشعر بذلك فركب في
حاشيته يؤم دار الحرب من أرض الجلالقة واتبعه ادريس فيمن اليه من قومه فقاتلوهم
صدر نهاره وفض جموعهم ثم خلص الى تخوم النصرانية ولحق منها بسدة ملك المغرب
اثر سلطانه المخلوع محمد بن أبي الحجاج وخلف ابنه أبا سعيد عثمان بدار الحرب ونزل
يومئذ على السلطان أبي سالم سنة احدى وستين فأكرم مثواه وأحله من مجلسه محل
الشورى والمؤامرة واستقر في جملته الى أن بعث ملك قشتالة في السلطان المخلوع
باشارة ابنه أبي سعيد وسعايته في ذلك ليجلب به على أهل الاندلس عاتقه وأمن عهده

وجهزه السلطان أبو سالم سنة ثلاث وستين فصحبه يحيى بن عمر هذا واقيهم ابنه أبو سعيد عثمان وقاموا بأمر سلطانهم واستولى على الاندلس وكان لهم آثار في ذلك ولما استولى على غرناطة سنة ثلاث وستين عقد ليحيى بن عمر على امارة الغزاة كما كان وأعلى يده واستخلص عثمان لشوراه وخلطه ببطانته ونافسه الوزير يومئذ محمد بن الخطيب فسعى فيهم وأغرى السلطان بهم فقبض عليهم سنة أربع وستين وأودعهم المطبق ثم أشخص يحيى سنة ست وستين الى المشرق وركب السفن من المرية فنزل بالاسكندرية ورجع منها الى المغرب ونزل على عمر بن عبد الله أيام استبداده واستقر في كرامة وخير مقامة ولم يزل بالمغرب على أعز الاحوال الى أن هلك سنة ثنتين وثمانين ثم استخلص ابنه أبا سعيد عثمان من الاعتقال سنة تسع وستين الى افريقية ونزل بجاية على مولانا السلطان أبي العباس فافدم مولانا السلطان أبي يحيى واستقر في جملته وحضر معه فتح تونس وأبلى فيه وأقطع له السلطان وأسنى له الجراية وخلطه بنفسه واصطفاه لشوراه وخلته وهو لهذا العهد من عظماء مجلسه ونظرائه في مقامات حروبه واخوته بالاندلس على مراكز عزهم وفي ظلال عصبيتهم مع قومهم وقد ذهب مواجد السلطان بالاندلس عليهم وصار الى جميل رأيه منهم والله مالك الملك ومقلب القلوب لارب غيره

(الخبر عن ادريس بن عثمان بن أبي العلاء وامارته بالاندلس ومصاير أمره)

لما هلك أبو ثابت بن عثمان بن أبي العلاء سنة خمسين وسبعمائة واستقر اخوته في جملة السلطان أبي عنان ملك المغرب وأقطعهم وأسنى جراياتهم وكان في ادريس منهم بقية الترشيح يراه الناس به فلما نهض السلطان الى فتح قسنطينة سنة ثمان وخمسين توغل في ديار افريقية وخام قومه عن مواقفها تحيلوا عليه في الرجوع به عن قصده منها وأذنت المشيخة لمن معهم من قومهم في الانطلاق الى المغرب حتى خف المعسكر من أهله وتآمروا وازعموا في اغتيال السلطان والادالة منه بادريس هذا ونذر بذلك فكر راجعا كما ذكرناه في أخباره ولما أشيع ذلك ركب ادريس ظهر الغدر وفر من العسكر ليلا ولحق بتونس ونزل على القائم بالدولة يومئذ الحاجب أبي محمد بن تافراكين خير نزل وأبره وركب السفين من تونس الى العدوة فنزل على ابن القمص صاحب برشلونة في حشمه وذويه وأقام هنالك الى ان كان من مهلك رضوان الحاجب المستبد بالاندلس سنة ستين ما قدمناه فنزع الى منبته من غرناطة ونزل على اسمعيل ابن السلطان أبي الحجاج والقائم بدولته يومئذ الرئيس محمد ابن عمه اسمعيل بن محمد الرئيس أبي سعيد فقوه مبرة وتنكر عياورجوه بالادالة به من يحيى بن عمر أمير الغزاة يومئذ لما كانوا يتهمونه به من ممالأة المخلوع صاحب الامر عليهم ولما نزع يحيى بن عمر الى الطاغية ولحق بدار الحرب

سنة احدى وستين عقدوا لادريس بن عثمان هذا على الغزاة مكانه وولوه خطة أبيه وأخيه بدولتهم فاضطلع بها وما لا الرئيس محمدا على قتل سلطانه اسمعيل بن الحجاج واستبد بالامر ولسنتين من ولايته غلبه المخلوع أبو عبد الله على الامر وزحف اليه من رندة كان نزل بها بعد خروجه من دار المغرب مغاضبا للطاغية وأذن له وزير المغرب عمر بن عبد الله في نزولها فدعا لهما ثم زحف الى الثائر بغرناطة على ملككهم الرئيس وحاشيته فأجفلوا ولحق الرئيس محمد بن ادريس هذا بقشتالة ونزلوا في جملتهم وحاشيتهم على الطاغية فتقبض عليهم وقتل الرئيس محمد وحاشيته جزاء بما أتوه من غدر رضوان ثم غدر السلطان اسمعيل من بعده وأودع ادريس ومن معه من الغزاة السجن باشبيلية فلم يزل في أسره الى أن تحيل في الفرار بداخلة مسلم من الاسرى أعدله فرسا ازاء معتقله ففك قيده ونقب البيت وامتطى فرسه ولحق بأرض المسلمين سنة ست وستين واتبعوه فأعجزهم وجاء الى السلطان أبي عبد الله محمد المخلوع فأكرم نزله وأحسن مهونته ثم استأذنه في اللحاق بالمغرب فأذن له وأجاز الى سبتة وبلغ شأنه الى صاحب الامر بالمغرب يومئذ عمر بن عبد الله فأوعز الى صاحب سبتة بالتقبض عليه لمكان ترشيحه وأودعه السجن بمكناسة ثم نقله السلطان عبد العزيز الى سجن الغدر بفاس ثم قتلوه حتفا سنة سبعين والله وارث الارض ومن عليها

• (الخبر عن امارة على بن بدر الدين على الغزاة بالاندلس ومصاير أمره) •

قد ذكرنا ان موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق كان أجاز الى الاندلس مع محمد وعامر ابني ادريس بن عبد الحق وقومهم أولاد سوط النساء سنة تسع وستين ثم رجع الى المغرب ونزل الى تلمسان وأجاز منها الى الاندلس وولي امارة الغزاة بها الى أن هلك بعد أن أصهر اليه السلطان يوسف بن يعقوب في ابنته فعقد له عليها وزفها اليه سنة تسع وسبعين مع وفد من قومها وكان لموسى بن رحو من الولد جماعة أكبرهم المحمدان جمال الدين وبدر الدين وضع عليهما هذين اللقبين على طريقة أهل المشرق الشريف المكي الوافد على المغرب أيام الملك الله بهدمن شرفا مكة وكان هؤلاء الاعياص من ملوكهم وأقيالهم يعظمون أهل البيت النبوي ويلتمسون الدعاء والبركة منهم فيما تيسر من أحوالهم فحمل موسى بن رحو ولديه هذين عند وضعهما الى الشريف يحنكهما ويدعو لهما فقال له الشريف خذ اليك جمال الدين وقال في الآخر خذ اليك بدر الدين فاستصحب موسى دعاءهما بهذين اللقبين تبركا بتسمية الشريف لهما فاشتهرا بهذين الاسمين ولما بلغا الاشد وشاركا أباهما في حمل الرياسة وكان من مهالكهما ما ذكرناه وانصرفت رياسة الغزاة عنهما الى عمهما عبد الحق وابنه فلحق جمال

الدين منهما بالطاغية سنة ثلاث. ثم أجاز البحر من قرطاجنة الى السلطان يوسف
ابن يعقوب من معسكره من حصار تلمسان واستقر في جملته حتى اذا هلك السلطان
تصدى ابنه أبو سالم للقيام بأمره وكان مغلبا ضعيفا فلم يتم أمره وتناول الملك
أبو ثابت حافد السلطان واستولى عليه وفر أبو سالم عشى مهلكه ومعه من
القرابة جمال الدين هذا وأعمامه العباس وعيسى وعلى بنو رحو بن عبد الله فتقبض
عليهم في طريقهم بعدوته وسيقوا الى السلطان أبى ثابت فقتل عمه أبا سالم وجمال الدين
ابن موسى بن رحو وامتن على الباقين واستحياهم وانصرف السلطان بعدها الى
الاندلس فكانت له في الجهاد آثار كما ذكرناه قبل وأما بدر الدين فلم يزل بالاندلس مع
قومه ومحله من الرياسة والتجلة محله من النسب الى أن هلك فقام بأمره من بعده ابنه
على بن بدر الدين مزاحما القوم في الرياسة مباهيا في الترشيح وكان كثيرا ما يعقد له ملوك
بني الاحمر على الغزاة من زناتة المرابطين بالثغور فيما بعد عن الحضرة من قواعد
الاندلس مثل مالقة والمرية ووادى آش سبيل المرشحين من أهل بيته وكانت امارة
الغزاة بالاندلس مستأثرة بأمر السيف مقاسمة للسلطان أكثر الجباية في الاعطية
والارزاق لما كانت الحاجة اليهم في مدافعة العدو ومقارعة ملك المغرب الى ذلك
الاندلس يغضون لهم عن استطالتهم عليهم لمكان حاجتهم الى دفاع العدوين حتى اذا
سكن ريح الطاغية بما كان من شغله بفتنة أهل دينه منذ منتصف هذه المائة وشغل
بنو مرين أيضا بعد مهلك السلطان أبى الحسن وتناسوا عهد الغلب على أقتالهم
وجيرانهم وتناسوا عهد ذلك أجمع فاعتزم صاحب الاندلس على محو هذه الخطة من دولته
وأغراه بذلك وزيره ابن الخطيب كما ذكرناه حرصا على خلاء الجو له فتقبض على يحيى
ابن عمر وبنيه سنة أربع وستين كما ذكرناه وعقد على الغزاة المجاهدين لابنه ولى عهده
الامير يوسف ومحا رسم الخطة لبنى مرين بالجملة الى أن توهم فناء الحامية منهم بفناء
بيوت العصبية الكبرى فراجع رأيه في ذلك وكان على بن بدر الدين خالصة له وكان مقدما
على الغزاة بوادى آش ولما لحق السلطان به ناجيا من النكبة ليلة مهلك رضوان
مانع دونه وظاهره على أمره حتى اذا ارتحل الى المغرب ارتحل معه ونزلوا جميعا على
السلطان أبى سالم سنة احدى وستين كما ذكرناه ولما رجع الى الاندلس رجع في جملته
فكان له بذلك عهد وذمة رعاهما السلطان له وكان يستخلصه ويناجيه فلما افتقد مكان
الامير على الغزاة ونظر من يوليه عثر اختياره على هذا السابقة ووسائله وما تولاه من
نعمه ووقوفه عند حده فعقد له سنة سبع وستين على الغزاة كما كان أولوه فقام بها
واضطلع بأمورها واستمرت حاله الى أن هلك حتف أنفه سنة ثمان وستين وبقى وجه

ربك ذو الجلال والاكرام

الخبر عن امارة عبد الرحمن بن على أبى يفلوسن ابن السلطان أبى على على الغزاة بالاندلس ومصاير أمره

كان أولاد السلطان أبى على قد أجازوا الى ان طلب الامر وكان من أمرهم ما شرحناه الى أن أجاز عبد الرحمن هذا مع وزيره المصادر به مسعود بن رحو بن ماسى سنة ست وستين من عساسة على سلم عقده لهم وزير المغرب المستبد بأمره يومئذ عمر بن عبد الله ونزل عبد الرحمن هذا بالمنكب وكان السلطان يومئذ معسكرا بها فتلقاه من البر بما يناسبه وأكرم منواه وأسنى الجراية له ولوزيره ولحاشيته واستقروا فى جملة الغزاة المجاهدين حتى اذا هلك على بن بدر الدين سنة ثمان وستين نظر السلطان فيمن يوليه أمرهم فعثر اختياره على عبد الرحمن هذا لما عرف به من البسالة والاقدام ولقرب الرشائح بينه وبين ملك المغرب يومئذ التى هى ملاك الترشيح لهذه الخطة بالاندلس كما قدمناه لما كانت رشائح ولد عبد الله بن عبد الحق قد بعدت باتصال الملك فى عمود نسب صاحب المغرب بدون نسبهم فآثره صاحب الاندلس بها وعقد له على الغزاة المجاهدين سنة ثمان وستين وأضفى عليه لبوس الكرامة والتجلة وأقعده بمجلس الموازرة كما كان الامراء قبله واتصل الخبر بسلطان المغرب يومئذ عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن فغص بمكانه وتوهم أن هذه الامارة زيادة فى ترشيحه ووسيلة لملكه وكانت لوزير الاندلس محمد بن الخطيب مداخلة مع صاحب المغرب بما أمل أن يجعله فئة لاعتصامه فأوعز اليه بالتحيل على افساد ما بينه وبين صاحب الاندلس فجهد فى ذلك جهده ونسب عليه وعلى وزيره مسعود بن ماسى الى عظماء القبيل وبعض البطانة من أهل الدولة التصب والدعوة الى الخروج على صاحب المغرب فأحضرهم السلطان ابن الاحمر وأعطاهم كتابهم فشم دعليهم وأمر بهم فاعتقلوا فى المطبق سنة سبعين واسترضى صاحب المغرب بفعله فيهم ونزع الوزير ابن الخطيب بعد ذلك الى السلطان عبد العزيز وتبين للسلطان مكره واحتياله عليه فى شأنهم ولما هلك عبد العزيز وأظلم الجو بين صاحب الاندلس وبين القائم بالدولة أبى بكر بن غازى واستعض ابن الاحمر للمسلمين من الفوضى اطلق عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ووزيره مسعود بن ماسى من الاعتقال وجهز لهما الاسطول فأجازوا فيه الى المغرب ونزلوا بمرسى عساسة على بطوية داعيا لنفسه فقاموا بأمره وكان من شأنه مع الوزير أبى بكر بن غازى ما قصصناه واستقر آخرا بمراكش وتقاسم ممالك المغرب وأعماله مع السلطان أبى العباس احمد بن أبى سالم صاحب المغرب لهذا العهد وصار التخم بينهما وادى ملوية وتقف كل واحد

منهما

منهما عندحده وأغفل صاحب الاندلس هذه الخطة من دولته ومحارسهما من ملكه وصار أمر الغزاة المجاهدين اليه وباشر أحوالهم بنفسه وعمهم بنظره وخص القرابة المرشحين منهم بمزيد تكرمته وعنايته والامر على ذلك لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين والله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء لارب غيره ولا معبود سواه

ادريس بن عثمان بن أبى العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق

أبو ثابت — محمد
أبو ابراهيم — ٧٩٦ [illegible]
عبد الله — على
أبو ثابت بن يعقوب — عمر بن يحيى بن عثمان — يحيى بن عمر بن عبد الحق
عامر بن ادريس — على بن بدر الدين بن محمد — يعقوب بن محمد بن الحسن بن عبد الحق
محمد — ادريس

(التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب)

أصل هذا البيت من اشبيلية انتقل عند الجلاء وغلب ملك الجلالقة ابن أدفونش عليها الى تونس فى أواسط المائة السابعة *(نسبه)* عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد ابن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون هذا الاذكر من نسبى الى خلدون غير هذه العشرة ويغلب على الظن أنهم أكثر وانه سقط مثلهم عددا لان خلدون هذا هو الداخل الى الاندلس فان كان أول الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمائة سنة فيكونون زهاء العشرين ثلاثة لكل مائة كما تقدم فى أول الكتاب الاول

ونسبنا فى حضرموت من عرب اليمن الى وائل بن حجر من اقيال العرب معروف وله صحبة قال أبو محمد بن حزم فى كتاب الجمهرة هو وائل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل ابن النعمان بن ربيعة بن الحرث بن عوف بن عدى بن مالك بن شرحبيل بن الحرث ابن مالك بن مرة بن حمير بن زيد بن الحضرمى بن عمرو بن عبد الله بن عوف بن جردم بن جرسم ابن عبد شمس بن زيد بن لؤى بن ثبت بن قدامة بن أعجب بن مالك بن لؤى بن قحطان وابنه علقمة بن وائل وعبد الجبار بن علقمة بن وائل وذكره أبو عمر بن عبد البر فى حرف الواو من الاستيعاب وأنه وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه وأجلسه عليه وقال اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده الى يوم القيامة وبعث معاوية بن أبى سفيان الى قومه يعلمهم الاسلام والقرآن فكان له بذلك صحابة مع معاوية ووفد عليه لاول خلافته فأجازه فرد عليه جائزته ولم يقبلها ولما كانت واقعة حجر بن عدى بالكوفة اجتمع رؤس أهل اليمن فيهم وائل هذا فكانوا مع زياد بن أبى سفيان عليه حتى أوثقوه وجاؤا به الى معاوية فقتله كما هو معروف وقال ابن حزم ويذكر بنو خلدون الاشبيليون من ولده وجدهم الداخل من المشرق خالد المعروف بخلدون بن عثمان بن هانئ بن الخطاب بن كريب بن معديكرب بن الحرث بن وائل بن حجر قال ابن حزم وأخوه محمد كان من عقبه أبو العاصى عمرو بن محمد بن خالد بن محمد بن خلدون وترك أبو العاصى محمدا وأحمد وعبد الله قال وأخوهم عثمان له عقب ومنهم الحكيم المشهور بالاندلس تلميذ مسلمة المجريطى وهو أبو مسلم عمر بن محمد بن تقى بن عبد الله بن أبى بكر بن خالد بن عثمان بن خلدون الداخل وابن عمه أحمد بن محمد بن عبد الله قال ولم يبق من ولد كريب الرئيس المذكور الا أبو الفضل بن محمد بن خلف بن أحمد بن عبد الله بن كريب انتهى كلام ابن حزم (سلفه بالاندلس) ولما دخل خلدون بن عثمان جدنا الى الاندلس نزل بقرمونة فى رهط من قومه حضرموت ونشأ بيت بنيه بها ثم انتقل الى اشبيلية وكانوا فى جند اليمن وكان لكريب من عقبه وأخيه خالد الثورة المعروفة باشبيلية أيام الامير عبد الله المروانى ثار على أبى عبدة وملكها من يده أعواما ثم ثار عليه عبد الله بن حجاج باملاء الامير عبد الله وقتله وذلك فى أواخر المائة الثالثة (وتلخيص الخبر عن ثورته) ما نقله ابن سعيد عن الحجارى وابن حيان وغيرهما وينقلونه عن ابن الاشعث مؤرخ اشبيلية أن الاندلس لما اضطرمت بالفتن أيام الامير عبد الله تطاول رؤساء اشبيلية الى الثورة والاستبداد وكان رؤساؤها المتطاولون الى ذلك فى ثلاثة بيوت بيت أبى عبدة ورئيسهم يومئذ أمية بن عبد الغافر بن أبى عبدة وكان عبد الرحمن الداخل ولى اشبيلية وأعمالها أبا عبدة وكان حافده أمية من أعلام الدولة بقرطبة ويولونه الممالك الضخمة

و بيت بنى خلدون ورئيسهم كريت المذكور ويردفه خالد أخوه قال ابن حيان و بيت بنى خلدون الى الآن فى اشبيلية نهاية فى النباهة ولم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية ثم بيت بنى حجاج ورئيسهم يومئذ عبد الله قال ابن حيان هو من لخم وبيتهم الى الآن فى اشبيلية ثابت الاصل ثابت الفرع موسوم بالرياسة السلطانية والعلمية فلما اعظمت الفتنة بالاندلس أعوام الثمانين ومائتين وكان الامير عبد الله قد ولى على اشبيلية أمية بن عبد الغافر وبعث معه ابنه محمدا و جعله فى كفالته فاجتمع هؤلاء النفر وثاروا بمحمد ابن الامير عبد الله و بأمية صاحبهم وهو يمالئهم على ذلك ويكيد بابن الامير عبد الله وحاصروه حتى طلب منهم اللحاق بأبيه فأخرجوه واستبد أمية باشبيلية ودس على عبد الله بن حجاج من قتله وأقام أخاه ابراهيم مكانه وضبط اشبيلية واسترهن أولاد بنى خلدون وبنى حجاج ثم ثاروا به وهم بقتل أبنائهم فراجعوا طاعته وحلفوا له فأطلق أبناءهم فانتقض ثانية وحاربوه فاستمات وقتل حرمه وعقر خيوله وأحرق موجوده وقاتلهم حتى قتلوه مقبلا غير مدبر وعاثت العامة فى رأسه وكتبوا الى الامير عبد الله بأنه خلع فقتلوه فقبل منهم مداراة وبعث عليهم هشام بن عبد الرحمن من قرابته فاستبدوا عليه وفتكوا بابنه وتولى كبر ذلك كريت بن خلدون واستقل بامارتها وكان ابراهيم بن حجاج بعد ما قتل أخوه عبد الله على ما ذكره ابن سعيد عن الحجازى سمت نفسه الى التفرد فصاهر ابن حفصون أعظم ثوار الاندلس يومئذ وكان بمالقة وأعمالها الى رندة فكان له منه ردء ثم انصرف الى مداراة كريت بن خلدون وملابسته فردفه فى أمره وأشركه فى سلطانه وكان فى كريت تحامل على الرعية وتعصيب فكان يتجهم لهم و يغلظ عليهم وابن حجاج يسلك بهم الرفق والتلطف فى الشفقة بهم عنده فانحرفوا عن كريت الى ابراهيم ثم دس الى الامير عبد الله يطلب منه الكتاب بولاية اشبيلية ليسكن اليه العامة فكتب اليه العهد بذلك وأطلع عليه عرفاء البلد مع ما أشربوا من حبه والنفرة عن كريت ثم أجمع الثورة وهاجت العامة بكريت فقتلوه وبعث برأسه الى الامير عبد الله واستقر بامارة اشبيلية قال ابن حيان وحصن مدينة قرمونة من أعظم معاقل الاندلس وجعلها مرتبطا لخيله وكان ينتقل بينها و بين اشبيلية واتخذ الجند ورتبهم طبقات وكان يصانع الامير عبد الله بالاموال والهدايا و يبعث اليه المدد فى الطوائف وكان مقصودا ممدحا قصده أهل البيوتات فوصلهم ومدحه الشعراء ومدحه أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد وقصده من بين سائر الثوار فعرف حقه وأعظم جائزته ولم يزل بيت بنى خلدون باشبيلية كما ذكره ابن حيان وابن حزم وغيرهما سائر أيام بنى أمية الى زمان الطوائف وأنمحت عنهم الامارة بما ذهب لهم من الشوكة ولما غلب ابن عباد على

اشبيلية واستبدّ على أهلها استوزر من بني خلدون هؤلاء واستعملهم في رتب دولته
وحضروا معه وقعة الزلاقة كانت لابن عباد وليوسف بن تاشفين على ملك الجلالقة
فاستشهد فيها طائفة من بني خلدون هؤلاء في الجولة مع ابن عباد فاستلحموا في ذلك
الموقف بما كان الظهور للمسلمين ونصرهم الله على عدوهم ثم تغلب يوسف بن تاشفين
والمرابطون على الاندلس واضمحلت قبائل العرب وفنيت قبائلهم * (سلفه بافريقية) *
ولما استولى الموحدون على الاندلس وملكوها من يد المرابطين وكان ملوكهم عبد
المؤمن وبنيه وكان الشيخ أبو حفص كبير هنتانة زعيم دولتهم وولوه على اشبيلية وغرب
الاندلس مرارا ثم ولوا ابنه عبد الواحد عليها في بعض أيامهم ثم ابنه أبا زكريا كذلك
فكان لسلفنا باشبيلية اتصال بهم وأهدى بعض أجدادنا من قبل الامهات ويعرف
بالمحتسب للامير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص أيام ولايته عليهم جارية من
سبي الجلالقة اتخذها أم ولد وكان له منها ابنه أبو زكريا يحيى ولي عهده الهالك في أيامه
وأخواه عمر وأبو بكر وكانت تلقب أم الخلفاء ثم انتقل الامير أبو زكريا الى ولاية
افريقية سنة عشرين وستمائة ودعا لنفسه بها وخلع دعوة بني عبد المؤمن سنة خمس
وعشرين واستبد بافريقية وانتقضت دولة الموحدين بالاندلس وثار عليهم ابن هود ثم
هلك واضطربت الاندلس وتكالبت الطاغية عليها وردد الغزو الى الفرنتيرة بسيط
قرطبة واشبيلية الى جيان وثار ابن الاحمر من غرب الاندلس من حصن أرجونة يرجو
التماسك بما بقي من الاندلس وفاوض أهل الشورى يومئذ باشبيلية وهم بنو الباجي وبنو
الجد وبنو الوزير وبنو سيد الناس وبنو خلدون وداخلهم في الثورة على ابن هود وأن
يتجافوا عن الطاغية عن الفرنتيرة ويتمسكوا بالجبال الساحلية وأمصارها المتوعرة من
مالقة الى غرناطة الى المرية فلم يوافقوه على بلادهم وكان مقدمهم أبو مروان الباجي
فنابذهم ابن الاحمر وخلع طاعة الباجي وبايع مرة لابن هود ومرة لصاحب مراكش من
بني عبد المؤمن ومرة للامير أبي زكريا صاحب افريقية ونازل غرناطة واتخذها دار ملكه
وبقيت الفرنتيرة وأمصارها ضاحية من ظل الملك فخشي بنو خلدون سوء العاقبة من
الطاغية وارتحلوا من اشبيلية ونزلوا سبتة وأجلب الطاغية على تلك الثغور فملك قرطبة
واشبيلية وقرمونة وجيان وما اليها في مدة عشرين سنة ولما نزل بنو خلدون بسبتة
أصهر اليهم العزفي بأبنائه وبناته فاختلط بهم وكان له معهم صهر مذكور وكان جدنا
الحسن بن محمد وهو سبط ابن المحتسب قد أجاز فيمن أجاز اليهم فذكروا سوابق سلفه عند
الامير أبي زكريا فقصده وقدم عليه فأكرم قدومه وارتحل الى المشرق فقضى
فرضه ثم رجع ولحق بالامير أبي زكريا على بونة فأكرمه واستقر في ظل دولته ومرعى

نعمته وفرض له الارزاق وأقطع الاقطاع وهلك هنالك فدفن بتونة سنة سبع وأربعين
وولى ابنه المستنصر محمد فأجرى جدنا أبا بكر على ما كان لابيه ثم ضرب الدهر ضربانه
وهلك المستنصر سنة خمس وسبعين وولى ابنه يحيى وجاء أخوه الامير أبو اسحق من
الاندلس بعد أن كان فر اليها امام أخيه المستنصر فخلع يحيى واستقل هو بملك افريقية
ودفع جدنا أبا بكر محمدا على عمل الاشغال فى الدولة على سنن عظماء الدولة الموحدين فيها
قبله من الانفراد بولاية العمال وعزلهم وحسبانهم على الجباية فاضطلع بتلك الرتبة ثم
عقد السلطان أبو اسحق لابنه محمد وهو جدنا الاقرب على حجابة ولى عهده ابنه أبى
فارس أيام أن اقصاه الى بجاية ثم استعفى جدنا من ذلك فأعفاه ورجع الى الحضرة ولما
غلب الدعى بن أبى عمارة على ملكهم بتونس اعتقل جدنا أبا بكر محمدا وصادره على
الاموال ثم قتله خنقا فى محبسه وذهب ابنه محمد جدنا الاقرب مع السلطان أبى اسحق
وأبنائه الى بجاية فتقبض عليه ابنه أبو فارس وخرج مع العساكر هو واخوته لمدافعة
الدعى بن أبى عمارة وهو يشبه بالفضل بن المخلوع حتى اذا استلحموا بمرماجنة خلص
جدنا محمد مع أبى حفص ابن الامير أبى زكريا من الملحمة ومعهما الفازازى وأبو الحسن
ابن سيد الناس فاستنكف من ايثار الفازازى ولما استولى أبو حفص على الامور رعى
له سابقته وأقطعه ونظمه فى جملة القواد ومراتب الحروب واستكفى به فى الكثير من
أمر ملكه ورشحه لحجابته من بعد الفازازى وهلك فكان من بعده حافد أخيه المستنصر
أبو عصيدة واصطفى لحجابته محمد بن ابراهيم الدباغ كاتب الفازازى وجعل محمد بن
خلدون رديفا له فى حجابته فكان كذلك الى أن هلك السلطان وجاءت دولة الامير خالد
فأبقاه على حاله من التجلة والكرامة ولم يستعمله ولا عقد له الى أن كانت دولة أبى يحيى
ابن اللحيانى فاصطنعه واستكفى به عندما تنبضت عروق التغلب من العرب ودفعه الى
حماية الجزيرة من لاج احدى بطون سليم الموطنين بنواحيها فكانت له فى ذلك آثار
مذكورة ولما انقرضت دولة ابن اللحيانى خرج الى الشرق وقضى فرضه سنة ثمان عشرة
وأظهر التوبة والاقلاع وعاود الحج متنفلا سنة ثلاث وعشرين ولزم كسر بيته وأبقى
السلطان أبو يحيى عليه نعمته فى كثير مما كان بيده من الاقطاع والجراية ودعاه الى
حجابته مرارا فامتنع (أخبرنى) محمد بن منصور بن مزنى قال لما هلك الحاجب بن محمد
ابن عبد العزيز الكردى المعروف بالمزوار سنة سبع وعشرين وسبعمائة استدعى
السلطان جدك محمد بن خلدون وأراده على الحجابة وأن يفوض اليه أمره فأبى واستعفى
فأعفاه وآمره فيمن يوليه حجابته فأشار عليه بصاحب ثغر بجاية محمد بن أبى الحسن بن
سيد الناس لاستحقاقه ذلك بكفايته واضطلاعه ولقديم صحابة بين سلفهما بتونس

واشبيلية من قبل وقال له هو أقدر على ذلك بما قدر عليه من الحاشية والدين فعمل السلطان على اشارته واستدعى ابن سيد الناس وولاه حجابته وكان السلطان أبو يحيى اذا خرج من تونس يستعمل جدنا بها داخلها وتوفى بتعاره الى أن هلك سنة سبع وثلاثين وربع انية وهو والدى محمد بن أبي بكر عن طريقة السيف والخدمة الى طريقة العلم والرباط لما نشأ عليه فى حجر أبي عبد الله الزبيدى الشهير بالفقيه كان كبير تونس لعهده فى العلم والفتيا وانتحال طرق الولاية التى ورثها عن أبى حسين وعمه حسن الوليين الشهيرين وكان جدنا رحمه الله قد لازمه من يوم نزوعه عن طريقه وألزمه ابنه وهو والدى رحمه الله فقرأ وتفقه وكان مقدما فى صناعة العربية وله بصر بالشعر وفنونه عهدى بأهل البلد يتحاكمون اليه فيه ويعرضون عليه وهلك فى الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعمائة * (أما نشأتى) * فانى ولدت بتونس فى غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وربيت فى حجر والدى رحمه الله الى أن أيفعت وقرأت القرآن العظيم على الاستاذ أبى عبد الله محمد بن نزال الانصارى أصله من جالة الاندلس من أعمال بلنسية أخذ عن مشيخة بلنسية وأعمالها وكان اماما فى القراآت وكان من أشهر شيوخه فى القراآت السبع أبو العباس أحمد بن البطوى ومشيخته فيها وأسانيده معروفة وبعد أن استظهرت القرآن العظيم من حفظى قرأته عليه بالقراآت السبع المشهورة افرادا وجمعا فى احدى وعشرين ختمة ثم جمعتها فى ختمة واحدة أخرى ثم قرأت برواية يعقوب ختمة واحدة جمعا بين الروايتين عنه وعرضت عليه رحمه الله قصيدة الشاطبى اللامية فى القراآت والرائية فى الرسم وأخبرنى بهما عن الاستاذ أبى عبد الله البطوى وغيره من شيوخه وعرضت عليه كتاب التقصى لاحاديث الموطا لابن عبد البر حذا به حذو كتابه التمهيد على الموطا مقتصرا على الاحاديث فقط ودرست عليه كتبا جمة مثل كتاب التسهيل لابن مالك ومختصر ابن الحاجب فى الفقه ولم أكملهما بالحفظ وفى خلال ذلك تعلمت صناعة العربية على والدى وعلى أستاذى تونس منهم الشيخ أبو عبد الله محمد العربى الحصايرى وكان اماما فى النحو وله شرح مستوف على كتاب التسهيل ومنهم أبو عبد الله محمد الشواش الزرزالى ومنهم أبو العباس أحمد بن القصار كان ممتعا فى صناعة النحو وله شرح على قصيدة البردة المشهورة فى مدح الجناب النبوى وهو حى لهذا العهد بتونس ومنهم امام العربية والادب بتونس أبو عبد الله محمد بن بحر لازمت مجلسه وافدت عليه وكان بحرا زاخرا فى علوم اللسان وأشار على بحفظ الشعر فحفظت كتب الاشعار الستة والحماسة للاعلم وشعر حبيب وطائفة من شعر المتنبى ومن أشعار كتاب الاغانى ولازمت أيضا مجلس امام المحدثين بتونس شمس

الدين أبي عبد الله محمد بن جابر صاحب الرحلتين وسمعت عليه كتاب مسلم بن الحجاج وسمعت عليه كتاب الموطأ من أوله الى آخره وبعضا من الامهات الخمس وناولني كتبا كثيرة في العربية والفقه وأجازني اجازة عامة وأخبرني عن مشايخه المذكورين أشهرهم بتونس قاضي الجماعة أبو العباس أحمد بن الغماز الخزرجي وأخذت الفقه بتونس عن جماعة منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجياني وأبو القاسم محمد القصير قرأت عليه كتاب التهذيب لابي سعيد البرادعي مختصر المدونة وكتاب المالكية وتفقهت عليه وكنت في خلال ذلك انتاب مجلس شيخنا الامام قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام مع أخي عمر رحمة الله عليهما وأفدت منه وسمعت عليه أثناء ذلك كتاب الموطأ للامام مالك وكانت له طرق عالية عن أبي محمد بن هرون الطائي قبل اختلاطه الى غير هؤلاء من مشيخة تونس وكلهم سمعت عليه وكتب لي وأجازني ثم درجوا كلهم في الطاعون الجارف وكان قدم علينا في جملة السلطان أبي الحسن عندما ملك افريقية سنة ثمان وأربعين جماعة من أهل العلم كان يلزمهم شهود مجلسه ويتجمل بمكانهم فيه فمنهم شيخ الفتيا بالمغرب وامام مذهب مالك أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي فكنت انتاب مجلسه وأفدت عليه ومنهم كاتب السلطان أبي الحسن وصاحب علامته التي توضع أسفل مكتوباته امام المحدثين أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي لازمته وأخذت عنه سماعا واجازة الامهات وكتاب الموطا والسير لابن اسحق وكتاب ابن الصلاح في الحديث وكتبا كثيرة شذت عن حفظي وكانت بضاعته في الحديث والفقه والعربية والادب والمعقول وسائر الفنون مضبوطة كلها مقابلة ولا يخلو ديوان منها عن ضبط بخط بعض شيوخه المعروفين في سنده الى مؤلفه حتى الفقه والعربية الغريبة الاسناد الى مؤلفها في هذه العصور ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد الزواوي امام المغرب قرأت عليه القرآن العظيم بالجمع الكبير بين القراآت السبع من طريق أبي عمرو الداني وابن شريح لم أكملها وسمعت عليه عدة كتب وأجازني بالاجازة العامة ومنهم شيخ العلوم العقلية أبو عبد الله محمد ابن ابراهيم الابلي أصله من تلمسان وبها نشأ وقرأ كتب التعليم وحذق فيه وصله الحصار الكبير بتلمسان أعوام المائة السابعة فخرج منها وحج ولقى أعلام المشرق يومئذ فلم يأخذ عنهم لانه كان مختلطا بعارض عرض في عقله ثم رجع من المشرق وأفاق وقرأ المنطق والاصلين على الشيخ أبي موسى عيسى ابن الامام وكان قرأ بتونس مع أخيه أبي زيد عبد الرحمن على تلميذ أبي زيتون الشهير الذكر وجاآ الى تلمسان بعلم كثير من المنقول والمعقول فقرأ الابلي على أبي موسى منهما كما قلناه ثم خرج من تلمسان هاربا

الى المغرب لان سلطانها أباحمو يومئذ من ولد يغمراسن بن زيان كان يكرهه على التصرف فى أعماله وضبط الجباية بحسابه ففرّ الى المغرب ولحق بمراكش ولازم العالم الشهير الذكر أبا العباس بن البناء فحصل عنه سائر العلوم العقلية وورث مقامه فيها ثم صعد الى جبل الهساكرة بعد وفاة الشيخ باستدعاء على بن محمد بن تروميت ليقرأ عليه فأفاده وبعد أعوام استنزله ملك المغرب السلطان أبو سعيد وأسكنه بالبلد الجديد معه ثم اختصه السلطان أبو الحسن ونظمه فى جملة العلماء بمجلسه وهو فى خلال ذلك يعلم العلوم العقلية ويبثها بين أهل المغرب حتى حذق فيها الكثير منهم من سائر أمصاره وألحق الاصاغر بالاكابر فى تعليمه ولما قدم على تونس فى جملة السلطان أبى الحسن لزمته وأخذت عنه العلوم العقلية والمنطق وسائر الفنون الحكمية والتعليمية وكان رحمه الله تعالى يشهد لى بالتبريز فى ذلك وممن قدم فى جملة السلطان أبى الحسن صاحبنا أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقى كان يكتب عن السلطان ويلازم خدمة أبى محمد عبد الله رئيس الكتاب يومئذ وصاحب العلامة التى توضع عن السلطان أسفل المراسم والمخاطبات وبعضها يضعه السلطان بخطه وكان ابن رضوان هذا من مفاخر المغرب فى براعة خطه وكثرة علمه وحسن سمته واجادته فى فقه الوثائق والبلاغة فى الترسيل عن السلطان وحوك الشعر والخطابة على المنابر لانه كان كثيرا ما يصلى بالسلطان فلما قدم علينا بتونس صحبته واغتبطت به وان لم أتخذه شيخا لمقاربة السن فقد أفدت منه كما أفدت منهم وقد مدحه صاحبنا أبو القاسم الرحوى شاعر تونس فى قصيدة على روى النون يرغب منه أن يذكر لشيخه أبى محمد عبد المهيمن فى ايصال مدحه للسلطان أبى الحسن فى قصيدة على روى الباء وقد تقدم ذكرها فى أخبار السلطان وذكر فى مدح ابن رضوان أعلام العلماء القادمين مع السلطان وهى هذه

عرفت زمانى حين أنكرت عرفانى * وأيقنت أن لاحظ فى كف كيوان
وأن لا اختيار فى اختيار مقوّم * وان لا اقتراع بالقران لاقران
وان نظام الشكل أكمل نظمه * لاضعاف قاض فى الدليل برجحان
وان افتقار المرء من فقر انه * ومن نقله يغنى اللبيب بأوزان

الى آخرها ثم يقول فى ذكر العلماء القادمين

هم القوم كل القوم أما علومهم * فأرسخ من طودى ثبير وثهلان
فلا طيش يعلوهم وأما علومهم * فأعلامها تهديك من غير نيران

ثم يقول فى آخرها

وهامت على عبد المهيمن تونس * وقد ظفرت منه بوصل وقربان

وما علقت منى الضمائر غيره * وان هويت كلا بحب ابن رضوان

وكتب هذا الشاعر صاحبنا الرحوى يذكر عبد المهيمن بذلك

لهى النفس باكتساب وسعى * وهو العمر فى انتهاب وفى

وأرى الناس بين ساع لرشد * يتوخى الهدى وساع لغى

وأرى العلم للبرية زينا * فتزيا منه بأحسن زى

وأرى الفضل قد تجمع كلا * فى ابن عبد المهيمن الحضرمى

ثم يقول فى آخرها

ينبغى القرب من مراقى الامانى * والترقى للجانب العلوى

فأنلها مراميها مستهلا * كل دان يسعى وكل قصى

ثم كانت واقعة العرب على السلطان بالقيروان فاتح تسع وأربعين فشغلوا عن ذلك ولم يظفر هذا الرحوى بطلبته ثم جاء الطاعون الجارف فطوى البساط بما فيه وهلك عبد المهيمن فيمن هلك ودفن بمقبرة سلفنا بتونس لخلة كانت بينه وبين والدى رحمه الله أيام قدومهم علينا فلما كانت وقعة القيروان ثار أهل تونس بمن كان عندهم من أشياع السلطان أبى الحسن فاعتصموا بالقصبة دار الملك حيث كان ولد السلطان وأهله وانتقض عليه ابن تافراكين وخرج من القيروان الى العرب وهم يحاصرون السلطان وقد اجتمعوا على أبى دبوس وبايعوا له كما مر فى أخبار السلطان فبعثوا ابن تافراكين الى تونس فحاصر القصبة وامتنعت عليه وكان عبد المهيمن يوم ثورة تونس وقد سمع الهيعة خرج من بيته الى دارنا فاختفى عند أبى رحمه الله وأقام مختفيا عندنا نحوا من ثلاثة أشهر ثم نجا السلطان من القيروان الى سوسة وركب البحر الى تونس وفر ابن تافراكين الى المشرق وخرج عبد المهيمن من الاختفاء وأعاده السلطان الى ما كان عليه من وظيفة الولاية والكتابة وكان كثيرا ما يخاطب والدى رحمه الله ويشكره على موالاته ومما كتب اليه وحفظته من خطه

محمد ذو المكارم قد ثنانى * فعال شكره أبدا عنانى

جزى الله ابن خلدون حياة * منعمة وخلدا فى الجنان

فكم أولى ووالى من جميل * وبرّ بالفعال وباللسان

وراعى الحضرمية فى الذى قد * جنى من وده ورد الجنان

أبا بكر ثناؤك طول دهرى * أردّد باللسان وبالجنان

وعن علياك ما امتدت حياتى * أكافح بالحسام وباللسان

علل أندت خلائت دهرى • أراعى حبه أنّى عنانى

وهؤلاء الاعلام الذين ذكرهم الرحوى فى شعره هم سباق الحلبة فى مجلس السلطان أبى الحسن اصطفاهم لصحابته من أهل المغرب فأما ابنا الامام منهم فكانا اخوين من أهل برشك من أعمال تلمسان واسم أكبرهم أبو زيد عبد الرحمن والاصغر أبو موسى عيسى وكان أبوهما اماما ببعض مساجد برشك واتهمه المتغلب يومئذ على البلد زيرم بن حماد بأن عنده وديعة من المال لبعض أعدائه فطالبه بها ولاذ بالامتناع وبيته زيرم لينتزع المال من يده فدافعه وقتل وارتحل ابناه هذان الاخوان الى تونس فى آخر المائة السابعة وأخذا العلم بها عن تلميذ ابن زيتون وتفقها على أصحاب أبى عبد الله بن شعيب الدكالى وانقلبا الى المغرب بحظ وافر من العلم وأقاما بالجزائر يبثان العلم بها لامتناع برشك عليهما من أجل زيرم المتغلب عليها والسلطان أبو يعقوب يومئذ صاحب المغرب الاقصى من بنى مرين جاثم على تلمسان يحاصرها الحصار الطويل المشهور وبث بها جيوشه فى نواحيها وغلب على الكثير من أعمالها وأمصارها وملك عمل مغراوة بشلف وحصر مليانة وبعث اليها الحسن بن أبى الطلاق من بنى عسكر وعلى ابن محمد بن الخير من بنى ورتاجن ومعهما الضبط الجباية واستخلاص الاموال الكاتب منديل بن محمد الكنانى فارتحل هذان الاخوان من الجزائر وأخذا عليه فغلبا بعين منديل الكنانى فقربهما واصطفاهما واتخذهما التعليم ولده محمد فلما هلك يوسف بن يعقوب سلطان المغرب بمكانه من حصار تلمسان سنة خمس وسبعمائة على يد خصى من خصيانه طعنه فأشواه وهلك وأقام بالملك بعده حافده أبو ثابت بعد أمور ذكرناها فى أخباره ووقع بينه وبين صاحب تلمسان من بعده يومئذ أبى زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن وأخيه أبى حمو العهد المتأكد على الإفراج عن تلمسان ورد أعمالها عليه فوفى لهم بذلك وعاد الى المغرب وارتحل ابن أبى الطلاق من شلف والكنانى من مليانة راجعين الى المغرب ومروا بتلمسان فأوصى لهما أبو حمو وأثنى عليهما وله بمقامهما فى العلم واغتبط بهما أبو حمو وبنى لهما المدرسة المعروفة بهما وأقاما عنده على مجرى أهل العلم وهلك أبو حمو وكانا كذلك مع ابنه أبى تاشفين الى أن زحف السلطان أبو الحسن الى تلمسان وملكها عنوة سنة سبع وثلاثين وكانت لهما شهرة فى أقطار المغرب أست لهما عقيدة صالحة فاستدعاهما لحين دخوله وأدنى مجلسهما وشاد بتكرمتهما ورفع جاههما على أهل طبقتهما وصار يجمل بهما مجلسه متى مر بتلمسان ووفدا عليه فى الاثر التى تفرق فيها أعيان بلادهما ثم استنفرهما الى الغزو وحضرا معه واقعة طريف وعادا الى بلدهما وتوفى أبو زيد منهما اثر ذلك وبقى أخوه موسى متبوئا ما شاء من ظلال

تلك الكرامة ولما سار السلطان أبو الحسن الى افريقية سنة ثمان وأربعين كما مرّ فى
أخباره استصحب أبا موسى بن الامام معه مكرما موقرا عالى المحل قريب المجلس منه
فلما استولى على افريقية سرحه الى بلده فأقام بها يسيرا وهلك فى الطاعون الجارف
سنة تسع وأربعين وبقى أعقابهما بتلمسان دارجين فى مسالك تلك الكرامة موقرين
فيها طبقا على طبق الى هذا العهد وأمّا السطى واسمه محمد بن سليمان من قبيلة سطة
من بطون أوربة بنواحى فاس فنزل أبوه سليمان مدينة فاس ونشأ محمد فيها وأخذ العلم
عن الشيخ أبى الحسن الصغير امام المالكية بالمغرب والطائر الذكر وقاضى
الجماعة بفاس وتفقه وقرأ عليه وكان أحفظ الناس لمذهب مالك وأفقههم فيه
وكان السلطان أبو الحسن لعظم همته وبعد شأوه فى الفضل يتشوف الى تزيين مجلسه
بالعلماء واختار منهم جماعة اصحابه ومجالسته كان منهم هذا الامام محمد بن سليمان
وقدم علينا بتونس فى جملته وشهدنا وفور فضله وكان فى الفقه من بينهم لا يجارى حفظا
وفهما عهدى به رحمه الله تعالى وأخى موسى يقرأ عليه كتاب التبصرة لابى الحسن
اللخمى وهو يصححه عليه من املائه وحفظه فى مجالس عديدة وكان هذا حاله فى أكثر
ما يعانى فى جملة من الكتب وحضر مع السلطان أبى الحسن واقعة القيروان وخاض
معه الى تونس وأقام بها نحوا من سنتين وانتقض المغرب على السلطان واستقل به
ابنه أبو عنان ثم ركب السلطان أبو الحسن فى أساطيله من تونس آخر سنة خمسين ومرّ
بجاية فأدركه الغرق فى سواحلها فغرقت أساطيله وغرق أهلها وأكثر من كان معه من
هؤلاء الفضلاء وغيرهم ورمى به البحر ببعض الجزر هنالك حتى استنقذه منها بعض
أساطيله ونجا الى الجزائر بعد أن تلف موجوده والكثير من عياله وأصحابه وكان من
أمره ما مرّ فى أخباره وأمّا الايلى واسمه محمد بن ابراهيم فنشؤه بتلمسان وأصله من جالية
الاندلس من أهل ايلة من بلد الجوف منها أجاز بأبيه وعمه أحمد فاستخدمهم يغمراسن
ابن زيان وولده فى جندهم وأصهر ابراهيم منهما الى القاضى بتلمسان محمد بن غلبون
فى ابنته فولدت له محمدا هذا ونشأ بتلمسان فى كفالة جده القاضى فنشأ له بذلك ميل
الى انتحال العلم عن الجندية التى كانت منتحل أبيه وعمه فلما أيفع وأدرك سبق
الى ذهنه محبة التعاليم فبرز بها واشتهر وعكف الناس عليه فى تعلمها وهذا فى
سن البلوغ ثم أظل السلطان يوسف بن يعقوب وخيم عليها محاصرها وسير العساكر
الى الاعمال فافتتح أكثرها وكان ابراهيم الايلى قائدا بهنين مرسى تلمسان فى ابنة من
البحر فلما ملكها يوسف بن يعقوب اعتقل من وجد بها من أشياع بنى عبد الواد
واعتقل ابراهيم الايلى وشاع الخبر فى تلمسان بأن يوسف بن يعقوب يسترهن أبناءهم

ويطلقهم فتشوّف ابنه محمد الى اللحاق بهم من أجل ذلك وأغراه أهل العزم عليه فتسوّر
الاسوار وخرج الى أبيه فلم يجد خبر الاسترهان صحيحا واستخدمه يوسف ابن يعقوب قائدا
الى الجند الاندلسيين الاندلسيين بتاوريرت فكره المقام على ذلك ونزع عن طوره ولبس
المسوح وسار قاصدا الى الحج وانتهى الى رباط العباد مختفيا في صحبة الفقراء فوجد
هنالك رئيسا من أهل كربلاء من بني الحسين جاء الى المغرب يروم اقامة دعوته فيه وكان
مغفلا فلما رأى عساكر يوسف بن يعقوب وشدة غلبه أيس من مرامه ونزع عن ذلك
واعتزم على الرجوع الى بلده فسار شيخنا محمد بن ابراهيم في جملته قال رحمه الله وبعد
حين انكشف لي حاله وما جاء له واندرجت في جملته وأصحابه وتابعيه قال وكان يتلقاه
في كل بلد من أصحابه وأشياعه وخدمه من يأتيه بالازواد والنفقات من بلد الى أن
ركبنا البحر من تونس الى الاسكندرية قال واشتدت على الغلمة في البحر واستحييت من
كثرة الاغتسال لمكان هذا الرئيس فأشار على بعض بطانته بشرب الكافور
فاغترفت منه غرفة فشربتها فاختلطت وقدم الديار المصرية على تلك الحال وبها
يومئذ تقي الدين بن دقيق العيد وابن الرفعة وصفي الدين الهندي والتبريزي وغيرهم
من فرسان المعقول والمنقول فلم يكن قصاراه الاتمييز أشخاصهم اذا ذكرهم لنا لما كان به
من الاختلاط ثم حج مع ذلك الرئيس وسار في جملته الى كربلا فبعث به من أصحابه من
أوصله الى مأمنه ببلاد زواوة من أطراف المغرب وقال لي شيخنا رحمه الله كان معي
دنانير كثيرة تزودتها من المغرب واستبطنتها في جبة كنت ألبسها فلما نزل بي ما نزل
انتزعها مني حتى اذا بعث أصحابه يشيعوني الى المغرب دفعها اليهم حتى اذا أوصلوني الى
المأمن أعطوني اياها وأشهدوا على في كتاب حملوه معهم اليه كما أمرهم ثم قارن وصول
شيخنا الى المغرب مهلك يوسف بن يعقوب وخلاص أهل تلمسان من الحصار فعاد الى
تلمسان وقد أفاق من اختلاطه وانبعثت همته الى تعلم العلم وكان مائلا الى العقليات
فقرأ المنطق على أبي موسى بن الامام وجملة من الاصلين وكان أبو حمو صاحب تلمسان
قد استفحل ملكه وكان ضابطا للامور وبلغه عن شيخنا تقدمه في علم الحساب فدعاه
الى ضبط أمواله ومشارفة أحواله وتفادى شيخنا من ذلك فأكرهه عليه فأعمل الحيلة
في الخلاص منه ولحق بفاس أيام السلطان أبي الربيع وبعث فيه أبو حمو فاختفى بفاس
للتعاليم من اليهودي خليفة المغيلي فاستوفى عليه فنونها وحذق وخرج متواريا من
فاس فلحق بمراكش أيام عشر وسبعمائة ونزل على الامام أبي العباس ابن البناء شيخ
المعقول والمنقول والمبرز في التصوف علما وحالا فلزمه وأخذ عنه وتضلع في علم المعقول
والتعاليم والحكمة ثم استدعاه شيخ الهساكرة علي بن محمد بن تروميت ليقرأ عليه

وكان في مناعة السلطان فدخل اليه شيخنا وأقام عنده مدة قرأ عليه فيها وحصل
واجتمع طلبة العلم هنالك على الشيخ فكثرت افادته واستفادته وعلى ابن محمد في ذلك
على محبته وتعظيمه وامتثال اشارته فغلب على هواه وعظمت رياسته في تلك القبائل
ولما استنزل السلطان أبو سعيد على بن ترومیت من جبله نزل الشيخ معه وسكن بفاس
وانثال عليه طلبة العلم من كل ناحية فانتشر علمه واشتهر ذكره فلما افتتح السلطان
أبو الحسن تلمسان ولقى أبا موسى ابن الامام ذكره له باطيب الذكر ووصفه بالتقدم
في العلوم وكان السلطان معتنيا بجمع العلماء بمجلسه كما ذكرناه فاستدعاه من مكانه
بفاس ونظمه في طبقة العلماء بمجلسه وعكف على التدريس والتعليم ولزم صحابة
السلطان وحضر معه واقعة طريف وواقعة القيروان بافريقية وكانت قد حصلت
بينه وبين والدى رحمه الله خلة كانت وسيلتى اليه في القراءة عليه فلزمت مجلسه
وأخذت عنه العلوم العقلية بالتعاليم ثم قرأت المنطق والاصلين وعلوم الحكمة
وعرض أثناء ذلك ركوب السلطان أساطيله من تونس الى المغرب وكان الشيخ في نزلنا
وكفالتنا فأشرت عليه بالمقام وثبطناه عن السفر فقبل وأقام وطالبنا به السلطان
أبو الحسن فأحسنا به العذر فتجافى عنه وكان من حديث غرقه في البحر ما قدمناه
وأقام الشيخ بتونس ونحن وأهل بلدنا جميعا نتساجل في غشيان مجلسه والاخذ عنه
فلما هلك السلطان أبو الحسن بجبل هنتاته وفرغ ابنه أبو عنان من شواغله وملك تلمسان
من بنى عبد الواد كتب فيه يطلبه من صاحب تونس وسلطانها يومئذ أبو اسحق ابراهيم
ابن يحيى في كفالة شيخ الموحدين بن تافراكين فأسلمه الى سفيره وركب معه البحر
في أسطول أبى عنان الذى جاء فيه السفير ومر ببجاية ودخلها وأقام بها شهرا حتى قرأ
عليه طلبة العلم بها مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه برغبتهم في ذلك منه ومن
صاحب الاسطول ثم ارتحل ونزل بمرسى هنين وقدم على أبى عنان بتلمسان وأحله محل
التكرمة ونظمه في طبقة أشياخه من العلماء وكان يقرأ عليه ويأخذ عنه الى أن هلك
بفاس سنة سبع وخمسين وسبعمائة وأخبرنى رحمه الله أن مولده بتلمسان سنة احدى
وثمانين وستمائة (وأما عبد المهيمن) كاتب السلطان أبى الحسن فأصله من سبتة وبيتهم بها
قديم ويعرفون ببنى عبد المهيمن وكان أبوه محمد قاضيها أيام بنى العزفى ونشأ ابنه عبد
المهيمن في كفالته وأخذ عن مشيختها واختص بالاستاذ أبى اسحق الغافقى ولما ملك
عليهم الرئيس أبو سعيد صاحب الاندلس سبتة ونقل بنى العزفى مع جملة أعيانها الى
غرناطة ونقل معهم محمد بن عبد المهيمن استكمل قراءة العلم هنالك وقرأ على مشيختها
ابن الزبير ونظرائه وتقدم في معرفة كتاب سيبويه وبرز في علو الاسناد وكثرة المشيخة

وكتب له أهل المغرب والاندلس واستكتبه رئيس الاندلس يومئذ الوزير أبو عبد الله
ابن الحكيم الرندى المستبد على السلطان المخلوع ابن الاحمر فكتب عنه ونظمه فى طبقة
الفضلاء الذين كانوا بعلمهم مثل المحدث أبى عبد الله بن رشيد الفهرى وأبى العباس أحمد
العزفى والعالم الصوفى المتجرد أبى عبد الله محمد بن خميس التلمسانى وكلهم كالاعجاز بان
فى البلاغة والشعر الى غير هؤلاء ممن كان مختصا به وقد ذكرهم ابن الخطيب فى تاريخ
غرناطة فلما نكب الوزير ابن الحكيم وعادت سبتة الى طاعة بنى مرين عاد عبد المهيمن
اليها واستقر بها ثم ولى الامر أبو سعيد وغلب عليه ابنه أبو على واستبد بحمل الدولة
تشوف الى استدعاء الفضلاء وتجمل بمكانهم فاستقدم عبد المهيمن من سبتة واستكتبه
سنة ثنتى عشرة ثم خالف على أبيه سنة أربع عشرة وامتنع بالبلد الجديد وخرج منها
الى سجلماسة لصلح عقده مع أبيه فتمسك السلطان أبو سعيد بعبد المهيمن واتخذه كاتبا
الى أن دفعه الى رياسة الكتاب ورسم علامته فى الرسائل والاوامر فتقدم لذلك سنة
ثمان عشرة ولم يزل عليها سائر أيام السلطان أبى سعيد وابنه أبى الحسن وسار مع أبى
الحسن الى افريقية وتخلف عن واقعة القيروان لما كان به من علة النقرس فلما كانت
الهيعة بتونس ووصل خبر الواقعة وتحيز أولياء السلطان الى القصبة مع حرمه
تسرب عبد المهيمن فى المدينة مستبدا منهم وتوارى فى بيتنا خشية أن يصاب معهم
بمكروه فلما انجلت تلك الغيابة ورجع السلطان من القيروان الى سوسة وركب منها
البحر الى تونس أعرض عن عبد المهيمن لما حفظ غيبته عن قومه بالقصبة وجعل العلامة
لابى الفضل ابن الرئيس عبد الله بن أبى مدين وقد كانت من قبل مقصورة على هذا
البيت وأقام عبد المهيمن عطلا من العمل شهرا ثم اعتبر السلطان ورضى عنه ورد اليه
العلامة كما كان ثم توفى لايام قلائل بتونس بالطاعون الجارف سنة تسع وأربعين
ومولده سنة خمس وسبعين من المائة قبلها وقد استوعب ابن الخطيب التعريف به فى
تاريخ غرناطة فليطالع هنالك من أحب الوقوف عليه (وأما ابن رضوان) الذى ذكره
الرحوى فى قصيدته فهو أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخارى أصله من
الاندلس نشأ بمالقة وأخذ عن مشيختها وحذق فى العربية والادب وتفنن فى العلوم
ونظم ونثر وكان مجيدا فى الترسيل ومحسنا فى كتابة الوثائق وارتحل بعد واقعة طريف
ونزل سبتة ولقى بها السلطان أبا الحسن ومدحه وأجازه واختص بالقاضى ابراهيم بن
يحيى وهو يومئذ قاضى العساكر وخطيب السلطان وكان يستنيبه فى القضاء والخطابة
ثم نظمه فى جملة الكتاب بباب السلطان واختص بخدمة عبد المهيمن رئيس الكتاب
والاخذ عنه الى أن رحل السلطان الى افريقية وكانت واقعة القيروان وانحصر

بالقصبة بتونس مع من انحصر بها من أشياعه مع أهله وحرمه وكان السلطان قد خلف ابن رضوان فى بعض خدمته بخلاء عند الحصار فيما عرض لهم من المكاتبات وتولى كبر ذلك فقام فيه أحسن قيام الى أن وصل السلطان من القيروان فرعى له حق خدمته تأنيسا وقربا وكثرة استعمال الى أن رحل من تونس فى الاسطول الى المغرب سنة خمسين كما مر واستخلف بتونس ابنه أبا الفضل وخلف أبا القاسم بن رضوان كاتبا له فأقاما كذلك أياما ثم غلبهم على تونس سلطان الموحدين الفضل ابن السلطان أبى يحيى ونجا أبو الفضل الى أبيه ولم يطق ابن رضوان الرحلة معه فأقام بتونس حولا ثم ركب البحر الى الاندلس وأقام بالمرية مع جملة من هنالك من أشياع السلطان أبى الحسن كان فيهم عامر ابن محمد بن على شيخ هنتاتة كافلا لحرم السلطان أبى الحسن وابنه أركبهم السفين معه من تونس عندما ارتحل فخلص الى الاندلس ونزلوا بالمرية وأقاموا بها تحت جراية سلطان الاندلس فلحق بهم ابن رضوان وأقام معهم ودعاه أبو الحجاج سلطان الاندلس الى أن يستكتبه فامتنع ثم هلك السلطان أبو الحسن وارتحل مخلفه الذين كانوا بالمرية ووفدوا على السلطان أبى عنان ووفد معهم ابن رضوان فرعى له وسائله فى خدمة أبيه واستكتبه واختصه بشهود مجالسه مع طلبة العلم بحضرته وكان محمد بن أبى عمرو يومئذ رئيس الدولة ونجى الخلوة وصاحب العلامة وحسبان الجباية والعساكر قد غلب على هوى السلطان واختص به فاستخدم له ابن رضوان حتى علق منه بذمة ولاية وصحبة وانتظام فى السمر وغشيان المجالس الخاصة وهو مع ذلك يدنيه من السلطان وينفق سوقه عنده ويستكفى به فى مواقف خدمته اذا غاب عنها لما هواهم خلا بعين السلطان ونفقت عنده فضائله فلما سار أبو عمرو فى العساكر الى بجاية سنة أربع وخمسين انفرد ابن رضوان بعلامة الكتاب عن السلطان ثم رجع ابن أبى عمرو بالسلطان فأقصاه الى بجاية وولاه عليها وعلى سائر أعمالها وعلى الموحدين بقسنطينة وأفرد ابن رضوان بالكتابة وجعل اليه العلامة كما كانت لابن أبى عمرو فاستقل بها موفر الاقطاع والاسهام والجاه ثم سخطه آخر سبع وخمسين وجعل العلامة لمحمد بن أبى القاسم بن أبى مدين والانشاء والتوقيع لابى اسحق ابراهيم بن الحاج الغرناطى فلما كانت دولة السلطان أبى سالم جعل العلامة لعلى بن محمد بن مسعود صاحب ديوان العساكر والانشاء والتوقيع والسر لمؤلف الكتاب عبد الرحمن ابن خلدون ثم هلك أبو سالم سنة اثنتين وستين واستبد الوزير عمر بن عبد الله على من كفله من أبنائه فجعل العلامة لابن رضوان سائر أيامه وقتله عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن واستبد بملكه فلم يزل ابن رضوان على العلامة وهلك عبد العزيز وولى ابنه السعيد فى كفالة الوزير أبى بكر بن غازى بن الكاس

وابن رضوان على حاله ثم غلب السلطان أحمد على الملك وانتزعه من السعيد وأبى بكر بن غازى وقام بتدبير دولته محمد بن عثمان بن الكاس مستبدا عليه والعلامة لابن رضوان كما كانت الى أن هلك بأزمور فى حركة السلطان أحمد الى مراكش لحصار عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ابن السلطان أبى على * وكان فى جملة السلطان أبى الحسن جماعة كثيرة من فضلاء المغرب وأعيانه هلك كثير منهم فى الطاعون الجارف بتونس وغرق جماعة منهم فى أسطوله لما غرق وتخطت النكبة منهم آخرين الى أن استوفوا ما قدر من آجالهم (فمن حضر معه بافريقية) الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الزواوى شيخ القراء بالمغرب أخذ العلم والعربية عن مشيخة فاس وروى عن الرحالة أبى عبد الله بن رشيد وكان اماما فى القراآت وصاحب ملكة فيها لا يجارى وله مع ذلك صوت من مزامير آل داود وكان يصلى بالسلطان التراويح ويقرأ عليه بعض الاحيان حزبه (وممن حضر معه بافريقية الفقيه) أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصباغ من أهل مكناسة مبرزا فى المعقول والمنقول وعارفا بالحديث وبرجاله واماما فى معرفة كتاب الموطا واقرائه أخذ العلوم عن مشيخة فاس ومكناسة ولقى شيخنا أبا عبد الله الابلى ولازمه وأخذ عنه العلوم العقلية فاستبحر وبقية طلبه عليه فبرز آخرا واختاره السلطان لمجلسه واستدعاه ولم يزل معه الى أن هلك غريقا فى ذلك الاسطول (ومنهم القاضى أبو عبد الله) محمد بن عبد الله ابن عبد النور من أعمال ندرومة ونسبه فى صنهاجة كان مبرزا فى الفقه على مذهب الامام مالك بن أنس تفقه فيه على الاخوين أبى زيد وأبى موسى ابنى الامام وكان من جلة أصحابهما ولما استولى السلطان أبو الحسن على تلمسان رفع من منزلة ابنى الامام واختصهما بالشورى فى بلدهما وكان يستكثر من أهل العلم فى دولته ويجرى لهم الارزاق ويعمر بهم مجلسه فطلب يومئذ من ابن الامام أن يختار له من أصحابه من ينظمه فى فقهاء المجالس فأشار عليه بابن عبد النور هذا فأدناه وقرب مجلسه وولاه قضاء عسكره ولم يزل فى جملته الى أن هلك بالطاعون بتونس سنة تسع وأربعين وكان قد خلف أخاه علما ورفيقه فى تدريس ابن الامام الا أنه أقصر باعا منه فى الفقه فلما خلع السلطان أبو عنان طاعة أبيه السلطان أبى الحسن ونهض الى فاس استنفره فى جملته وولاه قضاء مكناسة فلم يزل بها حتى تغلب عمر بن عبد الله على الدولة كما مر فنزع الى قضاء فرضه فسرحه فخرج حاجا سنة أربع وستين فلما قدم على مكة وكان به بقية مرض هلك فى طواف القدوم وأوصى أمير الحاج على ابنه محمد وأن يبلغ وصيته به للامير المتغلب على الديار المصرية يومئذ يلبغا الخاصكى فأحسن خلافته فيه وولاه من وظائف الفقهاء ما سد به خلته وصان عن سؤال الناس وجهه وكان له عفا الله عنه كلف بعلم

الكيمياء طالب الغنى غلط فى ذلك وأمثاله فلم يزل يعانى من ذلك ما يورطه مع الناس فى دينه وعرضه الى أن دعته الضرورة للترحل عن مصر ولحق ببغداد وناله مثل ذلك فلحق بماردين واستقر عند صاحبها فأحسن جواره الى أن بلغنا بعد التسعين أنه هلك هنالك حتف أنفه والبقاء لله (ومنهم شيخ التعاليم) أبو عبد الله محمد بن النجار من أهل تلمسان أخذ العلم ببلده عن مشيختها وعن شيخنا الابلى وبرز عليه ثم ارتحل الى المغرب فلقى بسبتة امام التعاليم أبا عبد الله محمد بن هلال شارح المجسطى فى الهيئة وأخذ بمراكش عن الامام أبى العباس ابن البناء وكان اماما فى علم النجامة وأحكامها وما يتعلق بها ورجع الى تلمسان بعلم كثير واستخلصته الدولة فلما هلك أبو تاشفين وملك السلطان أبو الحسن نظمه فى جملته وأجرى له رزقه فحضر معه بافريقية وهلك فى الطاعون (ومنهم) أبو العباس أحمد بن شعيب من أهل فاس برع فى الأدب واللسان والعلوم العقلية من الفلسفة والتعاليم والطب وغيرها ونظمه السلطان أبو سعيد فى جملة الكتاب وأجرى عليه رزق الاطباء لتقدمه فيه فكان كاتبه وطبيبه وكذا مع السلطان أبى الحسن بعده فحضر بافريقية وهلك بها فى ذلك الطاعون وكان له شعر سابق به الفحول من المتقدمين والمتأخرين وكانت له امامة فى نقد الشعر وبصر به وما حضرنى الآن من شعره الا قوله

دار الهوى نجد وساكنها * بدر أمان النفس من نجد
هل باكر الوسمى ساحتها * واستن فى قيعانها الجرد
أو بات معتل النسيم بها * مستنشقا بالبان والرند
يتلو أحاديث الذين هم * قصدى وان جاروا عن القصد
أيام عسر ظلالها وطنى * منها وزرق مياهها وردى
وبطارح النظرات فى رشا * أحوى المدامع أهيف القد
يرنو اليك بعين جارية * قتل المحب بها على عمد
حتى أجد بهم على عجل * ريب الخطوب وعاثر الجد
فقدوا فيا وأبيك بعدهم * عيشى شفى الأعلى الفقد
وغدوا دفينا قد تضمنه * بطن الثرى وقرارة اللحد
ومشردا من دون رؤيته * قذف النوى وتنوفة البعد
أجرى على العيش بعدهم * أنى جرعت حميمهم وحدى
لا تلحنى يا صاح فى شجن * أخفيت منه فوق ما أبدى
بالقرب لى سكن يؤرقنى * من ذكره سهد على سهد
فرخان قد تركا بمضيعة * رزئت عن الرفداء والرفد

(ومنهم) صاحبنا الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق من أهل تلمسان كان سلفه نزلاء الشيخ أبي مدين بالعباد ومتوارثين خدمة تربته من لدن جدهم خادمه في حياته وكان جده الخامس أو السادس واسمه أبو بكر بن مرزوق معروفا بالولاية فيهم ولما هلك دفنه يغمراسن بن زيان السلطان بتلمسان من بني عبد الواد في التربة بقصره ليدفن بازائه متى قدر بوفاته ونشأ محمد هذا بتلمسان ومولده فيما أخبرني سنة عشر وسبعمائة وارتحل مع أبيه الى المشرق سنة ثمان عشرة ومر ببجاية فسمع بها على الشيخ أبي علي ناصر الدين ودخل المشرق وجاور أبوه بالحرمين الشريفين ورجع هو الى القاهرة وأقام بها وقرأ على برهان الدين الصفاقسي المالكي وأخيه وبرع في الطلب والرواية وكان يجيد الخطين ثم رجع سنة ثلاث وثلاثين الى المغرب ولقي السلطان أبا الحسن بمكانه من حصار تلمسان وقد شيد بالعباد مسجدا عظيما وكان عمه ابن مرزوق خطيبا به على عادتهم في العباد وتوفي فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمه وسمعه يخطب على المنبر ويشيد بذكره والثناء عليه فأعجب به واختصه وقربه وهو مع ذلك يلازم مجلس الشيخين ابني الامام ويأخذ نفسه بلقاء الفضلاء والاكابر والاخذ عنهم والسلطان كل يوم يزيد ترقيه وحضر معه واقعة طريف التي كان فيها تمحيص المسلمين فكان يستعمله في السفارة عنه الى صاحب الاندلس ثم سفر عنه بعد أن ملك افريقية الى ابن ادفونش ملك قشتالة في تقرير الصلح واستنقاذ ابنه أبي عمر تاشفين كان أسر يوم طريف فغاب في تلك السفارة عن واقعة القيروان ورجع بتاشفين مع مائة من زعماء النصرانية جاؤا في السفارة عن ملكهم ولقيهم خبر واقعة القيروان بقسنطينة من بلاد افريقية وبها عامل السلطان وحاميته فثار أهل قسنطينة بهم جميعا ونهبوهم وخطبوا للفضل ابن السلطان أبي يحيى وراجعوا دعوة الموحدين واستدعوه فجاء اليهم وملك البلد وانطلق ابن مرزوق عائدا الى المغرب مع جماعة من الاعيان والعمال والسفراء عن الملوك ووفد على السلطان أبي عنان مع أمه حظية أبي الحسن والدته كانت راحلة اليه فأدركها الخبر بقسنطينة وحضرت الهيعة فوثب ابنها أبو عنان على ملك أبيه واستيلائه على فاس فرجعت اليه وابن مرزوق في خدمتها ثم طلب اللحاق بتلمسان فسرحوه اليها وأقام بالعباد مكان سلفه وعلى تلمسان يومئذ أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يغمراسن بن زيان قد بايع له قبيله بنو عبد الواد بعد واقعة القيروان بتونس وابن تافراكين يومئذ محاصر للقصبة كما مر في أخبارهم وانصرفوا الى تلمسان فوجدوا بها أبا سعيد عثمان بن جرار قد استعمله عليها السلطان أبو عنان عند انتقاضه على أبيه ومسيره الى فاس وانتقض ابن جرار من بعده ودعا

لنفسه وسمد اليه عثمان بن عبد الرحمن ومعه أخوه أبو ثابت وقومهما فملكوا تلمسان
من يد ابن جرار وحبسوه ثم قتلوه واستبد أبو سعيد بملك تلمسان وأخوه أبو ثابت يردفه
وركب السلطان أبو الحسن البحر من تونس وغرق أسطوله ونجا هو الى الجزائر فاحتل
بها وأخذ فى الحشد الى تلمسان فرأى أبو سعيد أن يكف غربه عنهم بمواصلة تقع بينهما
واختار لذلك الخطيب ابن مرزوق فاستدعاه وأسر اليه بما يلقيه عند السلطان أبى
الحسن وذهب لذلك على طريق الصحراء واطلع أبو ثابت وقومه على الخبر فنكروه على
أبى سعيد وعاتبوه فأنكر فبعثوا صغير بن عامر فى اعتراض ابن مرزوق فجاء به وحبسوه
أياما ثم أجازوه البحر الى الاندلس فنزل على السلطان أبى الحجاج بغرناطة وله اليه وسيلة
منذ اجتماعه به بمجلس السلطان أبى الحسن بسبتة اثر واقعة طريف فرعى له أبو الحجاج
ذمة تلك المعرفة وأدناه واستعمله فى الخطابة بجامعه بالحمراء فلم يزل خطيبه الى أن
استدعاه السلطان أبو عنان سنة أربع وخمسين بعد مهلك أبيه واستيلائه على تلمسان
وأعمالها فقدم عليه ورعى وسائله ونظمه فى أكابر أهل مجلسه وكان يقرأ الكتب بين
يديه فى مجلسه العلمى ويدرس فى نوبته مع من يدرس فى مجلسه منهم ثم بعثه الى تونس عام
ملكها سنة ثمان وخمسين ليخطب له ابنة السلطان أبى يحيى فردت تلك الخطبة واختفت
بتونس ووشى الى السلطان أبى عنان أنه كان مطلعا على مكانها فسخطه لذلك ورجع
السلطان من قسنطينة فثار أهل تونس بمن كان بها من عماله وحاميته واستقدموا أبا
محمد بن تافراكين من المهدية فجاء وملك البلد وركب القوم الاسطول ونزلوا بمراسى
تلمسان وأوعز السلطان باعتقال ابن مرزوق وخرج لذلك يحيى بن شعيب من مقدمى
الحجاب ببابه فلقيه بتاسالت فقيده هنالك وجاء به فأحضره السلطان وقرعه ثم
حبسه مدة وأطلقه بين يدى مهلكه واضطربت الدولة بعد موت السلطان أبى عنان
وبايع بعض بنى مرين لبعض الاعياص من بنى يعقوب بن عبد الحق وحاصروا البلد
الجديد وبها ابنه السعيد ووزيره المستبد عليه الحسن بن عمر وكان السلطان أبو سالم
بالاندلس غربه اليها أخوه السلطان أبو عنان مع بنى عمهم ولد السلطان أبى على بعد وفاة
السلطان أبى الحسن وحصولهم جميعا فى قبضته فلما توفى أراد أبو سالم النهوض لملكه
بالمغرب فمنعه رضوان القائم يومئذ بالاندلس مستبدا على ابن السلطان أبى الحجاج
فلحق هو باشبيلية من دار الحرب ونزل على بطرة ملكهم يومئذ فهيأ له السفن وأجازه
الى العدوة فنزل بجبل الصفيحة من بلاد غمارة وقام بدعوته بنو مسير وبنو منير
أهل ذلك الجبل منهم ثم أمدوه واستولى على ملكه فى خبر طويل ذكرناه فى أخبار
دولته وكان ابن مرزوق يداخله وهو بالاندلس ويستخدم له ويفاوضه فى أموره وربما

كان بكاتبه وهو بجبل الصنيحة ويداخل زعماء قومه فى الاخذ بدعوته فلما ملك السلطان أبو سالم رعى له تلك الوسائل أبجع ورفعه على الناس وألقى عليه محبته وجعل زمام الامور بيده فوطئ الناس عقبه وغشى أشراف الدولة بابه وصرفت الوجوه اليه فرضت لذلك قلوب أهل الدولة ونقموه على السلطان وتربصوا به حتى وثب عبد الله بن عمر بالبلد الجديد وافترق الناس على السلطان وقتله عمر بن عبد الله آخر ثنتين وستين وحبس ابن مرزوق وأغرى به سلطانه الذى نصبه محمد بن أبى عبد الرحمن بن أبى الحسن فامتحنه واستصفاه ثم أطلقه بعد أن رام كثير من أهل الدولة قتله فمنعهم منهم ولحق بتونس سنة أربع وستين ونزل على السلطان أبى اسحق وصاحب دولته المستبد عليه أبى محمد بن تافراكين فأكرموا نزله وولوه الخطابة بجامع الموحدين بتونس وأقام بها الى أن هلك السلطان أبو اسحق سنة سبعين وولى ابنه خالد وزحف السلطان أبو العباس حافد السلطان أبى يحيى من مقره بقسنطينة الى تونس فملكها وقتل خالدا سنة ثنتين وسبعين وكان ابن مرزوق يتربب منه لما كان يميل وهو بفاس مع ابن عمه محمد صاحب بجاية ويؤثره عند السلطان أبى سالم عليه فعزله السلطان أبو العباس عن الخطبة بتونس فوجم لها وأجمع الرحلة الى المشرق وسرحه السلطان فركب السفن ونزل بالاسكندرية ثم رحل الى القاهرة ولقى أهل العلم وأمراء الدولة ونفقت بضائعه عندهم وأوصلوه الى السلطان وهو يومئذ الاشرف فكان يحضر يومئذ مجلسه وولاه الوظائف العلمية فكان يتصيح منها معاشه وكان الذى وصل حبله بالسلطان أستاذداره محمد لقيه أول قدومه فخلا بعينه واستظرف جلته فسعى له وأنجح سعايته ولم يزل مقيما بالقاهرة موقر الرتبة معروف الفضيلة مرشحا لقضاء المالكية ملازما للتدريس فى وظائفه الى أن هلك سنة احدى وثمانين هكذا ذكر من حضره من جلة السلطان أبى الحسن من أشياخنا وأصحابنا وليس موضوع الكتاب الاطالة فلنقتصر على هذا القدر ونرجع الى ما كنا فيه من أخبار المؤلف

ولاية العلامة بتونس ثم الرحلة بعدها الى المغرب والكتابة على السلطان أبى عنان

ولم أزل منذ نشأت وناهزت مكبا على تحصيل العلم حريصا على اقتناء الفضائل متنقلا بين دروس العلم وحلقاته الى أن كان الطاعون الجارف وذهب الاعيان والصدور وجميع المشيخة وهلك أبواى رحمهما الله ولزمت مجلس شيخنا أبى عبد الله الابلى وعكفت على القراءة عليه ثلاث سنين الى أن بعض الشئ واستدعاه السلطان أبو عنان فارتحل اليه واستدعانى أبو محمد بن تافراكين المستبد على الدولة يومئذ بتونس الى كتابة

العلامة عن السلطان أبي اسحق مذ نهض اليه من قسنطينة صاحبها أبو زيد جافلا السلطان أبي يحيى في عساكره ومعه العرب أولاد مهلهل الذين استنجدوه لذلك فخرج ابن تافراكين وسلطانه أبو اسحق مع العرب أولاد أبي الليل وبث العطاء في عسكره وعمر له المراتب والوظائف وتعلل عليه صاحب العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بالاستزادة من العطاء فعزله وأدالني منه فكتبت العلامة عن السلطان وهي الحمد لله والشكر لله بالقلم الغليظ ما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم وخرجت معهم أول سنة ثلاث وخمسين وقد كنت منطويا على الرحلة من افريقية لما أصابني من الاستيحاش لذهاب أشياخي وعطلاني عن طلب العلم فلما رجع بنو مرين الى مراكزهم بالمغرب وانحسر تيارهم عن افريقية وأكثر من كان معهم من الفضلاء صحابة وأشياخ فاعتزمت على اللحاق بهم وصدني عن ذلك أخي وكبيري محمد رحمه الله فلما دعيت الى هذه الوظيفة سارعت الى الاجابة لتحصيل غرضي من اللحاق بالمغرب وكان كذلك فانا لما خرجنا من تونس نزلنا بلاد هوارة وزحفت العساكر بعضها الى بعض بفحص مرماجنة وانهزم صفنا ونجوت أنا الى أبة فأقمت بها عند الشيخ عبد الرحمن الوشتاتي من كبراء المرابطين ثم تحولت الى سبتة ونزلت بها على محمد بن عبدون صاحبها فأقمت عنده ليالي حتى هيأ لي الطريق مع رفيق من المغرب وسافرت الى قفصة وأقمت بها أياما حتى قدم علينا بها الفقيه محمد ابن الرئيس منصور بن مزني وأخوه يوسف يومئذ صاحب الزاب وكان هو بتونس فلما حاصرها الامير أبو زيد خرج اليه فكان معه فلما بلغهم الخبر بأن السلطان أبا عنان ملك المغرب نهض الى تلمسان فملكها وقتل سلطانها عثمان بن عبد الرحمن وأخاه أبا ثابت وأنه انتهى الى المرية وملك بجاية من يد صاحبها الامير أبي عبد الله من حفدة السلطان أبي يحيى وزاد له عندما أطل على بلده فسار اليه ونزل له عنها وصار في جملته وولى أبو عنان على بجاية عمر بن علي شيخ بني وطاس من بني الوزير شيوخهم فلما بلغهم هذا الخبر أجفل الامير عبد الرحمن من مكانه عن حصار تونس ومر بقفصة فدخل الينا محمد بن مزني ذاهبا الى الزاب فرافقته الى بسكرة ودخلت الى أخيه هنالك ونزل هو بعض قرى الزاب تحت جرايه أخيه الى أن انصرم الشتاء وكان أبو عنان لما ملك بجاية ولى عليها عمر ابن علي ابن الوزير من شيوخ بني وطاس فجاء فارح مولى الامير أبي عبد الله لنقل حرمه وولده فداخل بعض السفهاء من صنهاجة في قتل عمر بن علي فقتله في مجلسه ووثب هو على البلد وأرسل الى الامير أبي زيد يستدعيه من قسنطينة فتمشت رجالات البلد بينهم خشية من سطوة السلطان ثم ثاروا بفارح فقتلوه وأعادوا دعوة السلطان كما كانت وبعثوا عن عامل السلطان بتدلس يحيى بن عمر بن

عبد المؤمن من شيوخ بنى ونكاسن من بنى مرين فلكوه قيادهم وبعثوا الى السلطان
بطاعتهم فأخرج لوقته حاجبه محمد بن أبى عمرو واكتنفه الجند وصرف معه وجوه
دولته وأعيان بطانته وارتحلت من بسكرة وافدا على السلطان أبى عنان بتلمسان
فلقيت ابن أبى عمرو بالبطحاء وتلقانى من الكرامة بما لم أحتسبه وردنى معه الى بجاية
فشهدت الفتح وتسايلت وفود افريقية اليه فلما رجع الى السلطان وفدت معهم فنالنى
من كرامته واحسانه ما لم أحتسبه اذ كنت شابا لم يطر شاربى ثم انصرفت مع الوفود
ورجع ابن أبى عمرو الى بجاية فأقمت عنده حتى انصرم الشتاء أواخر أربع وخمسين
وعاد السلطان أبو عنان الى فاس وجمع أهل العلم للتحليق بمجلسه وجرى ذكرى عنده
وهو ينتقى طلبة العلم للمذاكرة فى ذلك المجلس فأخبره الذين لقيتهم بتونس عنى
ووصفونى له فكتب الى الحاجب يستقدمنى فقدمت عليه سنة خمس وخمسين ونظمنى
فى أهل مجلسه العلمى وألزمنى شهود الصلوات معه ثم استعملنى فى كتابته والتوقيع بين
يديه على كره منى اذ كنت لم أعهد مثله لسلفى وعكفت على النظر والقراءة ولقاء
المشيخة من أهل المغرب ومن أهل الاندلس الوافدين فى غرض السفارة وحصلت من
الافادة منهم على البغية وكان فى جملته يومئذ الاستاذ أبو عبد الله محمد بن الصفار من أهل
مراكش امام القراآت لوقته أخذ عن مشيخة المغرب وكبيرهم شيخ المحدثين
الرحالة أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهرى سيد أهل المغرب وكان يعارض السلطان
القرآن برواياته السبع الى أن توفى (ومنهم) قاضى الجماعة بفاس أبو عبد الله
محمد المقرى صاحبنا من أهل تلمسان أخذ العلم بها عن أبى عبد الله محمد السلوى
وورد على فاس المغرب خلوا من المعارف ثم دعته همته الى التحلى بالعلم فعكف فى بيته
على مدارسة القرآن فحفظه وقرأه بالسبع ثم عكف على كتاب التسهيل فى
العربية فحفظه ثم على مختصر ابن الحاجب فى الفقه والاصول فحفظهما ثم لزم الفقيه
عمران المشدالى من تلميذ أبى على ناصر الدين وتفقه عليه وبرز فى العلوم الى حيث
لم تلحق غايته وبنى السلطان أبو تاشفين مدرسة بتلمسان فقدمه للتدريس بها يباهى به
أولاد الامام وتفقه عليه بتلمسان جماعة كان من أوفرهم سهما فى العلوم أبو عبد الله
المقرى هذا ولما نزع أبو عبد الله الابلى الى تلمسان عند استيلاء السلطان أبى
الحسن عليها وكان أبو عبد الله السلوى قد قتل يوم فتح تلمسان قتله بعض أتباع السلطان
لذنب أسلفه فى خدمة أخيه أبى على بسجلماسة قبل انتحاله العلم كان السلطان توعده
عليه فقتل بباب المدرسة فلزم أبو عبد الله المقرى بعده مجلس شيخنا الابلى ومجالس ابنى
الامام واستبحر فى العلم ولما استقل السلطان أبو عنان سنة تسع وأربعين وخلع أباه ندبه

الى

الى كتب البيعة وكتبها وقرأها على الناس فى يوم مشهود وارتحل مع السلطان الى فاس فلما ملكها عزل قاضيها الشيخ المعمر أبا عبد الله بن عبد الرزاق وولاه مكانه فلم يزل قاضيا بها الى أن أسخطه لبعض النزعات الملوكية فعزله وأدال منه بالفقيه أبى عبد الله الفشتالى آخر سنة ست وخمسين ثم بعثه فى سفارة الى الاندلس فامتنع من الرجوع وقام السلطان لها فى ركابه ونقم على صاحب الاندلس تمسكه به وبعث اليه فيه يستقدمه ولاذ ابن الاحمر بالشفاعة فيه واقتضى له كتاب أمان بخط السلطان أبى عنان وأوفده فى جماعة من شيوخ العلم بغرناطة القاطنين بها منهم شيخنا أبو القاسم الشريف السبتى شيخ الدنيا جلالة وعلما ووقارا ورياسة وامام اللسان فصاحة وبيانا وتقدما فى نظمه ونثره وترسلاته وشيخنا الآخر أبو البركات محمد بن محمد بن الحاج البلفيقى من أهل المرية شيخ المحدثين والفقهاء والادباء والصوفية والخطباء بالاندلس وسيد أهل العلم باطلاق المتفنن فى أساليب المعارف وآداب الصحابة للملوك فمن دونهم فوفدوا به على السلطان شفيعين على عظيم تشوفه للقائهما فقبلت الشفاعة وانجحت الوسيلة حضرت بمجلس السلطان يوم وفادتهما سنة سبع وخمسين وكان يوما مشهودا واستقر القاضى المغربى فى مكانه بباب السلطان عطلا من الولاية والجراية وجرت عليه بعد ذلك محنة من السلطان وقعت بينه وبين أقاربه امتنع من الحضور معهم عند القاضى الفشتالى فتقدم السلطان الى بعض أكابر الوزعة ببابه أن يسحبه الى مجلس القاضى حتى ينفذ فيه حكمه فكان الناس يعدونها محنة ثم ولاه السلطان بعد ذلك قضاء العساكر فى دولته عند ما ارتحل الى قسنطينة فلما افتتحها وعاد الى دار ملكه بفاس آخر ثمان وخمسين اعتل القاضى المغربى فى طريقه وهلك عند قدومه بفاس * (ومنهم صاحبنا) * الامام العالم القدوة فارس المعقول والمنقول وصاحب الفروع والاصول أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسنى ويعرف بالعلوى نسبة الى قرية من أعمال تلمسان تسمى العلويين فكان أهل بلده لا يدافعون فى نسبهم وربما يغمس فيه بعض الفجرة ممن لا يزعه دينه ولا معرفته بالانساب بعض من اللغو لا يلتفت اليه نشأ هذا الرجل بتلمسان وأخذ العلم عن مشيختها واختص بأولاد الامام وتفقه عليهما فى الفقه والاصول والكلام ثم لزم شيخنا أبا عبد الله الابلى وتضلع من معارفه فاستبحر وتفجرت ينابيع العلوم من مداركه ثم ارتحل الى تونس فى بعض مذاهبه سنة أربعين ولقى شيخنا القاضى أبا عبد الله بن عبد السلام وحضر مجلسه وأفاد منه واستعظم رتبته فى العلم وكان ابن عبد السلام يصغى اليه ويؤثر محله ويعرف حقه حتى لقد زعموا أنه كان يخلو به فى بيته فيقرأ عليه فصل التصوف من كتاب الاشارات (١) لابن سينا لما كان هو أحكم ذلك

الكتاب على شيخنا الابلي وقرأ عليه كثيرا من كتاب الشفاء لابن سينا ومن تلاخيص كتب
أرسطو ومن الحساب والهندسة والفرائض علاوة على ما كان يحمله
من الفقه والعربية وسائر علوم الشريعة وكانت له في كتب الخلافيات يد طولى وقدم
عالية فعرف له ابن عبد السلام ذلك كله وأوجب حقه وانقلب الى تلمسان وانتصب
لتدريس العلم وبثه لأهل المغرب معارف وتلميذا الى أن اضطرب المغرب بعد واقعة
القيروان ثم هلك السلطان أبو الحسن وزحف أبو عنان الى تلمسان فملكها سنة ثلاث
وخمسين فاستخلص الشريف أبا عبد الله واختاره لمجلسه العلمي مع من اختاره من
المشيخة وزحف به الى فاس فتبرم الشريف من الاغتراب وردد الشكوى وعرف
السلطان ذلك وارتاب به ثم بلغه أثناء ذلك ان عثمان بن عبد الرحمن سلطان تلمسان
أوصاه على ولده وأودع له مالا عند بعض الاعيان من أهل تلمسان وان الشريف
مطلع على ذلك فانتزع الوديعة وسخط الشريف بذلك ونكبه وأقام في اعتقاله أشهرا
ثم أطلقه أول ست وخمسين وأقصاه ثم أعتبه بعد فتح قسنطينة وأعاده الى مجلسه الى أن
هلك السلطان آخر تسع وخمسين وملك أبو حمو بن يوسف بن عبد الرحمن تلمسان من يد
بني مرين واستدعى الشريف من فاس فسرحه القائم بالامر يومئذ الوزير عمر بن عبد
الله فانطلق الى تلمسان وأطلقه أبو حمو براحتيه وأصهر له في ابنته فزوجها اياه وبنى له
مدرسة جعل في بعض جوانبها مدفن أبيه وعمه وأقام الشريف يدرس العلم الى أن
هلك سنة احدى وسبعين وأخبرني رحمه الله أن مولده سنة عشر (ومنهم صاحبنا) *
الكاتب القاضي أبو القاسم محمد بن يحيى البرجي من برجة الاندلس كان كاتب
السلطان أبي عنان وصاحب الانشاء والسر في دولته وكان مختصا به وأثيرا لديه
وأصله من برجة الاندلس نشأ بها واجتهد في العلم والتحصيل وقرأ وسمع وتفقه على
مشيخة الاندلس واستبحر في الادب وبرز في النظم والنثر وكان لا يجارى في كرم الطباع
وحسن المعاشرة ولين الجانب وبذل البشر والمعروف وارتحل الى بجاية في عشر الاربعين
وسبعمائة وبها الامير أبو زكريا ابن السلطان أبي يحيى منفردا بملكها على حين أقفر من
رسم الكتابة والبلاغة فبادرت أهل الدولة الى اصطفائه وايثاره بخطة الانشاء والكتاب
عن السلطان الى أن هلك الامير أبو زكريا ونصب ابنه محمد مكانه فكتب عنه على رسمه
ثم هلك السلطان أبو يحيى وزحف السلطان أبو الحسن الى افريقية واستولى على
بجاية ونقل الامير محمدا بأهله وحاشيته الى تلمسان كما تقدم في أخباره فنزل أبو القاسم
البرجي تلمسان وأقام بها واتصل خبره بأبي عنان ابن السلطان أبي الحسن وهو يومئذ
أميرها وافيه فوقع من قلبه بمكان الى أن كانت واقعة القيروان وخلع أبو عنان واستبد

بياض بالاصل

بالامر فاستكتبه وحمله الى المغرب ولم يسم به الى العلامة لانه آثر بها محمد بن أبي عمر بما كان أبوه يعلمه القرآن وربي محمد بداره فولاه العلامة والبرجي مرادف له في رياسته الى أن انقرضوا جميعا وهلك السلطان أبو عنان واستولى أخوه أبو سالم على ملك المغرب وغلب ابن مرزوق على هواه كما قدمناه فنقل البرجي من الكتابة واستعمله في قضاء العساكر فلم يزل على القضاء الى أن هلك سنة وثمانين وأخبرني رحمه الله أن مولده سنة عشر *(ومنهم شيخنا المعمر الرحالة)* أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق شيخ وقته جلالة وتربية وعلما وخبرة بأهل بلده وعظمة فيهم نشأ بفاس وأخذ عن مشيختها وارتحل الى تونس فلقي القاضي أبا اسحق بن عبد الرفيع والقاضي أبا عبد الله النفزاوي وأهل طبقتهما وأخذ عنهم وتفقه عليهم ورجع الى المغرب ولازم سنن الاكابر والمشايخ الى أن ولاه السلطان أبو الحسن القضاء بمدينة فاس فأقام على ذلك الى أن جاء السلطان أبو عنان من تلمسان بعد واقعة القيروان وخلعه فعزله بالفقيه أبي عبد الله المغربي وأقام عطلا في بيته ولما جمع السلطان مشيخة العلم للتحليق بمجلسه والافادة منهم واستدعى شيخنا أبا عبد الله بن عبد الرزاق فكان يأخذ عنه الحديث ويقرأ عليه القرآن برواياته في مجلس خاص الى أن هلك رحمه الله بين يدي مهلك السلطان أبي عنان الى آخرين وآخرين من أهل المغرب والاندلس كلهم لقيت وذاكرت وأفدت منه وأجازني بالاجازة العامة

(حديث النكبة من السلطان أبي عنان)

كان اتصالي بالسلطان أبي عنان آخر سنة ست وخمسين وقربني وادناني واستعملني في كتابته واختصني بمجالسه للمناظرة والتوقيع عنه فكثر المنافسون وارتفعت السعايات حتى قويت عنده بعد أن كان لا يغير عن صفائه ثم اعتل السلطان آخر سبع وخمسين وكان قد حصلت بيني وبين الامير محمد صاحب بجاية من الموحدين مداخلة أحكمها ما كان لسلفي في دولتهم وغفلت عن التحفظ من مثل ذلك من غيرة السلطان فما هو الا أن شغل بوجعه حتى نمى اليه بعض العداة أن صاحب بجاية معتمل في الفرار ليسترجع بلده وبها يومئذ وزيره الكبير عبد الله بن علي فانبعث السلطان لذلك وبادر بالقبض عليه وكان فيما نمى اليه أني داخلته في ذلك فقبض علي وامتحنني وحبسني ثم أطلق الامير محمدا وما زلت أنا في اعتقاله الى أن هلك وخاطبته بين يدي مهلكه بقصيدة

على أي حال لليالي اعاتب * وأي صروف للزمان أغالب
كفى حزنا أني على القرب نازح * وأني على دعوى شهودي غائب
وأني على حكم الحوادث نازل * تسالمني طورا وطورا تحارب

(ومنها فى التشوق)

سلوتهم الا ادكارا معاهد * لها فى الليالى الغابرات غرائب
وان نسيم الريح منهم يسوقنى * اليهم وتصبينى البروق اللواعب

وهى طويلة نحو مائتى بيت ذهبت عن حفظى فكان لها منه موقع وهش لها وكان بتلمسان فوعد بالافراج عنى عند حلوله بفاس ولخمس ليال من حلوله طرقه الوجع وهلك لخمس عشرة ليلة فى رابع وعشرين من ذى الحجة خاتم تسع وخمسين وبادر القائم بالدولة الوزير الحسن بن عمر الى اطلاق جماعة من المعتقلين كنت فيهم فخلع على وحملنى وأعادنى الى ما كنت عليه وطلبت منه الانصراف الى بلادى فأبى على وعاملنى بوجوه كرامته ومذاهب احسانه الى أن اضطرب أمره وانتقض عليه بنو مرين وكان ماقدمناه فى أخبارهم

(الكتابة عن السلطان أبى سالم فى السر والانشاء)

ولما أجاز السلطان أبو سالم من الاندلس لطلب ملكه ونزل بجبل الصفيحة من بلاد غمارة وكان الخطيب ابن مرزوق بفاس فشد عزمه سرا واستعان بى على أمره بما كان بينى وبين أشياخ بنى مرين من المحبة والائتلاف فحملت الكثير منهم على ذلك وأجابونى اليه وأنا يومئذ أكتب عن القائم بأمر بنى مرين منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق وقد نصبوه للملك وحاصروا الوزير حسن بن عمر وسلطانه السعيد بن أبى عنان بالبلد الجديد فقصدنى ابن مرزوق فى ذلك وأوصل الى كتاب السلطان أبى سالم بالحض على ذلك واجمال الوعد فيه وألقى على حملته فنهضت به وتقدمت الى شيوخ بنى مرين وأمراء الدولة بالتحريض على ذلك حتى أجابوا وبعث ابن مرزوق الى الحسن بن عمر يدعوه الى طاعة السلطان أبى سالم وقد ضجر من الحصار فبادر الى الاجابة واتفق رأى بنى مرين على الانفضاض عن منصور بن سليمان والدخول الى البلد الجديد فلما تم عقدهم على ذلك نزعت الى السلطان أبى سالم فى طائفة من وجوه أهل الدولة كان منهم محمد بن عثمان بن الكاس المستبد بعد ذلك بملك المغرب على سلطانه وكان ذلك النزوع مبدأ حظه وخطة سعادته بسعايتى له عند السلطان فلما قدمت على السلطان بالصفيحة بما عندى من أخبار الدولة وما أجمعوا عليه من خلع منصور بن سليمان وبالموعد الذى ضربوه لذلك واستحثثته فارتحل ولقينا البشير باجفال منصور بن سليمان وفراره الى نواحى باديس ودخول بنى مرين الى البلد الجديد واظهار الحسن بن عمر دعوة السلطان أبى سالم ثم لقيتنا بالقصر الكبير قبائل السلطان وعساكره على راياتهم ووزير منصور بن سليمان مسعود بن رحو بن ماسى

فتلقاه السلطان الكرامة كما يجب واستوزره عوضا بالحسن بن يوسف بن على بن محمد الورياجى السابق الى وزارته لقيه بسبتة وقد غص به منصور بن سليمان الى الاندلس فاستوزره واستكفاه ولما اجتمعت العساكر عنده بالقصر صمد الى فاس ولقيه الحسن بن عمر بظاهرها فأعطاه طاعته ودخل الى دار ملكه وانا فى ركابه لخمس عشرة ليلة من نزوتى اليه منتصف شعبان سنة ستين وسبعمائة فرعى لى السابقة واستعملنى فى كتابة سره والترسل عنه والانشاء لمخاطباته وكان أكثرها يصدر عنى بالكلام المرسل بدون أن يشاركنى أحد ممن ينتحل الكتابة فى الاسجاع لضعف انتحالها وخفاء المعانى منها على أكثر الناس بخلاف غير المرسل فانفردت به يومئذ وكان مستغربا عند من هم من أهل هذه الصناعة ثم أخذت نفسى بالشعر وانثال على منه بحور توسطت بين الاجادة والقصور وكان مما أنشدته اياه ليلة المولد النبوى من سنة ثلاث وستين

أسرفن فى هجرى وفى تعذيبى * وأطلن موقف عبرتى ونحيبى
وأبين يوم البين موقف ساعة * لوداع مشغوف الفؤاد كئيب
لله عهد الظاعنين وقد غدا * قلبى رهين صبابة ووجيب
غربت ركائبهم ودمعى سافح * فشرقت بعدهم بماء غروب
يا ناقعا بالعتب غلة شوقهم * رحماك فى عذلى وفى تأنيبى
يستعذب الصب الملام وانى * ماء الملام لدى غير شروب
ما هاجنى طرب ولا اعتاد الجوى * لولا تذكر منزل وحبيب
أصبو الى اطلال كانت مطلعا * للبدر منهم أو كناس ربيب
عبثت به أيدى البلى وترددت * فى عطفها للدهر أى خطوب
تبلى معاهدها وان عهودها * ليجدها وصفى وحسن نسيبى
واذا الديار تعرضت لمتيم * هزته ذكراها الى التشبيب
ايه على الصبر الجميل فانه * ألوى بدين فؤادى المنهوب
لم أنسها والدهر يثنى صرفه * ويغض طرفى حاسد ورقيب
والدار مونقة بما لبست من ا * لأيام تجلوها بكل قشيب
ياسائق الاظعان يعتسف الفلا * ويواصل الاسآد بالتأويب
متهافتا عن رحل كل مذلل * نشوان من آن ومس لغوب
تتجاذب النفحات فضل ردائه * فى ملتقاها من صبا وجنوب
ان هام من ظمأ الصبابة صحبه * نهلوا بمورد دمعه المسكوب
ان تعترض مسراهم سدف الدجى * صدعوا الدجى بغرامه المشبوب

في كل شعب منية من دونها * هجر الاماني أولقا شعوب
هلا عطفت صدورهن الى التي * فيها لغاية أعين وقلوب
فتؤم من أكناف يثرب مأمنا * يكفيك ماتخشاه من تثريب
حيث النبوة آيها مجلوة * تتلو من الآثار كل غريب
سر عجيب لم يحجبه الثرى * ما كان سر الله بالمحجوب

ومنها بعد تعديد معجزاته صلى الله عليه وسلم والاطناب في مدحه

انى دعوتك واثقا باجابتى * ياخير مدعو وخير مجيب
قصرت في مدحي فان يك طيبا * فبما لذكرك من أريج الطيب
ماذا عسى يبغي المطيل وقد حوى * في مدحك القرآن كل مطيب
ياهل تبلغني الليالي زورة * تدني الى الفوز بالمرغوب
أمحو خطيآتي باخلاصي بها * وأحط أوزاري واصر ذنوبي
في فتية هجروا المنى وتعودوا * انضاء كل نجيبة ونجيب
يطوى صحائف ليلهم فوق الفلا * ماشئت من خبب ومن تقريب
ان رنم الحادى بذكرك رددوا * أنفاس مشتاق اليك طروب
أوغرد الركب الخلي بطيبة * حنوا لمغناها حنين النيب
ورثوا اعتساف البيد عن آبائهم * ارث الخلافة في بني يعقوب
الطاعنون الخيل وهي عوابس * يغشى مثار النقع كل سبيب
والواهبون المقربات صوافنا * من كل خوار العنان لعوب
والمانعون الجار حتى عرضه * في منتدى الاعداء غير معيب
تخشى بوادرهم ويرجى حلمهم * والعز شيمة مرتجى ومهيب

ومنها في ذكر اجازته البحر واستيلائه على ملكه

سائل بني طامي العباب وقد سرى * تزجيه ريح العزم ذات هبوب
تهديه شهب أسنة وعزائم * يصدعن ليل الحادث المرهوب
حتى انجلت ظلل الظلام بسعيه * وسطا الهدى بفريقه المغلوب
أبني الاولى شادوا الخلافة بالتقى * واستأثروا بتاجها المغصوب
جمعوا لحفظ الدين أي مناقب * كرموا بها في مشهد ومغيب
لله مجدك طارفا أوتالدا * فلقد شهدنا منه كل عجيب
كم رهبة أورغبة لك في العلا * تقتاد بالترغيب والترهيب
لازلت مسرورا بأشرف دولة * يبدو الهدى من أفقها المرغوب

ومن قصيدة خاطبته بها عند وصول هدية ملك السودان اليه وفيها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة

قدحت يد الاشواق من زندى * وهفت بقلبى زفرة الوجد
ونبذت سلوانى على ثقة * بالقرب فاستبدلت بالبعد
ولرب وصل كنت آمله * فاعتضت منه بؤلم الصد
لاعهد عند الصبر أطلبه * ان الغرام أضاع من عهدى
يلحى العذول فما أعنفه * وأقول ضل فأبتغى رشدى
وأعارض النفحات أسئلها * برد الجوى فتزيد فى الوقد
يهدى الغرام الى مسالكها * لتعللى بضعيف ما تهدى
ياسائق الاظعان معتسفا * طى الفلاة لطية الوجد
أرح الركاب ففى الصبا نبأ * يغنى عن المستنة الجرد
وسل الربوع برامة خبرا * عن ساكنى نجد وعن نجد
مالى يلام على الهوى خلقى * وهى التى تأبى سوى الحمد
لابيت الاالرشد قد وضحت * بالمستعين معالم الرشد
نم الخليفة فى هدى وتقى *
نجل السراة الغر شأنهم * كسب العلا بمواهب الوجد

ومنها فى ذكر خلوصى اليه وما ارتكبته فيه

لله منى اذ تأوبنى * ذكراه وهو بشاهق فرد
شهم يفل بواترا قضبا * وجموع أقيال أولى اليد
أوريت زند العزم فى طلبى * وقضيت حق المجد من قصدى
ووردت عن ظما مناهله * فرويت من عز ومن رفدى
هى جنة المأوى لمن كانت * آماله بمطالب المجد
لو لم أغل ببرد كوثرها * ماقلت هذى جنة الخلد
من مبلغ قومى ودونهم * قذف النوى وتنوفة البعد
انى أنفت على رجائهم * وملكت عز جميعهم وحدى
ورقيقة الاعطاف حالية * موشية بوشائع البرد
وحشية الانساب ما أنست * فى موحش البيداء بالغرد
تسمو بجيد بالغ صعدا * شرف الصروح بغير ماجهد
طالت رؤس الشامخات به * وربما قصرت عن الوهد

بياض بالاصل

قطعت اليك تنائفا وصلت * آسادها بالفهد والوخد
تعدى على استصعابها ذللا * وتبيت طوع القن والقد
لسعودك اللاتي ضمن لها * طول الحياة بعيشة رغد
جاءتك في وفد الاحابش لا * يرجون غيرك مكرم الوفد
وافوك انضاء تقلبهم * أيدى السرى بالغور والنجد
يثنون بالحسنى التى سبقت * من غير انكار ولا جحد
ويرون لحظك من وفادتهم * فخرا على الاتراك والهند
يا مستعينا جل في شرف * عن رتبة المنصور والمهدي
جازاك ربك عن خليقته * خير الجزاء فنعم من يسدي
وبقيت للدنيا وساكنها * في عزة أبدا وفي سعد

وأنشدته في سائر أيامه غير هاتين القصيدتين كثيرا لم يحضرني الآن شيء منه ثم غلب ابن مرزوق على هواه وأفرد بمخالصته وكبح الشكائم عن قربه فانقبضت وقصرت الخطو مع البقاء على ما كنت فيه من كتابة سره وانشاء مخاطباته ومراسمه ثم ولاني آخر الدولة خطة المظالم فوفيتها حقها ودفعت للكثير مما أرجو ثوابه ولم يزل ابن مرزوق آخذا في سعايته بي وبأمثالي من أهل الدولة غيرة ومنافسة الى أن انتقض الامر على السلطان بسببه وثار الوزير عمر بن عبد الله بدار الملك فصار اليه الناس ونبذوا السلطان وبيعته وكان في ذلك هلاكه على ماذكرناه في أخبارهم ولما قام الوزير عمر بالامر أقرني على ما كنت عليه ووفر أقطاعي وزاد في جرايتي وكنت أسمو بطغيان الشباب الى أرفع عما كنت فيه وأدل في ذلك بسابق مودة معه منذ أيام السلطان أبي عنان وصحابة استحكم عقدها بيني وبين الامير أبي عبد الله صاحب بجاية فكان ثالث أثافينا ومصقل فكاهتنا واشتدت غيرة السلطان كما مر وسطا بنا وتغافل عن عمر بن عبد الله لمكان أبيه من ثغر بجاية ثم حملني الادلال عليه أيام سلطانه وما ارتكبه في حقي من القصور بي عما أسمو اليه الى أن هجرته وقعدت عن دار السلطان مغاضبا له فتنكر لي وأقطعني جانب الاعراض فطلبت الرحلة الى بلدي بافريقية وكان بنو عبد الواد قد راجعوا ملكهم بتلمسان والمغرب الاوسط فمنعني من ذلك أن يغتبط أبو حمو صاحب تلمسان بمكاني [illegible] فأبيت الا الرحلة واستجرت في ذلك برديفه وصهره [illegible] مسعود بن رحو بن ماسي ودخلت عليه يوم الفطر سنة ثلاث وستين فأنشدته

[illegible] * وبشرى لعبد أنت فيه منيل
لا زلت مسرورا [illegible] * تتابع أعوام بها وفصول

لسان عينه * ولامس ربعا فى حماك محول
لليالى مواسم * له غرر وضاحة وحجول
لمأمول للجود مشرع * يحوم عليه عالم وجهول
وان ضنّ الزمان منوّلى * فرسم الامانى من سواك محيل
أجرنى فليس الدهر لى بمسالم * اذا لم يكن لى فى ذراك مقيل
وأوليتنى الحسنى بما أنا آمل * فمثلك يولى راجيا وينيل
ووالله ما رمت الترحل عن قلى * ولا سخطة للعيش فهو جزيل
ولا رغبة عن هذه الدار انها * لظل على هذا الانام ظليل
ولكن نأى بالشعب عنا حبائب * شجاهن خطب والفراق طويل
يهيج بهن الوجد انى نازح * وان فؤادى حيث هن حلول
عزيز عليهن الذى قد لقيته * وان اغترابى فى البلاد يطول
توارث بابنى البقاع كأننى * تخطفت أو غالت ركابى غول
ذكرتك يا مغنى الاحبة والهوى * فطارت لقلبى أنة وعويل
وحييت عن شوق ربالك كأنما * يمثل لى فى بهاوطلول
أأحبابنا والعهد بينى وبينكم * كريم وما عهد الكريم يحول
اذا أنا لم ترض الحمول مدامعى * فلا قربتنى للقاء حمول
إلام مقامى حيث لم ترد العلا * مرادى ولم تعط القياد ذلول
ويذهب بى ما بين يأس ومطمع * زمان بنيل المعلوات بخيل
تعللنى منه أمان خوادع * ويؤنسنى منه أمان مطول
أما لليالى لا ترد خطوبها * ففى كبدى من وقعهن فلول
يروعنى عن صرفها كل حادث * تكاد له صم البلاد تزول
أدارى على رغم العداة بريبة * يصانع واش جوفها وعذول
وأغدو بأشجانى عليلا كأنما * تجود بنفسى زفرة وغليل
وانى وان أصبحت فى دار غربة * تحيل الليالى سلوتى وتديل
وصدتنى الايام عن خير منزل * عهدت به أن لا يضام نزيل
لأعلم أن الخير فاش مكثر * وان هان أنصار وبان خليل

فأعانى الوزير مسعود عليه حتى أذن لى فى الانطلاق على شريطة العدول عن تلمسان فى أى مذهب أردت فاخترت الاندلس وصرفت ولدى وأمهم الى أخوالهم أولاد القائد محمد بن الحكيم بقسنطينة فاتح أربع وستين وجعلت أنا طريقى على الاندلس وكان

قطعت اليك تنائفا وصلت * آسادها بالقهد والوخد
تحدى على استصعابها ذللا * وتبيت طوع القبس والقيد
لسعودك اللائى ضمن لها * طول الحياة بعيشة رغد
جاءتك فى وفد الاحابش لا * يرجون غيرك مكرم الوفد
وافوك انضاء تقلبهم * أيدى السرى بالغور والنجد
يتلون بالحسنى التى سبقت * من غير انكار ولا جحد
ويرون لحظك من وفادتهم * فخرا على الاتراك والهند
يا مستعينا جل فى شرف * عن رتبة المنصور والمهدى
جازاك ربك عن خليقته * خير الجزاء فنعم من يسدى
وبقيت للدنيا وساكنها * فى عزة أبدا وفى سعد

وأنشدته فى سائر أيامه غيرها من القصائد كثيرا لم يحضرنى الآن شئ منه ثم غلب ابن مرزوق على هواه وانفرد بمخالصته وكبح الشكائم عن قربه فانقبضت وقصرت الخطو مع البقاء على ما كنت فيه من كتابة سره وانشاء مخاطباته ومراسمه ثم ولانى آخر الدولة خطة المظالم فوفيتها حقها ودفعت للكثير مما أرجو ثوابه ولم يزل ابن مرزوق آخذا فى سعايته بى وبأمثالى من أهل الدولة غيرة ومنافسة الى أن انتقض الامر على السلطان بسببه وثار الوزير عمر بن عبد الله بدار الملك فصار اليه الناس ونبذوا السلطان وبيعته وكان فى ذلك هلاكه على ما ذكرناه فى أخبارهم ولما قام الوزير عمر بالامر أقرنى على ما كنت عليه ووفر أقطاعى وزاد فى جرايتى وكنت أسمو بطغيان الشباب الى أرفع مما كنت فيه وأدل فى ذلك بسابق مودة معه منذ أيام السلطان أبى عنان وصحابة استحكم عقدها بينى وبين الامير أبى عبد الله صاحب بجاية فكان ثالث آثافينا ومصقل فكاهتنا واشتدت غيرة السلطان كما مر وسطا بنا وتغافل عن عمر بن عبد الله لمكان أبيه من ثغر بجاية ثم حملنى الادلال عليه أيام سلطانه وما ارتكبه فى حقى من القصور بى عما أسمو اليه الى أن هجرته وقعدت عن دار السلطان مغاضبا له فتنكر لى وأقطعنى جانبا من الاعراض فطلبت الرحلة الى بلدى بافريقية وكان بنو عبد الواد قد راجعوا ملكهم بتلمسان والمغرب الاوسط فمنعنى من ذلك أن يغتبط أبو حمو صاحب تلمسان بمكانى فأقيم عنده وألح فى المنع من ذلك وأبيت أنا الا الرحلة واستجرت فى ذلك برديفه وصهره الوزير مسعود بن رحو بن ماسى ودخلت عليه يوم الفطر سنة ثلاث وستين فأنشدته

هنيئا لصوم لا عداه قبول * وبشرى لعيد أنت فيه منيل
وهنئتها من عزة وسعادة * تتابع أعوام بها وفصول

سقى الله دهرا أنت انسان عينه * ولامس ربعا فى حماك محول
لعمرك مابين الليالى مواسم * له غرر وضاحة وحجول
وجانبك المأمول للجود مشرع * يحوم عليه عالم وجهول
عمالك وان ضن الزمان منولى * فرسم الامانى من سواك محيل
أجرنى فليس الدهر لى بمسالم * اذا لم يكن لى فى ذراك مقيل
وأوليتنى الحسنى بما أنا آمل * فمثلك يولى راجيا وينيل
ووالله مارمت الترحل عن قلى * ولا سخطة للعيش فهو جزيل
ولا رغبة عن هذه الدار انها * لظل على هذا الانام ظليل
ولكن نأى بالشعب عنا حبائب * شجاهن خطب والفراق طويل
تهيج بى الوجد انى نازح * وان فؤادى حيث هن حلول
عزيز عليهن الذى قد لقيته * وان اغترابى فى البلاد يطول
توارت بأبناء البقاع كأننى * تخطفت أو غالت ركابى غول
ذكرتك يا مغنى الاحبة والهوى * فطارت لقلبى أنة وعويل
وحييت عن شوق ربالك كانما * يمثل لى فى نؤيها وطلول
أأحبابنا والعهد بينى وبينكم * كريم وما عهد الكريم يحول
اذا أنا لم ترض الحمول مدامعى * فلا قربتنى للقاء حمول
إلام مقامى حيث لم ترد العلا * مرادى ولم تعط القياد ذلول
ويذهب بى مابين يأس ومطمع * زمان بنيل المعلوات بخيل
تعللنى منه أمان خوادع * ويؤنسنى منه أمان مطول
أما للسالى لاترد خطوبها * ففى كبدى من وقعهن فلول
يروعنى عن صرفها كل حادث * تكاد له صم البلاد تزول
أدارى على رغم العداة بريبة * يصانع واش جوفها وعذول
وأغدو بأشجان عليلا كأنما * تجود بنفسى زفرة وغليل
وانى وان أصبحت فى دار غربة * تحيل الليالى سلوتى وتديل
وصدتنى الايام عن خير منزل * عهدت به أن لا يضام نزيل
لاعلم أن الخير فاش مكثر * وان هان أنصار وبان خليل

فأعانى الوزير مسعود عليه حتى أذن لى فى الانطلاق على شريطة العدول عن تلمسان فى أى مذهب أردت فاخترت الاندلس وصرفت ولدى وأمهم الى أخوالهم أولاد القائد محمد بن الحكيم بقسنطينة فاتح أربع وستين وجعلت أنا طريقى على الاندلس وكان

سلطانها أبو عبد الله المخلوع وحين وفد على السلطان أبي سالم بفاس وأقام عنده حصلت لي معه سابقة وصلة خدمة من جهة الوزير أبي عبد الله بن الخطيب لما كان بيني وبينه من الصحابة فكنت أقوم بخدمته وأعمل في قضاء حاجاته في الدولة ولما أجاز باستدعاء الطاغية لاسترجاع ملكه حين فسد ما بين الطاغية وبين الرئيس المتوثب عليه بالاندلس من قرابته خلفته فيما ترك من عياله وولده بفاس خير خلف في قضاء حاجاتهم وادرار ارزاقهم من المتولين لها والاستخدام لهم ثم فسد ما بين الطاغية وبينه قبل ظفره بملكه برجوعه عما اشترط له من التجافي عن حصون المسلمين التي تملكها بالاجلاب ففارقه الى بلاد المسلمين باستجة وكتب الى عمر بن عبد الله يطلب مصرا من أمصار الاندلس الغربية التي كانت ركابا لملوك المغرب في جهادهم وخاطبني أنا في ذلك فكنت له نعم الوسيلة عند عمر حتى تم قصده من ذلك وتجافى له عن رندة وأعمالها فنزلها وتملكها وكانت دار هجرته وركاب فتحه وملك منها الاندلس أواسط ثلاث وستين واستوحشت أنا من عمر اثر ذلك كما مر وارتحلت اليه معولا على سوابقي عنده فقرب في المكافات كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الرحلة الى الاندلس)

ولما أجمعت الرحلة الى الاندلس بعثت باهلي وولدي الى أخوالهم بقسنطينة وكتبت لهم الى صاحبها السلطان أبي العباس من حفدة السلطان أبي يحيى وبأني أمر على الاندلس وأجيز عليه من هنالك وسرت الى سبتة فرضة المجاز وكبيرها يومئذ أبو العباس أحمد بن الشريف الحسني ذو النسب الواضح السالم من الريبة عند كافة أهل المغرب انتقل سلفه الى سبتة من صقلية وأكرمهم بنو العزفي أولا وصاهروهم ثم عظم صيتهم في البلد فتنكروا لهم وغربهم يحيى العزفي آخرهم الى الجزيرة فاعترضهم مراكب النصارى في الزقاق فأسروهم وانتدب السلطان أبو سعيد الى فديتهم رعاية لشرفهم فبعث الى النصارى في ذلك فأجابوه وفادى هذا الرجل وأباه على ثلاثة آلاف دينار ورجعوا الى سبتة وانقرض بنو العزفي ودولتهم وهلك والد الشريف وصدر هو الى رياسة الشورى لما كانت واقعة القيروان وخلع أبو عنان أباه واستولى على المغرب وكان بسبتة عبد الله ابن علي الوزير واليا من قبل السلطان أبي الحسن فتمسك بدعوته ومال أهل البلد الى السلطان أبي عنان وأمكنوه من بلدهم فولى عليها من عظماء دولته سعيد بن موسى العجيسي كان كافل تربيته في صغره وأفرد هذا الشريف برياسة الشورى في سبتة فلم يكن يقطع أمرا دونه ووفد على السلطان بعض الايام فلقاه من المبرة بالايثار ما لم يكن فيه أحد من وفود الملوك والعظماء ولم يزل على ذلك سائر أيام السلطان

وبعد وفاته وكان معظما وقور المجلس هش اللقاء كريم الوفادة متحليا بالعلم والادب منتحلا للشعر غاية فى الكرم وحسن العهد وسذاجة النفس ولما مررت به سنة أربع وستين أنزلنى ببيته ازاء المسجد الجامع ورأيت منه مالا يقدر مثله من الملوك وأركبنى الحراقة ليلة سفرى يباشر دحرجتها الى الماء بيده اغرابا فى الفضل والمساهمة وحططت بجبل الفتح وهو يومئذ لصاحب المغرب ثم خرجت منه الى غرناطة وكتبت للسلطان ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب بشانى وليلة بت بقرب غرناطة على بريد منها لقينى كتاب ابن الخطيب يهنينى بالقدوم ويؤنسنى ونصه

حللت حلول الغيث فى البلد المحل * على الطائر الميمون والرحب والسهل

يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه * من الشيخ والطفل المعصب والكهل

لقد نشأت عندى للقياك غبطة * تنسى اغتباطى بالشبيبة والاهل

وودى لا يحتاج فيه لشاهد * وتقريرى المعلوم ضرب من الجهل

أقسمت بمن حجت قريش لبيته وقبر صرفت أزمة الاحياء لميته (١) ونور ضربت الامثال بمشكاته وزيته لو خيرت أيها المحب الحبيب الذى زيارته الامنية السنية والعارفة الوارفة واللطيفة المطيفة بين رجع الشباب يقطر ماؤه ويرف نماؤه ويغازل عيون الكواكب فضلا عن الكواعب اشارة وايماء بحيث لا آلو فى خط يلم بساح لمته أو يقدح ذباله فى ظلمته أو يقدم حواريه فى ملمته من الاحابش وأمته وزمانه روح وراح ومغدى فى النعيم ومراح وخصب صراح ورنى وجراح وانتخاب واقتراح وصدر ما به الا انشراح ومسرات يردفها افراح وبين قدومك خليع الرسن ممتعا والحمد لله باليقظة والوسن محكما فى نسك الجنيد أو فتك الحسن ممتعا بطرف المعارف مالئا ألف الصيارف ماحيا بأنوار البراهين شبه الزخارف لما اخترت الشباب وان شاقنى زمنه وأعيانى ثمنه وأجرت سحاب دمعى دمنه فالحمد لله الذى رفأ حنوه اغترابى وملكنى أزمة آرابى وغبطنى بمالى وترابى ومألف اترابى وقد أغصنى بلذيذ شرابى ووقع على سطوره المعتبرة اضرابى وعجلت هذه مغبطة بمناخ المطية وملتقى للسعود غير البطية وتهدى الآمال الوثيرة الوطيه فما شئت من نفوس عاطشة الى ريك متجملة بزيك عاقلة خطى مهريك ومولى بمكارمه مشيدة لامثالك ومضان مثالك وسيصدق الخبر ماهنالك ويسع فضل مجدك فى التخلف عن الاصحار لا بل اللقاء من وراء البحار والسلام ثم أصبحت من الغد قادما على البلد وذلك ثامن ربيع الاول عام أربعة وستين وقد اهتز السلطان لقدومى وهيأ لى المنزل من قصوره بفرشه وماعونه وأركب خاصته للقائى تحفيا وبرا ومجازاة بالحسنى ثم دخلت

(١) شـ... جزأ... قصـ... المد... الا... فأ... الكـ... الملا... الشـ... معـ...

علىّ فقابلنى بما يناسب ذلك وخلع وانصرفت وخرج الوزير ابن الخطيب فشيّعنى الى مكان نزلى ثم نظمنى فى علية أهل مجلسه واختصنى بالنجاء فى خلوته والمراكبة فى ركوبه والمواكلة والمفاكهة فى خلوات أنسه وأقمت عنده وسفرت عنه سنة خمس وستين الى الطاغية ملك قشتالة يومئذ بطره بن الهنشة بن ادفونش لاتمام عقد الصلح ما بينه وبين ملوك العدوة بهدية فاخرة من ثياب الحرير والجياد والمقربات بمراكب الذهب الثقيلة فلقيت الطاغية باشبيلية وعاينت آثار سلفى بها وعاملنى من الكرامة بما لا مزيد عليه وأظهر الاغتباط بمكانى وعلم أولية سلفنا باشبيلية وأثنى علىّ عنده طبيبه ابراهيم ابن زرزور اليهودى المقدم فى الطب والنجامة وكان لقينى بمجلس السلطان أبى عنان وقد استدعاه يستطبه وهو يومئذ بدار ابن الاحمر بالاندلس ثم نزع بعد مهلك رضوان بن القائم بدولتهم الى الطاغية فأقام عنده ونظمه فى أطبائه فلما قدمت أنا عليه أثنى علىّ عنده فطلب الطاغية حينئذ المقام عنده وان يرد علىّ تراث سلفى باشبيلية وكان بيد زعماء دولته فتفاديت من ذلك بما قبله ولم يزل على اغتباطه الى أن انصرفت عنه فزودنى وحملنى واختصنى ببغلة فارهة بمركب ثقيل ولجام ذهبيين أهديتهما الى السلطان فأقطعنى قرية البيرة من أراضى السقى بمرج غرناطة وكتب لى بها منشورا كان نصبه

بياض بالاصل

ثم حضرت ليلة المولد النبوى لخامسة وكان يحتفل فى الصنيع فيها والدعوة وانشاد الشعر اقتداء بملوك المغرب فأنشدته ليلتئذ

حىّ المعاهد كانت قبل تحيينى * بواكف الدمع يرويها وتظمينى
أنّ الاولى نزحت دارى ودارهم * تحملوا القلب فى آثارهم دونى
وقفت أنشد صبرا ضاع بعدهم * فيهم وأسأل رسما لا يناجينى
أمثل الربع من شوقى فألثمه * وكيف والفكر يدنيه ويقصينى
وينهب الوجد منى كل لؤلؤة * مازال قلبى عليها غير مأمون
سقت جفونى مغانى الربع بعدهم * بالدمع وقفا على اطلاله الجون
قد كان للقلب عن داعى الهوى شغل * لو أنّ قلبى الى السلوان يدعونى

احبابنا

أحبابنا الولعهد الوصل مدّكر * وهل نسيتمه منكم تحييني
مالي وللطيف لا يعتاد زائره * وللنسيم عليلا لا يداويني
يا أهل نجد وما نجد وساكنها * حسنا سوى جنة الفردوس والعين
أعندكم انني ما مر ذكركم * ثنيت نفسي كأن الراح يحييني
أصبو الى البرق من انحاء أرضكم * شوقا ولولا كمو ما كان يصبيني
يا نازحا والمنى تدنيه من خلدي * حتى لأحسبه قربا يناجيني
أسلى هواك فؤادي عن سواك وما * سواك يوما بحال عنك يسليني
ترى الليالي أنستك ادكاري يا * من لم تكن ذكره الايام تنسيني
ومنها في وصف الايوان الذي بناه لجلوسه بين قصوره
يا مصنعا شدت منه للسعود حمى * لا يطرق الدهر مبناه بتوهين
صرح يحار لديه الطرف ملتبسا * فيما يرومك من شكل وتلوين
بعدا لايوان كسرى ان قصرك السامي لاعظم من تلك الاواوين
ودع دمشق ومغناها فقصرك ذا * أشهى الى القلب من أبواب جيرون
ومنها في التعريض بمنصرفي من العدوة
من مبلغ عني الصحب الأولى نزلوا * ودي وضاع حماهم اذ أضاعوني
اني أويت من العليا الى حرم * كادت مغانيه بالبشرى تحييني
وانني ظاعن لم ألق بعدكم * دهرا أشاكي ولا خلا يشاكيني
لا كالتي أخفرت عهدي ليالي اذ * أقلب الطرف بين الخوف والهون
سقيا ورعيا لايامي التي ظفرت * يداي منها بحظ غير مغبون
أرتاد منها مليا لا يماطلني * وعدا وأرجو كريما لا يعنيني
وهاك منها قوافي طيها حكم * مثل الازاهر في طي الرياحين
تلوح ان جليت درا وان تليت * تثني عليك بأنفاس البساتين
عانيت فيها بجهدي كل شاردة * لولا سعودك ما كانت تواتيني
يمانع الفكر عنها ما تقسمه * من كل حزب بطي الصدر مكنون
لكن بسعدك ذلت لي شواردها * فرضت منها بتحبير وتزيين
بقيت دهرك في أمن وفي دعة * ودام ملكك في نصر وتمكين
وأنشدته سنة خمس وستين في اعذار ولده والصنيع الذي احتفل لهم فيه ودعا اليه الخلفاء من نواحي الاندلس ولم يحضرني منها الاما أذكره
هفا الشوق لولا عبرة ونحيب * وذكرى تجد الوجد حين تثوب

وتأبى أبى الا الوفاء بعهده * وان نزحت دار وبان حبيب
ولله منى بعد حادثة النوى * فؤاد لتذكير العهود طروب
يؤرقه طيف الخيال اذا سرى * وتذكى حشاه نفحة وهبوب
خليلى لا تستعديا قد دعا الاسى * فانى لما يدعو الاسى لمجيب
ألما على الاطلال نقض حقوقها * من الدمع فياض الشؤن سكوب
ولا تعذلانى فى البكاء فانها * حشاشة نفسى فى الدموع تذوب

ومنها فى تقدم ولده للاعذار من غير نكول

فيم منه الطفل لا متقاعس * ولا نكس عند اللقاء هيوب
وراح كما راح الحسام من الوغى * تروق حلاه والفرند خضيب
شواهد صدق منك شمائل * وخلق بصفو المجد منك مشوب

ومنها فى الثناء على ولديه

هما النيران الطالعان على الهدى * بآيات فتح شأنهن عجيب
شهابان فى الهيجا غمامان فى الثرى * نسيم المعالى منهما وتصوب
يدان لبسط المكرمات نماهما * الى المجد فياض اليدين وهوب

وأنشدته ليلة المولد الكريم من هذه السنة

أبا الطيف أن يعتاد الا توهما * فمن لى بأن ألقى الخيال المسلما
وقد كنت أستهديه لو كان نافعى * واستمطر الاجفان لو تمطر الظما
ولكن خيال كاذب وطماعة * تعلل قلبا بالامانى متيما
أيا صاحبى نجواى والحب لوعة * يبيح بشكواها الضمير المكتما
خذ الفؤادى العهد من نفس الصبا * وطى النقا والبان من أجرع الحمى
الا صنع الشوق الذى هو صانع * فحى مقيم أقسم الشوق أو سما
وانى ليدعونى السلو تعللا * وتنهانى الاشجان أن أتقدما
لمن دمن أقفرن الا هواتف * تردد فى اطلالهن الترنما
عرفت بها سيما الهوى وتنكرت * فعجت على آياتها متوسما
وذو الشوق يعتاد الربوع دوارسا * ويعرف آثار الديار توهما
تؤرقنى والليل بينى وبينه * وميض بأطراف الثنايا تضرما
أجدلى العهد القديم كأنه * أشار بتذكار العهود فأفهما
عبث لمرتاع الجوانح خافق * بكيت له خلف الدجا وتبسما
وبت أروّيه كؤس مدامعى * وبات يعاطينى الحديث عن الحمى

وصالحته عن رسم دار بذي الغضى * لبست بها ثوب الشبيبة معلما
لعهدي بها تدني الظباء أوانسا * وتطلع في آفاقها الغيد أنجما
أحن اليها حيث سار بي الهوى * وأنجد رحلي في البلاد وأتهما

ولما استقر القرار واطمأنت الدار وكان من السلطان الاغتباط والاستبشار وكثر الحنين الى الاهل والتذكار أمر لاستقدام أهلي من مطرح اغترابهم من قسنطينة بعث اليهم من جاء بهم الى تلمسان وأمر قائد الاسطول بالمرية فسار في اجازتهم في أسطوله واحتلوا بالمرية واستأذنت السلطان في تلقيهم وقدمت بهم على الحضرة بعد أن هيأت لهم المنزل والبستان ودمنة الفلح وسائر ضروريات المعاش وكتبت الى الوزير ابن الخطيب عندما قاربت الحضرة وقد كتبت اليه أستأذنه في القدوم وما اعتمده في أحواله سيدي قدمت بالطير الميامين وعلى البلد الامين واستضفت الرفاء الى البنين وتمتعت بطول السنين وصلتني البراءة المعربة عن كتب اللقاء ودنو المزار وذهاب البعد وقرب الديار وأستفهم سيدي عما عندي في القدوم على المخدوم وأحب أن يستقدمني سيدي الى الباب الكريم في الوقت الذي يجد المجلس الجمهوري لم يقض حجه ولم يصح بهيجه ويصل أهلي بعده الى المحل الذي هيأته السعادة لاستقرارهم واختاره اليمن قبل اختيارهم والسلام ثم لم ينشب الاعداء وأهل السعايات أن حملوا الوزير ابن الخطيب من ملابستي للسلطان واشتماله علي وحركوا له جواد الغيرة فتنكر وشممت منه رائحة الانقباض مع استبداده بالدولة وتحكمه في سائر أحوالها وجاءتني كتب السلطان أبي عبد الله صاحب بجاية بأنه استولى عليها في رمضان سنة خمس وستين واستدعاني اليه فاستأذنت السلطان ابن الاحمر في الارتحال اليه وعميت عليه شأن ابن الخطيب ابقاء للمودة فارتمض لذلك ولم يسعه الا الاسعاف فودع وزود وكتب لي مرسوما بالتشييع من املاء الوزير ابن الخطيب نصه هذا ظهير كريم تضمن تشييعا وترفيعا واكراما واعظاما وكان لعمل الصنيع ختاما وعلى الذي أحسن تماما وأشاد به للمعتمد الذي راق قساما وتوفر أقساما وأعلق بالقبول أن نوى بعد القوى رجوعا وآثر على الظعن المزمع مقاما أمر به وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه الامير أبو عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر أيد الله أمره وأعز نصره وأعلى ذكره للولي الجليس الحظي المكين المقرب الاود الابر الفقيه الجليل الصدر الاوحد الرئيس العالم الفاضل الكامل الموقع الامين الاظهر الارضى الاخلص الاصفى أبي زيد عبد الرحمن ابن الشيخ الجليل الحسيب الاصيل المرفع المعظم الصدر الاوحد الاسمى الافضل الموقر المبرور أبي يحيى ابن الشيخ

الجليل الكبير الرفيع الماجد القائد الحظى المعظم الموقر المبرور المرحوم أبى عبد الله ابن خلدون وصله الله أسباب السعادة وبلغه من فضله أقصى الارادة أعلن بما عنده أيده الله من الاعتقاد الجميل فى جانبه المرفع وان كان غنيا عن الاعلان وأعرب عن معرفة مقداره فى الحسبان العلماء الرؤساء الاعيان وأشاد باتصال رضاه عن مقاصده البرة وشيمه الحسان من لدن وفد على بابه وفادة العز الراسخ البنيان وأقام المقام الذى عين له رفعة المكان واجلال الشان الى أن عزم على قصد وطنه أبلغه الله فى ظل الامن والامان وكفالة الرحمن بعد الاغتباط المربى على الخبر بالعيان والتمسك بجواره بجهد الامكان ثم قبول عذره بما جبلت الانفس عليه من الحنين الى المعاهد والاوطان بعد أن لم يدخر عنه كرامة رفيعة ولم يحجب عنه وجه صنيعه فولاه القيادة والسيادة وأحله جليسا معتمدا بالاستشارة ثم أصحبه تشييعا يشهد بالضنانة بفراقه ويجمع له بر الوجاهة من جميع آفاقه ويجعله بيده رتيمة خنصر ووثيقة سامع أو مبصر فهما لوى الى هذه البلاد بعد قضاء وطره وتمليه من نهمة سفره أو نزع به حسن العهد وحنين الود فصدر العناية به مشروح وباب الرضا والقبول مفتوح وما عهده من الحظوة والبر ممنوح بما كان القصد فى مثله من امجاد الاولياء النحول ولا الاعتقاد الكريم التبدل ولا الزمن الاخير ان ينسخ الاول على هذا فليطو ضميره ولير دماشاء غيره ومن وقف عليه من القواد والاشياخ والخدام براو بحرا على اختلاف الخطط والرتب وتباين الاحوال والنسب أن يعرفوا حق هذا الاعتقاد فى كل ما يحتاج اليه من تشييع ونزول واعانة وقبول واعتناء موصول الى أن يكمل الغرض ويؤدى من امتثال هذا الامر الواجب المفترض بحول الله وقوته وكتب فى التاسع عشر من جمادى الاولى عام ست وستين وسبعمائة وبعد التاريخ العلامة بخط السلطان ونصها صح هذا

(الرحلة من الاندلس الى بجاية وولاية الحجابة بها على الاستبداد)

كانت بجاية ثغر الافريقية فى دولة بنى أبى حفص من الموحدين ولما صار أمرهم للسلطان أبى يحيى منهم واستقل بملك افريقية ولى فى ثغر بجاية ابنه الامير أبو زكريا وفى ثغر قسنطينة ابنه الامير أبو عبد الله وكان بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الاوسط ينازعونه فى أعماله ويجهزون الكتائب على بجاية ويجلبون على قسنطينة الى أن تملك السلطان أبو بكر بذمة من السلطان أبى الحسن ملك المغرب الاوسط والاقصى من بنى مرين وله الشفوف على سائر ملوكهم وزحف السلطان أبو الحسن الى تلمسان فأخذ بمخنقها سنتين أو أزيد وملكها عنوة وقتل سلطانها أبا تاشفين وذلك سنة سبع وثلاثين وخف ما كان على الموحدين من أمر بنى عبد الواد واستقامت دولتهم ثم هلك

أبو عبد الله ابن السلطان أبي يحيى بقسنطينة سنة أربعين وخلف سبعة من الاولاد
كبيرهم أبو زيد عبد الرحمن ثم أبو العباس أحمد فولى الامير أبو زيد مكان أبيه فى كفالة
نبيل مولاهم ثم توفى الامير أبو زكريا ببجاية سنة ست وأربعين وخلف ثلاثة من الاولاد
كبيرهم أبو عبد الله محمد وبعث السلطان أبو بكر ابنه الامير ابا حفص عليها فمال أهل
بجاية الى الامير أبي عبد الله بن زكريا وانحرفوا عن الامير عمر وأخرجوه وبادر
السلطان فرقع هذا الخرق بولاية أبي عبد الله عليهم كما طلبوه ثم توفى السلطان أبو بكر
منتصف سبع وأربعين وزحف ابو الحسن الى افريقية فملكها ونقل الامراء من
بجاية وقسنطينة الى المغرب وأقطع لهم هنالك الى أن كانت حادثة القيروان وخلع
السلطان أبو عنان أباه وارتحل من تلمسان الى فاس فنقل معه هؤلاء الامراء أهل بجاية
وقسنطينة وخلطهم بنفسه وبالغ فى تكرمتهم ثم صرفهم الى ثغورهم الامير أبا عبد الله
أولا واخوته من تلمسان وأبا زيد واخوته من فاس ليستبدوا بثغورهم ويخذلوا الناس
عن السلطان أبي الحسن فوصلوا الى بلادهم وملكوها بعد أن كان الفضل ابن
السلطان أبي بكر قد استولى عليها من يد بنى مرين فانتزعوها منه واستقر أبو عبد الله
ببجاية حتى اذا هلك السلطان أبو الحسن بجبال المصامدة وزحف أبو عنان الى تلمسان
سنة ثلاث وخمسين فهزم ملوكها من بنى عبد الواد وأبادهم ونزل المرية وأطل
على بجاية وبادر الامير أبو عبد الله للقائه وشكا اليه ما يلقاه من زبون الجند والعرب
وقلة الجباية وخرج له عن ثغر بجاية فملكها وأنزل عماله بها ونقل الامير أبا عبد الله
معه الى المغرب فلم يزل عنده فى كفاية وكرامة ولما قدمت على السلطان أبي عنان سنة
خمس وخمسين واستخلصنى منه نبضت عروق السابق بين سلفى وسلف الامير أبي عبد الله
واستدعانى لصحابته فأسرعت وكان السلطان أبو عنان شديد الغيرة من مثل ذلك ثم
كثر المنافسون ورفعوا الى السلطان وقد طرقه مرض أرجف له الناس فرفعوا
له أن الامير أبا عبد الله اعتزم على الفرار الى بجاية وانى عاقدته على ذلك على أن
يولينى حجابته فانبعث له السلطان وسطا بنا واعتقلنى نحوا من سنتين الى أن هلك وجاء
السلطان أبو سالم واستولى على المغرب ووليت كتابة سره ثم نهض الى تلمسان وملكها
من بنى عبد الواد وأخرج منها أبا حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمراسن
ثم اعتزم على الرجوع الى فاس وولى على تلمسان أبا زيان محمد بن أبي سعيد عثمان ابن
السلطان أبي تاشفين وأمده بالاموال والعساكر من أهل وطنه ليدافع أبا حمو عن
تلمسان ويكون خالصة له وكان الامير أبو عبد الله صاحب بجاية كما ذكرناه والامير
أبو العباس صاحب قسنطينة بعد ان كان بنو مرين حاصروا أخاه أبا زيد بقسنطينة

أعراماتياعاتم خرج لبعض مذاهبه الى بونة وترك أخاه أبا العباس بها لخلعه واستبد بالامر وخرج الى العساكر بالحمرة عليها من بنى مرين فهزمهم وأثخن فيهم ونمى الى السلطان اليه من فاس سنة ثمان وخمسين فتبرأ منه أهل البلد وأسلموه فبعثه الى سبتة فى البحر واعتقله بها حتى اذا ملك السلطان أبو سالم سبتة عند اجازته من الاندلس سنة ستين أطلقه من الاعتقال وصحبه الى دار ملكه ووعده برد بلده عليه فلما ولى أبو زيان على تلمسان أشار عليه خاصته ونصحاؤه بأن يبعث هؤلاء الموحدين الى ثغورهم فبعث أبا عبد الله الى بجاية وقد كان ملكها عمه أبو اسحق صاحب تلمسان ومكفول بن تافراكين من يد بنى مرين وبعث أبا العباس الى قسنطينة وبها زعيم من زعماء بنى مرين وكتب اليه السلطان أبو سالم أن يفرج له عنها لملكها لوقته وسار الامير أبو عبد الله الى بجاية فطال اجلابه عليها ومعاودته حصارها وألح أهلها فى الامتناع منه مع السلطان أبى اسحق وقد كان لى المقام المحمود فى بعث هؤلاء الامراء الى بلادهم وتوليت كبر ذلك مع خاصة السلطان أبى سالم وكتاب أهل مجلسه حتى تم القصد من ذلك وكتب لى الامير أبو عبد الله بخطه عهدا بولاية الحجابة متى حصل على سلطانه ومعنى الحجابة فى دولنا بالمغرب الاستقلال بالدولة والوساطة بين السلطان وبين أهل دولته لا يشاركه فى ذلك أحد وكان لى أخ صغير اسمه يحيى أصغر منى فبعثه مع الامير أبى عبد الله حافظا للرسم ورجعت مع السلطان الى فاس ثم كان ما قدمته من انصرافى الى الاندلس والمقام بها الى أن تنكر الوزير ابن الخطيب وأظلم الجو بينى وبينه وبينما نحن فى ذلك وصل الخبر باستيلاء الامير أبى عبد الله على بجاية من يد عمه فى رمضان سنة خمس وستين وكتب لى الامير أبو عبد الله يستقدمنى فاعتزمت على ذلك ونكر السلطان أبو عبد الله بن الاحمر ذلك منى لا لظنه سوى ذلك اذ لم يطلع على ما كان بينى وبين الوزير ابن الخطيب فأمضيت العزم ووقع منه الاسعاف والبر والالطاف وركبت البحر من مرسى المرية منتصف ست وستين ونزلت بجاية لخامسة من الاقلاع فاحتفل السلطان صاحب بجاية لقدومى وأركب للقائى وتهافت أهل البلد على من كل أوب يمسحون أعطافى ويقبلون يدى وكان يوما مشهودا ثم وصلت الى السلطان فحيا وفدى وخلع وحمل وأصبحت من الغد وقد أمر السلطان أهل الدولة بمباكرة بابى واستقللت بحمل ملكه واستفرغت جهدى فى سياسة أموره وتدبير سلطانه وقدمنى للخطابة بجامع القصبة لا انفك عن ذلك ووجدت بينه وبين ابن عمه السلطان أبى العباس صاحب قسنطينة فتنة أحدثتها المشاحة فى حدود الاعمال من الرعايا والعمال وشبت نار هذه الفتنة بعرب أوطانهم من الزواودة من رياح تنفيقا للسوق التى يجلبون بها أموالهم فكانوا فى أهم شقة بجمع بعضهم

لبعض فالتقوا سنة ست وستين بقدحيوه وانقسم العرب عليهما وكان يعقوب بن على
مع السلطان أبى العباس فانهزم السلطان أبو عبد الله ورجع الى بجاية مفلولا بعد ان
كنت جمعت له أموالا كثيرة أنفق جميعها فى العرب ولما رجع وأعوزته النفقة
خرجت بنفسى الى قبائل البربر بالجبال الممتنعين من المغارم منذ سنين فدخلت بلادهم
واستبحت حماهم وأخذت رهنهم على الطاعة حتى استوفيت منهم الجباية وكان لنا
فى ذلك مدد واعانة ثم بعث صاحب تلمسان الى السلطان يطلب منه الصهر فأسعفه
بذلك ليصل يده به على ابن عمه وزوجه ابنته ثم نهض السلطان أبو العباس سنة سبع
وستين وجاس أوطان بجاية وكاتب أهل البلد وكانوا وجلين من السلطان أبى عبد الله
لما كان يرهف الحد لهم ويشد وطأته عليهم فأجابوه الى الانحراف عنه وخرج الشيخ
أبو عبد الله يروم مدافعته ونزل جبل ايزو معتصما به فبيته السلطان أبو العباس
فى عساكره وجموع الاعراب من أولاد محمد من رياح بمكانه ذلك باغراء ابن صخر وقبائل
سدويكش وكبسه فى مخيمه وركض هاربا فلحقه وقتله وسار الى البلد بمواعدة أهلها
وجاءنى الخبر بذلك وانا مقيم بقصبة السلطان بقصوره وطلب منى جماعة من أهل البلد
القيام بالامر والبيعة لبعض أبناء السلطان فتفاديت من ذلك وخرجت الى السلطان
أبى العباس فأكرمنى وحيانى وأمكنته من بلده وأجرى أحوالها كلها على معهودها
وكثرت السعاية عنده فى والتحذير من مكانى وشعرت بذلك فطلبت الاذن فى الانصراف
بعهد كان منه فى ذلك فأذن لى بعدما أبى وخرجت الى العرب ونزلت على يعقوب بن على
ثم بدا له الشأن فى أمرى وقبض على أخى واعتقله ببونة وكبس بيوتنا فظن بها ذخيرة
وأموالا فأخفق ظنه ثم ارتحلت من أحياء يعقوب بن على وقصدت بسكرة لصحابة بينى
وبين شيخها أحمد بن يوسف بن مزنى وبين أبيه فأكرم وبروساهم فى الحادث بماله
وجاهه والله أعلم

(مشايعة أبى حمو صاحب تلمسان)

كان السلطان أبو حمو قد ألحم ما بينه وبين السلطان أبى عبد الله صاحب بجاية بالصهر
فى ابنته وكانت عنده بتلمسان فلما بلغه مقتل أبيها واستيلاء السلطان أبى العباس ابن
عمه صاحب قسنطينة على بجاية أظهر الامتعاض لذلك وكان أهل بجاية قد توجسوا
الخيفة من سلطانهم بارهاف حده وشدة بطشه وسطوته فانحرفوا عنه باطنا وكاتبوا
ابن عمه بقسنطينة كما ذكرناه ودسوا للسلطان أبى حمو بمثلها يرجون الخلاص من
صاحبهم بأحدهما فلما استولى السلطان أبو العباس وقتل ابن عمه رأوا ان جرحهم قد
اندمل وحاجتهم قد قضيت فاعصوصبوا عليه وأظهر السلطان أبو حمو الامتعاض

للواقعة بسرعة منها وحسوا في ارتقاء ويجعله ذريعة للاستيلاء على بجاية لما كان يرى نفسه كفؤها بعدده وعديده وما سلف من قومه في حصارها فسار من تلمسان يجر الشوك والمدر حتى خيم بالرشة من ساحتها ومعه أحياء زغبة بجموعهم وأطاعتهم من لدن تلمسان الى بلاد حصين من بني عامر وبني يعقوب وسويد والديالم والعطاف وحصين واعتمر أبو العباس بالبلد في شرذمة من الجند أعجله السلطان أبو حمو عن استكمال الحشد ودافع أهل البلد أحسن الدفاع وبعث السلطان أبو العباس عن أبي زيان بن السلطان أبي سعيد عم أبي حمو من قسنطينة وكان معتقلا بها وأمر مولاه وقائد عسكره بشيرا أن يخرج معه في العساكر فساروا حتى نزلوا بني عبد الجبار قبالة معسكر أبي حمو وكانت رجالات زغبة قد وجموا من السلطان وأبلغهم النذير أن ملك بجاية اعتقلهم بها فراسلوا أبا زيان وركبوا اليه واعتقدوا معه وخرج رجل البلد بعض الايام من أعلى الحصن ودفعوا شرذمة كانت مجمرة بازائهم فاقتلعوا أخبيتهم وأسهلوا من تلك العقبة الى بسيط الرشة وعاينهم العرب بأقصى مكانهم من المعسكر فاجفلوا وتتابع الناس في الاجفال حتى افردوا السلطان في مخيمه فحمل رواحله وسار وغصت الطرق بزحامهم وتراكم بعضهم على بعض فهلك منهم عوالم وأخذهم سكان الجبال من البربر بالنهب من كل ناحية وقد غشيهم الليل فتركوا أزوادهم ورحالهم وخلص السلطان ومن خلص منهم بعد غص الريق وأصبحوا على منجاة وقذفت بهم الطرق من كل ناحية الى تلمسان وكان السلطان أبو حمو قد بلغه خبر خروجي من بجاية وما أحدثه السلطان بعدي في أهلي ومخلفي فكتب الي يستقدمني قبل هذه الواقعة وكانت الامور قد اشتبهت فتماديت بالاعذار وأقمت بأحياء يعقوب بن علي ثم ارتحلت الى بسكرة فأقمت بها عند أميرها أحمد بن يوسف بن مزني فلما وصل السلطان أبو حمو الى تلمسان وقد جزع للواقعة أخذ في استئلاف قبائل رياح ليجلب بهم مع عساكره على أوطان بجاية وخاطبني في ذلك لقرب عهدي باستتباعهم وملك زمامهم ورأى أن يعول علي في ذلك واستدعاني لحجابته وعلامته وكتب بخطه مدرجة في الكتاب نصها الحمد لله على ما أنعم والشكر لله على ما وهب ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون حفظه الله انك تصل الى مقامنا الكريم لما خصصناكم به من الرتبة المنيعة والمنزلة الرفيعة وهو قلم خلافتنا والانتظام في سلك أوليائنا وقد أعلمناكم بذلك وكتب بخط يده عبد الله المتوكل على الله موسى بن يوسف لطف الله به وخار له وبعده بخط الكاتب ما نصه بتاريخ السابع عشر من شهر رجب الفرد من عام تسع وستين وسبعمائة عرفنا الله خيره ونص الكتاب الذي هذه مدرجته وهو بخط الكاتب أكرمكم الله يا فقيه أبا زيد

و والى رعايتكم انا قد ثبت عندنا وصح لدينا ما انطويتم عليه من المحبة فى مقامنا والانقطاع الى جنابنا والتشيع قديما وحديثا لنا مع ما نعلمه من محاسن اشتملت عليها أوصافكم ومعارف فقتم فيها نظراءكم ورسوخ القدم فى الفنون العلمية والآداب العرفية وكانت خطة الحجابة ببابنا العلى أسماه الله الى درجات أمثالكم وأرفع الخطط لنظرائكم قربا منا واختصاصا بمقامنا واطلاعا على خفايا أسرارنا آثرناكم بها ايثارا وقدمناكم لها اصطفاء واختيارا فاعملوا على الوصول الى بابنا العلى أسماه الله لما لكم فيه من التنويه والقدر النبيه حاجبا لعلى بابنا ومستودعا لاسرارنا وصاحبا لكريم علامتنا الى ما شاكل ذلك من الانعام العميم والخير الجسيم والاعتناء والتكريم لا يشاركم مشارك فى ذلك ولا يزاحكم أحد وان وجد من أمثالكم فأعلموه وعولوا عليه والله تعالى يتولاكم ويصل سراءكم ويوالى احتفاءكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتأدت الى هذه الكتب السلطانية على يد سفير من وزرائه جاء الى أشياخ الزواودة فى هذا الغرض فقمت له فى ذلك أحسن قيام وشايعته أحسن مشايعة وحملتهم على اجابة داعى السلطان والبدار الى خدمته وانصرف كبراؤهم عن السلطان أبى العباس الى خدمته والاعتمال فى مذاهبه واستقام غرضه من ذلك وكان أخى يحيى قد خلص من اعتقاله وقدم على ببسكرة فبعثته الى السلطان أبى حمو كالنائب عنى فى الوظيفة متفاديا عن تجشم أهوالها بما كنت نزعت عن غواية الرتب وطال على اغفال العلم فاعرضت عن الخوض فى أحوال الملوك وبعثت الهمة على المطالعة والتدريس فوصل اليه الاخ فاستكفى به ذلك ودفعه اليه ووصلنى مع هذه الكتب السلطانية كتاب رسالة من الوزير أبى عبد الله ابن الخطيب من غرناطة يتشوق الى وتأدى الى تلمسان على يد سفراء السلطان ابن الاحمر فبعث الى من هنالك ونصه

بنفسى وما نفسى على رخيصة * فيمنزلى عنها المكاس بأثمان
حبيب نأى عنى وصم لانتنى * وراش سهام البين عمدا فاصمانى
وقد كان هم الشيب لا كان كافيا * فقد آدنى لما ترحل همان
شرعت له من دمع عينى موردا * فكدر شربى بالفراق وأظمانى
وأرعيته من حسن عهدى جنة * فأجدب آمالى وأوحش ازمانى
حلفت على ما عنده لى من رضا * قياسا بما عندى فأحنث أيمانى
وانى على ما نالنى منه من قلا * لأشتاق من لقياه نغبة ظمآن
سألت جنونى فيه تقريب عرشه * فقست بجن الشوق جن سليمان
اذا ما دعا داع من القوم باسمه * وثبت وما استثبت شيمة هيمان

وتالله ما أصغيت فيه لعاذل * تحاميته حتى ارعوى وتحاماني

ولا استشعرت نفسي برحمة عابد * تظلل يوما مثله عبد رحمن

ولا شعرت من قبله بتشوق * يخلل يوما مثله عبد رحمن

أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج وأما الصبر فسل به أية درج بعد أن تجاوز اللوا والمنعرج لكن الشدة تعشق الفرج والمؤمن ينشق من روح الله الارج وانى بالصبر على ابر الزبر لا بل الضرب الهبر ومطاولة اليوم والشهر تحت حكم القهر ومن للعين أن تسلو سلو القصر عن انسانها المبصر أو تذهل ذهول الزاهد عن سرها الرائي والمشاهد وفي الجسد مضغة يصلح اذا صلحت فكيف حاله ان رحلت عنه أو نزحت واذا كان الفراق هو الحمام الاول فعلام المعول أعيت مراوضة الفراق على الرواق وكادت لوعة الاشتياق ان تفضي الى السياق

تركتموني بعيد تشييعكم * أوسع أمر الصبر عصيانا

أقرع سني ندما تارة * وأستميح الدمع أحيانا

وربما تعللت بغشيان المعاهد الخالية وجددت رسوم الاسى بمباكرة الرسوم البالية أسائل نوى النوى عن أهليه وهيام المرقد المهجور عن مصطليه وثاء الاثافي المثلثة من منازل الموحدين وأسار بين تلك الاطلال حيرة المهدين لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين كلفت لعمر الله بسائل عن جفوني المؤرقة ونائم عن شجوني المجتمعة المتفرقة نظمن عن ملال لا متبرما بشر حال وكدر الوصل بعد صفائه وضرح النصل بعد عهد وفائه

أقل اشتياقا أيها القلب انما * رأيتك تصفي الود من ليس جازيا

فها أنا أبكي عليه بدم أساله وأندب في ربع الفراق اساله وأشكر السهال قلب صدعه وأود عمن الوجد ما أودعه لما خدعه ثم قلاه وودعه وأنشق رياه أنف ارتياح قد جدعه

خليلي فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

فلولا عسى الرجاء ولعله لا بل شفاعة المحل الذي حله نشرت ألوية العتب وبثثت كأنها كمينا في شعاب الكتب تهزمن الالفات رماحا هزالاسنة وتوتر من النونات أمثال القسي المرنة وتقود من جموع الطرس والنقس بلقا تردى في الاعنة ولكنه أوى الى الحرم الامين وتفيأ ظلال الجوار المؤمن من معرة الغوار عن الشمال واليمين حرم الخلال المرضية والظلال البرئية والهمم السنية والشيم التي لا ترضى بالدون ولا بالدنية حيث الرفد الممنوح والطير الميامن يزجرها السنوح

والمثوى

والمثوى الذى اليه مهما تقارع الكرام على الضيفان حول جوانب الجفان فهو الجنوح

نسب كأن عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا

ومن حل بتلك المثابة فقد اطمأن جنبه وتغمد بالعفو ذنبه (ولله در القائل)

ذو حقه لقد ابتدبت لوصفه * بالبخل لولا أن حصاداره

بلد متى أذكره هيج لوعتى * واذا قدحت الزند طار شراره

اللهم غفرا وأين قراره النخيل من مثوى الالف البخيل ومكذبة المخيل وأين نائية هجر من متبرئ ممن ألحد وفجر

من أنكر غيث مسودة * فى الارض بنوء يخلفها

فبنان بنى مزن مزن * تنهل بلطف مصرفها

مزن مذ حل بيسكرة * يوما نطقت بمصحفها

سكرت حتى بعباراتها * وبمعناها وبأحرفها

وشكرت الدنيا متى عرفت * مزن فيها بمعرفها

بل نقول لا تحل للوالد لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد لقد حل بينك عرى الجلد وخلد الشوق بعدك يا ابن خلدون فى الصميم من الخلد فحيا الله زمانا شفيت فى قربك زمانته واجتليت فى ذروة مجدك جمانته ويا من لمشوق لم يقض من طول خلتك لبانته وأهلا بروض أضلت شباب معارفك بانته فحمائمه بعدك تندب فيساعدها الجندب ونواسمه ترق فتتعاشى وعشبانه تتهافت وتتلاشى وأدواحه فى ارتباك وحمائمه فى مأتم ذى اشتباك كأن لم تكن قمرها لات قبابه ولم يكن أنسك شارع بابه الى صفوة الضرب ولبابه ولم يسبح انسان عينك فى ماء شبابه فلهفا عليك من درة اختلستها يد النوى ومطل بردها الدهر ولوى ونعق غراب بينها فى ربوع الهوى ونطق بالزجر فانطق عن الهوى وباى شئ يعتاض منك أيتها الرياض بعد أن طما نهرك الفياض وفهقت الحياض ولا كان الشانئ المشنوء والحرب المهنوء من قطع ليل أغار على الصبح فاحتمل وشارك فى الامر الناقة والجمل واستأثر جنحه ببدر النادى لما كمل فشرع الشراع فراع وواصل الاسراع فكأنما هو تمساح

ضايق الاحباب فى البرهة واختطف بهم من الشط نزهة العين وعين النزهة ولجج بها والعيون تنظر والعبر عن الاتباع تحظر فلم يقدر الاعلى الاسف والتماح الاثر المنتسف والرجوع بملء العيبة من الخيبة ووقر الحبرة من الحسرة انما نشكوا الى الله البث والحزن ونستمطر منه المزن وبسيف الرجاء نصول اذا

بياض بالاصل

شريعت للبأس أسنة ونصول

ماأقدر الله أن يدني على شحط * من داره الحزن من داره صول

فان كان كلام الفراق رغيبا لمانوب مغيبا وحالت الوقت الهنى تشغيبا فلعل الملتقى يكون قريبا وحديثه يروى محاغريبا ايه سيدى كيف حال تلك الشمايل المزهرة الخمايل والشيم الهامية الديم هل عريبالهامن راعت بالبعد باله واخمدت بعاصف البين ذباله أو ترى او فى شأنها سكب لايفتر وشوق يبث حبال المشوق ويبتر وضنى تقصر عن حمله الفائقة صنعاء وتستر والامر أعظم والله يستر وما الذى يصول صبر من بلفح السموم يضرك بعد أن أضرمت وأشعلت وأوقدت وجعلت وفعلت فعلتك التى فعلت ان تترقرق بدماء أو ترد نغبة ماء رماق ظماء وتعاهد المعاهد بنعمة عليها شد الفاسك أو تقطر النسام البعد بعقله حورا من بياض قرطاسك وسواد انفاسك فربما قنعت الانفس المحبة بخيال يزور وتعللت بنوال منذور ورضيت لمالم تصد العنقاء بزرزور

يامن ترحل والرياح لاجله * تشتاق ان يعبق شذا رياها

تحيا النفوس اذا بعثت تحية * واذا قرأت ترى ومن أحياها

ولئن أحييت بها انها سلف نفوسنا نفديك والله الى الخير يهديك نحن نقول معشر موديك ثق ولا تجعلها بيضة الديك وعذرا فانى لم أجترئ على خطابك بالنقرة المفقرة وأدللت لدى محرابك برفع العقيره عن نشاط بعث من سرمه ولا اغتباط بالادب الابساسة تنوسه أو فى على القترة ناموسه وانما هو نفاق نفثة المصدور وهناء الجرب المجدور وان تعلل به مخارق فثم قياس فارق والذى هيأ هذا القدر وسببه وسهل المكروه الى منه وحببه ماقتضاه الصنو يحيى أمد الله حياته وحرس من الحوادث جهاته من خطاب ارتشف لهذه القريحة العديمة بلالتها بعد أن رضى غلالتها ورمخ الى الصهر الحضرمى سلالتها فلم يسع الااسعافه بما أعافه فأمليت مجيبا مالايعد فى يوم الرهان نجيبا وأسمعته وجيبا لما ساجلت بهذه الترهات سحرا عجيبا حتى اذا ألف القلم العربان فسحه وجمح برذون الغزارة فلم أطق كبحه لم أنق من غمرة غلوه وموقف شلوه الا وقد تحيز الى فئتك معتزا بل معتزا واستقبلها ضاحكامفترا وهش لها برا وان كان من الخجل مصفرا وليس بأول من هجر فى التماس الوصل من هجر أو بعث التمر الى هجر وأى نسب بينى اليوم وبين زخرف الكلام واجالة جياد الاقلام فى محاورة الاعلام بعد أن حال الجريض دون القريض وشغل المريض عن التعريض وغلب الشوق الكسل

ونشرت الشعرات البيض كأنها الاسل تروع برقط الحيات سرب الحياة وتطرق بذوات الغرر والشباب عند البيات والشيب الموت العاجل والمعتبر الاجل واذا اشتغل الشيخ بغير معاده حكم في الظاهر بابعاده وأسره في ملكة عاده فأغض أبقاك الله وأسمح لمن قصر عن المطمح وبالعين الكليلة فالمح واغتنم لباس ثوب الثواب واشف بعض الجوى بالجواب لولاك الله فيما استضفت وملكت ولا بعدت ولاهلكت وكان لك أية سلكت ووسمك من السعادة بأوضح السمات وأتاح لقاءك من قبل الممات والسلام الكريم يعتمد جلال ولدي وساكن خلدي بل أخي وان اتقيت عتبه وسيدي ورحمة الله وبركاته من محبه المشتاق اليه محمد بن عبد الله ابن الخطيب في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني من عام سبعين وسبعمائة وكان تقدم منه قبل هذه الرسالة كتاب آخر الي بعث به الى تلمسان فتأخر وصوله حتى بعث به أخي يحيى عند وفادته على السلطان ونص الكتاب ياسيدي اجلالا واعتدادا وأخي ودا واعتقادا ومحل ولدي شفقة خلت مني فؤادا طال علي انقطاع أنبائك واختفاء أخبارك فرجوت أن أبلغ المنية بهذا المكتوب اليك وتخترق الموانع دونك وان كنت في موالاتك كالعاطش الذي لا يروى والآكل الذي لا يشبع شأن من يتجاوز الحدود الطبيعية والعوائد المألوفة فأنا بعد انهاء التحية المطلولة الروض بماء الدموع وتقرير الشوق القديم اللزيم وشكوى البعاد الاليم والابتهال في اتاحة القرب قبل الفوت من الله ميسر العسير ومقرب البعيد أسأل عن احوالك سؤال أبعد الناس مجالا في مجال الخلوص لديك واستقرارك بسكرة على الغبطة بك بالتجا الى تلك الرياسة الزكية الكريمة الاب الشهيرة الفضل المعروفة القدر على البعد حرسها الله ملجأ للفضلاء ومحط الرحال العلماء ومهبا لطيب الثناء بحوله وقوته وقاربت كل ساح السلامة فاحمدوا الله على الخلاص وقاربوا في معاملة الآمال وضنوا بتلك الذات الفاضلة عن المشاق واجلوابها عن المتالف فطلوب الحريص على الدنيا خسيس والموانع الحافة جمة والحاصل حسرة وماقل سعي بمحمدة العاقبة والعاقل لا يستنكحه الاستغراق فيما آخره الموت انما ينال منه الضروري ومثلك لا يعجزه مع الناس العافية اضعاف ما يرجى به العمر من المأكل والمشرب وحسبنا الله وان تشوفت لحال المحب تلك السيادة البرة والبنوة البرة فالحال حال من جعل الزمام بيد القدر والسير في مهيع الغفلة والسبح في تيار الشواغل ومن وراء الامور غيب محجوب وأجل مكتوب يوثق فيه عادة الستر من الله لا أن الضجر الذي تعلمونه خفطة الناس لما عجزت الحيلة وأعوز الناصر وسدت المذاهب والشأن اليوم شأن الناس فيما

يقرب من الاعتدال وفيما يرجع الى السلطان تولاه الله على اضعاف ما باشر سيدى من الاغياء فى البر ووصل بسبب الالتحام والاشتمال مع الاقبال وما يسمه متعود الطهور والحمد لله وفيما يرجع الى الاحباب والاولاد فعلى ما علمت الآن الشوق يخامر القلوب وتصور اللقاء مما يزهد فى الوطن وحاضر النعم سنى الله ذلك على أفضل حال ويسره قبل الارتحال من دار المحال وفيما يرجع الى الوطن فأحوال الناس خصبا وهدنة وظهورا على العدو وحسبك بافتتاح حصن آش وبرغة القاطعة بين بلاد الاسلام ووبرة والعارين وبيعة وحصن السهلة فى عام ثم دخول بلد اطريرة بنت اشبيلية عنوة والاستيلاء على ما ينا هز خمسة آلاف من السبى من فخ دار الملك وبلدة قرطبة ومدينة جيان عنوة فى اليوم الاغر المحجل وقتل المقاتلة وسبى الذرية وتعفية الآثار حتى لايلم بها العمران ثم افتتاح مدينة ربدة التى تلف جيان فى ملاء تهادار البحر والرفاهية والبناآت الحافلة والنعم الثرة نسأل الله جل وعلا أن يصل عوائد نصره ولا يقطع عناسيب رحمته وأن ينفع بما أعان عليه من السعى فى ذلك والاعانة عليه ولم يتزيد من الحوادث الاما علمتم من أخذ الله لنسب السوء وخبث الارض المسلوب من أثر الطبر عمر بن عبدالله وتحكم شر الميتة فى نفسه واتيان النكال على حاشيته والاستئصال على نفيسه والاضطراب مستول على الوطن بعده الا أن القرب على علاته لا يرجحه غيره والاندلس اليوم شيخ غزاتها عبد الرحمن بن على بن السلطان أبى على بعد وفاة الشيخ أبى الحسن على بن بدر الدين رحمه الله وقد استقربها بعد انصراف سيدى الامير المذكور والوزير مسعود بن رحو وعمر بن عثمان بن سليمان والسلطان ملك النصارى بطرة قد عاد الى ملكه باشبيلية وأخوه مجلب عليه بقشتالة وقرطبة مخالفة عليه قائمة بطائفة من كبار النصارى الثائفين على أنفسهم داعين لاخيه والمسلمون قد اغتنموا هبوب هذه الريح وخرق الله لهم عوائد فى باب الظهور والخير لم تكن تخطر فى الآمال وقد تلقب السلطان أيده الله بعقب هذه المكنفات بالغنى بالله وصدرت عنه مخاطبات بجمل الفتوح ومفصلها يعظم الرحمن على ايصالها الى تلك الفضائل لو أمكن وأما ما يرجع الى ما يتشوف اليه ذلك الكمال من شغل الوقت فصدرت تقاييد وتفاصيل يقال فيها بعد ما اعتقلت تلك السيادة بالانصراف يا ابراهيم ولا ابراهيم اليوم منها ان كتابا رفع الى السلطان فى المحبة من تصنيف ابن أبى حجلة من المشارقة تعارضته وجعلت الموضوع أشرف وهو محبة الله فجاء كتابا ادى الاصحاب غرابته وقد وجه الى الشرق وصحبته كتاب غرناطة وغيره من تأليفى وتعرف تحبيبه بخانقاه سعيد السعداء من مصر وانثال الناس عليه وهو فى لطافة الاعراض متكلف اغراض المشارقة من ملحه

سات

سلبت لمصر في الهوى من بلد * يهديه هواؤها لدى استنشاقه
من يشكر دعوتي فقل عني له * تكفي امرأة العزيز من عشاقه

والله يرزق الاعانة في انتساخه وتوجيهه وصدر عني جزء سميته الغيرة على أهل الحيرة وجزء سميته حمد الجمهور على السنن المشهور والاكباب على اختصار كتاب الجوهري ورد حجمه الى مقدار الخمس مع حفظ ترتيبه السهل والله المعين على مشغلة تقطع بها هذه البرهة القريبة البداءة من التتمة ولا حول ولا قوة الا بالله والمطلوب المثابرة على تعريف يصل من تلك السيادة والبنوة اذ لا يتعذر وجود قافل من حج أو لاحق بتلمسان يبعثها السيد الشريف منها فالنفس شديدة التعطش والقلوب قد بلغت من الشوق والاستطلاع الحناجر والله أسأل أن يصون في البعد ويعتني منك لديه ويلبسك العافية ويخلصك واياي من الورطة ويحملنا أجمعين على الجادة ويختم لنا بالسعادة والسلام الكريم عودا على بدء ورحمة الله وبركاته من المحب المشوق الذاكر الداعي ابن الخطيب في الثاني من جمادى الاولى من عام تسعة وستين وسبعمائة انتهى (فأجبته) ونص الجواب سيدي مجدا وعلاء وواحدي ذخرا مرجوا ومحل والدي برا وحنوا مازال الشوق مذ نأت بي وبك الدار واستحكم بيننا البعاد يرعى سمعي أنباءك ويخيل الى من أيدي الرياح تناول رسائلك حتى ورد كتابك العزيز على استطلاع وعهد غير مضاع وودّ ذي أجناس وأنواع فنشر بقلبي ميت السلو وحشر أنواع المسرات وقدح للقائك زناد الامل والله أسأل الامتاع بك قبل الفوت على ما يرضيك ويسني أماني وأمانيك وخيمته تحية الهائم لموقع الغمائم والمدلج للصباح المتبلج وأملى على معترج الاولياء خصوصا فيك من اطمئنان الحال وحسن القرار وذهاب الهواجس وسكون النفرة وعموما في الدولة من رسوخ القدم وهبوب ريح النصر والظهور على عدو الله باسترجاع الحصون التي استنقذوها في اعتلال الدولة وتخريب المعاقل التي هي قواعد النصرانية غريبة لا تثبت الا في الحلم وآية من آيات الله وان خبأة هذا الفتح في طي العصور السالفة الى هذه المدة الكريمة لدليل على عناية الله بتلك الذات الشريفة حيث أظهر على يدها خوارق العادة وما تجدد آخر الايام من معجزات الملة وكل فيها والحمد لله بتحسين التدبير ويمن النقيبة من حميد الاثر وخالد الذكر طراز في حلة الخلافة النصرية وتاج في مفرق الوزارة كتبه الله لك فيما يرضاه الله من عبادة ووقفت عليه الاشراف من أهل هذا العصر المحروس وأذعته في الملا سرورا لعز الاسلام واظهارا للنعمة واستطرادا لذكر الدولة المولوية بما تستحقه من طيب الثناء والتماس الدعاء والتحديث بنعمتها والاشادة بفضلها على الدول السالفة

والخالقة وتقسمتها فانشرحت الصدور رحبا وامتلأت القلوب اجلالا وتعظيما
وحسنت الآثار اعتقادا ودعاء وكان كتاب سيدى لشرف تلك الدولة عنوانا
ولما يستجم من نعتى فى مناقبها ترجمانا زاده الله من فضله وأمتع المسلمين بسكون
الغريب من الشوق المزعج والحيرة التى تكاد تذهب بالنفس أسفا لتجافى عزمها عن
الامن والتقويض عن دار العز والمولى المنعم والسيد الكريم والبلد الطيب
والاخوان البررة ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وان تشوقت السيادة
الكريمة الى الحال فعلى ما علمتم سيرا مع الامل ومغالبة للايام على الحظ وانقطاعا للغفلة
جانب العمر

هل نافعى والجد فى صبب ٭ مدى مع الآمال فى صعد

رجع الله بنا اليه ولعل فى عظمتكم النافعة شفاء من هذا الداء العياء ان شاء الله
وان لطف الله مصاحب من هذه الرياسة المزينة وحسبك بها عليه عصمة واقية صرفت
وجه القصد الى ذخيرتى التى كنت أعتدها منهم كما علمتم حين تفاقم الخطب وتلون الدهر
والافلات من مغلات النكبة وقد زهقت حولها بعد ما جرته الحادثة بهلاك السلطان
المرحوم على يد ابن عمه قريعه فى الملك وقسيمه فى النسب والتياث الجاه وتغير السلطان
واعتقال الاخ الخالف واليأس منه لولا تكييف الله فى نجاته والعيث بعده فى المنزل
والولد واغتصاب الضياع المقتناة من بقايا ما متعت به الدولة النصرية أبقاها الله من
النعمة فآوى الى الوكر وساهم فى الحادث وأشرك فى الجاه والمال وأعان على نوائب
الدهر وطلب الوتر حين رأى الدهر قلانى وأمل الملوك استخلاصى وتجاوزوا فى اتحافى
والله المخلص من عقال الآمال والمرشد الى نبذ هذه الحظوظ المورطة وأنبأنى سيدى
بما صدر عنه من التصانيف الغريبة فى هذه الفتوحات الجليلة وبودى لو وقع
الاتحاف بها أو ببعضها فلقد عاودنى الندم على ما فرطت وأما أخبار هذا القطر فلا
زيادة على ما علمتم من استقرار السلطان أبى اسحق ابن السلطان أبى يحيى بتونس
مستبدا بأمره بالحضرة بعد مهلك شيخ الموحدين أبى محمد بن تافراكين القائم بأمره
رحمة الله عليه متايقا فى حياته الوطن وأحكامه بالعرب المستظهرين بدعوته مصانعا
لهم بوفرة على أمان الرعايا والسابلة لو أمكن حسن السياسة جهد الوقت ومن انتظام
بجاية فى عمل دولته الى أمر صاحب قسنطينة وبونة خلافا كما علمتم محملا الدولة بصرامته
وقوة شكيمته فوق طوقها من الاستبداد والضرب على أيدى المستقلين من الاعراب
منتقض الطاعة أكثر أوقاته لذلك الا ما شمل البلاد من تغلب الغرة ونقص الارض من
الاطراف والوسط وخمود ذبال الدول فى كل جهة وكل بداية الى تمام وأما أخبار المغرب

الاقصى والادنى فلم يكتم طلعه وأمّا المشرق فأخبر الحاج هذه السنة من اختلال الدولة
وانتقاض سلطانه وانتزاء الجفاة على كرسيه وفساد المصانع والسقايات المعدّة لوفد الله
وحاج بيته ما يسخن العين ويطيل البث حتى زعموا أن الهيعة اتصلت بالقاهرة أياما
وكثر الهرج فى أزقتها وأسواقها لما وقع بين سندمر المتغلب بعد يلبغا الخاصكى وبين
سلطانه ظاهر القلعة من الجولة التى كانت دائرتها عليه أجلت عن زهاء الجسمائة قتلى
من حاشيته وموالى يلبغا وتقبض على الباقين فأودع منهم السجون وطلب الكثير وقتل
سندمر فى محبسه وألقى زمام الدولة بيد كبير من موالى السلطان فقام بها مستبدا
وقادها مستقلا وبيد الله تصاريف الامور ومظاهر الغيوب جل وعلا ورغبتى من
سيدى أبقاه الله أن لا يغب بخطابه عنى متى أمكن أن يصل منه الجهة وأن يقبل عنى
أقدام تلك الذات المولوية ويعرفه بما عندى من التشيع لسلطانه والشكر لنعمته
وأن يقرئ عنى لحاشيته وأهل اختصاصه التحية المختلسة من أنفاس الرياحين كبيرهم
وصغيرهم وقد تأدى منى الى حضرته الكريمة خطاب على يد الحاج نافع سلمه الله تناوله
من الاخ يحيى عند لقائه اياه بتلمسان بحضرة السلطان أبى حمو أيده الله فربما يصل
وسيدى يوضح من ثنائى ودعائى ما عجز عنه الكتاب والله يبقيكم ذخرا للمسلمين وملاذا
للآملين بفضله والسلام الكريم عليكم وعلى من لاذ بكم من السادة الاولاد
المناجيب والاهل والحاشية والاصحاب من المحب فيكم المعتد بكم شيعة فضلكم ابن
خلدون ورحمة الله وبركاته عنوانه سيدى وعمادى ورب الصنائع والايادى
والفضائل الكريمة الخواتم والمبادى امام الأئمة علم الأئمة تاج الملة فخر العلماء
عماد الاسلام مصطفى الملوك الكرام كافل الامامة تاج الدول أثير الله ولى أمير
المؤمنين الغنى بالله أيده الله الوزير أبو عبد الله ابن الخطيب أبقاه الله وتولى عن
المسلمين جزاءه (وكتب) الى من غرناطة ياسيدى وولبى وأخى ومحل ولدى كان الله لكم
حيث كنتم ولا أعدمكم لطفه وعنايته لو كان مستقركم بحيث يتأتى اليه ترديد رسول
وانفاذ مقتطع أو توجيه نائب لحنثت على نفسى بالأئمة فى اغفال حقكم ولكن العذر
ما علمتم واحمدوا الله على الاستقرار فى كنف ذلك الفاضل الذى وسعكم كنفه وشملكم
فضله شكر الله حسبه الذى لم يخلف وشهدته التى لم تكذب وانى اغتنمت سفر هذا الشيخ
وافد الحرمين بجموع الفتوح فى ايصال كتابى هذا وبودى لو وقفتم على ما لديه من
البضاعة التى أنتم رأسها وصدرها فيكون لكم فى ذلك بعض أنس وربما أدى ذلك
فى بعضه مما لم يختم عليه وظواهر الامور تجل عليه فى تعريفكم بها وأما البواطن فمما
لا يتأتى لكثرة وجامة وأخص ما أظن تشوقكم اليه حالى فاعلموا انى قد بلغ بى

الملاء الربي واستولى على سوء المزاج المحرف وتوالت الامراض وأعوز الشفاء لبقاء السبب والعجز عن دفعه وهي هذه المداخلة جعل الله عاقبتها الى خير ولم أترك وجها من وجوه الحيلة الا بذلته فما أغنى عنى شيأ ولولا أنى بعد كم شغلت الفكر بهذا التأليف مع الزهد وبعد العهد وعدم الالماع بمطالعة الكتب لم تمش من طريق فساد الفكر الى هذا الحد وآخر ما صدر عنى كناش سميته باستنزال اللطف الموجود في أسر الوجود أمليته في هذه الايام التى أقيم فيها رسم النيابة عن السلطان في سفره الى الجهاد بودى لو وقفتم عليه وعلى كتابي في المحبة وعسى الله أن ييسر ذلك ومع هذا كله والله ما قصرت في الحرص على ايصال مكتوب اليكم اما من جهة أخيكم أو من جهة السيد الشريف أبى عبد الله حتى من المغرب اذا سمعت الركب متوجها منه فلا أدرى هل بلغكم شئ من ذلك أم لا والاحوال كلها على ما تركتموها عليه وأحبابكم بخير على ما علمتم من الشوق والتشوف والارتماض على مفارقتكم ولا حول ولا قوة الا بالله والله يحفظكم ويتولى أموركم والسلام عليكم ورحمة الله من المحب الواحش ابن الخطيب في ربيع الثانى من عام احدى وسبعين وسبعمائة وبباطنه مدرجة نصها سيدى رضى الله عنكم استقر بتلمسان في سبيل تقلب ومسارعة مزاج تعرفونه صاحبنا المقدم في الطب أبو عبد الله الشقورى فاذا اتصل بكم فأعينوه على ما يقف عليه اختياره وهذا الايجاج معه الى مثلكم عنوانه سيدى ومحل أخى الفقيه الجليل الصدر الكبير المعظم الرئيس الحاجب العالم الفاضل الوزير ابن خلدون وصل الله سعده وحرس مجده بمنه واعاطولت بذكر هذه المخاطبات وان كانت فيما يظهر خارجة عن غرض الكتاب لان فيها كثيرا من أخبارى وشرح حالى فيستوفى ذلك منها ما يتشوف اليه من المطالعين للكتاب ثم ان السلطان أبا حمو لم يزل معتملا في الاجلاب على بجاية واستئلاف قبائل رياح لذلك ومعولا على مشايعتى فيه ووصل يده مع ذلك بالسلطان أبى اسحق ابن السلطان أبى بكر صاحب تونس من بنى أبى حفص لما كان بينه وبين أخيه صاحب بجاية وقسنطينة من العداوة التى تقتضيها مقاسمة النسب والملك فكان يوفد رسله عليه في كل وقت ويعرون بى وأبا يسكرة فاكد الوصلة بمخاطبة كل منهما وكان أبو زيان ابن عم السلطان أبى حمو بعد اجفاله عن بجاية واختلال معسكره قد سار في أثره الى تلمسان وأجلب على نواحيها فلم يظفر بشئ وعاد الى حصين فأقام بينهم واشتملوا عليه ونجم النفاق في سائر أعمال المغرب الاوسط ولم يزل يستألفهم حتى اجتمع له الكثير منهم فخرج في عساكره منتصف تسع وستين الى حصين وأبى زيان واعتصموا بجبل تيطرى وبعث الى في استنفار الزواودة للاخذ بحجزتهم من جهة الصحراء وكتب يستدعى

أشياخهم يعقوب بن علي كبير أولاد محمد وعثمان بن يوسف كبير أولاد سباع بن يحيى وكتب الى ابن مزني قعيدة وطنهم بامدادهم في ذلك فأمدهم وسرنا مغربين اليه حتى نزلنا القطفا بتل تيطري وقد أحاط السلطان به من جهة التل على أنه اذا فرغ من شأنهم سار معنا الى بجاية وبلغ الخبر الى صاحب بجاية أبي العباس فعسكر بن استألف من بقايا قبائل رياح وعسكر بطرف ثنية القطفا المفضية الى المسيلة وبينما نحن على ذلك اجتمع المخالفون من زغبة وهم خالد بن عامر كبير بني عامر وأولاد عريف كبراء سويد ونهضوا الينا بمكاننا من القطفا فأجفلت أحياء الزواودة وتأخرنا الى المسيلة ثم الى الزاب وسارت زغبة الى تيطري واجتمعوا مع أبي زيان وحصين وهجموا على معسكر أبي حمو ففلوه ورجع منهزما الى تلمسان ولم يزل من بعد على استئلاف زغبة ورياح يؤمل الظفر بوطنه وابن عمه والكرة على بجاية عاما فعاما وأنا على حالي في مشايعته وايلاف ما بينه وبين الزواودة والسلطان أبي اسحق صاحب تونس وابنه خالد من بعده ثم دخلت زغبة في طاعته واجتمعوا على خدمته ونهض من تلمسان لشفاء نفسه من حصين وبجاية وذلك في أخريات احدى وسبعين فوفدت عليه بطائفة من الزواودة أولاد عثمان بن يوسف بن سليمان لنشارف أحواله ونطالعه بما يرسم له في خدمته فلقيناه بالبطحاء وضرب لنا موعدا بالجزائر انصرف به العرب الى أهليهم وتخلفت بعدهم لقضاء بعض الاغراض واللحاق بهم وصليت به عيد الفطر على البطحاء وخطبت به وأنشدته عند انصرافه من المصلى تهنئة بالعيد وغرضه

هذي الديار فحيهن صباحا * وقف المطايا بينهن طلاحا

لا تسأل الاطلال ان لم تروها * عبرات عينك واكفا ممتاحا

فلقد أخذن على جفونك موثقا * أن لا يرين مع البعاد شحاحا

ايه على الحي الجميع وربما * طرب الفؤاد لذكرهم فارتاحا

ومنازل للظاعنين استعجمت * حزنا وكانت بالسرور فصاحا

وهي طويلة ولم يبق في حفظي منها الا هذا وبينما نحن في ذلك اذ بلغ الخبر بأن السلطان عبد العزيز صاحب المغرب الاقصى من بني مرين قد استولى على جبل عامر بن محمد الهنتاني بمراكش وكان أخذ بمخنقه منذ حول وساقه الى فاس فقتله بالعذاب وأنه عازم على النهوض الى تلمسان لما سلف من السلطان أبي حمو أثناء حصار السلطان عبد العزيز لعامر في جبله من الاجلاب على ثغور المغرب ولحين وصول هذا الخبر أضرب السلطان أبو حمو على ذلك الذي كان فيه وكر راجعا الى تلمسان وأخذ في أسباب الخروج الى الصحراء مع شيعة بني عامر من أحياء زغبة فاستألف وجمع وسدد الرجال

وقضى عيد الأضحى وطلبت منه الاذن في الانصراف الى الاندلس لتعذر الوجهة الى بلاد رياح وقد أظلم الجو بالفتنة وانقطعت السبل فأذن لي وحملني رسالة الى السلطان ابن الاحمر وانصرفت الى المرسى بهنين وجاءه الخبر بنزول صاحب المغرب تازا في عساكره فاستقل بعدي من تلمسان ذاهبا الى الصحراء على طريق البطحاء وتعذر علي ركوب البحر من هنين فأقصرت وتأدى الخبر الى السلطان عبد العزيز بأني مقيم بهنين وأن معي وديعة احملها الى صاحب الاندلس تخيل ذلك بعض الغواة وكتب به الى السلطان عبد العزيز فأنفذ من وقته سرية من تازا وتعرضني لاسترجاع تلك الوديعة واستمروا الى تلمسان ووافوني المرسى بهنين وكشفوا الخبر فلم يقفوا على صحته وحملوني الى السلطان فلقيته قريبا من تلمسان واستكشفني عن ذلك الخبر فأعلمته بنفيه وعنفني على مفارقة دارهم فاعتذرت له بما كان من عمر بن عبد الله المستبد عليهم وشهد لي كبير مجلسه وولي أبيه وابن وليه ونزمار بن عريف ووزيره عمر بن مسعود بن منديل بن حمامة واحتفت الالطاف وسألني في ذلك المجلس عن أمر بجاية وأفهمني أنه يروم تملكها فهونت عليه السبيل في ذلك فسر به وأقمت تلك الليلة في الاعتقال ثم أطلقني من الغد فعمدت الى رباط الشيخ الولي أبي مدين ونزلت بجواره مؤثرا للتخلي والانقطاع للعلم لو تركت له

• (مشايعة السلطان عبد العزيز صاحب المغرب على بني عبد الواد) •

ولما دخل السلطان عبد العزيز الى تلمسان واستولى عليها وبلغ خبره الى أبي حمو وهو بالبطحاء فأجفل من هنالك وخرج في قومه وشيعته من بني عامر ذاهبا الى بلاد رياح فسرح السلطان وزيره أبا بكر بن غازي في العساكر لاتباعه وجمع عليه أحياء زغبة والمعقل باستئلاف وليه ونزمار وتدبيره ثم أعمل السلطان نظره ورأى أن يقدمني أمامه الى بلاد رياح لاوطئ أمره وأحملهم على مناصرته وشفاء نفسه من عدوه بما كان السلطان أيس من استتباع رياح وتصريفهم فيما يريده من مذاهب الطاعة فاستدعاني من خلوتي بالعبادة عند رباط الولي أبي مدين وأنا قد أخذت في تدريس العلم واعتزمت على الانقطاع فآنسني وقربني ودعاني لما ذهب اليه من ذلك فلم يسعني الا اجابته وخلع علي وحملني وكتب الى شيوخ الزواودة بامتثال أمري وما ألقيه اليهم من أوامره وكتب الى يعقوب بن علي وابن مزني بمساعدتي على ذلك وأن يحاولوا على استخلاص أبي حمو من بين أحياء بني عامر ويحولوه الى حي يعقوب بن علي فودعته وانصرفت في عاشوراء سنة ثنتين وسبعين فلحقت الوزير في عساكره وأحياء العرب من المعقل وزغبة على البطحاء ولقيته ودفعت اليه كتاب السلطان وتقدمت أمامه وشيعني ونزمار

يومئذ وأوصاني بأخيه محمد وقد كان أبو حمو قبض عليه عندما أحس منهم بالخلاف وأنهم يرومون الرحلة الى المغرب وأخرجه معه من تلمسان مقيدا واحتمله فى معسكره فأكد على ونرمار فى المحاولة على استخلاصه بما أمكن وبعثني ابن أخيه عيسى فى جماعة من سويد بيدروني وتقدم الى أحياء حصين وأخبرهم فرج بن عيسى بوصية عمه ونرمار اليهم فنبذوا الى أبي زيان عهده وبعثوا معه من أوصله الى بلاد رياح ونزل على أولاد يحيى بن على بن سباع وتوغلوا به فى القفر واستمريت ذاهبا الى بلاد رياح فلما انتهيت الى المسيلة ألفيت السلطان أبا حمو وأحياء رياح معسكرين قريبا منها فى وطن أولاد سباع بن يحيى من الزواودة وقد تسايلوا اليه وبذل فيهم العطاء ليجتمعوا اليه فلما سمعوا بمكانى من المسيلة جاؤا الى فحملتهم على طاعة السلطان عبد العزيز وأوفدت أعيانهم وأشياخهم على الوزير أبي بكر بن غازى فلقوه ببلاد الديالم عند نهر واصل فأتوه طاعتهم ودعوه الى دخول بلادهم فى اتباع عدوه ونهض معهم وتقدمت أنا من المسيلة الى بسكرة فلقيت بها يعقوب بن على واتفق هو وابن مزنى على طاعة السلطان وبعث ابنه محمدا اللقاء أبي حمو وأمر بنى عامر خالد بن عامر يدعوهم الى نزول وطنه والبعد به عن بلاد السلطان عبد العزيز فوجده متدليا من المسيلة الى الصحراء ولقيه على الدوسن وبات ليلتهم يعرض عليهم التحول من وطن أولاد بنى سباع الى وطنهم بشرقى الزاب وأصبح يومه كذلك فراعهم آخر النهار الا انتشار العجاج خارجا اليهم من أفواه الثنية فركبوا يستشرفون واذا بهم وادى الخيل طالعة من الثنية وعساكر بنى مرين والمعقل وزغبة منثالة أمام الوزير أبى بكر بن غازى قد دل بهم الطريق وفد أولاد سباع الذين بعثهم من المسيلة فلما أشرفوا على المخيم أغاروا عليه مع غروب الشمس فأجفل بنو عامر وانتهب مخيم السلطان أبى حمو ورحاله وأمواله ونجا بنفسه تحت الليل وتمزق شمل ولده وحرمه حتى خلصوا اليه بعد أيام واجتمعوا بقصور مصاف من بلاد الصحراء وامتلأت أيدى العساكر والعرب من نهابهم وانطلق محمد بن عريف فى تلك الهيعة أطلقه الموكلون به وجاء الى الوزير وأخيه ونرمار وتلقوه بما يجب له وأقام الوزير أبو بكر بن غازى بالدوسن أياما أراح فيها وبعث اليه ابن مزنى بطاعته وأرغدله من الزاد والعلوفة وارتحل راجعا الى المغرب وتخلفت بعده أياما عند أهلى ببسكرة ثم ارتحلت الى السلطان فى وفد عظيم من الزواودة يقدمهم أبو دينار أخو يعقوب بن على وجماعة من أعيانهم فسابقنا الوزير الى تلمسان وقدمنا على السلطان فوسعنا من حبائه وتكرمته ونزله ما بعد العهد بمثله ثم جاء من بعدنا الوزير أبو بكر بن غازى على الصحراء بعد أن مر بقصور بنى عامر هنالك فخربها وكان يوم قدومه

على السلطان يوما شهودا وأذن بعدها للوفود الزواودة فى الانصراف الى بلادهم وقد كان شرطهم قدوم الوزير ووليه ونزمار بن عريف فودعوه وبالغ فى الاحسان وانصرفوا الى بلادهم ثم أعمل نظره فى اخراج أبى زيان من بين أحياء الزواودة لما خشى من رجوعه الى حصين فأمرنى فى ذلك وأطلقنى اليهم فى محاولة انصرافه عنهم فانطلقت لذلك وكان أحياء حصين قد توجسوا الخيفة من السلطان وتنكروا له وانصرفوا الى أهليهم بعد مرجعهم من غزاتهم مع الوزير وبادروا باستدعاء أبى زيان من مكانه عند أولاد يحيى بن على وأنزلوه بينهم واشتملوا عليه وعادوا الى الخلاف الذى كانوا عليه أيام أبى حمو واشتعل المغرب الاوسط نارا ونجم صبى من بيت الملك فى مغراوة وهو حمزة بن على بن راشد فر من معسكر الوزير ابن غازى أيام مقامه عليها فاستولى على شلف وبلاد قومه وبعث السلطان وزيره عمر بن مسعود فى العساكر لمنازلته وأعيا داؤه وانقطعت أنا ببسكرة وحال ذلك ما بينى وبين السلطان الا بالكتاب والرسالة وبلغنى فى تلك الايام وأنا ببسكرة مفر الوزير ابن الخطيب من الاندلس حين توجس الخيفة من سلطانه بما كان له من الاستبداد عليه وكثرة السعاية من البطانة فيه فأعمل الرحلة الى الثغور الغربية لمطالعتها باذن سلطانه فلما حاذى جبل الفتح قبالة الفرضة دخل الى الجبل وبيده عهد السلطان عبد العزيز الى القائد بقبوله وأجاز البحر من حينه الى سبتة وسار الى السلطان بتلمسان وقدم عليه بها فى يوم مشهود وتلقاه السلطان من الحظوة والتقريب وادرار النعم بما لا يعهد بمثله وكتب الى من تلمسان يعرفنى بخبره ويلم ببعض العتاب على ما بلغه من حديثى الاول بالاندلس ولم يحضرنى الآن كتابه فكان جوابى عنه ما نصه الحمد لله ولا قوة الا بالله ولا راد لما قضى الله ياسيدى ونعم الذخر الابدى والعروة الوثقى التى أعلقتها يدى أسلم عليك سلام القدوم على المخدوم والخضوع للملك المتبوع لابل أحييكم تحية المشوق للمعشوق والمدلج للصباح المتبلج وأقرر ما أنتم أعلم بصحيح عقدى فيه من حبى لكم ومعرفتى بمقداركم وذهابى الى أبعد الغايات فى تعظيمكم والثناء عليكم والاشادة فى الآفاق بمناقبكم ديدنا معروفا وسجية راسخة يعلم الله وكفى بالله شهيدا وهذا كما فى علمكم أسنى ما اختلف أولا ولا آخرا ولا شاهدا ولا غائبا وأنتم أعلم بما تعنى نفسى وأكبر شهادة فى خفايا ضميرى ولو كنت ذلك فقد سلف من حقوقكم وجميل أخذكم واجتلاب الحظ لو هيأ القدر لمساعيكم وايثارى بالمكان من سلطانكم ودولتكم ما يستلين معاطف القلوب ويستل سخائم الهواجس فأنا أحاشيكم من استشعار نبوة أو احفار وطن ولو تعلق معلق ساق حر زرزور فحاش لله أن يقدح فى الخلوص لكم أو يرجح سوابقكم الغناء خبيئة

الفؤاد الى الحشر والثناء والله وجميع ما يقسم به ما اطلع على مستكنه منى غير صديقى وصديقكم الملابس كن لى ولكم الحكيم الفاضل أبى عبد الله الشقورى أعزه الله نفثة مصدور ومباثة خلوص اذ أنا أعلم الناس بمكانه منكم وقد علم ما كان منى حين مفارقة تلمسان واضمحلال أمره من اجماع الامر على الرحلة اليكم والخفوق الى حاضرة البحر للاجازة الى عدوتكم تعرضت فيهم للتهم ووقفت بمجال الظنون حتى تورطت فى الهلكة ولولا احسن رأيه فى وثبات بصيرته لكنت فى الهالكين الاولين كل ذلك شوقا الى لقائكم وتمثلا لانسكم فلا تظنوا بى الظنون ولا تصدقوا التوهمات فانا من قد علمتم صداقة وسذاجة وخلوصا واتفاق ظاهر وباطن أثبت الناس عهدا وأحفظهم غيبا وأعرفهم بوزان الاخوان ومزايا الفضلاء ولامر ما تأخر كتابى من تلمسان فانى كنت استشعر ممن استضافنى ريبا بخطاب سواه خصوصا جهتكم لقديم ما بين الدولتين من الاتحاد والمظاهرة واتصال المدمع ان الرسول تردد الى وأعلمنى اهتمامكم واهتمام السلطان مولاه الله باستكشاف ما أبهم من حالى فلم أترك شيأ مما أعلم تشوقكم اليه الا وكشفت له قناعه وآمنته على ابلاغه ولم أزل بعد ايناس المولى الخليفة لدمائى وجذبه بضبعى سابحا فى تيار الشواغل كما علمت القاطعة حتى عن الفكر وسقطت الى محل مجد خدمتى من هذه القاصية أخبار خلوصكم الى المغرب قبل فصول راحلتى الى الحضرة غير جلية ولا ملتئمة ولم يتعين ملقى العصا ولا مستقر النوى فأرجأت الخطاب الى استجلائها وأفدت من كتابكم العزيز الجارى على سنن الفضل ومذاهب المجد ما كيفه القدر من بديع الحال لديكم وعجيب تأتى أملكم الشارد فيه كما كنا نستبعده عند المناوضة فحمدت الله لكم على الخلاص من ورطة الدول على أحسن الوجوه وأجمل المخارج الحميدة العواقب فى الدنيا والدين العائدة بحسن المآل فى المخلف من أهل وولد ومتاع وأثر بعد أن رضتم جموح الايام وتوقلتم قلل العز وقدتم الدنيا بحذافيرها وأخذتم بآفاق السماء على أهلها وهنيأ فقد نالت نفسكم التواقة أبعد أمانيها ثم تاقت الى ما عند الله وأشهد لما ألهمتم للاعراض عن الدنيا ونزع اليد من حطامها عند الاصحاب والاقبال ونهى الآمال الاجذبا وعناية من الله وحبا واذا أراد الله أمرا يسر أسبابه واتصل بى ما كان من تحفى السيادة المولوية بكم واهتزاز الدولة لقدومكم ومثل هذه الخلافة أيدها الله من يثابر على المفاخر ويثأر بالاخاير وليت ذلك عند اقبالكم على الحظ وأنسكم باجتلاء الآمال حتى يحسن المتاع ويتجمل السرير الملوكى بمكانكم فالظن ان هذا الباعث الذى هزم الآمال ونبذ الحظوظ المفارق العزيز سومكم الله حتى يأخذ بيدكم الى فضاء المجاهدة ويستوى بكم على جدد

بياض بالاصل

الرياضة واته يهدى للتى هى أقوم وكانت بالاقدام تقلت والبصائر بالهام الحق صقلت والمقامات خلفت بعدان استقبلت والعرفان شيمة أنواره وبوارقه والوصول انكشفت حقائقه لما ارتفعت عوائقه وأما حالى والظن بكم الاهتمام بها والبحث عنها فغير خفية بالباب المولوى أعلاه الله ومظهرها فى طاعته ومصدرها عن أمره وتصاريفها فى خدمته والزعم أنى فت المقام المحمود فى التشيع والانحياش واستمالة الكافة الى المناصحة ومخالصة القلوب للولاية وما يتشوقه مجدكم ويتطلع اليه فضلكم وأما اهتمامكم فى خاصتها من النفس والولد فهينة خبره مؤدى كتابى اليكم ناشئة تأديبى وثمرة تربيتى فسهلوا له الاذن وألينوا له جانب النجوى حتى يؤدى ما عندكم وما عندى وخذوه بأعقاب الاحاديث ان يقف عند مباديها واتمنوه على ما تحدثون فليس بضنين على السر وتشوقى بما يرجع به اليكم سيدى وصديقى وصديقكم المقرب فى الجد والفضل المساهم فى الشدائد كبير المغرب وظهير الدولة أبو يحيى بن أبى مدين كان الله له فى شأن الولد والحلف تشوق الصديق لكم الضنين على الايام بفلاحة الظفر من ذات يديكم فأطلعوه طلع ذلك ولا يهمكم بالفراق الواقع حسن فالسلطان كبير والاثر جليل والمدق الساعى قليل حقير والنية صالحة والعمل خالص ومن كان له كان الله له واستطلاع الرياسة المرتبة الكافلة كافأ الله يده البيضاء عنى وعنكم   من أحوالكم استطلاع من يترنح وزانكم ويشكر الزمان على ولاته بمثلكم وقد قررت من علو مناقبكم وبعد شأوكم وغريب منحاكم ما شهدت به آثاركم الشائعة الخالدة فى الرياسة المتأدية على ألسنة الصادر والوارد من الكافة من حمل الدولة واستقامة السياسة ورقته على سلامكم وهو يراجعكم بالتحية ويساهمكم بالدعاء وسلامى على سيدى وفلذة كبدى ومحل ولدى الفقيه الزكى الصدر أبى الحسن نجلكم أعزه الله وقد وقع منى موقع البشرى حلوله من الدولة بالمكان العزيز والرتبة النابهة والله يلحفكم جميعا رداء العافية والستر ويمهد لكم محل الغبطة والامن ويحفظ عليكم ما أسبغ من نعمته ويجريكم على عوائد لطفه وعنايته والسلام الكريم يخصكم من المحب الشاكر الداعى الشائق شيعة فضلكم عبد الرحمن ابن خلدون ورحمة الله وبركاته فى يوم الفطر عام اثنين وسبعين وسبعمائة وكان بعث الى مع كتابه نسخة كتابه الى سلطانه ابن الاحمر صاحب الاندلس عندما دخل جبل الفتح وصار الى ايالة بنى مرين يخاطبه من هنالك بهذا الكتاب فرأيت أن أثبته هنا وان لم يكن من غرض التأليف لغرابته ونهايته فى الجودة وأن مثله لا يهمل من مثل هذا الكتاب مع ما فيه من زيادة الاطلاع على أخبار الدول فى تفاصيل احوالها ونص الكتاب

بياض فى الاصل

يا نوا غير كان يا كيا يبكى * هذى ركاب السرى بلا شك
فى ظهور الركاب معملة * الى بطون الربى الى الفلك
تصدع الشمل مثل ما انحدرت * الى صبوب جواهر السلك
من النوى قبل لم أزل حذرا * هذا النوى جعل مالك الملك

مولاى كان الله لكم وتولى أمركم أسلم عليكم سلام الوداع وأدعو الله فى تيسير اللقاء والاجتماع من بعد التفرق والانصداع وأقرر لديكم ان الانسان أسير الاقدار سالب الاختيار متقلب فى حكم الخواطر والافكار وأن لابد لكل أول من آخر وأن التفرق لازم كل اثنين بموت أو حياة ولم يكن منه بد كان خير أنواعه الواقعة بين الاحباب ماوقع على الوجوه الجميلة البريئة من الشرور ويعلم مولاى حال عبده منذ وصل اليكم من المغرب بولدكم ومقامه لديكم بحال قلق ولولا تعليلكم ووعدكم وارتقاب اللطائف فى تقليب قلبكم وقطع نواحل الايام حريصا على استكمال سنكم ونهوض ولدكم واضطلاعكم بأمركم وتمكن هدنة وطنكم وماتحمل فى ذلك من ترك غرضه لغرضكم وما استقربه من عهودكم وأن العبد الآن تسبب لكم فى الهدنة من بعد الظهور والعز ونجح السعى وتأتى السنين كثيرة الصلح ومن بعد أن لم يبق لكم بالاندلس مشغب من القرابة وتحرك لمطالعة الثغور الغربية وقرب من فرضة المجاز واتصال الارض ببلاد المشرق لطرقته الافكار وزعزعت صبره رياح الخواطر وتذكر اشراف العمر على التمام وعواقب الاستغراق وسيرة الفضلاء عند شمول البياض فغلبته حال شديدة هزمت التعشق بالشمل الجميع والوطن المليح والجاه الكبير والسلطان القليل النظير وعمل بمقتضى قوله موتوا قبل أن تموتوا فان صحت الحال المرجوة من استمداد الله تنقلت الاقدام الى امام وقوى التعلق بعروة الله الوثيق وان وقع العجز أو افتضح العزم فالله يعاملنا بلطفه وهذا المرتكب مرام صعب لكن سهله على أمور منها ان الانصراف لما لم يكن منه بد لم يتعين على غير هذه الصورة اذ كان عندكم من باب المحال ومنها ان مولاى لو سمح لى بغرض الانصراف لم تكن لى قدرة على موقف وداعه لا والله ولكان الموت أسبق الى وكفى بهذه الوسيلة الحسنة التى يعرفها وسيلة ومنها حرصى على أن يظهر صدق دعواى فيما كنت أهتف به وأظن انى لا أصدق ومنها اغتنام المفارقة فى زمن الامان والهدنة الطويلة والاستغناء اذا كان الانصراف المفروض ضرورة يا قبيحا فى غير هذه الحال ومنها وهو أقوى الاعذار أنى متى لم أطق تمام هذا الامر أو ضاق ذرعى به لعجز أو مرض أو خوف طريق أو نفاد زاد أو شوق غالب رجعت رجوع الاب الشفيق الى الولد البر الرضى اذ لم أخلف ورائى

مانعا من الرجوع من قول قبيح ولا فعل بل خلفت الوسائل المرعية والآثار الخالدة
والسير الجميلة وانصرفت بقصد شريف فقت به أشياخي وكبار وطني وأهل طوري
وتركتكم على أتم ما أرضاه مثنيا عليكم داعيا لكم وان فسح الله في الامد وقضى
الحاجة فأملي العودة الى ولدي وتربتي وان قطع الاجل فأرجوا ان أكون ممن وقع
أجره على الله فان كان نصرفي صوابا وجاريا على السداد فلا يلام من أصاب وان كان
عن حمق وفساد عقل فلا يلام من اختل عقله وفسد مزاجه بل يعذر ويشفق عليه
ويرحم وان لم يعط مولاي أمري حقه من العدل وجليت الذنوب ونشرت بعدي
العيوب فخلاؤه وتناصفه يشكر ذلك ويستحضر الحساب من التربية والتعليم وخدمة
السلف وتخليد الآثار وتسمية الولد وتلقيب السلطان والارشاد الى الاعمال الصالحة
والمداخلة والملابسة لم يتخلل ذلك قط خيانة في مال ولا سر ولا غش في تدبير ولا تعلق به
عار ولا كدره نقص ولا حمل عليه خوف منكم ولا طمع فيما بيدكم وان لم تكن هذه
دواعي الرعي والوصلة والابقاء فنعم تكون بين بني آدم وأنا قد رحلت فلا أوصيكم
بعيال فهو عندي أهون متروك ولا بولد فهم رجالكم وخدامكم ومن يحرص مثلكم على
الاستكثار منهم ولا بعيال فهي من مزيات بيتكم وخواص داركم انما أوصيكم بتقوى
الله والعمل لغد وقصر عنان اللهو في موطن الجد والحياء من الله الذي محص وأقال
وأعاد النعمة بعد زوالها لينظر كيف تعملون وأطلب منكم عوض ما وفرته عليكم من
زاد طريق ومكافاة واعانة زادا سهلا عليكم وهو أن تقولوا الى غفر الله لك ما ضيعت من
حق خطأ أو عمدا واذا فعلتم ذلك فقد رضيت واعلموا أيضا على جهة النصيحة ان ابن
الخطيب مشهور في كل قطر وعند كل ملك واعتقاده وبره والسؤال عنه وذكره بالجميل
والاذن في زيارته حنانة منكم وسمعه درع ودها فانما كان ابن الخطيب بوطنكم
سحابة رحمة نزلت ثم أقشعت وتركت الازاهر تفوح والمحاسن تلوح ومثاله معكم
مثل المرضعة أرضعت السياسة والتدبير الميمون ثم رفدتكم في مهد الصلح والامان
وغطتكم بقناع العافية وانصرفت الى الحمام تغسل اللبن والوضر وتمرد فان وجدت
الرضيع قد خسن أو رقد أو شبه فلم تتركه الا في حد الانفطام وختم هذه العزارة بالحلف
الاكيد أني ما تركت لكم وجه نصيحة في دين ولا في دنيا الا وقد وفيت لكم
ولا فارقتكم الا عن عجز ومن ظن خلاف هذا فقد ظلمني وظلمكم والله يرشدكم ويتولى
أمركم ويعول خاطركم في ركوب البحر انتهت نسخة الكتاب وفي طيها هذه الابيات

صاب مزن الدموع من جفن صبك * عندما استروح الصبا من مهبك
كيف يسلو يا جنتي عنك وقد * كان قبل الوجود جن بحبك

ثم قل كيف كان قبل انتشاء الر * وح من أنسك الشهى وقربك
لم يدع بيتك المنيع حماه * لسواه الا الى بيت ربك
أول عذرى الرضى فاجئت بدعا * دمت والفضل والرضى من دابك
واذا ما ادعيت كربا بفقدى * أين كربى ووحشتى من كربك
ولدى فى ذرالك وكرى فى دو * حك لحدى وتربتى فى تربك
يازمانا أغرى الفراق بشملى * ليتنى أهبتى أخذت لحربك
أركبتنى صروفك الصعب حتى * جئت بالبين وهو أصعب صعبك

وكتب آخر النسخة بخاطبنى هذا ما تيسر والله ولى الخيرة لى ولكم من هذا الخياط الذى لانسبة بينه وبين أولى الكمال ردّنا الله اليه وأخلص توكلنا عليه وصرف الرغبة على ما لديه وفى طى النسخة مدرجة نصها رضى الله عن سيادتكم أونسكم بما صدر منى أثناء هذا الواقع مما استحضره الولد فى الوقت وهو يسلم عليكم بما يجب لكم وقد حصل من حظوة هذا المقام الكريم على حظ وافر وأجزل احسانه ونوه بجراياته وأثبت الفرسان خلفه والحمد لله ثم اتصل مقامى ببسكرة والمغرب الاوسط مضطرب بالفتنة المانعة من الاتصال بالسلطان عبد العزيز وحمزة بن راشد ببلاد مغراوة والوزير عمر بن مسعود فى العساكر يحاصره بحصن تاجوت وأبو زيان العبد الوادى ببلاد حصين وهم مشتملون عليه وقائمون بدعوته ثم سخط السلطان وزيره عمر بن مسعود ونكر منه تقصيره فى حمزة وأصحابه فاستدعاه الى تلمسان وقبض عليه وبعث به الى فاس معتقلا فحبس هنالك وجهز العساكر مع الوزير ابن غازى فنهض اليه وحاصره ففر من الحصن ولحق بمليانة مجتازا عليها فأنذر به عاملها فقبض عليه وسيق الى الوزير فى جماعة من أصحابه فضربت أعناقهم وصلبهم عظة ومزدجرا لاهل الفتنة ثم أوعز السلطان بالمسير الى حصين وأبى زيان فسار فى العساكر واستنفر أحياء العرب من زغبة فأوعبهم ونهض الى حصين فامتنعوا بجبل تيطرى ونزل الوزير بعساكره ومن معه من أحياء زغبة على جبل تيطرى من جهة التل فأخذ بخنقهم وكاتب السلطان أشياخ الزواودة من رياح بالمسير الى حصار تيطرى من جهة القبلة وكاتب أحمد بن مزنى صاحب بسكرة بامدادهم باعطياتهم وكتب الى يأمرنى بالمسير بهم لذلك فاجتمعوا على وسرت بهم أول سنة أربع وسبعين حتى نزلنا بالقطفا فى جماعة منهم على الوزير بمكانه من حصار تيطرى فخذلهم حدود الخدمة وشارطهم على الجزاء ورجعت الى أحيائهم بالقطفا فاشتدوا فى حصار الجبل وألجؤهم بسوامهم وظهرهم الى قنته فهلك لهم الخف والحافر وضاق ذرعهم بالحصار من كل جانب وراسل بعضهم فى الطاعة خفية

فارتاب بعضهم من بعض وانفضوا ليلا من الجبل وأبو زيان معهم ذاهبين الى الصحراء واستولى الوزير على الجبل بما فيه من مخلفهم ولما بلغوا أمنهم من القفر نبذوا الى أبي زيان عهده فلحق بجبال غمرة ووفد أعيانهم على السلطان عبد العزيز بتلمسان ووفاوا الى طاعته فتقبل طاعتهم وأعادهم الى أوطانهم وتقدم الوزير عن أمر السلطان بالمسير مع أولاد يحيى بن علي بن سباع للقبض على أبي زيان في جبل غمرة وفاء بحق الطاعة لان غمرة من رعاياهم دضينا الذلك فلم نجده عندهم وأخبرونا انه ارتحل عنهم الى بلد واركلا من مدن الصحراء فنزل على صاحبها أبي بكر بن سليمان فانصرفنا من هنالك ومضى أولاد يحيى بن علي الى أحيائهم ورجعت أنا الى أهلي ببسكرة وخاطبت السلطان بما وقع في ذلك وأقمت منتظرا أوامره حتى جاءني استدعاؤه الى حضرته فرحلت اليه

(العودة الى المغرب الاقصى)

ولما كنت في الاعتمال في مشايعة السلطان عبد العزيز ملك المغرب كما ذكرت تفاصيله وأنا مقيم ببسكرة في جوار صاحبها أحمد بن يوسف بن مزني وهو صاحب زمام رياح وأكثر عطائهم من السلطان مفروض عليه في جباية الزاب وهم يرجعون اليه في الكثير من أمورهم فلم أشعر الا وقد حدثت المنافسة منه في استتباع العرب ووغر صدره وصدق في ظنونه وتوهماته وطاوع الوشاة فيما يوردون على سمعه من التقول والاختلاف وجاش صدره بذلك فكتب الى ونزمار بن عريف ولي السلطان وصاحب شوراه ينفس الصعداء من ذلك فأنهاه الى السلطان فاستدعاني لوقته وارتحلت من بسكرة بالاهل والولد في يوم المولد الكريم سنة أربع وسبعين متوجها الى السلطان وكان قد طرقه المرض ذاهوالان وصلت مليانة من أعمال المغرب الاوسط لقيني هنالك خبر وفاته وأن ابنه أبا بكر السعيد نصب بعده للامر في كفالة الوزير أبي بكر بن غازي وانه ارتحل الى المغرب الاقصى مغذا السير الى فاس وكان على مليانة يومئذ علي بن حسون بن أبي علي الهساطي من قواد السلطان وموالي بيته فارتحلت معه الى أحياء العطاف ونزلنا على أولاد يعقوب بن موسى من أمرائهم وبذرقني بعضهم الى حلة أولاد عريف أمراء سويد ثم لحق بنا بعد أيام علي بن حسون في عساكره وارتحلنا جميعا الى المغرب على طريق الصحراء وكان أبو حمو قد رجع بعد مهلك السلطان من مكان انتباذه بالقفر في تيكورارين الى تلمسان فاستولى عليها وعلى سائر أعماله وأوعز الى بني يغمور من شيوخ عبيد الله في المعقل أن يعترضونا بحدود بلادهم من رأس العين مخرج وادي صا فاعترضونا هنالك فنجا من نجا منا على خيولهم الى جبل دبدو وانتهبوا جميع ما كان معنا وأرجلوا الكثير من الفرسان وكنت فيهم وبقيت يومئذ

فى قفره ضاحيا عاريا الى أن حصلت الى العمران ولحقت بأصحابى بجبل دبدو ووقع فى خلال ذلك من الالطاف مالا يعبر عنه ولا يسع الوفاء بشكره ثم سرنا الى فاس ووفدت على الوزير أبى بكر وابن عمه محمد بن عثمان بفاس فى جمادى من السنة وكان لى معه قديم صحبة واختصاص منذ نزع معى الى السلطان أبى سالم بجبل الصفيحة عند اجازته من الاندلس لطلب ملكه كما مرّ فى غير موضع من الكتاب فلقينى من برالوزير وكرامته وتوفير جرايته واقطاعه فوق ما احتسب وأقمت بمكانى من دولتهم أثير المحل ثابت الرتبة عظيم الجاه منوّه المجلس عند السلطان ثم انصرم فصل الشتاء وحدث بين الوزير أبى بكر بن غازى و بين السلطان ابن الاحمر منافرة بسبب ابن الخطيب وما دعا اليه ابن الاحمر من ابعاده عنهم وأنف الوزير من ذلك فأظلم الجو بينهما وأخذ الوزير فى تجهيز بعض القرابة من بنى الاحمر ليشغله به ونزع ابن الاحمر الى اطلاق عبد الرحمن بن أبى يفلوسن من ولد السلطان أبى على والوزير مسعود بن رحو بن ماسى كان حبسهما أيام السلطان عبد العزيز وأشار بذلك ابن الخطيب حين كان فى وزارتهما بالاندلس فأطلقهما الآن و بعثهما لطلب الملك بالمغرب وأجازهما فى الاسطول الى سواحل عساسة فنزلوا بها ولحقوا بقبائل بطوية هنالك فاشتملوا عليهم وقاموا بدعوة الامير عبد الرحمن ونهض ابن الاحمر من غرناطة فى عساكر الاندلس فنزل على جبل الفتح فحاصره و بلغت الاخبار بذلك الى الوزير أبى بكر بن غازى القائم بدعوة بنى مرين فوجه لحينه ابن عمه محمد بن عثمان بن الكاس الى سبتة لامداد الحامية الذين لهم بالجبل ونهض هو فى العساكر الى بطوية لقتال الامير عبد الرحمن فوجده قد ملك تازا فأقام عليها يحاصره وكان السلطان عبد العزيز قد جمع شبابا من بنى أبيه المرشحين فحبسهم بطنجة فلما وافى محمد بن الكاس سبتة وقعت المراسلة بينه و بين ابن الاحمر وعتب كل منهما صاحبه على ما كان منه واشتد عذل ابن الاحمر على اخلائهم الكرسى من كفئه ونصبهم السعيد بن عبد العزيز صبيا لم يثغر فاستعتب له محمد واستقال من ذلك فحمله ابن الاحمر على أن يبايع لاحد الابناء المحبوسين بطنجة وقد كان الوزير أبو بكر أوصاه أيضا بانه ان تضايق عليه الامر من الامير عبد الرحمن يفرج عنه بالبيعة لاحد أولئك الابناء وكان محمد بن الكاس قد استوزره السلطان أبو سالم لابنه أحمد أيام ملكه فبادر من وقته الى طنجة وأخرج السلطان أحمد بن السلطان أبى سالم من محبسه وبايع له وسار به الى سبتة وكتب لابن الاحمر يعرفه بذلك و يطلب منه المدد على أن ينزل له عن جبل الفتح فأمده بما شاء من المال والعسكر واستولى على جبل الفتح وشحنه بحاميته وكان أحمد بن السلطان أبى سالم قد تعاهد مع بنى أبيه فى محبسهم على أن من

صار له الملك منهم يحيى الباقين الى الاندلس فلما بويع له ذهب الى الوفاء لهم بعهدهم وأجازهم جميعا فنزلوا على السلطان ابن الاحمر فأكرم نزلهم ووفر جراياتهم وبلغ الخبر بذلك كله الى الوزير أبى بكر بمكانه من حصار الامير عبد الرحمن فأخذه المقيم المقعد من فعله ابن عمه وكرّ راجعا الى دار الملك وعسكر بكدية العرائس من فاس وتوعد ابن عمه محمد بن عثمان فاعتذر بانه امتثل وصيته فاستشاط وتهدده واتسع الخرق بينهما وارتحل محمد بن عثمان بسلطانه ومدده من عسكر الاندلس الى أن احتل بجبل زرهون المطل على مكاسة فعسكر به واشتملوا عليه وزحف اليهم الوزير أبو بكر وصعد الجبل فقاتلوه وهزموه ورجع الى مكانه بظاهر دار الملك وكان السلطان ابن الاحمر قد أوصى محمد بن عثمان بالاستعانة بالامير عبد الرحمن والاعتضاد به ومساهمته فى جانب من أعمال المغرب يستبد به لنفسه فراسله محمد بن عثمان فى ذلك واستدعاه واستمده وكان ونزمار بن عريف وليّ سلفهم قد أظلم الجو بينه وبين الوزير أبى بكر لانه سأله وهو يحاصر تازا فى الصلح مع الامير عبد الرحمن فامتنع واتهمه بمداخلته والميل له فاعتزم على القبض عليه ودس اليه بعض عيونه فركب الليل ولحق بأحياء الاحلاف من المعقل وكانوا شيعة للامير عبد الرحمن ومعهم على بن عمر الويغلانى كبير بنى ورتاجن كان انتقض على الوزير ابن غازى ولحق بالسوس ثم خاض القفر الى هؤلاء الاحلاف فنزل بينهم مقيما الدعوة الامير عبد الرحمن فجاءهم ونزمار مفلتا من حبالة الوزير أبى بكر وحرضهم على ما هم فيه ثم بلغهم خبر السلطان أحمد بن أبى سالم ووزيره محمد بن عثمان وجاءهم وافد الامير عبد الرحمن يستدعيهم وخرج من تازا فلقيهم ونزل بين أحيائهم ورحلوا جميعا الى أمداد السلطان أبى العباس حتى انتهوا الى صفروى ثم اجتمعوا جميعا على وادى النجا وتعاقدوا على شأنهم وأصبحوا غدا على التعبية كل من ناحيته وركب الوزير أبو بكر لقتالهم فلم يطق وولى منهزما فانحجر بالبلد الجديد وخيم القوم بكدية العرائس محاصرين له وذلك أيام عيد الفطر من سنة خمس وسبعين فحاصروها ثلاثة أشهر وأخذوا بمخنقها الى ان جهد الحصار الوزير ومن معه فأذعن للصلح على خلع الصبى المنصوب السعيد ابن السلطان عبد العزيز وخروجه الى السلطان أبى العباس ابن عمه والبيعة له وكان السلطان أبو العباس والامير عبد الرحمن قد تعاهدوا عند الاجتماع بوادى النجا على التعاون والتناصر على أن الملك للسلطان أبى العباس بسائر أعمال المغرب وان للامير عبد الرحمن بلد سجلماسة ودرعة والاعمال التى كانت لجده السلطان أبى على أخى السلطان أبى الحسن ثم بدا للامير عبد الرحمن فى ذلك أيام الحصار واشتط بطلب مراكش وأعمالها فأغضوا له فى ذلك وشارطوه على ذلك حتى يتم لهم الفتح فلما

انعقد ما بين السلطان أبي العباس والوزير أبي بكر وخرج اليه من البلد الجديد وخلع سلطانه الصبي المنصوب ودخل السلطان أبو العباس الى دار الملك فاتح ست وسبعين وارتحل الامير عبد الرحمن يغذ السير الى مراكش وبدا للسلطان أبي العباس ووزيره محمد بن عثمان في شأنه فسرحوا العساكر في اتباعه وانتهوا خلفه الى وادي بهت فواقفوه ساعة من نهار ثم أحجموا عنه وولوا على راياتهم وسار هو الى مراكش ورجع عنه وزيره مسعود بن ماسي بعد ان طلب منه الاجازة الى الاندلس يتودع بها فسرحه لذلك وسار الى مراكش فملكها وأما أنا فكنت مقيما بفاس في ظل الدولة وعنايتها منذ قدمت على الوزير سنة أربع وسبعين كما مر عاكفا على قراءة العلم وتدريسه فلما جاء السلطان أبو العباس والامير عبد الرحمن وعسكروا بكدية العرائس وخرج أهل الدولة اليهم من الفقهاء والكتاب والجند وأذن للناس جميعا في مباكرة أبواب السلطانين من غير نكير في ذلك فكنت أباكرهما معا وكان بيني وبين الوزير محمد بن عثمان ما مر ذكره قبل هذا فكان يظهر لي رعاية ذلك ويكثر من المواعيد وكان الامير عبد الرحمن يميل الي ويستدعيني أكثر أوقاته ويشاورني في أحواله فغص بذلك الوزير محمد بن عثمان وأغرى سلطانه فتقبض علي وسمع الامير عبد الرحمن بذلك وعلم اني انما أتيت من جراء مخلف لمقوض خيامه وبعث وزيره مسعود بن ماسي لذلك فأطلقني من الغد ثم كان افتراقهما الثالثة ودخل الامير أبو العباس دار الملك وسار الامير عبد الرحمن الى مراكش وكنت أنا يومئذ مستوحشا فصحبت الامير عبد الرحمن معتزما على الاجازة الى الاندلس من ساحل آسفي معولا في ذلك على صحابة الوزير مسعود بن ماسي لهواي فيه فلما رجع مسعود ثنى عزمي في ذلك ولحقنا ونزمار بن عريف بمكانه من نواحي كرسيف لتقدمه وسيلة الى السلطان أبي العباس صاحب فاس في الجواز الى الاندلس ووافينا عنده داعي السلطان فصحبناه الى فاس واستأذنه في شأني فأذن لي بعد مطاولة وعلى كره من الوزير محمد بن عثمان بن داود بن اعراب ورجال الدولة وكان الاخ يحيى لما ارتحل السلطان أبو حمو من تلمسان رجع عنه من بلاد زغبة الى السلطان عبد العزيز فاستقر في خدمته وبعده في خدمة ابنه السعيد المنصوب مكانه ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد استأذن الاخ في اللحاق بتلمسان فأذن له وقدم على السلطان أبي حمو فأعاده لكتابة سره كما كان أول أمره وأذن لي أنا بعده فانطلقت الى الاندلس بقصد القرار والدعة الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

الاجازة الثانية الى الاندلس ثم الى تلمسان واللحاق بأحياء العرب والمقامة عند أولاد عريف

ولما كان ماقدمته من تنكر السلطان أبي العباس صاحب فاس والذهاب مع الامير عبد الرحمن ثم الرجوع عنه الى ونزمار بن عريف طلبا للوسيلة فى انصرافى الى الاندلس بقصد القرار والعكوف على قراءة العلم فتم ذلك ووقع الاسعاف به بعد الامتناع وأجزت الى الاندلس فى ربيع سنة ست وسبعين ولقيني السلطان بالكرامة وأحسن النزل على عادته وكنت لقيت بجبل الفتح كاتب السلطان ابن الاحمر من بعد ابن الخطيب الفقيه أبا عبد الله بن زمرك ذاهبا الى فاس فى غرض التهنئة وأجاز الى سبتة فى اسطوله وأوصيته باجازة أهلى وولدى الى غرناطة فلما وصل الى فاس وتحدث مع أهل الدولة فى اجازتهم تنكروا لذلك وساءهم استقرارى بالاندلس واتهموا انى ربما أحمل السلطان ابن الاحمر على الميل الى الامير عبد الرحمن الذى اتهمونى بملابسته ومنعوا أهلى من اللحاق بى وخاطبوا ابن الاحمر فى أن يرجعنى اليهم فأبى من ذلك فطلبوا منه أن يجيزنى الى عدوة تلمسان وكان مسعود بن ماسى قد أذنوا له فى اللحاق بالاندلس فحملوه مشافهة السلطان بذلك وأبدوا له انى كنت ساعيا فى خلاص ابن الخطيب وكانوا قد اعتقلوه لاول استيلائهم على البلد الجديد وظفرهم به وبعث اليه ابن الخطيب مستصرخا به ومتوسلا فخاطبت فى شأنه أهل الدولة وعولت فيه منهم على ونزمار وابن ماسى فلم تنجح تلك السعاية وقتل ابن الخطيب بمحبسه فلما قدم ابن ماسى على السلطان ابن الاحمر وقد أغروه بى ألقى الى السلطان ما كان منى فى شأن ابن الخطيب فاستوحش من ذلك وأسعفهم باجازتى الى العدوة ونزلت بهنين والجو بينى وبين السلطان أبى حمو مظلم بما كان منى فى اجلاب العرب عليه بالزاب كما مر آنفا وعز بمقامى بها ثم وفد عليه محمد بن عريف فعذله فى شأنى فبعث عنى الى تلمسان واستقررت بها بالعباد ولحق بى أهلى وولدى من فاس وأقاموا معى وذلك فى عيد الفطر سنة ست وسبعين وأخذت فى بث العلم وعرض للسلطان أبى حمو رأى فى الزواودة وحاجة الى استئلافهم فاستدعانى وكلفنى السفارة اليهم فى هذا الغرض فاستوحشت منه ونكرته على نفسى لما آثرته من التخلى والانقطاع وأجبته الى ذلك ظاهرا وخرجت مسافرا من تلمسان حتى انتهيت الى البطحاء فعدلت ذات اليمين الى منداس ولحقت باحياء أولاد عريف قبلة جبل كزول فلقونى بالتحف والكرامة وأقمت بينهم أياما حتى بعثوا عن أهلى وولدى بتلمسان وأحسنوا العذر الى السلطان عنى فى العجز عن قضاء خدمته وأنزلونى بأهلى فى قلعة أولاد سلامة من بلاد بنى توجين التى صارت لهم باقطاع السلطان فأقمت بها أربعة أعوام متخليا عن الشواغل وشرعت فى تأليف هذا الكتاب وأنا مقيم بها وأكملت المقدمة على ذلك النحو الغريب الذى اهتديت اليه فى تلك الخلوة فسالت فيها شآبيب

الكلام والمعانى على الفكر حتى امتخضت زبدتها وتالفت نتائجها وكانت من بعد ذلك الفيئة الى تونس كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الفيئة الى السلطان أبي العباس بتونس)

ولما نزلت بقلعة ابن سلامة من أحياء أولاد عريف وسكنت بقصر أبي بكر بن عريف الذى اختطه بها وكان من أحفل المساكن وأوفقها ثم طال مقامى هنالك وأنا مستوحش من دولة المغرب وتلمسان وعاكف على تأليف هذا الكتاب وقد فرغت من مقدمته الى أخبار العرب والبربر وزناتة وتشوقت الى مطالعة الكتب والدواوين التى لا توجد الا بالامصار بعد ان أمليت الكثير من حفظى وأردت التنقيح والتصحيح ثم طرقنى مرض أربى على البنية لولا ما تدارك من لطف الله فحدث عندى ميل الى مراجعة السلطان أبي العباس والرحلة الى تونس حيث قرار آبائى ومساكنهم وآثارهم وقبورهم فبادرت الى خطاب السلطان بالفيئة الى طاعته والمراجعة فما كان غير بعيد واذا بخطابه وعهوده بالاذن والاستحثاث للقدوم فكان الخفوق للرحلة فظعنت عن أولاد عريف مع عرب الاخضر من بادية رياح كانوا هنالك ينتجعون الميرة بمنداس وارتحلنا فى رجب سنة ثمانين وسلكنا القفر الى الدوسن من أطراف الزاب ثم صعدت الى التل مع حاشية يعقوب بن على وجدتهم بفرفار الضيعة التى اختطها بالزاب فرحلت معهم الى أن نزلنا عليه بضاحية قسنطينة ومعه صاحبها الامير ابراهيم ابن السلطان أبي العباس بمخيمه ومعسكره فحضرت عنده وقسم لى من برّه وكرامته فوق الرضا وأذن لى فى الدخول الى قسنطينة واقامة أهلى فى كفالة احسانه ريثما أصل الى حضرة أبيه وبعث يعقوب بن على معى ابن أخيه أبى دينار فى جماعة من قومه وسرت الى السلطان أبي العباس وهو يومئذ قد خرج من تونس فى العساكر الى بلاد الجريد لاستنزال شيوخها عن كراسى الفتنة التى كانوا عليها فوافيته بظاهر سوسة فحيا وفادتى وبر مقدمى وبالغ فى تأنيسى وشاورنى فى مهمات أموره ثم ردنى الى تونس وأوعز الى نائبه بها مولاه فارح بتهيئة المنزل والكفالة من الجراية والعلوفة وجزيل الاحسان فرحت الى تونس فى شعبان من السنة وآويت الى ظل ظليل من عناية السلطان وحرمته وبعثت الى الاهل والولد وجمعت شملهم فى مرعى تلك النعمة وألقيت عصا التسيار وطالت غيبة السلطان الى أن افتتح أمصار الجريد وذهب فلهم فى النواحى ولحق زعيمهم يحيى بن يملول ونزل على صهره ابن مزنى وقسم السلطان بلاد الجريد بين ولده فأنزل ابنه محمدا المنتصر بتوزر وجعل نفطة ونفزاوة من أعماله وأنزل ابنه أبا بكر بقفصة وعاد الى تونس مظفرا مزهرا فأقبل علىّ واستدنانى لمجالسته والنجاء

فى خلوته فعص بطانته من ذلك وأقاموا الى السعايات عند السلطان فلم تجع وكانوا يعكفون على امام الجامع وشيخ الفتيا محمد بن عرفة وكان فى قلبه نكتة من الغيرة من لدن اجتماعنا فى المربى بمجالسة الشيوخ فكثيرا ما كان يظهر شفوفى عليه وان كان أسن منى فاسودت تلك النكتة فى قلبه ولم تفارقه ولما قدمت تونس انثال على طلبة العلم من أصحابه وسواهم يطلبون الافادة والاشتغال وأسعفتهم بذلك فعظم عليه وكان يسر التنفير الى الكثير منهم فلم يقبلوا واشتدت غيرته ووافق ذلك اجتماع البطانة اليه فاتفقوا على شأنهم فى التأنيب والسعاية بى والسلطان خلال ذلك معرض عنهم فى ذلك وقد كافنى بالاكباب على تأليف هذا الكتاب لتشوقه الى المعارف والاخبار واقتناء الفضائل فأكملت منه أخبار البربر وزناتة وكتبت من اخبار الدولتين وما قبل الاسلام ما وصل الى منها وأكملت منها نسخة رفعتها الى خزانته وكان مما يغرون به السلطان قعودى عن امتداحه فانى كنت قد أهملت الشعر وانتحاله جملة وتفرغت للعلم فقط فكانوا يقولون له انما ترك ذلك استهانة بسلطانك لكثرة امتداحه للملوك قبلك وتنميت ذلك عنهم من جهة بعض الصديق من بطانتهم فلما رفعت له الكتاب وتوجته باسمه أنشدته فى ذلك اليوم هذه القصيدة امتدحه وأذكر سيره وفتوحاته واعتذر عن انتحال الشعر واستعطفه بهدية الكتاب اليه فقلت

هل غير بابك للغريب مؤمل * أوعن جنابك للامانى معدل
هى همة بعثت اليك على النوى * عزما كما شحذ الحسام الصيقل
متبوأ الدنيا و منتجع المنا * والغيث حيث العارض المتهلل
حيث القصور الزاهرات منيفة * تعنو لها زهر النجوم وتحفل
حيث الخيام البيض ترفع للقرى * قد فاح فى أرجائهن المندل
حيث الحمى للعز فى ساحاته * ظل أفاءته الوشيج الذبل
حيث الرماح يكاد يورق عودها * مما تعل من الدماء وتنهل
حيث الجياد أملهن شجعان الوغى * مما أطالوا فى المنار وأوغلوا
حيث الوجوه الغر قنعها الحيا * والبشر فى صفحاتها يتهلل
حيث الملوك الصيد والنفر الالى * عز الجوار لديهم والمنزل
من شيعة المهدى بل من شيعة التوحيد جاء به الكتاب مفصل
شادوا على التقوى مبانى عزهم * لله ما شادوا بذاك واثلوا
بل شيعة الرحمن ألقى حبهم * فى خلقه أسموا بذاك وفضلوا
قوم أبو حفص أب لهم وما * أدراك والفاروق جد أول

نسب كما اضطردت أنابيب القنا * وأتى علي تقويمهن معدل
سام على هام الزمان كأنه * للفجر تاج بالبدور مكلل
فضل الانام حديثهم وقديمهم * ولأنت ان نصبوا أعز وأفضل
وبنوا على قال النجوم ووطدوا * وبناؤك العالى أشد وأطول
ولقد أقول لخائض بحر العلا * والليل مدثر الجوانب اليل
ماض على غول الدجا لا يتقى * منها وذا بله ذبال مشعل
متقلب فوق الرماح كأنه * طيف بأطراف المهاد موكل
يبغى منال الفوز من طرق الغنى * ورود مخصبها الذى لا يجهل
أرح الركاب فقد ظفرت بواهب * يعطى عطاء المنعمين فيجزل
لله من خلق كريم فى الندى * كالروض حياه ندى مخضوضل
هذا أمير المؤمنين امامنا * فى الدين والدنيا اليه الموئل
هذا أبو العباس خير خليفة * شهدت له الشيم التى لا تجهل
مستنصر بالله فى قهر العدا * وعلى اعانة ربه متوكل
سبق الملوك الى العلا متمهلا * لله منك السابق المتمهل
فلانت أعلى المالكين وان غدوا * يتسابقون الى العلاء وأكمل
قايس قديما منهم بقديمكم * فالامر فيه واضح لا يجهل
دانوا لقومكم بأقوم طاعة * هى عروة الدين التى لا تفصل
سائل تلمسانا بها وزناتة * ومرين قبلهم كما قد ينقل
واسأل بأندلس مدائن ملكها * تخبرك حين استأنسوا واستأهلوا
واسأل بذا مراكشا وقصورها * فلقد تجيب رسومها من يسأل
يا أيها الملك الوفى باذا الذى * ملأ القلوب وفوق ما يتمثل
لله منك مؤيد عزماته * تمضى كما يمضى القضاء المرسل
حيث الزمان يحث أعظم حتمه * فافترعنه وهو أكلح أعضل
والشمل من أبنائه متصدع * وعلا خلافتهم مضاع مهمل
والخلق قد صرفوا اليك قلوبهم * ورجوا اصلاح الحال منك وأملوا
فعجلته لما انتدبت لامره * بالبأس والعزم الذى لا يمهل
ذللت منه جامحا لا ينثنى * سهلت وعرا كاد لا يتسهل
وألنت من سوس العتاة وذدتهم * عن ذلك الحرم الذى قد حللوا
كانت لصولة صولة ولقومه * يعدو ذويبها وتسطو المعقل

ومهلهل تسدى وتلحم فى التى * ما أحكمزها فهى بعد مهلهل

والمراد بصولة هنا صولة بن خالد بن حمزة أولاد أبى الليل وذويب هو ابن عمه أحمد بن حمزة والمنقل فريق من العرب من احلافهم ومهلهل هم بنو مهلهل بن قاسم انظارهم وأقتالهم ثم رجع الى وصف العرب

عجب الانام لشأنهم بادون قد * قذفت بهم المطى الذلل

رفعوا القباب على العماد وعندها الجرد السلاهب والرماح العسل

فى كل طامى الريب منعقد الحصا * تهدى لجمته الظلماء فتنهل

حتى شرابهم السراب ورزقهم * ريح يروح به الكمى ومنصل

تي حلول بالعراء ودونهم * قذف النوى ان يظعنوا أو يقبلوا

كانوا يروعون الملوك بما بدوا * وغدت ترفه بالنعيم وتخضل

فبدوت لاتلوى على دعة ولا * تأوى الى ظل القصور وتهزل

طورا يصافحك الهجير وتارة * فيه بخفاق البنود تظلل

واذا تعاطى الضمر فى يوم الوغى * كاس الصبيح فبالصهيل تعلل

تخشوشنا فى العز معتملاته * فى مثل هذا يحسن المستعمل

تفرى حشى البيداء لايسرى بها * وكف ولايهدى اليها جحفل

وتجر اذيال الكتائب فوقها * تختال فى السمر الطوال وترفل

ترميهم منها بكل مدجج * شاكى السلاح اذا استعار الاعزل

وبكل أسمر غصنه متأود * وبكل أبيض شطه متهدل

حتى تفرق ذلك الجمع الالى * عصفت بهم ريح الجلاء فزلزلوا

ثم استلمتهم بعمتك التى * خضعوا العزك بعدها وتذللوا

ونزعت من أهل الجريد غواية * وقطعت من أسبابها ما أوصلوا

ونظمت من أمصاره وثغوره * للملك عقدا بالفتوح يفصل

فسددت مطلع النفاق وأنت لا * تنبو ظباك ولا العزيمة تنكل

بشكيمة مرهوبة وسياسة * تجرى كما يجرى فرات سلسل

عذب الزمان لها ولذ مذاقه * من بعدما قد مر منه الحنظل

فثوى الانام لعز أروع مالك * سهل الخليقة ماجد متفضل

وتطابقت فيه القلوب على الرضا * سيان منها الطفل والمتكهل

ياما لكا وسع الزمان وأهله * عدلا وأمنا فوق ماقد أملوا

فالارض لايخشى بها غول ولا * يعدو بساحتها الهزبر المشبل

والدهر

والسرب يجتابون كل تنوفة * سرب القطا ماراعهن الاجدل
سبحان من بعلاك قد أحيا المنا * واعاد حلى الجيد وهو معطل
فكأنما الدنيا عروس تجتلى * فتميس فى حلل الجمال وترفل
وكان مطبقة البلاد بعدله * عادت فسيحا ليس فيها مجهل
وكان أنوار الكواكب ضوعفت * من نور غرته التى هى أجمل
وكانما رفع الحجاب لناظرى * فرأى الحقيقة فى الذى يتخيل

ومنها فى العذر عن مدحه

مولاى غاضت فكرتى وتبلدت * منى الطباع فكل شئ مشكل
تسموالى درك الحقائق همتى * فأصد عن ادراكهن وأعزل
وأجد لبلى فى امتراء قريحتى * فتعود غورا بعد ما تسترسل
فأبيت يختلج الكلام بخاطرى * والنظم يشرد والقوافى تجفل
واذا امتريت العفو منه جاهدا * عاب الجهابذ صنعه واسترذلوا
من بعد حول انتقيه ولم يكن * فى الشعر لى قول يعاب ويهمل
فاصونه عن أهله متواريا * أن لا يضمهم وشعرى محفل
وهى البضاعة فى القبول نفاقها * سيان فيه الفحل والمتطفل
وبنات فكرى ان أتتك كليلة * زهراء تخطر فى القصور وتخطل
فلها الفخار اذا منحت قبولها * وأنا على ذلك البليغ المقول

ومنها فى ذكر الكتاب المؤلف بخزانته

واليك من سير الزمان وأهله * عبرا يدين بفضلها من يعدل
صحفا تترجم عن أحاديث الأولى * درجوا فتجمل عنهم وتفصل
تبدى التبابع والعمالق سرها * وثمود قبلهم وعاد الاول
والقائمون بملة الاسلام من * مضر وبربرهم اذا ما حصلوا
لخصت كتب الاولين بجمعها * وأتيت أولها بما قد أغفلوا
وألنت حوشى الكلام كأنما * سرد اللغات بها لنطقى ذللوا
وجعلته لسوار ملكك مفخرا * يبهى الندى به ويزهو المحفل
والله ما أسرفت فيما قلته * شيأ ولا الاسراف منى يجمل
ولأنت أرسخ فى المعالى رتبة * من أن يموه عندمه متطفل
فلك كل فضيلة وحقيقة * الناس تعرف فضلها ان بدلوا
والحق عندك فى الامور مقدم * أبدا فماذا يدعيه المبطل

والله أعطاك التي لا فوقها * فاحكم بما ترضى فأنت الاعدل

أبقاك ربك للعباد تربهم * فالله يخلقهم ورعيك يكفل

وكنت لما انصرفت من معسكره على سوسة الى تونس بلغني وأنا مقيم بها أنه أصابه في طريقه مرض وعقبه برء فخاطبته بهذه القصيدة

ضحكت وجوه الدهر بعد عبوس * وتخللتنا رحمة من بوس

وتوضحت غرر البشائر بعد ما انشبهمت فأطلعها حداة العيس

صدعوا بها ليل الهموم كأنما * صدعوا الظلام بجذوة المقبوس

فكأنهم جنات عدن في الورى * نشرت لها الآمال من مرموس

قرت عيون الخلق منها بالتي * شربوا النعيم لها بغير كؤس

يتمايلون من المسرة والرضا * ويقابلون أهلة بشموس

من راكب وافى يحيي راكبا * وجليس أنس قاده لجليس

ومشفع لله يونس عنده * أثر الهدى في المعهد المأنوس

يعتد منها رحمة قدسية * فيبوء للرحمن بالتقديس

طلبة بإخلاص الدعاء وأنه * يشفي من الداء العيا والبوس

والمعني به امام الجامع الاعظم جامع الزيتونة بتونس

يا ابن الخلافة والذين بنورهم * نهجت سبيل الحق بعد دروس

والناصر الدين القويم بعزمه * طردت إمامتها بغير عكوس

هجر المنى فيها ولذات المنى * في لذة التهجير والتغليس

حاط الرياضة بالسياسة فانطوت * منه لأكرم مالك وسيوس

أسد حمى عن حمى أشباله * حتى ضووا منه لأمنع خيس

فسما بموشي البطاح وقد غدت * تختال زهوا في ثياب عروس

والمائسات من المنايا جثما * بالبيد من طسم وفل جديس

وتنزالبلى منها الغوارب والذرى * فلقتن حذرا بالعيون الشوس

لبقاك حرز للانام وعصمة * وحياة أرواح لنا ونفوس

ولأنت كافل ديننا بحماية * لولاك ضيع عهدها وتنوسي

الله أعطاك التي لا فوقها * وحباك حظ الليس بالمركوس

نعتو الوجوه اليك قبل وجوهنا * سبيانه من رأس ومن مرؤس

فاذا أقمت فإن رعيك واحل * يحمي على الأعداء كل وطيس

واذا رحلت فللسعادة آية * تقتادها في موكب وخميس

واذا

وإذا الأدلة في الكمال تطابقت * جاءت بمسموع لها ومقيس
فانعم بملك كل دولة عادية * تشقي الأعادي بالعذاب البيس
وإليكها مني عـلي تخجل بها * عذراء قد حليت بكل نفيس
عذرا لقد طمس الشباب ونوره * وأضاء صبح الشيب عند طموس
لولا عنايتك التي أوليتني * ما كنت أعني بعدها بطروس
والله ما أبقت ممارسة النوى * مني سوى رسم أمر دريس
أخنى الزمان على في الأدب الذي * دارسته بمجامع ودروس
فسطا على فرعي وروع مأمني * واجتث من دوح النشاط غروسي
ورضاك رحمي التي أعتدها * تحيي منا نفسي وتذهب بوسي

ثم كثرت سعاية البطانة بكل نوع من أنواع السعايات وابن عرفة يزيد في أغرائهم متى اجتمعوا اليه الى أن أغروا السلطان بسفري معه ولقنوا النائب بتونس القائد فارح من موالي السلطان أن يتفادى من مقامي معه خشية على أمره مني بزعمه وتواطؤا على أن يشهد ابن عرفة بذلك للسلطان حتى شهد به في غفلة مني ونكر السلطان عليهم ذلك ثم بعث الي وأمرني بالسفر معه فسارعت الى الامتثال وقد شق ذلك علي الا أني لم أجد محيصا فخرجت معه وانتهيت الى تبسة وسط وطن تلول افريقية وكان منحدرا في عسكره وتوابعه من العرب الى توزر لان ابن يملول أجلب عليها سنة ثلاث وثمانين واستنقذها من يد ابنه فسار السلطان اليه وشرده عنها وأعاد اليها ابنه وأولياءه ولما نهض من تبسة رجعني الى تونس فأقمت بضيعة الرياحين من نواحيها الضم زراعتي بها الى أن قفل السلطان ظافرا منصورا فصحبته الى تونس ولما كان شهر شعبان من سنة أربع وثمانين أجمع السلطان الحركة الى الزاب بما كان صاحبه ابن مزني قد آوى ابن يملول اليه ومهد له في جواره فخشيت أن يعود في شأني ما كان في السنة قبلها وكان بالمرسى سفينة لتجار الاسكندرية قد شحنها التجار بأمتعتهم وعروضهم وهي مقلعة الى الاسكندرية فتطارحت على السلطان وتوسلت اليه في تخلية سبيلي لقضاء فرضي فأذن لي في ذلك وخرجت الى المرسى والناس متسايلون على أثري من أعيان الدولة والبلد وطلبة العلم فودعتهم وركبت البحر منتصف شعبان من السنة وقوضت عنهم بحيث كانت الخيرة من الله سبحانه وتفرغت لتجديد ما كان عندي من آثار العلم والله ولي الامور سبحانه

(الرحلة الى المشرق وولاية القضاء بمصر)

ولما رحلت من تونس منتصف شعبان من سنة أربع وثمانين أقمنا في البحر نحوا من

... بمرسى الاسكندرية يوم الفطر ولعشر ليال من جلوس

الظاهر على التخت واقتعد كرسي الملك دون اهله بني قلاوون وكنت على ترقب
لما كان يؤثر بقاصية البلاد من سموه وجلاله وأقمت بالاسكندرية شهرا لتهيئة
اسباب الحج ولم يقض عامئذ فانتقلت الى القاهرة اول ذي القعدة فرأيت حاضرة الدنيا
وبستان العالم ومحشر الامم ومدرج الذر من البشر وايوان الاسلام وكرسي الملك تلوح
القصور والاواوين في جوه وتزهر الخوانق والمدارس والكواكب بآفاقه وتضيء
البدور والكواكب من علمائه قد مثل بشاطئ النيل نهر الجنة ومدفع مياه السماء يسقيهم
العلل والنهل سيحه ويجبي اليهم الثمرات والخيرات ثجه ومررت في سكك المدينة تغص
بزحام المارة واسواقها تزخر بالنعم وما زلنا نحدث عن هذا البلد وبعد مداه في العمران
واتساع الاحوال ولقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا واصحابنا حاجهم
وتاجرهم بالحديث عنه سألت صاحبنا كبير الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب ابا
عبد الله المقري فقلت له كيف هذه القاهرة فقال من لم يرها لم يعرف عز الاسلام وسألت
شيخنا ابا العباس بن ادريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال كأنما انطلق اهله من
الحساب يشير الى كثرة أممه وأمنهم العواقب وحضر صاحبنا قاضي العسكر بفاس
الفقيه الكاتب ابو القاسم البرجي بمجلس السلطان ابي عنان منصرفه من السفارة
عنه الى ملوك مصر وتأدية رسالته النبوية الى الضريح الكريم سنة ست وخمسين
فسأله عن القاهرة فقال أقول في العبارة عنها على سبيل الاختصار ان الذي يتخيله
الانسان فانما يراه دون الصورة التي تخيلها لاتساع الخيال عن كل محسوس الا القاهرة
فانها اوسع من كل ما يتخيل فيها فأعجب السلطان والحاضرون لذلك ولما دخلتها اقمت
اياما وانثال على طلبة العلم بها يلتمسون الافادة مع قلة البضاعة ولم يوسعوني عذرا
فجلست للتدريس بالجامع الازهر منها ثم كان الاتصال بالسلطان فأبر مقامي وآنس
الغربة ووفر الجراية من صدقاته شأنه مع اهل العلم وانتظرت لحاق اهلي وولدي من
تونس وقد صدهم السلطان هنالك عن السفر اغتباطا بعودي اليه فطلبت من السلطان
صاحب مصر الشفاعة اليه في تخلية سبيلهم فخاطبه في ذلك ثم هلك بعض المدرسين بمدرسة
القمحية بمصر من وقف صلاح الدين بن ايوب فولاني تدريسها مكانه وبينا أنا في ذلك
اذ سخط السلطان قاضي المالكية في دولته لبعض النزعات فعزله وهو رابع اربعة
بعدد المذاهب يدعى كل منهم قاضي القضاة تمييزا عن الحكام بالنيابة عنهم لما
خطة هذا العمود وما يرتفع من الخصومات في جوانبه وكبيرهم قاضي الشافعي
لعموم ولايته في الاعمال شرقا وغربا بالصعيد والفيوم واستقلاله بالنظر في امر

اليتامى

ج الظاهر برقوق وهو أول الملوك الشراكسة بمصر وآخرهم الغوري وانقرضت على يده دولة الشراكسة اهـ من خط الشيخ العطار

اليتامى والوصايا والتقدم بأن مباشرة السلطان قديما بالولاية انما كانت تكون له
فلما عزل هذا القاضي المالكي سنة ست وثمانين اختصني السلطان بهذه الولاية تأهيلا
للمكان وتنويها بذكري وشافهته بالتفادي من ذلك فأبى الا امضاءه وخلع علي بايوانه
وبعث من كبار الخاصة من أقعدني بمجلس الحكم بالمدرسة الصالحية بين القصرين
فقمت بما دفع الي من ذلك المقام المحمود ووفيت جهدي بما امنني عليه من أحكام الله
لا تأخذني في الله لومة ولا يرغبني عنه جاه ولا سطوة مسويا بين الخصمين آخذا الحق
الضعيف من الحكمين معرضا عن الشفاعات والوسائل من الجانبين جانحا الى التثبت
في سماع البينات والنظر في عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات فقد كان البر منهم مختلطا
بالفاجر والطيب ملتبسا بالخبيث والحكام ممسكون عن انتقادهم متجاوزون عما يظهر
عليهم من هناتهم لما يموهون به من الاعتصام بأهل الشوكة فان غالبهم مختلطون بالامراء
معلمون للقرآن وأئمة في الصلوات يلبسون عليهم بالعدالة فيظنون بهم الخير ويقسمون
الحظ من الجاه في تزكيتهم عند القضاة والتوسل لهم فأعضل داؤهم وفشت المفاسد
بالتزوير والتدليس بين الناس منهم ووقفت على بعضها فعاقبت فيه بموجع العقاب
ومؤلم النكال وتأدى لعلمي الجرح في طائفة منهم فمنعتهم من تحمل الشهادة وكان منهم
كتاب الدواوين للقضاة والتوقيع في مجالسهم وتدربوا على املاء الدعاوى وتسجيل
الحكومات واستخدموا للامراء فيما يعرض لهم من العقود باحكام كتابتها وتوثيق
شروطها فصار لهم بذلك شفوف على أهل طبقتهم وتمويه على القضاة بجاههم يدرعون به
مما يتوقعونه من مغبة تهم لتعرضهم لذلك بفعلاتهم وقد يسلط بعض منهم قلمه على العقود
المحكمة فيوجد السبيل الى حلها بوجه فقهي أو كتابي ويبادر الى ذلك متى ما دعا
اليه داعي جاه أو منحة وخصوصا الاوقاف التي جاوزت حدود النهاية في هذا المصر بكثرة
عوالمه فأصبحت خافية الشهرة مجهولة الاعيان عرضة للبطلان باختلاف المذاهب
المنصوبة للاحكام بالبلد فمن اختار فيها بيعا أو تمليكا شارطوه وأجابوه مفتاتين فيه على
الحكام الذين ضربوا فيه سد الحظر والمنع حماية عن التلاعب وفشا من ذلك الضرر
في الاوقاف وطرق الغرر في العقود والاملاك فعاملت الله في حسم ذلك بما آسفهم
علي وأحقدهم ثم التفت الى أهل الفتيا بالمذهب وكان الحكام منهم على جانب الحيرة
لكثرة معارضتهم وتلقينهم الخصوم وفتياهم بعد نفوذ الحكم واذا فيهم أصاغر
فبينما هم يتشبثون بأذيال الطلب والعدالة ولا يكادون اذا بهم طفروا الى مراتب
الفتيا والتدريس فاقتعدوها وتناولوها بالجزاف وأجازوها من غير مرتب ولا مستند
لاهلية ولا مرشح اذ الكثرة فيهم بالغة ومن كثرة الساكن مشتقة وقلم الفتيا في هذا

المصر طلق وعنانها مرسل يتجاذب كل الخصوم منها رسنا ويتناول من حافته شقا يروم به الفلج على خصمه ويستظهر به لإرغامه فيعطيه المفتي من ذلك ما يرضاه وكفاء أمنيته متتبعا إياه في شعب الخلاف فتتعارض الفتاوى وتتناقض ويعظم الشغب ان وقعت بعد نفوذ الحكم والخلاف في المذاهب كثير والانصاف متعذر وأهلية المفتي وشهرة الافتاء عندنا فلا يكاد هذا المدى ينحسم ولا الشغب ينقطع فصدعت في ذلك بالحق وكبحت أعنة أهل الهوى والجهل ورددتهم على أعقابهم وكان فيهم ملتقطون سقطوا من المغرب يشعوذون وهنالك ولا ينتمون الى شيخ معروف مشهور ولا يعرف لهم كتاب في فن اتخذوا الناس هزوا وعقدوا المجالس مثلبة للأعراض ومأبنة للحرم فأرغمهم ذلك مني وملأهم حسدا وحقدا علي وخلوا الى أهل جلدتهم من سكان الزوايا المنتحلين للعبادة ليشترون بها الجاه ويجيزوا به على الله وربما اضطر أهل الحقوق الى تحكيمهم فيحكمون بما يلقي الشيطان على ألسنتهم يترخصون به الاصلاح لا يزعهم الدين عن التعرض لأحكام الله بالجهل فقطعت الحبل في أيديهم وأمضيت حكم الله فيمن أجاروه فلم يغنوا عن الله شيئا وأصبحت زواياهم مهجورة وبئرهم التي يمتاحون منها معطلة وانطلقوا وأبواطؤن السفهاء من النيل في عرضي وسوء الاحدوثة عني بمختلق الافك وقول الزور يبثونه في الناس ويدسون الى السلطان التظلم مني فلا يصغي اليهم وأنا في ذلك محتسب على الله ما منيت به في هذا الامر ومعرض فيه عن الجاهلين وماض على سبيل سوى من الصرامة وقوة الشكيمة وتحري العدالة وخلاص الحقوق والتنكب عن خطة الباطل متى دعيت اليها وصلابة العود عن الجاه والاعراض متى غمزني لامسها ولم يكن ذلك شأن من رافقته من القضاة فنكروه مني ودعوني الى متابعتهم فيما يصطلحون عليه من مرضاة الاكابر ومراعاة الاعيان والقضاء للجاه بالصور الظاهرة أو دفع الخصوم اذا تعذرت بناء على أن الحاكم لا يتعين عليه الحكم مع وجود غيره وهم يعلمون أن قد تمالؤا عليه وليت شعري ما عذرهم في الصور الظاهرة اذا علموا خلافها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول من قضيت له من حق أخيه شيئا فانما أقضي له من النار فأبيت من ذلك كله الا اعطاء العهدة حقها والوفاء لها ولمن قلدنيها فأصبح الجميع على ألبا ولمن تنادى بالتأفف مني عونا وفي النكير على أمة وأسمعوا الشهود الممنوعين أن قد قضيت فيهم بغير وجه لاعتمادي على علمي في الجرح وهي قضية اجماع وانطلقت الألسن وارتفع الصخب وأرادني بعض على الحكم بغرضهم فتوقفت وأغروا بي الخصوم فتنادوا بالتظلم عند السلطان وجمع القضاة وأهل الفتيا في مجلس حفل للنظر في ذلك فخلصت تلك

المكرمة من الباطل خلوص الابريز وتبين أمرهم للسلطان وامضيت فيهما حكم الله تعالى ارغاما لهم فغدوا على حرد قادرين ودسوا لاولياء السلطان وعظماء الدولة يقبحون لهم اهمال جاههم ورد شفاعاتهم مموهين بأن الحامل على ذلك جهل المصطلح وينفقون هذا الباطل بعظائم ينسبونها الى تبعث الحليم وتغرى الرشيد يستثيرون ضغائنهم على ويشربونهم البغضاء الى والله مجازيهم وسائلهم فكثر الشغب على من كل جانب وأظلم الجو بيني وبين أهل الدولة ووافق ذلك مصابي بالاهل والولد وصلوا من المغرب فى السفين فأصابها قاصف من الريح فغرقت وذهب الموجود والسكن والمولود فعظم المصاب والجزع ورجح الزهد واعتزمت على الخروج عن المنصب فلم يوافقني عليه النصيح ممن استشرته خشية من نكير السلطان وسخطه فتوقفت بين الورد والصدر على صراط الرجاء واليأس وعن قريب تداركني اللطف الرباني وشملتني نعمة السلطان أيده الله فى النظر بعين الرحمة وتخلية سبيلي من هذه العهدة التى لم أطق حملها ولا عرفت كما زعموا مصطلحها فردها الى صاحبها الاول وأنشطني من عقالها فانطلقت حميد الاثر مشيعا من الكافة بالاسف والدعاء وحميد الثناء تلحظني العيون بالرحمة وتتناجى الآمال فى بالعودة ورتعت فيما كنت راتعا فيه قبل من مراعي نعمته وظل رضاه وعنايته بالعافية التى سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه عاكفا على تدريس علم أو قراءة كتاب أو اعمال قلم فى تدوين أو تأليف مؤملا من الله قطع صبابة العمر فى العبادة ومحو عوائق السعادة بفضل الله ونعمته

(السفر لقضاء الحج)

ثم مكثت بعد العزل ثلاث سنين واعتزمت على قضاء الفريضة فودعت السلطان والامراء وزودوا وأعانوا فوق الكفاية وخرجت من القاهرة منتصف رمضان سنة تسع وثمانين الى مرسى الطور بالجانب الغربى من بحر السويس وركبت البحر من هنالك عاشر الفطر ووصلنا الى الينبع لشهر فوافينا المحمل ورافقتهم من هنالك الى مكة ودخلتها ثانى ذى الحجة فقضيت الفريضة فى هذه السنة ثم عدت الى الينبع فأقمت بها خمسين ليلة حتى تهيأ لنا ركوب البحر ثم سافرنا الى أن قاربنا مرسى الطور فاعترضتنا الرياح فما وسعنا الا قطع البحر الى جانبه الشرقى ونزلنا بساحل القصير ثم بدونا ثم سرنا مع اعراب تلك الناحية الى مدينة قوص قاعدة الصعيد فأرحنا بها أياما ثم ركبنا فى بحر النيل الى مصر فوصلنا اليها لشهر من سفرنا ودخلتها فى جمادى سنة تسعين وقضيت حق السلطان فى لقائه واعلامه بما اجتهدت فيه من الدعاء له فتقبل ذلك بقبول حسن وأقمت فيما عهدت من رعايته وظل احسانه وكنت لما نزلت بالينبع لقيت بها

الفقيه الاديب المتفنن أبا القاسم بن محمد بن شيخ الجماعة وفارس الأدباء ومنتق سوق البلاغة أبي اسحق ابراهيم الساحلي المعروف جده بالطويجن وقد قدم حاجا وفي صحبته كتاب رسالة من صاحبنا الوزير الكبير العالم كاتب سر السلطان ابن الاحمر صاحب غرناطة المتلقي لديه أبي عبد الله بن زمرك خاطبني فيه بنظم ونثر تترق ويذكر بعهود الصحبة نصه

سلوا البارق النجدي على عمل نجدى • تبسم فاستبكى جفونى من الوجد

أجاد ربوعى باللوى درك اللوى • وجر به صوب الغمائم من بعد

ويا زاجر الاظعان وهي ضوامر • دعوها ترد هيما عطاشا على نجد

ولا تنشقوا الانفاس منها مع الصبا • فان زفير الشوق من مثلها يعدى

براها الهوى برى القداح وخطها • حروفا على صفح من الدمر ممتد

عجبت لها أني تجاذبني الهوى • وما شوقها شوقي ولا وجدها وجدى

لئن شاقها بين العذيب وبارق • مياه بفيء الظل للبان والرند

فما شاقني الا بدور خدورها • وقد طلعت يوم النفر في قضب ملد

تحكم في قباب الحي من شمر كلة • وفي حلل الازرار من قمر سعد

وكم صارم قد سل من لحظ أحور • وكم ذابل قد هزمن ناعم القد

خذوا الحذر من سكان رامة انها • ضعيفات كسر اللحظ تسطو بالاسد

سهام جفون من قسى حواجب • يصاب بها قلب البرى على عمد

وروض جمال ضاع عرف نسيمه • وما ضاع غير الورد في صفحة الخد

ونرجس لحظ أرسل الدمع لؤلؤا • فرش على الورد روضا من الورد

وكم غصن قد عانق الغصن مثله • وكل على كل من الشوق يستعدى

قبيح وداع قد جلا لعيوننا • محاسن من روض الجمال بلا عد

رعى الله ليلى لو علمت طريقها • فرشت لاخفاف المطى بها خدى

وما شاقني والطيف يرهب أدهمى • وسبح في بحر من الليل مزبد

وقد سل خفاق الذوائب بارق • كما سل لماع الصقال من الغمد

وهزت محلاة يد الشرق في الدجا • فخل الذى أبرمت للصبر من عقد

وأقلق خفاق الجوانح نسمة • تنم مع الاصباح خافقة البرد

وهب عليل تمطى برودها • أحاديث أهداها الى الغور من نجد

سوى صادح في الايك لم يدر ما الهوى • ولكن دعا مني النصير على وعد

فهل عند ليلى نعم الله ليلها • بأن جفونى ما تمل من السهد

وليلة اذ وافى الحجيج الى منى * وفت لى المنى منها بما شئت من قصد
تقنيت منها فوق ما أحسب المنى * وبرد عفاف صانه الله من برد
وليس سوى لحظ خفى بحيلة * وشكوى كما ارفض الجمان من العقد
غنرت لعمرى بعدها كل ماجنى * سوى ماجنى وفد المشيب على فودى
عرفت بهذا الشيب فضل شبيتى * ومازال فضل الضد يعرف بالضد
ومن نال فى ليل الشباب ضلالة * سيوقظه صبح المشيب الى الرشد
أما والهوى ما حدت عن سنن الهدى * ولا جرت فى طرق الصبابة عن قصد
تجاوزت حد العاشقين الاولى مضوا * وأقفر ربع القلب الا من الوجد
اليك أبا زيد شكاة رفعتها * وما أنت من عمرو لدى ولا زيد
بعيشك خبرنى ومازلت مفضلا * أعندك من شوق كمثل الذى عندى
فكم ثار بى شوق اليك مبرح * فظلت يد الاشواق تقدح من زندى
وسنق حتى الريح فى لمم الربى * وأشفق حتى الطفل فى كبد المهد
يشابلنى منك الصباح بوجنة * حكى شفقا فيه الحياء الذى تبدى
وتوهمنى الشمس المنيرة غرة * بوجهك صان الله وجهك عن رد
محياك أجلى فى العيون من الضحى * وذكرك أحلى فى الشفاه من الشهد
وما أنت الا الشمس فى علو أفقها * نفديك من قرب وتلحظ من بعد
وفى غمة من لا ترى الشمس عينه * وما نفع نور الشمس فى الاعين الرمد
من القوم صانوا المجد صون عيونهم * كما قد أباحوا المال ينهب للرفد
اذا ازدحموا يوما على الماء اسوة * فما ازدحموا الا على مورد المجد
ومهما أغاروا منجدين صريخهم * يشبون نار الحرب فى الغور والنجد
ولم يقتنوا بعد الثناء ذخيرة * سوى الصارم المصقول والصافن النهد
وما اقتسم الانفال الا ممدح * ملاها باعراف المطهمة الجرد
أتنسى ولا تنسى ليالينا التى * خلسنا بها العينين من جنة الخلد
ركبنا الى اللذات فى طلق الصبا * مطايا الليالى وادعين الى حد
فان لم ندر فيها الكؤس فاننا * وردنا بها اللانس مستعذب الورد
لئن بنت فى غرب وأنت رئيسه * وبابك للاعلام مجتمع الوفد
فانى نسيت حتى ما شكوت بغربة * وواليت حتى لم أجد مضض الفقد
وعدت لقطرى شاكرا ما بلوته * من الخلق المحمود والحسب العد
الى أن أجزت البحر يا بحر نحونا * وزرت مزار الغيث فى عقب الجهد

أأنعم من النعمى على حال فاقة * وأشهى من الوصل الهني على صد
ولو ساء أن قوضت رحالك بالنوى * وعوضت منها بالزميل و بالوخد
لقد سرني ان لحت في أفق العلا * على الطائر الميمون والطالع الاسعد
طلعت بأفق الشرق نجم هداية * تجتمع الانوار فيه على وعد
عيانا بن تسري المطي سراهم * عليها سام قدرمت هدف القصد
الى بيته كعمار و رمعاهدا * بات بها جبريل عن كرم العهد
لانت لما مهما نبا السل مشكل * قدحت به للنور وارية الزند
وحيث استقلت في ركاب لطيه * فانت شقي النفس في القرب والبعد
واني بباب الملك حيث عهدتني * مذيل ظلال الجاه منعصف العقد
أجهز بالانشاء كل كتيبة * من الكتب والكتاب في عرضها جندي
ناوذ من المولى الامام محمد * بظل على نهر المبرة ممتد
اذا فاض من عينا بحر سماحة * وعم به الطوفان في النجد والوهد
ركبنا الى الاحسان في سفن الرجا * بحور عطاء ليس تزجر عن صد
فمن مبلغ الانصار عني الوكة * مغلغلة في الصدق معجزة الوعد
بآية ما أعطى الخليفة ربه * مفاتيح فتح ساقها سائق السعد
ودونك من روض المحامد نفحة * تفوق اذا اصطف الندى من الند
ثناء يقول المسك ان ذاع عرفه * أبالك من نداياك من ند
وما الماء في جو السحاب مروقا * بأطهر ذات منك في كنف المهد
فكيف وقد حلتك أسراء ها الجلا * وباهت بك الاعلام بالعلم الفرد
وما الطل في ثغر من الزهر باسم * بأصفى وأذكى من ثنائي ومن ودي
ولا البدر معصوما بتاج تمامه * بأبهر من ودي وأسير من حمدي
بقيت ابن خلدون امام هداية * ولا زلت من دنياك في جنة الخلد
ووصلها بقوله سيدي شيخ الاعلام كنز رؤساء الاسلام مشرف حملة السيوف والاقلام جمال الخواص والظهراء أثير الدول خالصة الملوك مجتبى الخلفاء سر العلاء أوحد الفضلاء قدوة العلماء حجة البلغاء أبقاكم الله بقاء جميلا يعقد لواء الفخر ويعلي منار الفضل ويرفع عماد المجد ويوضح معالم السيادة ويرسل أشعة السعادة ويفيض أنوار الهداية ويطلق ألسنة المحامد وينير أفق المعارف ويعذب مورد العناية ويتبع بعمر النهاية ولا نهاية بأي التحيات أفاتحك وقدرك أعلى ومطلع فضلك أوضح وأجلي ان قلت تحية كسرى في الثناء وتبع فأنزلك لا يقتني ولا يتبع تلك تحية عجماء

لاتبين

لا سين ولا سين وزمزمة نافرها اللسان العربي المبين وهذه جهالة جهلاء لا ينطبق
على حروفها الاستعلاء قد محا رسومها الخفاء وعلى آثار منتها العفاء وان كانت
العصيان طالما أوجف بهما الركاب وقعقع البريد ولكن أين يقعان مما أريد تحية
الاسلام أصل في الفخر نسبا وأوصل بالشرع سببا فالاولى أن نحييك بما حيا الله
في كتابه رسله وأنبياءه وحيت به ملائكته في جواره أولياءه فأقول السلام عليكم يرسل
من رحمة الله غماما ويشق من الطروس عن أزهار المحامد كماما ويستصحب من البركات
ما يكون على التي هي أحسن من ذلك مقاما وأجدد السؤال عن الحال الحالية بالعلم
والدين المستمدة من أنوارها سرج المهتدين زادها الله صلاحا وعرفها نجاحا يتبع
فلاحا وأقرر ما عندي من تعظيم ارتقى كل آونة شرفه واعتقاد جميل يرفع عن وجه البدر
كلفه وثناء أنشر بيدك البيضاء صحفه وعلى ذلك أيها السيد المالك فقد تشعبت
على في مخاطبتك المسالك ان أخذت في تقرير فضلك العميم ونسبك الصميم فوالله
ما أدري بأي بيعة لفخرك تدفع الظلم وفي أي بحر من ثنائك يسبح القلم الامر جلل
والشمس تكبر على حلي وحلل وان أخذت في شكاة الفراق والاستعداء على
الاشواق وأسلة اليراع تخضب مفارق الطروس بصبيغ الحبر المراق وغيرك من
تركض في مخاطبته جياد اليراع في مجال الرقاع مستولية على أمد الابداع
والاختراع فانما هو بث يبكي وفراق يشكى فيعلم الله مرضي عن أن أشافه من
أنبائك ثغور البروق البواسم وأن أحملك الرسائل حتى مع سفراء النواسم وأن أجتلي
غرر ذلك الجبين في محيا الشارق ولمح البارق ولقد وجهت اليك جملة من الكتب
والقصائد ولا كالقصيدة الفريدة في تأبين الجواهر اللائي استأثر بهن البحر قدس الله
أرواحهم وأعظم الله أجرك فيهم فانها أنافت على مائة وخمسين بيتا ولا أدري هل بلغكم
ذلك أم غاله الضياع وعذر وصوله بعد المسافة والذي يطرق في سوء الظن بذلك ما صدر في
مقابلته منكم فاني على علم من كرم قصدكم ومن حين استغربنا كم بذلك الافق الشرقي
لم يصلني منكم كتاب مع علي بضياع اثنين منهما بهذا الافق الغربي اهـ وفي الكتاب
اشارة الى أنه بعث قصيدة في مدح الملك الظاهر صاحب مصر ويطلب منه رفعها
الى السلطان وعرضها عليه بحسب الامكان وهي على روي الهمزة ومطلعها

أمدامع منهلة أم لؤلؤ * لما استهل العارض المتلألئ

وبعث في طي الكتاب واعتذر بأنه استناب في نسخها فكتبت همزة رويها ألفا قال
وحقها أن تكتب بالواو لانها تبدل بالواو وتسهل بين الهمزة والواو وحرف الاطلاق
بسوقها واوا هذا مقتضى الصناعة وان قال بعض الشيوخ تكتب ألفا على كل حال

على لغة من لا يسهل لكنه ليس بشئ وأذن لى فى نسخ القصيدة المذكورة بالخط المشرق لتسهل قراءتها عليهم ففعلت ذلك ورفعت النسخة والاصل للسلطان وقرأها كاتب سره ولم يرجع الى منها شئ ولم أستجد أن أنسخها قبل رفعها الى السلطان فضاعت من يدى وكان فى الكتاب فصل عرفنى فيه بشأن الوزير مسعود بن رحو المستبد بأمر المغرب لذلك العهد وما جاء به من الانتقاض عليهم والكفران لصنيعهم يقول فيه كان مسعود بن رحو الذى أقام بالاندلس عشرين عاما يتبتك النعم ويتود الذئب لو يغير الصنيع ولكن لقد أنجز نحبه ولد عثمان كما نفرغتم من نسخة كتب انشائه بجبل الفتح لاهل الحضرة فاستولى على المملكة وحصل على الدنيا وانفرد برياسة دار المغرب لضعف السلطان رحمه الله ولم يكن الا ان كفرت الحقوق وحنظلت نخلته المعروق وشف على سواد جلدته سواد العقوق وداخل من سبتة فانتقضت طاعة أهلها وظنوا أن القصبة لا تثبت لهم وكان قائدها الشيخ الابهة قليل الحصار وجلى القتال ومحش الحرب أبو زكريا بن شعيب فثبت للصدمة ونوّر للاندلس فبادره المدد من الجبل ومن مالقة وتوالت الامداد وخاف أهل البلد ورجع شرفاؤه ودخلوا القصبة واستغاث أهل البلد بمن جاورهم وجاءهم المدد أيضا ثم دخل الصالحون فى رغبة هذا المقام ورفع القتال وفى أثناء ذلك غدروا ثانية فاستدعى الحال اجازة السلطان المخلوع أبى العباس ليبادر القصبة به ويتوجه منها الى المغرب لرغبة بنى مرين وغيرهم فيه وهو ولد السلطان المرحوم أبى سالم الذى قلدكم رياسة داره وأوجب لكم المزية على أوليائه وأنصاره وبعده فصل آخر يطلب فيه كتبا من مصر يقول فيه والمرغوب من سيدى أن يبعث لى ما أمكن من كلام فضلاء الوقت وأشياخهم على الفاتحة اذ لا يمكن بعث تفسير كامل لانى أثبت فى تفسيرها ما أرجو به النفع عند الله وقد علم أن عندى التفسير الذى أوصله عثمان الخبانى من تأليف الطيبى والسفر الاول من تفسير أبى حيان وملخص اعرابه وكتاب المغنى لابن هشام وسمعت عن براءة تفسير للامام بهاء الدين ابن عقيل ووصلت الى براءة من كلام   الاسرى رضى الله عن جميعهم ولكنى لم أصل الا للبسملة وذكر أبو حيان فى صدر تفسيره أن شيخه سليمان النقيب أو أبا سليمان لا أدرى الآن صنف كتابا فى البيان فى سفرين جعله مقدمة لكتاب تفسيره الكبير فان أمكن سيدى توجيهه لا بأس انتهى وفى الكتاب فصول أخرى فى اغراض متعددة لا حاجة الى ذكرها ههنا ثم ختم الكتاب بالسلام وكتب اسمه محمد بن يوسف بن زمرك وتاريخه العشرون من محرم سنة تسع وثمانين (وكتب الى) قاضى الجماعة بغرناطة أبو الحسن على بن الحسن النبى الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا

بياض بالاصل

محمد رسول الله ياسيدى وواحدى ودّا وحبا ونجى الروح بعدا وقربا أبقاكم الله وثوب سيادتكم سابغ وقمر سعادتكم كلما أفلت الاقمار بازغ أسلم بأتم سلامى عليكم وأقرر بعض ما لدىّ من الاشواق اليكم من حضرة غرناطة مهدها الله عن ذكر لكم بتضوع طيبه وشكر لا يذوى وان طال الزمان رطيبه قد كان بلغ ما جرى من تأخيركم عن الولاية التى تقلدتم أمرها وتحملتم مرّها فتمثلت بما قاله شيخنا أبو الحسن بن الجياب عند انفصال صاحبه الشريف أبى القاسم عن خطة القضاء

لا مرحبا بالناس أنفارك * اذ جهلت رفعة مقدارك

لو أنها قد أوتيت رشدها * ما برحت تعشو الى نارك

ثم تعرفت كيفية انفصالكم وانه كان عن رغبة من السلطان المؤيد هنالكم فرددت وقد توهمت مشاهدتكم هذه الابيات

لك الله يا بدر السماحة والبشر * لقد حزت فى الاحكام منزلة الفخر

ولكنك استعفيت عنها تورّعا * وتلك سبيل الصالحين كما تدرى

جريت على نهج السلامة فى الذى * تخيرته للنشر منك وللحشر

وحتى بأن العلم ولاك خطة * من العز لا تنفك عنها مدى العمر

تزيد على مرّ الجديدين جدة * وتسرى النجوم الزاهرة ولا تسرى

ومن لاحظ الاحوال وازن بينها * وكم لذوى الدنيا الدنية من خطر

وأسى لانواع الولايات نابذا * فغير نكير أن تواجه بالنكر

فيهنيك يهنيك الذى أنت أهله * من الزهد فيها والتوقى من الوزر

ولا تكترث من حاسديك فانهم * حصا والحصا لا يرتقى مرتقى الدرّ

ومن عامل الاقوام بالله مخلصا * له فيهم نال الجزيل من الاجر

بقيت لرفع المجد تحمى ذماره * وخار لك الرحمن فى كل ما يجرى

ايه سيدى رضى الله عنكم وأرضاكم أطنبتم فى كتابكم فى الثناء على السلطان الذى أنعم بالاعفاء والمساعدة على الانفصال عن خطة القضاء واستوهبتم الدعاء له من الاولياء ولله درّكم فى التنبيه على الارشاد الى ذلكم فالدعاء له من الواجب الذى فيه استقامة الامور وصلاح الخاصة والجمهور وعند ذلك ارتفعت أصوات العلماء والصلحاء بهذا القطر له ولكم بجميل الدعاء أجاب الله فيكم أحسنه وأجمله وبلغ كل واحد منكم ما قصده وأمّله وأنتم أيضا من أهل العلم والجلالة والفضل والاصالة وقد بلغتم بهذه البلاد الغاية من التنويه والحظ الشريف النبيه لكن أراد الله سبحانه أن يكون لمحاسنكم فى تلك البلاد العظيمة ظهور وتحدث بعد الامور أمور وبكل

اعتبار فى زمان بكم حيث كنتم مبلد والمحامد مجموعة لكم جمع شاه ولما وقف
على مكنو بكم مولانا السلطان أبو عبد الله أطال الله الثناء على مقاصدكم وتحقق
جميل ودادكم وصحيح اعتقادكم وعمر مجلسه بمشد بالثناء عليكم والشكر لما
لديكم ثم ختم الكتاب بالسلام من كاتبه على بن عبد الله بن الحسن مؤرخا بصفر سنة
تسعين وفى طيه مدرجة بخطه وقد قصر فيها عن الاجادة نصها سيدى رضى الله عنكم
وأرضاكم وأظفركم عناكم أعتذر لكم من الكتاب المدرج به هذا بغير خطى فانى فى ذلك
الوقت بحال مرض من عينى ولكم العافية الوافية فيسعنى سمعكم وربما كان
لديكم تشوف بما نزل فى هذه المدة بالمغرب من الهرج أماطه الله وآمن بلاد المسلمين
والموجب أن الحصة المرجهة فى خدمة أميرهم الواثق نظر له ولوزيره ومن ساعده على
رأيه اصطكهارهينة وجعلهم فى التسود الى أن يقع الخروج لهم على مدينة سبتة وكان
القائد على هذه الحصة الطى المدعو المهند وصاحبه الفتى المدعو نصر الله وكثر التردد
فى القضية الى أن أبرز القدر توجيه السلطان أبى العباس تولاه الله صحبة فرج بن
رضوان بحصة ثانية وكان ما كان حسبما تلقيته من الركبان هذا ما وسع الوقت من
الكلام ثم ختم الكتاب وانما كتبت هذه الاخبار وان كانت خارجة عن غرض هذا
الكتاب المؤلف لان فيها تحقيقا لهذه الواقعات وهى مذكورة فى أماكنها فربما يحتاج
الناظر الى تحقيقها من هذا الموضع و بعد قضاء الفريضة رجعت الى القاهرة محفوفا
بستر الله ولطفه ولقيت السلطان فتلقانى أيده الله ببره ودميرته وعنايته ولحقت
السلطان النكبة التى محصه الله فيها وأقاله وجعل الى الخير فيها عاقبته وما له ثم
أعاده الى كرسيه للنظر فى مصالح عباده وطوّقه القلادة التى ألبسه كما كانت فأعاد
لى ما كان أجراه من نعمته ولزمت كسر البيت ممتعا بالعافية لابسا برد العزلة عاكفا
على قراءة العلم وتدريسه لهذا العهد فاتح سبع وتسعين والله يعرفنا عوارف لطفه
ويمد علينا ظل ستره ويختم لنا بصالح الاعمال وهذا آخر ما انتهيت اليه وقد نجز
الغرض عما أردت ايراده فى هذا الكتاب والله الموفق برحمته للصواب والهادى الى
حسن المآب والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله والاصحاب والحمد
لله رب العالمين

{يقول المتوكل على من وصف نعمه بالاسباغ الفقير الى الله تعالى}
{محمد الصباغ مصحح دار الطباعة الخديوية ببولاق مصر المعزية}

تبارك الذى كمل النوع الانسانى وجمع له ما تفرق فى العالم من المعانى وحلاه بتقسيمه

انه عجيب وغريب وجمل في خزائنه تحبير انظار وقصصا بديعة الخبر تذكر ذمم
نفيسة وتفتح ديوان المبتدا والخبر واستدل على انه سبحانه المتصف بصفات الكمال
بما رتب من حسنات الأزل وصلى الله وسلم على النبي الأعظم الذي قص عليه من
الاخبار أنفسها ومن الآثار البديعة أحسنها وعلى آله الذين اتبعوا أثره وصحبه
الذين اقتفوا سننه (وبعد) فقد أتم الله نعمه وجوده وكرمه بطبع هذا
الكتاب العجيب المشتمل على كل خبر غريب الموسوم بكتاب العبر وديوان المبتدا
والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر وهو
اسم طابق مسماه ولفظ تحقق معناه فلقد بين المخبآت ودل على الآيات البينات
وأخبر عما كان حتى كأنه معاشر للعيان وحكى من السير ما فيه معتبر وأشار
بأخبار الدول الى حسن السياسة والى تعلم كيفية الفراسة اشتهر فضله ولم ير مثله
تفجرت عن ينابيع الحكمة أنهاره وفاضت بعوارف المعارف بحاره وانسجمت
بالخير أمطاره وعنت أسماره وتفتحت أزهاره وطابت ثماره ولقد كان عز حتى
لزمن الأئمة وأشبه طالبه رحمه فأحيا مواته لطائف الطبع وأقام أوده حسن
الوضع حتى عم عرف طيبه العبير ووصلت اليه يد الغني والفقير وهو من الحسنات
التي أشرق شمسها على صفحات الطروس وتزينت بحلاها النفوس في ظل صاحب
السعادة وحليف المجد والسيادة من جبلت على حبه القلوب فرفعت أكف
السؤال من علام الغيوب أن يديم له النصر والتعزيز خديو مصر العزيز بن العزيز
ابن العزيز سعادة أفندينا المحروس بعناية ربه العلي اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على
لازالت الدنيا مشرقة بكوكب سعده حاملة لرايات مجده ناطقة بالثناء على أشباله
الكرام غرة جبين الليالي والايام ثم ان هذا الطبع الظريف والوضع اللطيف
بدار الطباعة العامرة ببولاق مصر القاهرة ذات الشهرة الباهرة والمحاسن الزاهرة
التي أنقذت الكتب من أسر التحريف وأطلقتها عن قيد التصحيف فلبست ثوب
الافتخار وتزينت بتاج الاعتبار يسر برؤيتها الناظر وينشرح بها الخاطر ملحوظة
بنظر ناظرها المشمر عن ساعد الجد والاجتهاد في تدبير نضارها من لاتزال عليه
المكارم بالمعارف تثنى حضرة حسين بك حسني لازال موفقا للخيرات مسديا الانواع
المبرات ثم ان التصحيح بعد التنقيح ماعدا بعض الجزء السادس والثاني بمعرفة
العبد الثاني الفقير الى الله محمد الصباغ أسبغ الله عليه النعم أتم اسباغ ولما أسفر بدر
تمامه وفاح مسك ختامه أرخه الاستاذ فريد الزمان ونادرة الاوان من ألقت اليه
البلاغة مقالدها وملكته الفضائل طارفها وتليدها الذي اشتهر فضله في الامصار

السيد عبد الهادى نجا الابيارى فقال أحسن مقال

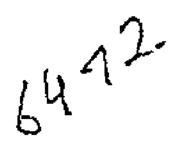
زها ابن خلدون وتم طبعا * وراق حسنا ثم فاق جمعا
كأنه روض أغن أزهرت * أفنانه بكل فن وضعا
أبناء أبناء الزمان فيه * تروق جمعا وتشوق سمعا
نديم أنس متحف بكل ما * ينعش أرواح السديم نفعا
يسر بالذى يسر شكل من * حدث بحسن الحديث رفعا
يهديه من طرائف الاخبار ما * يلهيه عما يشتهيه طبعا
ألفاظه تطرب كل سامع * كأنها صوت الحمام سجعا
تلعب بالعقل كأنها الصبا * تلعب بالاغصان حين تسعى
فاعكف عليه غير ناظر الى * سواه اذ هو الاجل قطعا
من منة الله على الانام أن * كثر بالطبع لحمل وقعا
وأنشد الحال مؤرخا له * زها ابن خلدون وتم طبعا

٨٢ ٤٤٦ ٦٩٠ ٥٣ ١٣

سنة ١٢٨٤

وكان تمام طبعه وتمام وضعه آخر ربيع
الثانى من العام المشار اليه فى الابيات من
هجرته عليه أفضل صلوات وأزكى
تحيات وعلى أصحابه وآله .

وكل ناسج على
منواله



تم

